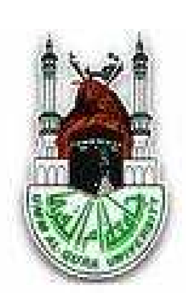


المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة



الشيخ / عبد الرحمن الوكيل
وجهوده في تقرير عقيدة السلف والدفاع عنها

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير
في العقيدة

إعداد الطالبة
دلال ناصر راشد القحطاني
الرقم الجامعي: ٤٢٥٨٠٢٧٤

إشراف سعادة
أ. د. محمد يسري جعفر

العام الجامعي
١٤٣٠/ ١٤٣١هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

أهدي ثمـرة عملي هــذا إلى روح والدي الــذي

ما فتئ يتعهدني بدعـائه ورعـايته

وأسأل الله تعـالى أن يتغمده برحمته الـواسعة،

ويسكنه فسيح جنـاته

ملخص الرسالة

عنوان الرسالة :

الشيخ عبد الرحمن الوكيل وجهوده في تقرير عقيدة السلف والدفاع عنها.

مجال الدراسة :

تتحدث الدراسة عن شخصية الوكيل العلمية والعملية ، وعن جهوده في تقرير مسائل العقيدة عند السلف ، وعن جهوده في الدفاع عنها من خلال ردوده على الصوفية والبهائية .

محتويات الدراسة :

تتكون الدراسة من مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة وفهارس .

في المقدمة تحدثت عن أسباب اختياري للموضوع وعن الدراسات السابقة وعن عملي ومنهجي في البحث ، وعن الصعوبات التي واجهتني ، وعن خطة البحث .

أما الباب الأول : فقد كان عن شخصية الوكيل العلمية والعملية ، واقتضت طبيعة البحث تقسيمه **لأربعة فصول** وهي : عصره ، حياته الشخصية ، حياته العلمية ، حياته الدعوية .

أما الباب الثاني : فقد كان عن جهوده في تقرير مسائل العقيدة ، واقتضت طبيعة البحث تقسيمه لأربعة فصول وهي : منهج الشيخ في تقرير عقيدة السلف ، جهوده في بيان التوحيد وأنواعه ، وجهوده في محاربة الشرك وأنواعه ، وجهوده في بيان الإيمان ومسائله وأركانه .

أما الباب الثالث : فقد كان عن جهوده في الرد على عقائد الصوفية وبعض الفرق المخالفة واقتضت ضرورة البحث تقسيمه إلى فصول أربعة هي : منهجه في عرض أقوال الصوفية والفرق المخالفة ، ومنهجه في الرد على الصوفية والفرق المخالفة ، والرد على أرباب الفكر الصوفي ودعاته ، وجهوده في الرد على البابية والبهائية .

وفي نهاية هذه الدراسة خاتمة اشتملت على أهم نتائج البحث والتي من أبرزها أن عقيدة الشيخ عبد الرحمن الوكيل يرحمه الله لا تخرج عن عقيدة أهل السنة والجماعة ، وأنه تميز بجهود جبارة في دقة ردوده وجودتها ، ورفع علم الدفاع عن العقيدة الصحيحة ، وتحمل الأذى في ذلك .

Abstract

Title: "Sheikh Abdel Rahman Al wakeel and his efforts reporting of the doctrine of ancestors and defend them".

Field of the study:

The study talks about Al wakeel scientific and practical personality, his efforts in reporting matters of faith when the predecessor, and his efforts to defend it through his responses to the Sufi and Baha'i.

The contents of the study:

The study consists of an introduction, three parts, a conclusion and indexes.

The first part:

In the introduction I talked about the reasons for the optional subject, previous practical and systematic studies in the search, the difficulties I faced, and the research plan.

The second part:

about scientific and the practical personality of Al wakeel, and the nature of the research needed to be divided into four chapters:

-Sheikh curriculum in reporting the doctrine of ancestors- his efforts in the statement of Doctrine and its different forms- his efforts in the fighting against polytheism in all types- his efforts in the statement of faith matters and pillars.

The Third Part:

about his efforts to respond to the doctrines of Sufism and some of the teams offense. search need to be divided into four chapters: his approach in the presentation of statements of Sufism and sects- his approach in response to the Sufi sects- his respond to masters of Sufi thought and his supporters- his efforts in response to Babia and Baha'i.

The study ended in conclusion involved the most important results of research, which highlighted that the doctrine of Sheikh Abdul Rahman God bless his soul does not depart from the doctrine of the Sunnis and the community, his distinction made tremendous efforts in the accuracy of responses and quality, raised the flag to defend the true faith, and bearing the harm in that.

المقدمــــــة

وتشمل على الموضوعات التالية:

- أسباب اختياري للموضوع .
- الدراسات السابقة .
- منهجي وعملي في البحث .
- الصعوبات التي واجهتني .
- خطة البحث .

مقدمــــــة

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينـــه ونستهديـــه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فقد تكفل الله تعالى بحفظ كتابه الكريم، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[1] .

وسخر تعالى أناساً يحفظون هذا الدين ويتعلمونه ويفقهون كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ولهم الفضل بعد الله تعالى في حمل هذا الدين وإيصاله للناس والدعوة إليه وكرمهم الله تعالى بأن جعلهم ورثة لأنبيائه.

ومن العلماء الذين سخرهم الله لحمل العقيدة الربانية والدفاع عنها والدعوة إليها في هذا العصر الشيخ عبد الرحمن الوكيل (١٣٣٢هـ/١٣٩٠هـ).

فقد عاش الشيخ / الوكيل ـــ يرحمه الله تعالى ـــ في عصر يعج بالبدع والانحرافات العقدية، وقد كانت له جهوده المشكورة في خدمة مذهب السلف ومحاربة الشرك والإلحاد والبدعة والتصوف والأفكار الهدامة.

وسخر ـــ رحمه الله ـــ قلمه في نشر التوحيد والعقيدة السلفيـــة مستعيناً بالله ثم بما آتاه من ملكة فطرية وعلمية ومعلومات متنوعة؛ فألف الكتب والرسائل، وكتب المقالات والموضوعات في مجلة الهدي النبوي، وأقام الخطب والمحاضرات، ودرس في المعاهد والجامعات.

وقد ترك الشيخ/ الوكيل ـــ رحمه الله ـــ حصيلة علمية قيمة، خاصة في باب التصوف والرد على أربابه ودعاته، وقد عرف في أوساط جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر متخصصاً في ذلك.

---

(١) سورة الحِجر: آية ٩.

أسباب اختيار الموضوع

يعود سبب اختياري لهذا الموضوع لأسباب من أهمها:

١ – رغبتي في دراسة شخصية سلفية معاصرة لها دور بارز ورائد في مواجهة الانحرافات العقدية.

والشيخ / عبد الرحمن الوكيل ــ رحمه الله ــ توجــد فيه هذه الصفــات مجتمعة؛ وخاصة في جانب ردوده على الصوفية والبهائية.

٢ – دراسة بعض الباحثين لجماعة أنصار السنة المحمدية ومؤسسها الشيخ / محمد حامد الفقي؛ فكأني رأيت أن هناك ثغرة تتمثل في عدم إعطاء الشيخ / الوكيل حقه في تلك الدراسات؛ مما يستلزم إبرازه في دراسة مستقلة خاصة به.

٣ – أن الشيخ / عبد الرحمن الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ كان له دور بارز ورائد في الدفاع عن الإسلام والذود عن حماه، ورصد خطط أعداء الدين في الخارج والداخل للنيل من الإسلام وأهله، فكان من الواجب الإشادة بمثله وتسليط الضوء على دوره الإيجابي المشكور.

٤ – كون الانحرافات العقدية التي عاصرها الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ وكتب عنها ووقف منها موقف المسلم الناقد ما زالت هي نفسها تنخر جسد الأمة الإسلامية وهي بحاجة لإعادة عرضها ودراستها وتوضيح الرد المناسب عليها.

٥ – رغبتي في أن يكون لي دور في استمرار انتفاع الناس بدعوة الشيخ وعلمه وأن يكون أجره موصولا إن شاء الله تعال بعد موته على ما قدم من علم وعمل.

٦ – تحفيز العلماء والدعاة لمعالجة ما يوجد من انحرافات عقدية معاصرة عند النظر في سيرة الشيخ الوكيل رحمه الله تعالى وصدعه بالحق وعدم خوفه في الله لومة لائم.

الدراسات السابقة

لا أعرف دراسة سابقة اختصت ببيان جهود الشيخ / عبد الرحمن الوكيل ـــ يرحمه الله تعالى ـــ، وأقرب الدراسات التي وجدت لها تعلقا بموضوعي هي:

١ – رسالة (جماعة أنصار السنة المحمدية نشأتها وأهدافها وجهودها) مقدمة من الباحث أحمد محمد الطاهـــر لنيل درجـــة الدكتوراه في العقيـــدة من جامعـــة أم القرى عام ١٤٢٢هـــ.

وقد تناولت هذه الدراسة جانباً من جهود الشيخ / الوكيل ضمن شخصيات الجماعة وذلك في عشر صفحات.

وقد كانت الدراسة منصبة على الجماعة ولم تكن لإبراز جهود الشيخ بخلاف بحثي الذي يختص ببيان جهوده الدعوية وعقيدته السلفية وجهوده في نشر عقيدة السلف والدفاع عنها.

وقد أفادتني هذه الرسالة كثيراً في معرفة الجماعة وأهدافها ومنهجها؛ فقد كان الوكيل رحمه الله تعالى من أبرز رجالات هذه الجماعة.

٢ – رسالة بعنوان (جهود الشيخ محمد حامد الفقي في نشر العقيدة السلفية) مقدمـــة لنيل درجة الماجستـــير في العقيدة من جامعـــة أم القرى عام ١٤٢٤هـــ للباحث: موفق عبد الله كدسة.

وهذه الرسالة أفادتني في معرفة مؤسس جماعة أنصار السنة وجهوده؛ فقـــد كـــان الفقي من أجل شيوخ الوكيل ومن أقرب الناس إليه.

عملي ومنهجي في البحث

من أهم ما قمت به في هذا البحث ما يلي:

١ – جمع المادة العلمية للبحث حيث كان أهم مصادرها كتب الشيخ / عبد الــرحمن الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ ومقالاته في مجلة الهدي النبوي.

٢ – جمع المادة العلمية تطلب مني السفر إلى دولة مصر الشقيقة حيث سعدت بزيـــارة جماعة أنصار السنة المحمدية في مقرها بالقاهرة؛ والالتقاء بوكيل الجماعة الــشيخ / فتحي عثمان، والذي تفضل مشكورا بإفادتي في معرفة شخصية الوكيل ــ رحمــه الله تعالى ــ العلمية والعملية.

والتقيت بالشيخ / شعبان عبد المجيد سكرتير مركز التراث بالجماعة والذي كان له دور كبير يشكر عليه في جمع المادة العلمية.

كما التقيت بابنة الشيخ الكبرى وزوجة ابنه ياسر ــ يرحمه الله ــ في مدينة حلوان بمترل الشيخ الذي أقام به، ولقائي بأسرة الشيخ أطلعني على بعض مميزات الوكيل الشخصية.

وذهبت لمكتبة الشيخ / الوكيل في مسجد بابل بالدقي واطلعت على ما فيها من كتب اقتناها الشيخ يرحمه الله وقد حوت مكتبته معارف متنوعة تدل على سعة اطلاعه ومعرفته ومدى إلمامه رحمه الله تعالى بشتى العلوم.

٣ – استقراء كتب ومقالات الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ واستخراج المادة العلمية المتعلقة بالعقيدة.

٤ – عمل فهرسه لمقالات الشيخ ليسهل جمع المادة العلمية التي أحتاج إليها من مقالاته.

٥ – القيام بدراسة وافية لحياة الشيخ الشخصية والعلمية والعملية والدعوية واستقراء منهجه في تقرير العقيدة والدفاع عنها من خلال كتبه ومقالاته.

٦ – القيام بدراسة وصفية لكتب الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ وتشمل:

عنوان الكتاب، وسبب تأليفه، وطبعاته، وموضوعاته، ومنهج الشيخ فيه.

وكذلـــك دراسة وصفيـــة لمقالات الشيـــخ وتشمل: عنوان المقالـــة، وأعدادها، وتواريخها، وسبب كتابتها، وموضوعاتها.

٧ – ترتيب المادة العلمية وقسمتها إلى أبواب وفقا للموضوعات التي تناولها الشيخ في كتبه ومقالاته، ثم قسمت الأبواب إلى فصول والفصول إلى مباحث والمباحث إلى مطالب حسب حاجة البحث.

وعند الكلام في باب العقيدة وتفصيلاتها وباب الردود وتفصيلاته أورد منهج الشيخ أولا ثم جهوده مفصلة.

ثم أعلق على ما يحتاج إلى تعليق من كلامـــه إما بإيضاح أو استـــدلال أو توجيه أو تعقيب.

٨ – توثيق النقول والاقتباسات في البحث بعزوها إلى مصادرها الأصلية، وكذلك توثيق نقول واقتباسات الشيخ بعزوها إلى مصادرها الأصلية التي أخذ منها رحمه الله.

٩ – كتب الصوفية والبهائية التي بحثت عنها مطبوعة أو موافقة للطبعات التي كان الشيخ يرجع لها لم أجدها؛ فاعتمـــدت على نقول الشيخ وأعزوها في الهامـــش كما عزاها الشيخ ثم أذكر عبارة (نقلاً عن الشيخ) .

وللحكم على نقولات الشيخ لبيان منهجه في ذلك اعتمدت على خمسة كتب للصوفية.

وسبب اختياري للكتب الخمسة أن الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ كان يرجع في تقريره لعقيدة السلف إلى كتب كثيرة ذات طبعات قديمة لم تعـــد متوفرة، خاصة ما يتعلق بالردود على الفرق المخالفة؛ إذ أن نقله عن تلك الفرق كان من كتبها، وقد بحثت كثيراً هنا في المملكة وفي مصر موطن الشيخ عن تلك الطبعات التي كان يرجع لها لتوثيق أقوال المخالفين إلا أني لم أحصل على نفس

الطبعات، فاضطررت إلى اختيار كتب ومراجعة توثيق الشيخ للأقوال منها، ويمكن تلخيص أسباب اختياري لهذه الكتب في النقاط التالية:

أ – عدم وجود الطبعات التي كانت عند الشيخ.

ب – صعوبة قراءة مجلدات كثيرة بحثا عن سطر واحد أو جملة واحدة لتوثيقها من ذلك المصدر.

ج – كثرة الكتب التي كان الشيخ يرجع لها في نقله.

د – أن هذه الكتب الخمسة التي وقع اختياري عليها كانت هي أكثر ما رجع له الشيخ في مؤلفاته ونقله لأقوال المتصوفة.

وبناء على تلك الأسباب اضطررت لاختيار الكتب الخمسة التالية:

- كتاب إحياء علوم الدين للغزالي.
- كتاب ديوان ابن الفارض.
- كتاب فصوص الحكم لابن عربي.
- كتاب الإبريز من كلام الدباغ.
- كتاب جواهر المعاني للتيجاني.

فهذه الكتب بالإضافة إلى أنها أكثر الكتب التي نقل منها الشيخ الأقوال كانت أيضا متفرقة تاريخيا، فهي تعكس الفكر الصوفي القديم إبان تكونه، وفي أوج ازدهاره، وفي العصور المتأخرة، فهي إذن تعتبر صورة مكتملة للفكر الصوفي.

١٠– التعريف قدر الإمكان بالأعلام والفرق والمصطلحات الوارد ذكرها في الرسالة.

ومنهجي في ترجمة الأعلام هو الترجمة للاسم أول ما يرد في البحث واستثنيت من ذلك أعلام الصوفية والبهائية حيث تركت تراجمهـــم للباب الخاص بالـــردود، ولا أشير بقول (سبقت ترجمته) عند ورود اسمه مرة أخرى.

١١- لم أقف على ترجمة بعض الأعلام المعاصرين للشيخ وذلك لعدم توفر مراجع مع العلم أني قد طلبت مرات متعددة من جماعة أنصـــار السنة المحمديـــة تراجم لهم، ولم تصلني إجابات أو ردود منهم ربما لكثرة مشاغلهم أو عدم توفر تراجم وافية لأولئك الأعلام.

١٢- كتبت الآيات بالرسم العثماني مع ذكر اسم السورة ورقم الآية.

١٣- خرجت الأحاديث النبوية الشريفة فإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بتخريجه منهما، وإذا كان في غيرهما خرجته من مصادر الحديث الأخرى مع بيان حكم الأئمة عليه.

١٤- عمل فهارس شاملة للبحث؛ فهرس للآيات القرآنية، وفهرس الأحاديث، وفهرس الأعلام، وقائمة بمصادر البحث، وفهرس تفصيلي للموضوعات.

١٥- ما ذكرته سابقا هو غالب عملي في البحث، وقد أخالف ذلك المنهج أحياناً لاعتبارات أخرى.

الصعوبات التي واجهتني في البحث

لقد واجهتني بعض الصعوبات أثناء عملي لهذا البحث؛ ويمكن تلخيص أهمها على النحو التالي:

١ – الصعوبة في جمع المادة العلمية لأن ذلك تطلب مني السفر إلى دولة مصر مرتين في كل منها كان عليَّ أن أنتظر المحرم حتى يتفرغ من مشاغله؛ فضلاً عن تعب السفر والتنقل ونحو ذلك.

٢ – مقالات الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ كانـــت متناثـــرة ولا توجـــد جهـــة جمعتها أو وضعت لها فهارس كما أن بعض المقالات وصلتني من جماعة أنصار السنة مصورة بدون أرقام الأعداد وتواريخها.

٣ – وجدت صعوبة في كتابة باب التقرير عند الشيخ لأن التقرير لديه قليل وكتاباته فيها خلط بين الردود والتقرير؛ فقد كان ــ رحمه الله تعالى ــ يقحم الرد أثناء التقريـــر مما صعب استخلاص المادة العلمية المطلوبة.

كما وجدت صعوبة كبيرة في باب الردود وذلك لانعدام مراجع الصوفية والبهائية، وعند سفري لمصر اشتريت كتباً صوفية وبهائية ولكنها لم تف بالغرض؛ ثم أرسلت مرات ومرات وفي كل مرة تأتيني كتب غير التي أردت، أو طبعات غير التي أبحث عنها.

٤ – وتجلت الصعوبة الكبرى في نهاية البحث عندما مرض والدي مرضا شديداً توفي على إثـــره ــ رحمه الله تعالى ــ، وقد أثر علـــي ذلك كثيراً في جوانب متعـــددة مما كان له أثر على إتمام البحث وربما بعض الارتباك في الصياغة وجمع المادة العلمية، والحمد لله على كل حال.

خطة البحث

قمت بتقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة وفهارس على النحو التالي:

المقدمة: وتشمل أسباب اختياري للموضوع، والدراسات السابقة، ومنهجي وعملي في البحث، والصعوبات التي واجهتني، وخطة البحث.

الباب الأول: حياة الشيخ الشخصية والعلمية؛ وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: عصره. ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: الحالة السياسية.

المبحث الثاني: الحالة الاجتماعية.

المبحث الثالث: الحالة العلمية.

المبحث الرابع: الحالة الدينية.

الفصل الثاني: حياته الشخصية ويشمل أربعة مباحث:

المبحث الأول: اسمه ومولده ونشأته.

المبحث الثاني: اعتناقه مذهب السلف.

المبحث الثالث: صفاته الخلقية.

المبحث الرابع: وفاته ورثاؤه.

الفصل الثالث: حياته العلمية. ويشمل خمسة مباحث:

المبحث الأول: طلبه للعلم.

المبحث الثاني: شيوخه وتلاميذه.

المبحث الثالث: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

المبحث الرابع: وظائفه التي تقلدها.

المبحث الخامس: مؤلفاته وآثاره العلمية.

الفصل الرابع: حياته الدعوية. ويشتمل على خمسة مباحث.

المبحث الأول: دوره في جماعة أنصار السنة.

المبحث الثاني: دوره في مجلة الهدي النبوي.

المبحث الثالث: المحاضرات والدروس والندوات.

المبحث الرابع: رحلاته وجولاته.

المبحث الخامس: منهج الشيخ في الدعوة إلى الله.

الباب الثاني: جهوده في تقرير مسائل العقيدة وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول: منهج الشيخ في تقرير عقيدة السلف ، ويشمل أربعة مباحث :

المبحث الأول: تعريف العقيدة والسلف ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول: تعريف العقيدة لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: السلف لغةً واصطلاحاً.

المبحث الثاني: منهج الشيخ في الاستدلال لمسائل العقيدة ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول: مصادر الاستدلال عند الشيخ، ومنهجه في الاستدلال بها.

المطلب الثاني: منهجه في وسائل فهم نصوص الكتاب والسنة.

المبحث الثالث : عرضه عقيدة السلف من خلال مناقشاته للمخالفين وردوده عليهم ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول: جوانب العقيدة التي قررها الشيخ من خلال ردوده على الصوفية.

المطلب الثاني: جوانب العقيدة التي قررها الشيخ من خلال ردوده على البهائية.

المبحث الرابع: تركيزه على إبراز جهود أئمة السلف في تقرير العقيدة.

الفصل الثاني: جهود الشيخ في بيان التوحيد وأنواعه، وفيه مباحث:

المبحث الأول: تعريف التوحيد لغةً واصطلاحاً.

المبحث الثاني: أقسام التوحيد، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تقسيم التوحيد إلى نوعين.

المطلب الثاني: تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أنواع.

المبحث الثالث: جهود الشيخ في بيان أهمية التوحيد، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهمية التوحيد عند السلف الصالح.

المطلب الثاني: بيان الشيخ / عبد الرحمن الوكيل لأهمية التوحيد.

المبحث الرابع: جهود الشيخ في بيان توحيد الربوبية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف توحيد الربوبية لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: جهـــود الشيخ / عبد الرحمن الوكيل ـــ رحمه الله تعالى ـــ في بيان توحيد الربوبية.

المبحث الخامس: جهوده في بيان توحيد الأسماء والصفات، وفيه مطالب.

المطلب الأول: تعريف توحيد الأسماء والصفات.

المطلب الثاني: معتقد السلف في باب الأسماء والصفات.

المطلب الثالث: موافقة الشيخ / عبد الرحمن الوكيل لمعتقد السلف في باب الأسماء والصفات.

المطلب الرابع: الأسماء والصفات التي تناولها الشيخ ـــ رحمه الله تعالى ـــ .

المطلب الخامس: موقف الشيخ من الانحرافات في باب الأسماء والصفات.

المبحث السادس: جهوده في بيان توحيد الألوهية، وفيه مطالب:

المطلب الأول: تعريف توحيد الألوهية.

المطلب الثاني: جهوده في بيان منـــزلة توحيد الألوهية بين أنواع التوحيد.

المطلب الثالث :جهود الشيخ في بيان ما يتحقق به توحيد الألوهية.

المطلب الرابع: جهود الشيخ في بيان جوانب من توحيد الألوهية.

المبحث السابع: جهوده في بيان دلائل توحيد الربوبية والألوهية ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول: تعريف الدلائل.

المطلب الثاني: بيان الشيخ لهذه الوسائل.

الفصل الثالث: جهود الشيخ / عبد الرحمن الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ في محاربة الشرك وأنواعه ، وفيه مباحث :

المبحث الأول: تعريف الشرك وبيان أنواعه وفيه مطلبان :

المطلب الأول: تعريف الشرك لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: بيان أنواع الشرك.

المبحث الثاني: جهود الشيخ رحمه الله تعالى في بيان حقيقة الشرك وأنواعه .

المبحث الثالث: جهوده في بيان خصائص الشرك والمشركين وأحكامهما.

المبحث الرابع: جهوده في بيان الشرك في العبادة.

المبحث الخامس: جهوده في بيان بعض مظاهر الشرك الواقعة في الأمة الإسلامية.

الفصل الرابع: جهود الشيخ في بيان الإيمان ومسائله ، ويشمل أربعة مباحث :

المبحث الأول: جهوده في بيان حقيقة الإيمان وبعض مسائلة. ، وفيه مطالب:

المطلب الأول: الإيمان لغة

المطلب الثاني: الإيمان عند أهل السنة.

المطلب الثالث: زيادة الإيمان ونقصانه.

المبحث الثاني: تعريف الشيخ للإيمان ومدى موافقته لأهل السنة والجماعة.

المبحث الثالث: جهود الشيخ في بيان الإيمان ببعض أركان الإيمان.

المبحث الرابع: جهود الشيخ في بيان وجوب الإيمان بالغيب، وفيه مطالب:

المطلب الأول: تعريف الغيب.

المطلب الثاني: وجوب الإيمان بالغيب.

المطلب الثالث: جهود الشيخ في بيان وجوب الإيمان بمسائل متفرقة من عالم الغيب.

الباب الثالث: جهوده في الرد على عقائد الصوفية والبهائية ، وفيه أربعة فصول :

تمهيد: تعريف الصوفية لغةً واصطلاحاً.

الفصل الأول: منهجه في عرض أقوال الصوفية والبهائية، ويشمل ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: منهج الشيخ في عرض أقوال الصوفية من خلال النقل عن أكابرهم.

المبحث الثاني: منهج الشيخ في النقل من كتب الصوفية المعتمدة عندهم.

المبحث الثالث: اختيار نقاط انحرافاتهم الأساسية ، وفيه مطالب :

المطلب الأول: انحرافهم في عقيدتهم في الله تعالى.

المطلب الثاني: انحرافهم في عقيدتهم في النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

المطلب الثالث: انحرافهم في الأولياء وكراماتهم.

الفصل الثاني: منهجه في الرد على الصوفية والبهائية ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول: الرد عليهم بالأدلة المتفق عليها ، وفيه مطالب :

المطلب الأول: الرد عليهم بالقرآن الكريم.

المطلب الثاني: الرد عليهم بالسنة النبوية.

المطلب الثالث: الرد عليهم بالإجماع.

المطلب الرابع: الرد عليهم بالقياس.

المبحث الثاني: الرد عليهم بأدلة أخرى، وفيه مطالب :

المطلب الأول: مخالفتهم لصريح العقل ووقوعهم في التناقض.

المطلب الثاني: مخالفتهم لما علم من الدين بالضرورة.

المطلب الثالث: الرد عليهم بأقوال أئمة السلف.

المطلب الرابع: اكتفاؤه بعرض أقوالهم الواهية دون رد مباشر.

الفصل الثالث: الرد على أرباب الفكر الصوفي ودعاته، وفيه مبحثان :

المبحث الأول: أكثر الذين تناولهم الشيخ بالرد ومكانتهم عند الصوفية.

المبحث الثاني: أهم العقائد التي تناولها الشيخ من خلال رده على أكابر الفكر الصوفي ، وفيه مطالب :

المطلب الأول: انحرافهم فيما يتعلق بالتوحيد.

الخاتمة: وتشتمل على نتائج البحث.

الفهارس: وتشتمل على الفهارس التالية:

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الأحاديث.

فهرس الأعلام.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

وفي نهاية هذه المقدمة أحمد الله تعالى وأشكره على ما تفضل به علي من نعم ومنها ما أكرمني به من إتمام هذا البحث وأسأله سبحانه أن يجعل عملي هذا خالصاً متقبلاً.

وأخص بالشكر **والدي الكريمين**؛ فقد كان لهما علي فضل كبير في جميع شؤوني وخاصة في سلوك طريق العلم وطلبه؛ فأسأل الله تعالى أن يجزيهما عني خير الجزاء في الدنيا والآخرة، كما أسأله سبحانه أن يغفر لمن مات منهما وأن يجمعني به في جنات النعيم.

وأشكر **زوجي العزيز** على وقوفه بجانبي ومساعدتي مادياً ومعنوياً وعلى صبره وتحمله انشغالي في البحث وأسأل الله تعالى أن يجزيه خير الجزاء.

وأتقدم بخالص شكري وبالغ تقديري لأستاذي الفاضل المشرف على الرسالة **الأستاذ الدكتور/ محمد يسري جعفر** الذي أفادني كثيرا من علمه وخلقه؛ فأسأل الله تعالى أن يكتب ذلك في موازين حسناته وأن يبارك في عمره وعمله وينفع به.

كما أتقدم بخالص الشكر وجزيل الامتنان **للأستاذة الفاضلة الدكتورة/ عائشة روزي** على تقبلها متابعة الإشراف علي بعد سفر مشرفي وعلى حسن أخلاقها وطيب تعاملها معي فجزاها الله خيراً.

كما أتوجه بشكري الجزيل إلى **فضيلة رئيس قسم العقيدة الدكتور/ سالم القرني** وإلى عمادة كلية الدعوة وأصــول الدين، وإلى عمــادة الدراسات العليا على ما قدموه من تسهيلات في سبيل إنجاز بحثي.

والشكر موصول **للشيخين الفاضلين الشيخ/ فتحي عثمان** وكيل جماعة أنصار السنة **والشيخ / شعبان عبد المجيد** سكرتير مركز التراث بالجماعة على ما قدماه لي من مساعدة جعل الله ذلك في موازين حسناتهما.

وأشكر كل من أسدى إلي نصيحة أو أدلى برأي أو أعارني مرجعاً أو منحني من وقته أو بذل لي دعوة فللجميع شكري وتقديري.

وختاماً أسأل الله تعالى التوفيق والسداد إنه ولي ذلك والقادر عليه.

كما أسأله تعالى أن يغفر لمن كتبت هذه الرسالة في بيان جهوده وأن يرفع درجته في الجنة وأن يجمعنا به في جنات النعيم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

البَابُ الأَوَّلُ

حياة الشيخ الشخصية والعلمية

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: عصره.

الفصل الثاني: حياته الشخصية.

الفصل الثالث: حياته العلمية.

الفصل الرابع: حياته الدعوية.

الفَصْلُ الأَوَّلُ

عصـــــره

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحـث الأول: الحالة السياسية.

المبحث الثاني: الحالة الاجتماعية.

المبحث الثالث: الحالة العلمية.

المبحث الرابع: الحالة الدينية.

المبحث الأول

الحالة السياسية

أولاً: الأحداث السياسية الخارجية:

إن تاريخ مصر السياسي في الفترة الأخيرة من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين يتمثل في وقوع أحداث خارجية عصيبة، وقد ارتبطت هذه الأحداث بالجانب الداخلي وأثرت فيه كثيراً.

وهذه الأحداث يمكن إيجازها فيما يلي:

١- الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢م.

أكد الإنجليز أنهم جاؤوا لتحقيق الأمن والاستقرار لمصر وأنهم بعد تحقيقها سيجلون عن البلاد وقدموا لذلك التعهدات والوعود ومع ما أكدوه فقد بقي الاحتلال البريطاني لمصر من عام ١٨٨٢م حتى ١٩٥٤م .

و(أخذ المصريون يقاومون السلطة المحتلة بكل الوسائل ويمكن تقسيم مدة الاحتلال (١٨٨٢-١٩٥٤) فترتين:

أ - الفترة الأولى (١٨٨٢-١٨٩٥م): كان النزاع فيها بين الحكومة وممثلي الاحتلال.

ب - الفترة الثانية (١٨٩٥-١٩٥٤م) وكان النزاع فيها بينهم وبين الأمة [١].

٢- الحرب العالمية الأولى: عام ١٩١٤م.

استمرت الحرب العالمية الأولى حتى عام ١٩١٨م، وانتهت بانتصار الحلفاء - انجلترا وفرنسا وروسيا - ثم أعلنت الحماية البريطانية على مصر (فعلى أثر انضمام تركيا إلى جانب ألمانيا في الحرب أعلنت انجلترا فصل مصر عن الدولة العثمانية، ثم أعلنت الحماية البريطانية عليها في ١٨ ديسمبر ١٩١٤م)[٢].

---

(١) موجز تاريخ مصر الحديثة، محمد عبد الرحيم مصطفى، مطبعة العالم العربي، القاهرة، (ص ١٠٦) .

(٢) المرجع السابق (ص ١١١) .

٣ ـ سقوط الخلافة العثمانية عام ١٩٢٤م.

الشعب المصري بحكم تاريخه الإسلامي كان متعلقاً بدولة الخلافة وراغباً بالبقاء تحت السيادة العثمانية فقد كان الكثيرون يطالبون بالاستقلال من الاحتلال في إطار التبعية العثمانية.

(فقد كانت الحركات القومية التي سبقت الاحتلال البريطاني تتنفس جميعها في جو إسلامي خالص وبمعنى آخر كانـت تعمل في نطـاق الاحتفاظ بالسيـادة العثمانية لا تبغي عنها فكاكا)[1].

وعلى هذا كان لسقوط الخلافة الأثر الكبير على الدوافع القوية للاستقلال وعلى بعض الحركات الوطنية المتأثرة بالجو الإسلامي.

(حتى انتهى الأمر بإسقاط السيادة العثمانية عن مصر وإعلان الحماية البريطانية عليها أخذت حركات المقاومة تنمو بنمو سيطرة الاحتلال وتتخذ لها صوراً متعددة وأساليب مختلفة)[2].

٤ – الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩م.

استمرت حتى أواسط سنة ١٩٤٥م وبنشوب الحرب العالمية الثانية هبطت حركة الإصلاح بالبلاد وبعد انتهاء الحرب قام الشعب المصري يطالب بالجلاء.

(ودخلوا في مفاوضات مع الحكومة البريطانية لتعديل معاهدة ١٩٣٦م، وذلك لأن الظروف التي عقدت فيها قد تغيرت، فلم يقضى فيها، ولهذا قررت الحكومة المصرية في أكتوبر ١٩٥١م إلغاء معاهدة ١٩٣٦م من جانب واحد)[3].

---

(١) تطور الحركة الوطنية في مصر من سنة ١٩١٨ـ١٩٢٤م، عبد العظيم محمد رمضان، دار الكتاب العربي، القاهرة، (ص ٢٨).

(٢) المرجع السابق (ص ٥٢) بتصرف.

(٣) موجز تاريخ مصر الحديثة، محمد عبد الرحيم، (ص١١٩).

٥ – **توقيع ميثاق جامعة الدول العربية عام ١٩٤٥م.**

(فقد تنبهت البلاد العربية في خلال الحرب، إلى أن انقسامها ضعف لها، وتهديد لسيادتها، وأن في اتحادها القوة والنجاح.

وتجلى اتحاد الدول العربية واضحاً في موقفها موقفاً موحداً أمام الهيئات الدولية في كل المناسبات، مما لفت النظر إلى أهميتها في الشؤون الدولية، وجعل لها وزناً وقدراً بين أمم العالم.

وقد اختيرت القاهرة مقرا للجامعة...)[1].

وقد كانت هذه الأحداث السياسية الخارجية متداخلة، ومتتابعة، وسريعة كما يظهر من تاريخ وقوعها.

كما كان لهذه الأحداث والتغيرات الأثر السيئ على مصر فالاحتلال والحروب وسقوط الخلافة الإسلامية كفيلة بأن تضعف قوة البلاد وتشتت أبناءها وتسلب خيراتها وإن كانت بلدا قوية لها تاريخ ومكانة في القوة والمنعة للعالم الإسلامي.

٦ – **جلاء القوات البريطانية عن مصر عام ١٩٥٦م.**

(فاضطرت الحكومة البريطانية، إلى الدخول في المفاوضات التي انتهت بتوقيع اتفاقية الجلاء في ١٩ أكتوبر ١٩٥٤م.

في هذه الاتفاقية وافقت بريطانيا على إلغاء معاهدة ١٩٣٦م وبأن يتم جلاء قواتها عن البلاد نهائيا وتم فعلاً الجلاء في ١٣ يونيو ١٩٥٦م.

ولأول مرة في تاريخ مصر منذ قرون طويلة، تصبح مصر متحررة تماماً عن الحكم الأجنبي)[2].

---

(١) تاريخ العرب المعاصر مصر والعراق، عبد العزيز نوار، دار النهضة العربية، بيروت، (ص١٤٠).

(٢) المرجع السابق (ص ٢٨٥).

ثانياً: الأحداث السياسية الداخلية.

١ – قيام الحركات الوطنية وتطورها في مصر.

(هي فترة تبدأ بثورة وتنتهي بمعاهدة.

أما الثورة فهي ثورة مارس ١٩١٩م التي هب فيها الشعب المصري بكامل طبقاته، لأول مرة في تاريخه ليطرد الاحتلال من أرضه.

وأما المعاهدة فهي معاهدة ١٩٣٦م التي حددت نهاية مرحلة من مراحل الكفاح الوطني ضد انجلترا)(١).

ويصعب تتبع الحركات الوطنية المختلفة التي قامت في مصر والأساليب المختلفة والصور المتعددة التي اتخذتها في تطورها.

فحوادث هذه الفترة متلاصقة جداً، ومتشعبة، وكذا أسباب قيامها، والأهداف التي تسعى إليها وتدعو لها.

(إن دراسة هذه الحركة هي دراسة متشعبة ومتعددة الجوانب.

على أني بعد إمعان الفكر رأيت حوادث هذه الفترة هي حوادث متلاصقة يركب بعضها بعضا ويأخذ بعضها بخناق بعض)(٢).

ونقطة البداية لقيام هذه الحركات هي احتلال بريطانيا لمصر وقيام الحروب العالمية ثم سقوط الخلافة العثمانية وإعلان الحماية البريطانية على مصر.

(وسرعان ما هيأت ظروف البيئة والمناخ كيما تنضج ثمار هذا البذر الجيد.

وذلك في أحداث الحرب العالمية الأولى التي أسرعت بتحقيق غايات الحزب الوطني)(٣).

---

(١) تطور الحركة الوطنية، عبد العظيم رمضان، (ص٥) بتصرف يسير.

(٢) المرجع السابق، (ص ٨).

(٣) المرجع السابق (ص ٤٦).

ففي هذا إشارة إلى آثار الأحداث الخارجية على الوضع السياسي الداخلي، تمثل ذلك في ظهور الحركات الوطنية المختلفة وما نتج عنها من استقلال للبلاد مع عدم إهمال الأحداث الداخلية التي كان لها أثر أيضاً في قيام هذه الحركات.

والحركات الوطنية في مصر هي فترة بدأت من ثورة ١٩١٩م وانتهت بمعاهدة ١٩٣٦م.

٢ – **نظام الحكم في مصر.**

كان للأحداث الخارجية الأثر في تغيير نظام الحكم من نظام تابع لحكم الخلافة الإسلامية إلى نظام يقبع تحت الاستعمار، وملوك تساير رغبات الدول المستعمرة، وتجعل البلاد تحت وطأهم وسيطرهم.

وتحمل البلاد ديونا كثيرة أثرت عليها لفترة طويلة من الزمن.

(حتى قيام الثورة وإلغاء النظام الملكي وإعلان النظام الجمهوري عام ١٩٥٢م.

ثم انتهاء مهمة مجلس قيادة الثورة، وإعلان جمال عبد الناصر[١] رئيساً للجمهورية عام ١٩٥٦م)[٢].

إن جميع هذه الأحداث السياسية كان لها الأثر الكبير على الشعب المصري وقادته من السياسيين والمفكرين والعلماء.

كما كان لها الأثر الواضح على الشيخ عبد الرحمن الوكيل رحمه الله فهو أحد أبناء هذا الشعب وإن كانت بعض هذه الأحداث قد بدأت قبل مولده إلا أنه ولد فيها وكما يعرف فإن هذه الأحداث لم تولد بين يوم وليلة.

---

(١) هو: جمال عبد الناصر بن حسين بن خليل ولد سنة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م انضم إلى "الضباط الأحرار" وشارك في ثورة ١٩٥٢م، حكم مصر ثمانية عشر عاماً، وتوفي سنة ١٣٩٠هـ /١٩٧٠م. الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي ، دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة عشر ، ٢٠٠٢م ، (ج٢/ص١٣٤).

(٢) الشيخ / محمد خليل هراس وجهوده في تقرير عقيدة السلف، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة، إعداد الطالب/ موسى السلمي ، إشراف الأستاذ الدكتور / محمد يسري جعفر ، ١٤٢٢هـ /٢٠٠٢م، (ص١٠) بتصرف يسير.

كما أنه في بعض هذه الفترات لم تتكون فيها أفكار الشيخ ــ رحمه الله ــ لأنه كان صغير السن إلا أنه كان هناك من يغذيها وهي أسرته التي أنشأته بعد الله على محبة الله ودينه ووطنه.

فلا شك أن الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ قد تأثــر بهذه الأحداث السياسية وتفاعل معها.

(وقد امتازت هذه الفترة الخيرة من القرن التاسع عشر وفاتحة القرن العشرين بظهور طائفة من نوابغ المفكرين والصحفيين والأدباء الذين درسوا في الجامع الأزهر وكان لهم أثر يذكر في توجيه الرأي العام، وإيقاظ الشعور الوطني كما كان لهم أثر في تطور الحركة القومية في مصر)[١].

والشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ من نوابغ المفكرين والصحفيين والأدباء الذين درسوا في الأزهر.

كما أنه رحمه الله من أكابر جماعة أنصار السنة وقادتها.

وقد تأثرت الجماعة كغيرها من الجماعات في مصر بالأوضاع السياسية، فقد كان لبعض هذه الأحـــداث السياسية الخارجيـــة منها والداخلية الدافع لقيام جماعة أنصار السنة.

(ويعتبر سقوط الخلافة العثمانية من أكبر الأحداث السياسية التي سبقت قيام جماعة أنصار السنة المحمدية في مصر بزمن وجيز، ومن أهم الدوافع لمثل دعوة تدعو إلى الأصالة أن تظهر على مسرح الحياة)[٢].

(وبغض النظر عن ما لهذه الثورات وما عليها فإن مثل هذا التحرر الذي دعت إليه، والذل والخضوع الذي دفعت لرفعه كان دافعا لقيام جماعة أنصار السنة المحمدية

---

(١) الأزهر تاريخه وتطـــوره، وزارة الأوقـــاف وشؤون الأزهـــر، دار مطابـــع الشعب، القاهرة، ١٩٦٤م، (ص ٧٨).

(٢) جماعة أنصار السنة المحمدية، نشأتها ــ أهدافها ــ منهجها ــ جهودها، أحمد الطاهر، جماعة أنصار السنة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م (ص٢٦).

لتصحيح هذه المفاهيم فهي تدعو إلى التوحيد وإخلاص العبادة لله وعدم الذل والخضوع لأي مخلوق كائنا من كان)[١].

ولكن يتبادر إلينا السؤال عن مفهوم السياسية عند الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ؟ وما مدى اهتمامه بالجانب السياسي في عصره وتأثره به كداعية ومفكر وكاتب إسلامي؟

يقول الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ: (يعيب علينا بعض المثقفين، أو الأغرار أننا لا نشتغل بالسياسة!! ولست أدري ما ذا يعنون بمفهوم السياسية؟!

أيعنون بها أن نسير في مواكب الأحزاب...؟

أو يعنون بها تلك المقالات ذات الطنين الذبابي، التي يزعم أصحابها أنهم يحاربون الفساد وهم مفسدون.

أليس ذلك هو مفهوم السياسة في مصر وحقيقتها في الشرق.

وإن كانوا يعنون بالسياسة العمل في سبيل رقي الوطن واستقلاله وحريته فنحن نعمل لما هو أسمى وأكمل وأشمل إذ لا ننظر للوطنية هذه النظرة القصيرة البلهاء.

ولا ننظر إلى مصر إلا على أنها جزء من الوطن الإسلامي الأكبر.

فالإسلام ليس له وطن خاص؛ بل العالم كله يجب أن يكون وطنا له وهو ليس دين المصريين ولا دين العرب فحسب، وإنما هو دين يجب أن يتوحد الشرق والغرب تحت حكمه.. ويعمل بشريعته.

هذا هو العمل إن كنتم تريدون عملا، أما العمل لرقي الوطن واستقلاله وحريته فما هو إلا جزء من الكفاح الأكبر)[٢].

---

(١) جماعة أنصار السنة المحمدية، نشأتها ــ أهدافها ــ منهجها ــ جهودها، أحمد الطاهر، (ص ٢٣).

(٢) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل، جماعة أنصار السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٩٧م، من (ص١٢٠ــ١٢٣) بتصرف.

إذن فالشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ كان له اهتمام بالسياسة ولكن من منظور آخر، فمفهوم السياسة مختلف عنده عما كان في عصره.

فلا يرى السياسة في السير خلف الأحزاب، ولا كتابة المقالات الفاسدة التي تدعو إلى التحزب والتفرقة.

ولا الدعوة إلى الوطنية ورقي الوطن وحريته دون ربط ذلك بما هو أشمل وأكمل وهو جمع كلمة المسلمين وإعلاء شريعة الإسلام وتحكيمها، وهذا هو الكفاح الأكبر.

ورقي الوطن واستقلاله وحريته جزء منه.

(فليت القادة وعلماء الدين يلتفتون إلى هذه العظة بالاعتبار فيقودون الشعب بالحق من الدين ويعلمونه أن لا حكم إلا لله.

ذلك ما نريده وندعو إليه ونعمل له فهل يعاب علينا إذن أننا لا نشتغل بالسياسة وماذا يسمى هذا الذي نجاهد في سبيله؟ فنحن إذن نحمي الوطن بحماية دين الله، ونعلي من شأن الوطن بإعلاء كلمة الله)[(١)].

رحم الله الشيخ / الوكيل وأجزل له الأجر بدعوته قادة المسلمين وعلمائهم إلى الرجوع لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ والتمسك بهما في سائر شؤون الحياة عامة وفي الشأن السياسي خاصة.

وقد كان للشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ مقالات عديدة تناقش القضايا السياسية التي كانت تستجد على الساحة في عصره.

فتارة يكون مؤيداً شاكراً لمواقف تخدم الدين الإسلامي وأبناء البلاد موضحاً موقفه وموقف الجماعة منها بصفته عضوا فيها ثم وكيلاً ثم رئيساً لها.

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيـــل (ص ١٢٤).

ومتحدثاً باسمها ومن ذلك:

- **مقالة: موقف أنصار السنة المحمدية من إلغاء المعاهدة**[١].

تكلم فيها على أن الوطنية من الإيمان وبهذا الفهم نجاهد الإنجليز نجاهدهم باسم الله.

وقال عن إلغاء المعاهدة: (لقد ألغت الحكومة مشكورة هذه المعاهدة المشؤومة التي عقدتها مصر مع إنجلترا الفاجرة.

ونحن أنصار السنة نؤيد هذا الموقف الشجاع الجريء الذي استطاعت به حكومة مصرية أن تقول للإنجليز لا)[٢].

ثم دعا المسلمين إلى الإيمان الصحيح والاعتصام بالكتاب والسنة وإلا فلن يكون جهادهم باسم الله وفي سبيل الله.

- **مقالة: (بعد تأميم القناة ثورة الوثنية الصليبية)**[٣].

قال فيها إن تأميم القناة يقظة كبرى وبعث جديد في مجال المجد؛ إنها القناة النافذة القوية أنفذها جمال عبد الناصر إلى صدور الاستعمار.

وتارة يكون الشيخ غير مؤيد لبعض هذه الجوانب السياسية فيكتب ويدين ما فيها من مفاسد على الإسلام وأبنائه في مصر وسائر البلاد الإسلامية.

من ذلك مقالة رد فيها على بعض زعماء البلاد الإسلامية الذين اعترفوا بإسرائيل فكتب:

- **مقالة بعنوان (جناية ملعونة)**[٤].

قال فيها: (ويشتد بنا العجب أيضاً إذ تلوذ بعض الحكومات إلى نفاق السياسة وخدعها الملعونة بالأمر فتحاول التفرقة بين "الاعتراف القانوني "وبين" الاعتراف

---

(١) مجلة الهدي النبوي، العدد الثاني، تاريخ ١٣٧١هـ (ص٤١)

(٢) المقال السابق ، (ص ٤٢)

(٣) مجلة الهدي النبوي، العدد الأول، تاريخ ١٣٧٦هـ (ص٢٠)

(٤) مجلة الهدي النبوي، العدد الثالث، تاريخ ١٣٨٠هـ (ص ٢٩)

بالأمر الواقع" إن من يلوذون بهذا إنما يساندون الخائن بخيانته فالإسلام لا يفرق بين الموالاة للصهيونية وقد سميت اعترافاً قانونياً وبين هذه الموالاة وقد سميت اعترافا بالأمر الواقع)[١].

وهناك بعض الكتابات للشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ خاصة بالنظام والقانون أو رجال القانون ألحقت بالسياسة من أجل نظم الدولة بعد الاستقلال وهذا سبب إيرادي لها في الوضع السياسي ومنها:

يقول ــ رحمه الله ــ: (ولقد فشلت كل نظم التربية ــ وفشل معها القانون الوضعي ــ فشلاً ذريعاً في سبيل إيجاد جماعة تجعل من الضمير حاكما عليها قبل الحاكم الزمني، أما التربية الإسلامية فنجحت نجاحاً باهراً هلل له الزمان وكبر... فالتاريخ الصادق يحدثنا أن الجماعة الإسلامية الأولى كانت جماعة مثالية في الأفراد والجماعات، وبهذه الجماعة المؤمنة الموحدة.. سيطر الرسول ﷺ على كل الجماعات)[٢].

فالشيخ ــ رحمه الله ــ يرفض نظم التربية الحديثة، والقانون الوضعي معلناً فشلها في إيجاد جماعة ناجحة فلا نظام إلا النظام الإسلامي الأول الذي صنع الجماعة الإسلامية الأولى، موضحاً أنه بسبب توحيد الله وتحكيم شريعته سيطرت على كل الجماعات.

وهو بذلك يقارن بين ما كان عليه حال الإسلام من عزة ومنعة وما آل إليه من ضعف وفرقة.

---

(١) مجلة الهدي النبوي، العدد الثالث، تاريخ ١٣٨٠هـ (ص٢٩).

(٢) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص١٢٢).

ومن ذلك أيضا مقالة: "أفسحوا الطريق للإسلام يشرع ويحكم"[١].

قال فيها: (وجدت كل هذه الأحزاب لها منهاج واحد وغاية واحدة تسعى إليها، هما الحكم بغـــير كتاب الله، وجعل المنصب الوزاري وقفـــاً على هذا الحزب أو ذلك؛ فما ثمة ما يفصل بين هذه الأحزاب إلا أسماؤها، وأسماء زعمائها)[٢].

تحدث ــ رحمه الله ــ في هـــذه المقالة عن منهاج الأحزاب وغايتها الفاسدة وجنايتها على نفوس المصريين.

ويوضح ــ رحمه الله ــ إلى أن قوة التدين مستقرة في أعماق هذا الشعب ولهذا فإن على الجماعات الدينية تبعات ثقال خطـــيرة تلزمها اتباع الحق في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وعدم الانحراف عنه لما في ذلك من جناية خطيرة على الإسلام والمسلمين.

وردود الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ على هذه الأحزاب والنظم بسبب أن الدولة استقرت وبدأت تتشكل فكان لا بد من إيضاح ما يجب على القادة والسياسيين موضحاً رحمه الله أن هذا كله من تأثير الاحتلال على البلاد الإسلامية.

وكتب رحمه الله مقالة بعنوان "جاهلية غربية"[٣] **:**

قال فيها: (لقد نشرت صحيفة أسبوعية لأحد رجال القانون في جامعة كبيرة هذه البهتة الرعناء: إن الرجوع إلى النظم الإسلامية بعد أن أدمجنا قوانيننا في مجموعة القوانين التي يسير عليها المجتمع الدولي ينطوي على معنى الرجعية المناهضة لسنن التطور.

ولقد شخص بصري طويلا إلى اسمه الكريم لعلي استشف ما يدل على قومه ودينه بيد أني ــ ويا أسفاه ــ رددت الطرف موجع القلب... إذ كنت أود أن يكون غير مسلم)[٤].

---

(١) مجلة الهدي النبوي، العدد الرابع، تاريخ ١٣٧١هـ، (ص٢٩).

(٢) مجلة الهدي النبوي، العدد الثالث، تاريخ ١٣٨٠هـ (ص٢٩).

(٣) مجلة الهدي النبوي، العدد الرابع، تاريخ ١٣٧٣هـ (ص ١٥).

(٤) المقال السابق (ص ١٥).

ثم علق ــ رحمه الله ــ على ما قاله هذا الدكتور بأنه بهت للشريعة ويدل دلالة واضحة وبينة على أن فريقا لا يزال يستحب العبودية للغرب.

ولكن مصر قد نهضت نهضتها المشرقة ووثبت في وجه الطواغيت فاسمع أيها الدكتور أن لا قوام للعالم الإسلامي بل الإنساني كله إلا بهذا الدين.

ويلاحظ على كتابات الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ حول السياسة أن فيها الولاء والطاعة لولاة الأمر والدعوة لهم بالتوفيق والسداد.

ودعوتهم إلى الالتزام بحكم الله وفي كتابه وسنة رسوله ﷺ، فما كان فكره ولا فكر الجماعة التي ينتسب إليها الخروج على القادة أو تكفيرهم أو الدعوة لذلك.

ومما سبق يتضح لنا أن الشيخ الوكيل رحمه الله كان موقفه من الأحداث السياسية حوله هو موقف المسلم الذي يعرض جميع شؤون حياته على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فما وافقها أخذ به ودعا إليه، وما خالفها نبذه وحذر منه فرحم الله الشيخ رحمة واسعة وأجزل له المثوبة.

المبحث الثاني

الحالة الاجتماعية

أولاً: الوضع الاقتصادي:

إن الوضع الاقتصادي جانب مهم ينبغي الإطلاع عليه ومعرفته؛ لأنه يعطينا صورة واضحة عن ظروف العمل والكسب للفرد وبالتالي معرفة أوضاعه المالية وأوضاع الأسرة المعيشية أيضا، كما أنه جانب مهم في تشكيل الطبقات في المجتمع لذا كان الوضع الاقتصادي والمالي من أهم الجوانب فيما يخص الحالة الاجتماعية.

ويمكن حصر الجوانب التي أثـرت على الوضـع الاقتصادي في مصـر على ثلاثة جوانب هي:

١. التبعية المالية والاقتصادية للأجانب.

٢. الاحتلال الانجليزي لمصر.

٣. الحروب.

وذلك لأنها الأقوى تأثيرا على الاقتصاد في مصر، ولأن أثرها بقي لسنوات طوال على أوضاع أبناء مصر المالية وظروفهم المعيشية.

وهذا يبدأ من العهد الذي بدأت فيه التبعية للأجانب وهو عهد إسماعيل؛ فقد كانت مصر تعيش في تبعية اقتصادية للأجانب الذين استثمروا رؤوس أموالهم في البلاد وأنشأوا البنوك وبيوت المال والشركات مما جعلها تابعة ماليا واقتصاديا لهؤلاء الأجانب.

(ولقد ظهرت في عهد إسماعيل[1] تبعية مصر المالية والاقتصادية للأجانب إذ أنهم جاؤوا برؤوس أموال استثمروها...)[2].

---

(١) إسماعيل (باشا) بن إبراهيم بن محمد علي الكبير: (١٢٤٥ ــ ١٣١٢هـ / ١٨٣٠ ــ ١٨٩٥م) خديوي مصر. ولد في القاهرة، وتعلم بها ثم في فرنسة. وولي مصر سنة ١٢٧٩هـ، وهو أول من أطلق عليه لقب (الخديوية) من رجال أسرته . انظر : الأعـلام للزركلي (ج١، ص ٣٠٨).

(٢) تاريخ المشرق العربي (١٥١٦هـ/١٩٢٢م)، عمر عبد العزيز عمر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (ص٣٢٨).

ثم جاء الاحتلال الجانب الأكثر تأثيرا في أوضاع مصر الاقتصادية وأحوال أفرادها المعيشية.

فقد جاء ليمتص خيراتها وليضعف أبناءها بعكس ما كان يدعيه.

(لقد ادعت بريطانيا أنها جاءت لتخليص مصر من الفوضى وإصلاح حال الفلاح المصري وإدخال المدنية والحضارة الغربية لمصر، ولكنها جاءت في الحقيقة لحماية مصالحها السياسية والحربية والإستراتيجية) [١].

وهذه الحماية تطلبت من الشعب المصري أن يكافح ويشقى وأن يعيش في فقر وتأخر في جوانب حياته الاقتصادية.

وإذا نظرنا إلى المجتمع المصري فإنه في أساسه مجتمع فلاحي زراعي، كما أن العمل والإنتاج الزراعي مرتبة متقدمة من مراتب الحضارة.

(ففي تاريخ مصر القديم، كانت حضارتها تقوم على أكتاف الفلاح، وفي التاريخ الإسلامي ثراء مصر وثراء حكامها يرجع إلى قدرات أرضها على زيادة الإنتاج، وعاش الفلاح في مستويات من التقدم "النسبي" كما كان يعيش غيره في مختلف أرجاء العالم حتى جاء العصر الحديث بالاستعمار)[٢] .

وهذا يدل على أن الاحتلال الانجليزي عني كثيرا بالإنتاج الزراعي لأنه الثروة الكبرى في البلاد وهذا شأن كل محتل معتدي.

واستثمروا هذا الجانب المهم في مصالحهم بينما كان الشعب المصري يعاني الفقر والحاجة.

(وفي الوقت الذي كانت ترسل فيه المواد الغذائية للسلطات البريطانية بالجملة كان متوسطوا الحال لا يجدون قوت يومهم، وأصبح من العسير على الطبقات الفقيرة أن تعيش حياتها)[٣].

---

(١) تاريخ المشرق العربي، عمر عبد العزيز، (ص ٣٢٩).

(٢) تاريخ العرب المعاصر، عبد العزيز نوار، (ص ١٩٢).

(٣) المرجع السابق (ص ٢٥٠).

أما في مجال الصناعة فقد كان الجهد كبير والعقبات صعبة (فالمجتمع المصري زراعي فلاحي في أساسه والتصنيع كان محدوداً جداً بل إن الحرفيين كانوا في تدهور سريع تحت الاحتلال؛ فقد توقفت الكثير من الحرف الصناعية اليدوية بسبب تدفق المنتجات الأوربية)[1].

كما تسببت الحروب في إيجاد أزمات اقتصادية للشعب المصري؛ فقيام الحروب أساساً سبب في تدهور الأوضاع الاقتصادية والمالية أضف إلى ذلك أنها كانت السبب لإعلان الحماية البريطانية على مصر وكانت تستفيد من قدرات مصر في حروبها مع الدول الأخرى.

(وجمعت السلطة العسكرية أحسن دواب الحمل من الأهالي وكميات كبيرة من المحصولات الزراعية واشترتها بأبخس الأثمان)[2].

إذن عاشت مصر في هذه المرحلة تحت وطأة حكام جعلوها تعيش في تبعية للأجانب، وبين حروب دمرت الكثير من قدراتها واستعمار امتص الكثير من خيراتها.

وبعد أن خرج أبناء الشعب المصري من هذه الأزمات والمصاعب التي أثرت كثيراً في اقتصاده بدأ في النضال والجهاد لتحسين أوضاعه المالية والإفادة من تجاربه السابقة في ذلك.

والشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ وهو من أبناء مصر والمفكرين المصريين الذين كانت لهم الرؤية الصحيحة في أن هذه الأوضاع التي عاشتها مصر قبل قرون وما زالت تعيشها الآن هي نتيجة الاستعمار الذي سلب خيراتها وأضعف قدراتها سنين طوال، لذا كان رحمه الله كثيراً ما يرجع إلى الاستعمار وأذياله في كتاباته ما تعاني منه مصر من فقدان لخيراتها وإضعاف لقدراتها وكان ينادي رحمه الله إلى الوقوف في وجه المستعمر ويدعو إلى الجهاد في سبيل الله ثم نصره البلاد ورفع الظلم عن أبنائه.

---

(١) تاريخ العرب المعاصر، عبد العزيز نوار (ص ١٩٥).

(٢) موجز تاريخ مصر الحديث، محمد عبد الرحيم، (ص ١١٣).

فكتب رحمه الله مقالة "شرعة اليهود في الحرب"[١]

تحدث فيها مع أبناء العالم الإسلامي عن بطولاتهم وتاريخهم المجيد ثم ما هم فيه الآن من ضعف وكيف تمكن اليهود من دخول فلسطين وأن الذي مكنهم من ذلك هم الصليبية الغربية عدوهم الذي سيطر على بلادهم وسلب خيراتها.

قال رحمه الله: (لقد كفت يدها هي ثم جاءت لكم بيد نجسة باغية، تعاف الطهر وتتعشق الرجس والدنس والرذيلة، جاءت لكم بالصهيونية الغادرة، وهي من ورائها عون وإمداد...).

ثم يقول: (واها لك يا بن العم حين تقبل يد قاتلك وحين تلثم الخنجر الذي سفك به دم ابنك وأمك؟!

واها لك يا ابن العم تسمع دعاء الوحدة معي فتأبى إلا أن تسير في ركاب من لوث شرفك، وسخر من تاريخك، ويعمل دائبا لهدم دينك!!

أين حمية الإسلام فيك؟! بل أين حتى نخوة العروبة فيك؟!)[٢].

ويكتب ــ رحمه الله ــ متوجعاً ومتألماً لحال الشعوب الإسلامية منادياً أبناء المسلمين إلى أن يأخذوا بأسباب العزة حتى يرفع الله عنهم الهزيمة والضعف.

يقول رحمه الله: (فأنت ترى الشعوب الإسلامية ترسف في الأغلال يكبلها قيد الظلم من عدو الله وتسام الخسف، وتجرع المذلة والهوان، تنام على الجور والظلم، وتصحو على البغي القاتل)[٣].

ثم يقول: (ألا يدعوكم هذا أيها المسلمون إلى التدبر والتأمل؟!

ألا يدعوكم إلى اكتناه الأسباب التي بها اعتنى أسلافكم، وسادوا بالحق العالم كله والأسباب التي بها هزمتم وانزويتم صاغرين تحت بطش الصليبية الغربية)[٤].

---

(١) مجلة الهدي النبوي، العدد ٤ــ٧، تاريخ ١٣٧٥هــ، (ص ٥٣).

(٢) مجلة الهدي النبوي، مقالة شرعة اليهود في الحرب، (ص ٥٥).

(٣) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل، (ص ٢٢٩)،

(٤) المرجع السابق (ص ٢٣٣).

هكذا يتوجـــع المسلـــم على دينـــه وإخوانه وهكـــذا يتوجع من عـــاش مرارة الاستعمار الباغي.

ولكن مما ينبغي الإشارة إليه هو أنه بعد زوال هذه المؤثرات من تبعية واحتلال وحروب مع بقاء أثرها على البلاد.

كان هناك ردة فعل للقيادة وانتقال من النقيض للنقيض بأن أقامت النظام الاقتصادي على الاشتراكية الماركسية(١).

وساعد على ذلك وجود عدد كبير من الروس في مصر تلك الفترة، يضاف لذلك الفكر الموجود لبعض أهل الفلسفة ممن يدعون إلى الاشتراكية وأنها من الإسلام.

وكان لا بد من توضيح هذا الجانب من قبل الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ وهو الذي عرف عنه شدته في الحق واهتمامه الكبير بالردود.

فإذا كان يخفى على عامة الشعب بأنه نظام اشتراكي ماركسي يخالف الشريعة الإسلامية، ويعتبرونه حق رفع به الظلم والعدوان عنهم، وأنه متنفس لهم بعد ما كانوا يعانونه اقتصادياً، إلا أنه لا يخفى على المثقفين وأهل العلم.

فكتب الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ رداً على من يصـــف الإسلام بأنه رأسمالي أو اشتراكي وأوضح أنها أوضاع بشرية ليس الغاية منها طاعة الله ولا خير فيها.

قال: (فمن الجهل بالإسلام والضلال في فهم شريعته أن نتزل به حتى نصمه بمصطلحات البشر، فنقول عنه للناس: أنه اشتراكي، أو رأسمالي أو غير ذلك، فالإسلام فوق كل أوضاع البشر ومذاهبهم.

---

(١) " المذهب الاشتراكي": مذهب اقتصادي وسياسي تبلور في أعقاب الثورة الصناعية، يعارض النظام الرأسمالي الذي يقوم على الملكية الفردية، والمشروع الخاص، ويهدف إلى إشراك المجتمع في ملكية عوامل الإنتاج. وقد شهد القرن التاسع عشر عدداً ضخماً من المفكرين الذين يصفون أنفسهم أو يصفهم غيرهم بالاشتراكية، ولا رابـــط بينهم إلا الضـــيق بالنظام الرأسمالي، والرغبة في إقامة مجتمع مغاير، ولكنهم يختلفون فيما عدا ذلك ". انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، إشراف: د. مانع الجهني، دار النـــدوة العالمية للطباعة، ط ٥، ١٤٢٤هـــ (ج٢، ص١١٤٢).

حتى وإن كانت هذه المذاهب عدلاً وإحساناً بل وإن كانت آثارها الخير كله فإنها أوضاع بشرية لا يسمى حقها وعدلها وخيرها ــ إن كان فيها شيء من ذلك ــ باسم الله وليست الغاية منها طاعة الله بل إن المبشرين بها أنفسهم لا يحبون أن تكون لله..)[1].

ثم يوضح ما يجب على المسلم تجاه هذه المذاهب والأوضاع البشرية فيقول رحمه الله: (فمن الواجب أن ننظر إلى كل هذه الأوضاع البشرية التي يبشر بها خصوم الإسلام وعدوه نظرة التحقير والازدراء ونؤمن إيماناً لا ريب فيه أن الإسلام هو الذي يجب أن يحكم ويشمل سلطانه كل مقومات الحياة اقتصادية كانت أو اجتماعية فكرية كانت أو خلقية)[2].

وفي مقال "الشيوعية تعانق الصوفية"[3] وضح الوكيل أن الميثاق لا يرغب في قيام تنظيم شيوعي ردا على من يرى أن للشيوعية مستقبلا في مصر.

وكان رده ــ رحمه الله ــ مما جاء في الميثاق ونص عليه قال رحمه الله: (كما يطيب لنا أن نذكر أولئك الذين يظنون أن للشيوعية مستقبلا في مصر بما قاله قائد هذه الأمة.

قال الرئيس جمال عبد الناصر: إننا نختلف في كثير من المسائل مع الشيوعية، وخلافاتنا هي خلافات جذرية، نحن نؤمن بالدين أولاً ونحن نرفض ديكتاتورية أي طبقة من الطبقات.

وقال الرئيس جمال عبد الناصر[4]: إنه إذا حاول الشيوعيون إيجاد تنظيم شيوعي فإن ذلك سوف يكون ضد الميثاق.

وكذلك إذا حاول أحد منهم أن ينشر دعوة إلحادية تمس الدين، وفي هذه الحالة فإن الدولة لن تسكت ولن تقبل...)[5].

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل، (ص ١٢٩) بتصرف.

(٢) المرجع السابق (ص ١٣٠).

(٣) مجلة الهدي النبوي، العدد الأول، تاريخ ١٣٨٥هـ (ص ١٦).

(٤) وقف جمال عبد الناصر ، موقف معادي لجماعة أنصار السنة وأغلقها..

(٥) مجلة الهدي النبوي ، مقالة الشيوعية تعانق الصوفية (ص ٢٦) بتصرف..

ويتضح مما سبق أن الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ يرى أن دخول الشيوعية في نظام الدولة الاقتصادي لا يجوز وأنه مخالف للنظام الاقتصادي الإسلامي وأن فيه خطورة على النظام الاقتصادي في البلاد.

ويوضح أن القيادة لا ترغب في قيام تنظيم شيوعي[١] وعلى ذلك فهي تريد أن تحرر اللقمة وتحارب الإقطاع ولكنها وقعت في المحظور وانتقلت من النقيض إلى النقيض.

لذلك فقد قام ــ رحمه الله ــ في أحد خطبه في يوم الجمعة بالحديث عن الميثاق الشعبي والميثاق الإلهي.

ألقاها ــ رحمه الله ــ بكل شجاعة في قول الحق ملتزماً بالأدب والحديث الحسن مع القيادة موضحاً موقفه وموقف جماعة أنصار السنة المحمدية من الميثاق.

وطالب القيادة بالالتزام بالميثاق الإلهي، الذي عرضه في عدة قواعد في بداية الخطبة وهو يضــرع إلى الله تعالى أن تربــط القيادة ميثاق الأمة بميثــاق الله تعالى ليحققوا النصر الأكبر.

ثم قال في آخر خطبته: (أما بعد فقد قلنا نحن أنصار السنة بعض رأينا في الميثاق الشعبي، وقلنا أنه احتوى على كثير من الخير ومجد روح الدين واستهدف صوالح الشعب ومصالحه غير أننا ما زلنا نرجو أن ينص الميثاق على أن دين الجمهورية هو الإسلام، وعلى وجوب استمداد قوانيننا منه، وإقامة حياتنا الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية على أسسه)[٢].

ثانياً: الطبقات في المجتمع المصري.

المجتمع المصري في هذه الفترة جابه الشدائد والصعاب وعانى الكثير من الويلات والآلام، وقد كان لهذه الظروف الصعبة أن يمتد أثرها في تشكيل هذا المجتمع والسيطرة على أوضاعه الاجتماعية.

---

(١) هذا الكــلام متأثر بأوضــاع القهر في مصــر ، فيجب أن يعــذر فيه الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ..

(٢) مجلة الهدي النبوي، مقالة "الميثاق" العدد الثاني، تاريخ ١٣٨٢هـ (ص ٢٢).

ويتكون المجتمع المصري من طبقات أهمها:

١- الطبقة الأولى الفلاحون:

هم من أبنـــاء الريف وهـــم طبقة فقيرة كادحـــة، وتشكل نسبـــة ٧٠ في المائة من الشعب.

ولكن لماذا يعيش الفلاح المصري في هذه الفترة في فقر وعوز؟!

(وفي التاريخ الإسلامي كان ثراء مصر وثراء حكامها يرجع إلى قدرات أرضها على زيادة الإنتاج، وعاش الفلاح في مستويات من التقدم)[(١)].

والجواب على ذلك لأن (الفلاح المصري يجد ويشقى في حقله بينما يجمع الشراكسة والأتراك ثمرات جهده تاركين له القلة القليلة من الزاد..)[(٢)].

ثم جاء الاستعمار واهتمام المستعمـــر بمصالحه الماديـــة جعله يركز على الجوانب الزراعيـــة، ولم نجد من هـــذا الاهتمام سوى أن أصبـــح الفلاح من الطبقة الفقيرة الكادحة، كما أن الاستعمار حرص على عدم تعليم الفلاحين فانتشرت الأمية بينهم.

وعمل الكثير من الفلاحين في شق قناة السويس وسخروا تسخيراً ومات منهم الألوف خلال الحفر، وجمعتهم السلطات البريطانية بالقوة للعمل في الجيش البريطاني ومات أيضاً منهم مئات الألوف.

وإذا كان الفلاحون يمثلون حوالي ٧٠% من طبقات المجتمع وهم طبقة مضطهدة مسلوب حقها فلك أن تتخيل وضع الشعب المصري في هذه الفترة من خلال وضع الطبقة الأكثر عدداً.

ولكن هذا الفلاح سنجده هو القوة الثورية الحقيقة في ١٩١٩م (ولقد فوجئ الإنجليز بهذا التحرك لأنهم كانوا يضحكون ملء الأفواه كلما سمعوا زعيماً وطنياً

---

(١) تاريخ العرب المعاصر، عبد العزيز نوار، (ص ١٩٢).

(٢) المرجع السابق (ص ١٤٨).

يتحدث عن الفلاح وأنه شعب مصر الحقيقي الذي يجب أن تتم كل الأمور باسمه سوءا كانت سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية)[١].

٢ – الطبقة الثانية هم العمال:

تشترك طبقة العمال مع الفلاحين في كونها الطبقة الفقيرة الكادحة، كما أن بعض العمال من أبناء الريف وقد هاجروا إلى القاهرة.

وتختلف عنها في أن القوة العددية لهم كانت قليلة لأن المجتمع المصري زراعي في أساسه، والتصنيع كان محدوداً.

وقد عانى العمال من الاحتلال الذي قدم مصالحه على مصر وعمالها.

وعانى من ارتفاع الأسعار ونيران الغلاء خلال الحرب العالمية الأولى.

إلا أن هناك جانباً حسناً عاد على العمال من اهتمامات المستعمر بمصالحه فقد كان لمد خطوط السكك الحديدية أن استوعب الكثير من العمال وأيضاً ظروف الحرب ألزمت بظهور بعض الصناعات الاستهلاكية.

(وتركيز العمال في القاهرة جعل منهم قوة متلاحمة للعمل الجماعي من أجل مستقبلهم ومن أجل مستقبل البلاد رغم سوء أحوال العمال الشديد ورغم مقاومة الاحتلال.

وقد كانت قاعدة العمال تتجه إلى التحرر السياسي والعسكري لمصر من الاحتلال على اعتبار أنه المسؤول الأول عن منع مصر من التقدم وإفادة أهلها من خيراتها)[٢].

٣ – الطبقة الثالثة المثقفون:

وهم: (الطلبة وموظفو الحكومة، والصحافيون، والعلماء).

أ) الطلبة:

كانت المدينة هي مركز تجمعات الطلاب، وكانوا من أبناء الطبقة المتوسطة أو الفقيرة التي تكدح من أجل مستقبل أفضل لأبنائها.

---

(١) تاريخ العرب المعاصر، عبد العزيز نوار (ص ١٤٩) بتصرف.

(٢) المرجع السابق، (ص ١٩٤) بتصرف.

والطالب في ذلك الوقت كان مختلفا عن طالب اليوم.

كان كبير السن، وكان معدوداً من أركان الأسرة ودعامتها الرئيسية بعد رب الأسرة.

وقد كان المجتمع ينظر لهم نظرة تقدير واحترام وأمل في إنقاذ مصر من المستعمر، ورغم قلة عدد الطلبة إلا أنهم كانوا قوة فكرية في البلاد قادرة على الدفاع عن مصر.

وقد كان الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ من طلاب المعهد الديني بطنطا التابع للأزهر ومكث فيه تسع سنوات حتى حصل على الثانوية الأزهرية، والتحق بكلية أصول الدين.

فكان رحمه الله من القلة الذين تلقوا العلم وكانوا القوة الفكرية الذين نهضت بمصر من ظلمات الجهل إلى نور العلم.

ب) موظفو الحكومة:

هم أيضاً قلة في المجتمع المصري، ولم يكن لهم حظ في الحصول على الوظائف الكبرى فقد كانت للعناصر الأجنبية من الأتراك والإنجليز.

إلا (أن المصريين أخذوا يزحفون على الوظائف الكبرى وبدأت تظهر فيهم كفاءات جديدة قادرة على إزاحة العناصر التركية والإنجليزية عن المناصب العليا)[1].

وهذه الطبقة من الفئة المثقفة لذا فإن لها تطلعات خاصة بها، وتطلعات لمستقبل بلادها وأبنائها.

والشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ كان من أحد موظفي الحكومة بعد كماله تحصيله العلمي؛ فقد التحق بوزارة المعارف (التربية والتعليم) وعين مدرسا

---

(١) تاريخ العرب المعاصر، عبد العزيز نوار (ص ١٩٩) بتصرف.

للدين في المدارس الثانوية، وبهذا يكون رحمه الله ممن شارك في ارتقاء بلاده علمياً ودينياً.

ج) **الصحافيون:**

هذه الطبقـــة حديثة التكوين، عاشت الحضارة الأوربية الجديدة والحضارة الشرقية التقليديـــة. وبالتالي عندهـــا القدرة على المقارنة وقبول التجارب، والتغيرات والتجديدات في البناء السياسي والاجتماعي للبلاد.

وكانت الصحافة نشطة قوية، وكان لها اثر في الوقوف في وجه الاستعمار، حيث كان لها دور في تبصير المصريين بحقوقهم وحقائق بلادهم ومساوئ الاستعمار.

وقد كان الشباب المصري المثقف من أهل الصحافة على اتجاهين اتجاه تأثر بالغرب، وكان له دور خطير في نشر العلمانية والترويج للمستعمر، واتجاه تمسك بتعاليم الإسلام وتقاليد بلاده، وكان له دور في إعداد المجتمع للقيام ضد المستعمر.

(ولقد تأثر هذا الجيل من المثقفين تأثراً كبيراً بالاتجاهات الغربية واختلف عن أولئك الذين تتلمذوا في الأزهر وتأثروا بالبيئة الدينية)[1].

والشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ كـــان صحفياً في مجلـــة الهدي النبوي وكان من الصحافيين الذين تتلمذوا في الأزهر وتأثروا بالبيئة الدينية وكان لهم دور كبير بعد الله في التأثير على أبناء البلاد بالتمسك بتعاليم الإسلام والحفاظ على التقاليد والعادات.

كتب ـ رحمه الله ـ مقالة بعنوان "الصحافة والدين"[2]:

قال فيها: (البدعة الملعونة التي يحب بعض الصحافيين في هذه الأيام هي الهجوم على الدين والنيل بغياً من قيمه المقدسة ومثله العليا.

---

(١) تاريخ المشرق العربي، عمر عبد العزيز (ص ٣٣٣).

(٢) مجلة الهدي النبوي، العدد الرابع، تاريخ ١٣٨١هـ (ص٤١).

وقال: فأن من يقرأ لهؤلاء الزائدين عن الجهالة والجاهلية، قد يظن أن الهجوم على الدين من سمات العهد الحاضر، وديدن أبطاله)[١].

وقال ــ رحمه الله ــ : (فقد أصبحت سمة التحرر عند بعض الكتاب الشباب هي الهجوم على الدين والسخرية من رجاله بل لقد وصل الأمر عند بعضهم إلى حد الهجوم على السلف الصالح.. وهذا الاتجاه الخطير يولد في نفوس الناس وخاصة النشء شعوراً عميقاً بالربط بين الدين والرجعية، حتى أصبح الشاب لكي يكون متحرراً يجب عليه أن يتخلــص أولاً من نوازع دينه في نفسه... وإنا نحس بخطورة هذا الاتجاه الذي يعزز هذا الضعف والذي يشعر الشباب أنهم بالبعد عن الدين إنما يقتربون من التحرر ومن التطور الذي يلحق المجتمع والعالم)[٢].

كما حرص ــ رحمه الله ــ على الشبــاب وحماية فكرهــم من دعاة الحرية الفكرية.

قال : (ليس في الوجود ولا عند العقل ما يسمى حرية مطلقة بل كل حرية مقيدة بقيد قد يكون ظلماً أو عدلاً أما القيود الظالمة فنحن أول الدعاة إلى تحطيمها، أما العادلة فنحن أول الدعاة إلى بقائها وحراستها حفاظاً على الفكر نفسه وعلى الأخلاق وعلى الدين)[٣].

ويقول: (إذا حاولنا دعوة الشباب إلى حمى الدين يحتمي به من فجور الغي قالت الحرية المطلقة رجعية وجمود في القرن العشرين)[٤].

كما كان ــ رحمه الله ــ يدعــو إلى هيمنة القــرآن الكريم والسنة الشريفــة على ما يكتب ويؤلف في الدين حفاظاً على الفكر الديني لدى المسلمين.

---

(١) مجلة الهدي النبوي، العدد الرابع، تاريخ ١٣٨١هـ (ص٤١).
(٢) المقال السابق (ص ٤٣).
(٣) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٨٤).
(٤) المرجع السابق (ص ١٨٥)

يقول ــ رحمه الله ــ: (يجب مراقبة كل كتاب ديني وعرضه على الكتاب والسنة، والحكم عليه بعد ذلك حكماً عادلاً مجــرداً من كل هوى وعاطفة، حكمــاً لا يرعــى غير وجه الله ذي الجــلال وذلك حتى نحــول بين الناس ــ وبخاصة الشباب في هذا العصر العربيد المجون والإلحاد ــ وبين الزيغ والضلال والفتنة وسيتهمنا بعض من يعيشون على افتراء الكذب أننا بهذا نقيد حرية الفكر.

ولسنا والله من أعداء الفكر ولا حريته، وكيف ونحن دعاة إطلاق الفكر من إسار التقليد الوثني لتراث الجاهلية، وأغلال العبودية لإباحة الغرب وإلحاده حتى يستطيع الفكر أن ينعم بصراً بالنور الإلهي يهديه إلى الحق، وحمى الحقيقة، ولكنا أعداء المجون والإلحاد يسميان حرية فكرية)[1].

كما كانت له كتاباته الكثيرة رحمه الله في الدفاع عن العقيدة بالرد على أهل البدع وضلالتهم.

يقول ــ رحمه الله ــ : (فالواجب على المسلم أن ينفر للجهاد في سبيل الله بنفسه وماله وولده، أن يجاهد نفسه وشهواته وأولئك الذين يفسدون على المسلمين عقائدهم وأخلاقهم ممن يتسمون بأسماء المسلمين، أن يجاهد كل بدعة في الدين وكل دعوة منكرة تنادي بفصل الدين عن الحكم وشؤون الحياة)[2].

وقد كتب الكثير من المقالات في الرد على بعض الفرق كالبهائية والقاديانية[3] والصوفية[4].

---

(١) دعوة الحق، المرجع السابق (ص ١٨٤)

(٢) المرجع السابق (ص ٢٢٦)

(٣) القاديانية : حركة نشأت سنة ١٩٠٠م بتخطيط من الاستعمار الإنجليزي في القارة الهندية ، بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن فريضة الجهاد بشكل خاص حتى لا يواجهوا المستعمر باسم الإسلام .
وكان لسان حال هذه الحركة هو مجلة الأديان التي تصدر باللغة الإنجليزية . الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب (ج١، ص٤١٦).

(٤) سيأتي تعريف (الصوفية والبهائية) في باب الردود.

د) **العلماء:**

تتمثل هذه الطبقة في علماء الأزهر الذين كانت لهم قيمة كبيرة في نفوس الشعب وهذا لما شرفهم الله به من علم ثم مما كان لهم من قوة فعالة في المجتمع المصري فقد كان لهم الأثر العظيم على الناحية الدينية والسياسية والاجتماعية.

وكان لعلماء الأزهر الفضل بعد الله في توجيه الشعب وتنوير أذهانهم وحثهم على التمسك بتعاليم الشريعة الإسلامية، وإيقاظ روح الجهاد فيهم ضد المستعمر، والحفاظ على العادات والتقاليد ومحاربة المبادئ الضارة والهدامة الدخيلة على المجتمع، وذلك لأنهم تميزوا وعرفوا باختلاطهم مع الناس، ومعرفة أحوالهم ومشاركتهم قضاياهم وهمومهم، (وطالما كان الأزهر ملاذ عامة الشعب يهرعون إليه في الأزمات ملتمسين من علمائه الإرشاد والتوجيه، ملقين إليهم بالقيادة الرشيدة الحكيمة فيجدون لديهم تفريج الكربات وحل الأزمات ومواطن الأمان.

وكثيراً ما كان علماء الأزهر يقفون في وجه الطغاة المستبدين من الحكام الباطشين)[1].

ولا يخفى على أحد قناعة المجتمع المصري العظيمة لعلماء الأزهر الذين كانت لهم الزعامة الأدبية والسياسية والدينية والاجتماعية قديماً.

وكان هذا سبب لقبول الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ في المجتمع المصري فهو أحد طلاب الأزهر الذين أخرجهم للحياة العامة فكان العالم والأديب والصحفي الذي شارك في إرشاد وتوجيه الشعب لمصالحهم الدينية والدنيوية.

(ويظهر مما سبق ما للعلماء من دور في الحياة الاجتماعية المصرية، وهو دور إيجابي.

---

(١) الأزهر تاريخه وتطوره، وزارة الأوقاف وشؤون الأزهر (ص ، ج من المقدمة).

فلا ننسى أن نشير إلى ما كان لبعضهم من أدوار سلبية وأعني بعض الذين درسوا في الغرب وتأثروا ببعض ما عندهم من عادات وتقاليد ونظم نقلوها إلى المجتمع المصري مروجين لها بإعجاب مما كان له أثر سيء في حياة المجتمع)[1].

ثالثاً: الأسرة والمرأة:

الأسرة المصرية في الماضي والحاضر ولله الحمد هي الأسرة المسلمة المتمسكة بالتعاليم الإسلامية والقيم الأخلاقية والعادات والتقاليد وتنشئ أبناءها على ذلك.

ولكن يجب أن لا نغفل أن الاحتلال قد جاء بعادات أوربية دخيلة تمثلت في الأجانب الذين أقاموا بمصر.

وقد كان لهؤلاء الأجانب التأثير على بعض الأسر المصرية التي قامت بتقليدهم وتطبيق هذه العادات الغربية الدخيلة على أبنائهم ونسائهم.

ولكن غالبية الشعب المصري ولله الحمد يتكون من الأسرة المسلمة التي تعتني بدينها الإسلامي وتعاليمه وتطبق ذلك في جميع الأمور التي تتعلق بنظام الأسرة.

ولكن الخطر يتمثل في المرأة فالغرب يعرفون أن عصب الحياة في المجتمع هو المرأة وأنها الأقوى تأثيراً في الأبناء والأسرة.

لذلك ركز أعداء الإسلام على قضية التحرر وخلع الحجاب الإسلامي لما لذلك من إخلال في تطبيق تعاليم الإسلام في المجتمع المصري وبالتالي يتم تغيير نظام الأسرة المسلمة من خلال تغيير المرأة.

وقد لجأوا إلى المرأة لأنهم قد قاموا بمحاولات في التدخل بشؤون الأسرة باءت بالفشل.

---

(١) جماعة أنصار السنة المحمدية، أحمد الطاهر، (ص ٤١).

(كانت أول محاولة للتدخل في شؤون الأسرة المسلمة بعد الاحتلال الإنجليزي لها مباشرة حيث حاولوا التدخل في القضاء الشرعي الإسلامي ثم أخذ اللورد كرومر[١] يهاجم مبدأ تعدد الزوجات مدعيا أنه السبب في تأخر المسلمين، كما دفع بواحد من أذياله هو (مرقص فهمي) المحامي إلى كتابة كتاب بعنوان: (المرأة في الشرق) وفيه ظهرت خطة أعداء الإسلام سافرة حيث طالب هذا النصراني بما يأتي:

١. القضاء على الحجاب الإسلامي.
٢. إباحة الاختلاط للمرأة المسلمة بالأجانب.
٣. منع الزواج بأكثر من واحدة.
٤. تقييد الطلاق ووجوب وقوعه أمام القاضي.
٥. إباحة الزواج بين المسلمات وغير المسلمين)[٢].

ثم جاء بعده قاسم أمين[٣] الذي ألف كتاب (تحرير المرأة) عام ١٨٩٩م ودعا فيه إلى نبذ قيم إسلامية متعلقة بالأسرة والمرأة.

ووقفت الزعامات الوطنية ضد هذه الأفكار وهاجمتها، كما أن الشعب المسلم المصري يعتني بتقاليده الإسلامية ولن يتخلى عنها من أجل عدو محتل جاء بالخراب والدمار لبلاده.

---

(١) هو: حاكم بريطاني مستعمر أذل المصريين لمدة ربع قرن مسيطراً على سياسة البلاد وساحقاً لكرامتها ومغتصباً لثروتها، وكان محنكاً سياسياً خبيثاً. رجال اختلف فيهم الرأي من أرسطو إلى لويس عوض أنور الجندي (ص٢).

(٢) احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، د.سعد الدين صالح، دار الأرقم، الزقازيق، ط ٢، ١٩٩٣م، (ص٢٥٤) بتصرف.

(٣) هو: قاسم بن محمد أمين المصري: كاتب باحث، اشتهر بمناصرته للمرأة ودفاعه عن حريتها. كردي الأصل ولد سنة ١٢٧٩هـ، وتوفي بالقاهرة سنة ١٣٢٦هـ. الأعلام للزركلي (ج٥، ص١٨٤).

ولكن قيام الحرب العالمية ساعد على تحكيم الدعوات ضد الحجاب والآداب الإسلامية، ففي عام ١٩٢٣م أوعز أعداء الإسلام إلى هدى شعراوي[١] القيام بخلع الحجاب على مجمع من الناس وداسته بقدمها، فكانت أول امرأة في مصر تخلع الحجاب، وانطلقت دعوة السفور بين النساء في مصر.

(هذه هي قصة تحرير المرأة في مصر، وهي نفس القصة التي حدثت في معظم بلدان العالم الإسلامي وهي مسألة في غاية الخطورة)[٢].

والشيخ الوكيل رحمه الله يرى أن العدو الأول للمسلمين هو الاستعمار وأذياله ممن يدعون الإسلام وقد تأثروا بأفكار الغرب، ويدعون إلى الحرية المطلقة للمرأة.

لذا حرص ــ رحمه الله ــ وهو الكاتب الداعي دائماً إلى التمسك بتعاليم الإسلام كما جاءت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ المحارب للبدع والانحرافات في العقيدة والأخلاق والآداب.

حرص ــ رحمه الله ــ أن يقف في وجه دعاة الحرية المطلقة للمرأة فقال:

(لقد أذنت الحرية المطلقة للمرأة أن تسفر بالفتنة الآثمة في الطريق وأن تبيح لحمها لشهوة كل ذئب منهوم، فإذا حاولنا حماية المرأة بما حماها به الدين وتكريمها بما كرمها به وسما بشأنها، قالت الحرية المطلقة رجعية وجمود في القرن العشرين!!

فلا تطيق الحرية المطلقة ولا ذئابها أن تسمعين كلمة الله، ولو أن الإسلام دعاها إلى الخير لسمته بغي الشر.

تلك هي الحرية المطلقة وهذا هو هدفها وتلك هي وسيلتها في تحطيم الأخلاق وتدمير الفضائل)[٣].

---

(١) هي: هدى بنت محمد سلطان " باشا " رئيس أول مجلس نيابي بمصر، ولدت سنة ١٢٩٦هـ، وجيهة مثرية، ترأست الحركة النسائية في عصرها، وكانت أول امرأة مسلمة مصرية ترفع الحجاب عن جسمها توفيت سنة ١٣٦٧هـ، الأعلام للزركلي (ج٨، ص٧٨).

(٢) احذروا الأساليب الحديثة، سعد الدين صالح، (ص ٢٥٨).

(٣) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل، (ص ١٨٥)بتصرف.

وقد وقف ــ رحمه الله ــ ضد النساء اللاتي تأثرن بهذه الحضارة الغربية وطالب الرجال بتأديب النساء فكتب رحمه الله مقالة بعنوان (أدبوا نساءكم إن كنتم رجالا)[1].

قال فيه: (نشرت الصحف نبأ اعتصام شرذمة من النسوة بدار إحدى النقابات ولكن أتدري لماذا؟!

لقد ثارت امرأة الحضارة الغربية على هذا الحق الذي سماه الله حقا ثم امتدت شهوتها الباغية إلى اغتصاب ما وهبه الله لغيرها واختصهم بها فكانت ثورتها بغياً على الحق وجوراً على مقدسات العدل الإلهي.

ثارت امرأة الاستعمار لأن الرجال أبوا عليها أن تمتهن أنها تريد أن تكون عضواً في الجمعية التأسيسية.

لا يا مطية الاستعمار!! لا يئن قلبك احتجاجاً على الرجال لأنهم حرموك.. عودي إلى الله مؤمنة صالحة قانتة حافظة للغيب بما حفظ الله، جاهدي لإنقاذ الأسرة من التفكك والانحلال.

تجنبي هؤلاء فهم عدوك وتعالي إلى الله نستلهمه هداه وتوفيقه ورضاه)[2].

كما تكلم ــ رحمه الله ــ عن انهيار مكانة المرأة بسبب تركها لحجابها وقال: (إن من أسباب أزمة الزواج بل تكاد تكون أول الأسباب هو فقدان ثقة شبابنا في المرأة، كان الاحتشام يكسوها وقاراً وجلالاً ووسوس دعاة الفتنة في سمعها بأنها سجينة الخدر فلا بد لها من الانطلاق وتحطيم القيد وانطلقت وحطمت.

لا تثقي بهؤلاء الذين يهمسون في سمعك أن حقوقك مغتصبة إن هؤلاء يدفعونك إلى الثورة ضد إشراق القيم السامية.

لقد هنــت على النفوس حين هانت عليك نفسك!! لا نجاة لك إلا في الاعتصام بدين الحق اسمعــي قول الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ

---

(١) مجلة الهدي النبوي، عدد الثامن، تاريخ ١٣٧٣هـ، (ص١٧).

(٢) المقال السابق (ص ١٧)، بتصرف.

ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾﴾[١])[٢].

كما تقدم بالشكر إلى القيادة في خطبة الجمعة بعد أن صرح الرئيس أن المساواة بين الرجل والمرأة ستكون في إطار العقيدة الدينية[٣].

وكتب ــ رحمه الله ــ معترضاً على السياحة عندما نشرت الصحف أنها ستختار نساء صديقات للسائحين أثناء تنقلاتهم وزيارتهم للبلاد فقال:

(لا يا مصلحة السياحة فلن يرضى بما فكرت فيه قادة الثورة الذين يتوقدون غيرة على مصر وشرف مصر وكرامة مصر وقيم دينها الخلقية العليا.

يقيننا أنهم لن يسمحوا بهذا الهوان الذليل الذي يحاول بها أن تكون ذيلاً للغرب متقلدة فيما يهوى بالكرامة ويقتل الفضيلة ويدك قيم الأخلاق)[٤].

وقد أوضح ــ رحمه الله ــ عناية الإسلام بالمرأة وتشريفها وتكريمه لها فقال: (إن القــرآن لا يستثني المرأة من خير أعده الله للإيمان والعمل الصالح ولم ينل من قيمتهـا لأناثتها، وما وعد الله به الرجل هو عين ما وعد به المرأة.

يبهتون القرآن بأنه ظلم المرأة هذا لأن القرآن بني كرامة المرأة ومجد شرف المرأة وأقر بجلد من يبهت عرض المرأة)[٥].

وقال ــ رحمه الله ــ: (العادة المرذولة[٦] أبطلها الإسلام، وبهذا أكرم الإنسانية وبخاصة في شطرها الكريم الأنثى التي تسامى القرآن بكرامتها.

---

(١) (سورة الأحزاب: آية ٣٣).

(٢) مجلة الهدي النبوي، نور من القرآن، عدد السابع، تاريخ ١٣٧٩هـ (ص ٧) بتصرف.

(٣) مجلة الهدي النبوي، مقالة الميثاق، العدد الثاني، تاريخ ١٣٨٢هـ (ص ٢٣).

(٤) مجلة الهدي النبوي، مقالة تعليقات على الصحف، عدد ٥، تاريخ ١٣٧٣هـ (ص ١٩).

(٥) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٨، تاريخ ١٣٨٥هـ (ص ٨) بتصرف.

(٦) يقصد وأد البنات في الجاهلية.

فهل تصدق أولئك النسوة اللاتي فسقن عن أمر الله ؟ هل تصدقهن إذا زعمن أن الإسلام قد ظلم المرأة فرحن يطالبن بالعدوان والبغي على شريعة الإسلام؟

ليتهن يطالبن بتحقيق ما فرض لهن الله من حقوق ويقمن في مقابل ذلك بما عليهن من واجبات، لو أنهن فعلن ذلك لكفلن لأنفسهم وللأسرة حياة يسودها الحجاب والسلام والشرف وفقنا الله إلى ما يحبه ويرضاه)[1].

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٦، تاريخ ١٣٧٩هـ (ص ٨) بتصرف.

المبحث الثالث

الحالــة العلميــة

أولاً: التعليم الأزهري:

قام العبيديون ببناء الجامع الأزهر في القاهرة بعد اتخاذها عاصمة لهم تحقيقاً للسياسة الإسلامية المتبعة عند الفتح الإسلامي.

وسمى بالجامع الأزهر نسبة إلى ابنة رسول الله ﷺ السيدة فاطمة ــ رضي الله عنها ــ التي تنتسب إليها الدولة الفاطمية.

(وتم بناء الجامع الأزهر في عامين وثلاثة أشهر وافتتح للصلاة في يوم الجمعة السابع من رمضان سنة ٣٦١هـ.

وكان الجامع الأزهر أول مسجد أقامته الشيعة [١] بمصر، ومن ثم فقد كان قيام الجامع الأزهر رمزاً لسيادة دينية جديدة هي الدعوة الشيعية)[٢].

وبهذا يكون للجامع الأزهر الصفة الرسمية للدولة الفاطمية أولاً ثم الصفة الدينية ثانيا حيث كان هو الجامع المختار لنشر تعاليم مذهبهم.

وعندما أقام الفاطميون حلقات الدروس لتعليم المذهب الشيعي أصبح الجامع الأزهر مدرسة علمية ليتصف بصفة أخرى هي الصفة التعليمية.

(وبقيت الصفة "التعليمية" مميزة للجامع الأزهر طوال العصر الفاطمي، فزاد عدد طلابه وأساتذتـه، وكثرت أروقته، وحلقات التعليم به، ونمت الدراسة فيه وازدهرت حتى بدأ يجتذب إليه الطـلاب والعلماء من خارج مصر، واستطـاع أن يكون (جامعة علمية) ...)[٣].

---

(١) الباطنية.

(٢) تاريخ الجامع الأزهر، محمد عبد الله عنـان، مطبعة: لجنة التأليف والترجمـة، القاهـرة، ط ٢، ١٩٥٨م، (ص١٨).

(٣) الأزهر في ألف عام، د . محمد عبد المنعم خفاجي، عالم الكتب، بيروت ، ١٩٨٨م (ج٣، ص٢٢٠).

وحظي الأزهر على مدى قرنين بعناية السلاطين واهتمامهم ورعايتهم وأغدقوا عليه الكثير وأوقفوا له الأوقاف طيلة العهد الفاطمي، كما حظي علماء الأزهر بالجاه والنفوذ عند الدولة والتقدير والإجلال عند عامة الناس.

وفي العهـــد الأيوبي بدأت مكانتـــه الدينية تتعـــرض للضغط غـــير أنه تابع حياته العلمية.

(وقد أدخلت الدولة الأيوبية المذاهب الأربعة في الجامع الأزهر وعينت لكل مذهب شيخ كان له الإشراف الكامل على الطلاب الذين يتبعون مذهبه)(١).

واحتل مركز الزعامة العلمية في العهد المملوكي واعتبر العصر الذهبي للأزهر حيث تمكن من الحفاظ على مركزه العلمي عند تعرض البلاد الإسلامية للغزو المغولي.

ثم جاء الحكم العثماني الذي أضعف قوة البلاد وسلب تراثهـــا وأصاب الأزهر ما أصاب مصر من ضعف في النواحي المادية والفكرية.

فانكمشت حركة التعليم فيه وقل عدد الأساتذة والطلاب فأصيب بحالة من التدهور والركود لم يصل لها من قبل.

إلا أن الأزهر في هذه الفترة كان له الفضل في حفظ اللغة العربية فقد كان الحصن الحصين لها من التدهور والضياع.

(وفي خلال ذلك يغدو الأزهر ملاذاً أخيراً لعلوم الدين واللغة، ويغدو بنوع خاص معقلاً حصيناً للغة العربية تحتفظ في أروقته بكثير من قوتها وحيويتها، ويدرأ عنها بجهود علمائه وطلابه عادية التدهور النهائي ويمكنها من مغالبة لغة الفاتحين، ومقاومتها وردها عن التغلغل في المجتمع المصري)(٢).

---

(١) الحياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، جمع الأستاذ/ عبد الجليل التميمي، منشورات مكتب الدراسات والبحوث العثمانية زغوان، ١٩٩٠م (ج٢، ص٤٢٦)

(٢) تاريخ الجامع الأزهر، محمد عنان، (ص ١٤١).

ثم احتل الفرنسيون مصر ونالوا من أهل البلاد ومن الأزهر وعلمائه وطلابه ومنعوهم من دخوله وكثر الاضطراب حول الأزهر حتى امتد العدوان الفرنسي إلى إغلاقه.

إلا أن الأزهر كان له الدور الأساسي في إذكاء روح المقاومة وشارك في الكفاح الشعبي ضد المستعمر.

ثم جاء عهد محمد علي باشا[١] الذي يعد عهده من أكثر العهود تأثيراً على الحالة التعليمية في مصر، فقد كان لعهده أثراً سيئاً على التعليم الأزهري حيث تم في عهده إنشاء التعليم المدني الحديث.

ومن الغريب أن يقف محمد علي باشا هذا الموقف السيئ من الأزهر (وكان للأزهر وعلمائه بعد جلاء الفرنسيين عن مصر شأن كبير في تعضيد محمد علي وتأييده في الوصول إلى ولاية مصر)[٢].

فقد حرص محمد علي على إبعاد الأزهر عن الشؤون العامة وحرمه من حقوقه وأرزاقه التي كان متمتعا بها فيما مضى من عصور؛ بل أوقع بالأزهر وأساتذته وطلابه أضرارا بليغة.

(ووضع لذلك طريقين أولهما الاستيلاء على أوقاف الأزهر وقد ترتب على ذلك قلة الطلبة الذين ينتمون للأزهر وقلة المدرسين الذين انصرف نصفهم للسعي للرزق بعد أن قطعت عنهم رواتبهم التي كانت تعينهم على طلب العلم وتعليمه.

أما الطريق الثاني فكان توجيه العناية إلى المدارس والبعثات التي أكثر فيها وجعلها متعددة الفروع)[٣].

---

(١) هو: محمد علي (باشا) ابن إبراهيم أغابن المعروف بمحمد علي الكبير: مؤسس آخر دولة ملكية بمصر. ألباني الأصل، مستعرب. ولد سنة ١١٨٤هـ، وتوفي سنة ١٢٦٥هـ، الأعلام للزركلي (ج٦، ص٢٩٨)

(٢) الأزهر تاريخه وتطوره، وزارة الأوقاف وشؤون الأزهر (ص ٦٧).

(٣) المرجع السابق (ص ٢٢٩).

ومما سبق يتضح أن محمد علي كان خصماً للأزهر ولم يعمل على إصلاحه وتطوره بل اجتهد في إهماله وإضعافه (فقد كان يرى منذ البداية أن الأساليب الأزهرية في التعليم والتثقيف قد أضحت قاصرة عن إعداد الشباب لحياة العمل المجدي، وأضحت لا تتفق مع المثل التي تطمح إليها دولة فتية جديدة وأنه يجب أن ينتفع الجيل الجديد بالأساليب العصرية)[١].

لذا هب جمع من علماء الأزهر وأبناء مصر واجتهدوا ليعيدوه إلى دوره القيادي وقاموا بعدد من الإصلاحـــات على المناهج وطـــرق التدريس لتمكينه من مسايرة التقدم العلمي.

ونذكر من هذه الإصلاحات أهم القوانين التي كان لها الأثر في تنظيم الأزهر وتطويره ومعالجة مشكلاته في صميمها مع الاحتفاظ بطابعه وخصائصه التقليدية، وهي:

قانون رقم ١٠ سنة ١٩١١م[٢]:

ويعتبر هذا القانون من أهم القوانين في عهده لأنه زاد عدد الملتحقين بالأزهر وأوجد في عدد من المديريات والمحافظات معاهد أخرى تابعة للأزهر تفقه الطلاب في دينهم وفي لغتهم وتعدهم للالتحاق به.

(وكثر الإقبال على الأزهر، ووجد معاهد أخرى في عواصم المديريات، وبعض المحافظات، جرت على نهجه، وسارت عليها نظمه، حتى صار عدد الطلاب في سنة ١٩١٧م أكثر من عشرين ألف)[٣].

وكان هذا التوسع بإنشاء هذه المعاهد الدينية في المديريات والمحافظات سبباً في دخول كثير من أبناء القرى في هذه المعاهد والتحاقهم فيما بعد بالأزهر.

---

(١) تاريخ الجامع الأزهر، محمد عنان، (ص ٢٢٨).

(٢) انظر : الأزهر في ألف عام، محمد خفاجي، (ج٣، ص٢٢٤)

(٣) المرجع السابق (ج٢، ص١٧٩).

ومن الذين يسر الله لهم ذلك هو الشيخ / عبد الرحمن الوكيل ــ رحمه الله ــ الذي حرص والداه على تعليمه الدين فألحقاه بالمعهد الديني بطنطا لمدة تسع سنوات حصل فيها عل الثانوية الأزهرية، ثم التحق بالجامع الأزهر بعد ذلك.

وتوالــت على هــذا القانون تعديــلات كان آخرهــا القانون رقــم ٤٩ لسنة ١٩٣٠م، وفيه قسم التعليم إلى ثلاث كليات:

١. كلية أصول الدين.

٢. كلية الشريعة.

٣. كلية اللغة العربية.

وهذا القانون أول خطوة مكنت الجامع الأزهر من مسايرة التقدم العلمي في العصر الحديث.

وبالتالي مكنت الشيخ الوكيل رحمه الله من أن يتخصص في كلية أصول الدين وحصوله على الإجازة العالية منها بتفوق.

ثم صدر قانون ٢٦ لسنة ١٩٣٦م وكان مشروع الإصلاح فيه أن تدرس العلوم فيه بما يتفق مع طابعه القديم من البحث العلمي السليم وأن يطابق ذلك مقتضيات العصر ومتطلباته[١].

وهكذا توالت التغييرات للقوانين في الأزهر حتى خضعت مصر لتغيير شامل في جميع نواحي الحياة على أثر قيام الثورة عام ١٩٥٢م وشمل هذا التغيير الأزهر.

فصدر قانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١م في عهد محمود شلتوت[٢].

---

(١) الأزهر في ألف عام، محمد خفاجي (ج٣، ص٢٢٤).

(٢) هو: محمود شلتوت: فقيه مفسر مصري ولد سنة١٣١٠هـ، وتلقى تعليمه بالأزهر ثم عمل أستاذ به ثم شيخاً له إلى أن توفي سنة ١٣٨٣هــ، الأعلام للزركلي (ج٧، ص١٧٣).

وصدر هذا القانون لتطوير الأزهر وجعله جامعة دينية علمية شاملة، وكان الأزهر بموجب هذا التعديل لأول مرة (جامعة) أضيفت إليه كليات أخرى بجانب كلياته الثلاث، فانتقل الأزهر إلى مرحلة مسايرة التطور العلمي الحديث مع حفاظه على رسالته الدينية[١].

والشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ درس الابتدائية والثانوية في معهد طنطا وحصل على الشهادة بعد تسع سنوات.

وقد كان الأزهر يضع شروطا للقبول بالسنة الأولى وجرى قانونه على التشديد وتحري الدقة في شروط قبول الطلاب في الابتدائية والطلاب الذين يجتازون هذا الامتحان لديهم الاستعداد للدراسة الدينية ولديهم القدرة على متابعة الدراسة في المرحلة الثانوية والعالية.

والشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ من الطلاب الذين امتلكوا هذه القدرة بفضل الله فحصل على الشهادة الثانوية ثم التحق بكلية أصول الدين وحصل على الشهادة العالية بتفوق ثم حصل على إجازة التدريس.

واكتسب الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ أموراً أخرى من الأزهر غير الشهادات وهي:

المعرفــة المتعمقة للغة العربيـــة فقد كان حسن اللغة قوي العبارة جزل الشعر أديباً بليغاً.

كما أن دراسته بالأزهر أكسبته معرفة علوم شتى كعلم الفلسفة، وعلم المنطق، وعلم الكلام، والتفسير، والحديث، والفرق التي كان متميزا بمعرفتها في جماعة أنصار السنة مما مكنه من الرد عليها وبيان ما وقعت فيه من بدع وضلالات فقد كافح في الرد على الصوفية خاصة وكان قائداً في ذلك مكافحاً.

---

(١) الأزهر في ألف عام، محمد خفاجي (ج٣، ص٢١٣).

كما حظي الوكيل ـــ رحمه الله ـــ بنظرة الإجلال والتقدير من أبناء مصر الذين كانوا يقدرون ويجلون علماء الأزهر والدارسين فيه، مما ساعده على القيام بالدعوة والدفاع عن العقيدة الحق بعد فضل الله عليه باتباعه منهج السلف والتحاقه بجماعة أنصار السنة المحمدية.

فرحم الله الشيخ / الوكيل ونفع بعلمه وأثابه عليه.

ثانياً: التعليم النظامي الحديث:

قبل الحديث عن نشأة التعليم الحديث على يد محمد علي نذكر سياسة الدولة العثمانية مع التعليم وما نتج عن ذلك من تدهور ثقافي وعلمي في مصر.

(وبداية نذكر أن سياسة التعليم في القرن الثامن عشر كانت سياسة تهتم بأن يكون المعلم والمتعلم سلبيين وكان الهدف استمالتهما لصالح نظام الحكم القائم، لذا حرص الحكام على أن يكون تعليم الشعب تعليماً سلبياً لا يترتب على دخول التلميذ المواطن فيه اكتسابه أي قدرة على مواجهة الحكام)[1].

وعندما تولى محمد علي باشا حكم ولاية مصر سعى لتثبيت حكمه على البلاد بالتخلص من الأعداء ثم بناء قوة عسكرية لحمايتها فقد كان يسعى لأن تكون له إمبراطورية عظمى . لذا كان لا بد أن تكون مصر ذات بناء حديث وقوي اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً فكان أول اهتماماته هو بناء قوة عسكرية والوسيلة لذلك هي بناء نظام تعليمي حديث.

يضاف لذلك موقفه من الأزهر وحرصه على إضعافه واضمحلال دوره في المجتمع وإبعاده عن دولته.

وعلى هذا كان في عهده إيجاد الشق الثاني للتعليم في مصر وهو التعليم المدني الحديث.

---

(١) التعليم في مصر ماضيه وحاضره ومستقبله، د. أحمد صبحي، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٦م (ص ٣٥).

(كان التعليم المدني الحديث الذي أوجده محمد علي تعليماً حكومياً يخضع لإشراف الدولة، وينتظم في سلم تعليمي متعدد الدرجات ابتدائي، تجهيزي، عالي، وله مناهج دراسية محددة ومعلمون متخصصون تعينهم الحكومة وتشرف على أعمالهم وله لوائح وقواعد يسير عليها تحدد اختصاصات المعلم وواجبات الطالب)[١].

وقام محمد علي باستقدام الخبراء الأجانب من أوروبا وابتعاث المصريين إلى أوروبا حتى يكتسبوا الخبرات والعلوم الأوربية ثم يقوموا بدور الخبراء الأجانب، وقد كان لهذه البعثات الفضل في نقل المعارف والعلوم الأجنبية لمصر.

كما لا يخفى أنه قد تأثر الكثير من هؤلاء المبتعثين بالفكر الأوربي مما كان له الأثر السيئ في نقلهم هذا الفكر الأجنبي المخالف للفكر الإسلامي والأخلاقي إلى البلاد وتأثيرهم على بعض أبناء مصر، وعلى هذا فقد كان لهذه البعثات جانب إيجابي وسلبي لمصر.

(وقد شغل المبعوثون بعد عودتهم الوظائف التي كان يشغلها الأجانب كما قادوا حركة ترجمة كبرى في مصر في الفنون الحربية أساساً، وفي الطب البشري والبيطري، والعلوم الطبيعية، والرياضيات، والتاريخ والجغرافيا والأدب والفلسفة والاجتماع)[٢].

ثم قام بإنشاء مدارس في مصر على نمط أوروبي وبدأ هذا النظام التعليمي الحديث بالتعليم العالي وركز اهتمامه عليه لأنه سيوفر له بسرعة متطلباته من القوة البشرية للجيش.

(ويلاحظ أن الهرم التعليمي بدأ مقلوباً إذ كان الاهتمام منصباً على التعليم العالي في المدارس العليا، أو الخصوصية، والخصوصية هنا لأنها مدارس متخصصة، وبدأ محمد علي بهذه المدارس لأنها تخرج مباشرة الأفراد المطلوبين للأعمال العسكرية والإدارية)[٣].

---

(١) الحياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، عبد الجليل التميمي، (ج٢، ص٤٤٩).

(٢) التعليم في مصر ماضيه وحاضره ومستقبله، أحمد صبحي، (ص٤٠).

(٣) المرجع السابق (ص ٤١).

فقام بإنشاء المدارس العسكرية والحربية ومدرسة سخانة لإخراج الضباط المهندسين، وأيضاً مهندسين الأشغال العامة، ثم مدرسة الطب ومدرسة الصيدلة والولادة، والألسن، والمحاسبة، والفنون، والصنايع، والزراعة، والطب البيطري.

وكان لا بد من إنشاء مدارس تجهيزية (وهذه المدارس تمثل الحلقة التعليمية المتوسطة في السلم التعليمي في عهد محمد علي)[١].

ثم إنشاء مكاتب لإعداد التلاميذ للالتحاق بالمدارس التجهيزية فيتعلم التلاميذ فيها القراءة والكتابة.

وهكذا نجد أن التعليم لقي عناية فائقة من محمد علي لم يحظ بها من قبل.

وبما أن التعليم المدني الحديث اهتم بحياة الناس اليومية واحتياجاتهم أقبل عليه الكثير من المصريين، لأنه إذا كان من خريجي هذه المدارس فإنه سيحصل على الوظيفة والراتب المنتظم، وبالتالي تكون له مكانة اجتماعية.

فنتج عن ذلك رغبة الناس عن العلوم الأزهرية والإقبال على المدارس الحديثة، وبقاء الأزهر في معزل عن الاتجاهات الفكرية الحديثة.

كما نتج عن ذلك وجود ثقافتين مختلفتين متعارضتين (وقد اضطرم الصراع حين بين الثقافتين القديمة والمحدثة وقد أحرز الجديد نصره على تراث القديم وأساليبه، وتبوأت الثقافة المحدثة في مصر المكان الأول، على أن ذلك لا يعني أن مهمة الأزهر قد انتهت بل العكس من ذلك للأزهر مهمة جليلة هي العلم على دعم رسالة الإسلام، ورسالة اللغة العربية والحضارة الإسلامية بأساليب مستنيرة)[٢].

وبإنشاء التعليم الحديث أوجد محمد علي ثنائية التعليم لم تكن موجودة من قبل في مصر وهي التعليم الديني في الأزهر، والتعليم الحديث في المدارس المختلفة التي أنشأها.

---

(١) التعليم في مصر ماضيه وحاضره ومستقبله، أحمد صبحي (ص ٤٢).

(٢) الأزهر في ألف عام، محمد خفاجي، (ج١، ص٢١٨) بتصرف.

وهذه الثنائية أضعفت الوحدة الفكرية بين أبناء الشعب ولكنها كانت الدافع إلى الإصلاحات التي تعرض لها الأزهر، فخفف من هذه الثنائية بإدخال العلوم الحديثة إليه، والتجديدات العلمية التي جعلته جامعة علمية دينية شاملة.

(ومن هنا نشأت في مصر ما عرفت باسم ثنائية التعليم المستمرة إلى الآن والقائمة على وجود تعليم ديني في الجامع الأزهر ومؤسساته له أهدافه وقواعده ونظمه، وتعليم مدني حديث وله أغراضه وقوانينه ونظمه التي تحقق أهداف الدولة)[1].

ثم بعد عهد محمد علي باشا اتسم التعليم بعدم الاستقرار نتيجة لإعمال خلفائه التي تكون تارة بالإهمال وتارة بالاهتمام لذا كان التعليم في عهدهم غير مستقر بين ازدهار وتقدم وبين جمود وركود.

ثالثاً: الاحتلال البريطاني والتعليم في مصر:

إن سياسة الدولة المستعمرة هي إخضـــاع أبناء المستعمـــرات وتسخيرهم، فإذا عاشوا في ظلمات الجهل بقيت هذه المستعمرات خاضعة للمحتل دونما مقاومة.

وإذا انتشر العلم أضيئت العقول بنوره "وما الحركة العلمية إلا حركة فكرية"[2].

فعمل الاحتلال على أن لا ينتشر العلم الصحيح بين أبناء مصر وتقليل نسبة المتعلمين بينهم فكفت الحكومة في عهد الاحتلال عن إنشاء المدارس وأغلقت بعض الموجود منها، وألغت المدارس المجانية، وأوقفت إرسال البعثات إلى أوروبا.

(إن الحركة التعليمية في مصر كانت تواجه عقبات شديدة تضعها أمامها سلطات الاحتلال التي كانت ضد سياسة التعليم الشعبي حتى لقد قلصت عدد المدارس الثانوية من ٢٠ عند بداية الاحتلال إلى أربعة فقط أعقاب الحرب العالمية الأولى.

أما المدارس الأولية فكانت لا تستوعب إلا ١٠% من الأطفال ولا يستطيع هؤلاء أن يحصلوا على مستوى أعلى من التعليم فسرعان ما يفقدون ما تعلموه)[3].

---

(١) الحياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، عبد الجليل التميمي (ج٢، ص٤٥٢).

(٢) موجز تاريخ مصر، محمد عبد الرحيم (ص ١٢٨).

(٣) تاريخ العرب المعاصر، عبد العزيز نوار (ص ١٨٧).

وكان الإنجليز يدعون إلى انتشار الكتاتيب وذلك لأنهم لا يرغبون في انتشار التعليم الجامعي العالي فقاوموا كل حركة تدعو إليه، وذلك لأن (الجامعات مبعث النهضة الفكرية، ففيها تجري البحوث العلمية، وتدرس النظريات والمبادئ السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

وهي دراسات تدعو إلى التفكير والمناظرة، والتأييد والمعارضة، مما يساعد على تفهم الحقائق وتنوير السبل أمامه في الحياة)[١].

ولكن بدأ ينتشر التعليم إلى حد ما على يد الهيئات الوطنية المصرية، وبدأ يشعر المصريون بمستقبل أفضل، فنشطت الحركة الفكرية ثم نهضت العلوم والمعارف لظهور اهتمام شعبي لإصلاح التعليم صاحبه اهتمام من المسؤولين الوطنيين.

فتم تحويل الكتاتيب إلى مدارس أولية عام ١٩١٦م وارتفعت ميزانية التعليم عندما تولى سعد زغلول[٢] أمر وزارة المعارف، وصدر دستور ١٩٢٣م أن التعليم حر ما لم يخل بالآداب والنظام العام، وأن التعليم الأولي إلزامي للبنين والبنات المصريين.

(وقد حدثت تطورات هامة في ميدان التعليم الابتدائي في مصر اعتباراً من بداية العقد الرابع من القرن العشرين تمثلت في جعله بالمجان سنة ١٩٤٤م)[٣].

وأنشئت الجامعة الأهلية عام ١٩٠٨م وتغير اسمها إلى جامعة فؤاد الأول ثم أنشئت جامعة فاروق الأول بالإسكندرية عام ١٩٤٢م وفي عام ١٩٥٠م أنشئت جامعة إبراهيم باشا الكبير.

(وهكذا كانت هناك ثلاث جامعات عندما قامت الثورة في ٢٣ يوليو ١٩٥٢م، ولأن الثورة قامت لتغيير نظام الحكم والقضاء على أسرة محمد علي فقد تغير اسم هذه

---

(١) موجز تاريخ مصر، محمد عبد الرحيم (ص ١٢٩).

(٢) هو: سعد (باشا) بن إبراهيم زغلول: ولد سنة ١٢٧٣هـ، وتلقى تعليمه بالأزهر، وتتلمذ على جمال الدين الأفغاني، ثم شارك في الدعوة إلى الاستقلال، ثم في ثورة ١٩١٩م، توفي سنة ١٣٤٦هـ. الأعلام للزركلي (ج ٣، ص٨٣). كان سعد زغلول من أكبر دعاة العلمانية.

(٣) التعليم في مصر ماضيه وحاضره ومستقبله، أحمد صبحي (ص٨٣).

الجامعات فصار اسم جامعة فؤاد الأول جامعة القاهرة، وجامعة فاروق الأول جامعة الإسكندرية، وجامعة إبراهيم باشا الكبير هو جامعة عين شمس)[1].

وهكذا رغم تخطيطات الاستعمار لحرمان أبناء مصر من التعليم إلا أن هناك دور شعبي كانت له جهود في ميدان التعليم ووقف في وجه المستعمر وعالج مشكلات بلاده في التعليم.

رابعاً: التعليم بعد ثورة ١٩٥٢م:

تضمنت السياسة التعليمية بعد الثورة على إعطاء أولوية للتعليم الشعبي والعمل على توجيه التعليم نحو الإعداد لحياة الإنتاج بدلاً من الإعداد لحياة الوظيفة، وتنشئة التلاميذ والتلميذات تنشئة وطنية دينية اجتماعية.

ونال التعليم الحظ الأوفر من الإصلاحات لأن قادة الثورة يعلمون أهمية التعليم في إصلاح البلاد وتقدمت مصر في مجال التعليم تقدماً كبيراً وحصل أبناء مصر على أعلى المستويات من التعليم.

(وقد حظي التعليم بعناية كبرى من الحكومة وبعد دراسات شاملة، صدرت القوانين الجديدة الخاصة بتنظيم التعليم العام في مراحله الثلاث الابتدائية والإعدادية والثانوية.

وصدرت القرارات الوزارية المختلفة لتنظيم هذه القوانين كما أن لجنة تنظيم التعليم الجامعي قدمت تقريرها من إصلاح هذا التعليم وتنظيمه حتى يساير النهضة الحديثة وروح العهد الجديد)[2].

وعدد الجامعات الآن في مصر (٢٣) جامعة حكومية بالإضافة إلى أكثر من (١٠) جامعات خاصة هذا بجانب العديد من المعاهد العليا الحكومية والخاصة.

---

(١) التعليم في مصر ماضيه وحاضره ومستقبله، أحمد صبحي (ص ١٦٨).

(٢) موجز تاريخ مصر، محمد عبد الرحيم، (ص ١٤٩).

وهكذا نجد أن الإصلاح عندما كان من أبناء البلاد شمل نواحي البلاد جميعها وعم الخير على الشعب بينما إصلاحات العدو كانت تخدم أهدافه ومصالحه وتنشر الفقر والطبقية والتخلف.

وبهذه الإصلاحات الشاملة تقدم القطاع الثقافي والتعليمي تقدماً كبيراً جعل مصر الآن من أول الدول العربية والإسلامية تقدما في مجال التعليم.

وقد شارك الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ في خدمة بلاده وأبنائها وتقدمها العلمي، فقد التحق بوزارة المعارف المصرية أول تخرجه، وعمل مدرسا في المدارس الثانوية لمادة الدين.

وإن كنت لم أحصل على كتابات أو معلومات تتحدث عن شخصية الوكيل كمعلم إلا أنه من تتبعي لكتابات الشيخ وجهوده التي كانت جميعها في محاربة الباطل ونشر الحق، وأيضاً حرصه الشديد على الشباب، وأن يراقب كل ما يكتب لهم، ما يكفي لإعطائنا صورة واضحة عن شخصية الوكيل كمعلم، وأنه كان معلماً ناصحاً مجتهدا في أن يدفع عن التلاميذ ما يضرهم في دينهم ودنياهم، وجلب كل خير ونفع لهم، فمن كان حريصاً على عامة المسلمين غيورا على عقيدتهم من الأولى أن يكون حريصاً على الخاصة الذين هم تلاميذه، ويتلقون العلم منه وخاصة العلم الديني.

ومن حرصه ــ رحمه الله ــ على سلامة عقيدة التلاميذ كتب مقالة "**التلميذ بين المدرسة والمنزل**"[(١)] تحدث فيها عن خطورة تعليم التلاميذ ما يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من المعلمين أو من الآباء وكتب في المقال عن بعض الأمور الشركية من زيارة الأضرحة والحلف بغير الله وعن تأويل الصفات الإلهية وكيف أن ذلك يخالف فطرهم السليمة التي بها استدلوا على حقيقة معاني الصفات الإلهية كما هي في كتاب الله .

ثم قال ــ رحمه الله ــ: (هذا حال التلميذ في المدرسة وهذا حاله في البيت!! حيرة!! تجذبه هنا وأقوى منها هناك!!

---

(١) مجلة الهدي النبوي، العدد ٧ــ٨ تاريخ ١٣٧٤ (ص ٢٤٩).

فماذا يصنع المسكين؟

ماذا يفعل أبناؤنا؟

في عواطفهم حيرة، وفي فكرهم قلق وفي عقولهم اضطراب.

إنهم في كل لحظة يؤمنون بشيء، ثم يكفرون به في لحظة واحدة، إنهم يتعلمون شيئا، ثم يرون غيره من آبائهم وبعض أساتذقم، فماذا يصنعون؟ حلوا هذه المشكلة لأبنائكم تحل لهم كل مشكلة بعدها)(١).

ونعلم أن تقدم مصر التعليمي لم يكن حظ مصر فقط بل نالت أكثر البلاد الإسلامية حظها من هذا التقدم؛ فقد عمل أبناء مصر في بعض البلدان وأفادوا أبناءها من علومهم وخبراتهم.

وفي مجال علوم الشريعة الإسلامية استفادت المملكة العربية السعودية من علماء مصر الذين عرف عنهم اتباعهم منهج السلف الصالح حيث التحق عدد منهم بالمعاهد العلمية والجامعات وما زال ذلك قائما حتى الآن.

وكان الشيخ / الوكيل ـــ رحمه الله ـــ من هؤلاء العلماء فقد انتدب للمعهد العلمي بالرياض عام ١٣٧١هـــ/ ١٩٥٢م قبل قيام الجامعات بالمملكة.

كما انتدب للتدريس بكلية الشريعة بمكة المكرمة بعد قيام الجامعات بها وعمل أستاذا للعقيدة بقسم الدراسات العليا إلى حين وفاته ـــ رحمه الله ـــ.

---

(١) مجلة الهدي النبوي مقالة: "التلميذ بين المدرسة والمترل"، (ص ٢٤٩)

المبحث الرابع

الحالة الدينية

أولاً: آثار الأحداث السياسية على الحالة الدينية:

لقد لعبت الأحداث السياسية التي مرت على مصر دوراً رئيساً في إعادة بنية الحياة الدينية وفق أنماط تلائم في معظمها السلطات السياسية المتعاقبة..

وبالعودة للوراء قليلا يظهر أن هناك عوامل عدة ساهمت ـــ كل بحجمها ـــ في إبراز تلك المظاهر الدينية الدخيلة على المجتمع الإسلامي عامة، والمصري خاصة..

وبشيء من الإيجاز يمكن أن تلخص في نقاط:

١) آثار السلاطين العثمانيين المتأخرين؛ من استلهامهم للحضارة الغربية، واستمدادهم حلول المشاكل التي يواجهها المشرق الإسلامي من تلك الحضارة.

٢) آثار محمد علي وأولاده؛ وخاصة في قضية الابتعاث للدول الأوربية؛ فقد كان الطلاب الذين يبتعثون إلى الخارج؛ يرجعون وقد حملوا أفكار الغرب المادي؛ وبلغوا فيه التسعة أشهر، ولم يبق لهم إلا الوضع؛ فكانوا يلدون أفكارا في المجتمع الإسلامي المصري تحمل شكل ولب الفكر الغربي المادي؛ متنكرة لأصولها الإسلامية والعربية؛ ناظرة لماضيها نظرة احتقار واستهتار[1].

وظهر ذلك جلياً في كتابات الأدباء عن المحور الأدبي؛ وكتابات قاسم أمين حول حرية المرأة، ونحو ذلك.

كما أن الخلافة العثمانية وقفت موقفاً عدائياً من الحركة السلفية سواء في داخل مصر أو خارجها.

(وأن أكثر العلماء قد انخرطوا في سلك الصوفية، ومن يقرأ تراجم العلماء في الجبرتي يرى أن الغالبية العظمى من العلماء كانوا منتمين إلى هذه الطريقة أو تلك.

---

(١) الإسلام والحضارة الغربية، محمد حسين، (ص١٢ــ١٥).

بل إن بعضهم تعالى في الخروج عن التقاليد السلفية فادعى الكرامات)[١].

وكان أشد ما يؤرق الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ انخداع الناس بالبدع بشكل عام، وببدع وشركيات الصوفية بشكل خاص حيث هي من امتدت جذورها في المجتمع المصري وسطت على أكثر علماؤه.

٣) آثار الاستعمار الإنجليزي؛ فقد حاول أن يقدم الغرب وحضارته على أنها المخلص للشعب المصري من التخلف، والتدهور، إلى الرقي والتقدم؛ مرجعا أهم سبب للتخلف إلى الإسلام؛ ومبيناً أنه ما لم يتخلص الشعب المصري من الإسلام بالكلية فإنه لن يسير في ركب التمدن الحضاري.

وكان من آثار هذا الاستعمار ظهور نحل كثيرة شغلت فكر الشيخ الوكيل رحمه الله وجزءاً ثميناً من وقته كالبهائية والقاديانية، وغيرهما.

كما أنه لا يخفى أن الاستعمار كان خير عون للصوفيــة فالغرب كما نعــرف لم ينشئوا الصوفية وليس لهم الفضل في إيجادها، وإنما وجدوها تخدم مصالحهم وذلك لأن النظرة السلبية للحياة عند الصوفية ونتائجها كانت لصالح الفكر الغربي.

فغذوها وأنفقوا عليها وشجعوها معنوياً ومادياً ليظل شرع الله وأحكامه متوارياً عن الناس.

ولعل أصدق ما يعبر عن ذلك الواقع الديني الذي كانت تعيشه مصر في حياة الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ ما ذكر الغزالي رحمه الله حين قال:

(لقد شـُحِنت بالتيارات المتصارعة في كل جانب من حياة مصر ، والمشرق العربي؛ فالاحتلال الإنجليزي كان مصدراً لا ينفد لنشاط الطلاب، ورجال السياسة:

---

(١) سلسلة أبحاث جامعية، رؤية الجبرتي للحركــة السلفية في مصر وشبــه الجزيرة العربيــة، د. نازك زكي (ص ٦٢).

فظهرت أمواج الفتن التي قدحت زنادها مغامرات (طه حسين)[١] في نطاق النقد ،الذي أراد أن يسلِّطه على القرآن كأي أثر ديني من صنع الناس ، وفي دار الأوبرا تـُعرض مسرحية تتطاول للنيل من مقام صاحـــب الرسالة، إلى جانـــب الأزمات السياسية التي لا تتورع عن استخدام هذا الوضع القلق بمختلف الوسائل.

وقد بلغ الصراع أوجه بين التيـــارات الهدامة التي تستهـــدف الإجهاز على بقية الحصانة الإسلامية في أوساط الجيل الجديد)[٢].

ثانياً: دور الأزهر الشريف في التأثير على الحالة الدينية:

عند الكلام على الحالة العلمية في مصـــر في الفترة التي عاشها الشيخ / الوكيل ـــ رحمه الله ـــ كان للأزهر الشريف الدور الريادي في الحفاظ على العلم لسنـــين طويلة وأنه كان ولا يزال المنارة العلمية في تدريس العلوم الشرعية واللغوية في مصر.

وقد كان يمثل الربان الذي يعيد توجيه سفينة الحياة الدينية المصرية ومن خلالها الحياة الدينية الإسلامية إلى الوجهة الصحيحة؛ ممثلاً في شيوخه وعلمائه الذين بذلوا جهوداً مضنية للحفاظ على المستوى الديني والعلمي والفكري للإنسان المصري، والنأي به ـــ قدر الإمكان ـــ عن الشطط المادي المهيمن على العالم برمته.

وإذا كان للأزهر هذا الدور الأكبر في الأوضاع العلمية والدينية والحفاظ عليها والدفاع عنه، لماذا لم يكن له الدور الأكبر أيضاً في دفع الانحرافات العظيمة في التوحيد وانتشار الجهل وتبدل الثوابت والمعتقدات؟!

هذا لأنه لا يمكن إصلاح حال الأمة الإسلامية إلا بما صلح به أولها أي العقيدة السليمة والصحيحة كما جاءت في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ.

---

(١) هو: طه بن حسين بن علي بن سلامـــة، الدكتور في الأدب: من كبـــار المحاضرين، ولـــد سنة ١٣٠٧هـــ، وتوفي سنة ١٣٩٣هـــ، الأعلام للزركلي (ج٣، ص٢٣١).

لم يكن (طه حسين) أديباً عربياً يراعي دينه ومجتمعه وبيئته ويطمح إلى رفعته بقدر ما كان داعية للفكر الغربي ، (قديمه اليوناني ، وحديثه الفرنسي).

(٢) علماء ومفكرون عرفتهم (ص٢٧٠) ، نقلاً عن "حوار مع الشيخ الغزالي".

وكتب العقيدة المقررة على الأزهر تتبنى أسلوب المناطقة والمتكلمين في شرح العقيدة وتستخدم منهجهم واصطلاحاتهم مثل الجوهر والعرض وواجب الوجود، وجائز الوجود، ومعاني هذه الألفاظ.

مما يجعل العقيدة الإسلامية السلسة السمحة صعبة ومعقدة وهذا خلاف لنهج القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة التي جعلت أعقد القضايا سلسة يفهمها كل من يقرؤها.

كما أن هذه الكتب تخالف منهج أهل الكتاب والسنة في بعض المسائل المهمة في العقيدة مثل الصفات وغيرها.

وهذا العلم الجامد الصعب البعيد عن منهج الكتاب والسنة كان له أهله وخاصته من العلماء وأصبح عامة الناس جهالاً به لصعوبة فهمه فانتشر الجهل بين عامة الناس بعقيدتهم مما ساعد على انتشار الكثير من مظاهر الشرك والبدع والضلالات.

إن مقررات الأزهر في العقيدة ساعدت في التأثير على الحالة الدينية في تلك الفترة حيث كان هو المنارة العلمية في تدريس العلوم الشرعية.

وأنا أخص بذلك كتب العقيدة، أما غيرها من علوم الشريعة واللغة العربية فقد كان للأزهر الدور الرئيسي في نشرها والحفاظ عليها سنين طوال.

يقول الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ: (وتعال معي نسمع حديث المسلمين في العقيدة هنا في مصر وفي الأزهر.

وتسمع: نحن أشعريون في العقيدة، أعني اتباع الأشعري[1] في عقيدته.

---

(١) هو الإمام العلامة أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، نشأ في حجر زوج أمه أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة في عصره ، وتتلمذ عليه ، واعتنق مذهبه ، ثم هداه الله إلى مذهب أهل السنة والجماعة بعد مروره بمذهب الكلابية ، له مصنفات كثيرة ، من أشهرها : مقالات الإسلاميين ، وكتاب اللمع ، والإبانة عن أصول الديانة وغيرها توفي سنة ٣٢٤هـ . تبيين كذب المفتري : (ص٣٤) وسير أعلام النبلاء (ج١٥، ص٨٥).

وتسأل أنت من أبو الحسن الأشعري؟ أرسول يجب الاقتداء به؟ أصحابي قد تعذر باتباعه؟ أرجل جعل حجته الكتاب والسنة! أم ما هو الأشعري ومن يكون؟

أجاب عن هذا السؤال العلامة المقبلي[١] في كتابه العلم الشامخ "أما الأشعري فأين أثره الصالح في الكتاب والسنة[٢] الذي انتفع به منتفع واهتدى به متبع إنما جاء منه هذه الأنظار الشائبة لهؤلاء الكهنة لما قدموه على نفوسهم وآثروه على فطرة الله التي فطر الناس عليها".

هذه الكتب الأشعرية[٣] تدرس الآن في الأزهر على أنها تمثل عقيدة أهل السنة والجماعة، على أنها هي التي يجب أن يمتلئ بها القلب لينجو صاحبه من نار الخلود)[٤].

ويقول ــ رحمه الله ــ: (ولقد بلغ من سطوة الأشعرية أنها بطشت بالأزهر نفسه وجثمت على صدره قرونا متطاولات، وحرمت على شيوخه أن يدرسوا لطلابهم عقيدة الإسلام كما هي في القرآن؛ بل أوجبت عليهم دراستها في كتبها الجدلية التافهة وما في هذه الكتب إلا أمشاج من عقائد شتى لها رحم ماسة بكل عقيدة إلا عقيدة القرآن.

كما أوجبت عليهم أن يؤكدوا للطلاب قداسة كل ما في هذه الكتب وقد كان الطالب يقضي عاما كاملا لا يدرس فيه غير جملتين من كتاب العقائد النسفية وهما: "حقائق الأشياء ثابتة والعلم بها متحقق".

---

(١) صَالح بن مهدي بن علي بن عبد الله بن سُلَيْمَان بن مُحَمَّد بن عبد الله ابْن سُلَيْمَان بن أسعــد ابن مَنْصُور المقبلي ثمَّ الصنعاني ثمَّ المكي، ولد فِي سنة ١٠٤٧هـ سبع وَأَرْبَعين وَألف فِي قَرْيَة الْمقبل ، له كتب منها : الْعلم الشامخ اعْترض فِيهِ على عُلَمَــاء الْكَلَام والصوفيــة وَمِنْهَا فِي الأصول نجاح الطَّالــب على مُخْتَصر ابْن الْحَاجِب جعله حَاشِيَة عَلَيْهِ ، وغيرها . البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (ج١، ص ٢٨٨).

(٢) يقصد الأشعري قبل التحول، أما بعده ليس للأشعري ــ رحمه الله ــ ذنب بإذن الله في فكر الاتباع بعد أن هداه الله وأبان هذا قبل موته.

(٣) الأشعرية : فرقة كلامية إسلامية، تنسب لأبي الحسن الأشعري الذي خرج على المعتزلة. وقد اتخذت الأشاعرة البراهين والدلائل العقلية والكلامية وسيلة في محاججة خصومها من المعتزلة والفلاسفة وغيرهم، لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية على طريقة ابن كلاب. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، (ج١، ص٤٨٣).

(٤) مجلة الهدي النبوي، مقالة لتتبعن سنن من كان قبلكم، العدد ١٢، تاريخ ١٣٦٧هـ، (ص٢٣) بتصرف.

فهل بمثل هذا كان يستطيع أبناؤنا مقاومة تيار الإلحاد الجارف، وفتن المذاهب المسعورة الخطايا والأحقاد؟!)[١].

ويجب أن نفصل بين الكتب المقررة في العقيدة وبين عقيدة علماء الأزهر، فإن من علمائه من يعتقد عقيدة السلف الصالح النقية من الشوائب وهم كثير ولله الحمد.

بل إن منهم من قدم خدمات جليلة للعقيدة الصحيحة في مصر وغيرها من البلاد الإسلامية وساعد على تعليمها وتوصيلها للناس وفق منهج السلف الصالح.

كما أنه يجب علينا أن لا نصف من يعتقد عقيدة الأشاعرة بالخروج عن الدين فقد كان من أهل العلم الذين تلقينا علمهم بالقبول لا يرفضون عقيدة الأشعري.

وواجب علينا رفـــض ما يقولونه في المسائل التي خالفـــوا فيها منهج السلف الصالح.

والشيخ / عبد الرحمن الوكيل ـــ رحمه الله ـــ كان يثني على علماء الأزهر الأجلاء المتبعين للكتاب والسنة ويدعو لهم بالتوفيق والسداد.

يقول ـــ رحمه الله ـــ: (هذا عهد أنصار السنة بأستاذهم الجليل ووالدهم العظيم فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ/ محمود شلتوت الرجل الذي ناصر السنة وكافح البدعة، وعاش ظهيراً للقرآن يكشف للمسلمين عن جلال الهدي وسموه في آياته، ويدعوهم إلى أن يجعلوه لهم إماماً.

لقد شهدته أستاذاً كبيراً في كليات الأزهر يروي القلوب الظماء بسلسبيل اليقين ورحيق الإيمان.

وشهدته وكيلا للأزهر مناضلاً في سبيل أن تحقق هذه الجامعة الإسلامية الكبرى رجاء المسلمين الأكبر فيها.

---

(١) الصفات الإلهية بين السلف والخلف، عبد الرحمن الوكيل، دار أم القرى للطباعة، القاهرة، (ص١٩).

وهأنذا أشهده شيخا للأزهر يعمل في قوة وإخلاص في سبيل أن يكون الأزهر منارة يشع نورها في الشرق والغرب؛ بل في سبيل أن تكون عقيدة التوحيد الخالصة ديناً قيماً لكل مسلم..)(١).

كما كان الوكيل رحمه الله تعالى يرد على أقوال وأفعال بعض المشايخ من علماء الأزهر المخالفة للكتاب والسنة موضحاً الخطأ فيها ناصحاً لهم وطالباً من الأزهر أن يصدر لمثل هؤلاء أمره الحازم وأن ذلك بالتزام الكتاب والسنة وبالكف عن الخرافات التي أفسدت عقائد الناس.

يقول ــ رحمه الله ــ: (فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر شاء الحكيم الخبير أن يبتليكم فوليتم هذا المنصب الخطير..

وإذا بالصحف تنشر أن أول ما استهللت به العمل لدين الله هو هرولة فضيلتكم إلى الأضرحة...

ألم تشهد عيناك يا فضيلة الشيخ في طريقك منكرا؟!

ألم تسمع أذناك من الطائفين حول القبور دعاء الشرك؟!

فيا رحمتي للإسلام هانت عزته على من يفهم ناس أنهم شيوخه؟!

وا لهفتي على الإسلام يتنكر له من سادوا باسمه الكريم!!

عذرا فضيلة الشيخ الأكبر؛ فالله منك أعلى وأكبر فا سمع في هدوء وأصغ في تدبر إلى صوت هذا الشاب الذي رشف العلم يوما من كأسك..

فلقد فهمت من كتاب ربي معنى قوله : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾(٢).

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة مع فضيلة الأستاذ الأكبر/ شيخ الجامع الأزهر، العدد ٦، تاريخ ١٣٧٩هـ (ص٩) بتصرف.

(٢) (سورة آل عمران: آية ١٠٤).

ووعيت معنى قوله جل شأنه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾[1].

وعن تميم الداري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة**، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: **لله وكتابه ورسوله وأئمة المؤمنين وعامتهم**"[2].

وهأنذا يا فضيلة الشيخ الأكبر أقدم بين يديكم نصحي مذكرا فضيلتكم بآيات الله البينة وبسنة الصادق الأمين مبينا حكم الله في تلك الزيارة الملهوفة للأضرحة.

إن هذه الزيارة للأضرحة ليست من دين الله، فلا يقرها كتاب ولا سنة ـــ ولم يفعلها صحابي ولا واحد من السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين)[3].

ورد أيضاً الوكيل ـــ رحمه الله ـــ على واعظ من كبار وعاظ الأزهر حين خطب بالناس مناديا أن محمد ﷺ كان رسول لكل رسول وكان موجودا قبل الوجود وكان نبياً في كل أمة وكان وكان... هذه الأساطير التي راح يفتريها ويحدث الناس بها ورد عليه بالكتاب والسنة موضحا أن هدفه خطير يهتف به وثنيو الصوفية وهو وحدة الأديان.

ثم قال الوكيل ـــ رحمه الله ـــ: (والآن نرفع إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر نرفع رجاءنا إليه أن يرد جماح هؤلاء.

إن هذا الواعظ يجب أن يعلن على ملإ من الأشهاد ضلته وخطأه يجب أن يؤاخذ بالحق حتى لا يعود إلى مثل مزاعمه الشركية وإن ثقتنا في أستاذنا الأكبر لتجعلنا نطمئن إلى أنه سيصدر لمثل هؤلاء أمره الحازم بأن يتحروا الحق فيما يعظون به الناس، ولا يتوفر

---

(١) (سورة آل عمران: آية ١٨٧).

(٢) رواه مسلم، باب بيان أن الدين النصيحة، حديث رقم ٥٥ (ج١، ص ٧٤).

(٣) مجلة الهدي النبوي، مقالة شيخ الأزهـر في زيارة الأضرحـة، عدد ١، تاريخ ١٣٧١هـ (ص ١٥) بتصرف.

لهم ذلك إلا بالتزام الكتاب والسنة والكف عن هذه الخرافات الصوفية والدسائس الباطنية التي أفسدت عقائد الناس وذهبت بالعناصر القوية من حياتهم)[١].

ثالثاً: آثار الامتداد البدعي متمثلا في الصوفية:

يضاف إلى العناصر السابقة المؤثرة في الحالة الدينية في مصر البدع التي كانت منتشرة في المجتمع المصري أصلا كالصوفية والمذهبية وبقية النحل الهدامة التي سبقت كل تلك العناصر.

(إن الذي يدرس تلك الفترة التي عاصرها الشيخ يجد أنها قد امتلأت بكثير من المخالفات الشرعية والأعمال الشركية والعبادات البدعية، وهذا لم يكن مقتصرا على مصر فقط بل كانت هذه السمة ظاهرة في أغلب العالم الإسلامي.

فقد ظهرت في مصر كثير من مظاهر الشرك والبدع والخرافات التي أدت بدورها إلى انحرافات عظيمة في أنواع التوحيد الثلاثة.

ولقد تجلت أهم مظاهر الشرك والبدع والخرافات في:

بناء المساجد والقباب والمشاهد على الأضرحة والقبور، وفي الاستغاثة والاستعانة بأصحابها ودعاؤهم من دون الله والذبح والنذر لهم، والاستشفاء وطلب البرء منهم.

وشرك أكبر من خلال ما يسمى بالمدائح النبوية.

والشرك بالأحياء والغلو فيهم.

وانتشار البدع انتشاراً ذريعاً مثل بدعة المولد وبدعة المحمل وغيرها)[٢].

وهذا الامتداد البدعي تمثل في الصوفية التي حملت لواء البدع على مختلف أشكالها وألوانها حتى وقتنا الحاضر.

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة إلى متى أيها الأزهر الشريف؟، عدد ٨، تاريخ ١٣٦٨هـ (ص ١٢) بتصرف.

(٢) جهود الشيخ محمد حامد الفقي في نشر الدعوة السلفية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة من جامعة أم القرى ، عام ١٤٢٤هـ، إعداد الطالب/ موفق عبد الله كدسة، (ص ٤٠) بتصرف.

مساهمة في إضعاف المد الإسلامي، ومشوشة على المنهج السلفي بشبه تنطلي على كثير من العوام؛ بل وحتى كثير من طلبة العلم والمشايخ.

فقد كان المنهج الصوفي طول أحقاب التاريخ هو المتقبل لكل سلطة في أغلب الأحوال.

على أن الملوك عرفوا أنهم لا يغفروا للعلماء جريمة قول الحق، إلا أنهم سلكوا مسلك الرفق مع الصوفية وسمحوا لهم بأداء واجبهم الديني ومزاولة نشاطهم الإسلامي.

فالصوفية لم تصادم السلطة لأن الصوفي يصرف الناس عن السلطان ولا ينازع السلطة أهلها.

وكان ممثلو السلطة في مصر سواء من المماليك أو رجال الإدارة العثمانية أميل إلى الطرق الصوفية وزعمائها.

كما أنها وقفت موقفاً عدائياً من الحركة السلفية وعلى هذا كان أكثر العلماء في العهد العثماني متصوفة.

(ولوحظ أن الكثير من القرى المصرية القديمة قد تغيرت أسماؤها في العصر العثماني وسميت بأسماء المشايخ أصحاب المقامات الموجودة بها)[1].

فانتشرت الصوفية في مصر بشكل كبير، حتى أن أحد الباحثين في علم الاجتماع الديني عندما أراد أن يدرس دور الدين في المجتمع المصري، ومكانة التوجيهات الدينية في أنشطة الإنسان اختار التنظيمات الصوفية.

(ويجيب هو نفسه بأن التنظيمات الصوفية تأخذ شكلاً هرمياً... وأن هناك سبعين تنظيماً صوفياً مسجلاً بطريقة رسمية في مصر، ولكل منها أتباع بالمراكز والقرى والمحافظات، وتصل تقديراتهم ما بين ثلاثة وخمسة ملايين نسمة، وهم عدد كبير يضم الراشدين من حيث السن...)[2].

---

(١) جماعة أنصار السنة، أحمد طاهر، (ص ٤٦).

(٢) مجلة منبر الإسلام، مقالة دكتوراه في الطرق الصوفية، محمد خليفة، عدد ١١، ذو القعدة، ١٤٠٩هـ (ص٦٥) بتصرف.

وكتب الوكيل ــ رحمه الله ــ مقالة تحدث فيها أن رئيس الحكومة أطاح ببدعة المحمل عندما أفتاه الشيوخ الكبار أن المحمل بدعة.

فجاء شيخ مشايخ الطرق الصوفية وأعضاء مجلسه للرئيس محتجين متوعدين.

وقال الوكيل ــ رحمه الله ــ: (ولقد شاء الله سبحانه أن ينطق الحق من حقيقة هؤلاء على ألسنتهم، فاحتجوا باسم ثمانية ملايين صوفي!! وكان الناس يظنون أنهم يحتجون باسم ثمانية ملايين مسلم!! ولكنهم رغبوا من هذا الاسم الذي رضيه الله وسمانا به..)[1].

فالشيخ ــ رحمه الله ــ يذكر أن عدد الصوفية في مصر ثمانية ملايين مسلم، وهذا عدد كبير يدل بقوة على انتشار الصوفية.

وأصبح المتصوفة شريحة كبيرة من المسلمين في مصر وانتشرت في المجتمع المصري البدع ومحدثات الأمور، وأصبحت الطرق الصوفية رمزا للخرافة والأوهام والشعوذة وتشويه الدين.

وارتكب الناس أفعالاً لا تمت إلى دين الإسلام بصلة يظن الجهال منهم أنها تقربهم إلى الله في حين أنها أوقعتهم في الشرك بالله.

فاعتقدوا في مشايخ الطرق وأصحاب المقامات والأضرحة أنهم يكشفون الكربات فأخذوا يطلبون منهم كشف الضر فقدموا لهم القرابين والنذور وطافوا حول أضرحتهم وذبحوا لهم وحلفوا بهم ولا حول ولا قوة إلا بالله كيف تعود أفعال الجاهلية الأولى بعد أن عرف الناس توحيد الله تعالى.

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة ثمانية ملايين، ماذا ؟!، العدد ١، تاريخ ١٣٧٢هـ (ص ٨).

وأصبح أكثر المتصوفة أحد رجلين:

(إما رجلاً من غلاة المتصوفة يقول بوحدة الوجود والاتحاد متبعا في ذلك مشايخ المتصوفة كابن عربي(١) وابن الفارض(٢) وابن سبعين(٣) والحلاج(٤) وغيرهم.

وإما رجــلاً مغالياً في مشايخ الطرق يعتقد أنهم يستجيبون الدعوات ويكشفون الكربات متمسحا بأضرحتهم طائفاً حول قبورهم وغير ذلك)(٥).

فلقيت هذه الحالات الشاذة صدى من مجتمع مستعد للخروج من أزمته الاجتماعية والعسكرية بالاندفاع وراء أمثال هؤلاء الدجالين.

ظهور الحركة الإصلاحية في مصر وتأثرها بدعوة الشيخ / محمد بن عبد الوهاب(٦) ـ رحمه الله ـ.

مما سبق يتضح أن مصر كانت ولوقت طويل في عصر فوضى سياسية تعاقبت فيه أنواع مختلفة عن الحكم، وجميعها أميل إلى الطرق الصوفية، وأن المجتمع كان مستعد للخروج من أزماته بالاندفاع وراء المبتدعات والتحريفات، خاصة وأن التفكير في الأزهر قد تجمد عند كتب الفقه التي وضعت في عصور متأخرة وقل الرجوع إلى الكتاب والسنة الاستنباط الأحكام.

---

(١) ستأتي ترجمته في باب الردود.

(٢) السابق.

(٣) السابق.

(٤) السابق.

(٥) جماعة أنصار السنة، أحمد طاهر، (ص ٦٦).

(٦) محمد بن عبد الوهاب هو: الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي النجدي الحنبلي، ولد في العيينة سنة ١١١٥هـ، ونشأ بها، وحفظ القرآن قبل العاشرة من عمره، ودرس على والده، ثم حج وأخذ عن بعض علماء الحرم الشريف، ثم زار المدينة، وأخذ عن بعض علمائها، ثم رجع إلى نجد وقصد البصرة، وأخذ عن بعض علمائها، ثم رجع إلى الأحساء وأخذ عن بعض علمائها، ثم رجع إلى نجد، ودعا إلى التوحيد الخالص فنفع الله به العباد، وأنقذهم به من الشرك. توفي ـ رحمه الله ـ سنة١٢٠٦هـ انظر: تاريخ نجد: حسين بن غنام، حرره وحققه: د. ناصر الدين الأسد، مطابع الشرق الأوسط، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ (ج١، ص٧٥).

فقوي نفوذ الصوفية التي نشرت البدع والشركيات في تقديس الأولياء وخرافاقم في كل أقاليم مصر، حتى علماء الأزهر التحق معظمهم بالطرق الصوفية.

(ولذلك لا يبدو غريبا أن تظهـــر في مصر حركات تدعـــو إلى إحياء الإسلام كما كان في عهوده الأولى وتطهيره من الشوائب الكثيرة.

ولم يكن المناخ الفكري في مصر ملائماً لتقبل الأفكار الإصلاحية وذلك لقوة نفوذ الطرق الصوفية وما أشاعته من عادات تقديس الأولياء وإقامة الموالد لهذه الشخصيات والتي كانت مناسبة لاحتفالات شعبية تستهوي القلوب كما كانت مجالاً لنشاط تجاري واسع)[١].

وفي كل عصر كان يظهـــر رجال من أهـــل الإصلاح يستنكـــرون ما جد على الإسلام من بدع وضلالات تفسد العقيدة.

فكانت الدعوة إلى التوحيد وإزالة ما علق بتعاليم الإسلام من خرافات وتحرير الفكر وفتح باب الاجتهاد، ونشر العلم والعودة إلى كتب الأصول وإظهار ما بها من مبادئ الإسلام الصحيحة.

(وهنا لا بد من الإشارة إلى أن مبادئ الدعوة السلفية وفكرها كان يجدان منذ مطلع القرن التاسع عشر تعاطفا وإعجابا من العلماء المصريين؛ فنجد أن عبد الرحمن الجبرتي المؤرخ المصري المعاصر لانتشار مبادئ الدعوة يبدي إعجابه بها ويدافع عنها وكذلك فعل بعض علماء الأزهر...)[٢].

وحركة الإصلاح في مصر قد كان لها أسلوبها الخاص إلا أنها لم تخل من روح الدعوة السلفية. وأصبح الدفاع عن الدعوة وأتباعها هو التيار الغالب في الحياة الفكرية المصرية بين مؤيد ومعارض. وامتد الجدل الفكري حول الدعوة السلفية إلى جميع أنحاء البلاد واستعمل العنف في بعض المواقف.

---

(١) رؤية عبد الرحمن الجبرتي للحركة السلفية في مصر، نازك أحمد، (ص ٥٨) بتصرف.

(٢) مجلة الدارة، مقالة تأثر حركة الإصلاح الديـــني والاجتماعي في مصر بدعوة الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب السلفية، د . عبد الرحمن بن عبد الرحمن، العدد الثاني، ١٤٠٢هـــ/١٩٨١، (ص ١٠٤).

(ويكفي دليلا على احتدام النزاع بين أتباع الدعوة وخصومهم أن حركة التأليف في الموضوعات التي تتناول مبادئ الدعوة قد نشطت نشاطا لم يسبق له مثيل من كلا الجانبين، كما أن القاهرة شهدت حركة نشطة في طبع مؤلفات الشيخ / محمد ابن عبد الوهاب وأبنائه.

واستمر النشاط في طبع هذه المؤلفات حيث تبنت جماعة أنصار السنة المحمدية إخراج هذه المطبوعات ونشرها على الناس إيمانا منها بأهمية نشر هذه المؤلفات في إفادة الناس في أمور دينهم)[١].

وكانت جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر من أبرز الدعوات في العصر الحديث التي تأثرت بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وسارت على نهجه في بث العقيدة السلفية ونشر كتب عقيدة السلف الصالح ومحاربة البدعة وإحياء السنة.

(وثمة صور أخرى لتأثير الدعوة السلفية التي اضطلع بها الشيخ/ محمد ابن عبد الوهاب في الجماعات الإسلامية المعاصرة أولى هذه الصور قيام جمعيات أنصار السنة بوجه خاص والجمعيات السلفية بوجه عام في اتحاد العالم الإسلامي)[٢].

وانضمام الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ لجماعة أنصار السنة المحمدية كان أول الطريق الذي قرر أن يسلكه في نشر العقيدة السلفية ومحاربة الشرك والبدع.

يقول الوكيل ــ رحمه الله ــ: في رفض إطلاق اسم الوهابية على جماعة أنصار السنة وعلى من اتبع منهج الشيخ / محمد عبد الوهاب مظهرا إعجابه وتقديره للشيخ ومثبتاً أن الجماعة على نهج دعوته السلفية.

(من أجل الأئمة الذين من الله بهم على المسلمين الشيخ الجليل / (محمد ابن عبد الوهاب) إذ قام هذا الشيخ يدعو ربه على بصيرة تستلهم الحق من الكتاب والسنة، حتى كتب الله له النصر والغلب وأحنق هذا النصر طواغيت الشرك زعموا أن

---

(١) مجلة الدارة، العدد السابق (ص ١١٢).

(٢) جماعة أنصار السنة، أحمد الطاهر، (ص ٧٤).

شيخ الإسلام يريد أن يصنع مذهباً خامساً هو " الوهابية" وسموا كل من آمن بما ذكره الشيخ من الكتاب والسنة "وهابيا".

ويشهد الله أن شيخ الإسلام وإخوانه يبرأون من هذه الفرية براءة التوحيد من الشرك فما دعا الناس يوما إلى نفسه ولا إلى مذهب جديد ولكن دعاهم إلى الله ورسوله)[١].

ومن هنا انبرى الشيخ مدافعاً عن جوانب العقيدة بوصفها تمثل ركن وأساس المبنى الإسلامي، وسخر قلمه للدفاع عن المعاني العقدية الإسلامية السامية، وعن أئمة السلف الذين أوصلوا هذا الدين لنا نقياً خالصاً من الشوائب بريئا من البدع ناصعا كاللبن الخالص على الفطرة السليمة.

يقول الوكيل ــ رحمه الله ــ: (سنظل ــ بعون الله ــ نلهب بسياط الحق ظهور الآبقين ونهدم بمعاوله ــ غير هيابة ولا واهنة ــ معابد الأصنام حتى تخر على سدنتها وعبيدها. ولن يحول بيننا ــ بتوفيق الله ــ والتذكير بما هدى الله إليه؛ فما لقلب المؤمن أن يرهب في الحق إلا من فطره ولا يرغب إلا في رضاه : ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾[٢])[٣].

ولقد وفي ــ رحمه الله ــ بذلك وظل طيلة حياته محاربا للبدع والضلالات ومدافعا عن العقيدة الإسلامية.

واجتهد ــ رحمه الله ــ في كتابة المقالات والرسائل، وتأليف الكتب وإقامة الندوات والمحاضرات والدروس العلمية من أجل إيضاح الحق كما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وبيان باطل من خالفها مشدداً في ذلك على أهل التصوف حتى كان العدو الأول لهم والمعول القوي الهادم لضلالاتهم وخرافاتهم وجهد الشيخ في محاربة

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة لا ندعى وهابيين، العدد ٢، تاريخ ١٣٧٦هـ (ص ٧٦) بتصرف.

(٢) (سورة التوبة: آية ١٢٩).

(٣) عبد الرحمن الوكيل وقضايا التصوف، فتحي عثمان، (ص ٩) بتصرف.

الصوفية كبير يعرفه كل من عاصره من أهل العلم خاصة سفره العظيم "هذه هي الصوفية" الذي أفحم فيه أهل الباطل وأسكتهم. وأيضاً مقالاته في مجلة الهدي النبوي ومناظراته لمشايخ وعلماء الصوفية كل جهده هذا سأذكره مفصلا في المبحث الخاص بمؤلفاته وآثاره العلمية.

ومن أمثلة كتاباتـــه في بعض البدع التي كانت سائدة في عصره ما كتبه عن بدعة المولد.

يقول رحمه الله: (عجباً لهذه الأمة!! من ذا الذي زعم لهم أن الاحتفال بمولد الرسول سنة حسنة؟! إني لأسائل هؤلاء العباد بالبدعة وللبدعة: إما أن يكون الاحتفال بالمولد بدعة أو غير بدعة، أو بمعنى آخر: من الدين أو ليس من الدين.

هم لا يقولون بأنه بدعة ولا أنه ليس من الدين؛ فلم يبقى إلا قولهم إن الاحتفال بمولد الرسول في أية صورة من الدين أو ليس ببدعة.

ونحن لو قلنـــا بهذا رمينا أصحاب محمد بالقصور وبالتقصير ولو قلنا إن الاحتفال بمولد الرسول دين أو سنة حسنة رمينا القرآن بالقصور، فهو لم يبين لنا ذلك والله يقول:

﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٣﴾[1].

ورمينا الرسول إما بالقصـــور وإما بإخفاء ما أمر بإبلاغـــه لأن السنة لم تأمرنا بالاحتفال بمولده)[2].

ثم أوضح ــ رحمه الله ــ كل ما في احتفالات المولد من مظاهر البدع والشرك.

---

(١) (سورة المائدة: آية ٣).

(٢) مجلة الهدي النبوي ن مقالة بدعة المولد ومظاهرها الوثنية، العدد ٣، تاريخ ١٣٧٠هـــ، (ص٤١) بتصرف.

ثم يقول: (وتأبى الحكومات المتعاقبة[١] إلا أن تعين على آثام هذه البدعة النكراء وتصلح من سلطان الوثنية)[٢].

ثم يختتم مقالته بقوله:

(ترى هل نجد من حكومتنا عونا، ومن علمائنا شد أزر ومن المتعلمين فهما ومن المقلدين فراراً من التقليد الأعمى وتصديقا للحق ليس الاحتفال وحده بدعة فهناك مئات البدع الوثني عقول المسلمين واعتقادهم.

وقد استعرضنا فيما كتبناه مظاهر الاحتفالات بالمولد وكلها أمشاج من الإثم والوثنية الأولى ودللنا على أن الاحتفال بالمولد نفسه بدعة سيئة ممقوتة وكل بدعة ضلالة)[٣].

كما كتب ـــ رحمه الله ـــ مقالة ناقش فيها بعض العلماء الذين يقولون إن الاحتفال بالمحمل بدعة حسنة.

يقول ـــ رحمه الله ـــ: (وقبل المناقشة نذكره بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾[٤].

وقول رسول الله ﷺ: "تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة رسوله"[٥].

وقوله: "وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة"[٦].

---

(١) كتب الشيخ في الهامش: وكل الحكومات غرقت حتى أذنيها في تلك الضلالة الوثنية فما برئت من داء ذلك إلا الحكومة العربية السعودية.

(٢) مجلة الهدي النبوي، مقالة بدعة المولد ومظاهرها الوثنية، العدد ٣، تاريخ ١٣٧٠هـ (ص ٤٥).

(٣) مجلة الهدي النبوي، العدد السابق (ص ٤٧).

(٤) (سورة النور: آية ٥١).

(٥) رواه مالك في الموطأ، باب النهي عن القول بالقدر، رقم ١٥٩٤ (ج٢، ص٨٩٩).

(٦) رواه أبو داود في حديث طويل، كتاب السنة ، باب في لزوم السنة، حديث رقم ٤٦٠٧ (ج٤، ص٢٠٠).

وقوله: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"[١].

وأذكره بوعيد الرسول ووعده: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة فإن عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا"[٢].

من تلك الآية القدسية وهذه الأحاديث المشرقة نؤمن أن الدين أمر الله وأنه اتباع لنصه فيما دق وجل صغر أو كبر مع الدقة والتحري في الاتباع فليس الدين إذن ابتداعاً أو رجماً بالظنون أو إفتاء بالهوى.

الدين ليس رأيا ترتئيه، بل هو أمر تقف عنده وتحتذيه، الدين طاعة واقتداء برسول رب الأرض والسماء. ولو وكل الدين إلى الرأي والهوى والعاطفة لما كان ديناً بل فرقاً تمزقه البشرية، وضلالاً تهيم في متاهاته الإنسانية وخلافا ونزاعا وشقاقا يجعل الآدمية المتآخية المتآلفة شيعا متجافية وأحزاباً متنابذة)[٣].

ثم يرد على دعواهم أنه بدعة حسنة بالتفصيل والحجة ويختم ـ رحمه الله ـ ذلك بقوله:

(أقول من ذا الذي حد لنا الحدود الشرعية؟ من ذا الذي يفصل لنا في الحكم بين سنة وبدعة؟! من ذا الذي بين الحلال من الحرام والحق من الباطل والتوحيد من الشرك؟

إنه الله رب العالمين فكيف نحكم بأن الاحتفال بالمحمل سنة حسنة؟!)[٤].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على جور فالصلح مردود، حديث رقم ٢٥٥٠(ج٢، ص٩٥٩). ومسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، حديث رقم ١٧١٨ (ج٣، ص١٣٤٣).

(٢) رواه مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، حديث رقم ٢٤٧٤ (ج٤، ص٢٠٦٠).

(٣) مجلة الهدي النبوي، مقالة بدعة المحمل مظهر من مظاهر الوثنية، العدد ١، تاريخ ١٣٧٠هـ (ص ٤٣).

(٤) مجلة الهدي النبوي، المقال السابق، (ص ٤٨).

كما أنه كتب ــ رحمه الله ــ عن مولد البدوي[١] وما يحدث فيه من أمور شركية ثم قال: (أفتنتظرون من قوم يعبدون الموتى ويستعبدهم كهان الصوفية أن يتجاوبوا مع العهد الجديد، عهد الحرية الكاملة والإخاء العطوف، والمساواة العادلة؟ أتنتظرون منهم هذا ونحن نقيم لهم في كل شهر مولدا يعبدون فيه الشيطان.

ويقدمون القرابين له وهي الكفر بالله ونتركهم في هذه الموالد للكهان يسلبونهم أعز ما يملك المرء في دنياه وهو الإيمان بالله رب العالمين..)[٢].

وفي الختام يدعو رئيس الجمهورية بالأخذ على يد أهل البدع يقول ــ رحمه الله ــ:

(وأنت يا بطل الثورة المجيدة: لقد اعتزمت إلغاء ما كان الوثنيون يسمونه بمولد الرسول صلوات الله وسلامه عليه فلم لا تأتي على هذه البدع التي تفتك بعقائد المسلمين وأخلاقهم؟!

هنا يجب أن تتوجهوا بالتطهير بل بالتدمير تدمير الأصنام وتدمير الطواغيت، وأخذ عابديها بأمر الله وحكمه.

وثق يا بطل الثورة أنك بقضائك على هذه البدع الوثنية تستلهم الله رضاه وتستنزل عليه في جهادك عونه ونصره فو الله لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وأنتم أيها العلماء لا عذر لكم بعد اليوم.

لا تهابوا ولا ترهبوا كما هبتم الطاغية فحللتم له الحرام قولوا لهذا البطل ما يحب الله أن يقال.

---

(١) ستأتي ترجمته في الباب الثالث.

(٢) مجلة الهدي النبوي ، مقالة مولد العطاب، العدد ٢، تاريخ ١٣٧٢هـ (ص ١٢).

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[1][2].

هذه بعض البدع التي خصها الشيخ بالرد لتأثيرها على الناس وكثرة المخدوعين بها ولانتشارها في العالم الإسلامي عامة وفي مصر خاصة وغيرها كثير جعل الله ذلك في موازين حسناته.

تلك هي أهم عناصر الحالة الدينية في عصر الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ، وذلك هو تأثيرها في بناء شخصيته ــ رحمه الله ــ.

وأما جهوده في محاولة تغيير هذه الحالة بحسب استطاعته فسوف أعرض له إن شاء الله تعالى في البابين الثاني والثالث من هذه الرسالة.

(١) (سورة فُصِّلَت: آية ٣٣).

(٢) الهدي النبوي، مقالة مولد العطاب، عدد ٢ ، تاريخ ١٣٧٢هـ (ص١٢) بتصرف.

الفَصْلُ الثَّانِي

حياته الشخصية

ويشمل أربعة مباحث:

المبحث الأول: اسمه ومولده ونشأته.

المبحث الثاني: اعتناقه مذهب السلف.

المبحث الثالث: صفاته الخلقية.

المبحث الرابع: وفاته ورثاؤه.

المبحث الأول

اسمه ومولده ونشأته [(١)]

اسمه:

اسمه بالكامل عبد الرحمن بن عبد الوهاب الوكيل، كنيته أبو ياسر، ولقبه قراء مجلة الهدي النبوي بهادم الطواغيت نسبة إلى مقالاته طواغيت.

مولده:

ولد الشيخ / عبد الرحمن الوكيل في قرية زاوية البقلي، مركز الشهداء، منوفية في عام ١٣٣٢هـ الموافق ١٩١٣/٦/٢٣م.

نشأته:

نشأ الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ نشأة تعليمية دينية، فقد كان أبناء القرى يهتمون بتعليم أبنائهم القرآن الكريم في الكتاتيب.

ثم كان من فضل الله عليه أن (كان والده الشيخ / عبد الوهاب الوكيل من حملة كتاب الله، وشيخ البلد في زاوية البقلي، وقد حفظ ابنه الصبي عبد الرحمن "الموطأ" بجانب القرآن العظيم، وكان هذا من شروط الالتحاق بالمعهد الأحمدي التابع للأزهر بطنطا)[(٢)].

---

(١) جماعة أنصار السنة، دار أم القرى للطباعة، القاهرة، (ص ٣٢).

هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل، اعتنى به وعلق عليه: رامي إبراهيم السيد، دار الإيمان، الإسكندرية، (ص ٤٢).

البهائية تاريخها وعقيدها، عبد الرحمن الوكيل، راجعه وضبطه: أحمد حمدي إمام، مطبعة المدني، ط ٢، (ص: ي) من المقدمة.

جماعة أنصار السنة، أحمد طاهر، مطبعة جماعة أنصار السنة، ط ١، ٢٠٠٦، (ص ١٨٤).

(٢) البهائية، عبد الرحمن الوكيل، تصدير الكتاب، بقلم: أحمد إمام (ص: ي).

ثم بعد أن تم حفظ كتاب الله تعالى تابع تعليمه الديني في معهد طنطا.

ماتت والدة الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ وهو ابن عشر سنين، وقد أثر فيه ذلك كثيراً، وكتب ــ رحمه الله ــ أبياتاً كثيرة يرثي فيها أمه منها:

تهدمت من واقع الحوادث يا أمي   وفقدك عند القلب شر من اليتم

أأماه يا لي من طريد معذب   تمزقه الأحداث بعدك يا أمي

فقدت التي كانت قواي وهمتي   ولم يبق لي منها سوى الطيف في الحلم[1]

ونشأة الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ في بيت يهتم بأمور الدين والعلم أكسبه بعد فضل الله تعالى في سن مبكرة تعلم أمور دينه، واستمراره طيلة حياته محباً للعلم باحثاً عن الحق حتى فتح الله عليه بسلوك طريق السلف فكان الداعية السلفي المحب لكتاب الله تعالى وسنة رسوله محمد ﷺ المحارب لأهل الزيغ والضلال.

فقد كان لهذه النشأة الطيبة الفضل بعد الله في ظهور شخصية الداعية والكاتب عبد الرحمن الوكيل.

---

(١) ديوان الوحي الحزين، عبد الرحمن الوكيل، مطبعة النهضة الإسكندرية (ص ٣٨).

المبحث الثاني

اعتناقه مذهب السلف

نشأ الشيخ/ الوكيل رحمه الله في قرية كان أغلب مشايخها على طريق الصوفية.

ثم تلقى تعليمه الأول في معهد طنطا (وقد كان جوها متصوفاً وكان بها "البدوي" الذي يفد إليه عباد القبور والجهلة من كل حدب وصوب رجاء البركة وكشف الكروب وغير ذلك)[١].

فعايش أهل التصوف مما جعله يتأثر بهم ويشاركهم عباداتهم المبتدعة وأفعالهم من الطواف حول الأضرحة والتضرع عندها يقول ــ رحمه الله ــ: (وتعال معي أذكرك بأنني كنت أطوف حول صنم البدوي حتى إذا مثلت أمام الكوة الصغيرة في وثنه النحاسي البراق، أنفذت فيها يدي في رعشة التقديس حتى ألمس ستر القبر، ثم أبسط يدي في جيبي ثم أمسح بها وجهي، رجاء أن أكون ميسر الرزق...)[٢].

كما يذكر ــ رحمه الله ــ أنه طاف حول ضريح عبد العال المجاور لضريح البدوي خاشع الطرف مصدقاً خرافة شيخه في معهد طنطا عندما أقسم لهم أن بهذا القبر شعرة رسول الله ﷺ.

ويصف ــ رحمه الله ــ كيف كان يهب طلبة المعهد عند توزيع أسئلة الاختبار بالدعاء يا سيد وكيف كانوا يطيلون النداء ويرفعون أصواتهم لتصل ضراعاتهم إلى حيث جثمت على الأرض جيفة من دعوه.

ويذكر ــ رحمه الله ــ كيف كان يموج الجامع الأحمدي الكبير بأعداد هائلة من النساء والرجال والأطفال وردوا إلى هذا الصنم من كل فج عميق.

---

(١) جماعة أنصار السنة، أحمد الطاهر، (ص١٨٨).

(٢) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل، (ص ٥٠) بتصرف.

ويقول ــ رحمه الله ــ (ولا تسأم من ذكرياتي فإنها عبرة ضحية وعظة مأساة)[١].

وبهذا يكون التحاق الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ بالمعهد الديني بطنطا جعله يعيش تسع سنوات في أحضان جماعات من الصوفية والموالدية ويتأثر بهم حتى حصل على الشهادة الأزهرية منه ثم شاءت ــ رحمة الله ــ تعالى له أن يلتحق بكلية أصول الدين بالأزهر ووقعت يده على كتاب بعنوان (رأي ابن تيمية في ابن عربي) ورغم تحذير بعض شيوخه له من قراءة مثل هذه الكتب إلا أن الشيخ/ الوكيل قــرأه وفي ذلك دليل علــى أنه ــ رحمه الله ــ لم يكن على يقين من صحة الفكر الصوفي، وأنه كان يساوره الشك وتخالجه الريبة والظنون، وهذا يرجع بعد فضل الله تعالى لكونه من أسرة متدينة وعلى الفطــرة مما جعله لم يكن مطمئناً للفكر الصوفي رغم بقائه هذا الوقت بينهم في سن حرجة وفي مرحلة تعليمية مهمة.

وبعد قراءة هذا الكتاب سكن قلبه لرأي ابن تيمية[٢] ــ رحمه الله ــ واطمأن إليه فكان أن فتح الله عليه وأكرمه فاعتنق مذهب السلف.

(نشأ الشيخ / عبد الرحمن الوكيل وتلقى تعليمه الأول في أحضان المتصوفة رغم ما كان يساوره من شــك ويخالجه من ريب في صحة هذا الفكــر، استمر على تلك الحال إلى أن التحق بكلية أصول الدين شعبة التوحيد والفلسفة، وقد وقعت يده على كتاب بعنوان (رأي ابن تيمية في ابن عربي) جعله يسكن إلى ابن تيمية وقد كان يرهب مطالعتها لتحذير بعض شيوخه له من قراءتها وقد كان بمثابة نقطة تحول له إلى منهج السلف)[٣].

---

(١) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل، مرجع سابق (ص٥٠).

(٢) ابن تيمية هو: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام المشهور بابن تيمية ، شيخ الإسلام ، والإمام العلم المشهور .

من مؤلفاته: كتاب " تعارض العقل والنقل " ، و " منهاج السنة " ، و" النبوات "، توفي سنة ٧٢٨هـ .

ذيل طبقت الحنابلة لابن رجب (ج٢، ص ٣٨٧) ، وشذرات الذهب (ج٦، ص٨٠) .

(٣) جماعة أنصار السنة المحمدية، أحمد الطاهر، (ص ١٨٥).

ثم تعرف الشيخ / الوكيل على الشيخ / حامد الفقي[١] ــ رحمه الله ــ، والتحق بجماعة أنصار السنة المحمدية.

وبذلك يكون ــ رحمه الله ــ قد محا عن نفسه آثار التصوف جميعها واعتنق مذهب السلف الحق وتعرف على عقيدة التوحيد الخالصة (عرف رحمه الله عقيدة التوحيد الخالصة من اطلاعه الواسع على كتب ابن تيمية وابن القيم[٢]، ومحمد بن عبد الوهاب وغيرهم، من دعاة السلفية القدامى، وغدا من دعاتها الغيورين ومن روادها المتحمسين)[٣].

ثم درس كتب التصوف قديمها وحديثها فعرف عقائدهم وأفكارهم واتجاهاتهم وأصبح يكتب ضد الصوفية ويظهر للناس مخازي الصوفية والموالدية.

يقول ــ رحمه الله ــ عن حاله مع التصوف: (هذا رجاء شاب مسلم أغوى صباه الغرير سحر الصوفية فجرعته زعافها يحسبه خمر الجنة تدهق كؤوسها الملائكة وغسلينها يخاله رحيقاً ترويه به الحور النواعم، ثم أشرقت على روحه المظلم أشعة الهدى من كتاب

---

(١) محمد حامد الفقي (١٣٠٩ ــ ١٣٧٨هـ) (١٨٩٠ ــ ١٩٥٩م). من علماء الدين ولد في نكلي العنب إحدى قرى مديرية البحيرة بمصر، فحفظ القرآن الكريم، ثم التحق بالأزهر، ونال شهادة العالية، وأسس جماعة أنصار السنة المحمدية له مؤلفات عديدة . معجم المؤلفين تأليف: عمر بن رضا بن محمد راغب ابن عبد الغني كحالة الدمشقي (المتوفى: ١٤٠٨هـ) مكتبة المثنى ، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت (ج٩، ص١٧٢).

(٢) ابن القيم هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي، شمس الدين، أبو عبد الله، الشهير بابن قيم الجوزية، ولد بدمشق سنة٦٩١هـ، وأخذ عن: شيخ الإسلام ابن تيمية، وهذب كتبه، ونشر علمه، وعن: صفي الدين الهندي وابن أبي الفتح: وبرع في المذهب، وتفنن في علوم الإسلام و كان ذا عبادة، وتهجد، وطول صلاة، ولهج بالذكر، وتوفي بدمشق ثالث عشر رجب في سنة ٧٥١هـ، من تصانيفة: "إعلام الموقعين"، و"زاد المعاد"، و"مدارج السالكين"، وغيرها. ينظر:، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، الحافظ شهاب الدين أحمد ابن علي العسقلاني ، ت: عبد المعيد ضان ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م ، حيدر آباد (ج٣/ص٢٤٣).

(٣) مجلة الهدي النبوي، عدد ذو الحجة ١٣٩٧هـ، شخصيات مجددة، سعد صادق، (ص٢٣).

الله فنظر فماذا رأى؟ رأى ماضيه الصوفي شيطان كفر مارد يغتال إيمانه، وشرك يعصف بالرمق الشاحب من توحيده فيا حر قلباه)[١].

فكان لإغواء الصوفية له في شبابه واغتيالها لإيمانه وإيقاعه في الشرك الأثر الكبير في تسخير قلمه ولسانه وعلمه وفكره في خدمة توحيد الله الحق وإعلائه وفي القضاء على الشرك وإفحام باطله.

فكان في رجوعه ــ رحمه الله ــ عن التصوف واعتناق مذهب السلف الخير الكثير له أولاً ثم لأبناء الإسلام في كل مكان فجزاه الله خير الجزاء على حرصه في تنبيه إخوانه المسلمين من أن يقعوا في شر قد وقع فيه وتجرع حرارة الألم والحسرة منه.

يقول ــ رحمه الله ــ: (ثم هداني الله سواء سبيله وسلكت بي رعايته مسلك التوحيد والإيمان فماذا حدث بعد؟! تطلعت نفسي إلى الماضي الوثني، وهي تهب حسرة حزينة المأساة، وحميل وأفراح معطرة ــ تطلع الناجي من السعير ما زالت في أتونه[٢] المتأجج ضحايا تعسة منكودة جنت عليه الصوفية ما جنت علي..

تطلعت إلى الريف الوديع تجعل منه الصوفية فساد عقيدة، وضلالة فكر، وذلة ومهانة في الأخلاق.

وتطلعت إلى المدينة يعبث في أرجائها الصوفية، فتحيل أهلها ــ حتى الكثير من المثقفين منهم ــ عبيد قبور.

تطلعت إلى هؤلاء وأولئك، وذكرت ما كابدته، فصرخت موجعاً من هول الفاجعة أحاول إنقاذ الضحايا التعسة)[٣].

---

(١) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل ، مرجع سابق (ص ٦٠).

(٢) الأتون : الموقد. تاج العروس (ج٣٤، ص١٥٥).

(٣) هذه هي الصوفية، مرجع سابق (ص ٥٣) بتصرف.

المبحث الثالث
صفاته الخلقية

إن الحديث عن الصفات الخلقية لعلمائنا ودعاتنا المتبعين لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ليسعد قلب كل مسلم حيث يراهم على الصفات الخلقية الحسنة، ويلمس فيهم الاقتداء بمن سبقهم من علماء السلف الأوائل، ويلحظ تمثلهم للصفات التي أحبها الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ.

وأقول ذلك في مقدمة هذا المبحث لأني سعدت كثيراً عندما سمعت الثناء على أخلاق الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ من الرجال الذين عرفوه في بلاده مصر.

وقرأت ما كتبه العلماء في الثناء عليه ليس فقط في ميادين العلم والمعرفة، ولكن أيضاً فيما أكرمه الله تعالى من صفات أخلاقية حسنة.

ولأني أيضا عندما وصلت بيته ــ رحمه الله ــ، وجلست مع ابنته الكبرى وحفيدته وزوجة ابنه ياسر رحمه الله رأيت الحشمة والوقار وحسن التأدب والأخلاق مما جعلني أشعر بأن الله أكرم أسرته به ــ رحمه الله ــ حيث وجدتهم ــ وأحسبهم كذلك ــ على التزام وخير.

وحدثتني ابنته الكبرى كيف كان الوكيل حريصاً على تمسكهم بما أوجب الله تعالى عليهم والتزامهم بالحجاب الشرعي وأنه حماهم بعد الله من الأمور الشركية والبدعية.

وأخبرتني ابنته أنه كان زوجاً محباً رحيماً لأهله وأب عطوف حكيم في التعامل مع أبنائه.

وكان من ثمار تربيته أن كان ابنه ياسر ــ رحمه الله ــ من العاملين في نشر عقيدة التوحيد والمدافعين عنها فقد كان ــ رحمه الله ــ أحد دعاة جماعة أنصار السنة المحمدية.

فهذه من أولى صفات الشيخ الخلقية وأهمها وهي أن ابتدأ بأهله وعلم أبناءه وأنشأهم على ما يحب الله تعالى ورسوله ﷺ.

ومن أهم الصفات التي وصف بها الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ أنه كان جم التواضع كثير الحياء عفيف اللسان حسن المجلس حلو الحديث طلق المحيا حكيماً في

الردود والفتاوى، مبتعداً عن مجـــال الخلافات التي لا تفيـــد حقائق الدعوة الإسلامية ولا تقدح في العقيدة.

وقد أتاه الله ملكة التوفيق والإصلاح، وتقريب وجهات النظر، والشجاعة في قول الحق ولا تأخذه في الله لومة لائم، والعدل والإنصاف حتى مع خصومه.

قال الشيخ / سيد رزق الطويل ــ رحمه الله ــ في مقدمة كتاب الوكيل "دعوة الحق": (عرفت الشيخ / عبد الرحمن ونحن نطلب العلم في الأزهر في المرحلة الثانوية فكان محبباً إلينا إذ تميز من بين إخوانه بأنه موطأ الأكناف، يألف ويؤلف، لقد كان في أخلاقه نسيج وحده، سمو في الخلق، وعفة في اللسان، طلق المحيا، منبسط الأسارير)[١].

وقال الأستاذ / سعد صادق[٢] أحد تلاميذ الشيخ في مقال كتبه عن الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ: (وكانت علاقته بالناس تتسم بالأدب والتواضع؛ إذ اشتهر بابتسامته المرحة، ودعابته البريئة، وحكمته في ردوده وفتاواه، ومحاولاته إنهاء أي خلافات فرعية تقع بين إخوانه فكانت لديه هذه الملكة العظيمة ملكة التوفيق والإصلاح وتقريب وجهات النظر، وكان يبتعد عن مجال الخلافات التي يـــرى أنها مضيعة للوقت ولا تفيد حقائق الدعوة الإسلامية، ولا تقدح في عقيدة المؤمن)[٣].

وقال عنه الشيخ/ أبو الوفاء درويش[٤] ــ رحمه الله ــ: (أنوه بما خصه الله به من شجاعة في الحق نادرة، وصراحة يعز منالها في أيامنا الحاضرة)[٥].

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل، ط٥ دار اللواء، ١٤٠٣هـــ (ص ٣٥)بتصرف.

(٢) هو: الأديب سعد صادق، ماجستير في الأدب العربي، وهو من تلاميذ الشيخ الوكيل مدير مجلة الهدي النبوي الحالية، التي تصدرها جماعة دعوة الحق الإسلامية.

(٣) جريدة أخبار اليوم المصرية، العدد الخامس من رمضان عام ١٤١٢هـــ ــ ١٩٩٢/٣/٩م، مقالة: "ملامح شخصية" .

(٤) هو: أبو الوفاء محمد درويش أبو طالب،ولد عام ١٣١٠هـــ/ ١٨٩٣م بمدينة سوهاج. من أبرز رجال جماعة أنصار السنة المحمدية، وكان يلقب بحبر الصعيد، صاحب كتاب صيحة الحق، من أقدم وأبرز كتاب مجلة الهدي النبوي. توفي سنة ١٣٨٢هـــ/ ١٩٦٣م في مدينة سوهاج عن عمر يناهز السبعين عاماً.
انظر: مجلة التوحيد العدد ١٢، ذو الحجة ١٤١٦هـــ، (ص ٣٩).

(٥) سيد الخلق بشر، فتحي عثمان، دار أم القرى، القاهرة، ط ١، ٢٠٠١هـــ (ص ٨).

وحول شجاعته في قول الحق أذكر هذا القول للشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ: (أعرف أن هذا النضال يثير علي بغي أحقادهم، ويقف بي على شفا خطر، غير أني أومن بهذه الحكمة الرائعة المؤمنة: (لأن يكون الناس جميعاً عدواً لي في الدنيا خير من أن يكون الله وحده خصمي يوم القيامة) وأجعل من هذه الآية الكريمة مناراً لي: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [(١)] هذا وعد الله لرسله، ووعده لأتباع رسله، ولن أضع القلم ــ وحسبي الله ــ إلا إذا أصميت الصوفيـــة وأدميت، أو إلا إذا تهدمت أنا أو قضيت، فلن تخشى صولة الحق سورة الباطل)[(٢)].

ويقول الشيخ / فتحي عثمان: (لعل البعض الآن إذا قرأ ما كتبه الشيخ / الوكيل عن بعض الفرق المبتدعة ظن أن مثل هذا الأمر كان سهلاً وميسوراً، ولم يدر بخلده أن صاحبه حين كتب ذلك، كان قد ركب يومئذ لجة ما لها من قرار، وخاض بحراً ما له من سواحل، ولكي نعرف شجاعة الموقف، علينا أن ننظر متى كتب هذا الكلام، وكيف كان الجو الفكري المحيط بالناس ذلك الوقت... وإذا كانت الكلمة عندما تقال في زمن معين تعد تعبيراً عن شجاعة القلم وعن صدق صاحبه فإنه أيضاً قد تكون لو قيلت في بيئة معينة تعتبر قمة الشجاعة للقلم ولصاحبه)[(٣)].

ويقول الأستاذ / عبد القادر رزق الطويل[(٤)] في خطاب مكتوب: (عرفت الشيخ/ الوكيل المتواضع، والحافظ للمعروف، أذكر أنه تحدث معترفاً ــ وهو اللغوي الباحث المدقق ــ بأن كلمة (مزجاة) التي جاءت في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا

---

(١) (سورة يوسف: آية١١٠).

(٢) هذه هي الصوفية، الوكيل، (ص ٢٢٧) بتصرف يسير.

(٣) عبد الرحمن الوكيل وقضايا التصوف، فتحي عثمان، دار السنة المحمدية للطباعة، القاهرة، (ص١٠) بتصرف يسير.

(٤) رئيس جماعة دعوة الحق الإسلامية، ورئيس تحرير مجلة الهدي النبوي الحالية، أستاذ متفرغ بجامعة الأزهر. تشرفت بلقائه بمركز جماعة دعوة الحق وتفضل مشكوراً بإعطائي خطاب كتب فيه معلومات عن الشيخ/ الوكيل.

﴿ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [١] قد غاب عنه معناها الدقيق وأن الأخ صابر مؤذن الجماعة هو الذي أومأ إليه بمعناها حيث قال في تكريم الشيخ صادق عرنوس[٢]: (وها آنذا أرد إليك بضاعتك مزجاة أريد تكريمه فأومأ صابر في أذني يا شيخ مزجاة لا تناسب مقام تكريمه لأن معناها رديئة فأنا تعلمت من صابر)[٣].

ويقول تلميذه نجاتي عبد الرحمن: (ولعل الناحية الخلقية فيه من أجمل فضائله الأخرى كالصدق والوفاء والابتعاد عن المحاباة ولو من باب المجاملة)[٤].

كما أن الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ كان شديد الحرص على أبناء المسلمين فكان يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر في كل ما كان في حاجة إلى بيان.

وكان مجتهداً في إصــلاح عقيدة المسلمين ودفع كل ما يقدح فيها بكل ما آتاه الله من قدرة.

ويظهر واضحاً في كتاباته شدة ألمه وحسرته وتوجعه على الذين انحرفوا خلف بدعة أو ضلالة بجهالة خاصة في العقيدة.

كما يظهر أيضاً في كتاباته شدة بغضه لمن تزعم أموراً شركية وبدعية دخيلة على أبناء الإسلام.

أي يلاحظ وبشدة في كتابات الشيخ الولاء لمن اتبع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والبراء ممن كان عدواً لله ولرسوله ﷺ.

رحم الله الشيخ/ الوكيل ــ رحمة واسعة ــ وأثابه على كل خير قدمه للإسلام والمسلمين.

---

(١) (سورة يوسف: آية٨٨).

(٢) هو: وكيل جماعة أنصار السنة المحمدية سابقاً، مدير مجلة الهدي النبوي فترة من الزمن.
انظر أنصار السنة، أحمد طاهر، (ص ٢٩١).

(٣) رسائل مكتوبة من رئيس عام جماعة دعوة الحق الإسلامية ورئيس تحرير مجلة الهدي النبوي بعثتها جماعة أنصار السنة.

(٤) مجلة الهدي النبوي، مقالة النداء الثاني، كتبها نجاتي عبد الرحمن، العدد العاشر، تاريخ ١٣٨١هـ (ص٤٤).

المبحث الرابع

وفاته ورثاؤه

عاش الشيخ / عبد الرحمن الوكيل حياة حافلة بالجهاد في سبيل الله، فقد جاهد في الدعوة إلى التوحيد الحق، وجاهد في محاربة أهل الشرك والضلال، وإفحام باطلهم وإظهاره للمسلمين.

ثم شاء الله تعالى أن يطلب الشيخ / الوكيل ـ رحمه الله ـ للتدريس في مكة المكرمة في مهبط الوحي حيث بدأت الدعوة لعبادة الله وحده لا شريك له.

طلب رحمه الله ليعمل مدرسا للعقيدة بجامعة أم القرى بقسم الدراسات العليا في عام ١٩٦٩م.

وفي جوار البلد الأمين غالبه المرض إلى أن توفي في ٢٢ جمادى الأولى من عام ١٣٩٠هـ/ الموافق ١٩٧١م، ودفن رحمه الله بمقابر المعلاة بالحجون.

(وكان يرافقه ابنه ياسر وممن حضر جنازته وصلى عليه الشيخ/ عبد الله خياط ، والشيخ/ الأودن، والشيخ/ العشماوي[١] المصريان وبعض العلماء.

وقد ترك ثلاثة أولاد: ابنه كبرى، والأوسط "محمد ياسر" [٢] والأخيرة هي الابنة الصغرى، وكلهم متزوجون، ويعيشون بحلوان بمترله الذي أقام به)[٣].

قضى الشيخ / الوكيل ـ رحمه الله ـ حياته مجاهداً ومات في أرض الجهاد الأول، وقضى حياته داعية للعقيدة ومعلماً لها، ومات معلماً وأستاذاً للعقيدة في جامعة أم القرى.

---

(١) هو: العشماوي أحمد بن سليمان، بإدارة التربية الدينية بمنطقة مكة المكرمة.

(٢) توفي ابنه ياسر منذ خمس سنوات.

(٣) انظر: ترجمة الشيخ فتحي عثمان له في مجلة التوحيد، عدد جمادى الأول، ١٤١٥هـ (ص ٣٤).

يقول تلميذه سعد صادق: (لقد غاب عنا الشيخ / عبد الرحمن بقلمه وصوته، والدعوة الإسلامية في حاجة ملحة إليه، وفي وقت قل فيه أمثاله من الذين يدافعون ــ في إخلاص وحرارة وجرأة ــ عن حقائق الإسلام، ويكافحون في سبيل أن تسود مبادئ الدين حياة المسلمين ، ــ رحمه الله ــ وغفر له، وألحقنا وإياه بالصالحين من عباده)[١].

ويقول الأستاذ/ عبد القادر رزق الطويل: (إن شيخنا ــ رحمه الله ــ فرصة قلما تتكرر موهبتها، وإن أنصار السنة قد خسرت بفقده فرصة لم ولن تعوض.

ــ يرحمه الله ــ رحمة واسعة وأن يجعل له مكان صدقٍ علياً)[٢].

---

(١) صراع بين الحق والباطل، سعد صادق، دار السنة المحمدية، القاهرة، ط٦، ١٤١٨هـ/ ١٩٨٨م (ص٦).

(٢) رسائل مكتوبة من رئيس جماعة دعوة الحق الإسلامية، ورئيس تحرير مجلة الهدي النبوي، بعثتها جماعة أنصار السنة.

الفصل الثالث

حياته العلمية

ويشمل خمسة مباحث:

المبحث الأول: طلبه للعلم.

المبحث الثاني: شيوخه وتلاميذه.

المبحث الثالث: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

المبحث الرابع: وظائفه التي تقلدها.

المبحث الخامس: مؤلفاته وآثاره العلمية.

المبحث الأول

طلبــــه للعلــــم

كانت نشأة الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ نشأة تعليمية دينية؛ فقد حفظ القرآن الكريم في كتاب قريته وحفظه والده الموطأ ليلتحق بالمعهد الأزهري.

ثم التحق بالتعليم الأزهري في جميع مراحله التعليمية: ابتدائي، ثانوي، عالي، وكانت دراسته في عهد التعليم الأزهري الحديث الذي كان على أربعة مراحل هي:

١ – ابتدائي، ومدته أربع سنوات، ويدرس فيها من المواد ما يلي: علوم دينية: الفقه والتوحيد والسيرة النبوية، وسيرة كبار الصحابة، وتجويد القرآن الكريم.

علوم اللغة العربية: الإنشاء، النحو، الصرف، الإملاء، المطالعة، المحفوظات.

علوم أخرى: التاريخ، الجغرافيا، الرياضيات، تدبير الصحة، الرسم، الخط.

٢ – ثانوي: ومدته خمس سنوات، ويمنح من شهادة واحدة هي شهادة إتمام الدراسة الثانوية، ويدرس فيها من المواد ما يلي:

علوم دينية: الفقه، التفسير، الحديث متنا ومصطلحا، التوحيد.

علوم اللغة العربية: النحو، الصرف، البلاغة، البيان، والمعاني والبديع، الإنشاء، أدب اللغة، العروض والقافية، المطالعة والمحفوظات.

علوم أخرى: المنطق وأدب البحث، الطبيعة، الكيمياء، علم الحياة، الجغرافيا[١].

وهذه المرحلتين الابتدائية والثانوية درسها الشيخ ــ رحمه الله ــ في المعهد الديني الأزهري في طنطا.

---

(١) الأزهر في ألف عام، محمد عبد المنعم خفاجي (ج٢، ص١٨٥) .

(التحق بالمعهد الديني في طنطا ليعيش في رحابه تسع سنوات تلقى خلالها علوم الإسلام واللسان العربي، وحصل على الشهادة الثانوية الأزهرية)[١].

وفي مرحلة دراسته الثانوية تحصل ــ رحمه الله ــ على درجات عالية أهلته للالتحاق بالأزهر.

ولكن في هذه الفترة درس الشيخ / الوكيل على يد بعض الصوفية مما جعله يتأثر بهم حينا ويمارس معهم عبادات وأفعال صوفية حتى الطواف على الأضرحة.

٣ – والمرحلة الثالثة في التعليم الأزهري هي التعليم العالي، ومدته أربع سنوات، وينقسم إلى ثلاث كليات هي: كلية الشريعة، كلية اللغة العربية، كلية أصول الدين.

وتمنح هذه الكليات الثلاث: الشهادة العالية ومدتها أربع سنوات، والشهادة العالمية مع درجة أستاذ وهي أرفع درجات الأزهر العلمية، ومدة الدراسة بها لا تقل عن ست سنوات بعد انتهاء دراسة الكلية، وكان طلبتها يختارون من أوائل المتخرجين.

وقد كان الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ من أوائل المتخرجين مما أهله للالتحاق بكلية أصول الدين، وحصل على الإجازة العالية بتفوق.

(والعلوم التي تدرس للحصول عليها هي: التوحيد، التفسير، الحديث متنا ومصطلحا ورجالا، المنطق وأدب الحديث، الأخلاق، الفلسفة، الأصول، التاريخ الإسلامي، علم النفس، لغة أجنبية، "الإنجليزية أو الفرنسية")[٢].

ويجب الإشارة إلى أن المناهج التعليمية الدينية في كلية أصول الدين بعيدة عن منهج أهل السنة والجماعة فالعقيدة والتوحيد تدرسان من كتب المتكلمين.

ثم رغب الوكيل ــ رحمه الله ــ في مواصلة الدراسات العليا وهي المرحلة الرابعة والأخيرة في التعليم الأزهري.

---

(١) مقدمة كتاب دعوة الحق، بقلم: السيد رزق الطويل، (ص أ/١).

(٢) الأزهر في ألف عام، محمد خفاجي، (ج٢، ص١٨٧).

وبعد أن قطع فيها وقتاً كبيراً ولم يتبق له إلا القليل لدخول الامتحان غلبه المرض ولم يتمكن من دخول الامتحان، وقد أقعده مرضه مدة طويلة، لم يكد يشفى منه حتى كانت هذه الدراسات العليا قد توقفت.

يقول الأستاذ/ عبد القـــادر رزق الطويل: (حدثني فضيلتـــه بعد ظهر يوم جمعة في مسجد الهدارة أنه بعد أن تخرج من كلية أصول الدين، التحق بالدراسات العليا ليحصل على درجة العالمية من درجة أستاذ في الفلسفة الإسلامية وكانت أعلى درجة علمية في الأزهر.

واتفق مع مشرفه على البحث الدكتور/ محمد البهي يرحمه الله أن يكون موضوع دراسته "دخيلة التصوف على الإسلام" ولكن بعد تقدمه في الدراسة شوطاً بعيد أصيب بمرض أقعده عن البحث.

والشيخ/ الوكيـــل رجـــل عالم أديـــب متعدد المواهـــب يتخصص في الفلسفة الإسلامية، ويحصل بمؤلفاته فيها على درجة من العلم توازي الدكتوراه)[1].

وعندما لم يتمكن ــ رحمه الله ــ من الحصول على درجة العالمية بسبب المرض تقدم لنيل درجة العالمية وإجازة التدريس، وهي إحدى الأقسام التابعة لكلية أصول الدين وحصل على هذه الدرجة، ثم عين مدرسا للدين واللغة العربية في وزارة التربية والتعليم.

وهكذا نرى أن الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ ظل يتنقل في مراحل التعليم المختلفة في الأزهر وتحصل على علوم كثيرة.

(وقد مكنته دراسته الفلسفية من الوقوف على دراسة جميع المدارس والمذاهب الكلامية، والعقائد المختلفة لهذه المدارس)[2].

ثم جاءت مرحلة تعليمية ذاتية من مراحل تلقي التعليم عند الوكيل رحمه الله وقد كانت أثناء دراسته بكلية أصول الدين بالأزهر، واستمرت معه حتى وفاته.

---

(١) رسالة بعثت من قبل جماعة أنصار السنة بقلم: أ. د. عبد القادر الطويل، رئيس جماعة دعوة الحق، ورئيس تحرير مجلة الهدي النبوي، أستاذ غير متفرغ بجامعة الأزهر.

(٢) جريدة الأخبار المصرية، مقالة ملامح شخصية بقلم سعد صادق، عدد ٥، رمضان / ١٤١٢هـ.

وهي الفترة التي بدأ فيها بقـــراءة كتب السلف، بعد أن فتح الله قلبه للطريق الحق بأن يسر له قراءة كتاب (رأي ابن تيمية في ابن عربي) فتابع قراءة كتب السلف مثل كتب الشيخ / ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والشيخ المجدد / محمد بن عبد الوهاب ــ رحمهم الله ــ جميعاً.

وهذه المرحلة التعليمية لم يكن الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ تابع لجهة تعليمية ولم تكن بدافع من الأهل أو الشيوخ، إنما كانت فتح من الله تعالى، وهداية لتلميذ تلقى أول تعليمه على يد بعض أهل التصوف، ثم تابع الدراسة من كتب أهل الكلام وكان في حيرة وشك فأكرمه الله وهداه الطريق الذي ارتضاه الله ورسوله ﷺ.

وفي هذه المرحلة عرف المذهب الحق ورجع عن التصوف بعد أن فهم عقيدة السلـــف الصالح، كما عرف ــ رحمه الله ــ حقيقـــة الفرق الكلاميـــة والجوانب الباطلة فيها.

ثم يسر الله تعالى له الالتقاء بالشيخ/محمد حامد الفقي رحمه الله ولازمه وتعلم منه.

وواصل ــ رحمه الله ــ في هذه المدرسة السلفية التي وجد فيها ما يطمئن إليه القلب والعقل، حتى كان أستاذاً للعقيدة وداعية لها بقية عمره رحمه الله.

(نشأ الشيخ / عبد الرحمن في مدرسة يمكن أن نصطلح على تسميتها ب "المدرسة السلفية " لأنها ســـارت على نهج السلف الصالح وتابعتـــه في العقيدة، وما يتفرع عنها من أمور.

وكانت نشأته في هذه المدرسة بعد لقائه بالشيخ[1] حامد الفقي حيث لازمه ملازمة تلميذ لأستاذه)[2].

وبعد لقائه هذا بمؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية انضم الوكيل للجماعة وكان من أبرز أعضائها ورئيسها الثاني.

---

(١) كان الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ قد رجع عن الصوفية لمذهب السلف، وقرأ كتبهم قبل أن يلتقي بالفقي مما جعل الفقي يعجب بفكره ويقربه منه.

(٢) جريدة الأخبار المصرية، مقالة ملامح شخصية، العدد الخامس، ١٤١٢هـ.

المبحث الثاني

شيوخه وتلاميذه

أولاً: شيوخه:

كان أول تعليم تلقاه الشيخ / الوكيل ـــ رحمه الله ـــ في المعهد الأزهري بطنطا، وكان الطلاب الدارسون في المعاهد التابعة للأزهر يتحصلون على معرفة الكثير من العلوم التي كان يتميز بها طلبة الأزهر عن غيرهم.

فقد كان أكبر جهة تعليمية ليس في مصر فقط بل في العالم الإسلامي.

ولكن في الفترة الثانوية التي قضى فيها الوكيل تسع سنوات وهي فترة غير قصيرة تتلمذ على يد بعض شيوخ الصوفية، فقد كان المعهد في مدينة طنطا التي كانت مجمعا للصوفية، وبها ضريح البدوي.

وقد أشار الشيخ / الوكيل في الكثير من كتاباته إلى أثرهم على حياته وكان يسترجع ذلك بألم وحسرة غير أن المتتبع لاهتمامات الشيخ رحمه الله وكتاباته يعلم أن الله قد جعل عاقبة هذا الأمر خيراً له وللمسلمين.

فقد كان تعرضه لضلالات الصوفية ودجلها دافعاً له للكتابة وبكثرة وتنوع في بيان تلك الضلالات للمسلمين، فألف الكتب والرسائل وكتب المقالات وكانت كتاباته في الصوفية أهم إنجازاته ـــ رحمه الله ـــ، وتتلمذ الشيخ / الوكيل على يد جمع من العلماء الأفاضل بالجامع الأزهر عند دراسته في كلية أصول الدين.

وقد تفضل كل من الشيخ / فتحي عثمان[1] وكيل الجماعة ومدير مركز التراث بها، والشيخ / شعبان عبد المجيد سكرتير المركز بإرسال مجموعة أسماء من مشيخة الأزهر وغيرهم من العلماء وذكروا أن الشيخ تتلمذ على يدهم وهم:

١. الشيخ/ محمد مصطفى مراغي (١٣٦٢هـ/١٩٤٥م).

---

(١) هو: وكيل جماعة أنصار السنة المحمدية ومدير مركز التراث ومؤرخ الجماعة. تشرفت بمقابلته بمركز الجماعة بالقاهرة وتفضل مشكوراً بإفادتي معلومات كثيرة عن الشيخ الوكيل.

٢. الشيخ/ مصطفى عبد الرزاق (١٣٦٧هـ/١٩٤٧م).

٣. الشيخ/ محمد عبد الحليم الرمالي (١٣٦٨هـ/١٩٤٩م).

٤. الشيخ/ عبد المجيد سليم (١٣٧٣هـ/١٩٥٤م).

٥. الشيخ/ أحمد محمد شاكر (١٣٧٧هـ/١٩٥٨م).

٦. الشيخ/ محمد حامد الفقي (١٣٧٨هـ/١٩٥٩م)

وهو من أجل شيوخه وأقربهم إليه.

٧. الشيخ/ محمود شلتوت (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م).

٨. الشيخ/ محمد البهي (١٤٠٢هـ /١٩٨٢م).

وكان مشرفه على البحث.

ثانيا: تلاميذه:

بعد حصول الشيخ/ الوكيل ــ رحمه الله ــ على درجة العالمية وإجازة التدريس عين مدرساً للدين واللغة بالمدارس الثانوية بوزارة التربية والتعليم.

وعلى هذا يكون قد تتلمذ على يديه الكثير من التلاميذ في المدارس النظامية.

وقد كان ــ رحمه الله ــ يلقي الدروس بالمركز العام للجماعة في القاهرة وقد درس وتربى على يده الكثير من أبناء أنصار السنة المحمدية.

وقد انتدب الشيخ ــ رحمه الله ــ للمعهد العلمي بالرياض عام ١٣٧٢هـ فكان له تلاميذ أيضاً بهذا المعهد الذي كان أكثر خريجيه من خيرة علماء السعودية.

كما أن الشيخ / الوكيل ــ يرحمه الله ــ قد انتدب للعمل أستاذاً بكلية الشريعة بمكة المكرمة وظل أستاذاً بها ومعلماً بالحرم المكي الشريف حتى توفاه الله تعالى.

وبهذا يكون قد تلقى العلم على يده أيضاً أبناء مكة المكرمة سواء الدارسين بالجامعة أو الدارسين بالحرم المكي الشريف.

أسأل الله تعالى أن يجزل له الأجر والثواب على ما نفع به أبناء المسلمين.

المبحث الثالث

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه

كان الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ من علماء مصر الذين بذلوا جهداً كبيراً ومميزاً في خدمة مذهب السلف؛ فقد جاهد من أجل نشر العقيدة السلفية ومحاربة الشرك والإلحاد والبدعة والتصوف.

ومكانته العلمية التي تميز بها من بين علماء عصره في مصر وتبعه فيها من كان بعده هي أنه واجه الصوفية الغالية المبتدعة الضالة، وسخر قلمه الجريء مع ما آتاه الله من موفور الحظ من اللغة وجمال البلاغة، وقوة العبارة، ومع ما كان يملكه من معرفة واسعة بالتصوف والفلسفة وعلم الكلام؛ فقد كان متتبعا للحركات الهدامة ومراقباً لها وصادقا في تحري حقيقتها.

فسخر قلمه الجريء الفياض في خدمة عقيدة السلف ومحاربة الشرك والبدع بالعلم والمعرفة والأسلوب الجزل والمنطق البليغ.

وعرف ــ رحمه الله ــ بحدته في الدفاع ودحض حجة الخصم وكشف ضلالته بمنهج علمي صحيح وأمانة علمية.

ويمكن أن نقول إن ما تميز به الشيخ بين علماء عصره السلفيين بمصر وجعل له مكانته العلمية المرموقة هو الإحاطة بكثير من النحل الباطلة والفرق الغالية واجتهاده على فضح أساليبهم وخدعهم وكشف ضلالاتهم وردها بالدليل القاطع بكل ما آتاه الله من قدرة فألف الكتب وكتب المقالات وخطب في الجامع وأقام المحاضرات وشارك في الندوات إلى غير ذلك من جهوده التي يشكر عليها ــ رحمه الله ــ.

وقد أثنى عدد من العلماء على الشيخ / الوكيل وأشادوا بعلمه وجهاده في نشر العقيدة والدفاع عنها.

أبدأ بفضيلة الشيخ / محمد حامد الفقي ــ رحمه الله ــ رائد الدعوة السلفية بمصر في العصر الحديث ومؤسس جماعة أنصار السنة الذي أعجب بفكر الشيخ /

الوكيل ووعيه لكل دخيل على الدين الحــق فقربه إليه حتى كــان وكيلاً له ينهــض بأعباء الجماعة في غيبته.

فعندما قام الشيخ / الفقي بتحقيق كتاب "نقض المنطق" لابن تيمية، ـــ رحمهما الله ـــ جميعاً، كتب في مقدمته يقول: (ثم وكلــت إلى الأخ الفاضل المحقــق الشيخ / عبد الرحمن الوكيل وكيل جماعة أنصار السنة المحمدية عمل مقدمة له لأنه متخصص في الفلسفة وله بصر نافذ فيها وهو من خلصاء شيخ الإسلام ابن تيمية ـــ رحمه الله ـــ)[1].

ويقول الشيخ / محمد علي عبد الرحيم في مقدمة كتاب الشيخ "دعوة الحق": (إن مؤلف هذا الكتاب الشيخ / عبد الرحمن الوكيل قد عرفته وهو طالب في كليات الأزهر ومنتسبا لجماعة أنصار السنة المحمدية.

فبحكم دراسته العالية بالأزهر، غلبته الناحية الأدبية وبرز فيها، وبحكم انتسابه للجماعة، لم تلعب بعقله كتب علماء الكلام؛ فعرف التوحيد الخالص مستمداً من كتاب الله تعالى والسنة الصحيحة، وتتلمذ في ذلك على كتب أهل السنة ككتب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ـــ رحمه الله ـــ فاتسع قلبه وعقله لكل كتاب ينأى عن التأويل وينبو عن التحريف، وقد أسعفه أدبه بالقلم السيال مجدداً تراث أهل السنة والجماعة.

وكان أكبر خطر تصدى له الشيخ ـــ رحمه الله ـــ مهازل الصوفية واعتقاداتهم واتخاذهم الأضرحة أرباباً من دون الله يشد إليها الرحال وتقام لها الموالد... أوضح ذلك في كتبه بقريحة وقادة، وعقل ناضــج ودل بكتاباته على أن العلم لا آخر له وأن الفضل لا حد له.

لقد أنار بكتبه الطريق، وأوضح الحقائق، وأبرز للناس الحق الذي كتمه العلماء.

بصر الشيخ الناس بالحق، ووقف موقف المرشد الناصح الأمين فجزاه الله خيراً عن الإسلام والمسلمين)[2].

---

(١) نقض المنطق، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد عبد الرزاق وسلمان الصنيع، صححه: محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية، القاهرة، (ص٤).

(٢) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل، تقديم: محمد علي عبد الرحيم (ص١) بتصرف.

ويقول عنه الشيخ / أبو الوفاء درويش (لو كنت أريد أن أوفيه حقه من التمجيد وأن أشرح آثار قلمه الفياض في نفوس القراء، وأن أنوه بما خصه الله من شجاعة في الحق نادرة، وصراحة يعز منالها في أيامنا الحاضرة، وأن أومئ إلي ما لازم قلمه الجريء في جولاته الموفقة في كل ميادين المعرفة وما امتاز به أسلوبه الجزل من روعة تسيطر على النفوس، وجلال علل القلوب لما استطعت أن أوفيه حقه)[١].

ويقول عنه الشيخ / محمد صادق عرنوس:

(إن أخانا الأستاذ النابغة / عبد الرحمن الوكيل المعروف بين قراء الهدي النبوي بهادم الطواغيت، قد أصبح أخصائياً في تشريح التصوف والإحاطة بوظائف أعضائه، والأستاذ / الوكيل يتعلم وينبغ ليمرض ويشفي)[٢].

ويقول الشيخ / محمد صفوت نور الدين[٣]:

(والشيخ / عبد الرحمن الوكيل كان صاحب صبر طويل على الغوص في عقائد أهل الضلال لبيان زيغها والرد عليها فلقد كانت مقالاته (نظرات في التصوف)، وتأليفه كتاب (هذه هي الصوفية) ورسالة صوفيات، وتحقيقه لكتاب البقاعي[٤] الذي سماه (مصرع التصوف) كان لكل هذه الأثر البالغ في كشف الصوفية على حقيقتها.

ولقد كان الشيخ ــ يرحمه الله تعالى ــ هو أول من جهر بأن التصوف شر كله، وأن مظاهر الخير المنسوبة إليه إنما هي رداء مستعار ليدخل به على السذج والبسطاء فيخدعهم وأنه قد تمرس في الخداع طويلاً)[٥].

---

(١) مجلة التوحيد، باب التراجم، مقالة الشيخ عبد الرحمن الوكيل، الرئيس الأسبق للجماعة، العدد الخامس، تاريخ، ١٤١٦هـ (ص٣٥).

(٢) المرجع السابق، (ص ٣٦).

(٣) هو: محمد صفوت نور الدين، انتخب رئيس عـــام للجماعة خلفاً للشيخ/ محمد عبد علـــي عبد الرحيم، عام ١٩٩١م. والشيخ/ صفوت أحد العلماء المهتمين بالسنة النبوية وعلومها. توفي في مكة المكرمة، عام ١٤٢٣هـ. انظر: الموسوعة الميسرة، (ص ١٨٧) وجهود الشيخ حامد الفقي، موفق كدسة، ص ١٠٤.

(٤) هُوَ إِبْرَاهِيم بن عمر بن حسن الرُّبَاط الدِّمَشْقِي، أَبُو الْحسن، الْمَعْرُوف ببرهان الدّين البقاعي ولد بوادي الْبِقَاع (من أَرض لبنان الْآن) سنة ٨٠٩هــ، وتعلم وفاق الأقران ، وألف كتباً مفيدة في مختلف العلوم ، توفي سنة ٨٨٥هــ. الأعلام للزركلي (ج١، ص٥٦).

(٥) سيد الخلق بشر، فتحي عثمان من تقدمة الشيخ/ محمد صفوت، (ص ٤).

ويقول الشيخ / فتحي عثمان:

(إنه لما يوجب الحمد والثناء والشكر لله أن قيض للإسلام عالماً فاضلاً، وباحثاً كبيراً، ومفكراً عظيماً هو الشيخ / عبد الرحمن الوكيل ــ رحمة الله ــ عليه، فقد كان من المفكرين القلائل، والعلماء القلة الأفاضل الذين أحاطوا إحاطة تكاد تكون تامة بكثير من النحل الباطلة، والفرق الغالية المبتدعة الضالة، وممن فهموا فهما صحيحا مراد كاتبيها، وكشفوا ضلالهم وفندوا أساليبهم، ودحضوا حجتهم، وردوا كيدهم إلى نحورهم.

كما كان ــ رحمه الله ــ صاحب باع كبير في الاطلاع على مكنونات كتبهم، وخفي رسائلهم، عارفاً لأسرار صنعتهم كاشفا لخبث طويتهم ملماً بهوية فكرهم.

كذلك كان خبيراً بطرائقهم، فاستطاع بفضل الله أن يجلي خبايا كتاباتهم، وأن يرد فكرهم إلى مصادره، وأن ينبه ويحذر من غدرهم، وأن يفضح قبيح فعالهم، ومنكر أعمالهم، وشنيع صنيعهم، كل ذلك في منهج علمي صحيح، واستقصاء للحقائق سليم، وأمانة علمية فائقة، وإحاطة كاملة، ناهيك عن بيان قوي وحجة دامغة، وأسلوب رصين يتناسب مع الموضوع الذي يكتب فيه)[1].

ويقول الأستاذ / سعد صادق:

(هذا هو الشيخ / عبد الرحمن الوكيل الذي سخر قلمه ولسانه وعلمه وفكره في خدمة قضية التوحيد، وإعلاء كلمة الحق، وقضى حياة حافلة بالعمل والنشاط؛ فجاهد الشرك وناضل الوثنية، وكافح التصوف، وأفحم باطله وأساطيره)[2].

ويقول: (كان أكبر ما يهتم به ويعمل له جهده الدعوة إلى التوحيد، وإخلاص العبادة لله وحده، ويرى أن السبب الأول لتأخر المسلمين هو ما تسرب إلى عقائدهم من عبادة غير الله، وعدم التحاكم إليه وحده في كل أمورهم، ودروب حياتهم، ثم ما دخل في

---

(١) عبد الرحمن الوكيل وقضايا التصوف، فتحي عثمان، (ص ٣).

(٢) الهدي النبوي، مقالة شخصيات مجددة، عدد ١٢، تاريخ ١٣٩٧هـ، (ص ٢٥) .

فكرهم وثقافاتهم من إلحاد أوروبا، وتحللها، وكان يرى أنه لن يعود للمسلمين عزهم وكياهم إلا إذا توحدوا تحت راية القرآن واستظلوا بشريعة الله، وتسلحوا بسلاح الوحدة والتضامن والوفاق ليتخلصوا من الفرقة والتفكك)[١].

(١) جريدة الأخبار، مقالة الدعوة إلى التوحيد كانت أكبر اهتماماته، عدد ٢٨، رمضان ١٤٠٨هـ، ١٩٨٦، (ص٤١).

المبحث الرابع

الوظائف التي تقلدها

لقد نال الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ حظاً وافراً من التحصيل العالي خلال دراسته بالأزهر الشريف.

كما أن الله تعالى أكرمه بمعرفة العقيدة الصحيحة من خلال قراءته لكتب السلف الصالح والاطمئنان لما فيها واتباعه طيلة حياته.

وبهذا التحصيل التعليمي والديني تقلد ــ رحمه الله ــ وظيفة جيدة في مصر كما انتخب أيضاً للعمل بالمعاهد والجامعات بالمملكة العربية السعودية.

كما كان ــ رحمه الله ــ عضواً فعالاً في جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر بل من أبرز رجالها ومن خيرة كتابها.

ويمكن عرض أعماله ووظائفه رحمه الله في عدة نقاط هي:

١ - **العمل بمدارس التربية والتعليم بمصر.**

كانت أول وظيفة تقلدها الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ هي العمل بمدارس التربية والتعليم بمصر.

فعمل بها مدرسا للدين واللغة العربية، بالمرحلة الثانوية، بعد حصوله على درجتي العالمية وإجازة التدريس من الأزهر.

وكان الوكيل ــ رحمه الله ــ في كثير من كتاباته شديد الحرص على الشباب المسلم وعلى تنشئتهم على طاعة الله ورسوله ﷺ، وتحذيرهم من اتباع أهل الضلال والزيغ كما كان ــ رحمه الله ــ محباً لهم ناصحاً في دعوتهم إلى اتباع طريق الفلاح وأن ذلك في الأخذ بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وعلى هذا يكون تلاميذ الشيخ / الوكيل وهم لا شك كثيرون قد نالوا خيراً عند تلقيهم تعاليم الدين من معلم على طريق الحق خاصة في وقت كثرت فيه البدع والأفكار الدخيلة على المسلمين، من الغرب التي كان لها أثر كبير على مصر وخاصة في مجال التعليم.

٢ - رئاسة جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر القديمة.

تعرف الشيخ / الوكيل على مؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية الشيخ / محمد حامد الفقي ــ رحمهما الله ــ جميعاً، في عام ١٩٣٦م، وانضم الوكيل لجماعة أنصار السنة بعد إعجاب مؤسسها بفكره، ثم اختير ــ رحمه الله ــ رئيساً لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر القديمة في زمن مؤسسها الفقي.

٣ - العمل في المعهد العلمي بالرياض.

انتدب الوكيل ــ رحمه الله ــ للعمل مدرساً بالمعهد العلمي بالرياض عام ١٩٥٢م، زمن الشيخ / محمد بن إبراهيم[١] ــ رحمه الله ــ، (انتدب مدرسا بمعهد الرياض العلمي الديني تحت رعاية الملك عبد العزيز[٢] ــ رحمه الله ــ في أول مؤسسة علمية دينية بالرياض تبدأ بالمعهد الديني وكليتي الشريعة واللغة العربية)[٣].

ولم تكن مدة انتدابه طويلة، فقد رجع الوكيل لعمله وللجماعة بمصر.

وقد كان لعلماء وأساتذة جماعة أنصار السنة بمصر دور بارز في المساهمة في رفع مستوى التعليم في المملكة العربية السعودية، فقد كانوا مقربين من القادة والعلماء فيها

---

(١) هو: العلامة الجليل الأصولي المحدث الفقيه الشيخ/ محمد بن الشيخ/ إبراهيم بن الشيخ/ عبد اللطيف ابن الشيخ/ عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام / محمد بن عبد الوهاب، مفتي الديار السعودية ورئيس قضاتها في حياته ــ رحمه الله ــ ، ولد في مدينة الرياض في السابع عشر من شهر محرم سنة ألف وثلاثمائة وإحدى عشرة من الهجرة، وطلب العلم مبكراً، وبرع في كل العلوم، وشغل المناصب العالية، وافتتح المعاهد العلمية، وألف الكتب النافعة، وتخرج على يديه جمهرة من العلماء. توفي ــ رحمه الله تعالى ــ ظهر يوم الأربعاء في الرابع والعشرين من شهر رمضان سنة ألف وثلاثمائة وتسع وثمانين. انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم، عبد الرحمن عبد اللطيف آل الشيخ ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٢هـ ، دار اليمامة ، (ج٢، ص٢٩).

(٢) هو: عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود، من آل مقرن، من ربيعة بن مانع، من ذهل بن شيبان ؛ ملك المملكة العربية السعودية الأول، ومنشئها، وأحد رجالات الدهر. ولد في الرياض سنة ١٢٩٣هـ، توفي بالطائف سنة ١٣٧٣هـ، ودفن ــ طيب الله ثراه ــ في الرياض. الأعلام للزركلي، (ج٤، ص١٩).

(٣) دعوة الحق، الوكيل، مقدمة الكتاب، (ص: ج).

لما تميزوا به من تحصيل علمي حديث والتزام بما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ كما فهمه الصحابة رضوان الله عليهم وتابعيهم وصالح سلف الأمة.

وكان الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ ممن شارك في ذلك.

وحظي بالعمل في أول مؤسسة علمية دينية بالرياض خرجت خيرة علماء السعودية الذين خدموا الشريعة الإسلامية في بلادهم وبلاد المسلمين عامة.

٤- نائب لرئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر.

عمل الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ وكيلاً أولاً للجماعة عند اختيار الشيخ/ عبد الرزاق عفيفي[١] رحمه الله ثم نائبا له عام ١٩٥٩م.

٥- رئيس مجلة الهدي النبوي.

كان الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ يكتب في مجلة الهدي النبوي، مقالات متنوعة مشاركاً مع أعضاء الجماعة وجمع من العلماء في الدعوة وتعليم أبناء المسلمين أمور دينهم من خلال هذه المجلة التي كانت لسان الجماعة الداعية للتمسك بالكتاب والسنة، وعدم اتباع أهل الشرك والابتداع.

(وفي عام ١٩٥٩م، تولى رئاسة تحرير الهدي النبوي، بعد وفاة الشيخ/ حامد الفقي، حيث واصل الكتابة في صفحاتها ضد التصوف والباطل والخرافات)[٢].

---

(١) هو: عبد الرزاق عفيفي عطية، ولد سنة ١٣٢٣هـ، بمحافظة المنوفية، وتخرَّج في الأزهر. أول وكيل لجماعة أنصار السنة المحمدية، وثاني رؤسائها بعد رحيل مؤسسها الأول الشيخ/ محمد حامد الفقي.
عين مدرساً بالمعاهد العلمية التابعة للأزهر، ثم ندب إلى السعودية للتدريس، فدرَّس في عدة مدن، ثم نقل إلى الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد عام ١٣٩١هـ، وعين بها نائباً لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، مع جعله عضواً في مجلس هيئة كبار العلماء ، وانتفع بعلمه خلق كثير، وأشرف على رسائل بعض الدارسين في الدراسات العليا، وألقى دروساً ومحاضرات وألف كتباً مفيدة كثيرة. توفي سنة ١٤١٥هـ. المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبة العلم المعاصرين (ص:١٦٣).

(٢) الهدي النبوي، عدد ١٢، ذو الحجة، تاريخ ١٣٩٧هـ، مقالة شخصيات مجددة،(ص ٢٥).

واستمر ـــ رحمه الله ـــ رئيساً لمجلة الهدي النبوي لمدة ثمانية أعوام، حتى أدمجت الجماعة في الجمعية الشرعية عام ١٣٨٦هـــ وكانت له جهود يشكر عليها في هذه المجلة تعرض في الفصل التالي.

(وهو ثاني رؤساء تحرير مجلة الهدي النبوي بل وآخرهم لأن الجماعة أدمجت في الجمعية الشرعية زمان رئاسته لها، فتوقفت مجلة الهدي النبوي عن الصدور بصدور العدد الثاني من العام الحادي والثلاثين في صفر لسنة ١٣٨٧هـــ)[1].

٦ - **رئاسة جماعة أنصار السنة بمصر.**

انتخب الشيخ/ الوكيل ـــ رحمه الله ـــ رئيساً لجماعة أنصار السنة عام ١٩٦٠م (فهو على الدوام موضع ثقة عامة وخاصة من جماعة أنصار السنة المحمدية على اختلاف طبقاتهم، ولذلك اختاروه رئيساً له بإجماع رائع لم يشذ عنه أحد، وهكذا تعاونت كفاءته واستقامته على بلوغه القمة الآن وبكل سهولة)[2].

وبقي ـــ رحمه الله ـــ رئيسا للجماعة حتى أدمجت في الجمعية الشرعية عام ١٣٨٦هـــ.

٧ - **العمل أستاذا للعقيدة بالدراسات العليا بمكة المكرمة.**

انتدب الشيخ/ الوكيل ـــ رحمه الله ـــ قبل وفاته بعامين إلى المملكة العربية السعودية، بعد إنشاء الجامعات بهـــا، ليعمل أستـــاذاً بقسم الدراســـات العليا بكليـــة الشريعة بمكة المكرمة.

وبقي أستاذاً في جامعة أم القرى ومعلماً بالمسجد الحرام حتى وافاه الأجل ومات بمكة المكرمة ودفن فيها.

وحظي الشيخ / الوكيل ـــ رحمه الله ـــ بشرف الإقامة بالبلد الحرام جوار بيت الله وتعليم العقيدة لتلاميذ كانوا فيما بعد أساتذة لأشرف العلوم في أشرف البقاع.

---

(١) سيد الخلق بشر، فتحي عثمان، (ص ٣).

(٢) مجلة الهدي النبوي، مقالة النداء الثاني، عدد ١٥، تاريخ ١٣٨١هـــ (ص ٤٤).

وهكذا عمل الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ معلما للدين واللغة العربية في بلاده مصر وفي المملكة العربية السعودية.

ولم يبق ــ رحمه الله ــ على عمله هذا مكتفيا به لكسب العيش بل جمع مع ذلك العمل على نشر العقيدة والدفاع عنها بالتحاقه بجماعة أنصار السنة المحمدية.

حتى صار رئيساً لها ولمجلة الهدي النبوي.

وعندما انقطع السبيل للدعوة توجــه إلى البلد الحرام معلمــاً فيه ليبقى جوار بيت الله حتى توفي رحم الله الشــيخ / الوكيل ــ رحمة واسعــة ــ وجعل علمه وعمله في موازين حسناته.

المبحث الخامس

مؤلفاته وآثاره العلمية

ناضل الشيخ / عبد الرحمن الوكيل ــ رحمه الله ــ بقلمه من أجل إيصال حقيقة الدعوة الإسلامية كما جاءت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومن أجل إفهام كل قارئ العقيدة الإسلامية الحق التي لا يشوبها ضلال ولا انحراف ولا زيغ كما كان رحمه الله مهتماً بالمستجدات متعايشاً معها في كتاباته وموضحاً ما يحتاجه أبناء المسلمين من دعوة لترسيخ العقيدة أو دفع ما يقدح فيها.

لهذا تركزت كتاباته ــ رحمه الله ــ في الرد على الانحرافات في العقيدة مما جعله متتبعاً للنحل الضالة باحثاً عن أصولها ودارساً لتاريخها ونشأتها فامتلك معرفة علمية دقيقة عن معتقدات هذه الفرق المخالفة وأصولها، بارعاً في الربط بينها.

وقد امتازت جميع كتابات الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ بالموضوعية والإنصاف، والأمانة العلمية والدقة في النقل والجمع بين المتعة الأدبية وجدية البحث.

يقول الشيخ/ محمد صفوت نور الدين ــ رحمه الله ــ: (ولقد كان الأسلوب الأدبي الرصين الأخاذ من الشيخ رحمه الله تعالى يأخذ بالقارئ المحب للأدب ويجعله يعيش في جو أدبي ممتع وهو يتحدث عن فكرة علمية دقيقة)[١].

وبفضل الله تعالى ثم بما تميزت به كتابات الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ انتشرت آراؤه وأفكاره في الكثير من الدول العربية والإسلامية.

وأضع أهم المميزات التي تميزت بها كتابات الشيخ الوكيل في عدة نقاط هي:

١ – تركيز الشيخ في كل ما كتب على ترسيخ العقيدة كما جاءت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ودفع ما يقدح فيها.

---

(١) سيد الخلق بشر، فتحي عثمان، تقديم محمد صفوت، (ص ٤).

٢ – الأمانة العلمية والدقة المتناهية في النقل.

٣ – الموضوعية والجدية في البحث.

٤ – الإلمام الكبير والمعرفة الواسعة بالفرق وجذورها ومعتقداتها وخباياها.

٥ – الربط بين الأحداث والقضايا قديمها وحديثها.

ففي دراسة الشيخ للفرق ربط تاريخي كبير بين ماضي الفرقة وحاضرها وكذلك بينها وبين فرق أخرى.

وهذا ليس في الفرق فقط كذلك في غيرها من القضايا.

٦ – الأسلوب الأدبي الممتع مع العبارات القوية الجزلة.

حتى أن القارئ يستمتع بقراءة موضوعات علمية دقيقة ولا يشعر بالملل للأسلوب الأدبي الشيق.

٧ – ظهــور غيرة الشيخ القويــة تجاه الدين الإسلامي والأوطــان العربية والإسلامية وحرصه على حمايتها من المعتدين.

وهناك بعض الملاحظات على بعض كتابات الشيخ وليس جميعها هي:

١ – الحدة في الحوار، والشدة مع المخالف مما قد يدفعه رحمه الله إلى قول عبارات شديدة وصفات للمخالف تدفعه غيرته الشديــدة على العقيدة، وإن كان هــذا لم يخرجه عن العدل والإنصاف.

كما أنه عرف ــ رحمه الله ــ بحواره اللين ودعوته بالموعظة الحسنة مع إخوانه المسلمين.

٢ – بعض كتابات الشيخ تكون موضوعاتها غير مضبوطة بمنهج محدد وواضح فيكتب عن قضية ويخرج لأخرى دون الفصل بينهما كما في كتابه دعوة الحق فقد كانت موضوعات متناثرة ومتعددة غير مضبوطة بمنهج واضح.

إلا أن هذا لا يعني أن الكتاب لم يشتمل على معلومات ومسائل مفيدة ومهمة بل العكس لقد كان من أهم كتب الشيخ وأكثرها فائدة إنما المقصود طريقة العرض.

٣ – الخلط بين التقرير والردود، فقد كان ــ رحمه الله ــ يقيم الرد أثناء التقرير مع العلم أن الردود كانت أكــثر وقد يكون خلالها تقريــر بسيط وإن كان أغلب ما كتبته حول تقريرات الشيخ هي من خلال ردوده وهذه كانت اكبر مشكلة واجهتني في كتابات الشيخ أثابه الله بما كتبه وجعله في موازين حسناته.

أولاً: الكتب التي ألفها الشيخ[1]:

١ – كتاب دعوة الحق:

كتاب دعوة الحق هو أول مؤلفات الشيخ / عبد الرحمن الوكيل ــ رحمه الله ــ لم يسبقه من كتابات الشيخ إلا المقالات التي كان يكتبها في مجلة الهدي النبوي.

ورسالة صوفيات التي كتبها عام ١٩٥٠م ثم زاد في الرسالة فيما بعد حتى أصحبت سفره العظيم (هذه هي الصوفية).

طبعات الكتاب:

طبع كتاب دعوة الحق ثلاث مرات هي:

- الطبعة الأولى: صدرت في عام ١٣٧١هــ/ الموافق ١٣٥٢م
- الطبعة الثانية: صدرت عام ١٤١١هــ/ الموافق ١٩٩١م.

  وقدم لها فضيلة الأستاذ الدكتور / السيد رزق الطويل ــ رحمه الله ــ.
- الطبعة الثالثة: صدرت عام ١٤١٨هــ/ الموافق ١٩٩٧م، وقدم لها فضيلة الشيخ/ عبد الباقي صالح الحسيني[2].

---

(١) عرضي لكتب الشيخ كان على حسب التاريخ فابتدأت بأول ما ألفه وهكذا.

(٢) هو: عضو مجلس إدارة الجماعة سابقاً، ورئيس لجنة الإنشاءات بالجماعة سابقاً، ورئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بشربين منذ عام ١٩٤٩م.

موضوعات الكتاب:

تناول الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ موضوعات كثيرة في كتابه دعوة الحــق، كما ناقش فيه قضايا مختلفة ومهمة أرسى فيها معالم السلفية الصحيحة، وأظهر من خلالها للقارئ المعاصر تصوره الدقيق والصحيح لدعوة التوحيد خاصة وتصور جماعة أنصار السنة المحمدية عامة.

ومن أهم هذه القضايا توحيد العبادة، ووسائل التوحيد أو دلائله، وهي ستة مسائل أسهب فيها الوكيل رحمه الله في ٦٥ صفحة.

وتوحيد الصفات، ومظاهر الشرك، وفتنة القبور، وكمال الشريعة (ونحو ذلك من موضوعات كثيرة وهامة تعطي نسيجاً كاملاً لدعوة التوحيد السلفية الصحيحة وتشهد بمقدرة رجل فكراً وأسلوباً)[١].

يقول الشيخ/ عبد الباقي الحسيني:

(فأتى هذا الكتاب بحجج وبراهين، ودعا إلى التوحيد والدين الخالص والتجرد من كل مظاهر الشرك والوثنية، والمحافظة على دين الله القويم ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور)[٢].

ويقول الأستاذ الدكتور / السيد رزق الطويل: أنه عندما رغب في تأسيس جمعية سلفية برز أمام عينيه اسم (دعوة الحق) عنوان هذا الكتاب الذي له عنده مكانة خاصة، ويقول إنه لا تزال نسخة الطبعة التي اشترك بها في مكتبته[٣].

غاية الشيخ من تأليف هذا الكتاب:

غاية الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ من تأليف كتابه دعوة الحق هي دعوة الجماعات الإسلامية في داخل مصر وخارجها إلى الاعتصام بالكتاب والسنة، وأن يتوحدوا جميعاً تحت رايتها.

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل، ط٢ ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، تقديم: السيد رزق الطويل.

(٢) المرجع السابق، ط٣ ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

(٣) انظر: تقديمه لكتاب دعوة الحق، ط ٢.

يقول ــ رحمه الله ــ: (فهذا الكتاب أبتغــي به وجــه الله الكريم، وما انتصر فيه إلا لدعوة الحق مشرقة الجــلال والهدى والنور والبرهان من كتاب الله الحق أو سنة رسوله الحق.

وأني أقدمه للمسلمين في كل قطــر بعامة، وللجماعات الدينيــة في مصر بخاصة، أناشدهم بنية اللياذ بالحق.

والتوحد الكامل الشامل تحت راية القرآن والاعتصام بالكتاب والسنة في الدين والحياة)[١].

المنهج الذي سلكه في الكتابة [٢]:

ابتدأ رحمه الله بالتوحيد ثم تحدث عن الشرك، ثم عاد إلى دلائل التوحيد التي قال عنها: أنها دلائل تفصل بين الموحد والمشرك.

ثم تحدث عن فتنة القبور، ثم عن فريضة الجهاد والغاية منها.

ويظهر أن منهج الشيخ في دعوة الحق وغيره يغلب عليه وبشدة الاهتمام بالقضايا المستجدة والتي تمس العقيدة ســواء ما كانت تحتــاج إلى عرضهــا وإيضاحها أو ما كانت بحاجة دفعها لأنها تقدح تحقيق العقيدة الصحيحة.

ويذكر الوكيل ــ رحمه الله ــ أنه اعتمــد على كتاب الله وعلــى الصحــاح من كتب السنة ويوضح ــ رحمه الله ــ أن هذا ما تتطلبه الكتابة في أمور العقيدة الإسلامية.

يقول: (والله وحده يعلم بما أضنيت به النفس في سبيل هذا الكتاب مكباً على كتاب الله وعلى الصحاح من كتب السنة)[٣].

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٢).

(٢) لا أريد الإشارة إلى التزام أحد المناهج المعروفة عند علماء المناهج إنما أريد أن أصف الطريقة التي كانت عليها كتابته وعرضه الموضوعات وما قدم من منهج عن نفسه.

(٣) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٣).

يقول الأستاذ / السيد رزق الطويل ــ رحمه الله ــ:

(إن هذا الكتاب يعد دستوراً شاملاً كاملاً للدعوة السلفية، ناقش فيه قضايا هامة، وعزز مبادئ هذه الدعوة وأصولها بحجج دامغة، ولا عجب فإنها تقوم على الكتاب والسنة الصحيحة والسيرة الراشدة لسلف الأمة)[(١)].

٢ – كتاب هذه هي الصوفية:

(أصل هذا الكتاب خطاب مفتوح إلى شيخ مشايخ الطرق الصوفية نشره الشيخ / الوكيل في مجلة الهدي النبوي بعد أن قدم شيخ الطرق دعوة للنيابة يشكو فيها جماعة أنصار السنة المحمدية)[(٢)].

فقد طلب الشيخ / عبد الرحمن من وكيل النائب العام للجماعة أن يقف وحده موقف المتهم؛ فقام بتقديم الأدلة على ما وصفت جماعة أنصار السنة الصوفية به من كتب الصوفية أنفسهم، فلم يجد المحقق ما يأخذ به الجماعة.

وبعد تلك الشكاوى وبراءة جماعة أنصار السنة منها كتب الشيخ / الوكيل هذا الخطاب في مجلة الهدي النبوي قائلاً: (ليعلم الشيخ ومن خلفه أنهم مهما كادوا لنا، أو مكروا بنا؛ فإننا لن نسكت عن أساطيرهم)[(٣)].

وطبع منه آلاف النسخ باسم صوفيات في مصر والسودان وسوريا، وترجم إلى الاندونيسية.

ويقول الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ: (ألح إخواننا في طبعه مرة أخرى، فعدت إلى الكتاب أكتبه من جديد وأزيده كثيراً من النصوص، وموضوعات جديدة

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل، ط٢، (ص ٩).

(٢) مجلة الهدي النبوي، مقالة صوفيات، الأعداد (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) تاريخ ١٣٦٨هـ.

(٣) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل، مرجع سابق (ص ٥٥)

لم تكن في طبعته الأولى حتى أربى الكتاب على ضعفي حجمه الأول؛ فليس افتياتا[١] على التاريخ أن أسميه "هذه هي الصوفية" بدلا من اسمه الأول "صوفيات")[٢].

وهذا الكتاب هو من أعظم مؤلفات الشيخ / عبد الرحمن الوكيل ـــ رحمه الله ـــ وأكثرها انتشاراً في العالم العربي والإسلامي.

وبهذا الكتاب عرف الشيخ / الوكيل بين الناس فما ذكر الشيخ إلا قيل صاحب كتاب هذه هي الصوفية.

وقد كان لهذا الكتاب أثر كبير على أهل السنة والجماعة في مصر خاصة وفي بلاد المسلمين عامة.

فقد فرحوا به فرحاً كبيراً لما كان فيه من إظهار لبدع الصوفية وأباطيلهم بالأدلة العلمية القوية.

يقول الشيخ / عبد القادر رزق: (تلقته أنصار السنة بالفرح العميق والموحدون عموماً بالتهليل، والدعاة بالبشر، حيث منح الجميع القدرة المؤيدة بالأدلــة على دحــر ما يقوله المتصوفة ورد كيدهم في نحورهم)[٣].

كما أن كتاب هذه هي الصوفية كان له أثر كبير على الصوفية أنفسهم؛ فقد عرفوا خطره على معتقداتهم وأفكارهم فحرصوا على منع انتشاره بشتى الطرق، وقاموا بمصادرة العديد من النسخ في مصر والسودان.

---

(١) الافتيات: افتعال من الفوت، وهو السبق إلى الشيء دون ائتمار من يؤتمر. تقول: افتات عليه بأمر كذا، أي فاته به. وفــلان لا يفتات عليه، أي لا يعمل شــيء دون أمــره. الصحاح للجوهري ، أبو نصر إسماعيل ابن حماد الجوهــري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) ت : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت الطبعة: الرابعة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م (ج٢، ص٢٨٢).

(٢) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل، (ص ٥٥).

(٣) رسالة كتبها الشيخ / عبد القادر عن الوكيل.

وعندما طبع في سوريا كتب الأستاذ / محمد نسيب الرفاعي في تقديمه له: (هذا الكتاب الذي ساوم المبطلون الضالون صاحب المطبعة التي طبع فيها على إعطائه أجرة الطبع، وقيمة الورق مقابل تسليم الكتاب لهم ليحرقوه)[١].

وحاولوا أيضاً الرد على هذه هي الصوفية وإبطال ما فيه، ولكنهم عجزوا عن منع انتشاره.

يقول الشيخ/ الوكيل ــ رحمه الله ــ: (رد عليه كاتب في السودان بكتيب سماه: "الجياد الصافنات في الرد على الصوفيات"، ورد عليه كاتب في سوريا بكتاب سماه "نسف الصوفيات" فكان ردهما أبلغ دليل على أن الصوفية وثنية عفنة، وحجة على أنهم في ضلال ما دمغناهم به)[٢].

طبعات الكتاب:

صدرت طبعة هــذه هي الصوفيــة الأولى في ربيــع الآخر ١٣٧٥هــ/ الموافق ١٩٥٥/١١/١٦م.

ثم طبع للمرة الثانية والثالثة[٣].

ثم طبع للمرة الرابعة في ٧ محرم ١٣٩٨هــ/ الموافق ١٩٧٧/١٢/١٧م.

ثم الطبعة الخامسة في عام ١٤٢٢هــ / ٢٠٠١م.

ثم الطبعة السادسة في عام ١٤٢٥هــ /٢٠٠٤م.

وعندما صدرت الطبعة الأولى من كتاب هذه هي الصوفية قدم الشيخ/ الوكيل ــ رحمه الله ــ نسخة منه هدية لرئيس الجمهورية جمال عبد الناصر.

---

(١) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص ٥٥).

(٢) المرجع السابق، (ص ٥٦).

(٣) لم ترسل لي تواريخ الطبعتين، ولم أقف عليها.

وقد تلقى الوكيل ـــ رحمه الله ـــ خطاب تقدير وشكر من الرئيس جاء فيه:

(السيد الشيخ / عبد الرحمن الوكيل:

تحية طيبة...

وبعد فأشكر لك أجزل الشكر إهداءك إلي مؤلفك "هذه هي الصوفية" قد كنت فيه وفيا لفكرتك، مؤيداً لها بشتى الحجج والأسانيد.

على أن الذي أثلج صدري حملتك التي حملتها على البدع السائدة، والأوهام الضالة التي تدور في مخيلة الكثيرين من السذج والبسطاء، والله أسأل أن يوفقنا جميعاً)[١].

منهجه في كتابه هذه هي الصوفية:

اعتمد الشيخ/ الوكيل ـــ رحمه الله ـــ في الـــرد على الصوفية في كتابه هـــذا وفي جميع ما كان يكتبه عنهم على عرض أقوالهم من كتبهم، فينقل منها النصوص الكثيرة البينة الدلالة على معتقدهم مقارنا بينها وبين ما جاء في آي القرآن الكريم وما صح من حديث خاتم المرسلين ﷺ.

ويقول الشيخ/ الوكيل ـــ رحمه الله ـــ في مقدمة الكتاب أنه كان يستطيع أن يصنع صنيع بعض نقدة الصوفية قديماً وحديثاً فيأتي بفتاوى أئمـــة المسلمين في شأنهم، وينقـــل ما نقلوه من نصوص عن الصوفية، ولكنه لم يعتمد بقول أحد في الصوفية، وإنما اعتمد على نقل النصوص قوية الدلالة من كتبهم.

يقول ـــ رحمه الله ـــ: (فنقلت دين الصوفية من كتبهم التي يؤمنون بها ذاكراً اسم الكتاب، وتاريخ ومكان الطبعة، ورقم الصفحة التي عنها نقلت، لأرمي الظن والريب باليقين الواضح، ولأبعد كل شبهة تتوهم أننا نفتات عليهم أو نبهتهم، وليكون كل قارئ مفتيا لنفسه بالحق وحكما بين الحق وباطلهم)[٢].

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة تقدير كريم من بطل الحرية السيد رئيـــس الجمهورية لكتاب هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل، عدد ١١، ١٢، تاريخ ١٣٧٥هـــ (ص٤١٠).

(٢) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص ٥٦).

وقد كان من توفيق الله سبحانه وتعالى للشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ أن جعله ينقد الصوفية ويدحضهم بقولهم؛ فأعجز الصوفية عن الرد حتى مشايخهم وعلى رأسهم شيخ طرقهم الذي عرض عليــه الوكيل أن يصــدع بالحق ويرجع لله معلنا كفــره بابن عربي(١) وابن الفارض(٢) وغيرهم من طواغيت الصوفية أو أن يناظره ويرد على قوله ولكنه سكت وسكتت الصوفية جميعها حتى يكون لهذا الكتاب ما كان له من انتشار وهم ينظرون فقد أتاهم الوكيل من حيث لا يستطيعون الرد على قوله لأن ردهم إما أن يكون بتصريحهم بأنهم مصدقين بقول علمائهم الخارج عن الدين أو تصريحهم الكفر به وبذلك يخسرون ما هم فيه من سيطرة على فكر أتباعهم بالخداع والتضليل.

وقد وعد الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ في نهاية كتابه أن يستمر مناضلاً بهدي الله في مجابهة ضلال الصوفية وهو يعلم أنه بذلك يثير أحقادهم وأن ذلك يقف به على شفا خطر قد يدهمه بغتة.

يقول ــ رحمه الله ــ: (ولن أضع القلم ــ وحسبي الله ــ إلا إذا أصميت الصوفية، وأدميت، أو إلا إذا هدمت أنا، أو قضيت! فلن تخشى صولة الحق، سورة الباطل، ولكن كل هذا لن يمس قلوبنا بحقد، ولا نفوسنــا بضغينة، بل إنه ليرفع بأيدينا ــ ومن خلفها قلوبنا تحثها ــ في ضراعة خاشعــة إلى الله أن يهب لنا، وللصوفيــة الإيمان الحق، وأن يهديهم سبحانه سبيل الإسلام)(٣).

وقد كان ــ رحمه الله ــ صادقاً فيما قال فقد تصدى للصوفية في وقت عظم شأنها وكان من الخطر التصدي لهم إلا أنه كان ينظر ــ يرحمه الله ــ إلى خطرهم على العقيدة الإسلامية ولم يكن ينظر لسطوتهم فقد كان شجاعاً في مواجهة خطرهم.

يقول الشيخ / محمد علــي عبد الرحيم ــ رحمه الله ــ: (وكــان أكبر خطر تصدى له الشيخ ــ رحمه الله ــ مهازل الصوفيــة واعتقاداتهم واتخاذهــم الأضرحة

---

(١) سيترجم له في الباب الخاص بالرد على الصوفية.

(٢) السابق.

(٣) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص ٢٢٧).

أرباباً من دون الله يشد إليها الرحال وتقام لها الموالد وينذر إليها القرابين رجاء منفعة أو دفع مضرة.

أوضح ذلك في كتبه بقريحة وقادة وعقل ناضج ودل بكتابته على أن العلم لا آخر له، وأن الفضل لا حد له)[١].

ويقول الشيخ/ فتحي عثمان أن من قرأ الآن ما كتبه الشيخ / الوكيل عن الصوفية ظن أن الأمر سهلاً ميسوراً، ولكن الشيخ ركب لجة ما لها من قرار وخاض بحراً ما له سواحل فما كان هناك إلا سنة القبور من شيوخ الطرق همهم المغانم يجروها بالاتجار بالدين يلتف حولهم آلاف الأتباع الجاهلين بحقائق الدين [٢].

امتداد فكر الشيخ حول الصوفية والاعتماد على مؤلفاته.

اعتمد الكثيرون من الكتاب عن الصوفية على كتابات الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ فقد نقل الشيخ نصوص الصوفية من كتبهم في دقة متناهية، وعرضها بأسلوب علمي وتحقيق دقيق وبذلك يكون قد أغنى غيره عن الرجوع لكتبهم.

وعرف ــ رحمه الله ــ بالأمانة العلمية العالية في النقل والدقة في ذلك.

يقول الشيخ / فتحي عثمان:

(وتعتبر كتبه مرجعا لكل من أراد أن يكتب عن التصوف)[٣].

ويذكر الشيخ/ محمد صفوت نور الدين الرئيس العام لجماعة أنصار السنة أن هناك من الكتاب من هم الآن في كتاباتهم امتداد فكري لما كتبه الوكيل.

يقول: (وإن ما يكتبه الأستاذ محمود المراكبي بمجلة التوحيد اليوم وما سطره في كتبه خاصة كتاب تسرب الفكر الباطني للرسالات السماوية لهو امتداد جيد لهذا الفكر.

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل، في تقديمه للكتاب (ص: ب).

(٢) انظر: من ضلالات الصوفية، فتحي عثمان، (ص١٠).

(٣) الجيلي وكتابه الإنسان الكامل، (ص ٨) من ضلالات الصوفية، (ص٦)، سيد الخلق بشر (ص١٠).

وما كتبه السندي وغيره من الكتاب حول التصوف لكشف حقيقة الصوفية التي تستهوي الناس لإضلالهم هو أيضـــاً امتداد فكري لما كتبه الشيخ / عبد الرحمن الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ)[١].

أهمية الكتاب:

(وأهمية الكتاب تنجلي في النقاط التالية:

١ – أن المؤلف قد اتسم بالموضوعية في دراسته.

٢ – أنه كان رحمه الله خبيراً بالفلسفة اليونانية الأمر الذي أهله لدحض نظرية "وحدة الوجود".

٣ – أن أسلوب المؤلف أسلوب أدبي متميز ورصين مما كان له الأثر البليغ في خدمة الفكرة التي انتدب نفسه لبيانها.

٤ – أن الكتاب ظهر في مرحلة، قويت شوكة هذه الطائفة، وكان هذا الكتاب صفعة قوية نبهت المخدوعين بالصوفية وردهم للحق.

٥ – نظراً لموقع المؤلف داخل جماعة أنصار السنة فإن الكتاب عكس موقفاً حاسماً وصريحا للجماعة من بدع ومنكرات الصوفية)[٢].

وبهذا يكون الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ قد أظهر لنا في سفره العظيم "هذه هي الصوفية" صفات الكاتب والداعية المسلم؛ فقد كان عادلاً منصفاً، أميناً في نقله، شجاعاً في قول الحق، متوكلاً على الله معتمداً عليه ناصحاً لأبناء المسلمين من أتباع البدع ومحذراً لهم، وداعياً للمبتدعـــين بأن يعودوا إلى كتاب الله وأن ينبذوا ما هم فيه من ضلال.

وأني لا أحسبه ولا أزكي على الله أحد أنه صدق وأخلص فكان هذا التوفيق والسداد.

---

(١) سيد الخلق بشر، فتحي عثمان (ص ٤).

(٢) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل، مرجع سابق (ص٣٩) تعليق: رامي إبراهيم البنا، بتصرف.

يقول الوكيل ــ رحمه الله ــ:

(وما نشتري بما نكتب رضاء الناس، وإنما نبتغي به رضاء الله، فلله ما بذلت من جهد، وأضرع إليه سبحانه أن يدخره لي جهداً في سبيله، وألا يضيعه بذنب منا نقترفه، وهو مولانا ونعم النصير)[1].

٣ـ كتاب الصفات الإلهية بين السلف والخلف:

إن كتاب الصفات الإلهية للشيخ / عبد الرحمن الوكيل ــ رحمه الله ــ هو إبراز لعقيدة أهل السنة والجماعة في إثباتهم الصفات الإلهية كما جاءت في كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ دون تعطيل ولا تأويل ولا تمثيل.

ويمكن اعتبار هذا الكتاب مكملاً لكتابه دعوة الحق؛ حيث ذكر فيه الشيخ ــ رحمه الله ــ توحيد العبادة وفصل فيه وذكر وسائل العبادة بإسهاب.

ثم جاء في كتاب الصفات الإلهية ليفصل في موضوع الإيمان بصفات الله تعالى مقارناً بين إيمان السلف وإيمان الخلف.

طبعات الكتاب:

صدرت طبعة الصفات الإلهية الأولى في ١٠ جمادى الآخرة ١٣٨١هـ/ الموافق ١٨/١١/١٩٦١م.

ثم صدرت طبعته الثانية من دار أم القرى للطباعة بالقاهرة، والطبعة بدون تاريخ.

الغاية من تأليف الكتاب:

إن كتاب الصفات الإلهية من مؤلفات الشيخ/ الوكيل ــ رحمه الله ــ التي عالج فيها قضية من أهم القضايا العقدية وهي الإيمان بصفات الله تعالى.

والشيخ ــ رحمه الله ــ كما عرفنا يهتم بمعالجة القضايا التي يعيشها المجتمع وتمس أصول العقيدة وجذورها.

---

(١) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل، مرجع سابق (ص٥٨) تعليق: رامي إبراهيم البنا، بتصرف.

فقد كان التعليم الديني في مصر يمثل عقيدة الأشاعرة التي تخالف منهج السلف في الإيمان بالصفات الإلهية.

فأراد ــ رحمه الله ــ إثبات الصفات الإلهية كما وردت في القرآن الكريم والسنة الشريفة من خلال الرد على الأشاعرة الذين خالفوا منهج السلف الصالح في الإيمان بالصفات الإلهية.

وحرص على إثبات أن السلف هم الأسلم والأعلم والأحكم وعرض عقيدة أساطين الأشاعرة ومؤلفاتهم التي أظهروا للناس فيها عدولهم عن ما قالوه ورجوعهم لمذهب أهل السنة والجماعة.

منهج الشيخ في الكتاب:

(وقد عالج الشيخ موضوع الأسماء والصفات بأسلوب الحوار مع الفرق الأخرى وخاصة الأشاعرة والجهمية[1] فوضع الدواء مواضع العلل وأبرز عقيدة أهل السنة والجماعة.

وقد ضمن الشيخ بمؤلفات الأساطين الأشعرية.

تابوا فيها عن معتقداتهم المخالفة لمعتقد أهل السنة والجماعة.

مما أعطى الكتاب فائدة جديدة نقدمها لمن يصرون على الانتساب إلى مؤلفات هؤلاء قبل توبتهم)[2].

هذا الكتاب حوار مع الأشاعرة الذين سطوا على الأزهر لقرون فكان للشيخ فيه نداء ورجاء لشيوخ الأزهر في تدريس العقيدة كما جاءت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والتي كانت إيمان الصحابة وتابعيهم في القرون الثلاثة الأولى.

---

(١) الجهمية: أصحاب جهم بن صفوان. قالوا لا قدرة للعبد لا مؤثرة ولا كاسبة بل هو كالجماد، والجنة والنار يفنيان بعد دخول أهلهما ولا يبقى موجود سوى الله. التوقيف على مهمات التعاريف ، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ) ، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة: الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م (ص١٣٣).

(٢) الصفات الإلهية، د. الوصيف علي حزة، (ص٤).

فعرض إيمان الصحابة ومعتقدهم في صفات الله ثم عرض رأي المتكلمين وخاصة الأشاعرة ومعتقدهم في الصفات الإلهية.

ثم أورد نصوصاً لأئمة الأشاعرة الذين عدلوا عن رأيهم ثم عادوا إلى معتقد السلف الصالح في الإيمان بصفات الله.

وقال رحمه الله: (ولقد رأيت أن أنشر هذه النصوص لأئمة الأشاعرة وهم الأشعري والباقلاني[١] والجويني[٢] وابن فورك[٣]، الرازي[٤]، الغزالي، وسيرى أولئك أن أئمة الأشاعرة اعترفوا بأن طريقة السلف هي الأسلم وبأنها هي الأعلم وبأنها هي الأحكم).

وقارن بين السلف والخلف في الإيمان بالصفات الإلهية، ثم حقق مذهب السلف في ذلك.

وقد عقب الوكيل ــ رحمه الله ــ بعد تحقيق مذهب السلف الحق بأن هذه هي عقيدة أنصار السنة المحمدية.

٤- كتاب البهائية تاريخها وعقيدتها وصلتها بالباطنية والصهيونية:

كتاب البهائية من أهم مؤلفات الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ فقد تفهم الشيخ خطورة البهائية على الفكر الإسلامي حيث أنه كان متابعاً للنحل المخالفة للعقيدة الإسلامية ومجتهداً في إظهار باطلها وضلالها، فكيف بنحلة كالبهائية.

---

(١) الباقلاني هو: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر الباقلاني، أبو بكر، ولد بالبصرة سنة ٣٣٨هـ، وسكن بغداد وانتهت إليه الرئاسة في مذهب الأشاعرة، توفي يوم السبت، ودفن يوم الأحد لسبع بقين من ذي القعدة سنة ٤٠٣هـ ببغداد . سير أعلام النبلاء (ج١٧، ص١٩٠).

(٢) الجويني هو: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد، الملقب بإمام الحرمين الجويني، أبو المعالي، المحقق النظار، المتكلم الأصولي ولد في جوين ــ من نواحي نيسابور ــ سنة ٤١٩هـ، وتوفي سنة ٤٧٨هـ، سير أعلام النبلاء (ج١٨، ص٤٦٨).

(٣) الأستاذ/ أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك المتكلم الأصولي الأديب النحوي الواعظ برع في الكلام ومختلف العلوم ، وتوفي سنة ٤٠٦هـ. وفيات الأعيان (ج٤، ص٢٧٢).

(٤) الرازي هو: محمد بن عمر بن الحسين بن علي التميمي البكري، فخر الدين ولد سنة ٥٤٤هـ ، توفي بهراة يوم عيد الفطر سنة ٦٠٦هـ .الأعلام (ج٦، ص٣١٣).

وقد عرف ــ رحمه الله ــ خطورة البهائية منذ بداية ظهورها فقد (نشطت بعد ثورة ١٩٥٢م وقد أطلت الأفعى برأسها بعد هزيمة فلسطين وبدأ البهائيون يقيمون القضايا يطالبون بالاعتراف بمذهبهم ديناً رسمياً... ومنذ ذلك الوقت تنبه لهم الأستاذ / عبد الرحمن الوكيل، فألف كتابه البهائية ... ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م ونشره سنة ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م)[١].

طبعات الكتاب:

طبع الكتاب مرتين وهي:

١ – الطبعة الأولى عام ١٣٨١هـ/١٩٦٢م.

٢ – الطبعة الثانية عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

وفي هذه الطبعة مراجعة وضبط وتنسيق : للأستاذ / أحمد حمدي إمام.

غاية الشيخ من تأليف كتاب البهائية:

يقول الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ:

(باسم الله ألفنا هذا الكتاب؛ لنكشف الستر عن حقيقة هؤلاء الذين علمهم الاستعمار والصهيونية كيف يخونون باسم الدين، ويقترفون الخطايا باسم الدين.

ألفته باسم الله ذياداً عن الإسلام، عن الحق، عن قيم الفكر السامية، ومقدسات الأخلاق، ذياداً عن شرف كل إنسان حر وكرامته وحريته، فالبهائية تبذل كل جهدها في سبيل أن تكون للصهيونية السيطرة الباغية على الشرق كله، ثم على العالم اجمع.

ولعلي بهذا الكتاب أسهم في إنقاذ شبابنا وأسرنا من ذلك الفساد العقدي والخلقي الذي ينتشر باسم صوفية مرة، وبهائية مرة، ووجودية أو شيوعية مرة أخرى)[٢].

---

(١) البهائية، عبد الرحمن الوكيل، (ص٣٦) ط٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، مطبعة المدني، القاهرة، (ص٧٦) من مقدمة الكتاب، بقلم: أحمد إمام.

(٢) المرجع السابق، (ص٣٦) بتصرف.

مصادر الشيخ ومنهجه في الكتاب:

يقول الشيخ:

(إن مصادري هي كتب البهائية المقدسة، ولا سيما كتب معبودهم الأول الميرزا "حسين علي"[١] الملقب بالبهاء، وكتب معبودهم الآخر "السيد عباس"[٢] ابن الميرزا حسين الملقب بعبد البهاء، وكتب أكبر داعية بهائي وهو "أبو الفضائل الجرفادقاني"[٣] وقد لقبته بأبي الرذائل...

ولكي يرتبط أول الكتاب بآخره، ويتضح الموضوع كتبت عن المؤامرة السبئية التي قام بها عبد الله بن سبأ[٤] وتتبعت بإيجاز ما نجم من فرق عن السبئية حتى البهائية.

كما ذكرت ما دانت به هـذه الفرق، ليبدو لنا في جـلاء أن البهائيـة ما هي إلا نفثات من ضلالة كل فرقة)[٥].

وقد كانت المراجـع التي رجـع إليها الوكيـل في تأليـف البهائيـة كثيرة ومتنوعة وهي:

- مراجع أساسية عن البهائية وقد بين الشيخ أنها قاربت ١٥ كتاباً ورسالة.
- مراجع حول البهائية والردود عليها.
- مراجع إسلامية عامة.
- مراجع حديثة.

---

(١) سيترجم له في الباب الثالث ؛ الفصل الرابع الرد على البهائية.

(٢) السابق.

(٣) سيترجم له في الباب الثالث ؛ الفصل الرابع الرد على البهائية.

(٤) هو: عبد الله بن سبأ: رأس الطائفة السبئية. وكانت تقول بألوهية علي. أصله من اليمن، قيل: كان يهوديا وأظهر الإسلام. رحل إلى الحجاز فالبصرة فالكوفة ونشر فتنا كثيرة في صفوف المسلمين، توفي سنة في حدود سنة ٤٠هـ. الأعلام للزركلي (ج٤، ص٨٨).

(٥) البهائية، عبد الرحمن الوكيل، (ص ٣٨) بتصرف.

تقدير من رئيس الجمهورية لكتاب البهائية:

أرسل مدير مكتب الرئيس للشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ رسالة تقدير على تأليف كتاب البهائية جاء فيه:

(السيد / عبد الرحمن الوكيل.

تحية طيبة وبعد: أمرني سيادته أن أبعث إليك بشكره البالغ على هذه المشاعر الصادقة التي حملتك على موافاته بكتابك "البهائية" تاريخها وعقيدتها.

وإن السيد الرئيس ليقدر لك هذه الروح العالية التي تصفو بيقينها بالله وتسمو بالعمل بكتابه والتمسك بسنة رسوله ﷺ محبباً فيك هذه الغيرة القوية التي تدفعك إلى الرد على ما يفتري به على الدين القويم من شبه وأباطيل)[١].

مميزات كتاب البهائية:

تميز كتاب البهائية للوكيل ــ رحمه الله ــ بمميزات كثيرة فقد أثنى عليه الكثير من العلماء والكتاب في الصحف ومن خلال هذه الكتابات أذكر أهم المميزات التي وصف بها الكتاب وصاحبه ــ رحمه الله ــ وهي:

- أن هذا الكتاب يعتبر دراسة موضوعية وافية متخصصة لنحلة البهائية.
- أن الشيخ ــ رحمه الله ــ رجع عند تأليفه إلى مراجع كثيرة ومتنوعة.
- التسلسل الزمني الذي تتبعه الشيخ ــ رحمه الله ــ لنشأة بعض الفرق والربط بينها لتحذير المسلمين من تآمر أعداء الإسلام وتبصرهم لمواجهة هذه المؤامرات.
- ظهور مؤلفات حديثة بعد كتاب الشيخ ــ رحمه الله ــ تبين أبعاد ومعتقدات البهائية وتبين سبق الوكيل رحمه الله وتبصيره المسلمين بردة البهائية وخروجهم عن الدين الإسلامي وذلك منذ أربعة وعشرين عاما[٢].

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة تقدير من السيد رئيس الجمهورية لكتاب البهائية، عدد ١١، تاريخ ١٣٨٥هـ، (ص١٤).

(٢) جريدة الأخبار، مقالة الدعوة إلى التوحيد كانت أكبر اهتماماتـه، سعد صادق ٢٨ رمضان، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦/٦/٥م.

- تنبه الوكيل ــ رحمه الله ــ للبهائية وخطورتها منذ بداية نشاطها وتأليفه هذا الكتاب.
- إن دراسة الوكيل ــ رحمه الله ــ للبهائية وغيرها من الفرق دراسة إسلامية أصيلة لم تدنسها دراسة غربية وهي بذلك تلحقه بأسلافه من الباحثين في الفرق والملل والنحل من أمثال الشهرستاني[١] والبغدادي[٢] وغيرهما، فكتاب البهائية مرجع أساسي شامل واع متفرد [٣].

ملاحظات حول كتاب البهائية رد عليها الوكيل رحمه الله[٤].

نشرت مجلة الأزهر في عدد رجب سنة ١٣٨٢هـ نقداً لكتاب البهائية كتبه: محمد عبد الله السمان.

ابتدأ مقالته بأن مكتبة جماعة أنصار السنة بعابدين قد نشرت كتاب للبهائية ومؤلفه هو الشيخ / عبد الرحمن الوكيل الرئيس العام للجماعة، وأن كتابه هذا دراسة واسعة عن هذه النحلة.

وقال: (فهذا عرض سريع لهذه الدراسة الجيدة، ولا ريب في أن الأستاذ/ عبد الرحمن الوكيل بذل جهداً يشكر عليه، فقد جعلنا نلم إلماماً شاملاً بالبهائية ومفترياتها في روعة البيان)[٥].

---

(١) محمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتح المعروف بالشهرستاني. قال السبكي: كان إماماً مبرزاً مقدماً في علم الكلام والنظر، برع في الفقه والأصول والكلام، ومن تصانيفه: الملل والنحل، نهاية الإقدام، وغيرهما. توفي سنة (٥٤٨هـ)، وكانت ولادته عام ٤٦٧هـ، وقيل: ٤٧٩هـ. انظر: طبقات الشافعية: (ج٦، ص١٢٨ــ١٣٠).

(٢) عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور، الأستاذ الكامل ذو الفنون، الفقيه الأصولي ، كان كثير الشيوخ كثير الفنون ، مات سنة ٤٢٧هـ، وقيل سنة ٤٢٩هـ. المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، المؤلف: تَقِيُّ الدِّيْنِ، أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيْمُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ الأَزْهَرِ بنِ أَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدٍ العِرَاقِيُّ،الحَنْبَلِيُّ (المتوفى: ٦٤١هـ) ت : خالد حيدر ، دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع ١٤١٤هـ. (ص٣٩٤).

(٣) البهائية، عبد الرحمن الوكيل، مقدمة: أحمد حمدي إمام، (ص ٩).

(٤) الهدي النبوي، العدد ٩، تاريخ ١٣٨٢هـ، مقالة الأزهر، وكتاب البهائية، بقلم : عبد الرحمن الوكيل، (ص ٢٨).

(٥) المرجع السابق ، (ص٣٠).

ثم عرض نقده لكتاب البهائية وهو:

١ – أنه لم يخل من الحدة التي كنا أن نود أن يجنب أسلوبه منها في هذه الدراسة العلمية الموضوعية.

٢ – أن الوكيل كان يحاول إلصاق البهائية بالحركة السبئية والحركة اليهودية منذ ضحى الإسلام.

٣ – أنه استعمل وهو يحدثنا عن الفتنة في عثمان ﷺ كلمة الصهيونية وهي كلمة مستحدثة.

٤ – أن مؤسس البابية التي كانت فيما بعد البهائية ولد عام ١٨١٩م فكيف تربط حركته بالسبيئية المنتمية إلى عبد الله بن سبأ المعاصر للخليفة الثالث.

ويقول: (إني أرى بعدا عن المقاييس الصحيحة للدراسة العلمية المنهجية)(١).

ثم ختم مقالته بقوله:

(وإني لأحمد بعد ذلك للمؤلف اتجاهاً جديداً هو عدم المساس بأقدار علي وبنيه، وتأويله لكل ما حدث في فتنة الحسين وغيرها، بأن الخطأ في اجتهاد الرأي.

وأحمد له أيضاً أن قلمه قد أمتعنا بدراسة قيمة عن هذه النحلة الحديثة التي لا زالت تستهوي بعض المأفونين من الشباب الذي يجد لذة في التحلل والانحلال)(٢).

تعقيب الشيخ الوكيل على المقالة:

شكر الوكيل مجلة الأزهر والكاتب الكريم على هذا النقد الذي حرص فيه على التجرد للإنصاف؛ فعرض الكتاب عرضاً موجزاً دقيقاً يشهد للكاتب بأنه قرأ قبل أن يكتب.

---

(١) مجلة الأزهر، عدد رجب، ١٣٨٢هـ (ص٣٠).

(٢) مجلة الأزهر، العدد السابق (ص ٣٠).

- ورد على مسألة الحدة بأنها مسألة نسبية قد يراها البعض لينا لا حدة، وقد تكون في مقاييس الحق كلمة حق يجب أن تقال.

وإن الكاتب لو عاش مع كتب البهائيين السنوات التي عاشها لأتى بأسلـــوب كل ما للحق من حدة وحول وطول.

وقال ــ رحمه الله ــ: (إني يا أخي أكتب وأنا مسلم من إسلاميتي اندفعت كلماتي تجابه الكفر القذر، من إسلاميتي انبعثت تعبيرات تدفع الباطل بما يجب أن يدفع به)[1].

وفي قول الوكيل رحمه الله هذا رداً أيضاً على من وصفه بالحدة مع الصوفية.

ثم رد رحمه الله على إلصاق البهائية بالحركة السبيئة والحركة اليهودية بقوله:

(ليتبين لنا بجلاء أن البابية والبهائية امتداد لهذه المؤامرات، وأن ما كاد به الشيطان قديما لدين الإسلام هو عين ما يكيد به حديثاً)[2].

ورد على استعماله كلمة الصهيونية وهي مستحدثة بما يقوله الأستاذ / العقاد[3]: (الواقع أن الصهيونية الحديثة كأختها القديمة كلتاهما وليدة السياسة والسياسيين أياً كان السبب الذي تستند إليه)[4].

ويقول: وإنها كحركة سياسية نشأت بين اليهود فهي قديمة ولها أهدافها وغاياتها الحديثة منذ نشأت، وهو بذلك ليس بدعاً في هذا الاستعمال.

ويرد على قوله أنه ربط حركة البهاء بالسبئية بأنه كما يجوز لنا أن نربط أصول الإيمان الصحيحة في عصر متأخر بأصول الإيمان في عصر متقدم كذلك يجوز لنا أن نربط الكفر بأصوله الأولى.

---

(١) الهدي النبوي، مقالة الأزهر وكتاب البهائية، (ص٣١) بتصرف.

(٢) الهدي النبوي، العدد السابق (ص٣٢) بتصرف.

(٣) العقاد هو: عباس محمود أفندي إبراهيم مصطفى العقاد، ولد يوم الجمعة الثامن والعشرين من يونيو، عام ١٨٨٩م، في مدينة أسوان، واشتغل بالأدب، وبرع فيه وفاق الأقران، وألف مؤلفات أدبية كثيرة، توفي سنة ١٩٦٤م . الأعلام للزركلي (ج٣، ص ٢٦٦).

(٤) الهدي النبوي، مرجع سابق (ص٣٢).

وإن الكاتب قد قرر أنه من السهل رد هذه النحلة إلى فكرة الشيعة الباطنية في مسألة المهدي المنتظر وأين زمن البهائية من زمن الباطنية؟

ثم يقول ــ رحمه الله ــ:

(ونحن في بحثنا في أمور التصوف والفلسفة نرد كثيراً من الأفكار الفلسفية والصوفية الحديثة إلى أصولها اليونانية أو الشرقية.

والمشابهات بين ألوان الكفر وأنواعه واضحة كل الوضوح، وقد نجد أصول الكفر التي كانت في قوم نوح هي عين أصول الكفر التي تحاربها اليوم)[١].

ثانياً: الكتب التي حققها الشيخ:

وهي ثلاثة كتب:

١ ــ مصرع التصوف، وكان تحقيق لمخطوطة.

٢ ــ الروض الأنف.

٣ ــ إعلام الموقعين عن رب العالمين.

وهما دراسة واستدراكات على تحقيقات سابقة.

١ـ مصرع التصوف.

كتاب مصرع التصوف هو نتاج تحقيق علمي دقيق، لكتابين لعلم من أعلام القرن التاسع الهجري وهو برهان الدين البقاعي رحمه الله والكتابين هما:

١ ــ تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي.

٢ ــ تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد.

وقد جمعها الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ في كتاب واحد سماه "مصرع التصوف".

---

(١) الهدي النبوي، مقالة الأزهر وكتاب البهائية، (ص٣٣) بتصرف.

وقال ـــ رحمه الله ـــ عن سبب هذه التسمية:

(لما كان الكتاب ينقد التصوف نقداً قاتلاً فقد سميناه "مصرع التصوف".

واعتذر عن مخالفة الأصل في التسمية[١] لطول عنواني الكتابين، ولما في أحدهما من تعريض بالقارئ)[٢].

طبعات الكتاب:

طبع كتاب مصرع التصوف ثلاث طبعات:

الطبعة الأولى: بتاريخ ١٢ صفر ١٣٧٢هـــ الموافق ١٩٥٢/١٢/٣١م.

الطبعة الثانية: طبعـــت تحت إشراف رئاســـة إدارة البحوث العلميـــة والإفتاء بالرياض بتاريخ ١٤١٥هـــ/١٩٩٦م.

الطبعة الثالثة: طبعتها دار الإيمان بالإسكندرية، تاريخ ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـــ.

سبب تحقيقه لهذين الكتابين:

ذكر الشيخ / الوكيل ـــ رحمه الله ـــ في مقدمة مصرع التصوف أن النسخة التي اعتمد عليها في نشر هذا الكتاب يملكها الشيخ محمد نصيف ويقول ـــ رحمه الله ـــ:

(وقد تفضل كدأبه دائماً في العمل على نشر العلم فأعطاها إلى فضيلة أستاذنا الكبير الشيخ / محمد حامد الفقي ليعمل على نشرها؛ فتفضل أستاذنا ووكل إلى أمر تحقيقها والتعليق عليها)[٣].

---

(١) الأولى والأفضل في الكتب التراثية أن تطبع بأسمائها الأصلية التي كتبها مؤلفوها ، فهو أفضل للتاريخ وللعلم وللمنهجية العلمية.

(٢) مصرع التصوف، برهان الدين البقاعي، تحقيق وتعليق: عبد الرحمن الوكيل، ط٣، دار الإيمان، الإسكندرية، ٢٠٠٤م، (ص١٢).

(٣) المرجع السابق، (ص١٥).

وفي توكيل الفقي للشيخ / عبد الرحمن الوكيل ــ رحمهما الله ــ دلالة على معرفة الوكيل بالتصوف وأهله وأنه كان أعلم رجال جماعة أنصار السنة بمعتقدات الصوفية ومؤلفاتهم وأقدرهم على تحقيق الكتب المؤلفة في ذلك.

منهج البقاعي في الكتابين:

يقول الوكيل ــ رحمه الله ــ: إن منهج البقاعي في النقد في الكتابين يقوم على أصلين وهما:

١ ــ نقل نصوص كثيرة عن "فصوص الحكم" لابن عربي. وعن التائية الكبرى لابن الفارض، وأنه كان قليلاً ما يعلق عليها ويكشف ما فيها من مجافة للتوحيد معتمداً على فطنة القارئ ومعرفته بدينه.

٢ ــ إن البقاعي ذكر فتاوى كثيرة عن شيوخ القرون السابع والثامن والتاسع الهجرية.

ثم يقول ــ رحمه الله ــ:

(ومما لاحظته: أن المؤلف لم ينقل عن ابن تيمية سوى النزر اليسير جدا بيد أن هذا يجعل للكتاب خطره الكبير في نظر المتصوفة على معتقدهم؛ إذ لا يستطيعون اتهام أحد مما ذكرهم البقاعي بالخصومة، كما كانوا يفعلون مفترين بالنسبة إلى الشيخ الإمام ابن تيمية)[١].

عمل الوكيل في الكتاب:

عرض الوكيل ــ رحمه الله ــ عمله في تحقيق مصرع التصوف في عدة نقاط جمعت الاختصار والوضوح أهمها:

١ ــ أن نص الكتاب هو إما نقول عن الفصوص والتائية، وإما عن كتب علماء نقدوا التصوف، وإما من إنشاء المؤلف ــ رحمه الله ــ.

---

(١) مصرع التصوف، برهان الدين البقاعي، (ص١٣).

أما ما كان من نقول فقد بذل الوكيل فيها كل الجهد في سبيل تحقيق هذه النقول بمراجعتها في كتب أولئك العلماء ويقول ــ رحمه الله ــ:

(ويشهد الله أني لقيت في سبيل ذلك نصباً كبيراً كان من نتائجه أن أصبحت أمانة البقاعي في النقل فوق كل فطنة، وسيكون من آثاره اطمئنان القارئ إلى كل ما نقله)[١].

أما ما كان من أسلوب المؤلف فقد تركه على حاله وصوب فيه ما تجزم قواعد العربية بخطئه مشيراً إلى ذلك في الهامش.

٢ ــ برهن على المواضع المخالفة للعقل والنقل عند الصوفية لأن المؤلف اكتفى بإيراد النصوص تاركاً للقارئ الحكم عليها.

٣ ــ فسر ــ رحمه الله ــ مصطلحات الصوفية الكثيرة الواردة في الكتاب معتمداً على كتب الصوفية حتى يخلص للكتاب الحق والإنصاف والصدق.

وغيرها من النقاط التي ذكرها الوكيل ــ رحمه الله ــ في وصف ما قام به في تحقيق هذا الكتاب.

غير أن النقاط المخصوصة بالذكر فيها دلالة واضحة على ما قام به الوكيل من تحقيق ونقل هو أيضاً فوق كل فطنة وأنه كان تحقيقاً علمياً دقيقاً.

٢ـ الروض الأنف:

الروض الأنف هو شرح سيرة ابن هشام[٢] لأبي القاسم السهيلي[٣] وهو ٧ مجلدات وطبع منذ أكثر من نصف قرن.

---

(١) مصرع التصوف، برهان الدين البقاعي (ص١٤).

(٢) ابن هشام: هو أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، مشهور بحمل العلم، متقدم في النسب والنحو، أصله من البصرة، له كتاب في أنساب حمير، وكتابه العظيم في السيرة وغيرها، ت: ٢١٨هـ، بمصر. انظر: سير أعلام النبلاء (ج١٠، ص٤٢٨)، معجم المؤلفين (ج٦، ص١٩٢).

(٣) عبد الرحمن بن عبيد الله بن أحمد بن أبى الحسن الخثعمىّ ثم السّهيلىّ الأندلسىّ النحوىّ اللغوىّ الأخبارىّ فاضل كبير القدر فى علم العربية، كثير الاطلاع في السير والتراجم توفي سنة ٥٨١هـ. إنباه الرواة على أنباه النحاة (ج٢، ص١٦٢).

يقول الدكتور / سيد رزق الطويل ــ رحمه الله ــ:

(وقد عايشت الشيخ / عبد الرحمن فــترات في تحقيقه لهــذا الكتاب، وبخاصة في بعض القضايا النحويــة التي تميز بها كتاب السهيلي، والرجل في صناعة النحو عالم قدير)[١].

فصاحب الروض الأنف هو أبو القاسم السهيلي العلامة اللغوي النحوي الأندلسي فكان لا بد لمحققه أن يكون على معرفة كبيرة بعلوم اللغة العربية والشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ عرف بتمكنــه من علوم اللغــة العربية وقــد أثنى عليه الكثير من العلماء في ذلــك، وكما قال الأستاذ / سيد رزق الطويل (الرجل في صناعة النحو عالم قدير).

ويذكر الوكيل ــ رحمه الله ــ في مقدمة تحقيقه للروض الأنف أنه عهد إليه بتحقيق هذا الكتاب ولم يذكر من عهد إليه بذلك.

وهذا لتمكنه من اللغة العربية كما سبق ولأنه رحمه الله عرف أيضاً بدقته في التحقيق وأيضاً معرفته ــ رحمه الله ــ بالسيرة النبوية الشريفة.

طبعات الكتاب:

طبع الكتاب طبعة واحدة عام ١٤١٤هــ/١٩٩٣م. مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

ويتحدث الوكيل ــ رحمه الله ــ في المقدمة أن الأمانة تفرض على العلماء أن يبقوا نصوص التراث كما هي لتعرف الحقيقة غير مشوبة بشيء وهذا هو الواجب في تحقيق التراث.

وإذا كان هذا حيال أي تراث فما بالنا ونحن مع تراث يخص السيرة النبوية الخاتمة سيرة محمد ﷺ وهو يطبق القرآن ليكون للبشرية المؤمنة شرعاً ومنهاجاً.

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل، مقدمة الكتاب (ص: هــ).

وقسم الوكيل ــ رحمه الله ــ الكتاب في وصف الرسول ﷺ إلى قسمين هما:

١ ــ كتاب استبدت بهم العاطفة واستغواهم الشيطان فوصفوا الرسول ﷺ بما يوصف به الله تعالى.

٢ ــ كتاب استبد بهم العقل وأسرف في إخضاع كل شيء لمقاييسه العقلية فأسرفوا في الجحود فهو ينظر إلى محمد وكأنما هو بشر بلا نبوة وآدمي هواه يقوده وتبطش به عواطفه كسائر البشر.

ثم يقول ــ رحمه الله ــ بعد هذا التقسيم:

(ونحن المسلمين نعوذ بالله من هؤلاء الذين أسرفوا في التجريد والجحود والحقود، ومن أولئك الذين أسرفوا في العشق فكان هذا التصور لمحمد، وكان هذا التصوير منهم للحقيقة)[١].

ويقول ــ رحمه الله ــ: (إن الكتابة عن الرسول ﷺ تفرض علينا أن نكون على بينة من الكتاب والسنة وأن نجعل ما نقول حليفاً للحق، وولياً للصدق، وكذلك يفرض على كل من يتصدى لتحقيق كتاب عن خاتم النبيين ومن هنا تتجلى لنا خطورة الأمر وجلالته)[٢].

عمل الشيخ الوكيل في الكتاب:

طبع الروض الأنف شرح أبي القاسم السهيلي منذ أكثر من نصف قرن ويقول الوكيل ــ رحمه الله ــ إن المشرف على طبعه بذل الكثير مما كان يبذل غير أنه أغفل كثيراً من الأخطاء المطبعية وغيرها، ولم يكتب رقم آية، ولم يخرج حديثاً، ولم يضبط كلمة، ولم يعلق بشيء سوى بضع كلمات.

---

(١) الروض الأنف، عبد الرحمن السهيلي، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، ط١، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، (ص١٠) بتصرف.

(٢) المرجع السابق (ص١٠).

وقد قام الوكيل بضبط الأعلام، ومراجعة النقول التاريخية واللغوية، وصوب الأنساب وراجع ترجمات الصحابة وأشار إلى مراجع عشرات الأحاديث ورقم الآيات وعلق على مسائل النحو العويصة، وراجع الشواهد الشعرية والأمثال وغيرها.

ومن الأمور المهمة التي قام بها الوكيل ــ رحمه الله ــ هي التعليق على بعض الآراء العقدية للشارح.

يقول ــ رحمه الله ــ: (قمت بالتعليق على ما ذكــره، أو رآه من أمــور الدين مما رأيته مجافيا للحق؛ فكانت هذه التعليقات التي أضرع إلى الله أن تكون حقاً وصواباً، ولقد كان الرجل أشعري العقيدة والأشعرية كانت دين الدولة أيامه)[1].

حرص الوكيل ــ رحمه الله ــ على تتبع الآراء العقدية المخالفة للحق وتصويبها وفــق ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، حتى يظهر الكتاب في أحسن صورة فهو عن النبي العظيم ﷺ الذي ختمت به النبوات والــذي تاريخه بعد الوحي تطبيق للحق كما جاء به القرآن الكريم.

٣ ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين:

عهد إلى الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ تحقيق كتاب إعلام الموقعين عن رب العالمين للإمام الجليل ابن القيم ولم يذكر رحمه الله من عهد إليه بذلك كما في الروض الأنف.

ويقول ــ رحمه الله ــ:

(حققت الكتاب وأنا في إجازة من عملي بقسم الدراسات الإسلامية العليــا بمكة المكرمة في الفترة ما بين ربيع الآخر وجمادى الآخرة سنة ١٣٨٩هــ، وبين أول يوليه وأول سبتمبر سنة ١٩٦٩م)[2].

---

(١) الروض الأنف، عبد الرحمن السهيلي، (ص١٧).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، ط ٢، مكتبــة ابن تيمية، القاهرة، ١٤٠٩هــ/ ١٩٨٩م، (ص٢١) من المقدمة.

وعلى هذا يكون تحقيق إعلام الموقعين آخر الكتابات التي قام بها الوكيل ــ رحمه الله ــ قبل وفاته.

طبعات الكتاب:

طبع الكتاب طبعتين هما:

١ ــ الطبعة الأولى: نشرتها دار الكتب الحديثة بتاريخ ١٠ رمضان ١٣٨٩هـ، ٢٠ نوفمبر ١٩٦٩م.

٢ ــ الطبعة الثانية: طبعتها دار ابن تيمية بالقاهرة تاريخ الطبع ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

عمل الوكيل في كتاب إعلام الموقعين:

يقول ــ رحمه الله ــ: إن أهم عمل لي هو تصويب ما وقعت فيه جميع الطبعات السابقة من أخطاء قاتلة في الآيات القرآنية وليست أخطاء مطبعية وإنما هي أخطاء من الناسخ.

فرقم الآيات وذكر اسم السورة، وضبط الأعلام والكلمات اللغوية، وخرج العشرات من الأحاديث المهمة، وشرح ما غمض من الكلمات، وفصل الكتاب بالعناوين الكثيرة، أصلح بعض أغلاط المحققين، وضع ما سقط من النسخة الأصلية، راجع أكثر نقول ابن القيم على مصادرها التي عنها نقل ومصدره الكبير فتاوى ابن تيمية.

أقوال عن تحقيق الوكيل للكتاب:

يقول الشيخ / عبد الوهاب عبد اللطيف وكيل كلية أصول الدين ورئيس قسم السنة:

(فقد نظرت في الطبعة الجديدة لكتاب إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية، التي نشرتها دار الكتب الحديثة فوجدتها طبعة تامة كاملة بها استدراك ما نقص من النصوص في سائر الطبعات قديمها وحديثها، ولقيت بها عناية بتجريد النصوص من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وبها ضبط كثير من غريب الألقاب والمواضع والغريب من اللغة.

ولذا كانت هذه الطبعة أنفع الطبعات، وأسلم النسخ من التحريف وأكملها نصاً وضبطاً)[1].

ويقول الناشر: أبو عبيدة عبد الفتاح الزيني:

(ولقد سارعنا في طبع هذا الكتاب خصوصاً لما علمنا أن هناك نسخة قديمة بتحقيق الشيخ / عبد الرحمن الوكيل رئيس جماعة أنصار السنة المحمديـــة سابقاً بالقاهرة ـــ رحمه الله تعالى ـــ، وصاحب كتاب "هذه هي الصوفية" وكتاب "مصرع التصوف" لأنه الأولى بتحقيق كتب أمثال هؤلاء العلماء أن يكون رجل شرب من معين السلف فاهماً لمراد كلامهم ماضياً في دعوته على أسلوبهم عالماً عاملاً)[2].

منهج الوكيل في التحقيق:

يقول الشيخ فتحي عثمان:

(كان صاحب منهج في التحقيق يتسم بالأمانة العلمية، والتخريج الصحيح، والتعليقات الهادفة، وخير دليل على صحة ذلك القول، تحقيقه لكتاب مصرع التصوف للإمام البقاعي.

إذ جاءت تحقيقاته تحقيقات شيخ متمكن من صنعته كما دلت تعليقاته على هوامش الكتاب وشرحه لمراميه وأغراضه دليلاً بيناً على سعة الاطلاع وغزارة المعرفة ودرايته بصحة النص من عدمه)[3].

ويلاحظ في تحقيقات الوكيل ـــ رحمه الله ـــ أنها لم تكن على فن واحد وإنما كانت من فنون مختلفة وفي ذلك دلالة على سعة معرفته وتمكنه من هذه العلوم خاصة وقد طلب منه تحقيقها من أهل علم ومعرفة.

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم (ص٩).

(٢) المرجع السابق، (ص٥).

(٣) عبد الرحمن الوكيل، وقضايا التصوف، فتحي عثمان، (ص٣).

كما أن الوكيل ــ رحمه الله ــ في تحقيقاته كان يهتم كثيراً بمراجعة النقول التاريخية وبدقة وإيضاح المعاني اللغوية.

وأيضاً التعليق على الآراء العقدية وبيان ما فيها من مخالفة للحق إن وجد.

ولم يكن ــ رحمه الله ــ يطيل في تعليقاته ويخرج الكتب المحققة عن حجمها بشكل كبير إلا فيما كان يحتاج إلى تعليقات طويلة وهي قليلة.

هذا أهم ما تميزت به تحقيقات الوكيل ــ رحمه الله ــ وإن كان هناك من الميزات والنقاط التي اجتهد فيها ذكرها ــ رحمه الله ــ في مقدمة كل تحقيق جعله الله في ميزان حسناته.

ثالثاً: تقديم الشيخ وتعليقه على بعض المؤلفات:

١ ــ قدم لكتاب "نقض المنطق لشيخ الإسلام ابن تيمية " تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة، وسليمان عبد الرحمن الصنيع، وقد وكله الشيخ / حامد الفقي أن يقدم لهذا الكتاب شاهداً له بالعلم والمعرفة في الفلسفة ونفاذ بصيرته بها، ولأنه أيضاً من خلصاء ابن تيمية رحمه الله والطبعة التي قدم لها بتاريخ ٣٠ ربيع الثاني ١٣٧٠هـ/٧ فبراير ١٩٥١م.

٢ ــ قدم لكتاب "خواطر الدين والأخلاق والاجتماع" للشيخ/ أبو الوفاء محمد درويش أول كتاب نشره أبناء الفقيد بعد وفاته، الطبعة الأولى، بتاريخ ١١ رجب ١٣٨٣هـ/٢٧ نوفمبر ١٩٦٣م.

٣ ــ قدم لكتاب "صراع بين الحق والباطل " تأليف: تلميذه سعد صادق محمد، الطبعة الأولى وقدم أيضاً له جميع الطبعات حتى الطبعة السادسة بتاريخ ١٠ رمضان ١٣٨٣هـ/٢٥ يناير ١٩٦٤م.

٤ ــ قدم وعلق: لكتاب "من حياة الرسول ﷺ بقلم سعد صادق محمد.

الطبعة الأولى بتاريخ، ٩ شوال ١٣٨٦هـ/٢٠ يناير ١٩٦٧م.

٥ ــ قدم لكتاب "نعمة القرآن" بقلم نعمة صدقي حرم الدكتور / محمد رضا بتاريخ ١ محرم ١٣٨٨هـ/٣ إبريل ١٩٦٨م.

٦ ــ قدم: لكتاب "ولاية الله والطريق إليها".

وهي دراسة وتحقيق لكتاب "قطر الولي على حديث الولي " للإمام الشوكاني[١] بقلم: إبراهيم هلال.

الطبعة الأولى، بتاريخ ٧ ربيع الأول ١٣٨٩هــ/ ٢٣ مايو ١٩٦٩م.

رابعاً: مقالاته في مجلة الهدي النبوي:

كان للشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ مقالات كثيرة جداً في مجلة الهدي النبوي.

وما جمعته من مقالات[٢] للشيخ وصل عدده إلى ٢٥٠ مقالاً، ولا أعلم هل وقفت على جميع ما كتبه الشيخ من مقالات أم لا، ولكن جميع المقالات متتابعة موضوعاتها تدل على اكتمال أغلبها أو أهمها إن شاء الله.

وإن كنت لا أجزم باستيفاء جميع مقالات الوكيل ــ رحمه الله ــ لكنني أجزم بأن مقالاته جميعها تشهد بأن الله قد حباه روعة الأسلوب وحسن صياغة العبارات الجميلة والشيقة، وأنه كان أديباً وكاتباً يحسن اختيار عناوين رائعة وقوية لمقالاته.

وفيها دلالة واضحة على ما يريد إيصاله للقارئ من خلالها.

وتميزت مقالات الشيخ بتركيزه الشديد على المسائل التي كانت تتعلق بالعقيدة، وحرصه الشديد رحمه الله على رد كل ما كان مخالفاً لها من القضايا والموضوعات القديمة والمعاصرة سواء كانت دينية أو فكرية أو اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية.

---

(١) هو: الشوكاني هو: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، ولد بصنعاء يوم الاثنين الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة سنة ١١٧٣هــ، ونشأ بها، وقرأ على: والده، وأحمــد ابن محمد الحرازي، وعبد القادر الكوكباني، وغيرهم، كان مفخرة اليمن بلا جدال، من أوعية العلم الشرعي والعربي، طبقت شهرته الآفاق، ولي قضاء صنعاء سنة تسع وعشرين ومائتين وألف، ومات حاكماً بها سنة ١٢٥٥هــ، له مصنفات كثيرة منها: "إرشاد الفحول"، و"نيل الأوطار"، و"فتح القدير"، و"السيل الجرار"، و"البدر الطالع"، وغيرها. ينظر: الأعلام (ج٦، ص٢٩٨).

(٢) جمعت المقالات عن طريق مركز التراث في الجماعة بالقاهرة، وأيضاً قسم الدوريات بمكتبة الحرم المكي الشريف بمكة المكرمة.

موضوعات مقالات الوكيل في الهدي النبوي.

بعد الاطلاع على جميع مقالات الشيخ ــ رحمه الله ــ في مجلة الهدي النبوي وقراءتها جيداً يمكن تقسيمها إلى:

١ ــ مجموعة مقالاته في الصوفية.

٢ ــ مجموعة مقالاته في تفسير القرآن الكريم.

٣ ــ مجموعة مقالاته حول موضوعات مختلفة.

مقالاته في الصوفية:

إن مقالات الشيخ / عبد الرحمن الوكيل ــ رحمه الله ــ حول الصوفية تمثل الجزء الأكبر من مجموع ما كتبه في مجلة الهدي النبوي فقد كان اهتمامه الأكبر هو الكتابة عن الصوفية وإظهار ما هم فيه من بدع وشركيات تخالف العقيدة الإسلامية وذلك لما كان لها من شأن في تلك الفترة ومن انتشار داخل مصر وخارجها.

فجاهد الشيخ ــ رحمه الله ــ بقلمه للدفاع عن العقيدة ودحر ما يعترضها من باطل من خلال مجلة الهدي النبوي التي كانت لسان لجماعة أنصار السنة المحمدية.

وبلغ مجموع عدد مقالاته في الصوفية ١١٢ مقالا وضع لبعضها عنوان واحد وجعله في سلسلة مقالات وابتدأت عرض مقالات الوكيل بالسلسلة الأطول والتي اشتملت على أعداد أكثر أي إن عرضي لمجموع مقالاته في الصوفية لا يرجع إلى أقدمها تاريخياً أو أكثرها انتشاراً إنما على أطولها أعداداً.

وهـــي:

١ ــ سلسلة مقالاته "نظرات في التصوف".

٢ ــ سلسلة مقالاته "طواغيت".

٣ ــ مقالاته "أثر التصوف في العقيدة".

٤ ــ مقالاته "لتتبعن سنن من كان قبلكم".

٥ ــ مقالاته "هل تجنيت على الغزالي".

٦ ــ مقالاته "صوفيات".

٧ ــ مقالاته "القطب عند الصوفية".

٨ ــ مقالاته "نقدات".

٩ ــ مقالاته "الشيوعية تعانق الصوفية".

١٠ــ مقالاته "نظرات في مجلة صوفية".

١١ــ مقالاته "أنصار السنة وأشياع التصوف".

١٢ــ تسعة مقالات في موضوعات متنوعة حول الصوفية.

١ـ سلسلة مقالاته "نظرات في التصوف:

ابتدأ الوكيل ــ رحمه الله ــ كتابتها من عام ١٣٧٩هــ إلى ١٣٨٦هــ والتي بلغت ٤٥ مقالاً.

وكانت هذه السلسلة من أهم جهود الوكيل في بيان وكشف حقيقة التصوف وتميزت هذه المقالات بالمنهجية العلمية والدقة في العرض وحسن ترتيب وعرض الموضوعات وقد كانت من آخر كتابات الشيخ ــ رحمه الله ــ في المجلة أي أنها كانت في فترة متأخرة من حياته.

فعرضها الشيخ / الوكيل عرض علمي رائع ومختلف عن ما سبق وكتبه في غيرها من المقالات حول الصوفية.

(وقد تعرض الشيخ خلال هذه المقالات لموضوعات مهمة تتعلق بالتصوف وناقشها مناقشة تتسم بالعلمية والإنصاف)[1].

---

(١) جماعة أنصار السنة، الطاهر، (ص١٩٠).

ابتدأ الشيخ مقالاته نظرات في التصوف بقوله:

(لنتدبر تاريخنا الخالد، وثمة يبدو لنا جلياً أن الإسلام هو الذي أقام أعظم امة في الوجود إنها امة التوحيد الخالص والإيمان الصادق.

بيد أن هناك أفكاراً ومبادئ أخرى، تزعم أنها هي التي تمثل حقيقة الإسلام وروحانيته، ويقوم دون هذه الأفكار والمبادئ رجال يبشرون بها ويجالدون دونها.

ومن هذه الأفكار والمبادئ تراث ابن عربي وابن الفارض لهذا نحيل النظرات في هذا التراث لنكشف حقيقته ولنتبين معا: هل تصلح أفكاره ومبادئه لإقامة دولة وبناء أمة؟ أو هي رجعة بنا إلى العبودية)[1].

والموضوعات التي تناولها الوكيل ــ رحمه الله ــ حول الصوفية في نظراته وباختصار شديد جداً هي:

أولاً: ابتدأ النظرات بنشأة التصوف وحاله في عهده البكر وكيده الخفي للإسلام.

ثم تحدث بعد ذلك عن أنواع التصوف وهما:

أ)التصوف العملي:

تحدث فيه عن الزهد والدعوة إلى العزلة والنهي عن الزواج والرد على ذلك.

ثم تحدث عن أخطر ما يقرره التصوف العملي وهو علاقة المريد بالشيخ، ثم الأوراد والأذكار تحدث فيها عن الذكر في الإسلام ليتبين الحق من الباطل جلياً.

ثم عن السماع والوجد ذكر فيه أمثلة من سماعهم وأصحاب السماع وقولهم إن سماع الشعر أشد تهييجا للوجد من القرآن وقال ــ رحمه الله ــ: (إن الإسلام دعوة إلى الميدان والمسجد وهذه الصوفية دعوة إلى الحان والمرقص)[2].

ثم ذكر المقامات والأحوال تحدث فيها عن المحو والصحو والفناء والبقاء وقال رحمه الله: (عرضنا رأي التصوف في بعض الأحوال مأخوذ من أوثق مصادره لإثبات أن

---

(١) مجلة الهدي النبوي، العدد ١٠، تاريخ ١٣٧٩هــ، (ص٨) بتصرف.

(٢) مجلة الهدي النبوي، مقالة نظرات في التصوف، عدد ٤، تاريخ ١٣٨٢هــ، (ص٣٧).

التصوف العملي أو ما يفهـــم فيه أنه تصوف معتـــدل ما هو إلا قرين النظري هدفاً وغاية)[١].

ب)**التصوف النظري:**

ثم انتقل إلى النوع الثاني من أنواع التصوف وهو التصوف النظري كتب فيه عن المعرفة عند الصوفية ودرجاتها، ثم تحدث عن الحب والخلة والعشق.

وعرض بعدها دلائل حب الإنسان لله من القرآن والحديث ثم قارن بينها وبين الحب عند الصوفية.

وبعد ذلك انتقل إلى التوحيد عند الصوفية وعرض مراتب التوحيد عند الهروي[٢] والغزالي وعقب برأي ابن تيمية ــ رحمه الله ــ في التوحيد عند الغزالي.

وقارن بين ما تكتبه الصوفية عن التوحيد وبين الذين يأخذون عن القرآن بقلوبهم، نقلاً عن أقوال ابن تيمية وتلميذه ابن القيم.

وبعد التوحيد انتقل إلى الحديث عن الأولياء ابتدأه بالحديث عن الأولياء في القرآن والنهي عن اتخاذ أولياء من دون الله.

ثم تحدث عن كرامات الأولياء عند الصوفية وعلق عليه تعليقاً مفصلاً وذكر أن الأمر احتاج هذا التعقيب لأنهم جعلوه أصلاً من أصول الدين.

ثم جعل عنوان: "المملكة الباطنية " لآخر مقالات النظرات وضح فيه أن الصوفية تدين في كل عهودها القديمة والحديثة بأن لكل نص ديني ظاهر وباطن.

ولهذا كان الدين عندهم شريعة يبينها الرسول ﷺ والداعون إليها هم الرسل والحقيقة لم يبينها الرسول ﷺ والداعون إليها هم الأقطاب.

وتحدث بالتفصيل عن الأقطاب، ثم تابع حديثه عن فرية الحقيقة والشريعة وعرض أقوالهم في ذلك.

---

(١) مجلة الهدي النبوي، نظرات في التصوف، عدد ١٠، تاريخ ١٣٨٢هـ، (ص١٨).

(٢) سيترجم له في الباب الخاص بالرد على الصوفية.

وعلى هذا تكون الموضوعات التي تناولها الوكيل ــ رحمه الله ــ في سلسلة نظرات في التصوف تتركز في:

١ - نشأة التصوف.

٢ - أنواع التصوف العملي والنظري.

٣- الأولياء عند الصوفية.

٤ - الحقيقة والشريعة عند الصوفية.

٢ـ سلسلة مقالاته "طواغيت":

يعرف الشيخ / عبد الرحمن الوكيل ــ رحمه الله ــ عند قراء مجلة الهدي النبوي (بهادم الطواغيت)[1].

وذلك نسبة إلى كتابته هذه المقالات التي فضح فيها الصوفية وهدم مزاعمها وضلالاتها ولأنه ــ رحمه الله ــ كما قال عنه بعض العلماء أصبح أخصائياً في تشريح التصوف ومحيطاً بوظائف أعضائه.

وسلسلة مقالاته "طواغيت" جاءت في ١٩ مقالاً ابتدأ كتابتها في عام ١٣٦٥هـ حتى عام ١٣٦٧هـ.

وذكر ــ رحمه الله ــ في أول عدد من الطواغيت أن أحد أصحابه قد حذره من أن يثير عليه الثائرة بما سيقدم على كتابته وكان رده ــ رحمه الله ــ (أعلم الذي تخشاه ولكني أعلم قبله أنني مسلم لله ماله ودمه، وفي سبيل العقيدة نضاله وجهاده)[2].

ومجمل الموضوعات التي تحدث عنها الوكيل ــ رحمه الله ــ في مقالاته "طواغيت" وتناولها بالنقد والإبطال هي:

---

(١) انظر: جماعة أنصار السنة، (ص ٣٦)، من ضلالات الصوفية، (ص٥)، سيد الخلق بشر، (ص٩)، الجيلي وكتابه الإنسان الكامل، (ص٧).

(٢) مجلة الهدي النبوي، مقالة طواغيت، العدد ٦ ، تاريخ ١٣٦٥هـ، (ص٤٠٢).

١ ــ كتب الصوفية: الإحياء، ودلائل الخيرات، ومجموع الأوراد.

تحدث فيها عن ضلالات الإحياء، وعن الشركيات في الدلائل والمجموع، وعن نظرية وحدة الوجود فيهما.

٢ ــ عن شرك الوثنية في بعض عقائد الصوفية.

تناول فيها: مكانة لا إله إلا الله عند الصوفية، وعن الذكر عندهم، وعن مراتب التوحيد عندهم، وعن توحيد العبادة (التوسل والدعاء).

٣ ــ عن طاغوت الإسكندرية (ضريح أبي العباس المرسي) كتب عن ذلك بسبب تأليف شيخ مسجد أبي العباس المرسي كتاباً عنه رد فيه على قولهم أنه أعظم ولي في الأرض وأنه قطب الوقت في زمانه، وعن معجزاته.

وقد اجتهد الوكيل ــ رحمه الله ــ وجاهد في جعل مقالاتـــه "طواغيت" معولاً لهـــدم ما جاءت به الصوفية من شركيات ووثنيات في كتبهم وعقائدهم ورجالهم، وأظهر للقراء تعظيم الصوفية لكتبهم وتقيدهم بما جاء فيها تاركين كتاب الله وسنة ورسوله ﷺ.

وعن عقيدهم التوحيد وكيف يصرفون عبادة التوسل والدعاء لغير الله.

ثم كيف يعظمون أولياءهم وينعتوهم بصفات لا تليق إلا بالله تعالى.

فاستحق ــ رحمه الله ــ بهذه المقالات لقب "هادم الطواغيت".

٣ ـ مقالاته "أثر التصوف في العقيدة":

مقالات "أثر التصوف في العقيدة" هي ثمانية مقالات نشرتها مجلة الهدي النبوي متتابعة في عام ١٣٦٩هـــ، وهي محاضرة للشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ ألقاها في دار الرابطة الإسلامية بناء على طلب منها.

وقد كان لها الأثر الكبير في نفـــوس الحاضرين لذا حرصت مجلة الهدي النبوي على نشرها.

وقد ركز الوكيل ــ رحمه الله ــ فيها على نشأة التصوف الباطني ودخوله في الإسلام فتحدث عن كيد الأعداء للإسلام منذ عهوده الأولى وتابع أحداث كثيرة حتى دخول بدع وعقائد المناوية إلى الإسلام.

ثم تحدث عن المذهب الباطني ــ الإسماعيلية في الهند والفاطمية في مصر ــ وانتشار مذهبهم وقوة شوكتهم وأشار إلى أن الصوفية تأخذ بأفكارهما.

ثم تحدث عن احتيال الباطنية في تأويل كتاب الله وأشار إلى الشبه القوي بين تأويل الباطنية وتأويل الصوفية وقال ــ رحمه الله ــ.

(ما استعرضنا ذلك عبثا، وإنما أردنا توجيه الفكر والقلب والروح إلى الإسلام لندافع عنه بالفكر والقلب والروح، وندفع عنه كيد أعدائه الذين تقنعوا بالأسماء الإسلامية وبالوطن الإسلامي.

وغاية أخرى نهدف إليها هي القول بأن التصوف نشأ أول ما نشأ في أرض فارسية على يد مجوسي من الفرس بأفكار فارسية وديانة فارسية بأهداف فارسية، الغرض منها هدم الإسلام والإطاحة بدولته)[1].

ثم انتقل إلى الحديث عن البيئة التي نشأ فيها التصوف موضحاً أن البيئة الإسلامية في بدايتها كانت على هدى إسلامي وعلى أسلوب عربي يمتاز باليسر والبساطة.

فلا حاجة إذن للمسلمين إلى البحوث الفلسفية والتعمق الجدلي، وأن الثقافة في كل ألوانها كانت عربية إسلامية نقية حتى امتزج المسلمون بغيرهم.

ثم تحدث عن الصوفية من حيث ظهورها، واشتقاق كلمة صوفي، ومسماها النظري والعملي.

٤ـ مقالاته "لتتبعن سنن من كان قبلكم":

كتب الوكيل ــ رحمه الله ــ سبعة مقالات تحت عنوان: "لتتبعن سنن من كان قبلكم" مبتدئا بالحديث الشريف : (**لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**.

(١) مجلة الهدي النبوي، أثر التصوف في العقيدة، عدد ٧، تاريخ ١٣٦٩هـ (ص٢٢) بتصرف يسير.

قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن)[١].

وقال ــ رحمه الله ــ: (ولقد أردنا في مقالاتنا هذه أن نشير إشارة عارضة ــ لا شاملة ولا مستوعبة ــ إلى ما جناه الناس على الإسلام مقتدين في ذلك باليهود والنصارى مصداقاً للحديث الشريف)[٢].

وأوضح ــ رحمه الله ــ بأن عقيدة النصارى تقول روح الله حلت في عيسى وقالت اليهود عزير ابن الله وأن ابن عربي يقول (إن الله كان موجوداً مطلقاً فأراد أن يرى نفسه في وجود متعين فظهر لنفسه في صورة الحقيقة المحمدية)[٣].

ثم تحدث عن:

- عبادة الأولياء.
- اتخاذ أشباه العلماء والدراويش أرباباً.
- تحريف الكلم عن مواضعه.
- جعل القبور مساجد.

موضحاً بذلك ــ رحمه الله ــ تردي الأمة في مهاوي التقليد باليهود والنصارى من حيث تقديس الصوفية للأشخاص وتأليههم.

٥ ـ مقالاته "هل تجنيت على الغزالي":

كان للشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ كتابات متعددة في نقد الغزالي، وقيل عنه أنه يتجنى عليه، وأنه يجب أن يتسامح مع الغزالي كما تسامح مع ابن تيمية في أخطائه.

---

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه برقم (٧٣٢٠) (ص١٣٦٣).
ومسلم في صحيحه برقم (٢٦٦٩) (ص ١٠٩٩).
ونص الحديث : (**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً ذراعاً حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم . قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟**).

(٢) مجلة الهدي النبوي، مقالة: " لتتبعن سنن من كان قبلكم"، العدد الأول، (ص٢١).

(٣) مجلة الهدي النبوي، مرجع سابق، العدد الثاني، (ص٢٣).

فكتب الوكيل ــ رحمه الله ــ سلسلة مقالات بعنوان:

"هل تجنبت على الغزالي" وهي ستة مقالات كتبها في عام ١٣٦٧هـ.

ابتدأ فيها بأنه ما تجنى على الغزالي فزلات الغزالي لا تعفى لأمرين:

١ ــ لأنها بذاتها كبيرة فأخطاؤه في أهم أساس بني عليه الإسلام.

٢ ــ لفهم العامة وعلماء المسلمين أنه حجة الإسلام فوجب أن نبرز للناس أن الغزالي ما كان حجة وأن ليس للإسلام حجة إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ثم قال ــ رحمه الله ــ أن أخطاء ابن تيمية لا تقاس جميعها بجانب غلطة واحدة من أغاليط الغزالي.

فأخطاء ابن تيمية فيما ليس من العقيدة بل فيما ليس من الدين وما أخطاؤه أبدا في أصل ولا فرع ولو أنا اعتنقناها فلن تضرنا في ديننا.

بعد ذلك أورد أقوال لابن تيمية حول الغزالي معقبا على ذلك بأن نقده كان بعد قراءة كتب الغزالي.

وبعد قراءتها رأيت أنه يجب أن يؤخذ عليها الغزالي أشد المؤاخذة وقال ــ رحمه الله ــ:

(والفيصل في النقد هو أن تراجع ما كتب الناقد في كتب المنقود)[1].

والغزالي لم يكن يثبت على رأي واحد؛ بل ينقض اليوم ما يبرمه بالأمس.

وأنه دعا إلى طلب الإمداد من أصحاب القبور ومن الأنبياء والصالحين.

وأن له عقيدة صوفية تهدم الإسلام من أساسه وهي أن للشريعة ظاهراً وباطناً.

وأثبت أن الأستاذ / رشيد رضا ــ رحمه الله ــ لم يصب الحق عند نقده لابن تيمية دفاعاً عن الغزالي ــ رحمهما الله ــ وختم مقالاته رحمه الله بقوله:

(نحن بحاجة إلى تصحيح القيم الفكرية والذاتية وأنه يجب أن لا نجعل القيمة الحقة إلا لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعلى ضوئهما يجب أن نسير وبهداها يجب أن نقتدي.

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة هل تجنبت على الغزالي، العدد ٩، تاريخ ١٣٦٧هـ، (ص٣٣).

وأني لأكتب لا أبتغي إلا الخير حتى لا يقع غيري فيما كنت متردياً فيه)[1].

٦ـ مقالاته "صوفيات":

كتب الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ خمس مقالات بعنوان: "صوفيات" في عام ١٣٦٨هــ، بعد أن كسبت جماعة أنصار السنة المحمدية الدعوى التي رفعها شيخ الطرق الصوفية ضدهم.

وقد حضر الشيخ / عبد الرحمن الوكيل أمام النيابة ممثلاً عن الجماعة ومدافعاً في هذه القضية عنها وقد أخذت النيابة بوجهة نظره.

فكتب خطاب لشيخ مشايخ الطرق الصوفية ليعلم الشيخ أنه مهما كادوا فإننا لن نسكت ويدعوه أيضاً للرجوع إلى الحق.

وقد ابتدأ مقالاته "صوفيات" بالحسرة والألم على نفسه للشرك الذي كان فيه وعصف بتوحيده وهو شاب عندما كان صوفياً.

بعدها تناول بالتفصيل:

- رأي الصوفية في الإله.
- رأي الصوفية في الرسول ﷺ.
- أولياء الصوفية.

وقد طبعت هذه المقالات في رسالة باسم صوفيات نشرت منها آلاف النسخ في داخل مصر وخارجها، وترجمت أيضاً إلى اللغة الاندونيسية.

وبناء على طلب الكثيرين أعاد الشيخ ــ رحمه الله ــ كتابة هذه الرسالة التي هي مجموع هذه المقالات وزاد على نصوصها فأصبحت كتابه "هذه هي الصوفية".

٧ـ ثلاثة مقالات بعنوان "القطب عند الصوفية":

كتبها الوكيل ــ رحمه الله ــ في عام ١٣٦٨هــ.

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة هل تجنيت على الغزالي، عدد١٠، تاريخ ١٣٦٧هــ، (ص١٩) بتصرف يسير.

وفي بداية هذه المقالات قرر الشيخ أن فهم عوام الصوفية كخواصهم.

ثم تكلم عن معنى كل من القطب، وقطب الغوث، وقطب الأقطاب، وقد أورد معانيها كما جاءت في كتب الصوفية.

٨ ـ ثلاثة مقالات بعنوان "نقدات":

كتبها الوكيل ــ رحمه الله ــ في عام ١٣٧٠هـ ـ وتحدث فيها عن المعرفة عند الصوفية "الذوق" وعن "وحدة الوجود" وعن "وحدة الأديان".

٩ ـ ثلاثة مقالات بعنوان "الشيوعية تعانق الصوفية":

كتبها الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ في عام ١٣٨٤هـ ـ أوضح فيها أن إيمان ابن عربي بأن الله سبحانه هو عين هذا الوجود تلتقي فيه صوفيته هو وتلاميذه بالشيوعية، فالشيوعية تكفر بوجـــود الله ولا تؤمن إلا بوجود هذا الكون المادي المحسوس وكذلك ابن عربي.

والشيوعية تسميه باسمه ولا تفرض عليك تقديس هذه الماديات، بينما ابن عربي يسميه الله ويفرض عليك تقديس هذه الماديات.

ويقول الوكيل ــ رحمه الله ــ: (وأقول كلا الكفرين سواء في الحقيقة متغايران في اللفظ فالحكم على الله بأنه وجود مطلق عين الحكم عليه بأنه عدم مطلق.

الذين يقولون بأن الله وجود مطلق إنما يحكمون عليه بأنه صورة ذهنية فحسب ينتزعها العقل من استقرائه للموجودات، أي يحكمون عليه بأنه عدم والعدم صورة ذهنية يتخيلها العقل، فأي فرق بين الكفر الصوفي والكفر الشيوعي؟)[1].

١٠ ـ مقالات بعنوان "نظرات في مجلة صوفية":

كتب الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ المقالات في عام ١٣٧٨هـ ـ عندما وضع الصوفية مجلة لهم بعنوان "مجلة الإسلام والتصوف" فرحب بها ــ رحمه الله ــ سلاحاً

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة الشيوعية تعانق الصوفية، عدد ١١، تاريخ، ١٣٨٤هـ ـ (ص٤٥) بتصرف يسير.

يقضي على مبتدعه مشيراً إلى أن اسم المجلة نفسه يحمل طابع المغايرة بين الإسلام والتصوف، وأنه لا يظن أنهم يجهلون أن العطف يقتضي المغايرة فيكون المشرفين على المجلة قد اختاروا لها الاسم توكيداً لما يدينون به وهو أن الإسلام غير التصوف.

١١ـ مقالات بعنوان "أنصار السنة وأشياع التصوف":

كتب الوكيل ــ رحمه الله ــ: المقالين في عام ١٣٨١هـ، رداً على محمد مصطفى حلمي[1] عندما وقف يحاضر طلبة المعهد العالي للدراسات الإسلامية عن التصوف ونال من أنصار السنة لأنهم ينالون من قدسية التصوف.

ورد عليه من قــول علمائهم الذين حاضر عنهــم القائلين بوحدة الوجود ووحدة الأديان.

وقال رحمه الله (قد يؤذن لك في أن تدرس التصوف وتقدسه ولكن لن يأذن لك مسلم في أن تقول عن التصوف أنه إسلام)[2].

١٢ـ تسعة مقالات في موضوعات متنوعة حول الصوفية هي:

١ ــ سراب صوفي نعرفه.

٢ ــ التثليث عند الصوفية، عدد العاشر، بتاريخ ١٣٦٨هـ .

٣ ــ زندقة الجيلي[3]، العدد الأول، بتاريخ ١٣٨١هـ.

٤ ــ مفتريات وأساطير العدد التاسع، بتاريخ ١٣٦٨هـ.

٥ ــ ثمانية ملايين ماذا؟! العدد الأول، من تاريخ ١٣٧٢هـ.

---

(١) هو: أستاذ التصوف والفلسفة بجامعة القاهرة، ومعهد الدراسات العليا.

(٢) مجلة الهدي النبوي، مقالة أنصار السنة، عدد ١٢، تاريخ ١٣٨١هـ، (ص٣٤).

(٣) تذكر هذه المقالة من ضمن مؤلفات الشيخ لأهمية ما جاء فيها، وتسمى رسالة لا مقالة، تكلم فيها عن الجيلي وكتابه الإنسان الكامل بين فيه رأي الجيلي عن الله وصفاته، وعن محمد وحقيقته، وعن إبليس وأصله ومصيره، عن الولي وسلطانه، عن التوحيد ووحدة الأديان، وألوان من التفسير الصوفي.

٦ ــ مولد الحطاب، العدد الثاني، بتاريخ ١٣٧٢هـ.

٧ ــ رأي ابن خلدون في الصوفية العدد الثاني، بتاريخ ١٣٧٢هـ.

٨ ــ يوم عظيم في بور سعيد الأعداد ٨، ٩، ١٠ بتاريخ ١٣٧٥هـ.

٩ ــ دراسات في التصوف الاستشراقي، العددان الخامس والسادس، بتاريخ ١٣٧٨هـ.

ثانياً: مجموعة مقالاته في تفسر القرآن الكريم:

كان للشيخ / عبد الرحمن الوكيل ــ رحمه الله ــ مقالات شهرية متتابعة في مجلة الهدي النبوي لتفسير القرآن الكريم، وقد تولى التفسير فيها بعد وفاة الشيخ / محمد حامد الفقي ــ رحمه الله ــ وكان ذلك في عام ١٣٧٨هـ، وأول مقالاته في التفسير ابتدأه بعنوان: "اللهم لن يموت عهدنا معك" تكلم فيه عن فجيعة الجماعة بوفاة مؤسسها الشيخ / الفقي وأن العهد باقي في الجماعة على ما كان عليه في عهد نصير السنة ومجدد الدعوة السلفية في مصر داعياً الله أن يجزيه خير الجزاء على ما قدم للدين وداعياً أبناء جماعة أنصار السنة إلى السير قدماً في دعوهم ونشاطهم لنصرة التوحيد ومحاربة البدع والشركيات والبقاء على العهد مع الله في نصرة العقيدة.

وابتدأ الوكيل ــ رحمه الله ــ في التفسير من حيث انتهى الفقي فكان أول آية قام بتفسيرها هي قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾﴾[1].

وأتم سورة الإسراء ثم فسر سورة الكهف كاملة وتابع التفسير حتى الآية ٥٤ من سورة مريم وتوقف عندها، وذلك في عام ١٣٨٧هـ، عندما توقفت مجلة الهدي النبوي بعد دمج الجماعة مع الجمعية الشرعية.

---

(١) (سورة الإسراء: آية ١٣).

وبلغت عـــدد مقالاته ــ رحمه الله ــ في التفسير ١٠٤ مقالاً، والتي التزم في كتابتهـــا شهرياً ولمـــدة تسع ســـنوات حتى توقـــف عن التفســـير مجـــبراً لا باختياره ــ رحمه الله ــ.

(وما من شك أن التزامه وحرصه على الكتابة في التفسير في كل عدد من أعداد مجلة الهدي النبوي التي تصدر شهرياً، يدل على بذله جهداً كبيراً لعرض المعاني بصورة جذابة إذ يتطلب ذلك الرجوع لعدد من المراجع في كثير من الفنون المتعلقة باللغة العربية والفقه والأصول والعقيدة، وحتى الإلمام بسيرة المصطفى ﷺ)[1].

منهجه في التفسير:

ذكر الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ منهجه الذي اتبعه في تفسيره لكتاب الله تعالى في مجلة الهدي النبوي ذكر ذلك في أول مقال كتبه في التفسير ألخصه في نقاط هي:

- يقوم منهج الوكيل ــ رحمه الله ــ في التفسير على أســـاس تتبع معاني الألفـــاظ كما وردت في لغة العرب دون أن يحمل اللفظ مصطلحاً فقهياً أو أصولياً أو كلامياً أو فلسفياً حتى لا يجرد اللفظ من معناه الحق الأصيل.
- عدم الاستطراد في مباحث نحوية أو بلاغية إلا بقدر ما يحتاج إليه حاجة ماسة في الكشف عن إعجاز البلاغة القرآنية.
- عدم الإشارة إلى ما يوائم فروض العلم أو نظرياته فهي عرضة للتغيير والتبديل، والقرآن العظيم أسمى وأجل من تغير آياته بالأفكار البشرية التي يعرض لها الخطأ والصواب.
- بعد شرح معاني الألفاظ يقوم الوكيل ــ رحمه الله ــ بشرح معاني الآيات وتفسيرها كاملة.

---

(١) جماعة أنصار السنة، الطاهر، (ص١٨٨).

(والمتصفح لتفسير الشيخ / عبد الرحمن الوكيل يجد الشيخ كان مهتماً اهتماماً بالغاً بمسائل العقيدة والتركيز على دعوة التوحيد والتحذير من الشرك والبدعة والشعوذة والخرافة.

ودعوة الناس إلى الرجوع إلى ما كان عليه سلف هذه الأمة الأبرار والتمسك بالمنهلين الصافيين كتاب الله وسنة رسوله ﷺ)[١].

ثالثاً: مجموعة من مقالاته في موضوعات مختلفة:

١ ـ مقالاته في البهائية:

للشيخ/ الوكيل ــ رحمه الله ــ ثلاث مقالات كتبها عن البهائية قد تكون ناقصة عندي ولكن هذا ما وصل لي ولم أجد غيرها[٢].

والمهم في ذلك أن الوكيل ــ رحمه الله ــ قد كان متنبهاً لخطر هذه الطائفة وكان شديد التحذير للقيادة ولعامة المسلمين من خطرها على الإسلام، ويظهر ذلك جلياً في تأليفه لكتاب البهائية الذي كان من أهم مؤلفاته.

والمقالات هي:

أ) مقالة البهائية وليدة التصوف وربيبة الاستعمار عدد المقالة ٩، بتاريخ ١٣٧٣هـ:

وقد كتب هذه المقالة استبشاراً وسعادة برفض وزارة الصحة الاعتراف بهذا الدين المستحدث وحكم محكمة القضاء الإداري بأن معتنقه مرتد.

وقوله وليدة التصوف يشير فيه لجداله مع شاب مصري معتنق البهائية يقول إنكم تعبدون محمد وتدعونه وتستعينون به ويشير الوكيل رحمه الله أن هذا نتاج ما تفعله الصوفية ومن يسلك مسلكها.

---

(١) جماعة أنصار السنة، الطاهر، (ص١٨٨).

(٢) لأن الشيخ وعد قراءه بمتابعة الحديث حول كشف القناع عن هذه النحلة وغيرها ولم أقف على مقالة تابع فيها ذلك، ثم للفارق بين تواريخ المقالات الخاصة بالبهائية التي تحدث فيها مباشرة عن كتابه.

وقوله ربيبة الاستعمار لدعوتها سيطرة المستعمرين على البلاد الشرقية وخدمتها الاستعمار لتحقيق أهدافه.

ب) مقالة عقيدة البهائية وأهدافها الصهيونية والمقالة عدد ٤ ، بتاريخ ١٣٨٠هـ:

هذا المقال عن الفصل الأخير من كتاب البهائية وفيه خلاصة ما تدين به البهائية تجاه الله، والرسل، والقرآن والقيامة والبعث والجنة والنار... إلخ.

وإن البهائية هذه هي أمشاج من شتى ضلالات وزندقات وأنها صهيونية فاجرة اللؤم والكيد.

ج) مجلة الأزهر وكتاب البهائية:

المقالة عدد ٩، بتاريخ ١٣٨٢هـ ونشر فيها الوكيل مقالة كتبت في مجلة الأزهر حول كتابه جاء فيها الشكر والثناء على هذا الكتاب الذي فيه دراسة قيمة لهذه النحلة وعرض كاتب المقال نقده للكتاب من عدة جوانب رد الوكيل رحمه الله على نقده.

سبق ذكر ذلك مفصلاً في المبحث الخاص بمؤلفات الشيخ.

٢ ـ مقالات حول القاديانية:

كتب الشيخ / الوكيل ـ رحمه الله ـ مقالين حول القاديانية وذلك بعد رسائل وصلته عندما نشرت المجلة مقالاً عن جزء من كتابه الذي لم يتم طبعه بعد، وهذا الكتاب فقد ولم يتم طبعه.

وكان رده على هذه الرسائل في مقالين هما:

١ ـ ومرة أخرى: من كفر القاديانية:

عدد المقالة هو ٣، بتاريخ ١٣٨٦هـ، رد فيه على قادياني من الدانمارك يتهم الشيخ بالضلالة والجهالة وغيرها.

ورد عليه بموقفهم من الإسلام والإنجليز ثم قال: (ولست أسعى أبداً إلى التفريق بين مسلم ومسلم أو ألعن مسلم أو أكفره، لكننا نحارب البدع والنفاق وأن يدخل الناس في الإسلام بغية القضاء عليه وعلى أمته)[١].

ثم قال إنه ليعز على نفسي أن تخدعك القاديانية وأنت في الدانمارك وتظن في الإسلام ظنهم ، ثم دعاه إلى تدبر القرآن بفهمه لا بفهم قادياني.

٢ ـ مقالة حول القاديانية:

عدد المقالة هو ٤ بتاريخ ١٣٨٦هـ، فقد وصل الشيخ خطاب من شخص لقب نفسه بسكرتير عام رابطة الثقافة الدولية في الدانمارك يخبره أنه يسعى لبناء مسجد في الدانمارك وتوحيد كلمة المسلمين طالباً من الوكيل أن يتعاون مع القاديانيين.

ورد عليه الوكيل بتذكيره بقوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾[٢].

ثم قال: (لن تستهدف توحيد كلمة المسلمين هذا الاستهداف الذي غايته خدمة أغراض الاستعمار، والخنوع الذليل للصليبية؛ لأن نكون عشرة مسلمين خير من أن نكون ملايين من المنافقين والقاديانية سم زعاق أدنى نفاق عرفته الإنسانية هي والبهائية فاحذرها يا أخي إن كنت مسلما)[٣].

٣ ـ مقالاته في موضوعات مختلفة:

إن كتابات الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ في مجلة الهدي النبوي لم تقتصر على الفرق وتفسير القرآن الكريم فقد كانت له مقالات عديدة في موضوعات مختلفة

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة ومرة أخرى من كفر القاديانية، عدد٣، تاريخ١٣٨٦هـ، (ص٤٧).

(٢) (سورة التوبة: آية ١٠٧).

(٣) مجلة الهدي النبوي، مقالة ومرة أخرى من كفر القاديانية، العدد ٤، تاريخ، ١٣٨٦هـ، (ص٣٧).

إما دينيـــة أو سياسية أو علمية أو اجتماعية يعرض فيها بعض القضايا ويناقشها مظهراً موقف الإسلام منها ورأي الجماعة التي ينتمي إليها.

وقد كـــان ــ رحمه الله ــ كاتباً متواصـــلاً مع قرائه يعرض كل ما يصل إليه منهم حتى النقد.

كما كان ــ رحمه الله ــ متابعاً لما يجد من أحداث أو موضوعات فيعرض ما كان يجده بحاجة إلى العرض ويخدم فيه دينه ووطنه وقراءه.

ومن ضمن مقالات الشيخ التي جمعتها كانت هذه الأعداد التي كتبت في موضوعات مختلفة وهي:

١ ــ مقالة جزاء التقوى، العدد ٢، بتاريخ ١٣٧٣هـــ.

٢ ــ مقالة موقعة الجمل، بدعة المحمل، العدد ١، بتاريخ ١٣٧٠هـــ.

٣ ــ مقالة بدعة المولد ومظاهرها الوثنية، العدد ٣، بتاريخ ١٣٧٠هـــ.

٤ ــ مقالة بين الصليبية وبين الإسلام، العدد ٢، ٧، بتاريخ ١٣٧٦هـــ.

٥ ــ مقالة هيمنة القرآن "شأن القرآن مع الكتب السماوية"، العدد ٤، ٧، بتاريخ ١٣٧٥هـــ.

٦ ــ مقالة أفسحوا الطريق للإسلام يحكم ويشرع، العدد ١، بتاريخ ١٣٧٦هـــ.

٧ ــ مقالة من صراع الإسلام ضد المجوسية.

٨ ــ مقالة ابن بطوطة يفتري الكذب على ابن تيمية، العدد ٤، بتاريخ ١٣٧٠هـــ.

٩ ــ مقالة شيخ الأزهر في زيارة الأضرحة، العدد ١، بتاريخ ١٣٧١هـــ.

١٠ــ مقالة الأولياء المزعومون، العدد ٦، بتاريخ ١٣٨٦هـــ.

١١ــ مقالة إلى متى أيها الأزهر الشريف؟ مقالين العدد ٧، والعدد ٨، بتاريخ ١٣٦٨هـــ.

١٢ــ مقالة جاهلية غربية، العدد ٤، بتاريخ ١٣٧٣هـــ.

١٣ــ مقالة خيانة ملعونة "اعتراف بعض الدول بالصهيونية "، العدد ٣، بتاريخ ١٣٨٠هـ.

١٤ــ مقالة بعد تأميم القناة ثورة الوثنية الصليبية، العدد ١، بتاريخ ١٣٧٦هـ.

١٥ــ مقالة مع فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر (الشيخ / محمود شلتوت).

١٦ــ مقالة الصحافة والدين، العدد ٤، بتاريخ ١٣٨١هـ.

١٧ــ مقالة الميثاق.العدد ٢، بتاريخ ١٣٨٢هـ.

١٨ــ مقالة عهد الميثاق. العدد ٢، بتاريخ ١٣٨٠هـ.

١٩ــ مقالة دين الدولة هو الإسلام، العدد ٤، ٧، بتاريخ ١٣٧٥هـ.

٢٠ــ مقالة بطولة مجيدة.

٢١ــ مقالة بطولة عربية تنقذ الإنسانية.

٢٢ــ مقالة موقف أنصار السنة من إلغاء المعاهدة، العدد ٢، بتاريخ ١٣٧١هـ.

٢٣ــ مقالة شرعة اليهود في الحرب، العدد ٤، ٧، بتاريخ ١٣٦٥هـ.

٢٤ــ مقالة مفتريات، العدد ٩، بتاريخ ١٣٧٦هـ.

٢٥ــ مقالة دعوى بلا بينة، العدد ٥، بتاريخ ١٣٧٣هـ.

٢٦ــ مقالة كلمة طيبة.

٢٧ــ مقالة التلميذ بين المدرسة والمترل، العدد ٧، ٨، بتاريخ ١٣٧٤هـ.

٢٨ــ مقالة أدبوا نساءكم إن كنتم رجالاً، العدد ٨، بتاريخ ١٣٧٣هـ.

٢٩ــ مقالة بيني وبين صديق، العدد ٣، بتاريخ ١٣٧١هـ.

٣٠ــ مقالة من رسائل القراء الأفاضل، العدد ٦، بتاريخ ١٣٦٨هـ.

٣١ــ مقالة رسالة من العراق.

٣٢ــ مقالة من صراع الإسلام ضد المجوسية.

٣٣ــ مقالة يوم عظيم في بور سعيد، العدد ٨، ٩،١٠، بتاريخ ١٣٧٥هـ.

خامساً: كتب صدرت عن مؤلفات الوكيل وإنتاجه العلمي:

وهذه الكتب جميعها صدرت عن مركز التراث بالجماعة وهي:

١ ــ من ضلالات الصوفية.

٢ ــ سيد الخلق بشر.

٣ ــ عبد الرحمن الوكيل وقضايا التصوف.

٤ ــ قضية الأولياء ومحبتهم (مع آخرين).

٥ ــ قضية التوسل والوسيلة (مع آخرين).

٦ ــ الإنسان الكامل للجيلي.

جميع هذه الكتب من إعداد الشيخ / فتحي عثمان وكيل جماعة أنصار السنة ومدير مركز التراث بالجماعة.

الشيخ الوكيل والشعر:

لقد كان للشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ كتابات في الشعر ولكن قليلة.

يقول فتحي عثمان: (لا ننسى أن نذكر بأن الشيخ الوكيل كان شاعراً مجيدا قليل الإنتاج من الشعر)[1].

ويقول في رسالة:

لا ننسى أن الشيخ / الوكيل كان له من الشعر جانب وحظ كبير.

وكان موفور القريحة يتكلم في الشعر بأغراضه المختلفة.

هذا قبل أن يتصل بجماعة أنصار السنة أما بعد أن اتصل بالجماعة فإنه قل في هذا ولا نعرف له في هذا المضمار إلا قصيدتين:

(١) جماعة أنصار السنة، (ص٣٨) من ضلالات الصوفية، فتحي عثمان، (ص٧)، سيد الخلق بشر، فتحي عثمان، (ص١١).

١ ــ كانت في المعهد العلمي بالرياض.

٢ ــ كانت في دار أنصار السنة المحمدية في حضور الشيخ العلامة مفتي السعودية الشيخ/ محمد بن إبراهيم ــ رحمه الله ــ.

مكتبة الشيخ الوكيل رحمه الله:

لقد ترك الوكيل مكتبة كبيرة حوت الكثير من الكتب في معارف متنوعة.

ولقد اطلعت على مكتبته ــ رحمه الله ــ وقد كانت تحوي الكثير من كتب اللغة العربية، والفرق، والفلسفة، والعقيدة، وغيرها.

وقد عمل الوكيل ــ رحمه الله ــ جاهدا على جمع هذه الكتب وهو في ظروف مادية صعبة كما حدثني تلاميذه الذين قابلتهم.

إلا أن أبناء الوكيل قد باعوا كتبه جميعها للجمعية الشرعية وهي الآن في مسجد بابل بالدقي.

(فقد ترك الشيخ / عبد الرحمن الوكيل مكتبة كبيرة سواء من إنتاجه أو من اقتنائه للكتب حوت كتباً نادرة في معارف متنوعة، ويكفي أن يقوم أي باحث بزيارة مكتبته في "مسجد بابل" بالدقي ليعرف قيمة الرجل ومدى إلمامه بشتى العلوم)[1].

---

(١) من ضلالات الصوفية، فتحي عثمان، (ص٧) ، وسيد الخلق بشر، فتحي عثمان، (ص١١)، وجماعة أنصار السنة، (ص٣٨).

الفَصْلُ الرَّابِعُ

حياته الدعوية

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: دوره في جماعة أنصار السنة.

المبحث الثاني: دوره في مجلة الهدي النبوي.

المبحث الثالث: المحاضرات والدروس والندوات.

المبحث الرابع: رحلاته وجولاته.

المبحث الخامس: منهج الشيخ في الدعوة إلى الله.

المبحث الأول

دوره في جماعة أنصار السنة

عندما عرف الشيخ / عبد الرحمن الوكيل ــ رحمه الله ــ عقيدة التوحيد وفتح الله تعالى عليه بالرجوع إليها ــ بعد أن كان صوفياً ــ قرر أن يدعو إلى التوحيد الحق في كل مكان خاصة بعد أن اطلع على كتب السلف القدامى وعرف ما فيها من حق فحرص على دعوة إخوانه المسلمين إلى الخير الذي عرفه، وتحذيرهم من شر البدع والضلالات التي وقع فيها وخدع بزيفها.

(ومن الأمكنة التي كان يتردد عليها، ويدعو فيها إلى الله على بصيرة وعلم، "جمعية السيدات المسلمات" وكان الشيخ يلتقي في هذا لمكان بالسيدة طيبة الذكر "نعمت صدقي"[١] ــ رحمها الله ــ فكانت تسمع منه في هذه الأمكنة أحاديث طيبة عن دعوة التوحيد وكلمة الحق.

وكانت هذه الأحاديث تشبه تماماً ما كانت تسمعه من الشيخ/ محمد حامد الفقي رئيس جماعة أنصار السنة، والذي كان على صلة بالدكتور محمد رضا[٢] ــ رحمه الله ــ وبأسرته.

وهنا كانت بداية لقاء الشيخ / عبد الرحمن بأستاذه الشيخ حامد الفقي، وبدأ الداعيان السلفيان يعملان معا لنشر عقائد الإسلام الصحيحة، ومحاربة الخرافات والبدع المنتشرة في المجتمعات الإسلامية)[٣].

والسيدة/ نعمت صدقي ــ رحمها الله ــ يرجع إليها الفضل بعد الله في التحاق الشيخ / عبد الرحمن بجماعة أنصار السنة بعد أن قدمته إلى مؤسسها الشيخ / حامد الفقي الذي كان يلتقي بها وبزوجها وجمع من أهل الدعوة في منزلها.

---

(١) هي: حرم الدكتور/ محمد رضا بك، عضو جماعة أنصار السنة، ووالدة الدكتور/ أمين رضا، وكيل كلية طب الإسكندرية، سيدة فاضلة، من نصيرات السنة، وصاحبة كتاب التبرج.

(٢) هو: عضو جماعة أنصار السنة المحمدية كان يلتقي به الشيخ / حامد الفقي وبجمع من أهل الدعوة بمنزله.

(٣) مجلة الهدي النبوي، مقالة شخصيات مجددة، سعد صادق، عدد ١٢، تاريخ ١٣٩٧هـ، (ص٢٣).

وقد أعجب الفقي كثيراً بفكر الشيخ / الوكيل وقربه إليه بعد ذلك التحق الوكيل بالجماعة حتى عين رئيساً لها بمصر القديمة، ثم وكيلاً أول للجماعة، ثم نائباً لرئيسها الثاني الشيخ / عبد الرزاق عفيفي رحمه الله حتى أصبح الوكيل ثالث رئيس للجماعة، واستمر على رئاستها حتى أدمجت بالجمعية الشرعية.

يقول الشيخ / محمد عبد الرحيم:

(وعقب وفاة مؤسس الجماعة الأول أستاذنا الشيخ / محمد حامد الفقي اختير الشيخ / عبد الرحمن الوكيل رئيساً[1] لها فكان خير خلف لخير سلف)[2].

(فهو على الدوام موضع ثقة عامة وخاصة من جماعة أنصار السنة المحمدية على اختلاف طبقاهم، ولذلك اختاروه "رئيساً" لهم بإجماع رائع لم يشذ عنه أحد.

وهكذا تعاونت كفاءته واستقامتـــه على بلوغ القمة الآن وبكل سهولة)[3].
فأكرم الله تعالى الوكيل ــ رحمه الله ــ برئاسة جماعـــة سلفية هدف إلى الدعــوة للتوحيد الخالص المطهر من الشوائب وتدعو إلى حب الله تعالى حباً صادقاً يتمثل بطاعته وتدعو إلى حب رسوله ﷺ حباً يتمثل أيضا بطاعته والاقتداء به، كما تدعو إلى أخذ الدين من منبعيـــه الصافيين كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

وتحمل ــ رحمه الله ــ أعباء الجماعة والحفاظ على وحدها ومواصلة الدعوة إلى الله فقد تولى رئاستها بعد وفاة مؤسسها وهذا حمل كبير لا يحتمله إلا من تفضل الله عليه بالحكمة والصبر.

ونال الوكيل ــ رحمه الله ــ المحبة والطاعة من إخوانه في الجماعة وكانت له مكانة بينهم وشأن.

---

(١) يعد الشيخ / عبد الرحمن الوكيل عند جماعة أنصار السنة الرئيس الثاني لأن فترة الشيخ / عفيفي كانت لشهور تسلم بعدها الوكيل رئاستها، انظر: جماعة أنصار السنة، (ص٣٤).

(٢) مقدمة دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل، (ص ج).

(٣) مجلة الهدي النبوي، مقالة النداء الثاني، عدد ١٠ تاريخ ١٣٨١هـ (ص٤٤).

وعرف ــ رحمه الله ــ بابتعاده عن الخلافات التي لا تفيد حقائــق الدعوة الإسلامية ولا تقدح في عقيدة المؤمن.

كما عرف بالتوفيق والإصلاح وتقريب وجهات النظر وإنهاء أي خلافات تقع بين إخوانه.

لذا كانت الجماعة يداً واحدة وسارت في طريق الدعوة بجد ونشاط كلاً بما آتاه الله من علم ومعرفة في مجاله الذي اختص فيه عن غيره، وكان معه الرعيل الأول من خيرة رجال الجماعة وهم أقران وتلاميذ مؤسسها الفقي ــ رحمه الله ــ.

يقول السيد رزق الطويل ــ رحمه الله ــ:

(إن عبد الرحمن الوكيل ــ رحمه الله ــ كان العقل المفكر لأنصار السنة، على كــثرة ما كان يلاقي من عناء من إخوانه لبصيرته الهادية، واجتهاداته الواعية؛ فكان في ذلك نمطا فريداً في جماعته لا يشاركه في ذلك إلا حبر سوهاج وعلامتها الثبت أبو الوفاء محمد درويش)[١].

وكان الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ يرى أن رئاســة الجماعة ليســت مغنماً إلا إذا سار على ما عاهد الله عليه من العمل لإعلاء كلمته، وأن رئاسة الجماعة تنظيم للعمل وتكليف به، ودعوة إلى الإحسان فيه فما الرئيس في هذه الجماعة إلا عبداً لله وخادماً لجماعته[٢].

وكان ــ رحمه الله ــ في كثير من مقالاته وخطبه ودروسه ومحاضراته يشير إلى هدف الجماعة وغاياتها دائماً وأبداً، ويدفع عنها كل ما يفترى عليها من باطل وسوء وقد كتب ــ رحمه الله ــ رسالة بعنوان "مفتريات"[٣] أوضح فيها حقيقة دعوة الجماعة وأهدافها من خلال رده على مفتريات قيلت عن الجماعة جاء فيها:

---

(١) مقدمة كتاب دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل، (ص: ج).

(٢) انظر: مجلة الهدي النبوي، مقالة، عهد وميثاق، العدد ٢، بتاريخ ١٣٨٠هـ.

(٣) مجلة الهدي النبوي، مقالة مفتريات، العدد ٩، بتاريخ ١٣٧٦هـ.

١ ـ هل نحن مجسمة؟

يقول ـــ رحمه الله ـــ: (أما نحن أنصار السنة فيرمينا هؤلاء بأننا مجسمة لماذا؟ لأننا نؤمن بقول ربنا: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [1] فننفي عنه سبحانه ما نفى هو عن نفسه، ونثبت له جل شأنه ما أثبت هو لنفسه دون تشبيه أو تمثيل أو تأويل أو تعطيل)[2].

٢ ـ موقفنا من أولياء الله وأولياء الشيطان:

يقول ـــ رحمه الله ـــ: (معاذ الله أن نكره ولياً لله أو أن نطعن عليه، ونحن نؤمن بقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [3] ، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [4] .

فمن والى الله ورسوله فنحن معه حباً وتأييداً وانتصاراً له في كل معركة، غير أننا نحارب من يعبد الأولياء من دون الله، نحارب من يزعم أن الأولياء بيدهم الأمر والحل والعقد والتصريف والله يقول لخاتم النبيين: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [5])[6].

---

(١) (سورة الشورى: آية١١).

(٢) مجلة الهدي النبوي ، مقالة مفتريات ، العدد ٩ ، تاريخ ١٣٧٦هـ (ص٤٤٢).

(٣) (سورة يونس: آية ٦٢).

(٤) (سورة يونس: آية ٦٣).

(٥) (سورة آل عمران: آية ١٢٨).

(٦) مجلة الهدي النبوي، مقالة مفتريات، العدد ٣، تاريخ ١٣٨٦هـ (ص٤٤٥).

٣ـ هل نكره الأئمة؟

يقول ــ رحمه الله ــ:

(نقول للناس: اجعلوا الكتاب والسنة مصدراً لدينكم، وخذوا عن رسول الله ﷺ هديكم وانظروا في أقوال هؤلاء الأئمة فما رأيتموه موافقا للكتاب والسنة فبه اعملوا وإلا فاهجروا)[١].

٤ـ الوهابية.

يقولون إن الجماعة تدين بمذهب الوهابية ويرد الشيخ على هذا بقوله:

(ما قام الإمام الجليل المجاهد الشيخ الكبير / محمد بن عبد الوهاب داعياً إلى نفسه، ولا إلى دين ابتدعه ولا إلى مذهب اقترفه وإنما قام ــ واقرأ تاريخه وكتبه ــ داعياً إلى الله ورسوله، داعياً إلى الكتاب والسنة، داعياً إلى نبذ البدع والخرافات، وأتحدى كائناً من كان أن يثبت أن هذا الإمام صرح أو لمح أو رمز أو لوح إلى أحد يطلب منه أن يكون "وهابياً" فالثابت أنه كان يدعو الناس إلى أن ينتسبوا بدينهم إلى رسول الله ﷺ اعتقاداً وقولاً وعملاً)[٢].

وهكذا استمر الوكيل ــ رحمه الله ــ في الدعوة على هذا المنهج السلفي طيلة حياته وخاصة في فترة رئاسة الجماعة، منذ أن تولى رئاستها ودعا إخوانه في الجماعة على المضي بما عاهدوا الله عليه.

وكذلك عندما اشتد به المرض وقرب أجله نصح إخوانه في جماعة أنصار السنة بالبقاء على ما هم عليه من دعوة بالتمسك بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والصبر على ذلك.

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة مفتريات، العدد ٩، تاريخ ١٣٧٦هـ (ص٤٤٧).

(٢) مجلة الهدي النبوي، العدد السابق (ص ٤٤٨) بتصرف يسير.

يقول الأستاذ / السيد رزق الطويل ــ رحمه الله ــ:

(ومن العجب أنه ــ وقد اشتد به مرض الموت ــ سجل صوته لإخوانه نصيحة ليتهم سمعوها وفقهوها ولو فعلوا لتفادوا بلاء، ولكان لهم شأن آخر)[1].

وتبقى الدعوة همه دائماً وأبداً حتى عندما اشتد به المرض وشعر بدنو أجله حباً لله ورسوله ﷺ ولإعلاء كلمة الحق وحرصاً على صالح المسلمين عامة وجماعة أنصار السنة خاصة، وأيضاً اقتداء بالداعية والقائد الإسلامي الأول برسول الله ﷺ الذي نصح أمته عندما قرب أجله خوفاً وحرصاً عليهم بعده ﷺ وعلى آله ومن والاه وسار على نهجه إلى يوم الدين.

ومما سبق يتضح أن أعظم الطرق التي سلكها الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ في الدعوة وأهمها هو مع جماعة أنصار السنة المحمدية، فقد كانت الجماعة ممثلة بإخوانه فيها وبمجلتها الهدي النبوي وبمركزها وبدورها المتعدد وبمساجدها المنبر الأول والطريق الذي ثوى به ــ بعد الله ــ في الدعوة إلى التوحيد والابتعاد عن الشرك والبدع.

وكما كسب الشيخ من الجماعة القوة والنصرة ــ بعد الله ــ في الدعوة، أيضاً قويت الجماعة به بأن كانوا يداً واحدة لا فرقة بينهم ولا خلاف وقويت دعوتها أيضاً به ــ بعد الله ــ في محاربة الشرك والبدع ضد الطوائف المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فقد كان ــ رحمه الله ــ المعول الشديد في هدم شرك الطواغيت وبدعهم من صوفية وغيرها.

---

(١) مقدمة كتاب دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل، (ص: ج).

المبحث الثاني

دوره في مجلة الهدي النبوي

بعد أن أسس الشيخ / حامد الفقي ــ رحمه الله ــ جماعة أنصار السنة المحمدية (أسس عام ١٣٥٦هــ/١٩٣٦م مجلة الهدي لتكون لسان حال جماعته والمعبرة عن عقيدتها والناطقة بمبادئها)[١].

وقد حدد الشيخ / الفقي أغراض المجلة فقال: (إن من أهم أغراض هذه المجلة أن تقدم ما تستطيعه من خدمة ونصح وإرشاد في الشؤون الدينية والأخلاقية أخذت على نفسها موثقاً من الله أن تنصح فيما تقول وأن تتحرى الحق وأن لا تأخذ إلا ما ثبت بالدليل والحجة والبرهان الصحيح من كتاب الله تعالى وحديث رسوله ﷺ)[٢].

والشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ وقد التحق بالجماعة كانت له جهوده المشكورة في خدمة مذهب السلف ونشره ومحاربة الشرك والإلحاد والبدعة مستخدماً كل ما آتاه الله من علم ومعرفة، ومن جهوده كتابة المقالات والرسائل والموضوعات المختلفة في مجلة الهدي النبوي.

كما تولى رئاسة تحريرها بعد وفاة الشيخ / الفقي.

(الشيخ / عبد الرحمن الوكيل تولى رئاسة تحرير مجلة الهدي النبوي بعد الشيخ/ محمد حامد الفقي واستمر يشغل هذه الوظيفة إلى عام ١٣٨٦هــ، حيث توقف صدورها من جماعة أنصار السنة المحمدية.

ولقد رعاها الشيخ / عبد الرحمن الوكيل طيلة هذه الفترة حق رعايتها متولياً كثيراً مما كان يقوم به مؤسسها الشيخ حامد الفقي)[٣].

---

(١) جماعة أنصار السنة، المركز العام للجماعة، (ص ٢١) بتصرف.

(٢) المرجع السابق، (ص ٢٢).

(٣) جماعة أنصار السنة، الطاهر، (ص ٢٨٧).

وتحمل ــ رحمه الله ــ أعبــاء تفسير القــرآن الكريم بالمجلة استكمالاً لما تبقى من تفسير الفقي.

وقد استمر الوكيل طيلة فترة رئاسة تحرير المجلة في كتابة المقالات، ومتابعة تفسير القرآن حتى أدمجت الجماعة مع الجمعية الشرعية وأغلقت المجلة، وبعدها توجه رحمه الله إلى السعودية ليعمل أستاذاً للعقيدة بجامعة أم القرى.

وكانت المجلة تحتوي على كثير من الأبواب والموضوعات ومن التي شارك فيها الشيخ / الوكيل:

١ ــ التفسير: الذي كان في كل عدد بشكل مستمر وقام ــ رحمه الله ــ بتفسير سورة الإسراء من الآية ١٤ حتى أتمها وســورة الكهف كاملــة وسورة مريم حتى الآية ٥٤.

٢ ــ التعريض والرد على أهل التصوف والأضرحة وبيان حقيقة أمرهم: وقد كتب الوكيل أهم المقالات التي عرضت في المجلة في الرد على التصوف وأهله وهي: طواغيت وصوفيات، ونظرات في التصوف، وغيرها.

وقد كان له الدور الأكبر في هذا الباب الذي كان له كبير الأثر على الصوفية.

٣ ــ متابعة ما تنشره بعــض الجرائد والمجــلات من بدع وإنكارهــا أو حق تؤيده وتثني عليه.

ومن ذلك:

- كتب رسالة "الجيلي وكتابه الإنسان الكامل " في مجلة الهدي النبوي العدد الأول سنة ١٣٨١هــ رداً على ما نشرته مجلة "آخر ساعة" في عددها الصادر بتاريخ ١٩٦١/٥/٢٤هــ بعنوان "التصوف يخدم العلم".
- كتب مقالاته "الشيوعية تعانق الصوفية " العدد ١١، تاريخ ١٣٨٤هــ، رداً على ما نشرته مجلة المصور، بعنوان: "ركعتان في العشق".
- كتب مقالين في عام ١٣٧٨هــ، بعنوان: "نظرات في مجلة صوفية، عندما وضع الصوفية مجلة لهم بعنوان: "مجلة الإسلام والتصوف".

- كتب مقال "تعليقات على الصحف" في العدد الخامس، تاريخ ١٣٧٣هـ، وعنون له "دعوى بلا بينة" ليرد على ما نشرته إحدى الصحف حول رأي أحد المشائخ الكبار عن تجسد أرواح الموتى.

- كتب مقالة بعنوان: "مقالة طيبة" نشر فيها حديث للشيخ / محمود شلتوت جاء في مجلة المجتمع العربي حيث كان يدعو إلى ثورة تصل بالعقلية الأزهرية إلى الفكر الإسلامي الأصيل، موضحاً الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ (إنها لدعوة الحق التي يؤمن بها أنصار السنة ويدعون إليها ونعد أنفسنا نحن أنصار السنة من جنود هذه الثورة)[1].

- كتب مقالة "مفتريات وأساطير" العدد التاسع، تاريخ ١٣٦٨هـ، رداً على مجلة صوفية تصدر في السودان اسمها "الروضة الإسلامية" أهديت إليه فقرأ فيها مقالاً عنوانه: "الرد الموجز على أنصار السنة كما يتسمون "وقد حشيت المقالة بالطعن والهجوم على أنصار السنة وقسم الوكيل ــ رحمه الله ــ الرد إلى قسمين:

  ١ ــ الرد على مفترياته التي بهت بها أنصار السنة.

  ٢ ــ بيان ما ورد في مقالته من وسوسة الزندقة ونزوات الشرك.

- كتب مقالة "ثورة صالحة" العدد الخامس بتاريخ ١٣٧٣هـ، جاء فيها:

  نشرت جريدة الجمهورية أن وزير الأوقاف الشاب خالف نص واقف تنص وقفيته على بناء ضريح فأبى الوزير إلا أن يبني مسجداً بدلاً منه معللاً مخالفته هذه أن الأضرحة عودة إلى الوثنية وأن الأحياء أولى من الموتى بهذا المال.

ويقول الشيخ ــ رحمه الله ــ (وهكذا شاء الله أن يكون أول وزير للأوقاف يرفع المعول بيديه ليضرب الضربة الأولى على رأس الصنم ويعلنها في جراءة المؤمن إنها وثنية..)[2].

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة طيبة، العدد بدون تاريخ، (ص ٢٠٨).

(٢) مجلة الهدي النبوي ، مقالة ثورة صالحة، العدد ٥، بتاريخ ١٣٧٣هـ (ص ١٩) بتصرف.

٤ ــ الرد على أقوال وأفعال صدرت من بعض الشخصيات مخالفة للحق منها:

- كتب مقالة "شيخ الأزهر في زيارة الأضرحة" العدد الأول، بتاريخ ١٣٧١هـ، جاء فيها:

- (شيخ جامع الأزهر شاء الحكيم الخبير أن يبتليكم فوليتم هذا المنصب الخطر، وأول ما استهللت به العلم لدين الله هو هرولة فضيلتكم إلى الأضرحة، ألم تشهد عيناك في طريقك منكراً، ألم تسمع أذناك من الطائفين حول القبور دعاء الشرك؟!

فيا رحماه على الإسلام هانت عزته على من يفهم الناس أنهم شيوخه..)[1].

- كتب مقالة بعنوان: "إلى متى أيها الأزهر الشريف " العدد ٨، بتاريخ ١٣٦٨هـ قال فيها:

(واعظ من كبار وعاظ الأزهر بعث به ليهدي الضالين فحضرة الواعظ ينادي بأن محمدا ﷺ كان رسولاً لكل الرسل وكان موجوداً قبل الوجود وكان نبياً في كل أمة وكان وكان.

وقد هالني جهره بأن العبد الصالح في قصة موسى بسورة الكهف هو أحمد نبيناً.

فكر وقدر أيها الشيخ فإنك مسؤول أمام الله عن هذه الطائفة التي وكل إليك أمرها وأن دعوتك أيها الشيخ تهدف إلى غرض خطير يهتف به وثنيوا الصوفية وهو وحدة الأديان)[2].

- كتب مقالة بعنوان: "جاهلية غربية" العدد الرابع، بتاريخ ١٣٧٣هـ رد فيه على أحد رجال القانون في جامعة كبيرة عندما قال أن الرجوع إلى النظم

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة شيخ الأزهر في زيارة الأضرحة، العدد ١، تاريخ ١٣٧١هـ (ص ١٦) بتصرف يسير.

(٢) مجلة الهدي النبوي، مقالة إلى متى أيها الأزهر الشريف؟، العدد ٨، تاريخ ١٣٦٨هـ (ص٩) بتصرف.

الإسلامية ينطوي على معنى الرجعية، وأوضح الوكيل ــ رحمه الله ــ إلى أن في قوله هذا دلالة على أنه لم يزل منا فريقا يحب العبودية والذل للغرب وللمستعمر الغاشم.

- وكتب مقالة بعنوان: "بين الصليبيـــة وبين الإسلام" العـــدد الثاني، تاريخ ١٣٧٦هــ، رد فيها على وزير خارجية انجلترا "سلوين لويد" عندما حذر الغرب من توحد قوى العرب والمسلمين، مشيراً الوكيل رحمه الله إلى حقيقة الحضارة الإسلامية والحضارة الصليبية وعارضاً أيضاً للحاضرة الغربية الآن ممثلة في فرنسا وانجلترا وأمريكا، ليوضح من خلال ذلك حقد الصليبية على الإسلام قديماً وحديثاً.

٥ ــ شارك الوكيل في المقالات التي تعالج جوانب من حياة المسلم العامة.

- كتب مقالة "الصحافة والدين" العدد الرابع، تاريخ ١٣٨١هــ، محذراً الشيخ في أن بعض المنتسبين للصحافة في هذه الأيام يقومون بالهجوم على الدين والنيل من قيمه المقدسة ومثله العليا.

وإن منهم من يدعون إلى الإباحية المقنعة التي لا ترى للفضيلة الدينية قدسية.

وإن منهم من يتهجم على أقدار رجال لهم صيت كريم بين أهل العلم.

- وكتب مقالة "التلميذ بين المدرسة والمترل".

العدد السابع، تاريخ ١٣٧٤هــ، دعا فيها الوكيل أولياء الأمور والمعلمون إلى اتباع ما جاء في القرآن والسنة الحق لأن الأبناء يقعون في الحيرة والقلق وعقولهم في اضطراب لاختلاف ما يعلمهم الآباء عن ما يعلمهم إياه المعلمون ويدعوهم كل هذه المشكلة من أجل الأبناء.

- كتب مقالة "أدبوا نساءكم إن كنتم رجالاً":

العدد الثامن، تاريخ ١٣٧٣هــ، عن اعتصام بعض النسوة بدار إحدى النقابات وإضرابهن رغبة في أن يكن عضوات في الجمعية التأسيسية، ويقول

ـــ رحمه الله ـــ لست أدري أين زوج هذه المتمردة أين أبوها أين أخوها أين عشيرتها بل أين الرجال من المسلمين؟

ناصحاً للنساء المسلمات بما أوجب الله عليهن من حجاب وحشمة وعدم اختلاط بالرجال.

وقد كـــان الوكيل ـــ رحمه الله ـــ على اتصال مستمر مع قرائه في سائر البلاد الإسلامية ويعرض ما تصل إليه من رسائلهم حتى وإن كانت تعارض كتاباته ويعرض ما يكتبوه من اتهام له حتى وإن كان في عقيدته ومن ذلك.

- مقالة "رسالة من العراق ":

جاء فيها اتهام له أنه ما زال مؤمن بأساطير الصوفية ورد عليه الوكيل موضحاً حقيقة عقيدته وقال أنه لو رماه بكبيرة أهون عليه من أن يتهمه أنه على دين الصوفية، كيف وهو كان ضحيتها، وكيف يؤمن بما دعا إخوانه للكفر به.

- مقالة "من رسائل القراء الأفاضل " العدد ٦، تاريخ ١٣٦٨هـــ، رد فيها على رسالة جاءته بعنوان "نعم تجنيت على الغزالي" وقد هجم فيه على الوكيل بشدة، وعرض رسالته كاملة ورد عليها رحمه الله بأدب جم.
- مقالة "بيني وبين صديق" رداً على رسالة وصلته من صديق يتهم أنصار السنة بأنها وهابية وتشيع الفرقة، وتسب الأولياء، وتعادي الصوفية، ورد عليه الشيخ الوكيل بالتفصيل.[1]
- وكتب مقالة "من رسائل القراء" العدد ٥، ١٣٦٩هـــ، جاء فيها شكر مقدم لجهوده ويطلبون منه العديد من الأمور التي تخص الدعوة.

(١) جاء هذا المقال مفصلاً في المبحث الخاص بدوره في جماعة أنصار السنة، (ص١٦٧).

- كتب مقالة بعنوان: "الأولياء المزعومون" العدد ٦، بتاريخ ١٣٨٦هـ، كتب إليه أهالي بلدة بنها عن حقيقة قبرين فيها ويطلبون من الشيخ توجيه الناس إلى أنها ما شيدت إلا لتضليل الناس وزعزعة عقائدهم.

وقد كان الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ من أبرز كتاب مجلة الهدي النبوي، فقد جمع ــ رحمه الله ــ مع الحرص الشديد على نشر التوحيد والعقيدة الحق والدفاع عنها ما كان يملكه من علوم ومعارف متنوعة، ومنطق بليغ وعبارات قوية وأسلوب رائع.

(فلقد سخر قلمه الفياض الجريء وأسلوبه الرائع الجزل ومنطقه البليغ الفصيح وعباراته القوية الواضحة ومعلوماته المتنوعة وبديهته الحاضرة وشعره الجزل الرصين سخر ذلك كله في نشر التوحيد والعقيدة السلفية)[1].

(١) جماعة أنصار السنة، الطاهر، (ص١٨٧).

المبحث الثالث

المحاضرات والدروس والندوات

كان للشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ جهوده في سبيل دعوة التوحيد؛ فقد قضى حياته حافلة بالجهاد في دعوة الناس ليبلغهم المعتقد الإسلامي الصحيح كما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

واحتاجت هذه الدعوة (وهذا الأمر الشاق إلى أكثر من منبر، وقد أتيحت له هذه المنابر:

أولها : منبر خطب الجمعة التي كان يلقيها بالمركز العام لجماعة أنصار السنة وفروعه المنتشرة في مدن وقرى مصر.

ثانيها: أحاديث الوعظ والإرشاد التي كان يلقيها من خلال كراسي الدروس بالمركز العام للجماعة وفروعه.

ثالثها: ما كان يحضره من الندوات للاشتراك في محاورات مع معارضيه في العقيدة.

رابعها: توليه أعباء تفسير القرآن الكريم بمجلة الهدي النبوي استكمالاً لما تبقى من تفسير فضيلة الإمام الراحل الشيخ / محمد حامد الفقي؛ بالإضافة إلى المقالات التي كان ينشرها بمجلة الهدي النبوي رداً علــى دعوات مخالفيه في الدعــوة وما كان يراه ضرورياً لبيان القول الحق في عقائد الصوفية من الغث والباطل الذي تمتلئ به كتبهم)[1].

فمن منابر الدعوة التي اعتلاها الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ هي خطب الجمعة في مسجد مركز الجماعة بالقاهرة ومساجد فروعها أيضاً.

وقد نشرت مجلة الهدي النبوي إحدى خطب الجمع للوكيل والتي ألقاها بدار الجماعة في القاهرة ارتجلها ــ رحمه الله ــ بقوة المؤمن وبجرأة الداعية للحق لا يخاف في

---

(١) رسالة من الأستاذ/ سعد صادق.

الله لومة لائم حيث وجه في خطبته النداء للقيادة في ضرورة أن تستمد قوانينها من الدين الإسلامي.

جاء في المقال: (في خطبة الجمعة التي ألقاها رئيس الجماعة بدارها في ١٢ من المحرم سنة ١٣٨٢هـ (١٥ من يونيه سنة ١٩٦٢هـ) تحدث عن الميثاق الشعبي والميثاق الإلهي وأن الميثاق الشعبي يجب أن يرتبط بميثاق الله، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

وإننا ما زلنا نرجو أن ينص في الميثاق على أن دين الجمهورية هو الإسلام، وعلى وجوب استمداد قوانيننا منه، وإقامة حياتنا الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية على أسسه)[١].

وخطبة ألقاها في بور سعيد يقول فيها ــ رحمه الله ــ: (وفي ظهيرة الجمعة ألقيت خطبة الجمعة بالمسجد العباسي الكبير وتجاوب الناس مع الحق، وجاشت نفوسهم بالضراعة وفاضت عيونهم بالدموع مما يشهد لأهل بور سعيد بالفطرة الصافية التي يقودها الحق المبين)[٢].

وكانت للشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ محاضرات ودروس وندوات دورية في دار المركز العام للجماعة بالقاهرة وفي المساجد والساحات.

وفي بداية رجوعه إلى منهج السلف كانت له محاضرات يلقيها في جمعية السيدات المسلمات التي كانت ترأسها السيدة نعمت صدقي.

وبعد التحاقه بالجماعة كانت له محاضرات متفرقة قبل وفاة الفقي وبعد أن توفي الفقي ــ يرحمه الله ــ أصبح الوكيل يلقيها بشكل دوري كل يوم سبت.

ومن محاضرات الشيخ التي نشرتها مجلة الهدي النبوي:

١ ــ محاضرة بعنوان: ("طاغوت الإسكندرية" ضريح أبي العباس المرسي.

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة الميثاق، العدد ٢، تاريخ ١٣٨٢هـ، (ص ١٥) بتصرف.

(٢) مجلة الهدي النبوي ، مقالة يوم عظيم في بور سعيد، العدد ٨، تاريخ ١٣٧٥هـ، (ص ٣١٢) بتصرف.

ألقاها في دار الجماعة في الإسكندرية في عام ١٣٦٧هـ، بمناسبة تأليف شيخ مسجد أبي العباس المرسي كتاباً عنه)[١].

٢ ـ محاضرات "أثر التصوف في العقيدة" :

(ألقاها في دار الرابطة الإسلامية بالقاهرة، بطلب منها وذلك في يوم الأحد الموافق ٣٠/١٠/١٩٤٩م وقد كان لهذه المحاضرة الأثر الكبير في نفوس الحاضرين الذين غصت بهم دار الرابطة الإسلامية)[٢].

٣ ـ ومحاضرة ألقاها في قرية "نكلا" في يناير عام ١٩٥٢م، بعد أن وجهت دعوة للمركز العام للجماعة لحضور افتتاحها في نكلا.

(وكان مسك الختام محاضرة الشيخ / الوكيل التي لا أستطيع اليوم أن أصف لك دقته في اللغة، وقاموسه الفياض، ورتابة الفكر، وعمق الحديث،وقوة الدليل، وسلامة المنطق، وقناعة العالم المحقق، يأخذك فلا تقدر أن تنفك من حديثه إلا وأنت مستجيب لما يحدثك لأنه يعطيك بقلبه قبل لسانه، ويخاطب عقلك ووجدانك معاً.

وفي هذا عرفت عن قرب الشيخ / عبد الرحمن الوكيل العالم الباحث المحقق المرجع فيما يقول أو يكتب)[٣].

٤ ـ ومحاضرة بعنوان: "الإسلام والتصوف " (ألقاها الوكيل في بور سعيد في نادي رمسيس وهو من النوادي العظيمة ذات الأثر القيم الفعال من الناحيتين الثقافية والاجتماعية.

وذلك بطلب من إخوانه أنصار السنة قدموه إلى القائمين على أمر النادي في أن يؤذن للشيخ / الوكيل ـ رحمه الله ـ في إلقاء محاضرة رداً على محاضرة أحد كبار رجال التعليم في بور سعيد عنوانها: "التصوف المفترى عليه" وأذن له النادي في ذلك يوم الخميس ١٥/٣/١٩٥٦م)[٤].

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة طاغوت الإسكندرية، العدد ٤، تاريخ ١٣٦٧هـ، (ص٣٦).

(٢) مجلة الهدي النبوي ، مقالة أثر التصوف في العقيدة، العدد ٢، تاريخ ١٣٦٩هـ، (ص١٤).

(٣) رسالة من الشيخ / عبد القادر رزق الطويل، رئيس جماعة دعوة الحق.

(٤) مجلة الهدي النبوي، مقالة يوم عظيم في بور سعيد، العدد ٨، تاريخ ١٣٧٥هـ، (ص٧٠).

كذلك كانت للشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ جهوده على كرسي الدرس لوعظ الناس وإرشادهم وتعليمهم الدين الإسلامي الحق في القاهرة وخارجها، وأيضاً في مدارس الثانوية بمصر، وفي المعهد العلمي بالرياض.

وفي آخر حياته في كلية الشريعة في جامعة أم القرى كما أنه ــ رحمه الله ــ كان يلقي الدروس بالمسجد الحرام.

(قضى الشيخ / عبد الرحمن الوكيل حياته الحافلة بالجهاد في سبيل دعوة التوحيد، ولم تكن طويلة والتي ختمها بالمقام إلى جوار البلد الأمين أستاذاً في كلية الشريعة بمكة المكرمة ومدرساً في المسجد الحرام إلى أن توفاه الله)[1].

ويظهر لنا مما سبق أن الوكيل ــ رحمه الله ــ إلى جانب مسؤولياته في التدريس ورئاسة الجماعة وكتابة المقالات وتأليف الكتب كان حريصاً على الوعظ والإرشاد والاشتراك في المحاضرات والندوات التي كانت مهمة في إيضاح العقيدة الصحيحة ودفع الشرك والابتداع عنها ولم تثنه مسؤولياته أو ظروفه الصحية عن ذلك حتى توفاه الله بمكة المكرمة رحمه الله وجزاه عن ذلك خير الجزاء.

---

(١) جريدة الأخبار المصرية، مقالة ملامح شخصية، سعد صادق، العدد ٥ رمضان ١٤١٢هـ / ٩ــ٣ ــ ١٩٩٢م، (ص ٣ــ٩).

المبحث الرابع

رحلاتـــه وجولاتـــه

لقد كان للشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ جولات ولقاءات داخل القاهرة يهدف منها إلى إيضاح حقيقة الدعوة التي تهدف إليها جماعة أنصار السنة، ولتحقيق ما تسعى إليه من دعوة لعبادة الله وحده لا شريك له، والتحذير مما قد وقع بعض أبناء المسلمين من الشركيات والبدع.

وله جولات أيضاً في فـــروع الجمعية بالقاهـــرة من أجل النـــدوات والدروس والخطب.

ومن ضمن جولاته ــ رحمه الله ــ اللقاءات التي كانت له مع بعض العلماء لخدمة الدعوة ومنها:

لقاءه مع شيخ الأزهر وأستاذه الشيخ / محمود شلتوت ــ رحمه الله ــ حاملاً له تحية إخوانه في أنصار السنة وطلبهم أن يشرفهم بالحضور في دار الجماعة فقد كان يراه الوكيل ــ رحمه الله ــ كما يرى إخوانه في الجماعة أخاً جليلا وأنه أعظم رائد لدعوة الحق في جيلهم المعاصر.[(١)]

ومنها أيضاً لقاءه مع شيخه وأستاذه الشيخ / محمد البهي ــ رحمه الله ــ في مكتبه وإجراء حوار معه نشره الوكيل ــ رحمه الله ــ في مجلة الهدي النبوي تحت عنوان "مفتريات " ناقش معه بعض القضايا التي كانت تثار حول الجماعة.[(٢)]

ومنها أيضاً لقـــاءه مع الشيخ / عبد اللطيف المشتهـــري الواعظ العام بالأزهر وعضو مجلس إدارة الجمعية الشرعية في سبيل التقارب بين الدعاة إلى الله.

ولإيضاح أن رسالة الجمعيتين تتلاقى على هدف واحد وهو الدعوة إلى الإيمـــان الخالص بالله وأداء العبادات على وجه صحيح والتخلق بأخلاق الإسلام الفاضلة[(٣)].

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة مع فضيلة الأستاذ الأكبر / شيخ الجامع الأزهر، العدد ٦، تاريخ ١٣٧٩هـــ، (ص٩).

(٢) مجلة الهدي النبوي، مقالة مفتريات العدد ٩، تاريخ ١٣٧٦هـــ (ص٤٤٢).

(٣) مجلة الهدي النبوي، مقالة في سبيل التقارب بين الدعاة إلى الله، العدد ٣، تاريخ ١٣٨٤هـــ (ص٣٠).

ومن أهم جولات الوكيل ــ رحمه الله ــ بل وأصعبها هي ما كان يقوم به من لقاءات مع مشيخة الصوفية وذهابه إليهم ومحاورته لهم من أجل دعوتهم للرجوع إلى الحق وإيقافهم عما هم فيه من ضلال يدعون إليه مما أوصله إلى المحاكم وعرضه إلى كثير من المشاكل ولكن ذلك لم يثنه عن مواصلة التصدي للصوفية حتى آخر يوم في حياته ــ رحمه الله ــ.

(وكانت للشيخ / الوكيل جولات في فروع الجمعية في القاهرة والجيزة ودمياط والمنصورة وشربين وطنطا وبنها ودمنهور والإسكندرية.

وكذلك فروع الجمعية المنتشرة في قرى الوجه البحري والقبلي.

ونظرا لقلة الفروع للجماعة فقد قل تحركه في البلاد وإن كان قد عوض ذلك بإنتاجه العلمي ومحاضراته في المركز العام بدار الجماعة)[1].

وورد في المبحث السابق سفره ــ رحمه الله ــ إلى الإسكندرية وبور سعيد ونكلا من أجل إلقاء المحاضرات التي كان يدعو فيها الناس إلى الإيمان بالله كما هو في كتابه وسنة رسوله ﷺ.

وأيضاً للدفاع عن العقيدة بإظهار حقيقة الطوائف المخالفة لها.

وقد سافر الوكيل ــ رحمه الله ــ إلى الرياض للعمل بالمعهد العلمي والتدريس العقيدة واللغة العربية به.

وقبل وفاته بأعوام قليلة توجه إلى مكة المكرمة بعد إنشاء الجامعات والتحق بجامعة أم القرى ليكون أستاذاً للعقيدة بالدراسات العليا ومدرساً في المسجد الحرام.

وتوفي ــ رحمه الله ــ وهو في آخر رحلاته بعد أن أدمجت جماعته بالجمعية الشرعية وانقطع السبيل للدعوة باسم أنصار السنة فاختار آخر محطة ارتحل لها فأكرمه الله بجوار بيته حتى توفي ودفن في البلد الحرام.

---

(١) رسالة من الشيخ / فتحي عثمان.

المبحث الخامس

منهج الشيخ في الدعوة إلى الله

إن الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ منذ أن عرف طريق الحق وهو يدعو إليه وبقي في طريق الدعوة يجاهد في نشر العقيدة ودفـــع كل ما يقدح فيها، وتبصـــير أبناء المسلمين لما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة حتى توفاه الله.

وفي هذه المدة التي قضاها الوكيل في الدعوة وهي قرابة الخمسة وثلاثون عاماً اختط لنفسه منهجاً فيها المتابع لكل ما كتبه يرى ذلك المنهج واضحاً في دعوته رحمه الله.

ويمكن تلخيص منهج الشيخ في عدة نقاط هي:

أولاً: الدعوة إلى التوحيد والحرص على تصحيح العقائد ومحاربة البدعة والشرك:

لقد كان الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ في خطبه ودروسه ومحاضراته، وما كان يكتبه من مؤلفات ومقالات يدعو فيها إلى توحيد الله تعالى وتتريهه عن الشريك والند والمثيل.

فقد كان ذلك من أكبر اهتمام الشيخ في الدعوة وكان يعمل جاهداً من أجله ويرى أن إخلاص العبادة لله تعالى وحده هو السبب الأول في رفعة المسلمين وأن السبب الأول في تأخرهم هو ما تسرب إلى عقائدهم من عبادة لغير الله.

وهو بذلك ــ رحمه الله ــ يكون قد فقه حقيقة الدعوة وقد بصره الله تعالى إلى الطريق الصحيح فكيف يدعو الناس إلى أمور غير التوحيد وهم فيه مخالفون لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فلا يقبل عمل من إنسان ولا تستقـــيم جوانب الحياة جميعها إلا إذا كان موحدا لله تعالى تاركاً للشرك والبدع.

والدعوة إلى توحيد الله هي من أهم أهداف جماعة أنصار السنة وأكبر دور قامت به في دعوتها وركزت عليه في جميع جهودها.

يقول الوكيل ــ رحمه الله ــ:

(إنما ندعو الناس بدعوة الله التي من أجلها جاهد رسول الله ﷺ ندعوهم إلى التوسل إلى الله بتوحيده في ربوبيته وإلهيته والإيمان الصادق به وإخلاص الدين كله له والتسامي عن الجاهلية عقيدة فكراً وأخلاقاً)[١].

ويرد ــ رحمه الله ــ على من يعيب عليه الدعوة دائماً إلى توحيد الله وتركيزه على ذلك بقوله: (أتعيب دعوتنا وهي دعوة كل الرسل اقرأ كتاب الله وثمة تجد أن جميع الرسل كانوا يبدؤون دعوتهم بالتوحيد ويظلون يدعون الناس إليه إلى أن يصعدوا إلى الرفيق الأعلى)[٢].

وكان ــ رحمه الله ــ يدعو في جل ما يكتب إلى تنزيه الله تعالى عن الشريك فقد كان أعظم ما وقع فيه الناس قبل بعثة رسول الله ﷺ لهذا جاء القرآن الكريم مليء بالآيات التي تنفي الشرك عنه تعالى فكتب الوكيل ــ رحمه الله ــ المقالات وألف الكتب في شرك الصوفية وعن عبادتهم الأولياء من دون الله.

وكتب عن البهائية وشركهم واتخاذهم البهاء ربا من دون الله تعالى.

يقول ــ رحمه الله ــ: (وتسألني لما تلحون دائماً في محاربة ما تصفونه بأنه شرك، وأجيبك صادقاً مخلصاً ما بيدنا الحكم على المشركين بأنهم مشركون؛ بل بيد الله سبحانه، ونحن نذكر الناس بما حكم به رب العالمين على من يقترفون تلك البدع والمنكرات وآثام الوثنية وما سمى ووصف به هذه الأشياء)[٣].

ثانياً: البدء بالأهم فالمهم:

إن ترتيب الأولويات منهج مهم في الإصلاح والدعوة إلى الله وقد انتهج الشيخ/ الوكيل ــ رحمه الله ــ البدء بالأهم في دعوته فقد كان دائماً يبدأ بأهم المهمات وهو توحيد الله؛ فيبدأ بإصلاح العقيدة فبصلاحها تصلح كل جوانب الحياة.

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص١١٢).

(٢) مجلة الهدي النبوي، مقالة مفتريات، العدد ٩، تاريخ ١٣٧٦هـ (ص٢١).

(٣) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص١١٢).

يقول ــ رحمه الله ــ: (ندعو الناس إلى توحيد الله في ربوبيته وألوهيته وتوحيد الله في ربوبيته وألوهيته هو الدين والهدى والحياة والاستقامة في العواطف والفكر والخلق السلوك، وإذا استقام للمرء هذا استقامت حياته كلها)[١].

وهكذا كان ــ رحمه الله ــ في دعوته إلى صلاح الإنسان في عبادته وأخلاقه وسلوكه وجميع جوانب حياته يركز على الأهم فالأهم.

حتى في رئاسته للجماعة وإدارة شؤونها ما كان يركز على بعض المشاكل بين إخوانه ويتغاضى عن بعض خلافاتهم إلا فيما يمس أهداف الجماعة فإنه إذا استوت هذه الأمور صلح غيرها.

وهذا لا يعــني أنه كــان يهملها بل كانت له جهــوده الواضحة في الأخلاق والسلوك فقد اهتم بشؤون المجتمع المسلم كالتعليم والقيادة وحتى ما يخص المرأة والأسرة وكل ما يجد عليها من أمور لكن ملتزم بمنهج الأهم فالأهم.

وكذا في شؤون الجماعة ما كان تغاضيه عن بعض المشكلات إهمالاً منه بل كان حريصا على تجاوزها والدليل على ذلك حال الجماعة في فترة رئاسته رحمه الله التي تميزت بالعطاء والإخاء والوحدة.

ويوضح ــ رحمه الله ــ في كتاباته وخطبه أنه حريص على أن يسلك منهج رسوله وقدوته محمد ﷺ.

بل ومنهج جميع رسل الله ــ عليهم السلام ــ في دعوته حيث كان ﷺ يحرص على تصفية النفوس من دنسها حتى تتحلى بالعقيدة الحق أشرف الأخلاق وأسماها وعلى ذلك تقاس جميع جوانب الحياة.

يقول رحمه الله: (وذلك هو السبيل الذي أمر الله رسوله أن يسلكه في دعوة الناس إلى الله مركز الدعوة أول أمرها في تصفية النفوس من دنس الشرك والقلوب من لوثة الوثنية؛ فكان يتنظر في نفوس أصحابه جمال الأخلاق من جلال التوحيد)[٢].

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة مفتريات، العدد ٩، تاريخ ١٣٧٦هـ (ص٢١).

(٢) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل، (ص١١٧).

ثالثاً: دعوته دائماً إلى اتباع والتزام المسلم في دينه بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ونهيه عن اتباع الأولياء:

كان ــ رحمه الله ــ دائماً يرشد المسلمين إلى أخذ دينهم من نبعيه الصافيين صريح الكتاب وصحيح السنة لأنه لن يسعدهم في الدنيا وينجيهم في الآخرة إلا منهجهما واتباعهما.

ويرشدهم إلى أن نصوص الكتاب والسنة لا يحيد المسلم عنها البتة وأن دين الله تعالى محصوراً في ظاهر هذه النصوص التي قضت حكمة الله تعالى أن يجعل فيها صلاح خلقه في دينهم ودنياهم فألزمهم تعالى باتباعها ونهاهم عن ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويلها.

يقول ــ رحمه الله ــ: (عبادة الله سبحانه قائمة على أصلين: أن يعبد وحده وأن لا يعبد إلا بما شرعه جل شأنه ولهذا فرض الله سبحانه على كل مسلم أن يتبع في دينه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ففيهما ما يحب الله أن يعبد به ويرضاه ويثيب عليه)[١].

ويقول ــ رحمه الله ــ: (في القرآن والسنة تفصيل مشرق البيان والهداية لما يجب أن يحكم به في قضايا الدين والحياة وليس في الآيات ما يفيد الحكم بما أنزل الله بقيد ما، أو يخصصه بقضايا الدين بل إنها توجب الحكم به في كل قضية يختص فيها المسلمون أو غير المسلمين الذين يعيشون في ظل الدولة الإسلامية سواء كانت دينية أو دنيوية)[٢].

رابعاً: القيام بالواجب تجاه أهل الشرك والبدع ببيان حالهم والتحذير منهم:

إن الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ كان في كل ما يكتب وكل ما يحدث حريصاً على أن يبين حال أهل الشرك والبدع ويحذر منهم ويظهر السنة ويعرف المسلمين بها ويقمع البدع بما يوجبه الشرع من ضوابط.

فكتب عن الصوفية وعن البهائية وعن القاديانية وعن بعض البدع كبدعة المولد وغيرها.

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل، (ص١٤٥).

(٢) المرجع السابق، (ص١٦٣).

ويقول ــ رحمه الله ــ: (نفعل هذا باسم الله لعلنا نسهم في القضاء على هذا الفساد الديني والفكري والخلقي الذي نشره التصوف.

ونسهم في تقريب موعد خلاص النفوس من ذل العبودية للصوفية.

والسبيل المستقيم إلى هذا هو شريعة الإسلام وعقيدته لا مجاهدات التصوف المزعومة ولا شطحاته الموهومة)[١].

ويقول ــ رحمه الله ــ في مقدمة كتاب البهائية:

(ولعلي بهذا الكتاب أسهم في إنقاذ شبابنا وأسرنا من ذلك الفساد العقدي والخلقي الذي ينتشر باسم صوفية مرة، وبهائية مرة، ووجودية أو شيوعية مرة أخرى)[٢].

وعندما رأى ــ رحمه الله ــ دعاة البدع يجتهدون في نشرها ويزعمون أنها تمثل حقيقة الإسلام كتب مقالات تعد أبحاثاً لما حوته من موضوعية وعلمية لكشف الحقيقة ولقمع أهل البدع.

يقول ــ رحمه الله ــ: (إن هناك أفكاراً أو مبادئ تزعم أنها تمثل حقيقة الإسلام وروحانيته، ويقوم دون هذه الأفكار رجال يشدون بها ويجالدون دونها.

لهذا نحيل النظرات في هذا التراث لنكتشف حقيقته ونهتك القناع السحري عن وجهه المقيت)[٣].

ويشير ــ رحمه الله ــ في كتاباته أنه لن ينثني عن ذلك وسيستمر على القيام بما أوجبه الله عليه تجاه الشرك والبدع وأهلهما ولن يمنعه من ذلك رهبة أحد فإنه لا يرهب غير الله.

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة نظرات في التصوف العدد ٩، تاريخ ١٣٨٠هـ (ص١١).

(٢) البهائية، عبد الرحمن الوكيل، (ص٣٦).

(٣) مجلة الهدي النبوي، مقالة نظرات في التصوف، العدد ١٠، تاريخ ١٣٧٩هـ، (ص٨).

يقول ــ رحمه الله ــ: (فسنظل بعون الله نلهب بسياط الحق ظهور الآبقين وندك بمعاوله معابد الأصنام حتى تخر على سدنتها وعبيدها. ولن يحــول بيننا بتوفيق الله وبين التذكير بما هدى الله إليه وفرض علينا الجلاد المستلئم دونه فما لقلب المؤمن أن يرهب في الحق إلا من فطره ولا أن يرغب إلا في رضاه)[١].

خامساً: اتباع منهج السلف مع الحكام:

لقد كان منهج السلف هو المنهج الصحيح في التعامل مع الحكام فقد كانوا منضبطين في دعوهم وإصلاحهم فلا يخرجون عليهم، ويصلون خلفهم، ويدعون لهم بالهداية.

ويراعون الحكام في إنكار المنكر فيناصحونهم بما لا يثيرهم أو يسبب الضرر للدعوة وأهلها.

(وإلا ما الذي سيحدث من الفوائد من قيام بعض الدعاة بإنكار بعض الأمور بصورة علنية سوى التسبب في منعهم وحرمانهم من الخير وحرمان الناس من الاستفادة من علومهم ومعارفهم)[٢].

وهذا المنهج في الدعوة مع الحكام هو ما اتبعه الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ في دعوة القادة وفقهه في أمرهم بالمعروف وإنكار منكرهم، وهو منهج جماعته أنصار السنة المحمدية مما جعلهم بفضل الله أولاً ثم باعتدالهم يحققون بعضاً من ثمار تصحيح العقيدة للشعب والسلطة على حد سواء.

(جماعة أنصار السنة جماعة دعوية جعلت من منهجها معرفة كيفية التعامل مع الحكام باعتبارها أداة إصلاح وأنهم يحتاجون إلى إصلاح فاتخذت منهج السلف في التعامل مع الحكام وهو المنهج الصحيح المنضبط فهي ترى الدعاء لهم بالهداية والصلاح، وترى الصلاة خلفهم ونصيحتهم بما لا يثير الفوضى ولا يؤدي إلى مفاسد أكبر)[٣].

---

(١) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص٣٦) بتصرف يسير.

(٢) عقيدة أهل السنة والجماعة على ضوء الكتاب والسنة، سعيد القحطــاني، ط٢، ١٤٢٦هــ/٢٠٠٥م، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، (ص٢٢٥).

(٣) أنصار السنة المحمدية، الطاهر، (ص٤٢٤).

وقد نصح الوكيل ــ رحمه الله ــ قائد مصر إلى أن ينص الميثاق على أن دين الدولة هو الإسلام، ويدعو له ويثني على ما كان من خير فيما نص عليه الميثاق الشعبي، وذكره بميثاق الله تعالى، وأنه يجــب عليه أن يربط ميثاق الدولــة بميثاق الله تعالى يقول ــ رحمه الله ــ: (فقد قلنا نحن أنصار السنة بعض رأينا في الميثاق الشعبي، وقلنا أنه احتوى على كثير من الخير، ومجد روح الدين، واستهدف صوالح الشعب ومصالحه، غير أننا ما زلنا نرجو أن ينص في الميثاق على أن دين الجمهورية هو الإسلام وعلى وجوب استمداد قوانيننا منه، وإقامة حياتنا الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية على أسسه.

وأني لأسأل الله أن يمتع بطل هذه الأمة جمال، سعادة انتصاره؛ فقد انتصر في كل معركة خاضها ضد البغي والعدوان، وأرجو من الله أن يتوج انتصاره بما يرجوه إخوانه المسلمون)[1].

وكان يدعو قادة المسلمين وعلماء الدين إلى تحكيم شريعة الإسلام وأخذ الدين من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ووجوب إزالة المنكرات والضرب على يد أهلها.

يقول ــ رحمه الله ــ: (فليت القادة وعلماء الدين يلتفتون إلى هذه العظة بالاعتبار ويقودون الشعب بالحــق من الدين ويعلمونــه أن لا حكــم إلا لله ولا دين إلا ما أخذ من الكتاب والسنة وأن شريعة الإسلام أسمى وأعدل وأهــدى من كل قوانين البشر ذلــك ما نريده وندعو إليه ونعمل به)[2].

ويقول: (ولتغلق الحكومة دور اللهو، ولتهدم تلك المواخير، ولتعلنها حرباً على المنكرات، ولتضرب على أيدي الخائنين)[3].

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة الميثاق، العدد ٢، تاريخ ١٣٨٢هــ (ص٢٢).

(٢) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل، (ص١٢٤).

(٣) مجلة الهدي النبوي، مقالة موقف أنصار السنة من إلغاء المعاهدة، العدد ٢، تاريخ ١٣٧١هــ (ص٦).

سادساً: الحرص في دعوته على جمع كلمة المسلمين:

اجتهد الوكيل ــ رحمه الله ــ في دعوته على جمع كلمة المسلمين قادة وجماعات إسلامية وأفراد.

ويرى أن جمع الكلمة أمراً لا بد منه في الدعوة إلى التوحيد والاعتصام به وفي محاربة الشرك والمنكر ونصرة المعروف والدعوة إلى الإسلام في أصله وفرعه.

يقول ــ رحمه الله ــ: (ولأننا نجاهد في سبيل أن يكون المسلمون أمة واحدة يصدق عليها قول الله: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ٩٢﴾[1] تحت راية التوحيد ندعو إلى الوحدة الكبرى هذا عهدنا مع الله ونضرع إلى الله على أن يعيننا على الوفاء بعهده)[2].

وكان يخص الجماعات الدينية بدعوتها إلى الوحدة وكثيراً ما كان يدعوها إلى أن تتوحد تحت مسمى واحد وهو المسلمون.

وكان ــ رحمه الله ــ يتضرع إلى الله أن يحقق ذلك لما فيه من صلاح لهم وللأمة الإسلامية.

يقول ــ رحمه الله ــ: (نضرع إلى الله أن يشرق صباح ذلك اليوم الذي يتألق بالمجد والذي نرى فيه كل الجماعات الدينية في مصر وغيرها وقد توحدت تحت اسم واحد سمينا به من قبل كما في القرآن وهو "المسلمون")[3].

ولهذا اجتهد الشيخ في الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له لأنها السبيل إلى وحدة المسلمين، واقتداء بالمنهج النبوي في الدعوة.

يقول ــ رحمه الله ــ: (أتعرف بما وحد الرسول ﷺ كلمة العرب وكانوا شيعاً وأحزاباً؟ بدعوتهم إلى عبادة إله واحد لا شريك له وجعلهم كتابه لهم إمامة.

---

(١) (سورة الأنبياء: آية ٩٢).

(٢) مجلة الهدي النبوي، مقالة مفتريات، العدد ٩، تاريخ ١٣٧٦هـ (ص٢٢).

(٣) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل، (ص١١٩).

ونحن إنما نقتدي بهذه الدعوة النبوية، والتوحيد الإسلامي وحده هو الذي يجعل البشر جميعاً أسرة واحدة لأن الدين واحد والرب واحد لا شريك له، التوحيد يهدم الفروق ويجعل الكل وحدة إنسانية)[1].

وحذر كثيراً ـــ رحمه الله ـــ في كتاباته مما يعمله أعداء الإسلام في الماضي والحاضر من السعي إلى تفريق كلمة المسلمين بالحروب والاستعمار وإفساد العقائد.

سابعاً: تحذير المسلمين من العصبية المذهبية:

كان الوكيل ـــ رحمه الله ـــ معادياً للتعصب للمذاهب ومحاربا له لما يوصل إليه من فرقة واختلاف ويبين رحمه الله أن موقفه هذا محاربة للتعصب المذهبي الذي فرق المسلمين وليس محاربة للأئمة ـــ رضوان الله عليهم ـــ ويوضح الموقف الواجب اتباعه تجاه هؤلاء الأئمة فيقول ـــ رحمه الله ـــ: (سيفتري علينا الخراصون أننا بهذا نحارب الأئمة ـــ رضوان الله عليهم ـــ ونحقر شأنهم ومعاذ الله أن نكون من أدعياء هذا البهتان، إنما نحارب العصبية الجاهلية لهؤلاء الأئمة ونحن لا ننسى ـــ وقد ينسى المتعصبون ـــ أن الأئمة بشر وما زعم واحد منهم لنفسه العصمة ولا سن اتباعه، والرسول ﷺ يقول: (**كل ابن آدم خطاء..**)[2] فنأخذ منهم ما وافق الكتاب والسنة ونترك ما عدا ذلك مما نعتقد أن الأئمة رضوان الله عليهم لم يتعمدوا الخطأ فيه)[3].

ويبين ـــ رحمه الله ـــ أن أئمة الهدى متبعين لسنة رسول الله ﷺ وأن الواجب علينا أن نتبع الرسول ﷺ ونتأسى ونقتدي به وأن ذلك هو الذي ثبت عنهم.

وأن اتباعهم في ذلك خير من أن نقول إننا أحناف أو شافعية أو مالكية أو حنابلة، كما أنهم براء من ذلك وما طلبوا من إنسان تقليدهم بل نهوا عن ذلك أشد النهي.

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة مفتريات، العدد ٩، تاريخ ١٣٦٨هـ (ص١٩).

(٢) رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب، حديث رقم ٢٤٩٩ (ج٤، ص٦٥٩) وابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، حديث رقم ٤٢٥١ (ج٢، ص١٤٢٠) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبن ماجة برقم (٤٣٢٧) (ج٣، ص ٣٨٢).

(٣) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص١٥٧) بتصرف.

ويقول ــ رحمه الله ــ: (والأئمة بشر قد يخطئون ولذلك فقد ألقوا عن عواتقهم التبعية ونصحوا الناس أن لا يتبعوا إلا رسول الله ﷺ الذي لا يخطئ ولا يزل ولا يضل.

ونحن نجل الأئمة وندين لهم أنهم أئمة هدى فنرجع إليهم وإلى فقههم ولكن نأخذ من قولهم ما وافق الكتاب والسنة فالحق واحد لا يتعدد)[١].

ويحارب الوكيل ــ رحمه الله ــ العصبية المذهبية ويحذر منها لأن هذا التفرق والتعصب قد عانى منه المسلمون كثيراً وتفرقوا واختلفوا حتى أنه في عهد من العهود أصبحوا لا يزوجون بناتهم من مذهب غير مذهبهم ووصل بهم إلى أن تقاتلوا وسالت بينهم الدماء عصبية لمذهبهم.

يقول ــ رحمه الله ــ: (لقد بلغ التقليد بالعلماء حداً جعلهم يرون من خرج من مذهب إلى مذهب يجب تعزيره، وأغشى المساجد الكبرى وسيروعك أن تجد هنا صلاة جماعة وهناك أخرى وفي عقود النكاح تسمع المأذون يقول زوجتك إياها على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وعلى مذهب الإمام أبي حنيفة.

بل في مصر لا يجوز أن يتولى القضاء إلا حنفي المذهب.

وهكذا فرقت المذاهب بين المسلمين حتى أصبحوا يتعادون ويتلاحون لا لشيء إلا لأن هذا مالكي وذاك شافعي والأئمة ــ رضوان الله عليهم ــ براء من ذلك كله)[٢].

ثامناً: الدعوة إلى الله على بصيرة:

عندما سلك الوكيل ــ رحمه الله ــ طريق السلف ورجع عن التصوف وهو يعلم أن دراسته للعقيدة كانت من كتب أهل الكلام لذا حرص ــ رحمه الله ــ على تعلم مذهب السلف فانكب على دراسة كتب السلف الأوائل وخاصة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ــ رحمه الله ــ.

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة بيني وبين صديق، العدد ٣، تاريخ ١٣٧١هـ، (ص٢١) بتصرف.

(٢) مجلة الهدي النبوي ، مقالة لتتبعن سنن من كان قبلكم، العدد ١٢، تاريخ ١٣٦٧هـ (ص٢٠) بتصرف.

كما درس كتب الشيخ/محمد عبد الوهاب المجدد لمذهب السلف ــ رحمه الله ــ.

ثم التحق بجماعة أنصار السنة المحمدية الجماعة السلفية التي ساعدته أيضا في معرفة العلم الحق كما جاء في كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ.

إضافة إلى ما تعلمه في الأزهر من علوم متنوعة وعالية للقرآن الكريم والحديث والسيرة واللغة العربية والفرق والمذاهب وغيرها مما جعله ــ رحمه الله ــ يقدم على الدعوة إلى الله وهو على علم حتى يتمكن من الدعوة إلى الله على بصيرة.

وقد تصدى في دعوته للفرق المخالفة وخاصة الصوفية فقام بدراسات لهذه الفرق من جميع الجوانب المنشأ والتاريخ والعقيدة والأدلة التي يستندون عليها وأهدافهم وكتبهم وعلمائهم حتى تقوم الحجة على من يريد أن يقدمها عليه. وكان ــ رحمه الله ــ يذكر في جميع مؤلفاته وكتاباته في مجلة الهدي النبوي أنه لا يتحدث عن أي فرقة تخالف الكتاب والسنة إلا وقد درس كتبها قبل أن يطلع على ما كتبه العلماء عنها.

يقول ــ رحمه الله ــ في مقدمة كتابه البهائية: (عكفت على كتب البهائية التي يقدسونها أطالعها مطالعة من ينشد الحقيقة لا مطالعة من يحب تصيد السوءات وقضيت في هذا زمناً طويلاً)[١].

كما اعتمد في كتابه "هذه هي الصوفية" على نقول واقتباسات من مراجع الصوفية المشهور منها والمضمور.

وكان ــ رحمه الله ــ خبيراً بالفلسفة اليونانية الأمر الذي أهله لدحض نظرية (وحدة الوجود) واجتثاثها من جذورها[٢].

فكان الوكيل ــ رحمه الله ــ على بصيرة في الدعوة إلى الله متبعاً منهج نبيه محمد ﷺ في الدعوة ومتمثلاً ذلك باتباع قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[٣].

---

(١) البهائية، عبد الرحمن الوكيل، (ص٣٧).

(٢) انظر: مقدمة كتاب هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل، (ص٣٩).

(٣) (سورة يوسف: آية ١٠٨).

وهكذا كان الوكيل ــ رحمه الله ــ على معرفة وتحقق بما يدعو إليه وهذا يوضح سبب تركيزه على الصوفية خاصة في الرد على الفرق وذلك لتمكنه من معرفة كل ما يخص التصوف وأهله وهذا بشهادة جميع العلماء الذين عرفوه وقرأوا له.

تاسعاً: الدعوة إلى الله بالمجادلة بالحسنى:

إن المجادلة بالحسنى هو منهج الرسل ــ عليهم صلوات الله ــ وقد عرض لنا القرآن الكريم كثيراً من قصصهم مع أقوامهم وهم يجادلونهم حتى يظهروا الحق.

والله تعالى يقول لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾[1].

وقد كان الوكيل ــ يرحمه الله ــ يجادل أهل الباطل ويفاوضهم حتى يرجعوا أو يغلبهم بإظهار الحق وبطلان ما هم عليه.

فكان يعرض ــ رحمه الله ــ أقوالهم وأدلتهم ويعرض ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ويدعوهم إلى سبيل الحق وهم يسمعونه ويقرؤون ما يكتبه ولا يرد عليه أحد من المشايخ أو العلماء من الصوفية إلا القليل جداً ويرد على ما يكتبونه من أباطيل رداً للحق فلا يعيدون ذلك وعلى هذا فالغالب هو أن الوكيل ــ رحمه الله ــ عند مجادلة الصوفية وباطلهم يظهر الحق دون أن يغالبه المخالفون.

وهذا كتابه "هذه هي الصوفية " خير دليل على ذلك ففيه مجادلة بالحسنى لشيخ مشايخ الطرق الصوفية ولأهل التصوف عامة وعلى كثرة شيوخهم وأتباعهم إلا أنهم سكتوا وعجزوا عن مغالبة الحق وانتشر كتابه، وتأثر الكثيرون بما جاء فيه ورجع من رجع إلى الحق بفضل الله ثم بفضل ما آتاه الله من حسن مجادلة ودعوة للحق وعلم ومعرفة في ذلك.

---

(١) (سورة النحل: آية ١٢٥).

كما كان ــ رحمه الله ــ أثناء ذلك يدعو دائماً لمن خالف ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أن يفتح الله عليهم ويردهم عما هم فيه من ضلال وأن يصرف عن المسلمين كل شر دعوا إليه.

وقد قال لشيخ طرق الصوفية بدلاً من أن تشكونا إلى النيابة تعال ومرحى للمحاجة حتى نصل إلى الحق(١) إلا أن شيخ الطرق لم يجبه لأنه يعلم أن الحق هو ما جاء في القرآن والسنة وهو ما جاء يجادل به الوكيل ليدحض الضلال.

كما أنه ــ رحمه الله ــ قد ذهب إلى وكيل المحفل البهائي وناقشه في بعض المسائل والمزاعم التي يدعون إليها حتى يصل به إلى الحق والهداية وليطلع كل قارئ مسلم ليحذر من سبل الشيطان التي جاءت بوجوه مختلفة وليحفظ عقيدته من الشرك والضلال(٢).

وقد كان للوكيل محاضــرة في أحد المساجد يرد فيها على أحد رجال التعليم الذي قال للناس إن الصوفية هي الإسلام وأنها بدأت من حيث تحنث الرسول ﷺ في غار حراء وقبلها.

وكان ــ رحمه الله ــ في رده يعرض نصوصاً للصوفية وكان رجل التعليم هذا حاضراً يسمع مجادلة الوكيل له بالحسنى فانصرف تاركاً الشيخ الوكيل يسأله عن الحق فقال رحمه الله: (كان ينبغي على الأستاذ الكبير وهو يدافع عن الصوفية أن يرد رداً شافياً على هذه النصوص القاطعة دون أن يعتذر بأنه غير مستعد)(٣).

وسلك هذا الطريق أيضاً مع أساتذته فقد كان أحد أساتذته يرى أن جماعة أنصار السنة ليست على حــق فحضر إليه يحاوره ويجادلــه بالتي هي أحســن وليعلمه حقيقة ما تدعو إليه جماعة أنصار السنة وما هي عليه من حق متبعة في كل ما تعمل به كتاب الله ومهتدية بهدي نبيه محمد ﷺ.

---

(١) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص٢٢٤).

(٢) البهائية، عبد الرحمن الوكيل (ص٣٧).

(٣) مجلة الهدي النبوي، مقالة يوم سعيد في بور سعيد، العدد ٨، تاريخ ١٣٧٥هـ (ص٧١).

يقول ـــ رحمه الله ـــ: (تذكرت هذا الحوار الذي امتد منذ مدة بيني وبين أستاذي هذا الذي لا يزال يقتعد كرسياً ضخماً في إحدى الجامعات تذكرته وسجلته ليعتبر به المفترون، وليتعظ به من يبهتوننا بالكذب الحقير)[1].

ويقول إن حواره معه كان طويلاً غير أني أظن أني قد أخذت للحق بحقه ممن حاول اغتصابه.

ولقد كان ـــ رحمه الله ـــ موفقاً فيما قام به من حوارات ومجادلات بالحسنى وذلك لأنه على حق ويجادل على علم وبصيرة ولأن الله قد وهبه المقدرة على الجدال والإقناع وغلبة أهل الباطل ولأنه عاهد الله تعالى على نصرة أهل الحق.

(هذا عهدنا مع الله ونضرع إلى الله أن يعيننا على الوفاء بعهده)[2].

عاشراً: اتباع أساليب متنوعة في الدعوة إلى الله:

سلك الوكيل ـــ رحمه الله ـــ طرقاً مختلفة وأساليب متنوعة في الدعوة إلى توحيد الله ونبذ المنكرات والبدع والشركيات.

فألف الكتب التي توضح عقيدة السلف، وألف الكتب في الفرق التي خالفت العقيدة الحقة ليظهر للناس ضلالها وشركها.

وتارة بكتابة الرسائل والمقالات المتنوعة التي اتسمت بالموضوعية والعلمية فعدت أبحاثاً كتبت في مجال الدعوة إلى الله.

وقد وفق ـــ رحمه الله ـــ في ذلك كثيراً لتمكنه من اللغة العربية وحسن اختيار الألفاظ وقوة العبارات وجزالتها والأسلـــوب الشيق الممتع الذي يجعـــل القارئ يتابع ما كتبه حتى النهاية.

وأيضاً كان ـــ رحمه الله ـــ يخطب الجمع ويحضر الندوات ويقيم حلقات للدرس كلها كانت سبل للدعوة إلى الله.

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة مفتريات، العدد ٩، تاريخ ١٣٧٦هـ (ص٢٣).

(٢) مجلة الهدي النبوي، مقال سابق (ص٢٢).

والتنوع في سبيل الدعوة وإن كان متعباً وشاقاً على الداعية إلا أنه طريق يوصل صوت الحق إلى الناس فليس كل الناس قراء للكتب والمجلات وليس جميعهم يحضرون الدروس أو خطب الجمعة وهكذا وبتعدد الطرق للدعوة ينتشر الخير بين الناس ويعم بإذن الله، وهكذا يجتهد العلماء الداعين إلى المعروف والناهين عن المنكر ويسلكون ما يستطيعونه من سبيل حتى يبلغوا للناس ما عرفوا من الحق، اقتداء بما كان يفعل نبيهم الهادي الأمين محمد ﷺ وعلى آله ومن اقتدى بهديه إلى يوم الدين.

البَابُ الثَّانِي

جهوده في تقرير مسائل العقيدة

ويشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأول: منهج الشيخ في تقرير عقيدة السلف.

الفصل الثاني: جهود الشيخ في بيان التوحيد وأنواعه.

الفصل الثالث: جهود الشيخ / عبد الرحمن الوكيل في محاربة الشرك وأنواعه.

الفصل الرابع: جهود الشيخ في بيان الإيمان ومسائله.

مدخل:

إن الله تعالى لما أراد أن يجعل خليفة في هذه الأرض يعمرها وينشر فيها الخير والتوحيد الخالص، كان من دواعي ذلك أن يميزه بشيء يؤهله للقيام بهذه المهمة العظيمة المنوطة به.

ولقد تفضل الله تعالى بأن ميزه بخاصية علا بها وفيها على المخلوقات الأخرى؛ حتى على الملائكة الكرام، وتلك الميزة الكريمة هي ميزة العلم والمعرفة: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[1].

قال الإمام ابن كثير[2] ــ رحمه الله تعالى ــ: (هذا مقام ذكر الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة بما اختصه من علم أسماء كل شيء دونهم وهذا كان بعد سجودهم له، وإنما قدم هذا الفصل على ذلك لمناسبة ما بين المقام وعدم علمهم بحكمة خلق الخليفة حين سألوا عن ذلك، فأخبرهم تعالى بأنه يعلم ما لا يعلمون، ولهذا ذكر الله هذا المقام عقيب هذا ليبين لهم شرف آدم بما فضل به عليهم في العلم فقال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾[3])[4].

وإذا كانت هذه هي مكانة آدم ــ عليه الصلاة والسلام ــ في العلم والمعرفة، فما هي عقيدته في الله تعالى؟

---

(١) (سورة البقرة : الآيات ٣١، ٣٢، ٣٣).

(٢) ابن كثير: هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء البصري الدمشقي الشافعي، أبو الفداء ،محدث ومؤرخ ومفسر، انظر: الدرر الكامنة (ج١، ص٣٧٣).

(٣) (سورة البقرة : الآيات ٣١، ٣٢ ،٣٣).

(٤) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير، ت : محمود حسن، دار الفكر، الطبعة الجديدة، ١٤١٤هـ (ج١، ص ٩٤).

أصل العقيدة الإنسانية:

إن من أهم قضايا الوجود في الفكر المعاصر هو قضية وجود الإنسان ونشأته وتاريخه.

وقد ركز علماء الغرب المعاصرون في دراستهم لهذه القضية على الجوانب الإنسانية ــ الدينية والفكرية والاجتماعية ــ وطبقوا نظرية التطور على عقائد الإنسان قياساً على الجوانب الفكرية والاجتماعية.

وقامت الفلسفات المعاصرة الكبرى على أساس النظرية التطورية للإنسان نشأةً وتاريخاً وترى هذه الفلسفات أن الدين إنتاج بشري لا ينبع من فطرة، ولا يستقيه الإنسان من مصدر خارجي.

(والدين لدى الفلسفات القائمة على مبدأ التطور الكوني إنتاج بشري بحــت، لا مجال لافتراض مصدر خارجي استمده الإنسان منه، كما أنه لا مجال لافتراض فطرة أصلية ثابتة ينبع منها)[١].

وكان لا بد من تحديد الصورة التي بدأ بها الدين عند الإنسان، ولتقريرهم نظرية التطور، كان لا بد أن يكون بداية الدين خرافات ثم يرتقي إلى السمو والكمال.

(أما الصورة التي بدأت بها العقيدة ثم تطورت منها فإنها لدى الرأي الذي ساد في الدراسات الاجتماعية المعاصرة صورة الوثنية وتعدد الآلهة فقد كان الإنسان في طوره الأول يعظم كل شيء يراه جماداً أو نباتاً أو حيواناً ويضفي عليه هالة القداسة والتعبد له، ثم صار كلما ارتقى عقله نقص في إلهته شيئاً فشيئاً حتى انتهى في الأديان السامية إلى الاعتقاد ببضع آلهة، أو بإله واحد كما في الإسلام.

ثم جاء العصر الحديث ليكتشف الإنسان أنه ليس بحاجة إلى افتراض إله أبداً، وأنه هو الذي كان يصنع الآلهة ويقدسها؛ فأولى به أن يقدس ذاته، رأى أن تحل الإنسانية محل الإلهية)[٢].

---

(١) السلفية وقضايا العصر، عبد الرحمن الزبيدي ، ط١، ١٤١٨هـ ، دار إشبيليا ، الرياض ، (ص٤٠١).

(٢) المرجع السابق (ص ٤٠٣).

ودخلت هذه القضية إلى العالم الإسلامي من خلال بعض الكتاب المسلمين الذين أخذوا هذه النظرية من كتب الغرب وترجموها وشرحوها وقدموها على أنها حقائق الوجود التي توصل إليها العلم الحديث في أوروبا.

ولا أدري كيف يأخذون نظرية تخالف العقل المحض فضلاً عن مخالفتها لما جاء في الكتاب والسنة؟ وما هو تفسيرهم لخلق آدم موحداً وهو أول البشر؟

فنظرة المسلمين للدين هي أنه سبب الوجود الإنساني؛ بل والجني أيضاً، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[1].

فالتوحيد أصل في البشرية به بدأت وعليه نشأت وأما الشرك والانحراف فشيء طارئ عليها ولا عجب فقد أخذ الله العهد والميثاق على ذرية آدم عندما برأهم وهو لا يزالون في عالم الذر قائلاً: (ألست بربكم؟) فأجابوه: بلى، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾[2].

ومرجع الخلاف بين المسلمين والقائلين بنظرية التطور في الدين إلى تحديد مصدر الدين هل هو تتريل إلهي أم اختراع بشري؟[3].

وقد أظهر علماء المسلمين خطأ هذه النظرية مستدلين بما جاء من الآيات والأحاديث الصحيحة ومظهرين خطأ هذه النظرية أيضاً علمياً من حيث الوسيلة والغاية ومن حيث قياسها على افتراضات وظنون وقياسات غير صحيحة.

ويرى الدكتور / عبد الله دراز ـــ رحمه الله تعالى ـــ أن هذه النظرية تنطوي على خطأ مزدوج: خطأ في الغاية، وخطأ في الوسيلة.

---

(١) (سورة الذاريات: آية ٥٦).

(٢) (سورة الأعراف: آية ١٧٢).

(٣) السلفية وقضايا العصر، عبد الرحمن الزبيدي (ص ٤٣١).

وينتقد هذه النظرية بأنها مبنية على افتراض لم يقم عليه دليل وهو قياس الأحاسيس والمدركات على القوى البدنية.

ثم يظهر ــ رحمه الله تعالى ــ عجز وسائل العلوم عن ذلك وأن الطريق الوحيد لمعرفة ديانة الإنسان الأول هو الوحي.[١]

والقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يقرران أن آدم ــ عليه السلام ــ أول خلق الله تعالى كان موحداً.

قال تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[٢].

وأن آدم هبط إلى الأرض مسلماً، كما قال تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾[٣].

وقال رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ فيما يرويه عن ربه عز وجل: (**إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً**)[٤].

وقال عليه ــ الصلاة والسلام ــ : (**ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء** ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ﴿٣٠﴾﴾[٥]. الآية)[٦].

---

(١) الدين عبد الله دراز، ط٥، ١٤٢٧هـ، دار القلم، القاهرة (ص١٧١ــ١٧٦).

(٢) (سورة الأعراف: آية ٢٣).

(٣) (سورة البقرة: آية ٣٨).

(٤) صحيح مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار حديث رقم ٧٣٨٦ (ج٨، ص١٥٨).

(٥) (سورة الروم: آية٣٠).

(٦) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي، فمات، هل يصلى عليه؟وهل يعرض على الصبي الإسلام؟ حديث رقم ١٣٥٨(ج٣، ص٣٤٠). صحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين. حديث رقم ٦٩٢٦ (ج٨ ، ص٥٢).

فدلت تلك النصوص وغيرها كثير على أن عقيدة الإنسان الأول كانت توحيد الله تعالى في ربوبيته وألوهيته.

يقول الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ: (دانت عقيدة الإنسان الأول بتوحيد الله في ربوبيته وألوهيته، وبالتوحيد بدأ دين الله، وختم به)[١].

وعرض الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ لمسألة أصل العقيدة لا يرجع إلى أن الغربيين جعلوا الدين يخضع لقانون التطور وأن بدايته شرك ثم تطور إلى أن أصبح توحيداً؛ فإن ذلك ليس غريباً أن يقولــه من لا يعــرف كتاب الله تعالى ولا سنــة نبيه ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ ولكن الغرابة ــ كل الغرابة ــ أن يتلقف بعض أبناء الإسلام تلك الأفكار وهم الذين يعلمون علم اليقين أن الدين أساس الوجود ليس الإنساني فحسب بل وحتى الجني أيضاً، وإن شئت قل الوجود كله.

ويذكر الشيخ رأي العقاد في كتابه "الله" الذي قال فيه: إن عقائد الإنسان تترقى كالعلوم والصناعات، وأن هذا ما أسفر عنه علم المقابلة بين الأديان، وهي نتيجة معقولة لا يترقب العقل غيرها.

ثم يرد عليه من وجهين بارزين:

الأول: أنه مقلد للنصارى في مقولاته التي ذكر، ولم يأت عليها بدليل عقلي، ومن المعلوم أن المقلد لا يحق له دعوة الناس إلى تقليد ما قلد.

وأدل دليل على تقليد العقاد للنصارى في نظرياتهم حول نشأة الدين هو أنه يقرر نتيجة ما يريد أن يتوصل له من إثبات لتلك النظريات في أول مقدمة كتابه.

يقول الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ: (ويحدد العقاد هدفه تحديداً واضحاً؛ إذ يقول في مقدمة كتابه هذا، وموضوع هذا الكتاب نشأة العقيدة الإلهية؛ منذ اتخذ الإنسان رباً إلى أن عرف الله الأحد، واهتدى إلى نزاهة التوحيد)[٢].

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٨٤).

(٢) المرجع السابق (ص ٨٦).

ثانياً: أن تلك النظريات التي قلد العقاد وأمثاله باطلة في مقدماتها وطرق بحثها، ومن ثم نتائجها التي توصلت لها، ويرد عليها الوكيل بأنه من خلال استقراء التاريخ الديني لأهم ديانتين موجودتين حتى الآن يتبين عكس ما ذهبت إليه تلك النظرية في تطور الدين.

ذلك أن هاتين الديانتين ـ الإسلام والمسيحية ـ من خلال استقراء تاريخها المدون حتى من طرف أولئك يتضح أنهما تدرجتا من التوحيد إلى الشرك، وهذا عكس ما ذهبت إليه نظرية التطور التي قلدها ممسوخي الفكر والشخصية.

فالمسلمون في عهد الرسول ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وبعده بحقب ليست بالقصيرة كانت عقيدتهم التوحيد الخالص لله تعالى في ربوبيته وإلهيته حتى بإقرار العقاد نفسه الذي أذعن لتلك الحقيقة التاريخية وقررها، وزاد إذعاناً بأن قرر أن ما دخل على عقائد المسلمين من أساطير كانت رد فعل من الشعوب الآرية التي فتحها المسلمون لتنتقم من دينهم، وأن هذه الأساطير لا صلة لها بالقرآن الكريم والسنة النبوية.

فالتطور إذن هو الذي جعل عقائد المسلمين تنحدر من أفق التوحيد الأعلى إلى الحضيض الأسفل من الشرك.

ثم إن المسيحية لم تقم على تأليه المسيح عليه السلام في أول أمرها، إنما قامت على أسس توحيد الله في ربوبيته وألوهيته، فانحدرت عقائدها من عبادة الله وحده إلى عبادة بعض البشر.

يقول الشيخ / الوكيل ـ رحمه الله تعالى ـ: (... فالتاريخ الذي تقدسونه وتؤمنون بحقائقه يقرر أن ديانتين عظيمتين هما في أصولهما دين واحد هو الإسلام، وأن التطور هو الذي جنح بالعقائد فانحدرت من التوحيد إلى الشرك ومن الإيمان بإله واحد إلى الإيمان بآلهة متعددة)[1].

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص٨٧) بتصرف.

فبطل إذن اعتماد تلك النظريات على دراسة علمية صحيحة وعلى استقراء تاريخي سليم، ولم يبق للنتائج التي توصلـوا لها إلا اعتمادها على الحـدس والظن، وهي أوهن من بيت العنكبوت بإقرار القائلين بتلك النظريات، فلا يمكن الاعتماد عليها في تقرير الحقائق، وتركيز اليقين.

يقول الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ: (... أما مـا وراء التاريـخ فليس لكـم في شأنه ــ كما تقررون ــ إلا أحداس وظنون، وأنتم تؤمنون بأنه لا يجوز الاعتماد على الحدس والظن في تقرير الحقيقة واليقين)[1].

وبما أن أكثر القائلين بتلك النظرية هم من أبناء المسلمين، ويدعون أنهم لم يخرجوا عن الإسلام بالكلية، فإن الشيخ / عبد الرحمن الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ يرد عليهم من وجه ثالـث هو كتاب الله تعالى الذي يؤمن كل مسلم بما جاء فيه، فيقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (... أما القرآن الذي نشهد بحجيته نحن المسلمون فيقرر أن ديـن الله منذ بدأ وحيه هو هو لم يتغير وأن الذي دعا إليه الرسل جميعا هو دين واحد في أصوله لم يحل ولم يتبدل منذ بدأ حتى ختم وهو الإسلام: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [2])[3].

ثم يستطرد في هذا الرد ليقرر أن عقيدة الإنسان الأول كانت قائمة على أساس توحيد الله في ربوبيته وألوهيته، وهكذا ظلت حتى ظهر الشرك وفشا في الناس، فأرسل الله إليهم رسلاً وجدوا قومهم يعبدون الأصنام فدعوهم إلى التوحيد، وهذا ينطبق على جميع الأمم من لدن نوح ــ عليه الصلاة والسلام ــ إلى محمد ﷺ.

وهذا يدل على أمرين كـل واحد منهمـا يقضي على نظرية التطور قضاءً كلياً، وهما:

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص٨٧).

(٢) (سورة الأنبياء: آية ٢٥).

(٣) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٨٨) بتصرف.

أ – أن التوحيد هو الأصل والسابق، وأن الشرك طارئ دخيل.

ب – أن سنة التطور كانت دائماً تسير بالناس من التوحيد إلى الشرك.

ثم يحكم الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ على القائلين بتلك النظرية بالكفر الصريح الذي لا يقبل التأويل، فيقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (.. وكلمة أقولها أن من يزعم أن الدين بدأ بالشرك وأن عقيدة الإنسان الأول كانت تؤمن بآلهة متعددة... من يزعم هذا لم يزعمه إلا لأنه كافر بالوحي الإلهي، ملحد جاحد برسالة الرسل.

إذ يجعل الدين في أصله نوعاً من معارف الفكر الإنساني وأساطير الخيال)(١).

وإذا تقرر ــ بالأدلة النقلية والعقلية ــ أن عقيدة الإنسان الأول كانت هي التوحيد الخالص وأن الله تعالى يفطر كل مخلوق على توحيده سبحانه؛ فإن ذلك ــ ولا شك ــ يدل على عظم مكانة هذا العلم بين العلوم أعني العلم بالله تعالى وأسمائه وصفاته.

وقد توالت الكتب السماوية في بيان هذا العلم، وإيضاح حقيقة توحيد الله تعالى، وبيان خطر الشرك به سبحانه، واتفقت على هذه النقطة جميع كتب الأنبياء..

ولقد اهتم القرآن الكريم ــ وهو خاتمة الكتب السماوية والمهيمن عليها ــ ببيان التوحيد وأنواعه، والتحذير من الشرك وأصنافه، حتى إن من يقول إن القرآن الكريم كله جاء لبيان التوحيد لم يبعد النجعة بل صدع بالحق وأوضحه فما من آية في كتاب الله تعالى إلا لبيان التوحيد وحقوق الله تعالى أو مستلزمات ذلك التوحيد أو بيان جزاء من حققه، أو التحذير من ضده وهو الشرك وبيان عاقبة أهله أسأل الله السلامة والعافية.

واستمع إلى كتاب الله تعالى وهو يقرر توحيد الألوهية ويحض على إخلاص العبادة لله وحده لا شريك، يقول تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾(٢).

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٨٩).

(٢) (سورة البقرة: آية ١٣٣).

واقرأه وهو يحذر من الشرك ويبين وحدانية الله تعالى، يقول جل من قائل: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ (١) ويقول تعالى: ﴿۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾﴾ (٢) ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ (٣) ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ (٤).

وفي معرض إثبات صفات الله تعالى وأسمائه يقول سبحانه: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ (٥) ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ (٦) ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ (٧).

وعند الحديث عن إفراده بالربوبية والخلق والنفع والضر يقول تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ

---

(١) (سورة المائدة: آية ٧٣).

(٢) (سورة النحل: آية ٥١).

(٣) (سورة الأنبياء: آية ٩٢).

(٤) (سورة الشورى: آية ١٣).

(٥) (سورة البقرة: آية ١٦٣).

(٦) (سورة يونس: آية ٣).

(٧) (سورة الإخلاص).

يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾[1] ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾﴾[2].

إلى غير ذلك من الآيات التي استدل بها وبينها علماء السلف ــ رحمهم الله ــ مبينين بها اهتمام القرآن الكريم بالعقيدة الإسلامية بشكــل عام، وبجانب التوحيد منها وضده بشكل خاص.

وإذا كان ذلك هو حقيقة اهتمام كتاب الله تعالى ببيان التوحيد وضده اللذين هما أساس العقيدة فكيف كان اهتمام الرسول ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ ببيان هذا التوحيد؟

لقد كان مدلول كلمة التوحيد في كلام الرسول ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وصحابته ــ ، هو شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وذلك يعني إفراده سبحانه وتعالى بالعبادة، وعدم الإشراك به ــ جل وعلا ــ ، والكفر بكل ما يعبد من دونه سبحانه.

ومن الشواهد على تلك المعاني ما يلي:

١ - قوله ــ صلى الله عليه وآلــه وصحبه وسلم ــ لمعــاذ ــ رضي الله تعالى عنه ــ لما بعثه إلى اليمن: (**إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى**)[3].

وهذا التوحيد الذي ذكر مجملاً هنا بين في روايات أخرى منها:

أ - رواية: (**أدعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله**)[4].

---

(١) (سورة الرعد: آية ١٦).

(٢) (سورة الصافات: آية ٤، ٥).

(٣) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، حديث رقم ٧٣٧٢ (ج١٨، ص٣٧٣).

(٤) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، حديث رقم ١٣٩٥ (ج٣، ٣٩٩ص).

ب – رواية: (**فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله ﷻ**)[١].

٢ – قوله ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ : (**من وحد الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه**)[٢].

وكلمة وحد الله هنا فسرها الحديث الآخر: (**من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله**)[٣].

٣ – حديث ابن عمر ــ رضي الله تعالى عنه ــ أن رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ قال: (**بني الإسلام على خمسة. على أن يوحد الله..**)[٤].

وفسرها رواية: (**على أن يعبد الله ويكفر بما دونه..**)[٥] ورواية: (**على خمس شهادة أن لا إله إلا الله...**)[٦].

فدل ذلك على أن مفهوم التوحيد الذي هو أساس العقيدة الإسلامية كان في ألفاظ الرسول ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وصحابته ــ هو شهادة أن لا إله إلا الله، وإفراد الله تعالى بالعبادة، والكفر بكل ما يعبد من دونه سبحانه وتعالى.

ولقد قيض الله تعالى لهذه الأمة علماء ربانيين حملوا العقيدة الصافية في علمهم وكتبهم وبلغوها صافية نقية كالمحجة البيضاء.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، حديث رقم ١٤٥٨ (ج٣، ص٤٩٨). صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، حديث رقم ١٣٢ (ج١، ص٣٨).

(٢) المعجم الكبير للطبراني، حديث رقم ٨١٩٢ (ج٨، ص ٣١٨).

(٣) صحيح مسلم، مرجع سابق، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله. حديث رقم ١٣٩ (ج١، ص٣٩).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ « **بنى الإسلام على خمس** » حديث رقم ١٢٠ (ج١، ص ٣٤).

(٥) صحيح مسلم، المرجع السابق، باب بني الإسلام على خمس، حديث رقم ١٢١ (ج١، ص ٣٤).

(٦) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الايمان، وقول النبي ﷺ : **بني الإسلام على خمس وهو قول وفعل ويزيد وينقص**، حديث رقم ٨ (ج١، ص١١) . صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بني الإسلام على خمس، حديث رقم ١٢٢ (ج١، ص ٣٤).

وإن من العلماء الذين ارتفع ذكرهم في بيان العقيدة الإسلامية، وتوضيحها والدعوة لها عبر التاريخ الإسلامي الإمام أحمد بن حنبل، ثم من بعده بفترة شيخ الإسلام ابن تيمية ثم من بعـــده بأزمنة شيـــخ الإسلام مجـــدد الدعوة السلفية الإمـــام محمـــد ابن عبدالوهاب.

ولقد كان الشيخ / عبد الرحمن الوكيل من أكثر العلماء المعاصرين دفاعاً عن العقيدة الإسلامية وبياناً لها، ودعوة إليها.

فحفظ الله به هذه العقيدة، وأوضح به معالمها، ودرأ به الشرك وأعوانه، فامحت صورهم الباهتة، وظهرت سوءاتهم الفاضحة، فلم يكن لهم بد من التخفي والتستر عن هذا النور الساطع الذي أباد ظلامهم، وابيض بحسن نيته وصفاء نوره حلك سوادهم..

وهذا ما سأحـــاول أن أبينه بشيء من التفصـــيل في الفصول القادمة ـــ إن شاء الله تعالى ـــ.

الفصل الأول

منهج الشيخ في تقرير عقيدة السلف

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف العقيدة والسلف.

المطلب الأول: تعريف العقيدة لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف السلف لغةً واصطلاحاً.

المبحث الثاني: منهج الشيخ في الاستدلال لمسائل العقيدة.

المطلب الأول: مصادر الاستدلال عند الشيخ، ومنهجه في الاستدلال بها.

المطلب الثاني: منهجه في وسائل فهم نصوص الكتاب والسنة.

المبحث الثالث: عرضه عقيدة السلف من خلال مناقشاته للمخالفين وردوده عليهم.

المطلب الأول: جوانب العقيدة التي قررها الشيخ من خلال ردوده على الصوفية.

المطلب الثاني: جوانب العقيدة التي قررها الشيخ من خلال ردوده على البهائية.

المبحث الرابع: تركيزه على إبراز جهود أئمة السلف في تقرير العقيدة.

المبحث الأول

تعريف العقيدة والسلف

المطلب الأول: تعريف العقيدة لغةً واصطلاحاً

إن المطالع للمصادر اللغوية يجد أن كلمة "عقيدة" في اللغة تأتي على عدة معان منهـــا: الرَّبطُ، والإِبرامُ، والإِحكامُ، والتَّوثقُ، والشَدُّ بقوة، والتماسُك، والمراصةُ؛ ومنه اليقين والجزم.[١]

وأصل العقد في الاشتقاق نقيض الحل، ثم استعمل في المعاني الأخرى.

يقول الزبيدي[٢] في تــاج العروس: (عقد الحبل والبيع والعهد يعقده عقدا فانعقد: شده.

والذي صرح به أئمة الاشتقاق: أن أصل العقد نقيض الحل، عقده يعقده عقداً وتعقاداً، وعقده، وقد انعقد، وتعقد، ثم استعمل في أنواع العقود من البيوعات، والعقود وغيرها، ثم استعمل في أنواع العقود من البيوعات، والعقود وغيرها، ثم استعمل في التصميم والاعتقاد الجازم. وفي اللسان: ويقال عقدت الحبل فهو معقود، وكذلك العهد، ومنه عقدة النكاح، وانعقد الحبل انعقاداً. وموضع اعقده من الحبل: معقد، وجمعه: المعاقد. وعقد العهد، واليمين، يعقدهما عقداً وعقدهما: أكدهما)[٣].

---

(١) القاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة ، بيروت (ج١، ص٣٨٣) المحكم والمحيط الأعظم (ج١، ص ٥٤) المؤلف: أبو الحســن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ] المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

(٢) الزبيدي: أبو بكر، محمد بن الحسن بن عبيدالله بن مذحج الزبيدي الشامي الحمصي ثم الاندلسي الاشبيلي، إمام النحو، عالم باللغة والادب، شاعر.صاحب التصانيف توفي في جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وثلاث مئة، وله ثلاث وستون سنة. انظر: سير أعلام النبلاء (ج١٦، ص٤١٧).

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الزبيدي ، ت : مجموعة من المحققين ، دار الهداية (ج٨ ، ص٣٩٤).

ولا شك أن تلك المعاني اللغوية المتعددة في ألفاظها تكاد تؤدي نفس المعنى؛ فهي متقاربة في مدلولها ومعناها، وإن تباينت في حروفها ومبناها.

العقيدة اصطلاحاً [(١)]:

لقد عرفت العقيدة في الاصطلاح الشرعي بتعريفات كثيرة منها:

١ – العقيدة: هي الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده، والعقيدة في الدِّين ما يُقْصَدُ به الاعتقاد دون العمل؛ كعقيدة وجود اللّه وبعث الرسل. والجمع: عقائد.

٢ – العقيدة: ما عقد الإِنسانُ عليه قلبه جازماً به؛؛ سواءٌ أكان حقاً، أَم باطلاً.

٣ – العقيدة: هي الأمور التي يجب أن يُصَدِّقَ بها القلب، وتطمئن إِليها النفس، حتى تكون يقيناً ثابتاً لا يمازجها ريب، ولا يخالطها شك.

وبتعبير أدق: يجب أن يتميز العلم الذي يسمى عقيدة بأمرين أساسيين:

أ – أن يكون مطابقاً للصواب.

ب – أن يكون يقيناً بحيث لا يقبل شكاً ولا ظناً [(٢)].

والعقيدة الإِسلاميَّة تشمل أموراً منها:

الإيمان بربوبية اللّه تعالى وأُلوهيته وأَسمائه وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وسائر ما ثَبَتَ من أُمور الغيب، وأصول الدِّين، وما أَجمع عليه السَّلف الصَّالح، والتسليم التام للّه تعالى في الأَمر، والحكم، والطاعة، والاتباع لرسوله ــ صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم ــ .

والعقيدة الإسلامية عند الإطلاق تنصرف إلى العقيدة الصحيحة عقيدة أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

(١) يراجع في تعريف العقيدة : الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة ، عبد الله الأثري ، مراجعة وتقديم صالح آل الشيخ ، وزارة الشؤون الإسلامية ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ (ج١، ص ١١) شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية، لعمر بن سعود بن فهد العيد (ج٤، ص١٥).

(٢) الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة، عبد الله الأثري (ج١، ص ١٢).

المطلب الثاني: تعريف السلف لغةً واصطلاحاً

السَّلف في اللغة:

سلف يسلف سلفاً، مثال طلب يطلب طلباً، أي مضى وتقدم، والقوم السلاف: المتقدمون. وسلف الرجل: آباؤه المتقدمون، والجمع أسلاف وسلاف[(١)].

وفي الاصطلاح:

إِذا أُطْلِقَ السلفُ عندَ علماءِ الاعتقادِ فإنما يقصدون به رسول اللّه ــ صلى اللّه عليه وعلى آله وصحبه وسلم ــ وصحابته والتَّابعين لهم بِإِحسان، فهم سلف هذه الأمة.

وكل من سار على نهجهم واقتفى أثرهم ودعا إلى مثل ما دعــوا إليه ولم يغير ولم يبدل ما كانوا يقولون ويعتقدون ويعملون؛ فهو من السلف[(٢)].

---

(١) الصحاح للجوهري (ج٥، ص ٦٢) القاموس المحيط، للفيروز آبادي (ج١، ص ١٠٦٠)

(٢) الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة، عبد الله الأثري (ج١، ص ١٥)

المبحث الثاني

منهج الشيخ في الاستدلال لمسائل العقيدة

المطلب الأول: مصادر الاستدلال عند الشيخ، ومنهجه في الاستدلال بها

إن المطالع لكتب ومقالات الشيخ / عبد الرحمن الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ يتضح له بجلاء أنه سلفي المشرب والمنهج والاستدلال؛ فلا تكاد تجد له خروجاً عن منهج وطريقة أهل السنة والجماعة.

وخاصة في مسائل العقيدة التي هي جل ما كتب عنه الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ سواء من خلال عرضه لتلك العقيدة أو من جانب رده على الخصوم والمناوئين للدعوة السلفية.

لقد كان يستقي العقيدة التي يريد عرضها من المصادر المعروفة عند أهل السنة والجماعة وهي:

١ – كتاب الله تعالى: فهو الوحي المنزل لتعليم الناس معرفة ربهم ودينهم، وقد حوى ما يحتاجه الأولون والآخرون في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ (1).

٢ – السنة النبوية: فإن رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ هو المبلغ عن الله تعالى، وهو المبين لشرعه؛ فكل ما صح عنه ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ فهو دين ندين الله تعالى به، وهو حق يجب الإيمان به، والتسليم لمقتضاه، قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ (2).

---

(١) (سورة الأنعام: آية ٣٨).

(٢) (سورة النساء: آية ٦٥).

وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾[(١)].

٣ – فهم سلف الأمة المشهود لهم بالخير والإمامة في الدين للمصدرين المتقدمين، فإن صحابة رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ هم أعلم هذه الأمة بمراد الشارع، وهم أفقهها في مدلولات اللغة التي بها صدرت الأحكام في الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة، وهم أتقاها، وأبعدها عن التكلف وأصفاها أذهاناً، وأنقاها مشارب، وقد شهد لهم الله تعالى بالعلم: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ ﴿١٦﴾﴾[(٢)] وشهد لهم بالرضى عنهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[(٣)] إلى غير ذلك مما هو معروف معلوم من الدين بالضرورة.

وإن المتتبع لما يكتبه الشيخ / عبد الرحمن الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ لا يكاد يجد مسألة من المسائل العقدية التي تكلم عنها إلا ويستـــدل لها بآية من كتاب الله تعالى أو حديث عن رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ ، أو يستشهد لها بقول لواحد من علماء السلف.

وكان مع ذلك دقيقاً في استدلالاته موضوعياً في طرحه محباً للدليل الواضح والبرهان القوي.

---

(١) (سورة الحشر: آية ٧).

(٢) (سورة محمد: آية ١٦).

(٣) (سورة التوبة: آية ١٠٠).

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ مخاطباً شيخ مشايخ الصوفية وهو أحد علماء الأزهر آنذاك: (نحب أن نحتكم وإياكم إلى كتاب الله وسنة رسوله الكريم، نحب أن تقرع الحجة بالحجة، والبرهان بالبرهان، نريد أن تتلاقى العقول والأفكار في حلبة المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فهل من حجة؟ هل من برهان؟ هل من أثارة دليل؟)(١).

هكذا إذن هي دقة الشيخ رحمه الله تعالى وبحثه عن الدليل القوي وإنصافه في إطار المناظرة والمناقشة.

وهذا المنهج السني السلفي للشيخ رحمه الله تعالى سأحاول بيانه بشيء من التفصيل كما يلي:

أولاً: القرآن الكريم:

لقد كان الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ مستحضراً لكتاب الله تعالى في إطار أمور العقيدة التي يبينها، أو التي يناقشها مع خصومه، فكان يستقصي ــ غالباً ــ كل الآيات المتعلقة بالمسألة مبيناً تفسيرها، ومنبهاً على محل الاستدلال منها.

وكان يرتب التفسير حسب قوته، فلم يكن يذكر تفسير الآية بحديث وهو يجد لها آية تفسرها، ولا قولاً مأثوراً وهو يجد لها حديثاً يفسرها ويبينها... وهكذا.

استدلاله بآية مفسرا لها بآية أخرى:

لقد كان الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ كثير الاستدلال والتأثر بمنهج تفسير القرآن بالقرآن، وكان يورد الآيات المفسرة للآية التي يستدل مستقصياً لها في القرآن الكريم، وتارة ينص على أنها مفسرة لتلك الآية ومبينة لما أجمل فيها، أو مقيدة لما أطلق، ونحو ذلك، وتارة يسردها دون أن ينص على الطبيعة التفسيرية لها.

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة صوفيات، العدد ٤، تاريخ ١٣٦٨هـ، (ص٢٤).

وهذا المنهج التفسيري ــ تفسير القرآن بالقرآن ــ هو أعلى مراتب التفسير، وهو معتمد عند السلف الصالح ــ رحمهم الله تعالى ــ.

ومن أكثر المفسرين اعتماداً وإيراداً لهذا النوع من التفسير الإمام ابن كثير الدمشقي في تفسيره.

وقد أفرده الإمام الشنقيطي مستقلاً في تفسيره أضواء البيان، ولم يفرد قبله فيما أعلم.

ومن الأمثلة على سلوك الشيخ / عبد الرحمن الوكيل هذا المسلك التفسيري ما يأتي:

١ – يقول رحمه الله تعالى راداً على مقولة الدباغ في النور المحمدي: (أين هذا من قول الله تعالى للرسول: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [(١)] . وقوله: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴿٩﴾﴾ [(٢)].

وقوله: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [(٣)])[(٤)].

وهكذا يبين الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ من خلال هذه الآيات التي تفسر بعضها حقيقة افتقار كل أحد إلى الله ﷻ، حتى النبي ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ لا كما يزعم الصوفية عامة، وصوفية العصر خاصة من أن الله ــ تبارك وتقدس وتعالى عن كل ذلك ــ هو المفتقر إلى النور المحمدي، إلى غير ذلك من هذيانهم البغيض.

---

(١) (سورة آل عمران: آية ١٢٨.)

(٢) (سورة الأحقاف: آية ٩).

(٣) (سورة الجن: الآيتان ٢١،٢٢).

(٤) مجلة الهدي النبوي ، مقالة صوفيات ، عدد ٤ ، تاريخ ١٣٦٨هـ (ص٢٣).

٢ – يقول ـــ رحمه الله تعالى ـــ مبيناً أن الدعاء عبادة: (أدلة من القرآن ومن السنة على أن الدعاء عبادة: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ ى ى وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾﴾ (١).

فالآية الأولى تقص أن إبراهيم عليه السلام قال لقومه أنه سيعتزلهم وما يدعون من دون الله مخلصاً دعاءه لله وحده، والآية الثانية تنص أنه عليه السلام اعتزلهم وما يعبدون فوضعت العبادة موضع الداعاء)(٢).

٣ – يقول عليه ـــ رحمة الله تعالى ـــ: (... وتدبر قول الله عن فرعون: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ (٣) وهنالك النصرة لربنا وحده، لا يملكها غيره، ولا يستطيعها سواه، فتكون تقريراً لمفهوم قوله سبحانه: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾﴾ (٤).

ويصدق القول إذا اعتبرنا قوله سبحانه: "هنالك" إشارة إلى القيامة ففيها يكون أيضاً كل هذا، كقوله سبحانه: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ (٥) وحال الكفرة وواقعهم في الدنيا يؤيد ذلك وما حدثنا به الله سبحانه عن الآخر يؤيد هذا)(٦).

---

(١) (سورة مريم: آية ٤٨ـــ٤٩).

(٢) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل، (ص ٥٥).

(٣) (سورة يونس: آية ٩٠).

(٤) (سورة الكهف: آية ٤٣).

(٥) (سورة الفرقان: آية ٢٦).

(٦) مجلة الهدي النبوي مقالة نور من القرآن، عدد ١، تاريخ ١٣٨٣هـــ (ص ١٣).

استدلاله بالآية مفسرا لها بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:

لا شك أن السنة النبوية هي وحي يجب اتباع ما صح منها، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾[1].

ومن هنا كانت هي المصدر الثاني لتفسير القرآن الكريم، فلا يفسر كلام الله تعالى بعد الله أعلم به من رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ .

ولذلك اعتنى الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ بهذا الجانب في تقريره لعقيدة السلف التي تناولها من خلال القرآن الكريم، فكان يفسر الآية المتناولة لجانب العقيدة الذي يريد أن يبرزه بأحاديث رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ ، وغالبا ما يقدم الأحاديث الصحيحة على غيرها، عند التفسير والاستدلال.

وهذه شواهد على ذلك من كتبه ومقالاته ــ رحمه الله تعالى ــ:

١ – يقول ــ رحمه الله تعالى ــ في معرض عرضه لصفات الله تعالى : (... وأخبر جل شأنه بأن له يمينا: ﴿وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٧﴾[2] ويقول ــ عليه الصلاة والسلام ــ فيما روى البخاري ومسلم: (**يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: "أنا الملك أين ملوك الأرض؟**[3]) [4].

---

(١) (سورة الحشر: آية ٧).

(٢) (سورة الزُّمَر: آية ٦٧).

(٣) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن الكريم، باب قوله: "والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه"، حديث رقم ٤٨١٢ (ج١٢، ص ٤٢). صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب حديث رقم ٧٢٢٧ (ج٨، ص ٤٢).

(٤) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٨).

٢ – نقل حديث عدي بن حاتم ــ رضي الله تعالى عنه ــ في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۝٣١﴾ [١] ثم قال ــ رحمه الله تعالى ــ: (**وما بعد بيان الرسول ﷺ بيان، ولا بعد معرفته بكتاب الله معرفة**)[٢].

٣ – يقول ــ رحمه الله تعالى ــ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾ [٣]: (.. وقيل هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل، فقد ورد في حديث رواه مسلم: (**إن إسرافيل التقم الصور وحنى جبهته ينتظر حتى يؤمر فينفخ**)[٤] وفي حديث رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان أن أعرابياً قال: يا رسول الله: ما الصور؟ فقال الرسول ﷺ: "**قرن ينفخ فيه**"[٥]) [٦].

والأمثلة على تفسيره ــ رحمه الله تعالى ــ الآية بالأحاديث الواردة في موضوعها كثير منتشر في ثنايا كتبه ومقالاته.

استدلاله بالآية مفسرا لها بأقوال السلف رحمهم الله تعالى:

ولا شك أن السلف إذا أطلق ــ كما قدمت ــ فإن الصحابة هم أول الداخلين فيه.

---

(١) (سورة التوبة: آية ٣١).

(٢) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٠١).

(٣) (سورة الزُّمَر: آية ٦٨).

(٤) لم أجده في صحيح مسلم وهو في مسند الإمام أحمد، برقم ١١٦٩٦ (ج١٨، ص ٢٢٨).

(٥) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والزهد، باب ما جاء في شأن الصور، حديث رقم ٢٤٣٠ (ج٤ ، ص ٦٢٠) بلفظه. وهو في سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في ذكر البعث والصور، حديث رقم ٤٧٤٤ (ج٤، ص ٣٧٨) دون سؤال الأعرابي ، والحديث صححه الألباني.

(٦) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نور من القرآن ، عدد ٨، تاريخ ١٣٨٤هـ (ص ٣ــ٤).

لذا كان الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ يستدل بين الفينة والأخرى على تفسير كتاب الله تعالى بفهم الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ ، وكان يعرض ذلك الفهم محتجاً به استقلالاً، أو مقوياً به بعض الأدلة التي يسوقها..

وهذا منهج سني سلفي نهجه علماء السلف قديماً وحديثاً، وهو الفيصل عند الاختلاف في فهم آية أو حديث؛ إذ أن الصحابة ــ رضوان الله تعالى عليهم ــ هم أعرف الناس بمدلولات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

وهذه شواهد من ذلك:

١ – نقل ــ رحمه الله تعالى ــ عن الإمام ابن كثير تفسيره آية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ٣١﴾ [1] بحديث عدي بن حاتم ﷺ، ثم قال رحمه الله تعالى: (وهكذا قال حذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس وغيرهما في تفسير "اتخذوا أحبارهم " إنهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا).[2]

٢ – يقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢﴾ [3] "قل إن صلاتي " والنسك كما فسره ابن جبير [4]والسدي[5] والضحاك[6] هو الذبح)[7].

---

(١) (سورة التوبة: آية ٣١).

(٢) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٠١).

(٣) (سورة الأنعام: آية ١٦٢).

(٤) سعيد بن جبير بن هشام الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد، أبو محمد ويقال: أبو عبد الله مولاهم الكوفي، روى عن ابن عباس، وقرأ القرآن عليه ،كان فقيهاً ورعاً من سادات التابعين علماً، وفضلاً، وصدقاً وعبادةً، قتله الحجاج سنة ٩٥هـ. أنظر :طبقات المفسرين (ج ١، ص١٨٨). سير أعلام النبلاء (ج٤، ص٣٢١).

(٥) إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي، أبو محمد الكوفي، إمام عارف بالوقائع، صاحب التفسير، صدوق. ت ١٢٧هـ. انظر: تقريب التهذيب (ج١، ص١٠٨).

(٦) الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم الخراساني المفسر، وهو صدوق كثير الإرسال. ت ١٠٢هـ انظر: طبقات المفسرين ٢٢٢/١. سير أعلام النبلاء (ج٤، ص٥٩٨).

(٧) دعوة الحق، عبدالرحمن الوكيل (ص ٩٢ــ٩٣).

٣ – يقول عليه ــ رحمة الله تعالى ــ: (... وما أحكم وأحسن قول الفضيل بن عياض: "إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص ما كان لله، والصواب ما على السنة، وهذا هو المذكور في قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[(١)]) [(٢)].

٤ – وعند كلامه ــ رحمه الله تعالى ــ على تفسير الحروف المقطعة في أوائل السور نقل عن كثير من السلف أقوالهم فيها، وذكر خلافهم في مدلولها وتفسيرها، ثم رجح بعد ذلك قول الشيخ / رشيد رضا ونص ما قال الشيخ/ الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ هو: (... ويقول ــ أي الشيخ / رشيد رضا ــ في تفسير سورة الأعراف: "والمختار عندنا أن حكمة افتتاح هذه السورة وأمثالها بأسماء حروف ليس لها معنى مفهوم غير مسمى تلك الحروف التي يتركب منها الكلام هي تنبيه السامع إلى ما سيلقى إليه بعد هذا الصوت من الكلام حتى لا يفوته منه شيء، فهي كأداة الافتتاح "ألا" و"هاء" التنبيه، وإنما خصت سور معينة بهذا الضرب من الافتتاح لأن النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ كان يتلوها على المشركين بمكة لدعوتهم بها إلى الإسلام وإثبات الوحي والنبوة، وكلها مكية إلا البقرة وآل عمران ــ وكانت الدعوة فيها موجهة إلى أهل الكتاب ــ وكلها مفتتحة بذكر الكتاب إلا سورة مريم وسورتي العنكبوت والروم وسورة ن، وفي كل منهما معنى مما في هذه السور يتعلق بإثبات النبوة والكتاب " ثم أطال في تأييد ما ذهب إليه.

والذي اختاره الشيخ / رشيد ــ رحمه الله ــ وغفر له هو أقرب رحما إلى الصواب؛ لأنه يعتمد على ما فيه للعقل إقناع، وللقلب طمأنينة وعلى اجتهاد له عماده من مفهوم آيات القرآن أما غيره من الآراء فحدس لا تأخذ بالتفكير منه بارقة، أو يشفع له أثارة من فهم أو دليل.

---

(١) (سورة الكهف: آية ١١٠).

(٢) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص ٢١٠).

أما دعوى أنه يجوز أن يكون في القرآن ما لا يفهم معناه كما جاز أن يبتلينا الله بما لا يقل كرمي الجمار ـــ كما ذكره ابن جرير ـــ هذه الدعوى لا تستقيم لها حجة، ولا ينهض بها صواب)[١].

قلت: وما رجحه الشيخ من اختيار قول الشيخ رشيد رضا يشكل عليه أمران:

الأول: أني لم أجـــد من قال به من أهل العلم القدماء، ولم أجده مسنداً في حديث ولا تدل عليه الحروف المقطعة من ناحية اللغة، فهو قول في القرآن الكريم بالرأي كما لا يخفى.

الثاني: أن قولـــه في الفقـــرة الأخيرة أنه لا يجوز أن يكـــون في القرآن الكريم ما لا يفهم معناه مخالف لما عليـــه المحققون من أهل العلم، فإن في القـــرآن أشياء كثيرة لا يفهم كنهها ولا تدرك حقيقتهما إماني وقت نزوله وتدرك حقيقته فيما بعد كبعض اشراط الساعة ، أو يكون من نعيم الجنة يفهم المعنى ولا تدرك حقيقته، ويوضح ذلك أن الوقف الصحيح في آية آل عمران إنما يكون على قوله تعالى: "إلا الله" ثم يستأنف القارئ فيقول: "والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل"، وذلك يدل على أن المتشابه من القرآن لا يعلم معناه إلا الله، وابتلانا الله تعالى ليعرف من سيقف حيث وجب أن يقف ومن سيبحث عن معان لا يمكنه أن يصل إليها، وهذا كصفاته تعالى فهي في القـــرآن الكريم وكيفياتها غير معلومـــة ولا يمكن أن تعلم، وغيرها كثير.

ملاحظة: هناك فرق بين أن يقال لا يوجد في القرآن شيء لا معنى له، وبين أن يقال في القرآن ما لا يفهم معناه، وهو أمر واضح جلي.

وكون الحروف المقطعة من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله تعالى هو الذي عليه الخلفاء الأربعـــة وعبد الله بن مسعـــود ـــ رضي الله عنهم أجمعين ـــ ، وغيرهـــم من أهل العلم.

---

(١) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نور من القرآن ، عدد ٧، تاريخ ١٣٨٥هـ (ص ٨).

" وقد اختلف المفسرون في الحروف المقطعة التي في أوائل السور ، فمنهم من قال : هي مما استأثر الله بعلمه فردّوا علمها إلى الله ولم يفسرها.

حكاه القرطبي في تفسيره عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود ــ رضي الله عنهم أجمعين ــ وقاله عامر الشعبي وسفيان الثوري والربيع بن خيثم واختاره أبو حاتم بن حبان ومنهم من فسرها واختلف هؤلاء في معناها" (١).

" وقال آخرون : بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بياناً لإعجاز القرآن وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله؛ هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها.

وقد حكى هذا المذهب الرازي في تفسيره عن المبرد وجمع من المحققين، وحكى القرطبي عن الفراء وقطرب نحو هذا؛ وقرره الزمخشري في كشافه ونصره أتم نصر؛ وإليه ذهب الشيخ العلامة أبو العباس بن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي (٢) وحكاه لي عن ابن تيمية" (٣).

أما ما اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية والمزي ــ رحمهما الله تعالى ــ وتبعهما فيه الشنقيطي في تفسيره رحمه الله تعالى واستدل عليه بدليل الاستقراء(٤)، فيشكل عليه أن

---

(١) تفسير ابن كثير (ج١، ص ٣٨).

(٢) المزي هو: يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف الدمشقي، جمال الدين أبو الحجاج المزي، حافظ زماننا حامل راية السنة والجماعة، ولد بحلب سنة (٦٥٤هـ)، ومات سنة (٧٤٢هـ)، كان إمام عصره، أحد الحفاظ المشهورين ، من مصنفاته: كتاب تهذيب الكمال. طبقات الشافعية، عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق: محمود الطناحي، عبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة والنشر، ط٢، ١٤١٣هـ (ج١٠، ص٣٩).

(٣) انظر: المرجع السابق (ج١، ص٤٠).

(٤) الاستقراء له تعريفات كثيرة من أوجزها أنه: "تتبع الحكم في جزئياته" وهو ينقسم إلى قسمين: الاستقراء التام وهو: إثبات الحكم في جزئي لثبوته في كلّي على الاستغراق . والاستقراء الناقص: وهو إثبات الحكم في كلّي لثبوته في أكثر جزئياته من غير احتياج إلى جامعٍ، ويسمى عند الفقهاء: إلحاق الفرد بالأعم الأغلب . شرح تنقيح الفصول لشهاب الدين أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية ، إعداد الطالب : ناصر الغامدي ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م (ج٢، ص ٣٤٩).

بعض السور المفتتحة بالحروف المقطعة لم يذكر فيها عقب الحروف المقطعة إعجاز القرآن وذلك كمريم والعنكبوت والروم ون.

ومن المعلوم في علم الأصول أن الاستقراء الناقص مختلف في حجيته، والقائلون بحجيته يقولون إنه يفيد الظن لا القطع حتى يعتضد بدليل آخر من إجماع ونحوه [(١)].

فيبقى أرجح الأقوال دليلاً في الحروف المقطعة أنها من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه، وذلــك أنه لم يثبت في تفسيرها كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا لغة ــ والله تعالى أعلم ــ.

استدلاله بالآية مفسرا لها بدلالات اللغة العربية:

إن الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ في الجانب اللغوي يعتبر من أهم العلماء الذين استندوا في تفاسيرهم لآيات العقيدة وغيرها على اللغة ومدلولاتها، واعتنى بظواهر النصوص الشرعية مبيناً أنها الأصل، وأن ما لم يخرجه الشارع عن ظاهره المتبادر منه إلى الذهن يبقى على ظاهره، وخاصة في الأمور العقدية.

ويقرر قاعدته تلك مستدلاً عليها فيقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (... ولو أنه عليه الصلاة والسلام ــ وهو بالمؤمنين رؤوف رحيم ــ علم من الله أن المراد بصفات الله غير ما تدل عليه ألفاظها من معان اللغة التي نزل بها القرآن لبادر قبل كل شيء إلى بيان ذلك، حرصاً على هداية أمته، وتحقــيق كمال اعتقادهم في الله سبحانــه لا سيما وهو يعرف ــ أكثر مما يعرف غيره ــ دلالتها المقررة في لغة العرب، ويعرف أن أصحابه العرب الفصحاء يعرفون جيداً معانيها في لغتهم التي شرفها القرآن)[(٢)].

ولا شك أن أغلب الألفاظ المتداولة في علوم العقيدة قد أشبعها الشيخ بالدراسة والتمحيص اللغوي ومن ذلك كلمة إله، وكلمة شريك وشفيع...:

يقول عن معاني كلمة "إله" في اللغة مفسراً بها الآيات التي تكلمت عن الألوهية: (وكلمة إله مشتقة إما من أله إلهة إذا عبد، أو من أله إذا تحير، أو من ألهت إلى فلان

---

(١) انظر: شرح تنقيح الفصول لشهاب الدين الصنهاجي، ناصر الغامدي (ج٢، ص٣٤٩).

(٢) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٩ــ١٠).

سكنت إليه، أو من أله إذا فزع من أمر نزل به، فآلهه صديق له أي أجاره، أو من أله الفصيل إذا ولع بأمه)[١].

ومن أمثلة اعتماده على اللغة في الترجيح بين الأقوال قوله ــ رحمه الله تعالى ــ: (أما قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾[٢] فأصوب قول قيل هو: أي كان من الملائكة، ولا سيما وأن القرآن قد أطلق على الملائكة أنهم جنة، وأقول: أصوب؛ ليوافق المعنى المفهوم من الاستثناء، فإن ما تخرجه بأداة الاستثناء إلا يكون من جنس ما قبلها اللهم إلا في الكلام غير الفصيح)[٣].

وقال في الهامش مبيناً فائدة الاستثناء: (يفيد الاستثناء إخراج ما لولاه لدخل، ويصح دخوله، فهل يصح دخول إبليس إن نفينا عنه كونه من الملائكة)[٤].

ويمكن أن تؤخذ على الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ في كلامه هذا أمور منها:

أ - قوله إن القرآن أطلق على الملائكة أنهم جنة، وهو يقصد بذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾[٥] وهو قول من قال من أهل العلم إن المقصـــود به قول الكفار: "الملائكة بنات الله "[٦] تعالى الله عـــن ذلك علواً كبيراً.

ومع جواز إطلاق الجن على الملائكة عند العرب كما قال: الأعشـــى في سليمان ابن داود: وسخر من جن الملائك تسعة... قياماً لديه يعملون بلا أجر.

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٦٣ــ٦٤).

(٢) (سورة الكهف: آية ٥٠).

(٣) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نور من القرآن ، عدد ٤، تاريخ ١٣٨٣هــ (ص ١٤).

(٤) المرجع السابق (ص ١٤).

(٥) (سورة الصافات: آية ١٥٨).

(٦) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي ، دار الفكر، بيروت، ط ١٤١٥هــ/ ١٩٩٥م (ج٣، ص ٢٩١).

إلا أنه يشكل على ما استدل به الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ أن قول ابن عباس ومن وافقه هو الأرجح في هذه الآية وهو أن الكفار عليهم لعائن الله قالوا: "إن الله وإبليس أخوان"[(١)] تعالى الله سبحانه عن كل ما لا يليق بجلاله وعظمته.

وإنما حمل الشيخ على هذا القول هو سعيه لترجيح القول بأن إبليس من الملائكة.

ب ــ قوله إن ما يخرج بأداة الاستثناء "إلا" يكون من جنس ما قبلها.

وهو سهو منه ــ رحمه الله ــ فإن الاستثناء المنقطع[(٢)] لا يلزم فيه هذا الشرط.

ولكن قد يرد الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ بأن الأصل في الاستثناء الاتصال لا الانقطاع.

ويجاب عنه بأن ذلك الأصل قد ينتقل عنه لدليل خارجي، وخاصة إذا كان صريحاً كما في الآية من التصريح بأن إبليس كان من الجن.

وقد بينت ضعف مستند من يقول إن القرآن أطلق على الملائكة أنهم جن.

ج – ويضاف إلى تلك الأدلة أن الفاء في قوله تعالى: "ففسق" صريحة في أنه ليس من الملائكة؛ لأن الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

وذلك أن الفاء للتعليل كما هو معلوم في الأصول ومنه قولهم سها فسجد أي لأجل سهوه، وسرق فقطعت يده أي لأجل سرقته.[(٣)]

وعليه فيكون معنى الآية ــ والله تعالى أعلم ــ ففسق عن أمر ربه أي لعلة كونه من الجن، فاتضح بذلك أنه ليس من الملائكة. والله تعالى أعلم.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ، أبو حفص عمرو بن علي الدمشقي الحنبلي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م (ج١٦، ص ٣٥٢).

(٢) الاستثناء المنقطع هو الإخراج بإلا أو إحدى أخواتها لما كان داخلاً فيما قبلها تقديراً لا حقيقة ، نحو جاء القوم إلا سيارة مثلاً . جامع الدروس العربية، المؤلف: مصطفى بن محمد سليم الغلاييني (المتوفى: ١٣٦٤هـ)، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت الطبعة: الثامنة والعشرون، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م. (ج٣، ص ١٢٩).

(٣) أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي (ج٣، ص ٢٨٩) وما بعدها.

ومن تفسير الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ لبعض الأمور العقدية في القرآن الكريم باللغة ما قال عن البعث وإعــادة إحياء الناس بعد موتهم يقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (... والله سبحانه في جليل هدايته يذكر لنا مثلاً يهدينا إلى ما يجمع الحس والواقع والتجربة الحقيقية والعقل على تصديقه والإذعان له طواعية، وهو أن من يبدع شيئاً وحده أول مرة، يكون صنعه لهذا الشيء في المرة الأخرى أهون عليه، تدبر قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [1])[2].

ولا شك أن هذا الفهم لكلمة "أهون" في غير محله، فهي هنا بمعنى هين عليه سبحانه إذ لا يوجد شيء أهون على الله من شيء بل الكل في حقه سبحانه هين.

والخلاصة في مسألة تفسير الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ للآيات المتناولة للعقائد باللغة أنه كان ــ رحمه الله تعالى ــ كثير الاعتمــاد على اللغة، وكثــير النقل عن أئمتها وخاصــة ابن فارس[3] والراغب[4] وابن الأثير[5] وغيرهم.

---

(١) (سورة الروم: آية ٢٧).

(٢) البهائية تاريخها وعقيدتها وصلتها بالباطنية، عبد الرحمن الوكيل (ص ٢٦٤).

(٣) هو: الإمام العلامة اللغوي المحدث أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني، المعروف بالرازي، المالكي، اللغوي، صاحب كتاب المجمل ومعجم مقاييس اللغة، قال الذهبي: "وكان من رؤوس أهل السنة المجردين على مذهب أهل الحديث"، مات بالري سنة خمس وتسعين وثلاثمائة. انظر:سير أعلام النبلاء ، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، ت : مجموعة من المحققين ، إشراف شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثــة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م (ج١٧، ص١٠٣ــ١٠٥) بغيــة الوعاة للسيوطــي ، ت :محمد ابن أبي الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة١٣٩٩هـ (ج١، ص٣٥٢).

(٤) الراغب الأصبهاني هو: الحسين بن محمد بن المفضل، وقيل: المفضل بن محمد، المعروف بالراغب الأصبهاني، أبو القاسم، توفي سنة ٥٠٢ هــ، من مصنفاته: "مفردات القرآن"، و"محاضرات الأدباء"، و"أفانين البلاغة". ينظر: سير أعلام النبلاء (ج١٨، ص١٢٠).

(٥) ابن الأثير : أبو السعادات المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري، الملقب مجد الدين. ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر سنة ٥٤٤هــ، وتبحر في العلوم وصنف مصنفات مفيدة ، توفي في إحدى قرى الموصل، سنة ٦٠٦هــ. الأعلام للزركلي (ج٥، ص٢٧٢).

وقد كان جهده اللغوي في تفسير آيات العقيدة جهد جبار، يعتبر من أكبر الموسوعات اللغوية في العقائد المتصلة بالصوفية والبهائية وأهل الكلام، فقد استقصى غالب الألفاظ المتداولة عندهم في العقائد وغيرها.

أما أسلوبه البلاغي، وقاموسه اللغوي فهما في غاية الروعة والبيان والجمال، وقل نظيره في ذلك بين أهل العلم، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة وأجزل له المثوبة.

استنباطه للأحكام بنفسه على ضوء ما سبق:

وكان ــ رحمه الله ــ كثير الاستنباط، والتدبر لكتاب الله تعالى على ضوء المعطيات السابقة ويستخرج أحكاماً عقدية كثيرة متزلاً لها على الواقع المعاصر للأمة الإسلامية.

ومن أدلة ما ذكرت من الاستنباط والاستخراج للأحكام ما يلي:

١ ــ استنباطه لوسائل التوحيد أو دلائله وقد أفردت لها مبحثاً خاصاً في فصل التوحيد، وقد نص رحمه الله تعالى على أنه استنبطها من كتاب الله تعالى.

٢ – استنباطه لقضية كلية في مسألة آيات الصفـــات، وهي أنها ظاهرة الدلالة على تلك الصفات المذكورة فيها، وسكوت الرسول ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ عن تفسيرها للصحابة، ثم سكوت الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ عن السؤال عنها، ومن ثم عدم تفسيرهم لها، كل ذلك يدل على أنها ظاهرة لا تحتاج إلى تفسير، فالواجب هو الإيمان بها كألفاظ تدل على معانيها المعلومة منها في لغة العرب، وتفويض كيفيتها لله تعالى[١].

٣ – ومن استنباطاته العقدية قوله ــ رحمه الله تعالى ــ: (يقول ربنا سبحانه: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[٢] وهذا بعد أن تكون النفخة الثانية في الصور،

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٨ــ٢٠).

(٢) (سورة الزُّمَر: آية ٦٩).

إذن يوضع الكتاب بعد النفخة الثانية، وبعد قيام الناس من قبورهم وبعد مجيء الله يوم القيامة هو وملائكته وإشراق الأرض بنوره سبحانه)[١].

قلت: وهذا الترتيب الذي استنبطه الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ لم أجد من أهل العلم من نص عليه، والواو في اللغة لا تفيد ترتيباً ولا عدمه على الراجح من أقوال النحاة[٢]. والله تعالى أعلم.

وأحياناً يكون استنباطه ــ رحمه الله تعالى ــ في غير محله؛ بل يكون مخالفاً للراجح من أقوال أهل العلم..

ومثال ذلك النوع من استنباطه ــ غير ما تقدم ــ قوله رحمه الله تعالى بعد أن نقل عن ابن كثير ــ رحمه الله تعالى ــ نقله عن أبي الحسن الأشعري ــ رحمه الله تعالى ــ إجماع أهل السنة على جواز التكليف في يوم القيامة: (كل هذا خرف لا قيمة له لأن الآخرة دار الجزاء لا دار التكليف)[٣].

ولا شك أن هذا خلاف التحقيق في مسألة التكليف لأهل الفترة يوم القيامة.

ومع أن المسألة فيها خلاف قوي بين أهل العلم لورود أدلة متعارضة فيها، إلا أن أرجح الأقوال فيها أن أهل الفترة يمتحنون يوم القيامة بنار توقد لهم ثم يؤمرون بدخولها فمن أطاع دخل الجنة، ومن عصى دخل النار.

وقد وردت أحاديث كثيرة تصرح بذلك، وهي صريحة في محل النزاع وصحيحة بمجموع طرقها[٤].

---

(١) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نور من القرآن، عدد٣، تاريخ ١٣٨٣هـ (ص٥).

(٢) مغني اللبيب، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن هشام الأنصاري، ت : د . مازن المبارك، ومحمد علي حمد ، دار الفكر، بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٨٥م، (ص: ٤٦٤).

(٣) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نور من القرآن ، عدد ٨، تاريخ ١٣٨٤هـ (ص٨).

(٤) أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي (ج٣، ص٧٤).

ثم إن تعبيره ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله: "هذا خرف" لا أجده يليق بالمخالفين في المسألة وهم علماء أجلاء منهم أبو الحسن الأشعري وشيخ الإسلام ابن تيمية والشنقيطي وغيرهم.

ثانياً: السنة النبوية:

إن أهمية السنة النبوية في فهم التشريع الإسلامي عامة، وفهم كتاب الله تعالى خاصة أمر معروف لا يحتاج إلى كثير استدلال وبيان.

وإذا قلنا السنة فإنما نقصد السنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ ، وتلك هي التي اعتمد الشيخ عبد الرحمن الوكيل عليها، واتخذها مصدراً ثانياً عند استدلاله للمسائل العقدية التي يناقشها ويبينها.

وقليلاً ما كان الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ يلجأ إلى الاستدلال بالأحاديث الضعيفة، وخاصة عند وجود غيرها من الأحاديث الثابتة، إلا إذا ذكرها على سبيل الاعتضاد والتوكيد لا على سبيل التأسيس..

وعندما عرف العلماء السنة قالوا إن المقصود بها هو: قول الرسول ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ وفعله وتقريره[1].

ولا شك في وجوب الأخذ بها، ولا طاعن في حجيتها إلا من شذ، لقوله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾[2].

---

(١) فتح المغيث ، شرح ألفية الحديث، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ (ج١، ص١٠).

(٢) (سورة الحشر: آية ٧).

ولقد ناقش الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ أهل بدعة الأخذ بالقرآن دون السنة وبين من خلال ذلك وجوب الأخذ بالسنة والعمل بها وحجيتها.

يقول عليه ــ رحمه الله تعالى ــ رادا على زعم أولئك الحاقدين: (... وقد نبتت للشيطان فتنة جديدة دفعت بعض من ختم الله على قلوبهم إلى حمأة جديدة من الكفر إذ يفترون الكذب على الله؛ فيزعمون أن القرآن وحده هو مصدر التشريع، أما السنة فلا!! وهؤلاء أشد خطراً على الدين ممن ينابذونه العداوة جهاراً، إذ يتراءون بالتقديس الخاشع لكتاب الله، فيحسبهم الغر المفتون من ذوي الفكر الثاقب الحر، والتجديد، ويكفرون به رسولاً بين ما في القرآن؟ والأمين الذي ائتمنه الله على كتابه، فبلغه، وشهد الله له أنه بلغه، أليس هو الأمين الذي بين وفصل أحكام أمانة ربه؟ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[1] ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٤﴾[2] ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٦٤﴾[3] ويقول ﷺ " لا أعرفن الرجل منكم يأتيه الأمر من أمري إما أمرت به أو نهيت عنه، وهو متكئ على أريكته فيقول: ما ندري ما هذا!؟ عندنا كتاب الله وليس هذا فيه!![4] وما لرسول الله أن يقول ما يخالف القرآن، وبالقرآن هداه الله " وإن هذا الحديث ليعد من أعلام النبوة؛ فما أخبر به واقع اليوم!!)[5].

---

(١) (سورة النجم: آية ٣).

(٢) (سورة النحل: آية ٤٤).

(٣) (سورة النحل: آية ٦٤).

(٤) سنن أبي داود كتاب السنة باب في لزوم السنة حديث رقم ٤٦٠٧ (ج٤، ص ٣٢٩) وقد تصرف الشيخ في لفظ الحديث قليلاً. والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(٥) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٣٧ ــ ١٣٨).

كان ذلك في دفاعه عن السنة، وأنها ثاني مصادر الشريعة الإسلامية، أما استدلاله بالأحاديث في ثنايا كتبه وخاصة عند تقريره لعقيدة السلف رحمهم الله تعالى فهو أكثر من أن يحصى أو يستقصى.

من ذلك استدلاله بالسنة على بعض الصفات الألهية :

يقول ـــ رحمه الله ـــ: " وصفة هي السمع وفي الحديث الذي رواه البخاري عن عائشة ـــ رضي الله عنها ـــ: " الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات" [(١)].

وصفة هي البصر: ويقول ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ: "إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل النهار قبل عمل الليل، وعمل الليل قبل عمل النهار، حجابـــه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه" [(٢)].

وأخبر أن له وجهاً، وفي الحديث السابق ذكر سبحات وجهه.

وأن له يدين يقول ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ فيما روى البخاري: " يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة ويطوي السموات بيمينه ثم يقول: " أنا الملك اين ملوك الأرض؟" [(٣)] " [(٤)].

ويقول ـــ رحمه الله ـــ: " وصف الرسول ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ ربه بصفاته الجليلة وسماه بأسمائه الحسنى ودعاه وذكره وحمده وأثنى عليه بها، ووصفه بأكثر مما في القرآن مما أوحاه إليه ربه فوصفه بالنزول إلى السماء الدنيا، وأنه جل شأنه يفرح

---

(١) رواه البخاري، باب (وكان الله سميعاً بصيراً) (١٣، ٣٧٢).

(٢) رواه مسلم (ص١٧٩).

(٣) رواه البخاري (ص ٦٥١٩).

(٤) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٧ــ٨) بتصرف.

بتوبة عبده التائب[١] وأن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن[٢] وغير ذلك مما جاءت به السنة المطهرة ورواه العدول الثقات عن رسول الله" [٣]،[٤].

الإجماع:

وهذا هو المصدر الثالث من مصادر التشريع الإسلامي، ولم يهمله الشيخ ـــ رحمه الله تعالى ـــ وإن كان قليل الاستدلال به مقارنة بالمصدرين الأساسيين.

ولكنه مع ذلك يعتبره مصدراً مهماً من مصادر الاستدلال، رغم ما يعترض عليه به الأصوليون، وغيرهم.

يقول ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (والذي ندين به عقدا اتباع سلف الأمة فالأولى الاتباع، وترك الابتداع، والدليل السمعي القاطع في ذلك أن إجماع الأمة سنة متبعة، وهو مستند معظم الشريعة)[٥].

فتراه يقـــرر أن الإجمـــاع مستند معظم الأحكـــام الشرعية، فيجـــب اعتباره، والاستدلال به وعدم الاعتراض عليه.

---

(١) رواه البخاري (ص٦٣٠٨)، ومسلم (ص٢٧٤٤).

(٢) رواه مسلم (ص ٢٦٥٤).

(٣) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٩).

(٤) انظر مثلاً : استدلاله بالسنـــة على أن أصـــل البشر ومنهم محمد ﷺ هو الطـــين في "هذه هي الصوفية" (ص ١٣٤) واستدلاله بها على صفات الله تعالى كالفوقية في "الصفات الإلهية"، ص ٥٣، وعلى وجوب محبة النبي ﷺ في "هذه هي الصوفية" (ص ١١٩) وعلى أن النبي ﷺ لم يكن يعرف القرآن قبل نزوله عليه في "هذه هي الصوفية" (ص ١٣٨) وفي قصة الخضر عدد ١٠، سنة ١٣٨٣هـــ (ص ١ــ٥) وغيرها.

(٥) الصفات الإلهية، عبد الرحمن الوكيل (ص ٨٩).

المطلب الثاني: منهجه في وسائل فهم نصوص الكتاب والسنة

لقد كان من منهج الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ في تقرير عقيدة السلف رحمهم الله تعالى أن لا يقبل استدلالاً فيها إلا من الأدلة المعتبرة كالكتاب والسنة وإجماع الأمة، وكان يعطي النصيب الأوفر من ذلك للأدلة القرآنية كما قدمت، ولكن الأصول المذكورة في الاستدلال تحتاج إلى وسائل لفهمها، ومعرفة المراد منها، فما هي وسائل الشيخ رحمه الله تعالى التي اعتمد عليها في فهم تلك الأصول وطرق الاستدلال بها:

أولاً: أقوال السلف الصالح:

لقد كان الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ معظم علماء السلف، ومتبعاً لهم في كثير من مقولاتهم العقدية، دون تقليد لأحد مهما بلغ من العلم والورع والتقوى، وكأنه ـ من خلال استقرائي لكتبه ـ رحمه الله تعالى ـ يطبق قولة الإمام مالك المشهورة: "ما منا إلا راد ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر صلوات الله وسلامه عليه.[١]

يقول ـ رحمه الله تعالى ـ: (أما سلفنا الأخيار فقد آمنوا بكل ما جاء به النبي ﷺ إيماناً طهور الروح، قدسي المعرفة، مشرق اليقين، ثابت العقيدة، بصيراً بما كلف به، خبيراً بما فيه من أدلة سمعية وعقلية.

ولقد أتى هذا الإيمان العظيم أكله؛ فجعل من أصحابه خير أمة أخرجت للناس، وأعظم جماعة تسامت بكرامة الإنسانية وبدد بنوره الذي أشرق في قلوب هؤلاء، وأشرقوا به على الناس، بغي الصليبية، وكيد الصهيونية، ودين المجوسية، ومكن لهم بنصر الله في الأرض فأشرق في أرجائها جلال التوحيد، وروحانية الإيمان وصفاء الخير، ونقاء الحب، ووداعة السلام، وتلاقت الأرحام على أقدس أخوة عرفها تاريخ بني الإنسان)[٢].

---

(١) عبارة مشهورة عن الإمام مالك، انظرها مثلاً في التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، دراسة وتحقيق: بشير محمد عيون الناشر: مكتبة المؤيد، الطائف، المملكة العربية السعودية، مكتبة دار البيان، دمشق، الجمهورية العربية السورية الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩٠م (ج١، ص ٣٥٤).

(٢) الصفات الإلهية، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٥ـ١٦).

هذا هو رأي الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ في فهم السلف الصالح للنصوص، وهذه هي تزكيته لإيمانهم وعقائدهم ومعرفة بما هو مطلوب منهم.

ولقد كان الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ شديد الدفاع عن السلف الصالح ــ رحمهم الله تعالى ــ، ومشهراً قلمه في وجوه من حاول التنقيص منهم في العلم أو الفهم..

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ راداً على مقولة: طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم: (... يزعم دعاة "الخلفية" أن طريقة السلف أسلم، وأن طريقة الخلف أعلم وأحكم.

وسنترك للإمام الجليل ــ ابن تيمية ــ الرد على هذه الفرية: "إن هذا القول إذا تدبره الإنسان وجده في غاية الجهالة، بل في غاية الضلالة، كيف يكون هؤلاء المتأخرون، لا سيما والإشارة بالخلف، إلى ضرب من المتكلمين، الذين كثر في باب الدين اضطرابهم، وغلظ عن معرفة الله حجابهم أعلم بالله وأسمائه وصفاته، وأحكم في باب آياته وذاته من السابقين الأولين، من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، من ورثة الأنبياء، وخلفاء الرسل، وأعلام الهدى، ومصابيح الدجى، الذين بهم قام الكتاب، وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب، وبهم نطقوا الذين وهبهم الله من العلم والحكمة، ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء، فضلاً عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم، وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة غيرهم إليهم، لاستحيا من يطلب المقابلة.

ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص في العلم والحكمة ــ لا سيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته ــ من هــؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم؟ أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان أعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن والإيمان "[1].

---

(١) الفتوى الحموية الكبرى، المؤلف : تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبــد الله ابن أبي القاسم بن محمــد بن تيمية الحرانــي الحنبلي الدمشقــي (المتوفى : ٧٢٨هـ)، المحقق : د. حمــد ابن عبد المحسن التويجري الناشر : دار الصميعي، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م (ج١، ص٤).

ويقول أيضاً عن السلف: "وأنهم أفضل من الخلف في كل فضيلة: من علم وعمل وإيمان وعقل ودين وبيان وعبادة وأنهم أولى بالبيان لكل مشكل. هذا لا يدفعه إلا من كابر المعلوم بالضرورة من دين الإسلام وأضله الله على علم"[(١)].

ثم استشهد بقول عبد الله بن مسعود ــ رضي الله تعالى عنه ــ: " أولئك أصحاب محمد: أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم"[(٢)]ويقول الشافعي ــ رحمه الله ــ في رسالته: " هم فوقنا في كل علم وعقل ودين وفضل وكل سبب ينال به علم أو يدرك به هدى ورأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا"[(٣)].

من هذا كله يتبين لك أن طريقة السلف هي الأسلم والأعلم والأحكم، وأن طريقة الخلف شك وحيرة وضلالة[(٤)].

ثانياً: دور العقل:

إن دور العقل البشري في تدبر آيات الله تعالى أمر اهتم به القرآن الكريم، وحث ربنا سبحانه وتعالى على استخدام العقل في كثير من آيات كتابه، وأمر الرسول ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ بالاهتمام بالمعرفة الحسية والعقلية، وحث عليها في كثير من الأحاديث النبوية الشريفة.

ولقد اهتم الشيخ / عبد الرحمن الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ بهذه الوسيلة في فهمه واستنباطه للأحكام الشرعية من الأدلة، فكان يحث على استخدام العقل والوسائل

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ، جمع وتحقيق :عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٦ هــ/١٩٩٥م (ج٤، ص١٥٨).

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، دار الكتاب العربي ، بيروت الطبعة الرابعة ، ١٤٠٥هــ (ج١، ص ٣٠٥).

(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (ج٤، ص ١٥٨).

(٤) الصفات الإلهية، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٤٢ــ١٤٤).

المعرفية التي وهبهـا ربنا سبحانه وتعالى للإنسـان ليستفيد منهـا في معرفة ربـه ومعرفة شرعه.

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (يقول ربنا سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [1] ولنتدبر فيما ورد من آيات في سورة عبس؛ ليتجلى لنا أن القرآن لا يحقر أبداً من شأن المعرفة "الحسية" بل يدعو إلى استخدام حواس السمع والبصر واللمس والشم والذوق، وقد بلغ من حفاوة القرآن بالعقل أنه ختم كثيراً مـن الآيات بقوله سبحانـه: "إن في ذلك لآيات لقـوم يعقلون، أو لقوم يتفكرون"، ووصف الذين لا يعقلون بأنهم شر الدواب: ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [2] من هذه الآية ــ وغيرها كثير ــ يتبين لنا بجلاء أن القرآن يقدر الإدراك الحسي، والإدراك العقلي، ويحترم النقل الصحيح)[3].

لكن هذا العقل في نظر الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ يجـب أن لا يستقل بالأحكـام وإلا كان معرضا للانزلاق والتخبط، ثم إنه لا يمكن أن يتعارض عقل صحيح صريح مع نقل صحيح صريح وإذا كان هناك تعارض ظاهـري، فلا بد أن هناك شيئاً ما في تلك المقدمة.

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (تدبـر قوله سبحانه: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾ [4] ويقول سبحانه عن الجن الذين صرفهم الله إلى الرسول ﷺ ليستمعوا

---

(١) (سورة الإسراء: آية ٣٦).

(٢) (سورة الأنفال: آية ٢٢).

(٣) البهائية، عبد الرحمن الوكيل (ص ٢٨٥).

(٤) (سورة الأنعام: آية١٤٨).

القرآن: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩)﴾ [١] ويدعونهم إلى الإيمان بما نقلوه نقلاً صحيحاً عن رسول الله ﷺ.

غير أن القرآن يوجب أن نجعل وحي الله سبحانه هو الفيصل الأكبر، والحكم المطاع عند التنازع، وأن نجعله وحده هو المصدر الذي نستمد منه معارفنا الدينية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩)﴾ [٢].

إنها دعوة الحق التي تتفتح لها القلوب وتخشع، وتتطامن العقول وتذعن، دعوة توجب على السمع أن يسمع، وعلى البصر أن يبصر، وعلى العقل أن يتدبر، وعلى الفكر أن يتفكر؛ لتتعاون كل هذه القوى في سبيل إمداد النفس بيقين المعرفة، وصدق الإيمان بأن ما جاء به رسول الله هو الحق.

وقد حارب القرآن هذه الطائفة التي تقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ (٢٣)﴾ [٣] لأنها عطلت عقولها وحواسها فأبت أن تعقل، وأبت أن تشعر!)[٤].

ويقول في موضع آخر: (... فليسجد العقل خاشعا حين يأمر الله وليحذر من أن يمس جانب الوحي بنقد أو معارضة وليحذر أولئك الذين يظنون أنهم يعرفون كل شيء وأن العقل له الهيمنة على وحي الله)[٥].

---

(١) (سورة الأحقاف: آية ٢٩).

(٢) (سورة النساء: آية ٥٩).

(٣) (سورة الزُّخرُف: آية ٢٣).

(٤) البهائية، عبد الرحمن الوكيل (ص ٢٨٥ــ٢٨٦).

(٥) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نور من القرآن ، عدد ١١، تاريخ ١٣٨٣هــ (ص٩).

ويبين الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ عجز العقل البشري عن الاستقلال بنفسه دائماً، وأنه قد يحكم أحكاماً تناقض الواقع والحقيقة، فيجب والحالة هذه إخضاعه للوحي الثابت الصحيح.

يقول عليه ــ رحمه الله تعالى ــ معقباً على تفسير نبي الله الخضر ــ عليه الصلاة والسلام ــ ما فعله لأهل السفينة: (وهذا التفسير الذي فسر به العبد الصالح سبب ما أحدثه في السفينة تبين لموسى مدى الخطأ الذي وقع فيه باتهامه لرجل مؤمن تقي بأنه جاء بمنكر، فتطامنت نفسه وسكنت، وأيقن أن العبد الصالح لم يقترف إمرا، وإنما فعل خيراً، وهكذا يؤكد واقع الإنسانية حتى وهي في قمتها السامقة، صدق الله سبحانه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾[1] وهي حقيقة تصدم غرور العقل البشري وإعجابه الآثم بنفسه، وتبدو قيمة هذه الصدمة في تدبر طرفي المقابلة، فالكره لا يقابله خير فقط، وإنما يقابله خير كثير، وهذا معناه أن العقل قد يظن الشر في أمر هو في حقيقته خير عظيم وفير، وأنه قد يحكم على الشيء بنقيضه.

ألم تر إلى موسى العظيم كيف حكم على الخير العظيم بأنه شر كبير!!)[2].

نخلص من كل ما سبق إلى أن الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ كان يولي العقل اهتماماً خاصاً، ويحث على استخدامه، وينبذ دعاة تعطيل العقول، والاعتماد على التقليد أو الذوق أو غيرها من وسائل تفضي إلى إهمال دور العقل في فهم النصوص الشرعية أو الاعتبار بآيات الله أو استنباط أحكام الله تعالى.

ولكن هذا العقل في نظر الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ يجب أن لا يذهب به بعيداً، فهو وسيلة مهمة ولكنه ليس مصدراً حاكماً؛ بل هو محكوم عليه بالوحي، وهو ضعيف عند استقلاله عن الوحي، وقوي حين ينصب الوحي أمامه، ويسترشد به فيما سيصدره من أحكام.

---

(١) (سورة البقرة: آية ٢١٦).

(٢) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ١، تاريخ ١٣٨٤هـ (ص ٦).

دور اللغة:

إن اللغة هي الوعاء الذي يعبر به عن المعاني، ويحمل الأفكار، ولذا فإن دورها في فهم النصوص دور جوهري، وأساسي.

وقد كان الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ مهتماً بها، ومستعرضاً لأقوال أئمتها، وخاصة عند تفسيره في مقالة نور من القرآن، وبالأخص حين يكون هناك خلاف في فهم الآية، فإنه رحمه الله تعالى يجعل اللغة هي الفيصل في ذلك الخلاف عند عدم وجود ما يقتضي صرف تلك الألفاظ عن ظواهرها.

يقول ــ رحمه الله ــ: "دلوك" قال ابن فارس عن الكلمة إنها أصل واحد يدل على زوال شيء عن شيء ولا يكون إلا برفق، يقال: دلكت الشمس: زالت، ويقال: غابت.

وفي لسان العرب عن الأزهري: والقول عندي دلوك الشمس زوالها نصف النهار؛ لتكون الآية جامعة للصلوات الخمس.

ونقل عن ابن مسعود أنه كان يفسر دلوك الشمس بغروبه، أما ابن عمر وغيره، فنقل عنهم تفسير الدلوك بالميل إلى الزوال.

ولا تعارض بين الرأيين، فأصل المعنى يدل على زوال شيء عن شيء، وفي زوال الشمس وغروبها يتحقق أصل المعنى" [(١)].

ويقول ــ رحمه الله ــ: ("نجياً" لم يوصف أحد من النبين في القرآن بها سوى موسى أما "خلصوا نجياً" فهي عن أخوة يوسف، وهي شيء آخر غير التي هنا. يقول الراغب عن أصل الكلمة: ناجيته، ساررته، وأصله تخلو به في نجوة من الأرض" أي مكان مرتفع).

ثم يقول: (تدبر قول الله "وقربناه" فكر فيها جيداً وأنت مؤمن أن الله لا يقول سوى الحق، أتراه سبحانه يقول : ما ليس له معنى عنده؟؟

فكر ثم أحكم على شطط وزيغ المحرفين والمعطلين والمبطلين، هنا قرب وتقريب، وقرِّب ومُقَربَّ ومكان كان فيه التقريب !! فأين من هذا الهدى المشرق باطل المؤولة المظلم؟؟

---

(١) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نور من القرآن ، عدد ٥، تاريخ ١٣٨٤هـ (ص ٤).

ثم كلمة "نجياً" تعطي القرب وطول النجوى وتؤكد الغيرية بين المناجي والمناجى ــ كتب في الهامش: أقول هذا لأن الصوفية تزعم أن المناجي بكسر الجيم عين المناجي بفتح الجيم، وانهما واحد لا اثنان !!ــ أن قول الله "قربناه" وقوله: "نجياً" نوران وضيئان متألقان يهديان إلى الحق من صفات الله وأسمائه) [(١)].

والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى[(٢)].

دور بعض الوسائل الأخرى:

لم يهمل الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ أي وسيلة تساعد في فهم كتاب الله تعالى وسنة نبيه ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ ، وإن كان أعطى الدور الأبرز للوسائل التي قدمت.

ولذلك تجده يبرز دور وسائل أخرى مثل أسباب النزول، والقواعد الأصولية، مستعيناً بها في الفهم تارة، وفي الترجيح تارة أخرى.

ومن ذلك قوله ــ رحمه الله تعالى ــ مبيناً حقيقة الذين سألوا رسول الله ﷺ عن ذي القرنين: (يقص المفسرون أن المشركين هم الذين سألوا رسول الله ﷺ عن ذي القرنين غير أن الذي قد ينحرف بهذا الرأي عن غايته هو أن آيات القصة كلها مدنية، وهذا يدعم بصورة ما رأي القائلين بأن السائلين كانوا من أهل المدينة وهم من أهل الكتاب)[(٣)].

وكذلك علم الأصول فقد اهتم ببعض أحكامه كقولهم: النكرة في سياق النفي تعم، وقولهم الألفاظ لا تصرف عن ظواهرها إلا بقرينة وغيرها.[(٤)]

---

(١) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نور من القرآن ، عدد ١١، تاريخ ١٣٨٦هــ (من ص ٦ إلى ص٩)، بتصرف يسير.

(٢) يراجع مثلاً : عدد ٥، سنة ١٣٨٣هــ، ص ٥ وما بعدها ، وعدد ٦، سنة ١٣٨٣هــ، ص ٥، وعدد ١٠، سنة ١٣٨٣هــ (ص ١٢) وغيرها.

(٣) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نور من القرآن ، عدد ٣، تاريخ ١٣٨٤هــ (ص٢).

(٤) يراجع مجلة الهدي النبوي عدد ٢ سنة ١٣٨٣هــ ص ١٢ ، وعدد ٢ سنة ١٣٨٤هــ (ص ١٢).

المبحث الثالث

عرضه عقيدة السلف من خلال مناقشاته للمخالفين وردوده عليهم

فقد كان الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ يعرض عقيدة السلف من خلال رد العقائد المخالفة لها وبيان سقوطها، وضعف أدلتها، وسأكتفي هنا بذكر نماذج قليلة من ذلك؛ لأني سوف أبين أكثره في الباب الثالث من هذه الرسالة وهوباب الردود.

المطلب الأول: جوانب العقيدة التي قررها الشيخ من خلال ردوده على الصوفية:

لقد استطاع المتصوفة ــ وخاصة الموغلون في التصوف منهم ــ تشويه كثير من العقائد الإسلامية، وخاصة تلك المتعلقة بالتوحيد بجميع أقسامه، فقد أعطى أرباب التصوف شيوخهم كثيراً من صفات الله تعالى؛ بل ذهبوا إلى حد ادعاء الربوبية لهم إما تصريحاً وإما تلميحاً.

هذا فضلاً عن تشويههم لكثير من العقائد الأخرى كعقيدة البعث، والشفاعة، بل وحتى الجنة والنار.

وقد كثرت ردود الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ على هؤلاء المتصوفة، وقرر من خلال ردوده عليهم كثيراً من عقيدة السلف رحمهم الله تعالى.

وكان يسلك في ذلك مسلكين:

الأول: يكتفي بذكر عقائدهم الواهية مقرراً بذلك ضدها مستعملاً في ذلك مفهوم المخالفة المطلقة وذلك عندما تكون عقيدهم في مسألة ما ظاهرة السقوط وبينة الاعوجاج؛ فإن مجرد نقلها موثقة من كتبهم وممارساهم تكفي في بيان ضعفها وقوة ضدها.

الثاني: يذكر عقائدهم ثم يناقشها بالأدلة والبراهين مبيناً ضعف وهشاشة مستنداهم فيها، وغالباً ما يحيط الشيخ بمجمل أدلتهم ويرد على جميع شبههم، ثم يسلم لهم ــ جدلاً ــ بصحة تلك الأدلة مبيناً أنه حتى على التسليم بها؛ فإن تلك العقيدة تظل مخالفة حتى لصريح العقل البشري ناهيك عن مخالفتها لصحيح وصريح الشرع.

تقريره لوحدانية الله تعالى من خلال رده على بدعة الحلول والاتحاد:

لقد امتلأت كتب الصوفية بدعاة الحلول والاتحاد، والمدافعين عن تلك القولة الكفرية الصريحة بالشبه والفهوم السقيمة للنصوص الشرعية.

ويقرر الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ من خلال رده على تلك الفرية العظيمة وحدانية الله تعالى فيقول: (لقد افترت الصوفية على الله ما لم تفتره زندقة من قبل، فجعلته هو عين خلقه، اقرأوا هذا الكفر لابن عربي: "فالحق محدود بكل حد، وصور العالم لا تنضبط، ولا يحاط بها، ولا يعلم حدود كل صورة منها إلا على قدر ما حصل لكل عالم من صورته، فلذلك يجهل حد الحق، فإنه لا يعلم حده إلا بعلم حد كل صورة" يقول: إنه لا يمكن تعريف الله، لماذا؟ لأن الله هو عين كل شيء فنحتاج في تعريفه إلى الأخذ بتعريف كل صورة من صور الوجود إذ هو عينها، وصور العالم لا تنضبط، ولا تتناهى، فتعريفه سبحانه لا يتناهى تبعا لذ لك!... ثم اقرأوا قول ابن عربي في الباب ١٢٩ من "الفتوحات المكية":

لا تراقب فليس في الكون إلا	واحد العين فهو عين الوجود
ويسمى في حالة بإله	ويكنى في حالة بالعبيد[1]

ترى هل ستظلون مصرين على أن الصوفية دعوة إلى الأخلاق المثالية، وأنتم تعرفون أن الإصرار على كلمة كفر واحدة تمحو من سجل الإنسان كل كلمة مؤمنة، والصوفية مصرة على كلماتها الكافرة)[2].

عقيدة ختم النبوة بمحمد ﷺ:

يدعي كثير من المتصوفة أنهم يتلقون الأوامر من الله تعالى مباشرة بلا واسطة ملك أو نبي، وهم بهذا ينفون عقيدة من عقائد المسلمين وهي أن محمدا ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ هو خاتم النبيين، وقد انقطع الوحي بموته ﷺ؛ بل يمحون عقيدة

---

(١) انظر: الفتوحات المكية، لابن عربي (ج ١٤، ص٢٦٩) نقلاً عن الشيخ .

(٢) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص ٢١٨ــ٢١٩).

أخرى هي أفضلية الأنبياء على جميع الخلق، فإذا كان الأولياء ــ كما يزعمون ــ يتلقون من الله تعالى مباشرة فماذا بقي للأنبياء؟!!

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ راداً عليهم في هذا المضمار: (... وها هو البسطامي يقول لأهل الشريعة: "أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت،"[١] ويقول: "خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله"[٢]، وقال ابن عربي: "علماء الرسوم ــ يعني أهل الشريعة ــ يأخذون خلفا عن سلف إلى يوم القيامة؛ فيبعد النسب، والأولياء يأخذون عن الله، ألقاه في صدورهم من لدنه رحمة منه، وعناية سبقت لهم عند ربهم"[٣] يعني أن أتباع الشريعة الإسلامية إنما يأخذونها عن أناس طواهم الموت، أما الصوفية فلهم الصلات المباشرة مع الله، يأخذون عنه من غير واسطة ملك أو نبي أو رسول! وبهذا كفروا بشريعة محمد، ومهدوا لأتباعهم الكفر بشريعة محمد ﷺ)[٤].

عقيدة نبوة محمد ﷺ وبشريته:

إن محمداً ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ عند المسلمين بشر اصطفاه الله تعالى من خلقه وأرسله إلى كافة الناس بشيراً ونذيراً، فهو من ناحية البشرية مثل البشر يأكل ويشرب ويجوع ويمرض إلى غيرها من الصفات الملازمة للبشر.

أما من ناحية الفضل فهو سيد ولد آدم وهو أفضلهم وأخشاهم لله وأتقاهم له.

ولكن محمداً ﷺ عند الصوفية شيء آخر.

---

(١) الكواكب الدرية للمناوي، نقلاً عن الشيخ (ص ٢٤٦).

(٢) السابق.

(٣) السابق.

(٤) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٧٧).

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (الحقيقة المحمدية: يعرفها الصوفية بقولهم: "هي الذات مع التعين الأول، ولها الأسماء الحسنى وهي اسم الله الأعظم[(١)]" فمحمد الصوفية ليس بشراً، ولا رسولاً وإنما هو الذات الإلهية في أسمى مراتبها!!

ويقول الدمرداشي: " حقيقة الحقائق هي المرتبة الإنسانية الكمالية الإلهية الجامعة لسائر المراتب كلها، وهي المسماة بحضرة الجمع، وبأحدية لجمع، وبها تتم الدائرة وهي أول مرتبة تعينت في غيب الذات، وهي الحقيقة المحمدية" ...[(٢)].

وبهذا يتجلى لك أن الصوفية تعتقد في محمد أنه هو الله ــ سبحانه ــ ذاتا وصفة، وأنه هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وأنه هو الوجود المطلق والوجود المقيد، أنه كان ولا شيء قبله، أو معه ثم تعين في صور مادية سمي في واحدة منها بجماد، وفي أخرى بحيوان، وهكذا حتى اندرج تحت اسمه كل مسمى وصدقت ماهيته على كل ماهية)[(٣)].

ويذهب الصوفية إلى أبعد من ذلك؛ فيزعمون أن النور المحمدي لو وضع على العرش لذاب بل إن أصل كل الموجودات هو النور المحمدي، وبذلك ينفون حقيقة أن محمداً ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ أصله من نسل آدم، وآدم أصله من طين كما وصف ذلك في غير ما آية، وحديث.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (كل شيء من نور محمد: بهذا يدين الصوفية وفيه يتغزلون، ولقد عبر الدباغ عن هذه الأسطورة إذ يقول: "اعلم أن أنوار المكونات كلها من عرش وفرش وسماوات وأرضين وجنات وحجب، وما فوقها، وما تحتها إذا جمعت كلها، وجدت بعضاً من نور النبي، وأن مجمـــوع نوره لو وضع على العرش

---

(١) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني ن ت : إبراهيم الأبياري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هــ ، (ص: ١٢٢).

(٢) جامع الأصول للكمشخانلي، نقلاً عن الشيخ، (ص ١٠٧).

(٣) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٢١ــ١٢٢).

لــذاب ولو وضع على الحجب السبعين التي فوق العرش لتهافتت، ولو جمعت المخلوقات كلها ووضع ذلك النور العظيم عليها لتهافتت وتساقطت")[١].

ويقول التيجاني: "لما خلق النور المحمدي جمع في هذا النور المحمدي جميع أرواح الأنبياء والأولياء جميعاً جمعاً أحدياً قبل التفصيل في الوجود العيني وذلك في مرتبة العقل الأول"[٢].

ويقول الحلواني في قصيدته "المستجيرة" يخاطب رسول الله:

أنشاك نورا ساطعا قبل الورى	فردا لفرد والبرية في العدم
ثم استمد جميع مخلوقاته	من نورك السامي فيا عظم الكرم
فلذا إليك الخلق تفزع كلهم	في هذه الدنيا، وفي اليوم الأهم
وإذا دعتهم كربة فرجتها	حتى سوى العقلاء في ذاك انتظم
جد لي فإن خزائن الرحمن في	يدك اليمين وأنت أكرم من قسم[٣]

والله تعالى يقول: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾[٤].

ومحمد ﷺ إنسان، وإلا فليأتوا له بصفة أخرى! والرسول نفسه صلى الله عليه وسلم يقول: "خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم"[٥].

تحدث الرسول ﷺ عن النور، وعن من خلق منه؛ فلم يذكر عن نفسه أنه خلق من نور كما ذكر عن الملائكة، وتحدث عن آدم الأب الأول للبشرية وعن خلقه، وأنه

---

(١) هو بنصه في الإبريز، للدباغ (ص٤٤٠-٤٤١) مع تبديل في عبارة: "ووضع عليها ذلك النور العظيم" حيث قدم الشيخ اسم الإشارة على الجار والمجرور.

(٢) الرماح، لعمر بن سعيد الفوتي، نقلاً عن الشيخ، (ص ١٤، جـ١).

(٣) رسالة لأحمد عبد المنعم الحلواني، نقلاً عن الشيخ، (ص ١٤ وما بعدها).

(٤) (سورة المؤمنون: آية ١٢).

(٥) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، حديث رقم ٧٦٨٧ (ج٨، ص ٢٢٦).

خلق مما ذكر الله في القرآن، يعني من طين لازب، ومحمد ﷺ ابن آدم فلمن تنتسب الحقيقة المحمدية الصوفية!!)[١].

وغير هذا كثير فقد قرر الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ كثيراً من عقائد السلف الصالح من خلال ردوده على الصوفية، ومن ذلك غير ما ذكرت: العقيدة في القرآن[٢]والعقيدة في أن الشريعة ظاهر كله ورد فرية القول بالشريعة والحقيقة[٣] وعقيدهم في وسيلة المعرفة أنها الذوق لا العقل ولا الشرع[٤]وغيرها كثير.

---

(١) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٣٤ــ١٣٥).

(٢) المرجع السابق (ص ١٣٦ــ١٣٧).

(٣) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ١٠، تاريخ ١٣٨٣هــ (ص١٣).

(٤) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص ٦٦).

المطلب الثاني

بعض جوانب العقيدة التي قررها الشيخ من خلال ردوده على البهائية

لقد اهتم الشيخ ــ كما أسلفت ــ بتقرير العقيدة عند بيانه لعقائد المبتدعة ورده عليهم وسوف أبين هنا بعض الجوانب العقدية المهمة التي قرر فيها الشيخ عقيدة السلف من خلال رده على فرقة البهائية.

العقيدة في اليوم الآخر:

لم يتورع البهائيون عن إنكار ما علم من الدين بالضرورة كيوم القيامة وما فيه من تفاصيل ذكرت في الكتاب والسنة؛ بل اعتبروها مخالفة للنواميس الطبيعية والبراهين العلمية القطعية حسب زعمهم.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (من صفات المؤمن الحق أنه يؤمن بالغيب، ومن الغيب يوم القيامة الذي فصل الله وصفه تفصيلاً جلياً، وفصل ما سيحدث فيه، وما سيكون بعده تفصيلاً شافياً هادياً لا يأذن لريبة ما في أن تلم بقدسه المشرق الطهور، فماذا تقول البهائية عن يوم القيامة وأمور الآخرة؟ تقول: "المراد من الأمور المكتومة منذ تأسيس العالم هو رموز الحشر والنشر، ودقائق القيامة والبعث وغيرها من الآيات النازلة في الكتب مما كانت ــ ولم تزل ــ معانيه ومفاهيمه غامضة مستورة مغلقة"[١].

وتحكم البهائية بالجهل وبالكفر على كل من يستمد من القرآن إيمانه بأمور الآخرة، وعلى من يؤمن بها إيمان خاتم المرسلين.

ويتراءى "أبو الرذائل" بنقد الفلاسفة الماديين في جحودهم بأمور الآخرة فيقول: "إنهم وجدوها مباينة تمام المباينة مع مبادئهم العلمية، ومناقضة تمام المناقضة مع أصولهم المؤيدة بالبراهين القطعية؛ فلم يشكوا في أنها كلها أوهام وخيالات".

(١) كتاب الحجج، البهية، للجرفادقاني "بهائي"، نقلاً عن الشيخ (ص ٩٥) .

إنه يؤكد أن أصول الفلسفة المادية أصول ثابتة مؤيدة بالبراهين التي لا تنقض، ومن أجل هذه الأصول التي يزعم أبو الرذائل أنها قطعية البارهين يجب الكفر بأصول القرآن؛ لأنها مخالفة لأصول الفلسفة المادية.

ويقول ــ أي أبو الرذائل ــ: "والقيامة بالمعنى الذي تعتقده وتنتظره الأمم أمر غير معقول؛ إذ هو مخالف للنواميس الطبيعية"(١).

ترى هل أحاط أبو الرذائل علماً بالنواميس الطبيعية، وهو الذي عاش يعبد الخرافة ويؤله الأساطير(٢).

العقيدة في الملائكة:

يكتفي الشيخ بسقوط عقيدة هؤلاء في الملائكة عن الرد عليهم بالتفصيل فيها؛ فهي أوهى من أن تحتاج إلى رد.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ ناقلاً عقيدة هؤلاء في الملائكة: (أما الملائكة: فهم أئمة المهدي، وأئمة الضلال، أما ملائكة النار المذكورون في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾(٣) فهم التسعة عشر رجلاً الذين كفروا بميرزا "حسين علي" واتبعوا أخاه "يحيى" يقول أبو الرذائل: "المراد بملائكة النار هو هذه الرجال من أصحاب الدجال "(٤)والدجال هو يحيى أخو الدجال ميرزا "حسين علي")(٥).

وقد قرر الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ كثيراً من العقائد الأخرى في باب الردود، وسوف أبين كثيراً من ذلك في الباب الخاص بالردود إن شاء الله تعالى، واكتفيت هنا بذكر منهجه في تقرير بعض أبواب العقيدة من خلال ردوده على الفرق المخالفة.

---

(١) الحجج، البهية، للجرفادقاني "بهائي"، نقلاً عن الشيخ (ص٣٠، ١٦٨).

(٢) البهائية، عبد الرحمن الوكيل (ص ٢٥٢ــ٢٥٣).

(٣) (سورة المدَّثر: آية ٣٠).

(٤) إشراقات، لميرزا حسين علي (البهاء)، ٧/ ١٥٦، نقلاً عن الشيخ .

(٥) البهائية، عبد الرحمن الوكيل (ص ٢٥٧).

المبحث الرابع

تركيزه على إبراز جهود أئمة السلف في تقرير العقيدة

ذلك أن الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ كان مهتما ــ كما بينت سابقاً ــ بأقوال أهل العلم من السلف الصالح، وكان كثير الاستدلال بفهمهم، فكان من نتائج ذلك أنه أبرز جهودهم في تقرير العقيدة الصافية.

ولم يهمل الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ أحداً من العلماء المشهود لهم بالخير؛ بل تراه ينوع ذكرهم كل في ميدانه، وعلمه الذي برز فيه.

ومن أهم العلماء الذين اهتم الشيخ رحمه الله تعالى بإبراز جهده ما يلي:

شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

ومن ذا الذي يؤلف في علم من علوم الشريعة أو الفلسفة أو يرد على أهل الأهواء والبدع دون أن يستشهد بكلام شيخ الإسلام، إن من يفعل ذلك يجعل علمه خالياً من الطعم السني الرفيع.

إن تحقيقات شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ فريدة من نوعها، وقل من أهل العلم من يدانيه في استقصائه لأدلة المسائل وسعة علمه وورعه وجهاده في سبيل الله تعالى.

ولذا فلا غرو أن نجد الشيخ / عبد الرحمن الوكيل يبرز جهوده في أبواب العقيدة ويكثر من الاستشهاد بكلامه، والاستفادة من تحقيقاته رحمه الله تعالى؛ فبينهما قواسم مشتركة كثيرة.

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ مبيناً أمانة شيخ الإسلام في النقل، وسعة علمه: (... وابن تيمية على وفرة خصومه، وترصد المئات منهم للنيل منه لم يجرؤ واحد منهم على التشكيك في أمانته العلمية، وها هي كتب ابن تيمية وهي كتب الحديث والتفسير والفقه والأصول والتصوف والكلام والفلسفة والمنطق والتاريخ واللغة والأدب؛

فراجعوا ما نقله ابن تيمية في كتبه عن كتب هذه الفنون، وثمت تتجلى لكم قيمة هذه الأمانة العظيمة التي كان يمتاز بها الإمام الجليل، وخبرته الواسعة الدقيقة بكل فن من فنون الثقافات في عصره.

ومما يوضح القيمة الجليلة لهذه الأمانة، وشمول هذه الخبرة الواسعة أن نذكر أنه لم تكن هناك مطبعة ولا كتب مطبوعة!! ولا أكون مغاليا إذا قلت: إن النقول التي توجد في كتب ابن تيمية يجب أن تجعل مرجعاً من المراجع التي يرجع إليها عند نشر المخطوطات التي نقل عنها ابن تيمية لتحقيقها وتصويبها.

فقلم ابن تيمية، وفكره الثاقب، وفهمه الدقيق، وبصيرته المشرقة، وخبرته الواسعة، وشمول ثقافته وأمانته العظيمة المشهود بها له، كل هذا يجعلنا نثق الثقة المطلقة في دقة النصوص التي توجد في كتبه وفي صحتها حتى فيما ينقل عن فلاسفة الإغريق كأرسطو وإفلاطون!! فما بالك بالثقافة العربية والإسلامية)[1].

هذا عن ثنائه عليه ــ رحمه الله تعالى ــ، وأما استشهاده بكلامه فهو مسطر في ثنايا كتبه ومقالاته رحمه الله تعالى[2].

ابن القيم رحمه الله تعالى:

وهو من العلماء الذين اهتم الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ بإبراز جهودهم، وأكثر من الاستشهاد ببحوثهم وتحقيقاتهم، وكأنه في ذلك يجعله بعد شيخه ابن تيمية، فيكاد يكون ذكرهما متلازماً، ليس عند الشيخ / عبد الرحمن الوكيل وحده؛ بل حتى في كتب أهل العلم؛ فإن من ينقل عن شيخ الإسلام كثيراً ما ينقل عن تلميذه ابن القيم، وإن منهجهما يكاد يكون متطابقاً، ولا عجب في ذلك فالشبل من الأسد.[3].

---

(١) الصفات الإلهية، عبد الرحمن الوكيل (ص ٧٧ــ٧٨).

(٢) ينظر مثلاً : الصفات الإلهية، عبد الرحمن الوكيل، (ص ١١، ٢٢، ١١٦)، وهذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل، (ص ١٧٤، ١٧٦) وغيرها.

(٣) انظر مثلاً : هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٦٣، ١٨٥).

وقد أبرز الشيخ: كما قدمت جهود علماء السلف عموماً، فأثنى على الإمام الحسن السبط ــ رضي الله تعالى ــ وأبرز جهده في وحدة جماعة المسلمين[1] ونقل عن الإمام مالك[2] والمقريزي[3] رحمهم الله تعالى وبين علم كل واحد منهم واتباعه لنهج السلف الصالح.

---

(١) انظر: البهائية، عبد الرحمن الوكيل (ص ٤٧).

(٢) انظر: الصفات الإلهية، عبد الرحمن الوكيل (ص ٢٣).

(٣) انظر: المرجع السابق (ص ١١ــ١٢) والمقريزي هو : الشيخ/ تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر ابن محمد ابن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد، الشيخ الإمام البارع، عمدة المؤرخين، وعين المحدثين، تقي الدين المقريزي، البعلبكي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة.
ولدسنة ٧٦٦هـ، وبرع في مختلف العلوم وخاصة التاريخ والسير، وألف مؤلفات مفيدة ، توفي سنة ٨٤٥هـ. المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي المؤلف: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: ٨٧٤هـ) حققه ووضع حواشيه: دكتور/ محمد محمد أمين تقديم: دكتور/ سعيد عبد الفتاح عاشور الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الفَصْلُ الثَّانِي

جهود الشيخ في بيان التوحيد وأنواعه

المبحث الأول: تعريف التوحيد لغةً واصطلاحاً، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التوحيد لغةً.

المطلب الثاني: التوحيد في الاصطلاح.

المبحث الثاني: أقسام التوحيد، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تقسيم التوحيد إلى نوعين.

المطلب الثاني: تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أنواع.

المبحث الثالث: جهود الشيخ في بيان أهمية التوحيد، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهمية التوحيد عند السلف الصالح.

المطلب الثاني: بيان الشيخ/ عبد الرحمن الوكيل لأهمية التوحيد.

المبحث الرابع: جهود الشيخ في بيان توحيد الربوبية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف توحيد الربوبية لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: جهود الشيخ / عبد الرحمن الوكيل ـ رحمه الله تعالى ـ في بيان توحيد الربوبية.

المبحث الخامس: جهوده في بيان توحيد الأسماء والصفات، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف توحيد الأسماء والصفات.

المطلب الثاني: معتقد السلف في باب الأسماء والصفات

المطلب الثالث: موافقة الشيخ/ عبد الرحمن الوكيل لمعتقد السلف في باب الأسماء والصفات.

المطلب الرابع: الأسماء والصفات التي تناولها الشيخ رحمه الله تعالى.

المطلب الخامس: موقف الشيخ من الانحرافات في باب الأسماء والصفات.

المبحث السادس: جهوده في بيان توحيد الألوهية، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف توحيد الألوهية.

المطلب الثاني: جهوده في بيان منزلة توحيد الألوهية بين أنواع التوحيد.

المطلب الثالث :جهود الشيخ في بيان ما يتحقق به توحيد الألوهية.

المطلب الرابع: جهود الشيخ في بيان جوانب من توحيد الألوهية.

المبحث السابع: جهوده في بيان دلائل توحيد الربوبية والألوهية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الدلائل.

المطلب الثاني: بيان الشيخ لهذه الوسائل.

المبحث الأول

تعريف التوحيد لغةً واصطلاحاً

المطلب الأول: التوحيد لغةً [١]

التوحيد لغة مصدر من باب التفعيل من مادة "وحد".

فالفعل وَحُدَ كعَلِمَ وكَرُمَ يَحِد فيهما وَحَادَةً ووُحودَةً ووُحوداً ووَحْداً ووُحْدَةً وحِدَةً: بَقِيَ مُفْرَداً كتَوَحَّدَ.

وأوحدت المرأة ولدت واحداً، ويقال: أوحدت الشاة وضعت واحداً فهي موحد وبابنها ولدته وحيداً فريداً لا نظير له، والله فلاناً جعله واحداً في زمانه، والشيء أفرده، ويقال: أوحد الناس فلاناً: تركوه وحده.

ووَحَّدَهُ تَوْحِيداً: جَعَلَهُ واحِداً ويَطَّرِدُ إلى العَشَرَةِ. ورجلٌ وحَدٌ وأحَد محركتينِ ووحِدٌ ووحيدٌ ومُتَوَحِّدٌ: مُنْفَرِدٌ وهي وَحِدَةٌ[٢].

واتحد: انفرد، والشيئان أو الأشياء: صارت شيئاً واحداً.

وتوحد فلان: بقي مفرداً، وبرأيه: تفرد به.

واستوحد: انفرد [٣].

والأحد: أصله وحـــد ويقع على الذكر والأنثى، ويكون مرادفاً لواحد في موضعين سماعاً:

---

(١) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية، (ج٢، ص ١٠١٦). تاج العروس من جواهر القاموس (ج٩، ص ٢٦٦). القاموس المحيط (ج١، ص ٤١٤).

(٢) القاموس المحيط، للفيروزآبادي (ج١، ص ٤١٤).

(٣) المعجم الوسيط (ج٢، ص ١٠١٦).

أحدهما: وصف اسم الباري تعالى فيقال هو الواحد وهو الأحد لاختصاصه بالأحدية فلا يشاركه فيها غيره، ولهذا لا ينعت به غير الله تعالى؛ فلا يقال رجل أحد، ولا درهم أحد ونحو ذلك.

الثاني: أسماء العدد للغلبة وكثرة الاستعمال؛ فيقال: أحد وعشرون، وواحد وعشرون[١].

وقال الكسائي[٢]: ما أنت من الأحد، أي من الناس، وأنشد:

وليس يطلبني في أمر غانية إلا كعمرو وما عمرو من الأحد[٣].

ومما سبق يتضح أن كلمة التوحيد في اللغة العربية مشتقة من لفظة "وحد"، وفروع هذه الكلمة تدور في الأساس على معنيين:

أ – الانفراد.

ب – انقطاع المثل والنظير.

يقول الخليل بن أحمد[٤]: (الوَحَدْ المنفرد رجل وَحَدٌ وثور وَحَدُ وتفسير الرجل الوَحِد الذي لا يعرف له أصل... ووَحَدَ الشيءُ فهو يَحِدُ حِدَةً وكل شيء على حدة بائنٌ من آخر. يقال: ذلك على حِدَته وهما على حِدَتِهما وهم على حِدَتهم والرّجلُ الوحيد ذو الوَحْدَة وهو المنفرد لا أنيس معه وقد وَحُدَ يوْحُدُ وحَادَةً وَوَحْدَةً ووَحَداً)[٥].

---

(١) المعجم الوسيط (ج٢، ص١٠١٦).

(٢) الكسائي: هو : علي بن حمزة بن عبد الله الاسدي، الكوفي، المعروف بالكسائي (أبو الحسن) مقرئ، مجود، لغوي، نحوي، شاعر. توفي سنة ١٨٠هـ. معجم المؤلفين (ج٧، ص ٨٤).

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي (ج٩، ص ٢٧٤) .

(٤) هو : الإمام فقيه اللغة العربية ، ومنشئ علم العروض ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري أحد الأعلام ، وكان رأساً في لسان العرب، ديناً ورعاً قانعاً متواضعاً كبير الشأن ، يقال إنه دعا الله أن يرزقه علماً لا يسبق إليه ففتح له بالعروض ، وله كتاب العين في اللغة ، ولد سنة مائة، ومات سنة خمس وسبعين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٢٩/٧ ــ٤٣٠، كشف الظنون لحاجي خليفة ، بيروت ، ١٤٠٢هـ (ج٢، ص١٤٤١).

(٥) كتاب العين ، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ت : د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي الناشر : دار ومكتبة الهلال (ج٣، ص ٢٨٠) "بحذف يسير".

وفي معنى الانفــراد وعدم المثيل يقــول ابن فارس: (الــواو والحاء والدال: أصلٌ واحد يدلُّ على الانفــراد. من ذلك الوَحْدَة وهو وَاحدُ قبيلته، إذا لم يكنْ فيهم مثلُه قال:

يـــا واحـــدَ العُــــرْبِ الـــذي ... مـــا في الأنـــامِ لـــه نَظِـــير)[١]

وفي الصحاح للجوهري: (وفلان واحد دهره، أي لا نظير له. وفلان لا واحد له. وأوحده الله: جعله واحد زمانه. وفلان أوحد أهل زمانه، والجمع أحدان، مثل أسود وسودان، وأصله وحدان. قال الشاعر:

فبــاكره والــشمس لم يبــد قرنهــا ... بأحدانـــه المـــستولغات المكلـــب

يعنى كلابه التى لا مثلها كلاب، أي هي واحدة الكلاب. ويقال: لست في هذا الامر بأوحد، ولا يقال للأنثى وحداء)[٢].

وفي لسان العرب: (الواحدُ أَول عدد الحساب وقد ثُنِّيَ أَنشـــد ابن الأَعرابي فلما التَقَيْنا واحِدَيْنِ عَلَوْتُه بِذي الكَفِّ إِني للكُماةِ ضَرُوبُ وجمع بالواو والنون قال الكميت فَقَدْ رَجَعُوا كَحَيٍّ واحِدِينا)[٣].

---

(١) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء ، ت : السلام هارون، دار الجيل ، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـــ، (ج٦، ص٩٠) والبيـــت قيل لبشار بن برد : انظر : الأغاني لأبي الفـــرج الأصفهاني، ت : سمير جابر، دار الفكر ، بيروت، الطبعة الثانية (ج٣، ص ١٧٢) .

(٢) الصحاح للجوهري (ج٣، ص١١٠).

(٣) لسان العرب محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى (ج٣، ص٤٤٦) ولم أجد الشطر الآخر للبيت الذي استدل به على جمع الواحد بالواو والنون.

المطلب الثاني: التوحيد في الاصطلاح

لقد اختلفت الفرق "الإسلامية" في تحديد ماهية التوحيد وتعريفه تعريفاً دقيقاً بمعنى الحد، وربما كان منشأ ذلك من اللغة نفسها.

فعلماء اللغة وإن كانوا متفقين على أصل الاشتقاق لكلمة التوحيد، فإنهم مختلفون في إطلاقاتها، وزاد بعض متأخريهم وصفاً زائد للواحد الذي هو أصل اشتقاق التوحيد، فزاد الطين بلة حين قال في تعريف الواحد: هو الذي لا يتجزأ ولا يثنى ولا يقبل الانقسام ولا نظير له ولا مثل(١).

قلت: ويؤيد القول بأن الواحد منقسم عند أهل اللغة ما ذكره الجوهري حين قال: المِيحادُ مِنَ الواحِدِ كالمِعْشارِ من العَشَرَةِ(٢).

لكن رد عليه الفيروزآبادي(٣) فقال: (وزَلَّتْ قَدَمُ الجوهريِّ فقالَ: الميحادُ مِنَ الواحد كالمِعْشارِ من العَشَرَةِ لأنه إنْ أرادَ الاشْتقاقَ فما أقَلَّ جَدْواهُ وإنْ أرادَ أنَّ المِعْشارَ عَشَرَةٌ عَشَرَةٌ كما أنَّ الميحادَ فَرْدٌ فَرْدٌ فَغَلَطٌ لأَنَّ المِعْشارَ والعُشْرَ واحِدٌ منَ العَشَرَةِ ولا يقالُ في المِيحادِ واحِدٌ مِنَ الواحِدِ) (٤).

لكن يرد على الفيروزآبادي أن عامة أهل اللغة يطلقون الميحاد على أنه جزء كالمعشار هكذا يعبرون بكاف التشبيه والتسوية بينهما(٥).

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، ت: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي: المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م (ج٥، ص٣٤٥) ولسان العرب (ج٣، ص ٤٤٦).

(٢) الصحاح للجوهري (ج٣، ص ١١٠).

(٣) الفيروز آبادي هو : محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن إدريس بن فضل الله الشيرازي الفيروزابادي ولد في سنة تسع وعشرين توفي بزبيد في شوال سنة سبع عشرة وثمانمائة. انظر : الأعلام ، للزركلي (ج٧، ص ١٤٦) .

(٤) القاموس المحيط، للفيروزآبادي (ج١، ص ٤١٤).

(٥) راجع على سبيل المثال : المحكم والمحيط الأعظم ، لابن سيده المرسي (ج٢، ص ٨٧) وتهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، ت: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث ، بيروت، الطبعة الأولى ، (ج٥، ص١٢٥) وأوضح فيه الأزهري العبارة حيث قال: (والمِيحَادُ كالمِعْشَارِ ، وهو جُزْءٌ واحدٌ كما أن المِعْشَارَ عُشْرٌ) وبنفس العبارة عبر الخليل في كتاب العين (ج٣، ص ٢٨٢) وكذا ابن منظور في لسان العرب (ج٣، ص ٤٤٦).

وربما كان سبب ذكر بعض أهل اللغة تعريف الواحد بأنه لا يقبل الانقسام تأثر بعضهم بعلم الكلام؛ فأدخل في اللغة ما ليس منها[(١)].

ولهذا السبب لا تجد هذا التعريف في كتب تفسير القرآن الكريم أو شروح السنة النبوية الشريفة؛ ولم أجد له ذكرا عند علماء اللغة المتقدمين كالخليل بن أحمد، والأزهري، وابن دريد، وغيرهم[(٢)].

وقد يعترض على هذا التعريف بأن الواحد يقبل الانقسام كما هو معروف مما يدل على بطلان هذا المعنى.

لكن الصحيح أن الانقسام في عرفهم ليس معناه الانقسام المعروف بمعنى التفرقة إلى أبعاض.

يقول شيخ الإسلام: (لكن كثيراً ممن يفسر الواحد بعدم التجزي يريد بذلك ما يعرفه الناس من معنى التجزي وهو انفصال جزء عن الآخر كما يعنون بلفظ المنقسم انفصال قسم من قسم وليس هذا فقط هو المعنى الذي يريده نفاة الجسم بقولهم ليس بمنقسم ولا متجزئ فإن هذا المعنى لا يشترطون فيه وجود الانفصال ولا إمكان وجوده...)[(٣)].

وبعيداً عن الغوص في تلك الخلافات الكلامية الفلسفية سوف أبين هنا تعريف التوحيد عند أهل السنة والأشاعرة باعتبارهما أهم فرقتين موجودتين في عهد الشيخ لأن الدراسة خاصة وليست عامة.

---

(١) الفتاوى الكبرى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس: ت: حسنين محمد مخلوف ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى (ج٦، ص٥٤٨) وبغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ، أحمد ابن عبد الحليم بن تيمية الحراني ت: د. موسى سليمان الدويش ، مكتبة العلوم والحكم الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ (ج٢، ص٨٩).

(٢) راجع : تهذيب اللغة، للأزهري (ج٥، ص ١٢٥).

(٣) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني، ت: محمد عبد الرحمن ابن قاسم ، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ (ج١، ص٤٧١).

أولاً: التوحيد عند الأشاعرة[١]:

يعرف الأشاعرة التوحيد بأنه اعتقاد أن الله واحد في ذاته وصفاته وأفعاله.

ويقصدون بقولهم إنه واحد في ذاتــه أنه ليس مركبــاً ولا مبعضاً وليس اثنين ولا ثلاثة، وهو واحد في ذاته، واحد في أسمائه، واحد في صفاته، واحد في أفعاله.

وبمعنى آخر نفي التثنية والتعدد في الذات، ونفي التبعيض والتركيب والتجزئة، وربما عبروا عنه بنفي الكمية المتصلة والمنفصلة.

ويوضحون ذلك المعنى بقولهم: إن الله واحد في ذاته لا قسيم له، واحد في صفاته لا شبيه له، واحد في أفعاله لا شريك له[٢].

ولا إله عندهم معناها لا خالق إلا الله، ويفسرون الألوهية بأنها القدرة على الاختراع.

وبسبب ذلك تراهم يفسرون الإله بأنه الخالق أو القادر على الاختراع[٣].

يقول الجويني: (الباري سبحانه وتعالى واحد، والواحد في اصطلاح الأصوليين: الشيء الذي لا ينقسم ... والرب سبحانه وتعالى موجود فرد متقدس عن قبول التبعيض والانقسام)[٤].

ويقول الشهرستاني: (الباري تعالى واحــد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له)[٥].

---

(١) تقدم تعريفهم (ص٧١).

(٢) انظر : مجرد مقالات الأشعري لابن فورك، ت: دانيال جمارية، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م (ص٥٥٠)، والاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث ، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ت: أحمد أبو العينين ، دار الفضيلة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ (ص ٥٥) والإرشاد للجويني ، ت : د. محمد يوسف موسى ، علي عبد المنعم عبد الحميد ، مكتبة الخافجي ، مصر ، (ص ٥٢).

(٣) انظر : أصول الدين ، لأبي منصور عبد القاهر البغدادي ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٣٤٦هـ ، (ص ١٢٣) والملل والنحل ، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، ت : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٤هـ (ج ١، ص٧٩) ، ومجرد مقالات الأشعري لابن فورك (ص ٤٧).

(٤) الإرشاد، للجويني (ص ٥٢).

(٥) نهاية الإقدام في علم الكلام ، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، ت : ألفرد جيوم ، مكتبة المتنبئ ، القاهرة ، (ص٩٠).

وبسبب هذا التعريف القاصر تجدهم ينكرون كثيراً من الصفات ويؤولون الآخر.

ولهم قاعدة مشهورة في رد نصوص الكتاب والسنة فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته وغيرها، وقد عبر عنها المقري[١] بقوله:

واللفـظ إن أوهـم غـير اللائـق ... بـالله كالتـشبيه بـالخلائق

فاصـرفه عـن ظـاهره إجماعـاً ... واقطـع عـن الممتنـع الأطماعـا

قال الإمام الشنقيطي[٢] معلقاً على البيتين الماضيين: (وهذه الدعوى الباطلة، من أعظم الافتراء على آيات الله تعالى، وأحاديث رسوله ﷺ والواقع في نفس الأمر أن ظواهر آيات الصفات وأحاديثها المتبادرة منها، لكل مسلم راجع عقله، هي مخالفة صفات الله لصفات خلقه)[٣].

ومنشأ تأويل كثير من الصفات ورد بعض النصوص عند الأشاعرة هو الاعتماد على قواعد كلامية لها أصول فلسفية، وجعل العقل أساساً للتوحيد بجميع فروعه، وترك النقل أو رميه وراء العقل عند التعارض؛ بل حتى عند ظن التعارض وإن لم يكن على سبيل الحقيقة.

---

(١) المقري هو : أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى، أبو العباس المقري التلمساني ولد سنة ٩٩٢هـ، وتبحر في مختلف العلوم ، وألف كتباً مفيدة ، توفي في مصر وقيل في الشام سنة ١٠٤١هـ. الأعلام للزركلي (ج١، ص٢٣٧).

(٢) هو : الإمام العلامة محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ثم المدني . (١٣٠٥ـ ١٣٩٣هـ) ، درس القرآن وعلومه ، والعربية وفنونها ، والفقه ومسائله وأصوله في بلاده موريتانيا ، ثم قدم إلى الحج فكتب الله له المقام بالمدينة فسكنها فدرس في المسجد النبوي وأفاد ، واخذ عنه كبار علماء المملكة وخلائق لا يحصون . من تصانيفه : أضواء البيان في تفسير القرآن . ومذكرة في أصول الفقه ، وآداب البحث والمناظرة وغيرها . انظر : ترجمته في أضواء البيان ، وانظر : الأعلام ، (ج٦، ص ٤٥).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي (ج٧، ص ٢٧٠).

وكل عبارات الأشاعرة تدور حول إثبات ربوبية الله ﷻ وحده دون توحيد الألوهية، والأسماء والصفات [(١)].

ومن المعلوم لدى كل مسلم؛ بل وكل عاقل أن هذا الذي يسميه الأشاعرة توحيداً قاصرين له على توحيد الربوبية في بعض جزئياته أنه ليس توحيداً كاملاً بل هو ناقص؛ فالواجب تكميله بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له والتقرب إليه وحده، وصرف جميع أنواع العبادة له وحده لا شريك له كما قال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [(٢)] وكذا إفراده بأسمائه وصفاته على الوجه اللائق به من دون تحريف أو تكييف أو تعطيل.

وبهذا يتضح فساد تعريف الأشاعرة للتوحيد وغلطهم فيه.

ثانياً: التوحيد عند أهل السنة والجماعة:

لقد عرف علماء أهل السنة التوحيد تعريفات كثيرة في تعددها، متباينة في ألفاظها وحروفها ولكن مصبها جميعاً ومعناها واحد.

فقد عرفه حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس ــ رضي الله تعالى عنهما ــ فقال في معنى قوله ــ تعالى ــ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴿٢١﴾﴾ [(٣)] قال: "وحدوه [(٤)].

---

(١) نهاية الإقدام، للشهرستاني، (ص ٩٠)، الإرشاد، للجويني (ص ٥٢).

(٢) (سورة الأنعام: آية ١٦٢ــ ١٦٣).

(٣) (سورة البقرة: آية ٢١).

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن ، أبو جعفر الطبري ، ت : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هــ/٢٠٠٠م ، (ج١، ص٣٦٣).

وفسر ــ رضي الله تعالى عنه ــ قوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ ﴿٣٩﴾﴾ [١] بقوله: يخلص التوحيد لله ﷻ"[٢] بل إنه ــ رضي الله تعالى عنه ــ قال: "كل عبادة في القرآن فهو التوحيد"[٣].

فالدين عند ابن عباس ــ رضي الله تعالى عنهما ــ هو التوحيد، وناهيك بابن عباس من صحابي جليل مكانته في العلم وفهم كتاب الله تعالى معروفة محفوظة لا ينكرها إلا جاهل أو مكابر أو غاش لنفسه وأمته.

وكذلك قول جابر بن عبد الله ــ رضي الله تعالى عنهما ــ حيث قال في حديثه في الحج: (**فأهل بالتوحيد لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك**)[٤].

ففهم جابر أن إفراد الله تعالى بالعبادة والحمد والنعمة والملك هو التوحيد.

ويقول الإمام الطبري[٥]ــ رحمه الله تعالى ــ في تفسير قول الله تعالى: ﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [٦] قال: (أي نخلص له العبادة، ونوحد له الربوبية،

---

(١) (سورة الأنفال: آية ٣٩).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي ، الحنظلي ، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هــ) المحقق: أسعد محمد الطيب الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز ، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة ، ١٤١٩هــ (ج٧، ص٩١) تفسير ابن كثير (ج٢، ص ٣٧٧).

(٣) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص الدمشقي (ج١٩، ص ٢٠٢) والجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القرطبي ، ت : أحمد البردوني ، وإبراهيم أطيفش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٤هــ/١٩٦٤م (ج١٨، ص ١٩٣).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ ، حديث رقم ٣٠٠٩ (ج٤، ص ٣٩).

(٥) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، المؤرخ المفسر الإمام، ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد، وتوفي بها سنة ٣١٠ للهجرة، من كتبه: " أخبار الرسل والملوك "، وتفسيره "جامع البيان". انظر: شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٢/٢٦٠،المؤلف: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هــ) حققه: محمود الأرناؤوط خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هــ/ ١٩٨٦م الأعلام (ج٦، ٦٩).

(٦) (سورة البقرة: آية ١٣٣).

فلا نشرك به شيئاً، ولا نتخذ دونه رباً ويعني بقوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾[(١)] ، ونحن له خاضعون بالعبودية والطاعة)[(٢)].

وعرف شيخ الاسلام ابن تيمية التوحيد بألفاظ عديدة فقال مرة: هو (عبادة الله وحده لا شريك له)[(٣)].

وعرفه في موضع آخر فقال: (وأما التوحيد الذي ذكره الله في كتابه وأنزل به كتبه وبعث به رسله واتفق عليه المسلمـــون من كل ملة فهو كما قال الأئمة شهادة أن لا إله إلا الله وهو عبادة الله وحده لا شريك له كما بين ذلك بقوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾[(٤)] فأخبر أن الإله إله واحد لا يجوز أن يتخذ إله غيره فلا يعبد إلا إياه كما قال في السورة الأخرى: ﴿۞ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٥١﴾﴾[(٥)] ، وكما قال ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾[(٦)] إلى قوله: ﴿فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾[(٧)] وكما قال: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا

---

(١) (سورة البقرة: آية ١٣٣).

(٢) تفسير الطبري (ج٣، ص ٩٩).

(٣) النبوات ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، ت : عبد العزيز بن صالح الطويان ، أضواء السلف ، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م ، (ج١١، ص ١٤) والرسالة التدمرية ، لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م (ج٢ ، ص١١٠).

(٤) (سورة البقرة: آية ١٦٣).

(٥) (سورة النحل: آية ٥١).

(٦) (سورة الإسراء: آية ٢٢).

(٧) (سورة الإسراء: آية ٣٩).

نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾[١] وكما قال: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴿٦٨﴾ ﴾[٢])[٣].

ويقول عن توحيد الرسل ــ عليهم الصلاة والسلام ــ (والتوحيد الذي جاء به الرسول لم يتضمن شيئاً من هذا النفي وإنما تضمن إثبات الإلهية لله وحده بأن يشهد أن لا إله إلا هو ولا يعبد إلا إياه ولا يتوكل إلا عليه ولا يوالي إلا له ولا يعادي إلا فيه ولا يعمل إلا لأجله وذلك يتضمن إثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات)[٤].

ولا شك أن التوحيد الذي جاء به الرسل ــ عليهم الصلاة والسلام ــ هو نفسه التوحيد الذي نادى به أهل السنة والجماعة وأهل الحق عموماً من نزول آدم إلى يوم النشور.

ويعرف الإمام ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ التوحيد بقوله: (توحيد الرسل إثبات صفات الكمال لله على وجه التفصيل وعبادته وحده لا شريك له فلا يجعل له ندا في قصد ولا حب ولا خوف ولا رجاء ولا حلف ولا نذر بل يرفع العبد الأنداد له من قلبه وقصده ولسانه وعبادته كما أنها معدومة في نفس الأمر لا وجود لها البتة فلا يجعل لها وجوداً في قلبه ولسانه)[٥].

وإن كان الأشاعرة ــ كما تقدم ــ ركزوا على توحيد الربوبية ولم يعتنوا بنوعي التوحيد الآخرين ــ على الأقل عند تعريفهم للتوحيد ــ فإن علماء أهل السنة كما ترى

---

(١) (سورة الزُّمَر: آية ١ــ٣).

(٢) (سورة الفرقان: آية ٦٨).

(٣) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية (ج٦، ص ٥٥٩).

(٤) درء تعارض العقل والنقل أو موافقة المنقول لصريح المعقول ، تقي الدين أحمد بن تيمية ، ت : عبد اللطيف عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٧هــ (ج١، ص ١٢٩).

(٥) الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة ، لابن قيم الجوزي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٥هــ/ ١٩٧٥م ، (ج١، ص٢٦١).

قد اعتنوا بأنواع التوحيد الثلاثة وإن اهتموا في بعض كتبهم بتوحيد الله بالعبادة والألوهية؛ فيمكن إرجاع ذلك لسببين اثنين:

أ – أنه يتضمن إثبات نوعي التوحيد الآخرين أعني توحيد الله في أسمائه وصفاته وتوحيده في ربوبيته.

ب – أن العبادة هي الغاية من خلق الإنس والجن، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [1].

فمن وحد الله تعالى بأسمائه وصفاته وربوبيته ولم يعبده لم يكن موحداً على الحقيقة، ولم يأت بالغاية التي من أجلها خلق، ومن عبده وألحد في أسمائه وصفاته لم يكن موحداً أيضاً.

ولا شك أن أنواع التوحيد الثلاثة مطلوب من المسلم تحقيقها والإقرار بها، وليس فيها واحد يغني عن الآخر، وتحقيق التوحيد المطلوب شرعاً من المسلم يستلزم تحقيقها جميعاً.

ومما سبق نخلص إلى أنه ومن خلال التعاريف السابقة لأئمة أهل السنة والجماعة، يمكن تلخيص وصياغة تعريف التوحيد عندهم بأنه: شهادة أن لا إله إلا الله وحده دون شريك له في العبادة أو الربوبية أو الأسماء والصفات. والله تعالى أعلم وأحكم.

---

(١) (سورة الذاريات: آية ٥٦).

المبحث الثاني

أقسام التوحيد

لقد اهتم علماء الأمة ــ رحمهم الله تعالى ــ بتبيين الدين للناس وتوضيحه وتبسيط ما صعب منه على العوام حتى يكون في متناولهم وتدركه عقولهم، وإن من أهم ما اعتنى به السلف الصالح هو توحيد الله تعالى وإيضاحه للناس حتى يعتقدوه، ويؤمنوا به، فألفوا فيه الكتب ونظموا فيه القصائد، وألقوا فيه الدروس، وناظروا من أجله مناظرات عديدة.

وإن المتتبع لكتب السلف الصالح عند كلامهم على التوحيد؛ يجدهم سلكوا في تقسيمه مسلكين أتعرض لهما في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: تقسيم التوحيد إلى نوعين

وهذا هو الذي درج عليه كثير من علماء السلف عند ذكرهم لأنواع التوحيد، وهو الذي استخلصوه من تدبرهم لآيات القرآن الكريم التي تعالج مسألة التوحيد، وأحاديث رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ التي بين فيها توحيد الله تعالى المطلوب من المسلمين تحقيقه.

ويشير الإمام الطبري إلى هذين النوعين فيقول: ("إلهاً واحداً"، أي نخلص له العبادة، ونوحد له الربوبية، فلا نشرك به شيئاً، ولا نتخذ دونه رباً)[1].

وقد عبر علماء السلف عن هذين النوعين بصيغ مختلفة فتارة يسمونهما: التوحيد القولي العلمي، والتوحيد العملي الإرادي.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ: (التوحيد الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب هو توحيد الإلهية، وهو أن يعبد الله وحده لا شريك له، وهو متضمن لشيئين:

---

(١) تفسير الطبري (ج٣، ص٩٩).

أحدهما: القول العلمي، وهو إثبات صفات الكمال له، وتتريهه عن النقائص، وتتريهه عن أن يماثله أحد في شيء من صفاته، فلا يوصف بنقص بحال، ولا يماثله أحد في شيء من الكمال كما قال تعالى : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [(١)] فالصمدية تثبت له الكمال والأحدية تنفي مماثلة شيء لـه في ذلك والتوحيد العملـي الإرادي أن لا يعبد إلا إياه، فلا يدعو إلا إياه ولا يتوكل إلا عليه ولا يخاف إلا إياه، ولا يرجو إلا إياه، ويكون الدين كله لله. وهذا التوحيـد يتضمن أن الله خالق كل شـيء وربه ومليكه، لا شريك له في الملك)[(٢)].

فبين ــ رحمه الله تعالى ــ أن نوعي التوحيد هما:

أ ــ التوحيد القولي العلمي.

ب ــ التوحيد العملي الإرادي.

وتبعه تلميذه الإمام ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ فقال: (التوحيد نوعان: نوع في العلم والاعتقاد، ونوع في الإرادة والقصد، ويسمى الأول: التوحيد العلمي. والثاني: التوحيد القصدي الإرادي. لتعلق الأول بالأخبار والمعرفة، والثاني بالقصد والإرادة)[(٣)]. وتارة يعبرون عن نوعي التوحيد بتوحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ: (المقصود هنا بيان حال العبد المحض لله الذي يعبده ويستعينه، فيعمل له ويستعينه ويحقق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [(٤)] توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية)[(٥)].

---

(١) (سورة الإخلاص).

(٢) الصفدية ، تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن تيميـة الحراني ، ت : محمد رشاد سالم ، مكتبة ابن تيمية ، مصر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ (ج٢، ص٢٢٨) بحذف يسير.

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، لابن قيم الجوزي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م (ج١، ص٢٥).

(٤) (سورة الفاتحة: آية ٥).

(٥) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية (ج٥، ص ٢٤٩).

ولا ريب أن أنواع التوحيد مستلزمة لبعضها البعض فتوحيد الإلهية يتضمن الربوبية والربوبية تستلزم الإلهية.

ويقول الإمام ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾[١] (وقد اشتملت هذه الكلمة على نوعي التوحيد وهما: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية)[٢].

وربما عبروا عن نوعي التوحيد المذكورين بتوحيد الإثبات والمعرفة، وتوحيد القصد والطلب.

يقول الإمام ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ مبيناً. نوعي التوحيد: (وأما التوحيد الذي دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب فهو نوعان توحيد في المعرفة والإثبات وتوحيد في الطلب والقصد).[٣]

ويقصد ــ رحمه الله تعالى ــ بتوحيد الإثبات والمعرفة أن يعرف المسلم ربه بإثبات أسمائه وصفاته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف.

ومقصوده بتوحيد الطلب والقصد إفراد الله تعالى بأنواع العبادة، فلا يقصد ولا يطلب ولا يرجى ولا يتوكل عليه إلا هو سبحانه.

---

(١) (سورة الفاتحة: آية ٥).

(٢) الصلاة وحكم تاركها وسياق صلاة النبي ﷺ من حين كان يكبر إلى أن يفرغ منها، لابن قيم الجوزي، ت: بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م (ج١، ص٢٠٥).

(٣) شرح القصيدة النونية المسمى: توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن عيسى، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ، تحقيق: زهير الشاويش (ج٢، ص٢٥٩).

المطلب الثاني: تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أنواع

إن تقسيم التوحيد عند أهل السنة والجماعة إلى النوعين السابقين كان يخفي داخل طياته ذكر النوع الثالث، وربما أبرزه بعضهم عند ذكر النوعين المتقدمين إما تلميحاً وإما تصريحاً.

قال الإمام أبو يوسف[١] ــ رحمه الله تعالى ــ ملمحاً للأنواع الثلاثة:(لم يقل الله تعالى: انظر كيف أنا العالم، وكيف أنا القادر وكيف أنا الخالق ولكن قال: انظر كيف خلقت، ثم قال: ﴿خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ﴿٧٠﴾﴾[٢] وقال: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾[٣] أي تعلم أن هذه الأشياء لها رب يقلبها ويبدئها وأنه مكون ذلك.. وإنما دل الله خلقه بخلقه ليعرفوا أن لهم رباً يعبدوه، ويطيعوه، ويوحدوه وليعلموا أنه مكونهم لا هم كانوا، ثم سمى فقال: أنا الرحمن وأنا الرحيم، وأنا الخالق، وأنا القادر، وأنا المالك، أي هذا الذي كونكم يسمى المالك، القادر، الله)[٤].

فمن خلال كلامه ــ رحمه الله تعالى ــ يتبين أنه يقصد الأنواع الثلاثة وإن لم يسمها بأسمائها الاصطلاحية.

وصرح الإمام ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ بتقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام فقال: (فصل في اشتمال هذه السورة على أنواع التوحيد الثلاثة، التي اتفق عليها الرسل ــ صلوات الله وسلامه عليهم ــ التوحيد نوعان: نوع في العلم والاعتقاد، ونوع في الإرادة والقصد ويسمى الأول التوحيد العلمي والثاني التوحيد القصدي الإرادي؛

---

(١) هو : يعقوب بن إبراهيم الأنصاري الكوفي الإمام المجتهد المحدث، كبير القضاة، صحب أبا حنيفة سبع عشرة سنة، وتفقه عليه، وهو أنبل تلامذته وأعلمهم توفي سنة ١٨٢هجرية. انظر: سير أعلام النبلاء (ج٨، ص٥٣٥ ــ ٥٣٩).

(٢) (سورة النحل: آية ٧٠).

(٣) (سورة الذاريات: آية ٢١).

(٤) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة ، أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني ، ت : محمد بن ربيع المدخلي ، دار الراية ، الرياض ، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م (ج١، ص ١٢٣).

لتعلق الأول بالأخبار والمعرفة والثاني بالقصد والإرادة، وهذا الثاني أيضا نوعان: توحيد في الربوبية، وتوحيد في الإلهية فهذه ثلاثة أنواع)[١].

ويقول العلامة / عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ[٢] ــ رحمه الله تعالى ــ: (... وأما توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الأفعال، فهو توحيد العلم والاعتقاد وأكثر الأمم قد أقروا به لله وأما توحيد الإلهية فأكثرهم قد جحدوه)[٣].

وقد كان الشيخ / عبد الرحمن الوكيل من العلماء الذين قسموا التوحيد إلى قسمين؛ فجعلوا توحيد الأسماء والصفات داخلا في توحيد الربوبية.

يقول عليه ــ رحمه الله تعالى ــ: (والتوحيد نوعان: توحيد الله في الربوبية، وتوحيد الله في الألوهية، وهما دين الإسلام، يهديك إلى حقيقة النوع الأول سورة الإخلاص، وإلى الثاني سورة الكافرون، ولابد في توحيد الربوبية من أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله إثباتاً ونفياً؛ فيثبت المؤمن الموحد لله ما أثبته سبحانه لنفسه، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه بلا تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل ولا بد في توحيد الألوهية من أمرين: أن يعبد الله وحده لا شريك له وأن لا يعبد سبحانه إلا بما شرعه في صدق الخشية وطهر التقوى والاقتداء الخالص)[٤].

وربما أفرد توحيد الأسماء والصفات عن توحيد الربوبية مبيناً له وموضحا المنهج الحق الذي ينبغي اتباعه فيه، والمسلك المعتدل في اعتقاده، وطريق السلف الصالح في

---

(١) مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية (ج١، ص ٢٤).

(٢) هو: الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، ولد سنة (١١٩٣هـ) في بلدة الدرعية وبرع في كل العلوم ، وتعلم على يديه خلق كثير توفي سنة (١٢٨٥هـ) وله عدة ردود على ابن جرجيس وعثمان ابن منصور وعلى عبد الحميد الكشميري، وشرح كتاب التوحيد، لجده/ محمد بن عبد الوهاب إلى غير ذلك من الرسائل والشروح. انظر: مشاهير علماء نجد ، تأليف: عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٢هـ (ج٥٨، ص٦٤).

(٣) التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين، عبد الرحمن بن حسن بن محمد ابن عبد الوهاب (ج١، ص ٨) .

(٤) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٥).

فهمهم لآياته وأحاديثه، مؤمنين بكل ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ـــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـــ ، مسلمين في الكيفية التي لا تدرك بالعقول، ولا ترى بالأبصار، ولا تحيط بها القوى المختلفة للمخلوق؛ إذ كيف يحيط المخلوق بالخالق.

يقول ـــ رحمه الله تعالى ـــ مبيناً هذا المعنى في أوجز عبارة وأتمها وأفصحها يقول:

(وهكذا نرى إمام دار الهجرة[١]، وأستاذه الجليل[٢]يؤكدان أن معنى الاستواء معلوم، أما "كيفية" استواء الله على عرشه، فهي المجهولة هذا، وإلا اتهمنا سلف هذه الأمة البررة الأخيار بأنهم كانوا لا يؤمنون في الأسماء والصفات الإلهية إلا بألفاظ خربة خاوية لا معنى لها، ولا دلالة!! وقلنا بأن صفات الله وأسماءه ما هي إلا ألفاظ خالية من كل مدلول أو مفهوم، فلا تثير في قلب العابد إلا الشعور بالعدم، والقلق العميق السحيق. ولا تتصل بالفكر إلا اتصال الرموز المبهمة والألغاز المحيرة، والأحجيات[٣] والطلسمات[٤] المقنعة بالغموض والإبهام!! أو بأنه سبحانه أبى لنا إلا الضلالة الأبدية والحيرة السرمدية، والتناحر المدمر حول أسمائه وصفاته!!.وكيف نجرؤ على اتهام الله سبحانه بهذا، وبأنه يوجب علينا الإيمان بأن أسماءه وصفاته ألفاظ لا معنى لها، أو يوجب

---

(١) يقصد بإمام دار الهجرة الإمام مالكاً بن أنس ـــ رحمه الله تعالى ـــ.

(٢) ويقصد بأستاذه الجليل ربيعة الرأي وهو : ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ، الإمام، مفتي المدينة ، وعالم وقته ، أبو عثمان ، و يقال : أبو عبد الرحمن ، القرشي التيمي مولاهم، من صغار التابعين ، كان من أئمة الاجتهاد ، حافظاً للفقه والحديث ، توفي ١٣٦هـــ. انظر ترجمته في : تاريخ بغداد ، البغدادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (ج٨، ص٤٢٠) ، ووفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان ، ت : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، (ج٢، ص٢٨٨) ، وتذكرة الحفاظ ، للذهبي ، تصحيح : عبد الرحمن المعلمي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (ج١، ص١٥٧) ، وسير أعلام النبلاء (ج٦، ص٨٩ ـــ ٩٦).

(٣) الأحجية والأحجوة : لغز يتبارى الناس في حله. انظر : المعجم الوسيط (ج١، ص ١٥٩).

(٤) طلسم الرجل وبلسم سكت . وكذلك إذا كره وجهه ، والطلسماء والطلمساء ، الظلمة ، وليلة طلمساية . وهي ـــ أيضاً ـــ : التي لا منار بها ولا علامة . المحيط في اللغة لأبي القاسم إسماعيل بن عباد الطالقاني ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـــ/١٩٩٤م (ج٨، ص٤٢٦) ومقصود الشيخ بها الدخول في متاهات لا تزيد العقل إلا تحيراً .

علينا ــ نحن المخلوقين ــ أن نضع لهذه الأسماء والصفات الإلهية المعاني التي نريد؛ لأنه عجز عن بيان معاني أسمائه وصفات؟!.

وهل يقــدر المخلوق، ويعجــز الخلاق، والمخلوق آية من آيات قدرته القاهرة؟) [1].

ومن المعروف أنه لا مشاحة في الاصطلاح، وإنما هو التقيد بما دل عليه الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة ثم بعــد ذلك قسم التوحيد كما شئت، فاجعله قسماً واحداً أو اثنين أو ثلاثة، بشرط أن يتحد المعنى ويكون موافقا لما عليه سلف الأمة.والله تعالى أعلم وأحكم.

---

(١) الصفات الإلهية، عبد الرحمن الوكيل (ص٩٢ــ٩٣).

المبحث الثالث

جهوده في بيان أهمية التوحيد

المطلب الأول: أهمية التوحيد عند السلف الصالح:

لقد اهتم المسلمون منذ نشأهم بتوحيد الله ﷻ، وأقصد المسلمين بالمفهوم الواسع الذي يعتبر بدايتهم آدم وهايتهم آخر موحد على هذا الكوكب.

نعم لقد كانت دعوة الرسل جميعاً هي توحيد الله ﷻ والإيمان به؛ وليست الشرائع الأخرى إلا مكملات لذلك الهدف الأساسي، ومورد لذلك المعين الصافي.

ولذلك تجدهم يتفقون على تلك الدعوة ولا يختلفون في صغيرة ولا كبيرة متعلقة بها؛ ثم يختلفون في بقية تشريعاهم؛ فما من نبي إلا دعا قومه إلى توحيد الله تعالى وقال لهم: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ۝٥٩﴾ [1] بل عبروا عن تلك الدعوة بصيغ مختلفة توكيداً على أهميتها، وأها هي غاية رسالتهم، وأصلها الذي تقوم عليه.

ودعوة التوحيد هي وصية الله تعالى للأولين والآخرين وهي الغاية من خلق الجن والإنس، وهي التي أمر الله رسلها بها وبتبليغها للناس، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ۝٢٥﴾ [2] .

ولذلك جلس رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ يدعو الناس إلى التوحيد ثلاثة عشر عاماً في مكة المكرمة.

واهتم به السلف الصالح فدرسوه وألفوا فيه وبينوه أتم بيان وأوفاه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ: قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾ [3] فالغاية الحميدة التي بها يحصل كمال بني آدم

(١) (سورة الأعراف: آية ٥٩).

(٢) (سورة الأنبياء: آية ٢٥).

(٣) (سورة الذاريات: آية ٥٦).

وسعادهم ونجاهم عبادة الله وحده وهي حقيقة قول القائل لا إله إلا الله ولهذا بعث الله جميع الرسل، وأنزل جميع الكتب، ولا تصلح النفس وتزكو وتكمل إلا بهذا، كما قال تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٧﴾[1] أي لا يؤتون ما تزكو به نفوسهم من التوحيد والإيمان، وكل من لم يحصل له هذا الإخلاص لم يكن من أهل النجاة والسعادة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ۝٤٨﴾[2])[3].

ويقول الإمام محمد بن عبد الوهاب: (اعلم ــ أرشدك الله لطاعته ــ أنّ الحنيفيّة ملّة إبراهيم: أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[4].

فإذا عرفت أنّ الله خلقك لعبادته، فاعلم أنّ العبادة لا تسمّى عبادة إلاّ مع التّوحيد، كما أنّ الصلاة لا تسمّى صلاة إلاّ مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت كالحدث إذا دخل في الطهارة)[5].

والنقول عن السلف الصالح في أهمية التوحيد وضرورة الاعتناء به كثيرة، لا يمكن حصرها في هذه العجالة، وهي منتشرة متناثرة في ثنايا كتبهم رحمهم الله تعالى.

---

(١) (سورة فُصِّلَت: آية ٦).

(٢) (سورة النساء: آية ٤٨).

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ابن تيمية الحراني دراسة وتحقيق: علي بن حسن بن ناصر الألمعي وغيره الناشر: دار الفضيلة، الرياض، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م (ج٦، ص٢٩).

(٤) (سورة الذاريات: آية ٥٦).

(٥) أصول الدين الإسلامي مع قواعده الأربع، تأليف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، ١٢٠٦هـ دراسة وتحقيق: رتبها: محمد الطيب بن إسحاق الأنصاري، الناشر: دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة (ج١، ص٢٧).

وسوف ألخص هنا نقاطاً تدل دلالة واضحة على أهمية التوحيد واعتناء السلف الصالح به، ومنها:

١ – أنه الغاية من خلــق الثقلين، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[١].

قال الإمام ابن كثير: (أي إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي لا لاحتياجي إليهم. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : {إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} أي إلا ليقــروا بعبادتي طوعــاً أو كرهاً، وهذا اختيار ابن جرير)[٢].

٢ – أن رســل الله جميعاً كانوا يبــدؤون دعوتهــم إلى الله ﷻ بالتوحيد، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[٣].

يقول العلامة عبد الرحمن السعدي[٤] رحمه الله تعالى: (لما حول تعالى على ذكر المتقدمين، وأمر بالرجوع إليهم في بيان هذه المسألة، بيَّنها أتم تبيين في قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[٥] فكل الرسل الذين من قبلك مع كتبهم، زبدة رسالتهم وأصلها، الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وبيان أنه الإله الحق المعبود، وأن عبادة ما سواه باطلة)[٦].

---

(١) (سورة الذاريات: آية ٥٦).

(٢) تفسير ابن كثير (ج٤، ص ٢٨٦).

(٣) (سورة الأنبياء: آية ٢٥).

(٤) السعدي : هو عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي ، من قبيلة تميم ، ولد بعنيزة عام ١٣٠٧هـ،كان ذا معرفة تامة بالتفسير وعلومه ،والفقه وأصوله وفروعه ،ت: ١٣٧٦هـ .انظر :الأعلام (ج٣، ص٣٤٠).

(٥) (سورة الأنبياء: آية ٢٥).

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، ت : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ /٢٠٠٠م ، (ج١، ص٥٢١).

٣ – أن رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ علم أصحابه أن يبدؤوا دعوتهم للناس بالتوحيد كما قال لمعاذ: (**إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله**)[١].

قال العيني[٢] ــ رحمه الله تعالى ــ: (قوله فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله أي فليكن أول الأشياء دعوتهم إلى التوحيد وكلمة ما مصدرية ومضى في الزكاة: فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، قوله: فإذا عرفوا ذلك أي التوحيد)[٣].

إلى غير ذلك من الأدلة على أهمية التوحيد وضرورة الاعتناء به.

المطلب الثاني: بيان الشيخ عبد الرحمن الوكيل لأهمية التوحيد:

لقد اهتم علماء السلف الصالح ــ كما قدمت ــ ببيان شريعة الله تعالى للناس، وتبسيط ما صعب منها، وتوضيح ما انطمست آثاره منها، فصنفوا في مختلف العلوم، وشرحوا ما صنفوا، ثم شرحوا الشروح، كل ذلك من أجل أن يتضح الدين للناس فيعلموه أولاً، ثم يعملوا به ثانياً؛ لأن العلم قبل القول والعمل كما هو معروف.

وإن اهتمامهم بعلم التوحيد كان يقع في أعلى سلم اهتماماتهم؛ إذ عليه مدار الدين كله، وهو الغاية التي من أجلها أرسل الله الرسل وأنزل الكتب.

ولم يكن الشيخ / عبد الرحمن الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ إلا عالماً متبعاً لسلف الأمة، فوجه اهتمامه وفكره لعلم التوحيد، ومحاربة الشرك وأنواعه، وتعرية شبه المندسين المحاربين لدين الله تعالى من متصوفة وغيرهم.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، حديث رقم ١٤٥٨ (ج٣، ص٤٩٨) . وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، حديث رقم ١٣٢ (ج١، ص ٣٨).

(٢) العيني هو : محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد بدر الدين العيني الحنفي ، مؤرخ علامة ،من كبار المحدثين ت ٨٥٥هـ. انظر: شذرات الذهب (ج٧، ص٢٨٦).

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، محمود بن أحمد بن موسى العيني ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، (ج٣٥، ص ٤٩٧).

وإن المطالع لكتبه ــ رحمه الله تعالى ــ ليجد فيها كتبا مختصة في بيان التوحيد بأنواعه المختلفة[1] وموضحة مدى أهميته في حياة الإنسان بشكل عام والمسلم بشكل خاص.

ولقد كان ــ رحمه الله تعالى ــ من أكثر العلماء انشغالاً بجانب التوحيد، ومن أمثلهم معالجة له.

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ مبيناً أهمية التوحيد بأنواعه الثلاثة في عقيدة المسلم: (... في التصريح بنفي الاتصال والانفصال معاً في آن واحد، وعن ذات واحدة خلل منطقي. فهما يتقابلان تقابل السلب والإيجاب، فيلزم من انتفاء أحدهما ثبوت الآخر. وفيهما أيضاً إجمال واشتباه، فقد يعني بالانفصال أنه سبحانه بائن من خلقه مستو على عرشه، ليس كمثله شيء. وهذا حق يؤمن به من أسلم قلبه لله، ووحده توحيداً صادقاً في ربوبيته وآمن بأسمائه وصفاته كما هي في القرآن والسنة.

وقد يعني بالانفصال أنه سبحانه لا يتصل بالعالم صلة خلق أو تدبير، أو علم منه سبحانه، أعني نفي كونه خالقاً عليماً يدبر الأمر، أو أنه سبحانه ليس لإرادته، أو قدرته أثر في مقادير الوجود، وغير ذلك مما يدين به الفلاسفة، ومرادهم منه نفى الخالق القادر المريد المختار. وهذا كفر بجحد الربوبية والإلهية.

وكذلك الاتصال: فقد يراد به أنه سبحانه يدبر الكون، ويصرف الليل والنهار، ويسخر الشمس والقمر، ويحيط علمه بكل شيء كلياً كان أو جزئيا، وتشمل قدرته كل شيء، وغير هذا مما يشهد بكمال الربوبية. وهذا حق لا يتم الإيمان إلا به. وقد يعني به مفهومه الصوفي،.... لذا يجب على كل من يخبر عن الله أو صفاته أو أسمائه أن يلتزم

---

(١) من ذلك مثلاً كتاب دعوة الحق ، وكتاب الصفات الإلهية، الذي خصصه لجانب واحد من التوحيد، وهو توحيد الأسماء والصفات ، ولو جمعت مقالاته المتعلقة بالتوحيد في مجلة الهدي النبوي، فلا شك أنه ستجمع منها أجزاء .

حدود ما أخبر الله به عن نفسه، وأخبر الرسول به عن ربه. وإلا تزندق، أو تمجس كالصوفية، وألحد كالفلاسفة، وضل كالمتكلمين)(١).

وهنا نرى الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ قد وظف المنطق ليوضح به التوحيد بالمعنى الصحيح مبيناً من خلال ذلك أن الانفصال إذا قصد به كونه تعالى بائن من خلقه مستو على عرشه فهو معنى صحيح وإن قصد به أنه تعالى لا صلة له بالعالم من حيث الخلق والتدبير فهو معنى فاسد لأنه تعالى عالم بخلقه مدبر للأمر.

ونفس الشيء بالنسبة للاتصال فقد يراد به معنى صحيحاً وهو أنه تعالى يدبر الكون ويصرف الليل والنهار، كما قد يقصد به المعنى الصوفي الباطل.

ويبين ــ رحمه الله تعالى ــ في موضع آخر أن التوحيد هو ملاك الأمر كله، وهو الغاية الكبرى من خلق الثقلين.

يقول رحمه الله تعالى: (عبادة الله وحده لا شريك له هي الحكمة الإلهية العليا من خلق الوجود: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾(٢) وملاك العبادة وغايتها وروحها: توحيد الله جل شأنه رسالة كل رسول ونبوة كل نبي، ودعوة كل ولي صادق الولاية لله رب العالمين.

وملاك العبادة وغايتها وروحها توحيد الله جل شأنه؛ وهو رسالة كل رسول، ونبوة كل نبي، ودعوة كل ولي صادق الولاية لله رب العالمين)(٣).

وقد أحسن ــ رحمه الله تعالى ــ فيما قال، فأي شيء أهم من التوحيد الذي يدخل به المرء دين الإسلام، وبالحفاظ عليه حتى وقت خروجه من الدنيا ينال السعادة الأخروية أيضاً؟ بل هو الذي تقوم عليه حياة المرء وتستقيم؛ وبه يصلح الكون كله، ويحصل التناسق بين مكوناته ــ أياً كانت ــ حتى الجمادات تفرد الله ﷻ بالتوحيد

---

(١) مصرع التصوف، عبد الرحمن الوكيل (ص٣١).

(٢) (سورة الذاريات: آية ٥٦).

(٣) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص٥).

وتسبح له كما قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [(١)].

فإذا شاكلها الإنسان في التسبيح والتنـزيه لله تعالى وتوحيده بذلك، حصل التجانس والتناسق بين جميع مكونات الكون الخاضعة والمسبحة له جل جلاله، وبذلك يبلغ الإنسان السعادة في الدنيا والآخرة.

يقول الشيخ / عبد الرحمن الوكيل ـ رحمه الله تعالى ـ: (عبادة الله وحده لا شريك له هي قوام الدين وملاكه وروحه التي بها يستوي ويستقيم أمره ويبلغ غايته، ويحقق في الوجود مثله التي تحقق للبشرية كمالها وسعادتها في الدنيا والآخرة.

والدين الذي لا يدعو إلى هذا أو يأمر به هو دين هوى ودين ضلال يستهدف القضاء على وحدة الإنسانية وعلى أشرف ما تتعلق به)[(٢)].

فما بالك بشيء تتوقف عليه هـذه الأمور، وما قول الإنسان في أمر به تصلح أو تفسد بقية الأعمال.

إن العقيدة الصحيحة السليمة من شوائب الشرك، وأدران الغيرية، هي التي تحدد في النهاية مصير أعمال الإنسان كما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ: (**قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**)[(٣)].

يقول عبد الرحمن الوكيل ـ رحمه الله تعالى ـ: (العقيدة الصافية هي ملاك الأمر كله، وروح الدين كله، وهي التي تقوم العمل والخلق بالخيرية أو الشرية في نظر الإسلام، وهي التي لها المقام الأول والاعتبار الأسمى عند الله سبحانه ثم تتمثل ما تقتضيه تلك العقيدة الصافية في حياتنا أخلاقاً وسلوكاً ودعوة واتباعاً صحيحاً لهدي الله وحده.

---

(١) (سورة الإسراء: آية ٤٤).

(٢) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نور من القرآن ، عدد ٣ ، تاريخ ١٣٧٩هـ (ص٥).

(٣) صحيح مسلم كتاب الزهد والرقائق باب من أشرك في عمله غير الله، حديث رقم ٧٦٦٦(ج٨، ص٢٢٣).

ليس المهم ما تتخلق به، أو تقوله أو تعمله، بل الأهم قبل كل شئ ما تعتقده، اذكروا مرة أخرى؛ بل اذكروها دائما، تلك الآية التي يقول رب العالمين فيها لمحمد ﷺ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾[1]) [2].

فالعقيدة إذن هي حجر الأساس الذي تبنى عليه بقية الأعمال، فإن ضعف الأساس ضعف البناء، وإن زال الأساس زالت بقية البناء وتهدمت؛ ثم إن إعادة بنائه يلزم منها بناء الأساس أولاً، وهكذا، فأعمال المرء ما هي إلا انعكاس لعقيدته، وظل لها يظهر في الخارج مرئياً للعيان، تماماً كفكرة حبس الظل في الصورة..

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ مبيناً هذا المعنى: (والأخلاق ليست إلا بنت العقيدة، والإسلام قبل كل شيء إنما يبتلي العقيدة أو النية، فإن كانت النية، أو العقيدة كما يحبها الله، اعتبر ما يصدر عنها من فعل صائب خيراً، وجازى عنه بالخير، وإن لم تكن العقيدة خالصة، فكل عمل يصدر عنها، فهو هباء، وإن كان في مظهره أعظم الخير.

اسمعوا قول الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾[3] ثم قوله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾[4] ففي العقيدة لا يقبلها إلا خالصة نقية، أما في العمل؟ اقرأوا الآية؛ لتعرفوا الجواب)[5].

ويكفي في أهمية التوحيد والعقيدة أن من تدبر كتاب الله تعالى لا يكاد يجد سورة إلا وتتكلم عن التوحيد، وتبين أهميته في بناء صرح الإسلام؛ بل لا تكاد تجد آية إلا وتبين ذلك إما استقلالاً، وإما تبعاً واستكمالاً.

---

(١) (الزُّمَر: آية ٦٥).

(٢) هذه هي الصوفية ، عبد الرحمن الوكيل (ص٢١١).

(٣) (سورة النساء: آية ٤٨).

(٤) (سورة التوبة: آية ١٠٢).

(٥) هذه هي الصوفية ، عبد الرحمن الوكيل (ص٢١٨).

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (والذي يتدبر القرآن يجده في كل آيات سوره يدعو إلى توحيد الله توحيداً خالصاً، ويكرر هذه الدعوة الجليلة عشرات وعشرات المرات؛ لأنها كما قلنا قوام الدين وروحه وملاكه)[(١)].

ومما سبق يتضح أن الشيخ / عبد الرحمن الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ كان يركز على بناء العقيدة السليمة والاهتمام بها، والدعوة إلى توحيد الله تعالى، وقد بذل جهده في ذلك، وكان شغله الشاغل، ويمكن إرجاع ذلك ــ من وجهة نظري والله تعالى أعلم ــ لسببين:

أ – ما تقدم من أهمية التوحيد، وتركيز القرآن الكريم والسنة النبوية عليه، واعتناء السلف الصالح به، وتلك هي مراجع الشيخ / عبد الرحمن الوكيل، ومصادر تلقيه للعلوم.

ب ــ ما كان منتشراً في زمانــه من ظهور البــدع، والانحرافات العقدية في المجتمع الإسلامي عامة، والمجتمع المصري خاصة؛ فلم يكن الشيخ رحمه الله تعالى ليغيب عنه ذلك الواقع المأساوي، وتلك الأحوال المتردية التي يعيشها مجتمعه في كثير من جوانب البناء الفكري الإسلامي، وخاصة في جانب توحيد الله تعالى.

ولم يكن انتشار التصوف والحركات الفكرية الأخرى المناهضة للإسلام كالبهائية والقاديانية والشيوعية وغيرها إلا مظهراً من مظاهر غياب الوعي العقدي عند المجتمع.

إن صفوف الشباب الملتفة حول قبر من القبور تدعوه وتستغيث به لتفريج الكرب، وتوسيع الرزق، وإعطاء المال والولد، كانت تلاحق الشيخ رحمه الله تعالى، وتقض مضجعه، وتكدر عليه صفو منامه ويقظته، فلم يكن له بد من التركيز على الدواء الشافي لأولئك الحيارى الذين استبد أصحاب البدع والخرافات بأفكارهم، ودهسوا عقولهم في وحل العمى والتيه.

---

(١) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نور من القرآن ، العدد ٣ ، تاريخ ١٣٧٩هـ (ص٥).

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ رادا على من قال له ولجماعته "أنصار السنة المحمدية": ما سمعنا عنكم غير الدعوة لتوحيد الله واتباع الكتاب والسنـــة" يقول له: (... وذلك هو السبيل الذي أمر الله رسوله ﷺ أن يسلكه في دعوة الناس إلى الله فركز الدعوة أول أمرها في تصفية النفوس من دنس الشرك، والقلوب من لوثة الوثنية)[١].

ومن هنا يتضح فقه الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ في ديـــن الله أولاً، ثم فـــي الواقع الذي يعيشـــه، فلم يكن يعطيهم إلا ما يحتاجون له؛ إذ كيـــف تدعو النـــاس إلى ما لا يفهمون، وكيف تطلب منهم ما لا تدركه عقولهم، ولا تستوعبه أفكارهم، وهل يعقل أن تخوفهم ممن لم يعرفوه حق المعرفة، وتجعلهم يرجونه ويتوكلون عليه، ويجاهدون في سبيله.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (فليكن الجهاد الأول في سبيل دعم قلوب هؤلاء المارقين بالإيمان بالله، في ربوبيته وإلهيته، والتوكل عليه والخوف منه، والرجاء له، والعمل له، والقول ابتغاء رضاه.

فإذا تمكن سلطان الإيمان والتوحيد من القلوب كانت العقيدة التي لا تمسها الحياة بفتنة، ولا يخيفها طغيان، وعن هذه العقيدة تتجلى أشرف الأخلاق، وأسمى الفضائل، وأزكى المشاعر)[٢].

ولقد كان هذا التدرج الذي سلكه الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ في دعوته إلى الله تعالى هو ما يحتاجه الناس في زمانه، وإذا ما انضاف له أسلوبه الدعوي الجميل، ولين قوله في وقت اللين وشدته في وقتها، فلا عجب أن يلتف حوله الجم الغفير من المسلمين طالبين للحق، باحثين عن الهدي النبوي من هذا العالم الرباني، وهو ما كانت تتميز به دروسه، ومحاضراته ــ رحمه الله تعالى ــ وأجزل له الأجر والمثوبة.

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص١١٧).

(٢) المرجع السابق (ص١١٦).

المبحث الرابع

جهود الشيخ في بيان توحيد الربوبية

المطلب الأول: تعريف توحيد الربوبية لغةً واصطلاحاً:

الربوبية لغةً:

ربَّب فلان فلاناً وربَّى فلان فلاناً ورَبَّتَ فلان فلاناً وتربَّب فلان فلاناً: بمعنى حفظه ورباه، قال الشاعر:

ألا ليت شعري هل أبيتَنّ ليلة — بحرَّةِ ليلى حيثُ رَبَّتَني أهلي[(١)]

ورب فلان ولده يربه رباً، وربه، وتربيه، بمعنى أي رباه. والمربوب: المربى.

قال الشاعر:

ليس بأقنى ولا أسفى ولا سغل — يسقى دواء قفي السكن مربوب[(٢)]

والرب باللام: لا يطلق على غير الله ﷻ وقد يخفف، والاسم: الربابة ـ بالكسر ـ والربوبية بالضم[(٣)].

فالربوبية إذن: مصدر من الفعل ربب وهي صفة الله تعالى، والرب في كلام العرب يطلق على معان: منها المالك، والسيد المطاع، والمُصْلِح.

تعريف توحيد الربوبية اصطلاحاً:

اختلفت عبارات العلماء في تعريف توحيد الربوبية وإن اتفقت في المعنى:

فعرّفه شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ بأنه يعني: "أن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه "[(٤)].

---

(١) البيت لابن ميادة. وانظر: الأغاني (ج٢، ص ٣٠٤).

(٢) الصحاح للجوهري (ج٢، ص ١٤٧) والبيت لسَلاَمة بن جَنْدل. انظر: أدب الكاتب (ج١، ص ٨٨) المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (المتوفى: ٢٧٦هـ) المحقق: محمد الدالي الناشر: مؤسسة الرسالة.

(٣) القاموس المحيط، للفيروز آيادي (ج١ /ص١١١).

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية (ج٣، ص ١٠٥).

وفي موضع آخر يقول: "توحيـــد الربوبية وهو الإقـــرار بأن الله خالـــق كل شيء وربه"(١).

وقال الإمام ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ: "توحيد الربوبية المتضمن أنه وحده الرب، الخالق، الفاطر"(٢).

وقيل توحيد الربوبية: هو إفراد الله تعالى بأفعاله.

وأفعال الله ﷻ كثيرة منها: الخلق والرزق والإنعام والملك والتصوير، والعطاء والمنع، والنفع والضر، والإحياء والإماتة، والتدبير، والقضاء والقدر، وغير ذلك من أفعاله التي لا شريك له فيها(٣).

وقيل توحيد الربوبية: هو الإقرار الجازم بأن الله تعالى رب كل شيء ومليكه وخالقه ومدبره والمتصرف فيه، لم يكن له شريك في الملك، ولم يكـــن له ولي من الذل، ولا راد لأمره ولا معقب لحكمه، ولا مضاد له ولا مماثل، ولا سمي له ولا منازع في شيء من معاني ربوبيته، ومقتضيات أسمائه وصفاته(٤).

---

(١) منهاج السنة النبوية المؤلف : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، الناشر : مؤسسة قرطبة الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ ، تحقيق : د. محمد رشاد سالم . (ج ٣، ص٢٨٩).

(٢) بدائع الفوائد المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله. الناشر : مكتبة نزار مصطفى البـــاز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، تحقيق : هشام عبد العزيز عطا، عادل عبد الحميد العدوي، أشرف أحمد (ج٥، ص١٨٥).

(٣) كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (١١/١)، المؤلف : نخبة من العلماء، الطبعة : الأولى الناشر : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعـــوة والإرشاد، المملكة العربيـــة السعودية ، تاريخ النشـــر : ١٤٢١هـ.

(٤) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة ، حافظ بن أحمد الحكمي ، ت : حازم القاضي ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٢هـ (ج١، ص٥٥).

وعرفه الإمام ابن أبي العز الحنفي[١] ــ رحمه الله تعالى ــ فقال: "وأما الثاني وهو توحيد الربوبية، كالإقرار بأنه خالق كل شيء، وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال"[٢].

وعرفه الشيخ / ابن عثيمين[٣] ــ رحمه الله تعالى ــ فقال: "هو إفراد الله سبحانه وتعالى في أمور ثلاثة؛ في الخلق، والملك، والتدبير"[٤].

فالخلق يدخل فيه الإبداع والإيجاد والإنشاء وفق تقدير سابق، والملك والتدبير يدخل فيهما تصرفه سبحانه في خلقه، من إحياء، وإماتــة، ورزق، إلى غير ذلك من تدبيره لمخلوقاته، كما يتضمن غناه ــ سبحانه وتعالى ــ عنهم وفقرهم إليه، وهذه صفات الرب.

ومن المعلوم أن إقرار المشرك بأن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه لا ينجيه من عذاب الله، ولا يصير الرجل بمجرده مسلمًا.

ولذلك لم ينفع المشركين الأول الإقرار به؛ فقد قوتلوا مع إقرارهم بأن الله رب كل شيء وخالقه كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾[٥].

---

(١) هو : علي بن علاء الدين على المعروف بابن أبي العز الحنفي، (٧٣١ ــ ٧٩٢) فقيه ولي منصب قاضي القضاة بدمشق. من تصانيفه : التنبيه على مشكلات الهداية. في الفقه الحنفي . وشرح العقيدة الطحاوية وغيرها . انظر الدرر الكامنة ، (ج٣، ص ١٥٩– ١٦٠) ، والأعلام للزركلي ، (ج٤، ص٣١٣).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ابن أبي العز الحنفي ، الناشر : المكتب الإسلامي، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩١هــ. (ج١، ص ٧٧).

(٣) هو : محمد بن صالح بن عثيمين من كبار علماء البلاد السعودية ، كان أستاذ بكلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميَّة ، له مؤلفات كثيرة مطبوعة متداولة . انظر ترجمته في رسالة صغيرة بعنوان { علماؤنا } ، إعداد : فهد البدراني وفهد البراك (ص ٤٢ ــ ٤٨).

(٤) شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية للعلامة : محمد بن صالح العثيمين ــ رحمه الله تعالى ــ ، اعتناء : سعد بن فواز الصميل ، دار ابن الجوزي ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٣هــ . (ج١، ص٢١).

(٥) (سورة لقمان: آية ٢٥).

ومع ذلك فقد وجد من ينكره من أهل الطبائع[1] والعلل القائلين بقدم العالم وأبديته.

وقد جاء في بعض الآثار أن قوماً أرادوا البحث مع الإمام أبي حنيفة ــ رحمه الله تعالى ــ في تقرير توحيد الربوبية، فقال لهم ــ رحمه الله تعالى ــ: " أخبروني قبل أن نتكلم في هذه المسألة عن سفينة في دجلة تذهب فتمتلئ من الطعام وغيره بنفسها وتعود بنفسها، فترسو بنفسها وترجع، كل ذلك من غير أن يديرها أحد؟ ".

فقالوا: " هذا محال لا يمكن أبداً. فقال لهم: إذا كان هذا محالاً في سفينة فكيف في هذا العالم كله، علوه وسفله؟ "[2].

فنبه رحمه الله تعالى إلى أن اتساق العالم في نظام واحد، وتمام خلقه، ودقة صنعه وإتقانه، دليل على وحدانية خالقه، وتفرده في الخلق والملك والتدبير، كما قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[3].

(١) القائلون بالطبائع هم الدهريون القائلون بعدم وجود الخالق المدبر ويرجعون كل ما يقع في الكون إلى الطبيعة ويسمون : (الطبيعيون) ويزعمون أن الكون وجد بنفسه من غير حاجة إلى علة خارجية. انظر : المعجم الفلسفي د.جميل صليبا، ١٩٧٩م، دار الكتاب اللبناني (ج ٢، ص ١٧).

(٢) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء (ج١، ص ١٩).

(٣) (سورة الأنبياء: آية٢٢).

المطلب الثاني

جهود الشيخ / عبد الرحمن الوكيل ـ رحمه الله تعالى ـ في بيان توحيد الربوبية

لقد اهتم الشيخ / عبد الرحمن الوكيل ببيان أنواع التوحيد الثلاثة، واعتنى بكل واحد منها، وإن كان ركز في كثير من كتبه ومقالاته على النوعين الآخرين بسبب الحاجة إليهما لمقارعة أعداء الملة والدين، وكشف عوراتهم، وبيان هزالة أقوالهم، وضعف مستنداتهم الفكرية، والعقلية؛ فضلاً عن الدينية؛ إلا أنه مع ذلك كان يعرج بين الفينة والأخرى على توحيد الربوبية ويبينه ويذكر مدى أهميته.

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (وأدل دليل على إخلاص الإيمان: الاعتقاد الصادق في أن الله وحده هو الرب الخلاق الحكيم العليم...)[١].

فانظر إليه ــ رحمه الله تعالى ــ حين جعل اعتقاد الربوبية من أدل الدلائل على صدق الإيمان وإخلاصه؛ إذ كيف يؤمن بالله ويعبده من ينكر خلقه ورزقه وتدبيره لهذا الكون العجيب.

ويوضح ــ رحمه الله تعالى ــ الضرورة العقلية البدهية في أن وحدة الكون وانتظامه وتناسقه العجيب دليل ضروري على وحدة الخالق.

والخالقية من أعظم أركان توحيد الربوبية، وهي برهان قوي على عدم تعدد الآلهة فلا خالق إلا واحد، هو الرب المالك المدبر.

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (أي حس هذا الذي يكفر بما يشعر به الحجر؛ فيهبط من خشية الله، أو يشقق فيخرج منه الماء، أو تتفجر فيه الأنهار؟

لقد أبى إلا أن يكــون أدنى من الجمـــاد، وأشد بلادة وصمماً من الصلد الكنود.

---

(١) الصفات الإلهية، عبد الرحمن الوكيل (ص٨).

إن الحس الصادق يشهد صادقاً بوحدانية الله ﷻ؛ فإنه يرى الوجود في إحكامه، وكمال نظامه، وإشراق جماله دليلاً جلياً، وبرهاناً قوياً على وحدة الخالق، إذ لو كان معه غيره لفسد نظامه، واختل إحكامه، وشاه جماله)[١].

ومن أكبر الأدلة على المخالفين في توحيد الربوبية إقرار المشركين أنفسهم بها، وإذعانهم لحقيقتها، وشهادتهم بها.

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (... ومن أفواه المشركين نسمع الشهادة لله بأنه لم يكن معه أحد يوم خلق السماوات والأرض، وبهذا الحق الذي يقرون به يقيم الله حجته البالغة العالية عليهم إذ كانوا يقرون بأنه ليس له شريك في خالقيته)[٢].

ويبين علاقة المخلوقين بالخالق، وأسبقية الله تعالى الأبدية، وأنه حين خلق السماوات والأرض لم يشهد أحداً على خلقها، وتكوينهما؛ فيقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ ۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ٥١ ﴾[٣]: (ما كان هؤلاء الذين تتخذونهم أولياء من دوني معي حين خلقت السماوات والأرض؛ فلا يعلم أحدهم متى خلقتها، ولا كيف خلقتها، ولا كيف دبرت أمرها، وسخرت لكم ما فيها.

وهذا الجزء من الآية يقرر هذه الحقائق:

أن الله سبحانه هو الأول.

أنه جل شأنه هو الخالق.

أنه ليس له ولي من الذل، ولا معين من العجز، ولا ولد.

---

(١) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نور من القرآن ، عدد ٣، تاريخ ١٣٨٠هـ (ص٥).

(٢) مجلة الهدي النبوي ، عدد ٥، تاريخ ١٣٨٣هـ (ص٨).

(٣) (سورة الكهف: آية ٥١).

أن كل من عداه هم من خلقه وعبيده، ومنهم هؤلاء الذين يتخذهم المشركون أولياء لهم من دون الله.

وأنه ليس له شريك في ربوبيته القاهرة القادرة المكلفة التي تهيمن على كل مقاليد السماوات والأرض)[١].

ويوضح ــ رحمه الله تعالى ــ حال المشركين، وعجزهم عن فعل أي شيء من أفعال الله سبحانه وتعالى، فلا هم مستطيعون خلق مثـــل السماوات التي يشاهدونهـــا، ولا صنع شيء مثل الأرض التي يعيشون عليها.

أما الخالق سبحانه وتعالى فهو الخالق لهذه المخلوقات العجيبة، وتتجلى قدرته ليس فقط في خلقها، وتدبيرها، وإنما في خلقها ــ أيضاً ــ على غير مثال سابق.

فكيف بمن خلق هذه الموجودات المشاهدة، ألا يستطيع ويقدر على خلق الإنسان ذلك المخلوق الضعيف الصغير الحجم والإدراك؟

يقول ــ رحمـــه الله تعالى ــ معلقـــاً على قولـــه تعالى: ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ٢٧﴾[٢]: (إنهم يرون السماء في عظمتها وجلال صنعها، ويشعرون شعوراً مسيطراً صادقاً بعجزهم الدائم حيال القيام بعمل شيء منها، وكذلك يرون الأرض، ويبده عقولهم في كل لحظة ما فيها من آيات تدل دلالة قاطعة على أن خالق هذه الأرض حي موجود حكيم عليم خبير رحيم)[٣].

ويتفكر الشيخ في مخلوقات الله العظيمة مبرهناً بذلك على ضرورة توحيد الله تعالى في ربوبيته، وأن وجود هذه المخلوقات العظيمة دليل على وجود خالقها؛ وانتظامها بحيث يصلح كل منها لما خلق له برهان ساطع على المدبر الذي دبر لها أمورها..

---

(١) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نور من القرآن ، عدد ٥ تاريخ ١٣٨٣هـ (ص٦ــ٧).

(٢) (سورة النازعات: آية ٢٧).

(٣) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نور من القرآن ، عدد ١١، تاريخ ١٣٨١هـ (ص١٢).

يقول عليه ـــ رحمة الله تعالى ـــ: (ورب هذه العوالم الكبيرة العظيمة الجليلة لا بد أن يكون أكبر وأعظم وأجل، فهو خالق وهي مخلوقة، ومحال أن يساوي الخلق خالقة؛ فلنتدبر خزائن الله التي ينفق منها على هذه العوالم كلها في السماوات والأرض ولنتدبرها منذ أن خلق الله السمـــاء والأرض إلى أن تقوم الساعـــة، ثم إلى ما لا يتناهـــى من الزمن الفياض بعطاء غير مجذوذ من الله، كما جاء في الصحيحين: "**يد الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض؟ فإنه لم يغض ما في يمينه** "[1])[2].

ويبرهن برهان العالم المسلم، على تفرد الله تعالى في الحكم والخلق والقدرة وغيرها من مقتضيات الربوبية فيقول ـــ رحمه الله تعالى ـــ عند تفسير قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾[3]: (... ثم يبين الله سبحانه في هذه الآيات أن السماوات والأرض، ومن في السماوات ومن في الأرض، كل يسبح لله، وكل يشهد بتنزيهه، وكل يسجد له إن طوعاً وإن كرها.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾[4] ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾[5]. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ

---

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير باب قوله "وكان عرشه على الماء" حديث رقم ٤٦٨٤ (ج١١، ص٣٦٢) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف. حديث رقم ٢٣٥٦ (ج٣، ص٧٧).

(٢) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نور من القرآن ، عدد ١١، تاريخ ١٣٨١هـــ (ص١٤).

(٣) (سورة الإسراء: آية ٤٤).

(٤) (سورة الرعد: آية ١٥).

(٥) (سورة الحشر: آية ١).

بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾[١]. ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾[٢]﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ﴿١٣﴾﴾[٣].

ما من شيء في الوجود إلا وهو يسبح بحمد الله سبحانه.

وهذا توكيد لما قبله، إنها تدل على وحدانية الخالق وحكمته وقدرته وجلاله وكبريائه وعلوه وجماله، وتدل على أنه ليس له شريك في حكمه)[٤].

أما عن المشيئة التي هي أيضاً من مقتضيات الربوبية، ومن أركان توحيدها، فيؤكد الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ على أن الإيمان بها ــ كباقي مقتضيات الربوبية ــ ركن أساسي دل عليه القرآن الكريم دلالة واضحة صريحة في غير ما آية فيقول موضحاً هذا المعنى ومبيناً حقيقة أن توحيد الربوبية لله تعالى يقتضي الإيمان بمشيئته المطلقة وخالقيته لكل شيء وربوبيته لكل مخلوق، يقول عليه ــ رحمة الله تعالى ــ عند كلامه على قول الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾[٥]: (أثبتت الآيات الكريمة السالفة أن الله سبحانه هو رب كل شيء وخالق كل شيء وأن له ــ جل شأنه ــ المشيئة المطلقة التي تقهر كل مشيئة وتسخر لما تشاء كل مشيئة)[٦].

ولقد أوضح الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ وبين توحيد الربوبية أتم بيان وأوفاه، ولم يترك عذراً لواحد من أهل البدع؛ فأزال الأقنعة التي كان يستتر خلفها أهل البدع في ادعائهم للربوبية، وكشف عوراتهم حتى بدت للعيان مشاهدة، فلم يبق لهم إلا أن

---

(١) (سورة النور: آية ٤١).

(٢) (سورة الأنبياء: آية ٧٩).

(٣) (سورة الرعد: آية ١٣).

(٤) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، العدد ٣، تاريخ ١٣٨٠هـ (ص ٦ــ٧) (بتصرف يسير).

(٥) (سورة الإسراء: آية ٥٦).

(٦) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٩، تاريخ ١٣٨٠هـ (ص٤).

يصرحوا بربوبيتهم فيزداد تعريهم أمام المسلمـــين، وهذا ما لا يريدونه؛ فإنهم ما فتئوا يخافـــون التصريح بمرادهم، وما انفكوا يتخفون وراء كل أكمة وربوة.

لقد بذل الشيخ ــ رحمه الله ــ جهـــده في تعليم الناس حقيقة توحيد الربوبية، ليبرهن من خلال ذلك إلى أن حقيقة ألفاظ هؤلاء المبتدعة هي ادعاء حقوق الله تعالى، ومحاولة منهم لطمـــس الدين ومحو آثاره، ورغبة منهم في السيطرة على أديان وعقول العوام، حتى يدينوا لهم.

ولا شك أن الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ قد وفق إلى حد كبير في الوصول إلى الهدف المراد عند كل عالم رباني، وهو إيضاح الحق، وتبيين الدين، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة.

المبحث الخامس

جهوده في بيان توحيد الأسماء والصفات

المطلب الأول: تعريف توحيد الأسماء والصفات:

إن السلف الصالح ــ رحمهم الله تعالى ــ كانوا يدخلون ــ كما قدمت ــ توحيد الأسماء والصفات في توحيد الربوبية، وربما أفرده بعضهم، ولأجل ذلك لا تكاد تجد له تعريفاً محدداً في كتب المتقدمين، ومع ذلك فقد عرفه بعض العلماء تعريفات عديدة من أوجزها وأتمها ــ في نظري والله تعالى أعلم ــ ما يلي:

١ ــ توحيد الأسماء والصفات هو: أن نصف الله بما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله من غير تحريفٍ ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل[(١)].

٢ ــ هو الإيمان بكل ما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة من صفات الله تعالى؛ صفات ذاته وأفعاله.

بأن نصفه بها كما وصف نفسه، وكما وصفه رسوله ﷺ بلا تكييف ولا تعطيل، ولا تشبيه، ولا تمثيل، ولا تحريف، ولا تأويل[(٢)].

٣ ــ توحيد الأسماء والصفات: هو إثبات ما أثبت الله لنفسه، وأثبته له رسوله ﷺ، ونفي ما نفى الله عن نفسه، ونفاه عنه رسوله ﷺ من الأسماء والصفات والإقرار لله تعالى بمعانيها الصحيحة ودلالاتها واستشعار آثارها ومقتضياتها في الخلق[(٣)].

---

(١) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد ويليه شرح الصدور في تحريم رفع القبور ، محمد بن إسماعيل الصنعاني، محمد ابن علي بن محمد الشوكاني، المحقق: عبد المحسن بن حمد العباد البدر، الناشر: مطبعة سفير، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، (ص ٩).

(٢) الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة ، للشيخ/ عبد الرحمن الدوسري ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م (ج١، ص ٧).

(٣) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء (ج١، ص ٩٨).

وأرجحها عندي وأكملها التعريف الأخير لأنه تضمن الإثبات والنفي والإيمان بالمعنى والدلالة، واستشعار الآثار وغير ذلك، فهو أقــرب ما يكون إلى التعريــف الجامع المانع.

بقي أن يضاف له أن النفي معناه الوصف بالضد، وإلا فإن العدم المحض لا يعتبر صفة، ولم أجد من أضافه في التعريف، والله تعالى أعلم.

المطلب الثاني: معتقد السلف في باب الأسماء والصفات:

إن مذهب السلف الصالح ــ رحمهم الله تعالى ــ في باب الأسماء والصفات واضح بين مشرق كالشمس في رابعة النهار.

إنهم يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ ، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل.

وينفون عن الله تعالى ما نفاه عن نفسه، وما نفاه عنه رسوله ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ .

ومع إثباتهم لتلك الأسماء والصفات، فإنهم ينــزهون الله تعالى عن مشابهة المخلوقــين، متخذيــن من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [1]. ميزانــاً دقيقاً في هذا الباب، فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [2] . رد على الممثلة؛ فلا مثيل لله تعالى في أسمائه وصفاته وأفعاله، ولا شبيــه له، ولا نظير، وقولــه جل من قائل: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [3]. رد على المعطلة[4].

---

(١) (سورة الشورى: آية ١١).

(٢) (سورة الشورى: آية ١١).

(٣) (سورة الشورى: آية ١١).

(٤) أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي (ج٢ ، ص ١٨).

وإن المطالع في كتب سلف هذه الأمة يجد أنهم متفقون على وصف الله تعالى بكل ما وصف به نفســه أو وصفه به رسولــه ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ ، كما تقدم، ونصوص الأئمة في ذلك أكثر من أن تحصى أو تستقصى.

يقول شيخ الإسلام: (فالذي اتفــق عليه سلف الأمــة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، فإنه قد علم بالشرع مع العقل أن الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله)[1].

وكتب السلف الصالح وأقوال أئمتهم ــ رحمهم الله تعالى ــ متناولة في مجملها لجميع الأسماء والصفات الثابتــة، على وجه التفصيل، ومشتملــة على وجوب الإيمان بما يجب الإيمان به على وجه الإجمال.

ولا يؤمنون بمجرد الألفاظ دون المعاني؛ فأسماء اللَّه تعالى عند السلف أسماء على مسمي، فهو سبحانه وتعالى القادر الذي يتصف بالقدرة، وهو الغني الذي يتصف بالغني، وهو القوي المتصف بصفة القوة، وهكذا في سائر الأسماء والصفات[2].

ويحملون الأسماء والصفات على الحقيقة لا على المجاز.

ولكل صفة من صفات الباري ﷻ معنى وكيفية وماهية، فمعناها معلوم معروف، وكيفتها وماهيتها، لا يعلمها إلى الله تعالى.

والمسألة صحيحة في المنقول صريحة في المعقول، فكما أننا لا نعلم كنه ذات الله تعالى، فكذلك نجهل كنه صفاته، فالكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات[3].

---

(١) المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع ، خالد بن مسعود الجعيد ، وعلي بن جابر العلياني ، وناصر ابن حمدان الجهني ، إشراف : د. عبد الله الدميجي ، دار الفضيلة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٨هـ (ص ٢٩٣ــ٢٩٤).

(٢) الأسماء والصفات نقلاً وعقلاً محمد الأمين الشنقيطي ــ رحمه الله تعالى ــ (ج١، ص ٣٢).

(٣) المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع (ص ٢٩١).

وقد ذكر ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ في تعريفه بمنهج السلف الصالح في الأسماء والصفات ضوابط أنقلها لعظم فائدتها.

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (أحدهـا: أن ما يدخل في باب الإخبـار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته كالشيء والموجـود والقائم بنفسه فإنـه يخبر به عنه ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العليا.

الثاني: أن الصفة إذا كانت منقسمة إلى كمال ونقص لم تدخل بمطلقها في أسمائه بل يطلق عليه منها كمالها وهذا كالمريد والفاعل والصانع فإن هذه الألفاظ لا تدخل في أسمائه ولهذا غلـط من سمـاه بالصانع عند الإطـلاق بل هو الفعال لما يريد فإن الإرادة والفعل والصنع منقسمـة ولهذا إنما أطلق على نفسه من ذلك أكمله فعلاً وخبراً.

الثالث: أنه لا يلزم من الإخبار عنه بالفعل مقيداً أن يشتق له منه اسم مطلـق كما غلط فيه بعض المتأخرين فجعل من أسمائه الحسنى المضل الفاتن الماكر تعالى الله عن قوله فإن هذه الأسماء لم يطلق عليه سبحانه منها إلا أفعال مخصوصة معينة فلا يجوز أن يسمى بأسمائها المطلقة والله أعلم.

الرابع: أن أسماءه ﷻ الحسنى هي أعلام وأوصاف والوصف بها لا ينافي العلمية بخلاف أوصاف العباد فإنها تنافي علميتهم لأن أوصافهم مشتركة فنافتها العلمية المختصة بخلاف أوصافه تعالى.

الخامس: أن الاسم من أسمائه له دلالات دلالة على الذات والصفة بالمطابقة ودلالة على أحدهما بالتضمن ودلالة على الصفة الأخرى باللزوم.

السادس: أن أسماءه الحسنى لها اعتباران اعتبار من حيث الذات واعتبار من حيث الصفات فهي بالاعتبار الأول مترادفة وبالاعتبار الثاني متباينة.

السابع: أن ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفـات توقيفي وما يطلق عليه من الأخبار لا يجب أن يكـون توقيفاً كالقديم والشيء والموجود والقائـم بنفسه فهذا فصل الخطاب في مسألة أسمائه هل هي توقيفية أو يجوز أن يطلق عليه منها بعض ما لم يرد به السمع.

الثامن: أن الاسم إذا أطلق عليه جاز أن يشتق منه المصدر والفعل فيخبر به عنه فعلاً ومصدراً ونحو السميع البصير القدير يطلق عليه منه السمع والبصر والقدرة ويخبر عنه بالأفعال من ذلك نحو: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ} {فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ} هذا إن كان الفعل متعدياً فإن كان لازما لم يخبر عنه به نحو الحي بل يطلق عليه الاسم والمصدر دون الفعل فلا يقال حي.

التاسع: أن أفعال الرب تبارك وتعالى صادرة عن أسمائه وصفاته وأسماء المخلوقين صادرة عن أفعالهم فالرب تبارك وتعالى فعاله عن كماله والمخلوق كماله عن فعاله فاشتقت له الأسماء بعد أن كمل بالفعل، فالرب لم يزل كاملاً، فحصلت أفعاله عن كماله لأنه كامل بذاته وصفاته فأفعاله صادرة عن كماله كمل ففعل والمخلوق فعل فكمل الكمال اللائق به... إلخ)[1].

نستخلص مما سبق ــ ومن غيره ــ أن منهج السلف الصالح ــ رحمهم الله تعالى ــ في هذا الباب قائم على قواعد مثلى دلت عليها نصوص الكتاب والسنة؛ فتميز منهجهم بموافقته لصحيح المنقول وصريح المعقول، مع سلامته من التناقض والتعارض والاضطراب والاختلال.

ومن أهم تلك القواعد التي قام عليها منهج السلف الصالح وميزته في هذا الباب عن غيره ما يلي:

١ ــ الإقرار بالأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة نفياً وإثباتاً.

٢ ــ تنزيه الله تعالى عن النقائص والعيوب ومماثلة المخلوقين ونفي التكييف والتشبيه عنه.

٣ ــ إجراء نصوص الصفات على ظاهرها وذم التأويل الفاسد لها[2].

---

(١) بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية (ج٢، ص ٢٧٠ــ٢٧٣).

(٢) المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع (ص ٢٩١).

ومع اتضاح منهج السلف الصالح في باب الأسماء والصفات، ووضوحه، فإنهم ـ إضافة إلى ذلك ـ قد وقفوا في وجه المنحرفين في هذا الباب، وردوا عليهم بالأدلة والبراهين النقلية والعقلية مما زاد منهجهم وضوحاً وإشراقاً.

ومن أهم الفرق التي انحرفت في هذا الباب:

أولاً: الجهمية[١]:

وهي من أهم الفرق التي انحرفت في هذا الباب، فعطلوا الأسماء والصفات، ووصفوا الله بالسلب والعدم المحض، فالله عندهم ليس بعالم، ولا بصير ولا متكلم؛ بل إنهم نفوا حتى هذا النفي؛ فقالوا: ولا ليس بعالم، ولا ليس ببصير، ولا ليس بمتكلم، ولا هو خارج عن العالم، ولا هو داخل فيه، ولا هو مباين له.

ووصفوا الله تعالى بأنه قادر وموجود وفاعل وخالق ومحيي ومميت، قالوا: لأن هذه الأوصاف مختصة به وحده[٢].

ثانياً: المعتزلة[٣]:

وهم أيضاً من النفاة، وقد انقسموا إلى فرقتين:

أ ـ فرقة تنفي الصفات، وتثبت الأسماء على أنها أعلام محضة تدل على الذات.

ب ـ فرقة تنفي الصفات وتثبت الأسماء على أنها بمعنى متعلقاتها، فالعلم بمعنى المعلوم، والسمع بمعنى المسموع[٤].

---

(١) تقدم تعريفهم (ص ١٣٠).

(٢) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر البغدادي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م (ج١، ص١٩٩).

(٣) المعتزلة: اسم يطلق على فرقة ضالة منحرفة ظهرت في الإسلام في القرن الثاني الهجري، ما بين سنة (١٠٥ـ١١٠هـ) بزعامة رجل يسمى: " واصل بن عطاء"، نشأت هذه الطائفة متأثرة بشتى الإتجاهات الموجودة في ذلك العصر، وقد تفرقت المعتزلة فرقاً كثيرة، واختلفوا في المبادئ والتعاليم ووصلوا إلى اثنتين وعشرين فرقة، الملل والنحل، للشهرستاني (ج١، ص٥٦ـ٩٦)، والفرق بين الفرق، للبغدادي (ص: ١١٢ـ١٨٧).

(٤) المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع (ص ٢٩٢).

ج ــ الأشعرية: وقد أولوا كثيراً من صفات الباري ﷻ؛ بل لم يثبتوا إلا سبع صفات، سموها الصفات العقلية، وهي: القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام، أما الصفات الأخرى؛ فيؤولون بعضها، ويفوضون البعض الآخر.

وقد نص علماء السلف الصالح على أن كل الفرق التي نفت أو أولت بعض الصفات بغرض نفي التشبيه، قد وقعت فيه، لأنهم ما نفوا إلا وقد اعتقدوا التشبيه، فالتشبيه أصل التعطيل ؛ وإلا فلماذا نفوا بعض الصفات؛ إلا لأنهم يعتقدون أنها تشبه صفات المخلوق، فأرادوا تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوق، فوقعوا في أسوأ من ذلك؛ حيث عطلوا صفات الباري أو أولوها تأويلاً بغير دليل شرعي[1].

وردود علماء أهل السنة والجماعة على هذه الفرق ودحض آرائهم المبنية على محض الرأي دون أثارة من علم منتشرة في كتب أهل السنة، ومعروفة متداولة؛ فلا أطيل بعرضها، ونقلها، لأنها بحثت وعلق عليها بما فيه الكفاية[2].

---

(١) الملل والنحل، للشهرستاني (ج١، ص٩٣).

(٢) لمن أراد التوسع مراجعة : درء تعارض النقل والعقل لشيخ الإسلام ، ورسالة الأسماء والصفات لمحمد الأمين الشنقيطي ، وشروح الطحاوية والتدمرية ، والرد على الجهمية والمعطلة ، وغيرها.

المطلب الثالث

موافقة الشيخ / عبد الرحمن الوكيل لمعتقد السلف في باب الأسماء والصفات

لقد اعتنى الشيخ / عبد الرحمن الوكيل ـــ رحمه الله تعالى ـــ ببيان هذا الجانب المهم في العقيدة، واعتنى ببيان مذهب السلف فيه نظراً لأهميته والتباس الحق فيه على كثير من الناس.

وقد ارتكز كلامه في أكثر كتبه ومقالاته عليه مقرراً مذهب السلف بذكر الأدلة النقلية والعقلية الدالة على صحته.

وبين ـــ رحمه الله تعالى ـــ أنه يجب على المسلم تجاه أسماء الله تعالى وصفاته إثباتها، وأن الذي ينبغي التعويل عليه في ذلك هو الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح رحمهم الله تعالى.

فوقف عليه ـــ رحمة الله تعالى ـــ من نصوص الكتاب والسنة مثبتاً لله أسماءه وصفاته كما يليق به تعالى مع تنزيهه عن مشابهة المخلوقات؛ فهو سبحانه ليس كمثله شيء.

وقرر ـــ رحمه الله تعالى ـــ منهجه وفق قواعد أهل السنة والجماعة في إمراره للصفات كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

وعند النظر في منهج الشيخ/ عبد الرحمن الوكيل من خلال مقالاته وكتبه التي عالجت هذا الجانب يتضح أنه ـــ رحمه الله تعالى ـــ عند إرادته تبيين معتقده في هذا الجانب؛ فإنه يتبع ـــ غالباً ـــ إحدى الطرق التالية:

أ ـــ يورد قوله مباشرة حول الإيمان بالأسماء والصفات بعد عرض الأدلة.

ب ـــ يورد أقوالا لشيخ الإسلام / ابن تيمية حول مذهب السلف الصالح ـــ رحمهم الله تعالى ـــ في توحيد الأسماء والصفات، ويكتفي بقوله مستدلاً به، وهذا هو الغالب في معالجاته لهذا الجانب.

ج ــ يذكر أقوال شيخ الإسلام / ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ ثم يعقب على ذلك بعقيدته وعقيدة جماعته "أنصار السنة".

ولا شك أن الإيمان والإقرار بتوحيد الأسماء والصفات على النحو الذي قدمت لا يقل أهمية عن الإقرار بالربوبية والألوهية؛ بل لا أبالغ حين أقول إن اهتمام السلف الصالح ــ قديماً وحديثاً ــ بتوحيد الأسماء والصفات كان أكثر من اعتنائهم بالقسمين الآخرين من أقسام التوحيد.

ويمكن إرجاع ذلك ــ في نظري والله تعالى أعلم ــ لسببين:

١ ــ أن توحيد الأسماء والصفات فرض كثير من المتكلمين على المسلمين معالجته بطرق عقلية بعيداً عن المنهج السوي المستند إلى النقل، وذلك لأن كثيراً منهم لا يؤمن إلا بالمقدمات العقلية؛ فاضطر كثير من علماء السلف رحمهم الله تعالى لمحاولة إقناعه بالمثل؛ فدخل الجميع في متاهات عقلية وفلسفية.

٢ ــ وهو أهمهما أن أكثر البدع دخلت على المسلمين من خلال اختلافهم في توحيد الأسماء والصفات؛ فظهرت المعطلة، والمؤولة، والمشبهة، وغيرها من الفرق التي كان من أهم مرتكزات افتراقها مع جماعة المسلمين عدم فهمها لحقيقة توحيد الأسماء والصفات.

ومن هنا كان اعتناء الشيخ / عبد الرحمن الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ بتوحيد الأسماء والصفات تبييناً للدين من جهة، وتحذيراً من البدع التي أصابت المسلمين في أسماء الله تعالى وصفاته من جهة أخرى، وخروج كثير منهم عن منهج السلف الصالح؛ إما إلى التعطيل أو التأويل أو التجسيم والتشبيه، ونحو ذلك.

يقول عليه ــ رحمه الله تعالى ــ: (الله سبحانه هو العليم الخبير حقاً بما يجب لربوبيته وإلهيته. وقد بين لنا عز شأنه تفضلاً منه ورحمة هذا في كتابه الحكيم أجلى وأتم وأكمل بيان. فما يجوز لامرئ الزعم بأن للعقل التصرف في إثبات ما يجب وما يجوز وما يستحيل على الله سبحانه، والمؤمن الحق هو من يؤمن صادقاً بكل ما وصف الله به

نفسه إثباتاً ونفياً. فيثبت خاشعاً ما أثبـــت الله سبحانه لنفسه. وينفي متزها ما نفاه عنها ــ جل وعلا ــ .

هو من يوحد الله توحيـــداً قولياً. وعملياً وعلمياً واعتقادياً في الربوبيـــة والإلهية بما ورد في الكتاب والسنة ؛بل يجب عليه قبل هذا أن يتلقى مؤمناً مخلصاً ما جاء في الكتاب والسنة عن صفات الله وأسمائه، دون لمسة من ريب تدفعه إلى التأويل، أو همسة من فكر تلوذ به إلى التعطيل، أو تجاوب مع الحس يهيم به في التجسيم أو التمثيل)(١).

وبما أن الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ من العلماء الذين يقسمون التوحيد إلى نوعين: الربوبية والألوهية في كثير من كتبه، وربما قسمه إلى ثلاثة ــ كما بينت سابقاً ــ فإنه ربما ذكر توحيد الأسماء والصفات عند كلامه على توحيد الربوبية.

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (ولابـــد في توحيد الربوبيـــة من أن يوصـــف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله إثباتاً ونفياً؛ فيثبت المؤمن الموحد لله ما أثبته سبحانه لنفســـه، وينفـــي عنه ما نفاه عن نفســـه بلا تشبيه، ولا تمثيل ولا تكييـــف ولا تعطيل)(٢).

ومن المعلوم أنه لا يصف الله أعلم بالله من الله، ولا يصف الله بعد الله أعلم به من رسوله ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ ، فالمؤمن الصادق الإيمان يرضى لله تعالى من الأسماء والصفات ما رضي لنفسه، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه، فكلام الله ﷻ حق كله.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (وأدل دليل على إخلاص الإيمان... الاعتقاد بأنه فيما أخبرنا به عن صفاته وأسمائه لم يخبرنا إلا بما هو الحق والكمال، وأنه رضي لنفسه هذه الأسماء والصفات)(٣).

---

(١) مصرع التصوف، عبد الرحمن الوكيل (ص١٧٥) بتصرف يسير.

(٢) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٥).

(٣) الصفات الإلهية، عبد الرحمن الوكيل (ص ٨).

ويستطرد في موضع آخر؛ مبيناً توحيد الأسماء والصفات بطريقة البسط والنشر والتوضيح.

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (وصف الله سبحانه وتعالى نفسه بصفات وسمى نفسه جل شأنه بأسماء، وأخبر عن نفسه ــ تعالت قدرته ــ بأفعال...

ثم مثل لكثير من الصفات والأسماء من كتاب الله تعالى معرجاً في نهاية مبحثه على الأحاديث الواردة في الأسماء والصفات ممثلاً منها بما تقتضيه الحاجة، ثم عرج على موقف الصحابة من هذا النوع من التوحيد، وفي النهاية ختم حديثه بموقف أهل السنة والجماعة من توحيد الأسماء والصفات ناقلاً عن الإمام أبي الحسن الأشعري حيث إنه متفق على إمامته بين أهل السنة والأشاعرة[١].

وبما أن المشركين كانوا مقرين بصفة الخالقية لله ﷻ، وموقنين بأنه هو الذي خلق الكون، بما فيه هم أنفسهم كما نص على ذلك كتاب الله تعالى، فإن إقرارهم بصفة الخالقية يستلزم إيمانهم ببقية الصفات؛ إذ لا فرق بين الجميع.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (والخالقية أجل وأعظم صفات الربوبية، وهي تستلزم وتتضمن وجود الصفات الأخرى..

فالخالق حي رازق قدير سميع عليم... وهكذا.

ولهذا تحدى الله بها المشركين في كثير من الآيات وما تحدى بصفة غيرها كما تحدى بها، "حتى الصفات الأخرى التي تحدى بها تدل دلالة وثيقة على أنها ترتبط بصفة قبلها هي الخالقية)[٢].

ويرد على شبهة القائلين بأن بعض هذه الصفات يوهم غير اللائق بالله تعالى فيقول: (ومن أقوى الأدلة على قوة الإيمان، وهيمنته على القلب والعقل هو أن تعتقد اعتقاداً لا يشوبه شك أن كل ما وصف الله به نفسه، وسمى به نفسه في القرآن هو الحق

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص٥ــ١٣).

(٢) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نور من القرآن ، عدد ٥ ، تاريخ ١٣٨٣هــ (ص١٠).

الذي لا يجــوز لمسلم أن يحيد عنـــه، أو يرتاب فيـــه، أو يضربـــه برأي طـــروح، وهوى جموح)[١].

والناظر في معالجة الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ لباب الأسماء والصفات يمكن أن يلخصه في نقاط ثلاثة هي:

أولاً : الإقرار بالأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة :

ثانياً: تنزيه الله تعالى عن النقائص ومماثلة المخلوقين ونفي التكييف والتشبيه عنه.

ثالثاً: إجراء نصوص الصفات على ظاهرها مع الإقرار بمعانيها، وذم التأويل الفاسد لها.

وسوف أبين كل واحدة من هذه النقاط بشيء من التفصيل على النحو الآتي:

أولاً: الإقرار بالأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة:

يرى الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ أن الإيمان لا يتم إلا بتحقيق أنواع التوحيد الثلاثة؛ فلا بد من الإقرار بتوحيد الأسماء والصفات على نحو ما قرر السلف ــ رحمهم الله تعالى ــ.

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (التوحيد أن نصف الله ونسميه بما وصف وسمى به نفسه دون أن نتلمس هوى النفس، وشبه العقل، وعمى التقليد...)[٢].

ويسلك ــ رحمه الله تعالى ــ في باب الأسماء والصفات وغيره من أبواب الاعتقاد مسلك السلف الصالح؛ فيقف عند نصـــوص الكتاب والسنة معظماً لها معتمـــداً على ما صح في سنة رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ ؛ فيثبت لله أسماءه الحسنى وصفاته العليا على الوجه اللائق به وفق ما وردت به النصوص الشريفة.

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (أليس من سمو الإيمان ويقينه وقدسية التوحيد أن يكون توحيدنا لله في أسمائه وصفاته على هدى من كتاب الله وسنة رسوله.

---

(١) الصفات الإلهية، عبد الرحمن الوكيل (ص ٨ــ٩).

(٢) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نور من القرآن ، عدد ٢ تاريخ ١٣٧٩هــ (ص٤).

وأن نرضى لأنفسنا فيه ما ارتضاه عبد الله ورسوله محمد ﷺ، وما دان به أصحابه ــ رضوان الله عليهم ــ وما استنار به في الإيمان أئمة الدين المهتدون.

إننا نؤمن بهذا وإليه ندعوا وإليه نتوسل إلى الله.

نؤمن بصفات الله إثباتاً وتتريهاً كما ورد به الذكر الحكيم، وفصلتها السنة المطهرة)[١].

فالشيخ إذن يؤمن بالأسماء والصفات من حيث الإجمال، ويتره الله تعالى عن المشابهة، كما يؤمن بالصفات والأسماء الواردة في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ تفصيلاً، مقراً بمعانيها، مجرياً لها على ظواهرها..

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (وصف الله سبحانه وتعالى نفسه بصفات وسمى نفسه جل شأنه بأسماء وأخبر عن نفسه تعالت قدرته بأفعال.

وأن ليس كمثله شيء، ولا سمي له، ولم يكن له كفؤا أحد.

وأخبر سبحانه أنه له علماً: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ ﴿٢٥٥﴾﴾[٢].

وأن له صفة هي الحياة: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴿٥٨﴾﴾[٣].

وصفة هي القوة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[٤].

وصفة هي الكلام: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ﴿١٤٤﴾﴾[٥].

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٧)، بتصرف يسير.

(٢) (سورة البقرة: آية ٢٥٥).

(٣) (سورة الفرقان: آية ٥٨).

(٤) (سورة الذاريات: آية ٥٨).

(٥) (سورة الأعراف: آية ١٤٤).

وأن له يدان: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ (٦٤)﴾[١].

وأثبت سبحانه الفوقية لذاته العليا: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١٨)﴾[٢].

وأخبر سبحانه أنه استوى على عرشه وقد ورد ذلك في سبع آيات من القرآن.

وأخبر أنه مع الصابرين والمتقين... وأنه يحب ويكره ويرضى ويغضب، وأنه يجيء يوم القيامة.

هذا كله أخبر به سبحانه وبغيره في القرآن الذي أنزله على رسوله الأمين ليبلغ به رسالة الله إلى العالم كله جنيه وإنسيه)[٣].

وحتى لا يقوم دعاة عدم حجية السنة، الرافضين لأحد الوحيين، المتسترين بما تمليه عليه شبههم العقلية، فإن الشيخ رحمه الله تعالى سلك مسلك السلف الصالح ــ رحمهم الله تعالى ــ فوصف الله بما ثبت من طريق العدول الثقات أن رسوله ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ وصفه به أو سماه به..

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (.. فوصفه ــ يعني رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ بالنزول إلى السماء الدنيا[٤]، وأنه جل شأنه يفرح بتوبة عبده

(١) (سورة المائدة: آية ٦٤).

(٢) (سورة الأنعام: آية ١٨).

(٣) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٥ــ٩) بتصرف.

(٤) صحيح البخاري كتاب التهجد باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل وقال الله ﷻ :{كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون} أي ما ينامون {وبالأسحار هم يستغفرون}، حديث رقم ١١٤٥ (ج٣، ص ٣). صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب فى الدعاء والذكر فى آخر الليل والإجابة فيه.حديث رقم ١٨٠٨(ج٢، ص١٧٥).

التائب[١]، وأن القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن[٢]... وغير ذلك مما جاءت به السنة المطهرة ورواه العدول الثقات)[٣].

وفي هذا المضمار لا بد من الرد على المؤولة؛ لأنهم لا ينكرون شيئاً من هذه الصفات؛ بل يقرون بها لكنهم يخلطون السم بالعسل؛ فيؤولونها على وفق ما أوحت إليهم عقولهم..

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (... كما ثبت عنه ﷺ أنه لم يؤول شيئــاً مما ورد في القرآن من صفات الله وأسمائه...

ولا نهى عن التكلم فيها أو حمد الله بها والثناء عليه ولو أنه ــ عليه الصلاة والسلام ــ علم من الله أن المراد بصفات الله غير ما تدل عليه ألفاظها من معان اللغة؛ لبادر إلى بيان ذلك حرصاً على هداية أمته، وتحقيق كمال اعتقادهم في الله سبحانه وتعالى)[٤].

ويكثر ــ رحمه الله تعالى ــ في الرد على المؤولة مبيناً لهم أدلة دامغة على عدم صحة مسلك التأويل لعلهم أن يهتدوا ويرجعوا عن غيهم، ومن أهم ما استدل به عليهم:

١ ــ أن سكوت النبي ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ عن تفسير تلك الصفات آكد في تقرير الدلالة على معانيها وظواهرها.

٢ ــ أنه لو كانت لا تدل على معانيها المعروفة من لغة العرب لبادر ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ لتأويلها وتبيين المراد منها.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب التوبة قال قتادة :{توبوا إلى الله توبة نصوحا}، الصادقة الناصحة حديث رقم ٦٣٠٨ (ج١٦، ص٤٤). صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها حديث رقم ٧١٢٨ (ج٨ ، ص٩١).

(٢) صحيح مسلم كتاب القدر باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء حديث رقم ٦٩٢١ (ج٨، ص٥١).

(٣) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٩) بتصرف.

(٤) المرجع السابق (ص ٩) بتصرف.

قلت: ولا شك أن دواعي البيان واقعة، ومن المعلــوم أن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز.

٣ ــ أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يرتابوا في معاني الصفات الإلهية، ولم يؤولوها.

٤ ــ ثم يطالبهم بدليل واحد على تأويلهم[١].

قلت: ولا شــك أنه ليــس عندهم إلا محض قياســات ومقدمــات عقليــة، ولا يستطيعون إسناد خبر واحد يدل على تأويل صفات الله تعالى لا إلى النبي ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ، ولا إلى صحابته رضوان الله عليهم، ولا إلى تابعيهم بإحسان.

وإذا كان هذا هكذا فكيف يعارض صريح كتاب الله تعالى، وصحيح وصريح سنة رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ، بمحض القياس، والرأي، والذوق.

سبحانك هذا بهتان عظيم .

ويوضح النقطة الثالثة المتعلقة بفهم الصحابة لمعاني الصفات الإلهية فيقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (تواتر عن الصحابة رضوان الله عليهم إيمانهم العميق بكل ما جاء عن الله ورسوله من صفاته وأسمائه وأفعاله.

وتواتر عنهم جميعا أن واحدا منهم لم يؤول صفة من صفات الله تأويلاً يخرج الكلام عن معناه أو يعطل الذات العليا عن صفاتها.

وتواتر عنهم أنهم لم يتنازعوا في شيء منها وهم الذين تنازعوا في بعض الأحكام.

وتواتر عنهم أن واحدا منهم لم يسأله ﷺ عن شيء منها، وهم الذين سألوه عن الأهلة وغيرها مما ليس له عظيم شأن في الدين.

---

(١) الصفات الإلهية، عبد الرحمن الوكيل (ص ١١).

وهذا يدل دلالة قوية محكمة على أن الصحابة لم ير واحد منهم وصف الله بذلك ولا في الإخبار عنه بصفاته ما يمس تنزيه الله سبحانه بشائبة؛ بل يدل على أنهم كانوا يرون في الثناء على الله بصفاته وحمده بأسمائه أكمل مراتب التوحيد والإيمان.

ويدل على فهم الصحابة لهذه الصفات حسب ما تقرره لغة القرآن، فسكوتهم وعدم تنازعهم حجة قوية على ذلك)[١].

ثم يشفع ــ رحمه الله تعالى ــ تلك الأدلة الدامغة القوية بأسئلة تترك المؤولين وغيرهم من المبتدعة في حيرة من أمرهم، وتجعلهم أمام الحق الواضح البين، وتلك حجة الله تعالى يؤتيها من يشاء من عباده.

يقول عليه رحمة الله تعالى: (ما العلة في أن صحابياً واحداً لم يسأل الرسول ﷺ عن الاستواء والنــزول؛ بل عن فرح الله بتوبة عبده؟

ألا يدل هذا السكوت على ذلك اليقين والإدراك الذي استضاءت به فهوم الصحابة وقلوبهم؟!

ألا يدل على أنهم كانوا جميعاً مطمئنين إلى أنها في غير حاجة إلى تفسير، وعلى أنهم هم والتابعين كانوا مجمعين على الآيات الموقن بها كما وردت وكما هي في لغة العرب وكما وضحت السنة)[٢].

أما دعوى المؤولين بأن الإقرار بمعاني الصفات يستلزم مشابهة الخالق للمخلوق، بل ومماثلته له، فسوف أعالج رد الشيخ عليها في النقطة التالية.

ثانيا: تنزيه الله عن النقائص والعيوب ومماثلة المخلوقين ونفي التكييف والتشبيه عنه تعالى:

إن كثيراً من المؤولين، وخاصة الأشاعرة، وبالأخص "الأزهريين منهم" ما فتئوا يدندنون حول دعوى تنــزيه الله تعالى، وأن الذي دفعهم إلى تأويل بعض الصفات هو

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٠) بتصرف يسير.

(٢) المرجع السابق (ص ١٩ــ ٢٠) بتصرف.

أنها تفضي إلى مشابهة الخالق بالمخلوق، وتلك دعوى أشبعها السلف الصالح ــ رحمهم الله تعالى ــ رداً ودحضاً لأدلتها، وبيان تلبيس إبليس على المؤولة فيها؛ حتى غداً كثير منهم يجاهر بها مدافعاً عنها، بعد أن كانوا يستترون بها في بداية ظهورهم.

وقد كان الشيخ / عبد الرحمن الوكيل متبعاً لمنهج السلف الصالح؛ فحرص على الرد على هذه الشبهة، وبين المنهج الحق الذي يلزم اتباعه، حتى لا تزيغ الأفئدة، وتضل الفهوم.

يقول عليه ــ رحمة الله تعالى ــ: (نؤمن بصفات الله، إثباتاً، وتتريها، كما ورد بها الذكر الحكيم، وفصلتها السنة المطهرة، متخذين من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[1]. نوراً نهتدي به في فهم الظواهر الدالة عليها آيات وأحاديث الصفات)[2].

وحتى لا يدخل بعض المغرضين على كلامه ما ليس فيه، ويجنح إلى القول بالمشابهة، زاد كلامه السابق وضوحاً وبياناً، فقال ــ رحمه الله تعالى ــ: (... فلا نقول استواء كاستواء، ولا يداً كيد، ولا وجهاً كوجه، ولكن نقول استواء الله ــ جل وعلا ــ، ويد الله الجواد الكريم، ووجه الله ذو الجلال والإكرام)[3].

واتضح الأمر وزال الإشكال والالتباس؛ فلم يبق لمسلم عذر بعد ذلك الميزان الذي وضعه الشيخ رحمه الله تعالى، ومن قبله علماء السلف ــ رحمهم الله تعالى ــ، والمتمثل في تلك الآية الواضحة في مسألة الأسماء والصفات؛ فإن أهل البدع لو تدبروها لما أشكل عليهم شيء من ذلك..

يقول الشيخ / عبد الرحمن الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ: (فمن أثبت الصفات بظواهرها دون أن يعصم عقيدته بالآية النافية للمثلية؛ فهو نزاع إلى التمثيل، ومن دان

---

(١) (سورة الشورى: آية ١١).

(٢) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٧ــ١٨) بتصرف يسير.

(٣) المرجع السابق)ص ١٧ــ١٨) بتصرف يسير.

بنفي المثلية، ونفى ــ تبعاً لها ــ صفات الله؛ فهــو نزاع إلى جعــل الذات عدمــاً، وكلا الأمرين كفر وإلحاد)[١] .

والآية الكريمة المذكورة واضحة في إثبات الصفات ونفي المشابهة؛ بأدق عبارة، وأفصح أسلوب.

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ موضحاً هذا المعنى: (﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[٢] ثم تأمل في هذه الآية، ألا تراه سبحانه يثبت لنفسه صفتي السمع والبصر بعد نفي المثلية، ألا يؤكد لــك هذا ــ وربنا أعلم ــ أن إثبــات صفاته لا يمس تنزيه الله وتقديسه، وبأن نفي المثلية ليس معناه نفي صفاته وأسمائه.

ثم إن التعقيب على نفي المثلية بذكر صفتي السمع والبصر، لا بالحيــاة أو العلم أو القيومية مثلاً آكد في الدلالة على وجوب إثبات صفاته سبحانه من التعقيب عليها بذكر صفات أخرى؛ لأن السمع والبصر ألصق رجما بالتشبيه من العلم والقدرة والقيومية؛ فكأن إثبات هاتين الصفتين بعد نفي المثلية ــ وربنا أعلم ــ حجة حق إلهي تصدع باطل الزاعمين أن إثبات الصفات يمس تقديس الله وتنزيهه، وبرهان قوي على أن إثبات الصفات ــ حتى التي توهم تشبيها ــ توحيد وإيمان، ففي قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[٣]رد للتشبيه والتمثيل، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[٤] رد للإلحاد والتعطيل.

فيا للإعجاز في الكتــاب الإلهي بآية واحدة يهــدي عقول البشــر إلى حقيقة التوحيد)[٥].

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٧ــ١٨) بتصرف يسير.

(٢) (سورة الشورى: آية ١١).

(٣) (سورة الشورى:آية ١١).

(٤) (سورة الشورى:آية ١١).

(٥) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٢٠).

قلت: أما قول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: "حتى التي توهم تشبيهاً" فلا أراه دقيقاً؛ لأن المسلم لا يتبادر إلى ذهنه، ولا يتوهم إذا ذكرت له صفة من صفات الباري ــ جل وعلا ــ مشابهتها لصفات المخلوقين؛ بل العكس هو الذي يتبادر إلى الذهن وهو منافاة صفات الخالق لصفات المخلوقين كمنافاة ذاته العلية لذواهم.

ثم إن الظاهر ــ والله تعالى أعلم ــ أن الله ﷻ عقب بإثبات صفتي السمع والبصر بعد نفي المثلية، بسبب أن هاتين الصفتين يتمتع بهما غالباً كل المخلوقات؛ فذكرهما جل شأنه لبيان أن إثبات صفات الله تعالى لا يتوهم منها مشابهته لمخلوقاته تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً[(١)].

تلك هي أهم قواعد إثبات الصفات لله ــ جل وعلا ــ، وقد ذكرت مفصلة في الكتاب والسنة، وأما النفي أو التتريه، فقد ذكر مجملاً؛ فيجب الإيمان به كذلك..

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ موضحاً هذه النقطة: (أثبت القرآن، والسنة لله صفاته على وجه التفصيل، ونفياً عنه جل شأنه إجمالاً ما لا يصح من التشبيه والتمثيل، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾[(٢)] أي نظيراً يستحق مثل اسمه.

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[(٣)]

﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾[(٤)] ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ ۝١٠١﴾[(٥)] ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ۝٢﴾[(٦)].

---

(١) أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي (ج٢، ص ١٩).

(٢) (سورة مريم:آية ٦٥).

(٣) (سورة الإخلاص: الأيات ٢ــ٣ــ٤).

(٤) (سورة البقرة:آية ٢٢).

(٥) (سورة الأنعام:آية ١٠١).

(٦) (سورة الفرقان: آية ٢).

وغير ذلك من آيات القرآن التي نفى الله فيها عن نفسه ما يجب نفيه.

أما ما أثبته القرآن والسنة على وجه التفصيل، فلا سبيل إلى الإحاطة به هنا وحسبك ما قدمته لك والذي نريد أن نقوله هنا: أن الصفات الإلهية دائرة بين الإثبات والنفي، أو بين الإيجاب والسلب، أو بمعنى أولى: بين الإثبات والتنزيه؛ فنثبت لله ما أثبته من الصفات لنفسه وننفي ما نفاه سبحانه عن نفسه)[(١)].

ويرد الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ على شبهتين يتستر خلفهما فريقين من أكثر المنحرفين في باب الأسماء والصفات.

الشبهة الأولى: دعوى أن القول بتعدد الأسماء يفضي إلى القول بتعدد الذات، وقد شغب به الفلاسفة كثيراً، ودندنوا حوله.

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (... وأيا ما كان فإن الله سبحانه يهدينا إلى أن له أسماءه الحسنى التي تليق بجلاله وجماله وربوبيته وألوهيته.

وأنه لا ينال من ربوبية الله وألوهيته أو وحدانيته أن نسميه باسم سمى به نفسه؛ إذ لا يلزم من هذا تعدد في ذاته كما يزعم عبيد الضلالة والفلسفة الحمقاء)[(٢)].

الشبهة الثانية: شبهة النقص، كما يزعم المؤولون والمعطلون، فإن منهم من نصب نفسه أعلم بالله من الله، وأخذ يقسم أسماء الله تعالى وصفاته؛ فيقول: هذا يليق بالله، فيترك على ظاهره، وهذا لا يليق به فيصرف اللفظ فيه عن ظاهره، ولا شك أن من فعل ذلك في أشد الضلال، وأبعد التيه.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (.. ولا يلزم محال أبدا أي نقص يلحق بالله من اسم سمى به نفسه كما يزعم شياطين التأويل أو التعطيل من الخلق)[(٣)].

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٣٣).

(٢) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٢، تاريخ ١٣٨٢هـ (ص٩).

(٣) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٢، تاريخ ١٣٨٢هـ (ص٩).

وحتى الصفات السلبية التي يتصور بعض ضعاف العقول أنها توهم النقص؛ فقد أثنى الله بها على نفسه، آمرا بحمده تعالى بها، حيث قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾[١].

يقول الشيخ الوكيل معلقا على هذه الآية: (يوجب علينا الله سبحانه أن نحمده لأنه متصف بهذه الصفات السلبية.

وقد جاء طلب الحمد بعد أن أثبت لنفسه الأسماء الحسنى، وأثبت أنه من الخير أن ندعوه بها، وأن نسميه بها لا ينال أبدا من جلاله وكماله ووحدانيته.

جاءت هذه الآية مؤكدة معنى ما قبلها؛ إذ لا بد مع الإثبات من النفي، فرأس التوحيد وملاكه وعموده "لا إله إلا الله " وهي إثبات ونفي.

ولقد أثبت لله لنفسه الأسماء الحسنى فكان لا بد أن ينفي عن نفسه ما لا يليق به، وما انداحت الأوهام فيه، وما تلبست به العقول من ضلالة وزندقة)[٢].

ويرد الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ على التهم التي وجهت له ولجماعته أنصار السنة المحمدية؛ بل ولجميع أهل السنة والجماعة بأنهم مشبهون مجسمون ونحو ذلك من التهم التي دخلت على القائلين بها إما بسبب حقد دفين على أهل السنة وأهل الإسلام، وإما بسبب شبه انطلت على كثير منهم في هذا الباب وغيره.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ رادا تلك الشبه ومدافعا عن أهل السنة عامة، وعن جماعته خاصة،: (... وكان أخس بهتان اقترفوه هو أننا نبغي على الله فنزعم أنه سبحانه يماثل خلقه في ذاته وصفاته.

لا تتهمونا نحن بالتجسيم؛ بل اتهموا سلف هذه الأمة الذين أنذر الله من يتنكب سبيلهم بجهنم وسوء المصير، وذلك في قوله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ

---

(١) (سورة الإسراء: آية ١١١).

(٢) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٢، تاريخ ١٣٨٢هـ (ص١٢).

بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾[١].

اتهموا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار فقد كانوا يؤمنون بصفات الله وأسمائه.

اتهموا الذين بايعوا الله ورسوله تحت الشجرة؛ فقد كانوا يؤمنون بصفات الله وأسمائه.

بل اتهموا رسول الله ﷺ فإنه هو الذي أخبرنا بوحي من ربه أن الله ينزل ويجيء ويفرح بتوبة عبده.

لا تجعلونا دريئة[٢] تستترون بها وأنتم تحاربون الله ورسوله؛ فما افترينا له سبحانه صفة أو اسما كما افتريتم.

وإنما آمنا بما وصف به نفسه؛ فوصفناه بهذه الصفات نفسها وآمنا بما سمى به نفسه فدعوناه جل شأنه بهذه الأسماء.

نحن والله لا ندعو إلى تمثيل أو تجسيم، إنما ندعو إلى الإيمان بالرب الذي دعينا إلى عبادته في القرآن ومعرفته بصفاته وأسمائه التي ذكرها جل شأنه وذكرها رسوله ﷺ هذا ما ينادي به أنصار السنة يدعون إلى عبادة رب القرآن والإيمان برب القرآن وبأسماء

---

(١) (سورة النساء:آية ١١٥).

(٢) الدريئة مهموزة الحلقة التي يتعلم عليها الطعن وهي فعيلة بمعنى مفعولة من درأت أي دفعت والدرية غير مهموزة دابة أو جمل يستتر به الصائد فيرمى الصيد وهو من دريت أي ختلت ومنه قول الشاعر :

(**فإن كنت لا أدري الظباء فإنني ** أدس لها تحت التراب الدواهيا**) وبنوه على مثال خديعة إذ كان في معناها. انظر : الأمالي في لغة العرب ، أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م (ج٢، ص١٩٣) قلت : وقد أجاد الشيخ رحمه الله تعالى استخدامها هنا أجود استخدام وأدقه .

وصفات رب القرآن وما هي في الفلسفة، ولا في التصوف، ولا في الكلام، وإنما هي في الكتاب والسنة)[١].

ثالثا: إجراء نصوص الصفات على ظاهرها مع إقرار معانيها:

لقد قدمت عند عرضي لمعتقد السلف الصالح في الأسماء والصفات أنهم يجرونها على ظاهرها دون الخوض في كيفيتها، وبينت ـــ ناقلة عن الشيخ ـــ رحمه الله تعالى ـــ أن سكوت النبي ـــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـــ عن تفسير هذه الصفات هو أكبر دليل على الإقرار بمعانيها المفهومة منها في اللغة العربية، وأن المتبادر إلى ذهن العربي العادي هو أن لله تعالى الصفات التي تليق بجلاله وعظمته كما أن للمخلوق صفاته المناسبة لعجزه وفقره وضعفه.

ولكن إقرار السلف بالصفات وإجراؤهم لها على ظاهرها كان عند كثير من القاصرين في فهم الظاهر، هو نفسه منهج الخلف وأنه لا خلاف بين الفريقين من حيث الحقيقة، وهذا بعيد عن الواقع، ومجانب لحقيقة الظاهر عند السلف، ومعناه عند الخلف.

يقول الشيخ / الوكيل ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (يزعم بعض الناس أن دين السلف في الأسماء والصفات الإلهية هو إقـــرار ألفاظها على ما جـــاءت به مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد.

ثم يزعم هؤلاء أن دين السلف هو دين الخلف، فلا خلاف بين الفريقين إلا في أن السلف أمسكوا عن التأويل مخافة أن يكون المراد معنى آخر، أما الخلف فرأوا المصلحة في تأويلها.

وهذا التصوير لمذهب السلف مخالف للحقيقة وقد نتج إما عن سوء فهم وإما عن سوء نية وكذب...)[٢].

---

(١) الصفات الإلهية، عبد الرحمن الوكيل (ص ٢٩ ـــ ٤٠) بتصرف.

(٢) المرجع السابق (ص١٣٦ـــ١٣٧).

ولا يقرر الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ عقيدة السلف في الأسماء والصفات وكأنه أتى بها من نفسه بل يدعم كلامه بنقولات عن أئمة السلف وخاصة شيخ الإسلام ابن تيمية، وسوف يعلل كثرة نقله عنه لاحقا.

والمهم أن الشيخ/ الوكيل هنا يوضح التحقيق في مسألة ظواهر الصفات ومعانيها فيقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (... ويقول ابن تيمية ما مثاله: إن كان المراد من "الظاهر" صفات الخلق؛ فلا شك في أنه غير مراد، وإن كان المراد من "الظاهر" المعاني التي تظهر من الآيات والأحاديث مما يليق بجلال الله وعظمته، ولا تختص بصفات المخلوقين؛ فلا ريب في أن السلف كانوا يؤمنون بهذا الظاهر بهذا التحديد، ولا ينفونه مطلقا، ومن ينف عن السلف الإيمان بمعاني آيات الصفات وأحاديثها، فقد أخطأ، أو تعمد الكذب، إذ ما نقل عن واحد من السلف ــ لا نصاً ولا ظاهراً ــ إلا ما يدل على أنهم كانوا يعتقدون أن الله فوق العرش وأن له سمعاً وبصراً ويداً حقيقية "[(١)].

وإليكم طريقة السلف كما حققها الإمام الجليل ابن تيمية: "إن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته الله من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه مع إثبات ما أثبته من الصفات من غير إلحاد، لا في أسمائه ولا في آياته[(٢)].

وفي كتاب آخر يقول: "القول في صفاته كالقول في ذاته والله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في أفعاله، لكن يفهم من ذلك أن نسبة هذه الصفة إلى موصوفها كنسبة هذه الصفة إلى موصوفها "[(٣)].

---

(١) الفتوى الحموية الكبرى، لابن تيمية (ج١، ص ٤٩) وكتبه الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ بمعناه.

(٢) اقتضاء الصراط، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ت: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م (ج١، ص٤٥٢) وكتبه الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ بمعناه.

(٣) شرح حديث النـزول، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م (ج٢، ص١٣).

ثم يرد ابن تيمية على من يؤمنون باللفظ ويفوضون المعنى، وعلى غيرهم بقوله: "والمعاني المفهومة من الكتاب والسنة لا ترد بالشبهات، فتكون من باب تحريف الكلم عن مواضع، ولا يعرض عنها فيكون من باب الذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً، ولا يـــترك تدبر القرآن، فيكـــون من باب الذين لا يعلمـــون الكتاب إلا أماني"[(١)].

وفي كتاب آخر يذكر ما رد به مالك ﷺ على من سأله عن الاستواء، ثم يقول: "وهذا الجواب من مالك رحمه الله في الاستواء شاف كاف في جميع الصفات مثل النـــزول والمجيء واليد والوجه وغيرها،؛ فيقال في مثل النـــزول: النزول معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وهكذا يقال في سائر الصفات؛ إذ هي بمثابة الاستواء الوارد به الكتاب والسنة "[(٢)].

تعقيب: وهذه هي عقيدتنا نحن "أنصار السنة المحمدية")[(٣)].

إذن فليس إجراء نصوص الصفات على ظاهرها هو كما يظن كثير من العوام إقرار باللفظ دون إيمان بالمعنى كلا وحاشا؛ بل هو قبل كل شيء تقرير لمعاني هذه الصفات سواء كانت إثباتاً أو نفياً، وهذا ما دل عليه كلام السلف رحمهم الله تعالى.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ مبيناً حقيقة إجراء نصوص الصفات على ظاهرها: (..فليست حقيقة الإجراء إلا تقرير لمعانيها، وتوكيد للإيمان بها...)[(٤)].

ولا ينسى الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ في خضم رده على الشبه التي يثيرها الخلفية ــ أن يدافع عن علماء الأمة الربانيين؛ فيقول مبيناً سبب نقله عن شيخ الإسلام

---

(١) الإكليل في المتشابه والتأويل ، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، (المتوفى: ٧٢٨هـ، خرج أحاديثه وعلق عليه: محمد الشيمي شحاته ، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية ــ مصر ، (ج١، ص١٦).

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (ج٤، ص ٤).

(٣) الصفات الإلهية، عبد الرحمن الوكيل (ص١٣٧ــ١٤٠) بتصرف.

(٤) المرجع السابق (ص١٤٠ــ١٤١).

ابن تيمية بالذات، واختياره له من بين سائـــر علماء الأمة المدافعين عن عقيدة السلف ــ رحمهم الله تعالى ــ:

(... وقد تعمدت النقل عن ابن تيمية ــ ولم أنقل عن كتاب واحد بل عدة كتب له ــ لأن الخلفية في سعار الحقد تبهـــت الإمام الجليل ابن تيميـــة بالتمثيل والتجسيم، ولا تصب حميم غضبها على أحد من أئمة المسلمين كما تصبه على الإمام ابن تيمية.

فهل فيما نقلت لك عن "ابن تيمية" أثارة مما بهتوا به شيخ الإسلام الذي حطم أوثان الخلفية؟!.

تدبر ما كتبه الإمام مرات ومرات؛ فلن تجد لما بهتوه به سوى وهم تخيل أنه ظل من حقيقة، وسوى "خلفية" تعبر عن ضغينة مسعورة ضد الكتاب والسنة)[1].

---

(١) الصفات الإلهية، عبد الرحمن الوكيل (ص١٤٠ــ١٤١).

المطلب الرابع

الأسماء والصفات التي تناولها الشيخ رحمه الله تعالى

بادئ بدء لا بد أن أبين أنه من خلال استقرائي لمنهج الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ في إثبات الصفات تبين لي أنه يسلك إحدى الطريقتين التاليتين:

١ ــ إما أن يثبت الصفات التي يريد إثباتها ابتداء ثم يعقب عليها بالأدلة الشرعية.

٢ ــ أو يثبت الصفات من خلال إبطال الشبهات الواردة حولها تارة مع ذكر الأدلة، وتارة بعرض أقوال السلف والاكتفاء بها.

ويبدوا من خلال معالجته ــ رحمه الله تعالى ــ لهذا الجانب أنه ركز ــ في أحيان كثيرة ــ على إيضاح تناقض الخلف، وخاصة عند كلامه على الصفات التي عالجها المؤولة.

وسوف أذكر هنا أهم الأسماء والصفات التي تكلم عنها الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ بشيء من التفصيل محاولة أن أبين منهج الشيخ وموضحة مدى موافقته للسلف في ذلك.

أولاً: اسم الله:

اسم الله لم يسم به غيره تبارك وتعالى ولهذا لا يعرف في كلام العرب له اشتقاق من فعل يفعل.

واختلف فيه أهل اللغة فذهب بعضهم إلى أنه اسم جامد لا اشتقاق له.

وقيل إنه مشتق واستدلوا عليه بقول رؤبة بن العجاج:

لله در الغانيات المدّه سبحن واسترجعن من تألهي

ومحل الشاهد فيه أن الشاعر صرح بلفظ المصدر وهو التأله من أله يأله إلهة وتألهاً وقد روي عن ابن عباس أنه قرأ (ويذرك وإلاهتك) قال عبادتك.

وقيل هو مشتق من وله إذا تحير، والوله ذهاب العقل: يقال رجل واله وامرأة ولهى ومولوهة إذا أرسل في الصحراء؛ فالله تعالى يحير الفكر في حقائق صفاته؛ فعلى هذا

يكون ولاه، فأبدلت الواو همزة، كما قالـــوا في وشاح أشـــاح ووسادة أسادة، وقيل غير ذلك[١].

ولا شك أنه اسم من أسماء الله تعالى ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.

يقول الشيخ الوكيل ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (... وأجمل ما قيل وأجمعه عن اسم الله سبحانه ما ذكره ابن القيم في تفسيره لسورة الفاتحة وإليك بعضه: " اسم الله دال على جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا بالدلالات الثلاث فإنه دال على إلهيته المتضمنة لثبوت صفات الإلهية له مع نفي أضدادها عنه.

وصفات الإلهية هي صفات الكمال المنزهة عن التشبيه والمثال وعن العيوب والنقائص ولهذا يضيف الله تعالى سائر الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم العظيم كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[٢].

ويقال: الرحمن والرحيم والقدوس والسلام والعزيز والحكيم من أسماء الله؛ ولا يقال الله من أسماء الرحمن ولا من أسماء العزيز ونحو ذلك.

فعلم أن اسمه الله مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى دال عليها بالإجمال والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الإلهية التي اشتق منها اسم الله واسم الله دال على كونه مألوها معبوداً تألهه الخلائق محبة وتعظيماً وخضوعاً وفزعاً إليه في الحوائج والنوائب وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته المتضمنين لكمال الملك والحمد وإلهيته وربوبيته ورحمانيته وملكه مستلزم لجميع صفات كمالـــه إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحي ولا سميع ولا بصير ولا قادر ولا متكلم ولا فعال لما يريد ولا حكيم في أفعاله وصفات الجلال والجمال أخص باسم الله"[٣])[٤].

---

(١) تفسير ابن كثير (ج١، ص ٢٨).

(٢) (سورة الأعراف:آية١٨٠).

(٣) التفسير القيم لابن القيم ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـــ) المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، بإشراف الشيخ / إبراهيم رمضان، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٠هـــ (ج١، ص ٢٨).

(٤) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نور من القرآن ، عدد ٢، تاريخ ١٣٨٢هـــ (ص٤ــ٥).

اسم: الرحمن:

اسم الرحمن مشتق من الرحمة على وجه المبالغة في الوصف، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم، فالرحمن رحمن الدنيا والآخرة، والرحيم رحيم الآخرة[١].

قال ابن كثير ــ رحمه الله تعالى ــ: (قال أبو علي الفارسي: " الرحمن اسم عام في جميع أنواع الرحمة يختص به الله تعالى، والرحيم إنما هو خاص بالمؤمنين قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾[٢].

قال ابن عباس ــ رضي الله تعالى عنهما ــ : " هما اسمان رقيقان، أحدهما أرق من الآخر، أي أكثر رحمة)[٣].

وهو اسم ثابت لله تعالى في القرآن الكريم والسنة النبوية وإجماع الأمة، وإن أوله بعض المؤولة، وقالوا إنه مجاز، وأن معناه هو الإنعام على الخلق، فذلك مما يدل على محض جهلهم وتقديسهم للعقول العاجزة.

يقول الشيخ / الوكيل رحمه الله تعالى: (﴿ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ﴿١١٠﴾ ﴾[٤] أيها المسلمون، فما في وصف الله بالرحمة شيء ينال من كبرياء ألوهيته، أو جلال ربوبيته.

ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أو ادعوا الرزاق أو ادعوا السلام، أو ادعوا الخالق، أو ادعوا الباري، فبأي اسم سمى به نفسه فسموه سبحانه به وادعوه؛ فقد أصبتم وأحسنتم)[٥] .

---

(١) الفروق اللغوية ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) ت: محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر (ج١، ص٢٥١).

(٢) (الأحزاب:آية ٤٣).

(٣) تفسير ابن كثير (ج١، ص٣٠).

(٤) (سورة الإسراء:آية ١١٠).

(٥) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٢، تاريخ ١٣٨٢(ص٩).

صفة الحياة واسم الحي:

اسم الله الحي مشتق من صفة الحياة، ومن المعلوم أن صفة الحياة وصف ذات لله.

والواجب أن يفرق بين اسم الله الحي وبين اسمه الله المحيي فإنه مشتق من وصف فعل لله.

فالأول ــ أعني اسم الحي ــ وصف لذات الله تعالى، والثاني ــ المحيي ــ صفة فعل.

وصفة الذات هي كل صفة كمال لله لا تتعلق بمشيئته، كالبقاء والعزة، والقدرة، والعلم والقوة، والعلو والحكمة، والوجه، والسمع والبصر وغير ذلك من صفات الذات.

وأما صفة الفعل فهي كل صفة كمال تعلقت بمشيئة الله، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها كالإحياء والإماتة، والخلق والهداية والرزق، والنزول إلى السماء، وكل ما تعلق بمشيئة الله من الصفات فهي صفات أفعال.

والمهم أن اسم الحي، وصفة الحياة، ثابتان لله تعالى.

يقول الشيخ الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ: (... وأن له صفة هي الحياة: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾[1] ﴿۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾[2]. وقال في الهامش: الحي اسم مشتق من صفة هي الحياة؛ فيجب إثبات الإسم والصفة، وإلا لم تكن لأسمائه الحسنى دلالة على مدح أو كمال، وإلا كانت أسماؤه ألفاظا ليس لها معان تدل عليها..

(١) (سورة الفرقان:آية ٥٨).

(٢) (سورة طه:آية ١١١).

وكثيراً ما يخبر الله عن أسمائه بمصادرها ويصف بها نفسه وهذا دليل قوي على التلازم التام بين أسمائه وصفاته)[١].

صفة القوة واسم القوي:

قد وصف الله نفسه بالقوة، وسمى نفسه بالقوي في غير ما آية من كتابه.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾[٢] ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[٣] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾[٤] إلى غير ذلك من الآيات.

يقول الشيخ ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (... وأن له صفة هي القوة: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[٥] ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾[٦] ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾[٧]. وقال في الهامش: سمى نفسه بالقوي، والقوي مشتق من صفة هي القوة، وقد وصف الله نفسه بالقوة كما ترى في الآيتين الكريمتين، وهكذا تدل الصفة على الاسم، ويدل الاسم على الصفة، ويؤكد

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٥) بتصرف.

(٢) (سورة فُصِّلَت: آية ١٥).

(٣) (سورة الذاريات: آية ٥٨).

(٤) (سورة هود: آية ٦٦).

(٥) (سورة الذاريات: آية ٥٨).

(٦) (سورة فُصِّلَت: آية ١٥).

(٧) (سورة المجادلة: آية ٢١).

لك هذا ما قلته قبل: إن الله يخبر عن أسمائه بمصادرها ويصف نفسه بها كما ترى في هذه الآيات)[١].

صفة الإرادة:

يقول عليه ــ رحمة الله تعالى ــ: (... وصفة هي الإرادة: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴿١٨٥﴾﴾[٢] ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾[٣] ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾[٤] وقال في الهامش: "يريد" فعل يدل على ذات وعلى صفة، يدل على المريد وعلى صفة صدر عنها الفعل هي الإرادة، فلا يجوز القول بأنه مريد بلا إرادة، أو سميع بلا سمع، أو بصير بلا بصر، كما يزعم المعطلة)[٥].

والإرادة الإلهية تنقسم إلى قسمين دل عليهما استقراء الشرع، وأجمع عليهما العلماء الربانيون المحققون.

يقول الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ: (قال ابن تيمية عن الإرادة الإلهية: "ينبغي أن يعرف أن الإرادة في كتاب الله على نوعين:

الإرادة الكونيــة وهي الإرادة المستلزمــة لوقوع المراد وهــي في مثل قوله : ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾[٦]

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٦) بتصرف.

(٢) (سورة البقرة:آية ١٨٥).

(٣) (سورة يس:آية ٨٢).

(٤) (سورة هود:آية ١٠٧).

(٥) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٦ــ٧) بتصرف.

(٥) (سورة الأنعام:آية ١٢٥).

وأما النوع الثاني فهو الإرادة الدينية الشرعية وهي محبة المراد ورضاه ومحبة أهله والرضا عنهم وجزاهم بالحسنى كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ ﴿٢٧﴾﴾[1] فهذه الأرادة لا تستلزم وقوع المراد"[2] [3].

صفة المشيئة:

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴿٣٩﴾﴾[4] أي هلا قلت هذا القول الحكيم المحكم الذي هو تعبير حكيم عن حقيقة تذعن بالسجود لها كل فطرة سليمة لم يدنسها التقليد.

تلك هي مشيئة الله هي وحدها القادرة المهيمنة الملكوت.

وأن ما شاء الله لا بد أن يكون، وأن مشيئة الله عدل وحكمة، وأن قوة الله قادرة على القيام بكل ما يشاء الله)[5].

ثم يبين ــ رحمه الله تعالى ــ ترابط هذه الصفات، وكون كل واحدة منها مستلزمة للأخرى، فيقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (إن المشيئة بلا قدرة نقص وعجز وسفه ومذلة، والقوة بلا مشيئة تحكمها جمادية أو حيوانية بهيمية!!.

وربنا ــ جل شأنه ــ هو رب المشيئة التي لا تدانيها مشيئة ولا تقهرها مشيئة؛ لأنها فوق كل مشيئة.

وحسبك دليلاً على قوة مشيئة الله ما تفهمه من قوله سبحانه: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ ﴿٢٤﴾﴾[6] فهل لمشيئة أخرى أثارة من هذا السلطان الأعظم؟

---

(٦) (سورة النساء:آية ٢٧).

(٢) دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، ت : د. محمد السيد الجليند ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ (ج٢، ص٥٢٨).

(٣) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نور من القرآن ، عدد ١٠، تاريخ ١٣٧٨هـ، مجلد ٢٣ (ص٣٧٠).

(٤) (سورة الكهف:آية ٣٩).

(٥) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن ، عدد ١، تاريخ ١٣٨٣هـ (ص٨).

(٦) (سورة الأنفال:آية ٢٤).

وربنا كذلك هو رب القدرة الكاملة التامة التي تدين لقيوميتها كل القوى.

ومن صفات القدرة الإلهية أنها قادرة على القيام بكل أمر تتعلق به مشيئة الله، فمن مشيئة الله كلمة "كن"، ومن قدرة الله ما تعبر عنه كلمة "فيكون" مشيئة تحكم وقدرة تنفذ، وما انفكت إحداهما عن الأخرى)[١].

مجيء الله ـ جل جلاله ـ:

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (.. وبعد مجيء الله يوم القيامة، هو وملائكته وإشراق الأرض بنوره سبحانه، واكبح جماح الهوى أن يستبد بعقلك؛ فتضل في متاهات وتهلك في شعاب ينوشك في كل منها شيطان.

لتمتلئ باليقين من مجيء الله، ومن إشراق الأرض بنوره، ومن حمل ملائكته لعرشه، ومن أنهم سيكونون حافين حول العرش مسبحين بحمد الله)[٢].

ويحذر الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ المسلم هنا عن البحث عن الكيفية ومحاولة إدراكها، أو التفلسف بشأنها، أو الانجرار خلف شعارات الفلاسفة وأهل الكلام التي لا تسمن ولا تغني من جوع.

يقول عليه ــ رحمة الله تعالى ــ: (لا تسلني كيف؟ ولا تسل نفسك كيف؟ ولا تقل إن الإيمان بهذا يستلزم أن يكون الله في حيز، وأن يكون محدوداً، وأن يكون جسماً متناهياً...

احذر مثل هذه الهمسات التي تظل تراودك عن إيمانك حتى تفتك به، وقل: إن الذي خلقني وعلمني البيان ويعلم كل شيء ما كان لا يخفى عليه أبداً مثل هذا وهو يتكلم بهذا الكلام القدسي المعجز بلاغة وفصاحة ولم ير فيما يتكلم به نيلاً من عزة جلاله، وجلال كبريائه، وإلا فقد كان يستطيع ــ جل شأنه ــ أن يذر هذا الكلام وأن يأتي بغيره، أو أن يقول هذه إيماءات أو إشارات إلى معاني أخر.

---

(١) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نور من القرآن ، عدد ١، تاريخ ١٣٨٣هـ (ص٨).

(٢) مجلة الهدي، مقالة نور من القرآن، عدد ٣، تاريخ ١٣٨٣هـ (ص٥).

إن الحيز والجهة أو الكم والكيف وغيرها من مصطلحات الفلاسفة وعلماء الكلام لم يرها المسلم أبداً بديلاً عـــن هدى الله، ولن تحول مفهوماتها بينـــه وبين الإيمان بما يقول الله)[(١)].

صفة الفوقية:

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ عن هذه الصفة: (وأثبت سبحانه الفوقية لذاته العليا، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾[(٢)] وقال عليه ــ الصلاة والسلام ــ : " **لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش رحمتي سبقت غضبي** "[(٣)] ويقول سبحانه: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾[(٤)])[(٥)].

وحتى لا يؤول مؤول الفوقية بأنها فوقية رتبـــة، لا فوقية ذات يوضـــح الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ هذه النقطة إيضاحاً تاماً فيقول: (وردت لفظة "فوق " في القرآن مطلقة بدون حرف "من" كما في الآيتين السابقتين، ووردت مقرونة بمن في هذه الآية، وورودها في الآية مقرونة بهذا الحرف نص على أنها فوقية ذات لا فوقية رتبة.

فهذه لا تأتي مقرونة بمن مطلقا؛ فلا يصح أن تقول: الذهب من فوق الفضة، فإذا احتملت فوقية الرتبة في الآيتين فإنها لا تحتمل في هذه الآية مطلقاً؛ بل لا تحتمل إلا فوقية الذات، وجل جلال الله)[(٦)].

---

(١) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نور من القرآن ، عدد ٣، تاريخ ١٣٨٣هـ (ص٦).

(٢) (سورة الأنعام:آية ١٨).

(٣) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب {وكان عرشه على الماء}، {وهو رب العرش العظيم} قال أبو العالية: {استوى إلى السماء} ارتفع {فسواهن} خلقهن. وقال مجاهد: {استوى} علا على العرش. وقال ابن عباس: {المجيد} الكريم و{الودود} الحبيب. يقال: {حميد مجيد}، كأنه فعيل من ماجد محمود من حمد، حديث رقم ٧٤٢٢ (ج١٨، ص ٤٤٣).

(٤) (سورة النحل: آية ٥٠).

(٥) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٨).

(٦) المرجع السابق (ص ٨).

ومن المعلوم أن مقصــود أهل السنة بإثبات هــذه الصفة هو ــ كما في بقية الصفات ــ على ما يليق بالله تعالى؛ بعيداً عن الكيف، والتشبيه، والتجسيم، والتحيز.

معنى الله في السماء:

يقول الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ: (تقول الخلفية: إن في تفيد الظرفية، فإذا حملنا قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦﴾[١] على ظاهره، كان معنى هذا أن السماء تحصر الله، وتحويه، فماذا تقولون يا أنصار السنة؟

ونترك مرة أخرى للإمام الجليل ابن تيمية الرد على هذا: ليس الأمر كما تقولون " إذ السماء إنما يراد به العلو فالمعنى أن الله في العلو لا في السفل وقد علم المسلمون أن كرسيه سبحانه وتعالى وسع السموات والأرض وأن الكرسي في العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة[٢] وأن العرش خلق من مخلوقات الله لا نسبة له إلى قدرة الله وعظمته فكيف يتوهم بعد هذا أن خلقاً يحصره ويحويه؟ وقد ــ قال سبحانه ــ: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ ٧١﴾[٣] وقال: ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ١٣٧﴾[٤] بمعنى على ونحو ذلك وهو كلام عربي حقيقة لا مجازاً وهذا يعلمه من عرف حقائق معاني الحروف وأنها متواطئة في الغالب لا مشتركة"[٥].

وفي مكان آخر ذكر ابن تيمية: أنه لا حاجة بنا إلى أن نلجأ إلى الاستشهاد بالآيتين فالسماء في قوله تعالى ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [٦] ليست هي نفس المخلوق العالي العرش فما دونه، وإنما هي "اسم جنس للعالي لا يخص شيئاً فقوله في السماء أي في

---

(١) (سورة المُلك: آية ١٦).

(٢) صحيح ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ت : شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة ، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م حديث رقم ٣٦١ (ج٢، ص٧٦) .

(٣) (سورة طه: آية ٧١).

(٤) (سورة آل عمران: آية ١٣٧).

(٥) الفتوى الحموية الكبرى، لابن تيمية (ج١، ص٥١) .

(٦) (سورة المُلك:آية ١٦).

العلو دون السفل وهو العلي الأعلى فله أعلى العلو وهو ما فوق العرش وليس هناك غيره العلي الأعلى سبحانه وتعالى"(١).

وقد قدم لهذا بقوله: " والسلف والأئمة وسائر علماء السنة إذا قالوا " إنه فوق العرش وإنه في السماء فوق كل شيء " لا يقولون إن هناك شيئاً يحويه أو يحصره أو يكون محلاً له أو ظرفاً ووعاء سبحانه وتعالى عن ذلك بل هو فوق كل شيء وهو مستغن عن كل شيء وكل شيء مفتقر إليه. وهو عال على كل شيء وهو الحامل للعرش ولحملة العرش بقوته وقدرته. وكل مخلوق مفتقر إليه وهو غني عن العرش وعن كل مخلوق"(٢)(٣).

القول في الجهة:

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (يقول ابن رشد(٤): "وأما هذه الصفة، فلم يزل أهل الشريعة من أول الأمر يثبتونها لله سبحانه حتى نفتها المعتزلة، ثم تبعهم على نفيها متأخروا الأشعرية.. وظواهر الشرع كلها تقتضي إثبات الجهة مثل قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾(٥) ومثل قوله: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ﴿٥﴾﴾(٦) ومثل قوله تعالى: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾(٧) إلى غير ذلك من الآيات التي إن تسلط عليها التأويل عاد الشرع كله مؤولاً،

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، لابن تيمية (ج١، ص ٥٦٠) .

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (ج١٦، ص ـــ ١٠٠ــ١٠١) .

(٣) الصفات الإلهية ، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٣٤ــ١٣٦)

(٤) ابن رشد: محمد بن أحمد بن محمد ابن رشد القرطبي، ويعرف بابن رشد الحفيد (أبو الوليد) عالم، حكيم، ولد بقرطبة، سنة عشرين وخمسمائة ، وبرع في مختلف العلوم ، وألف الكتب المفيدة ، توفي بمراكش، سنة ٥٩٥هـــ، معجم المؤلفين (ج٨، ص٣١٣) .

(٥) (سورة الحاقة:آية ١٧).

(٦) (سورة السجدة:آية ٥).

(٧) (سورة المُلك:آية ١٦).

وإن قيل: إنها من المتشابهات عاد الشرع كله متشابهاً؛ لأن الشرائع كلها مبنية على أن الله في السماء، وأن منه تنزل الملائكة بالوحي إلى النبيين، وأن من السماء نزلت الكتب، وجميع الحكماء قد اتفقوا أن الله والملائكة في السماء كما اتفقت الشرائع على ذلك"[(١)].

وبعد أن ساق أدلته العقلية قال: "فظهر لك من هذا أن إثبات الجهة واجب بالشرع والعقل، وأنه الذي جاء به الشرع وانبنى عليه، وأن إبطال هذه القاعدة إبطال للشرائع "[(٢)].

كلمة حق نطق بها فيلسوف الأندلس، فهل يعقل الذين يزعمون أنهم أرباب الفكر عن فيلسوف يرونه كبيراً يسامي أرسطو؟!)[(٣)] .

صفة الاستواء على العرش:

بدأ الشيخ كلامه عن مسألة الاستواء بتحقيق معناه إذا ذكرت مطلقة أو مقيدة، فقال ــ رحمه الله تعالى ــ: (استوى قد تذكر مطلقة، وقد تذكر مقيدة بحرف؛ فإذا ذكرت مطلقة كان لها معناها الذي تختص به في حال إطلاقها، والذي يغاير معناها وهي مقيدة، كما تقول: استوى الأمر أي كمل، وتم واستقام، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾[(٤)] وقد تذكر مقرونة بواو المعية مثل: استوى الجاهل والعالم في هذا الزمن أي تساويا، وقد تذكر مقيدة بحرف الجر "إلى" مثل استوى إلى الهرم أي قصد إليه علواً وارتفاعاً، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾[(٥)] .

---

(١) الإعلام بمخالفات الموافقات والاعتصام ، ناصر بن حمد الفهد ، طبعة ١٤١٩هـ (ج١، ص٥٠).
(٢) الإعلام بمخالفات الموافقات والاعتصام، ناصر الفهد (ج١، ص٥).
(٣) الصفات الإلهية، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٩٢ــ١٩٣).
(٤) (سورة القصص:آية ١٤).
(٥) (سورة فُصِّلَت:آية ١١).

وقد تذكر مقيدة بحرف الجر "على" مثل استوى على ظهر الجواد، فيكون معناها العلو والارتفاع، والاعتدال، ولا يتغير معنها هذا في أي وضع مطلقاً ما دامت مقترنة بحرف الجر "على".

فدعوى تعدد معانيها تصدق إذا لاحظناها مطلقة، ومقيدة بقيود مختلفة، ولكنها تكذب كذباً جريئاً إذا ما كانت كلمة استوى مقيدة بقيد خاص مثل "على" فإنها بهذا القيد لا يكون لها إلا معنى واحد فحسب، هو ما قدمت لك)[1] .

ولا يكتفي الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ بهذا الإيضاح البين؛ بل يقوم بعملية إحصائية فريدة لإطلاقات استوى مقترنة بــ"على" حتى يثبت ما ذهب إليه من معنى الارتفاع والعلو، فيقول عليه ــ رحمة الله تعالى ــ: (... ولنتتبعها مقترنة بهذا الحرف في بعض آي القرآن:

يخبرنا الله عن فلك نوح بقوله سبحانه: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾[2] ويقول: ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٨﴾[3] ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ ١٢ لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾[4] .

فهل تجد "استوى على" تغير معناها في هذه الآيات، أو اختلفت في واحدة منها عن الأخرى؟

لئن تركت نفسك لفطرتك الواعية، فستؤمن إيماناً لا ريب فيه أن "استوى على" معناها واحد في جميع هذه الآيات، ولم يختلف معناها قط في آية عن معناها في آية أخرى...

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص٢٨).

(٢) (سورة هود:آية ٤٤).

(٣) (سورة المؤمنون:آية ٢٨).

(٤) (سورة الزُّخرُف:آية ١٢ــ١٣).

وإلا فسيلبس عليك المموهون بجهلهم أو بإلحادهم، وليس بعجيب أن يزعموا لك أن "على" في الآيات حرف زائد أو بمعنى "إلى"؛ بل يكون عجيباً إذا لم يفتروا ذلك على لغة القرآن!!)[١].

ولكي يضيق الخناق على المؤولين ــ لأنهم أولوا معنى الاستواء ــ يسرد الآيات التي ذكر فيها استواء الله جل جلاله على العرش، مبيناً مراد الله تعالى باستوائه من حيث المعنى لا من ناحية الكيف.

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (وقد وردت "استوى" مقيدة بحرف "على" في جميع الآيات التي ذكر فيها استواء الله سبحانه على عرشه، وهي سبع آيات في القرآن.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[٢].

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾[٣].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾[٤].

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾[٥].

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٢٩).

(٢) (سورة الأعراف:آية ٥٤).

(٣) (سورة يونس:آية ٣).

(٤) (سورة الرعد:آية ٢).

(٥) (سورة طه:آية ٥).

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾[1].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾[2].

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾[3].

فلو أنه ــ سبحانه جل شأنه ــ أراد باستوائه على عرشه غير معناه المقرر له في لغة القرآن لبين لنا ذلك، أو لأمر رسوله ببيانه، ولا سيما وقد ذكر في القرآن استواء آخر مقيداً بحرف "على" أي بنفس ما قيد به الاستواء الخاص بالعرش.

فذكر ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[4] مع ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ ﴿٤٤﴾﴾[5] وغيرها من الآيات دون تخصيص الاستواء على العرش بقيد آخر، يحدد لك بجلاء معنى الاستواء على العرش مع التزام العقل في فهم معناه نفي المثلية.

فشتان بين استواء الله على عرشه واستواء خلقه على ما يستوي عليه فالمعنى واحد ولكن الكيف مختلف.

---

(١) (سورة الفرقان:آية ٥٩).

(٢) (سورة السجدة:آية ٤).

(٣) (سورة الحديد:آية ٤).

(٤) (سورة الحديد:آية ٤).

(٥) (سورة هود:آية ٤٤).

فنحن نعرف كيف يستوي الإنسان على ظهر دابته، أما كيفية استواء الله على عرشه ففوق مدارك عقول البشر؛ فكيف بنا نحاول إخضاع ما حكم به الله لما تحكم به العقول الفاسدة؟

أقول هذا مؤحداً مؤمناً، لا يخيفني افتراء ولا يهولني بهتان، فما أفهم كتاب الله إلا باللغة التي شرفها الله، فترل بها الفرقان...)[١].

المعيـة:

يبدأ الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ كلامه على هذه النقطة برده على شبهة أوردها الإمام الجويني ــ رحمه الله تعالى ــ.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (يقول الجويني في كتابه "الإرشاد" وهو يتكلم عن وجوب تأويل آيات الاستواء: "فإن استدلوا بظاهر قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[٢]، فالوجه معارضتهم بآي يساعدوننا على تأويلها منها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ۝٤﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ ۝٣٣﴾[٤] فنسألهم عن معنى ذلك فإن حملوه على كونه معنا بالإحاطة والعلم، لم يمتنع منا حمل الاستواء على القهر والغلبة... إلخ".

هذا كان قوله قبل التوبة، بيد أن هذه الشبهة الجوينية قد تلقفها دعاة الخلفية، ومضوا يشغبون بها، ويقولون لنا كما كان يقول المؤولة من قبل: إن حملتم آيات المعية على ظاهرها نفيتم الفوقية، واستواء الله على عرشه، وكنتم مع القائلين بأن الله في كل مكان،أو بأنه ليس له مكان.

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٢٩ــ٣٠).

(٢) (سورة طه:آية ٥).

(٣) (سورة الحديد:آية ٤).

(٤) (سورة الرعد:آية ٣٣).

وإن صرفتم المعية عن ظاهرها خالفتم ما تقولون به، وهو وجوب حمل اللفظ على معناه والانكفاف عن التأويل.

وقد أوقع هؤلاء في هذه الشبهة سوء الفهم، فقد ظنوا أن كلمة"مع" نص على المعية بالذات، وأن ظاهرها يدل على المقارنة والمماسة بالذات فإذا وجدوا منا تفسيراً لها بغير ما ظنوا صاحوا: لقد تناقضتم إذ صرفتم اللفظ عن ظاهره، وأنتم تحرمون ذلك، وإني لأترك للإمام الجليل ابن تيمية الرد المحكم على هذه الشبهة:

" ما في الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه الظاهر من قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾[(١)] فإن هذا غلط وذلك أن كلمة "مع" في اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة؛ من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال؛ فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى. فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا أو والنجم معنا. ويقال: هذا المتاع معي لمجامعته لك؛ وإن كان فوق رأسك. فالله مع خلقه حقيقة وهو فوق عرشه حقيقة. ثم هذه " المعية " تختلف أحكامها بحسب الموارد فلما قال: ﴿الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾[(٢)] دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها أنه مطلع عليكم؛ شهيد عليكم ومهيمن عالم بكم. وهذا معنى قول السلف: إنه معهم بعلمه وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته.

ولما قال النبي ﷺ لصاحبه في الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴿٤٠﴾﴾[(٣)] كان هذا أيضاً حقاً على ظاهره ودلت الحال على أن حكم المعية ــ مع الاطلاع ــ النصر والتأييد. وكذلك قوله لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾[(٤)] هنا

---

(١) (سورة الحديد:آية ٤).

(٢) (سورة الحديد:آية ٤).

(٣) (سورة التوبة:آية٤٠).

(٤) (سورة طه:آية ٤٦).

المعية على ظاهرها وحكمها في هذه المواطن النصر والتأييد. وقد يدخل على صبي من يخيفه فيبكي فيشرف عليه أبوه من فوق السقف فيقول: لا تخـــف؛ أنا معك أو أنا هنا؛ أو أنا حاضر ونحو ذلك. ينبهه على المعية الموجبة بحكم الحال دفع المكروه؛ ففرق بين معنى المعية وبين مقتضاها؛ وربما صار مقتضاها من معناها. فيختلف باختلاف المواضع. فلفظ " المعية " قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضـــع يقتضي في كل موضع أموراً لا يقتضيها في الموضع الآخر؛ فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها ــ وإن امتاز كل موضع بخاصية ــ فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب ﷻ مختلطة بالخلق حتى يقال قد صرفت عن ظاهرها"[١])[٢].

وينقل الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ في موضع آخر رد الإمام ابن القيم على هذه الشبهة، وهو ليس بعيداً عن رد شيخه ابن تيمية عليه ــ رحمة الله تعالى ــ...

يقول الشيخ الوكيل رحمه الله تعالى: (يقول الإمام الجليل ابن القيم: "مما ادعي فيه المجاز قوله تعالى:وهو معكم أين ما كنتم، قال المجازية، هذا كله مجاز يمتنع حمله على الحقيقة، إذ حقيقته المخالطة والمجاورة، وهي منتفية قطعاً؛ فإذا معناها: معية العلم والقدرة، والإحاطة، ومعية النصر والتأييد والمعونة "[٣].

وبعد هذا التفصيل لشبهة المنكرين للصفات ولا سيما الاستواء لله على عرشه، وفوقيته سبحانه رد عليهم ردوداً مفصلة من العقل والنقل، ونذكر هنا بعض ما رد به "ابن القيم" على هذه الشبهة:

---

(١) الفتوى الحموية الكبرى، لابن تيمية (ج١، ص ٤٩ ــ ٥٠).

(٢) الصفات الإلهية، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٣٠ ــ١٣٤).

(٣) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة مؤلف الأصل: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (المتوفى ٧٥١هـ) اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين ، ابن الموصلي (المتوفى ٧٧٤هـ)، المحقق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث، القاهرة ، مصر الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م (ص ٤٧٦).

يقول: "إن الله سبحانه قد بين في القرآن غاية البيان أنه فوق سماواته، وأنه مستو على عرشه، وأنه بائن عن خلقه، وأن الملائكة تعرج إليه، وتنزل من عنده، وأنه رفع المسيح إليه، وأنه يصعد إليه الكلم الطيب، إلى سائر ما دلت عليه النصوص من مباينته لخلقه .

وعلوه على عرشه، وهذه نصوص محكمة، فيجب رد المتشابه إليها"[(١)] .

ويقول: "إنه ليس ظاهر اللفظ ــ أي لفظ مع ــ ولا حقيقته أنه سبحانه مختلط بالمخلوقات ممتزج بها، ولا تدل لفظة "مع" على هذا بوجه من الوجوه..

فإن "مع" في كلامهم للصحبة اللائقة، وهي تختلف باختلاف متعلقاتها، ومصحوبها، فكون نفس الإنسان معه كون، وكون علمه وقدرته وقوته معه كون، وكون زوجه معه كون، وكون أميره ورئيسه معه كون، وكون ماله معه كون، فالمعية ثابتة في هذا كله مع تنوعها، واختلافها؛ فيصح أن يقال زوجته معه، وبينهما شقة بعيدة، وكذلك يقال: مع فلان دار كذا، وضيعة كذا، فتأمل نصوص المعية في القرآن كقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴿٢٩﴾﴾[(٢)] وقوله: ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[(٣)] ، ﴿وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾[(٤)] ، ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾[(٥)] وما آمن معه إلا قليل، وأضعاف ذلك هل يقتضي موضع واحد منها مخالطة في الذوات والتصاقا وامتزاجا؟)[(٦)].

---

(١) شفاء العليل، في القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي الشهير بابن القيم ، ت: محمد بدر الدين، وأبو فراس النعساني، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ (ج٢ /ص٤٩).

(٢) (سورة الفتح:آية ٢٩) .

(٣) (سورة التوبة:آية ١١٩).

(٤) (سورة البقرة:آية ٤٣).

(٥) (سورة هود:آية٤٠).

(٦) الصفات الإلهية، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٩٤ــ١٩٥).

المطلب الخامس

موقف الشيخ من الانحرافات في باب الأسماء والصفات

إن أهمية التوحيد تبرز وتتبين بحجم الانحرافات فيه، ولا شك أن باب توحيد الأسماء والصفات يعتبر من أكثر أبواب الاعتقاد التي كثر فيها النزاع، والاختلاف؛ وهو يعتبر من أهم الركائز التي غذت التباعد بين الفرق الإسلامية التي انحرفت في فهمها له، وبين أهل السنة والجماعة التي التزمت فيه ما ثبت في المنقول، والمعقول.

ويمكن إرجاع اختلاف الناس فيه، وانقسامهم بشأنه إلى سببن:

الأول: حركة الترجمة التي أدخلت على المسلمين كثيراً من ثقافات الأمم الأخرى التي كانت تعالج صفات الخالق، وعلاقتها بصفات المخلوق، ونحو ذلك.

الثاني : حركة الكيد ضد الإسلام ، فكان بعض الدخلاء يظهرون الإسلام ويبطنون الزندقة والكفر، ويدسون ما استطاعوا من شبه لإضعاف انتشار الإسلام، ودخول الناس فيه أفواجاً.

ولا غـــرو أن نجد العلامـــة عبد الرحمن الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ اهتم بالانحرافات التي وقعت في هذا الجانب من التوحيد؛ بل وألف فيه كتاب مستقلاً تحت عنوان: "الصفات الإلهية بين السلف والخلف" أراد من خلاله أن يبرز مذهب السلف في هذا الباب، ويبين هشاشة وضعف مستندات الخلف بشكل عام.

وليس من العجيب أن نجده رحمه الله تعالى يركز على الأشاعرة في معرض رده على شبه الخلف؛ ذلك أنه نشأ بينهم ودرس وعاش صدراً من حياته تحت تأثير فكرهم..

يضاف إلى ذلك أنهم ــ أي الأشاعرة ــ كان لهم أثر كبير في عصره؛ فكان الرد عليهم، ودحض أدلتهم هو ما يقتضيه الفقه الشرعي من حيث ترتيب الأولويات، وتقديم الأهم فالمهم.

وهذا يوضح بجلاء التزام الشيخ رحمه الله تعالى لمنهج السلف الصالح حتى في طريقة المعالجة، والتقديم والتأخير؛ فقد كانوا رحمهم الله تعالى يراعون حجم الانحرافات في زمنهم ويركزون على الجانب الذي وقع فيه الانحراف أكثر من غيره.

فنجد العلامة ابن منده[١] ــ رحمه الله تعالى ــ وابن خزيمة[٢] يركزون على الجهمية والمعتزلة ويوضحون حجم انحرافهم في باب الأسماء والصفات.

وهذا الإمام محمد بن عبد الوهاب يركز على توحيد الألوهية وحجم الانحرافات فيه والشركيات التي ظهرت وتفشت في زمنه.

وبالنظر إلى باب الأسماء والصفات الذي هو محل حديثي الآن يتضح أن الناس منقسمون بشأنه إلى ثلاث فرق:

١ ــ السنة.

٢ ــ الجهمية والمعتزلة والأشاعرة.

٣ ــ المشبهة.

وقد ظهرت شخصية الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ في هذا الباب أكثر من غيره، وذلك من خلال ثلاث ملاحظات هي:

١ ــ دعوته إلى الإيمـــان بالأسماء والصفات على طريقة السلف، والتحذير من الانحراف فيه.

٢ ــ دعوته للمتكلمين إلى الرجوع عن البدع التي أثارها كبارهم كما رجع معظم الأقدمين منهم.

٣ ــ دعوة الأزهر ــ كمؤسسة علمية كبيرة ــ إلى نبذ علم الكلام، والأخذ بما جاء في الكتاب والسنة.

---

(١) ابن منده هو : محمد بن إسحاق بن محمد بن مندة العبدي، أبو عبد الله الأصبهاني، الإمام الحافظ الجوال ، محدث العصر، له تصانيف كثيرة منها : "الإيمان" ، "الرد على الجهينة"، " التوحيد"، توفي سنة (٣٩٥هـــ) . انظر : سيد أعلام النبلاء (ج٧، ص٢٨ــ٤٣)، والأعلام للزركلي (ج٦، ص ٢٩) .

(٢) ابن خزيمة : محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر أبو بكر السلمي النيسابوري الشافعي، صاحب التصانيف. إمام نيسابور في عصره، ولد سنة ثلاث وعشرين ومئتين، وعني في حداثته بالحديث والفقه، حتى صار يضرب به المثل في سعة العلم والاتقان، توفي في نيسابور سنة ٣١١ هـــ .سير أعلام النبلاء (ج١٤، ص٣٦٥) .

وقد سلك الشيخ في الوصول إلى تلك الأهداف طرقاً واضحة في الإقناع والاستدلال ورد شبههم، وأحاط ــ رحمه الله تعالى ــ بكل السبل التي من شأنها أن تبين لهم ضعف مستنداتهم الفكرية والتاريخية..

ومن خلال استقراء منهجه ــ رحمه الله تعالى ــ يتبين أنه سلك الطرق التالية:

١ ــ بيان الأدلة النقلية والعقلية على ضعف مذاهبهم.

٢ ــ استقراء التاريخ الإسلامي لبيان رجوع كثير من أئمتهم الكبار.

٣ ــ بيان تناقضهم ووقوعهم في الحيرة والشك.

٤ ــ إيضاح جناية مذاهبهم على الإسلام.

٥ ــ بيان قصور وضعف العقل البشري الذي هو مستند كثير من مذاهبهم.

أولاً: دعوة الشيخ إلى الإيمان بالصفات الإلهية والتحذير من الانحراف فيها:

ما فتئ الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ يدعو لالتزام منهج السلف الصالح، والتعلق به في جميع أبواب التوحيد، وما انفك يحذر من الانحراف عنه واتباع السبل الكثيرة.

وبين ــ رحمه الله تعالى ــ أن تلك الشبه التي يتستر خلفها الشياطين هي مجرد ظنون لا تواري عورة أصحابها، ولا تنقذ عقلا بلغ من الجوع حد الهلاك، بل لا تصل إلى حد ما يجوز من الميتة لحفظ النفس، ولا ما تساغ به اللقمة من الخمر للغاص.

ومن أثخن تلك الشبه التي ذكرت صفتها انحراف بعضهم وقوله إن التعدد في الصفات دليل على التعدد في الذات.

ويرد الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ على ذلك مبيناً وجوب توحيد الله في أسمائه وصفاته فيقول: (.. إنه لا ينال من ربوبية الله وألوهيته أو وحدانيته أن نسميه باسم سمى به نفسه؛ إذ لا يلزم من هذا تعدد في ذاته كما يزعم عبيـــد الضلالة والفلسفة الحمقاء ولا يلزم محال أبدا أي نقص يلحق بالله من اسم سمى به نفسه كما يزعم شياطين التأويل أو التعطيل من الخلق.

إن في رفض تسمية الله بما سمى به نفسه ووصفه بما وصف به نفسه تحدياً وقحاً لله سبحانه واتهاماً صريحاً له ــ جل شأنه ــ بأنه أخطأ حين سمى أو وصف نفسه)[١].

ويقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (التوحيد أن نصف الله ونسميه بما وصف وسمى به نفسه دون أن نتلمس هوى النفس، وشبه العقل، وعمى التقليد ما نضرب به تلك الصفات والأسماء في جلالها وكمالها، فنذكرها بالكفر الصريح كما يزعم المبطلون الذين يأفكون أن الله لا يوصف ولا يسمى؛ لأنه مجرد بحت والمجرد ليست له أسماء ولا صفات.

أو نذكرها بالكفر الذي يتقنع بالنفاق كما صنع أولئك العدميون الذين وضعوا لصفات الله وأسمائه معاني لا يقرها عقل ولا عرف ولا لغة ولا دين زاعمين أن جلال الربوبية وكمال الألوهية يمنعان من أن نفهم في الكلمات الدالة على الأسماء والصفات مدلولاتها اللغوية.

أولئك هم الفلاسفة والصوفية، وهؤلاء هم الكلاميون الذين خالفوا عن أمر الله وسموا خلفا...)[٢] .

ولم يقف "الخلفيون" عند هذا الحد؛ بل قالوا: إن وصف الله تعالى ببعض تلك الصفات يلزم منه أن يكون الله تعالى في حيز معين، أو أن يكون جسماً متناهياً له مبدأ ومنتهى، ولكن هيهات أن يفروا بها.

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ ناصحاً المسلم وراداً عليهم في تلك الشبهة الدنيئة: (ولا تقل إن الإيمان بهذا يستلزم أن يكون الله في حيز، وأن يكون محدوداً، وأن يكون جسماً متناهياً...

احذر مثل هذه الهمسات التي تظل تراودك عن إيمانك حتى تفتك به، وقل: إن الذي خلقني وعلمني البيان ويعلم كل شيء ما كان لا يخفى عليه أبدا مثل هذا وهو يتكلم بهذا الكلام القدسي المعجز بلاغة وفصاحة ولم ير فيما يتكلم به نيلاً من عزة

---

(١) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نور من القرآن، عدد ٢، تاريخ ١٣٨٢ (ص٩).

(٢) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٢، تاريخ ١٣٧٩هـ (ص٤).

جلاله، وجلال كبريائه، وإلا فقد كان يستطيع جل شأنه أن يذر هذا الكلام وأن يأتي بغيره، أو أن يقول هذه إيماءات أو إشارات إلى معاني أخر.

إن الحيز والجهة أو الكم والكيف وغيرها من مصطلحات الفلاسفة وعلماء الكلام لم يرها المسلم أبدا بديلاً عـــن هدى الله، ولن تحول مفهوماتها بينـــه وبين الإيمان بما يقول الله.

إن الفيلسوف يعبد أرسطو وأذنابه، والمتكلم يعبد مبتدع دينه الكلامي، والمسلم يعبد الله سبحانه.

ولن تجد مسلماً تقل حميته لله عن حمية عباد الفلسفة وعلم الكلام.

فاختر لنفسك مكانها، فلن يرغمك الله في اختيارك هذا على شيء.

ولكن احذر غائلة الفلسفة، واحذر موبق علم الكلام، ولكن على بصيرة ورضوان روحي بهدي الله وحده)[1] .

ثانياً: تقسيم الشيخ الناس في الاعتقاد في أسماء الله وصفاته:

ويقسم الشيخ الناس في الاعتقاد في أسماء الله تعالى إلى أقسام فيقول ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (... ومن الناس فريق لا يسمي الله أو يصفه إلا بالأسماء والصفات التي تدل على جلاله فحسب دون أسماء الجمال وصفات الجمال.

فهم يرون الله جباراً قهاراً شديد الغضب عظيم الانتقام.

وأكثر الناس وصفاً لله بتلك الصفات هم اليهود والذي يقرأ أسفارهم يتجلى له ذلك جيداً.

ويقيني أنه ما اقترفوا هذا إلا ليجعلـــوا الشعب دائما في ذل العبودية للأحبـــار أو لشيوخ الدين.

---

(١) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نور من القرآن، عدد ٣، تاريخ ١٣٨٣هـ (ص٦).

ومن الناس فريق آخر لا يسمون الله أو يصفونه إلا بما يرضي هوى أو يدغدغ عاطفة.

وهؤلاء يأبون أن يصدقوا بأن الله منتقـم أو جبـار، أو متعال أو ذو كبريـاء أو الغضب الذي يسحق ويمحق.

إنما يرونه عفوا عن الفسق، والخطيئة العامدة التي لا تعرف ندامة.

فلا يعملون إلا بما يحب الشيطان أن يعملوا به قائلين: ربنا رحيم.

وأكثر هؤلاء ينتمون إلى الصوفية، أو إلى حانة الخطايا تحت أقبية الليل.

ومن الناس فريق آخر يزعم أنه ليس لله اسم ولا صفة، وهم فريق من الفلاسفة والصوفيين الإشراقيين.

غير أن هؤلاء ينفون عن الله الاسم والصفة وهو مرتبة التجريد أو العماء.

ثم يضيفون إليه كل اسم وصفة في الوجود بعد أن يتعين في مظاهره.

ومن الناس من يرى أن تعدد الأسماء والصفات يستلزم تعدد الذات)(١).

ثالثاً: أسباب ظهور هذه الانحرافات:

لا شك أن النبي ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ قد بين الدين للناس، وبلغه لهم حتى فهموه، وطبقـه أمامهم حتى عملوا به كنمـوذج بشري رائد، ولم يمت ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ حتى تركهم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

ولكن لم يقبض ــ بأبي هو وأمي ــ حتى بدأت المكائد ضد الإسلام وأهله؛ فنشر الأعداء الشبه، وفرقوا الصفـوف، ونالوا من الإسـلام ما لم يكونـوا لينالوه بوجوده ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ .

---

(١) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نور من القرآن، عدد ٢، تاريخ ١٣٨٢هـ (ص٧ــ٨)

وقد ساهم في نشر تلك البدع التي طرأت، والحوادث التي حدثت، دخول كثير من الأمم في الإسلام؛ فحملوا معهم الفلسفات، والثقافات الوثنية التي لم تكن معروفة عند المسلمين.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (دخل غير العرب في الإسلام ــ رغباً أو رهباً ــ وكانت لهم ديانات وضعية، وفلسفات وثقافات، ومناهج خاصة في التفكير، وقد أوغر انتصار الإسلام صدر هؤلاء، إذ كانت لهم دول، وكانت لهم ممالك، وكان لهم فيها جاه كبير...

فكادوا له مادياً، فكان مقتل عمر، وكانت الثورات المتأججة حقداً ورغبة فاجرة في دك أسس الدولة الإسلامية، ومعنوياً: فكانت الفتن والشبهات يزلزلون بها يقين عقائد المسلمين والتأويلات الفاسدة يخضعون بها آي القرآن لما ورثوه هم من عقائد ضالة، وفلسفة وثقافة لا تمت إلى العربية بقربى...)[١].

ويقول في موضع آخر: (... كما أبو أن يستكينوا إلى ذل الهزيمة فأوغلوا الكيد وظلوا بالمسلمين يمارسون فتنتهم حتى استطاعوا الظفر بمن يهجر القرآن، ويتنكر للسنة، ويمجد البدعة، ويسجد للخرافة)[٢].

ولا ينسى الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ بعد بيانه لأهم أسباب الانحراف أن يبين أهم البدع والانحرافات التي دخلت على المسلمين في هذا الجانب.

ذلك أن تلك البدع التي دخلت على صفوف المسلمين، وتسللت إلى معتقداتهم، تسلل اللص الماهر الماكر، لم تلبث حتى نظمت نفسها في شكل أحزاب وجماعات لها أسسها ومبادئها وكتبها.

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٢٢).

(٢) الصفات الإلهية، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٧).

وكان من أشدها تنظيماً، وعقلنة، بدعة علم الكلام، والتي انتشرت بين صفوف المسلمين واستطاعت أن تجد لنفسها من تخدعه حتى من العلماء، والمفكرين؛ بل وحتى من أمراء الدولة الإسلامية.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ موضحاً هذه النقطة: (وكان من أشد البدع فتنة وفتكا بالدين بدعة "علم الكلام".

وكما زعمت بدعة الصوفية أنها تقدس القيم الروحية في الإسلام، زعم علم الكلام أن يمثل القيم الفكرية، وأنه علم التوحيد، وأنه علم أصول الدين، وأنه أصل الكتاب والسنة.

وزعم الذين ابتدعوه أن تعلمه فرض على كل مسلم، وأن من يحصل الإيمان من غير طريق أدلته، فإنه ليس بمؤمن)[١].

نعم تلك هي ادعاءات أهل الكلام، وذلك هو طرحهم، وهذا صنيعهم مشاهد في كتبهم وحتى في تأثيرهم على العوام، ولكن هل ما يدعونه حق أم باطل؟

بدعة علم الكلام:

يجيب الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ عن ذلك فيقول: (يقول ابن خلدون [٢] عن علم الكلام إنه علم حادث في الملة.

كما يقول ابن تيمية: "وأهل الكلام: أصل أمرهم هو النظر في العلم ودليله، فيعظمون العلم وطريقه وهو الدليل والسلوك في طريقته وهو النظر "[٣])[٤].

---

(١) الصفات الإلهية، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٨).

(٢) هو : عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر، الإشبيلي الأصل، التونسي، ثم القاهري ، المالكي ، المعروف بابن خلدون، ولد في أول رمضان سنة ٧٣٢هـ، بتونس، وقرأ في كثير من الفنون ، ومهر في جميع ذلك ، لاسيما الأدب ، وفن الكتابة ، ولي القضاء ثم عزل ، ثم أعيد حتى مات قاضياً في يوم الأربعاء لأربع بقين من رمضان سنة ٨٠٨ هـ . انظر: ترجمته في "البدر الطالع" (ج١، ص٣٣٧).

(٣) دقائق التفسير ، لابن تيمية (ج٢، ص ١٤٥).

(٤) الصفات الإلهية، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٦٠ ــ ١٦٢).

ثم يعرف ــ رحمه الله تعالى ــ علم الكلام حتى يكون القارئ على بصيرة من الأمر قبل عرض أدلته ومناقشتها وتوضيحها.

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (لعلم الكلام تعريفات عند أصحابه، فالذين جعلوا "المعلوم" ــ أي كل ما يتعلق به العلم مطلقاً ــ موضوعاً لعلم الكلام عرفوه بأنه علم يبحث فيه عن أحوال الواجب ــ أي الله ــ وأحوال الممكن ــ أي ما سوى الله ــ من حيث المبدأ والمعاد.

ويزعم هذا الفريق أن مقصودهم الأول هو: العلم بواجب الوجود ــ أي الله ــ وصفاته وأفعاله، أما البحث عن أحوال الممكن فهو وسيلة لما سبق.

وفريق آخر يعرفه بأنه العلم بالأحكام الشرعية الاعتقادية عن دليل قاطع سمعي..

وينكر هذا الفريق منهج الفريق الأول، وقد حاول البعض وضع تعريف آخر محاولا به الجمع بين منهج الفريقين فعرفوه بقولهم: إنه العلم بالأحكام الشرعية الاعتقادية عن دليل قاطع عقلي، أو سمعي، أو وجداني.

وقد ظنوا بهذا التلفيق أنهم يرضون أصحاب الحديث والفقه والتصوف)[1].

ولكن لماذا سمي بعلم الكلام ؟

يجيب الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ فيقول: (يقال إنه سمي بهذا لما فيه من المناظرة على البدع، والمناظرة كلام صرف فهو إذن يورث قدرة في الكلام.

وقيل: لأن المسألة التي كثر التنازع والخوض فيها هـــي: مسألة الكلام النفسي، أو لأن المتكلمين أرادوا مقابلة الفلاسفة في تسميهم فنا من فنون علومهم بالمنطق.

وقد أعطي "الكلام" مفهومه الاصطلاحي في عهد المأمون)[2].

---

(١) الصفات الإلهية، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٦٠ ــ ١٦٢) .

(٢) المرجع السابق (ص ١٦١ــ١٦٢) .

وعن نشأة علم الكلام وتطوره يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (لم يتكون علم الكلام دفعة واحدة وإنما مر ــ كغيره من معارف العقل الإنساني ــ بعدة مراحل.

يقول ابن خلدون: " حدث خلاف في تفاصيل العقائد فدعا ذلك إلى الخصام والتناظر والاستدلال بالعقل و زيادة إلى النقل أ.هـ.

وقد استعان المتكلمون في تناظرهم ومجادلاتهم بتراث نصارى المشرق كالملكانية[1] في دمشق، والنسطورية [2] في البصرة وبغداد، كما استعانوا بالتراث الغنوصي[3]، والفلسفة اليونانية " [4].

وهكذا سيطرت الثقافات غير الإسلامية على عقول ينتسب أربابها إلى المسلمين، واستطاعت أن تفرض الحلول التي وضعتها من قبل لمثل هذه المشكلات التي نجمت.

---

(١) فرقة من النصارى تقول إن اللاهوت والناسوت صارا جوهراً واحداً له أقنومان، وقيل أقنوم واحد له جوهران ، وقد سميت بالملكانية ، لأنها ناصرت قول الملك قسطنطين في المجمع الذي جمعه ، وقد صرحوا بالتثليث. الملل والنحل المؤلف: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني، (المتوفى: ٥٤٨هـ)، الناشر: مؤسسة الحلبي (ج٢، ص ٢٧).

(٢) النسطورية: دعوة ظهرت في النصرانية في القرن الخامس الميلادي، قال بها نسطوريوس بطريك القسطنطينية، حين اعترض على تسمية مريم العذراء بوالدة الإله، على أنها ولدت فقط الإنسان الذي اتحد مع الأقنوم الثاني الإبن إتحاداً مجازياً لا حقيقياً صار بمنـــزلة الإبن . وقرر لعنه وطرده ؛ ونفي نسطوريوس. ويسمى النسطوريون في هذاالعصر بالكلدان. إلا أنهم في الأزمنة المتأخرة انحرفوا عن مقالة نسطور، وقالوا بامتزاج اللاهوت في الناسوت ، كما يقول غيرهم في طبيعة المسيح. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب (ج٢، ص١١٦١) .

(٣) "الغنوص" أو "الغنوصيّة" هي كلمة يونانيّة الأصل معناها "المعرفة"، غير أنّها أخذت بعد ذلك معنى اصطلاحيّاً هو التوصّل بنوع من الكشف إلى المعارف العليا، أو هو تذوّق تلك المعارف تذوّقاً مباشراً بأن تُلقى في النفس إلقاءً فلا تستند على الاستدلال أو البرهنة العقليّة. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب (ج٢، ص١١٠٣).

(٤) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد خلدون ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت (ج٢، ص١٢٤) وقد تصرف الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ في نص ابن خلدون فحذف بعضه.

وهكذا ــ أيضا ــ صارت هذه المشكلات المزعومة بحلولها وشروحها غير الإسلامية من أصول العقائد عند علماء الكلام أو الخلف!)[١].

وأما موضوعات علم الكلام فقد بين الشيخ رحمه الله تعالى طرفاً منهـا فقال: (... إليكم بعض مسائل علم الكلام كما يدرس الآن، تعريف العلم، وتقسيمه إلى تصور وتصديق، والكلام حول هذه التعريفات للعلم، وتعريف التصور، وتعريف التصديق، الكلام في العلوم الضرورية، وفي النظر ووجوبه، وهل أول الواجبات معرفة الله، أو النظر فيها، أو القصد إليها؟ والكلام في أحوال الوجود، وأحوال العدم.

إلى أن قال: هذه بعض مسائل علم الكلام التي يفرض على رجال الدين أن يعتقدوا أن الإيمان يتوقف على معرفتها.

وما زالت "العقائد النسفية" بشروحها وحواشي شروحها، وبالجدل العقيم حول ألفاظ متنها، وحول ما يريد المؤلف منها ــ كأنما ألفاظها وحي إلهي مقدس ــ ما زالت تدرس ويفرض على الطلاب الإيمان بكل كلمة فيها، وبأنها تمثل العقيدة الإسلامية)[٢].

وينبه الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ على خطورة تغلغل أصحاب علم الكلام بجميع أقسامهم وخاصة الأشاعرة منهم في المجتمع الإسلامي عامة، وفي مؤسسة الأزهر العلمية خاصة، وذلك من خلال مظهرين رئيسيين:

أ ــ انتشار المدرسين الأشاعرة في الأزهر.

ب ــ انتشار كتبهم في المناهج المقررة في الأزهر.

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (... واستطاعت الأشعرية أن تسيطر، وأن تخلب العقول بسحر دعواها التي تزعم فيها أنها عقيدة "أهل السنة والجماعة".

واستطاعت كتب المتأخرين من الأشعرية أن تستحوذ على عقول شيوخ الدين في قرون طوال، وأن تحرم عليهم النظر في القرآن وتدبره.

---

(١) الصفات الإلهية، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٦٢) .

(٢) المرجع السابق (ص ١٦٤ــ١٦٥) .

وما كتب هؤلاء المتأخرين في مقياس الحقيقة إلا جدل لا ينتهي بمن يلقي إليه سمعه إلا إلى الحيرة الصماء، والقلق العصوف المدمر، بل ربما إلى التمرد على الأسلام.

ولقد بلغ من سطوة الأشعرية أنها بطشت بالأزهر نفسه، وجثمت على صدره قرونا متطاولات، وحرمت على شيوخه أن يدرسوا لطلابهم عقيدة الإسلام كما هي في القرآن بل أوجبت عليهم دراستها في كتبها الجدلية التافهة، وما في هذه الكتب إلا أمشاج من عقائد شتى لها رحم ماسة بكل عقيدة إلا عقيدة القرآن..)[١].

ومن أخطر انحرافات الأشاعرة وغيرهم من المتكلمين، وبعدهم عن المنهج السلفي الذي دان به سلف الأمة الأخيار؛ بل حتى بعدهم عن التأصيل الفكري والتاريخي لمذهبهم؛ فإن إمامهم الذي يزعمون الانتماء له قد رجع عن العقيدة التي سموها باسمه، وتاب منها، واعتقد عقيدة السلف ــ رحمه الله تعالى ــ ورحمهم.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ بعد أن عرض عقيدة الإمام أبي الحسن الأشعري التي رجع إليها والتي هي عين عقيدة السلف: (هذه عقيدة إمام الأشاعرة الأول.. ولعلهم يوقنون مرة أخرى بأن ما صارت إليه الأشعرية على يد متأخري الأشاعرة، يخالف كل المخالفة عقيدة إمام الأشاعرة الأول، وبأن هؤلاء المتأخرين من الأشاعرة إنما هم أشباح الجهمية والمعتزلة أو شياطينهم)[٢].

بدعة التسمية بالخلف:

يقول الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ: (وقد أطلق على هؤلاء المتكلمين المتناقضين المضطربين المتهوكين من الأشاعرة أنهم "خلف"[٣] يقابلون بهذا اللقب لقبا كريماً آخر

(١) الصفات الإلهية، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٨ــ١٩) .

(٢) المرجع السابق (ص ٥٨) .

(٣) الخلف: كل من يجئ بعد من مضى ، إلا أنه بفتح اللام في الخير ، ويسكن في الشر. يقال: خلف صدق، وخلف سوء، ومعناهما جميعاً القرن من الناس ، وقال الأخفش: هما سواء. القاموس الفقهي لغةً واصطلاحاً ، سعدي أبو جيب ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، (ج١، ص١٢٠) .

أطلــق على صفــوة الأمة الإسلاميــة من الصحابة والتابعــين فقد لقــب هؤلاء بــ"السلف")(١).

قولهم: إن أدلة القرآن لا تفيد اليقين:

وبعد ذلك الدحض لانتمائهم التاريخي، وبيان بدعة أفكارهم وأطروحاتهم؛ وحتى بدعة تسميته، ثم الطعن في عقائدهم؛ بل حتى في انتسابهم لإمامهم، يبين الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ بعض القواعد التي أوصلت المتكلمين عامة، والأشاعرة منهم خاصة إلى الانشغال بعلم الكلام، وطرح منهج الكتاب والسنة.

يقول عليه ــ رحمة الله تعالى ــ: (قولهم: إن أدلة القرآن لا تفيد اليقين، كلمة كافرة، ومن يتدبر ما ابتدعته الفلسفة من أدلة مزعومة، وما لفقه علم الكلام من أباطيل، ويتدبر أدلة القرآن العقلية يتجلى له في إشراق أن أتم الأدلة العقلية وأعظمها وأفضلها هي أدلة القرآن لا جدل الفلسفة، ولا سفسطة علم الكلام.. إنها ــ أي الخلفية ــ تزعم أن أدلة القرآن خطابية تثير العاطفة، و لاتقنع العقل، أو أنها لا تفيد يقيناً، و لاتسلم إلى طمأنينة ثم تبتدع لنا أدلة أخرى تخالف بها أدلة القرآن، وهي في حقيقتها باطلة عقلاً، وباطلة سمعاً، ورغم هذا تصر الخلفية في عتو الجحود على أنها أكمل هديا من أدلة القرآن)(٢).

قولهم: إن طريقة السلف أسلم، وأن طريقة الخلف أعلم وأحكم:

ومن قواعدهم التي زادت في ضلالهم وغيهم وبعدهم عن الهدي الرباني: قولهم: إن طريقة السلف أسلم، وأن طريقة الخلف أعلم وأحكم.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (... يزعم دعاة "الخلفية" أن طريقة السلف أسلم، وأن طريقة الخلف أعلم وأحكم.

---

(١) الصفات الإلهية، عبد الرحمن الوكيل (ص ٢٠) .

(٢) المرجع السابق (ص ١٤) بتصرف.

وسنترك للإمام الجليل ــ ابن تيمية ــ الرد على هذه الفرية "إن هذا القول إذا تدبره الإنسان وجده في غاية الجهالة، بل في غاية الضلالة، كيف يكون هؤلاء المتأخرون، لا سيما والإشارة بالخلف، إلى ضرب من المتكلمين، الذين كثر في باب الدين اضطرابهم، وغلظ عن معرفة الله حجابهم أعلم بالله وأسمائه وصفاته، وأحكم في باب آياته وذاته من السابقين الأولين، من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، من ورثة الأنبياء، وخلفاء الرسل، وأعلام الهدى، ومصابيح الدجى، الذين بهم قام الكتاب، وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب، وبهم نطقوا الذين وهبهم الله من العلم والحكمة، ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء، فضلاً عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم، وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة غيرهم إليهم، لاستحيا من يطلب المقابلة.

ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص في العلم والحكمة ــ لا سيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته ــ من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم؟ أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان أعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن والإيمان "[(١)].

ويقول أيضاً عن السلف: "وأنهم أفضل من الخلف في كل فضيلة: من علم وعمل وإيمان وعقل ودين وبيان وعبادة وأنهم أولى بالبيان لكل مشكل. هذا لا يدفعه إلا من كابر المعلوم بالضرورة من دين الإسلام وأضله الله على علم"[(٢)].

ثم استشهد بقول عبد الله بن مسعود ــ رضي الله تعالى عنه ــ: " أولئك أصحاب محمد: أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم"[(٣)]ويقول الشافعي ــ رحمه الله ــ في رسالته: " هم فوقنا في كل علم وعقل ودين وفضل وكل سبب ينال به علم أو يدرك به هدى ورأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا"[(٤)].

---

(١) الفتوى الحموية الكبرى، لابن تيمية (ج١، ص ٤).

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (ج٤، ص ١٥٨).

(٣) حلية الأولياء، لابن نعيم الأصبهاني (ج١، ص ٣٠٥).

(٤) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (ج٤، ص ١٥٨).

من هذا كله يتبين لك أن طريقة السلف هي الأسلم والأعلم والأحكم، وأن طريقة الخلف شك وحيرة وضلالة)[١].

ويذهب الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ إلى أبعد من ذلك؛ فيهجم على علم الكلام، معتبرا أن كتبه هي التي أضلت الخلف عن ذكـــر الله تعالى، وشغلتهم عن اتباع رسوله ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ .

يقول رحمه الله تعالى: (لقد وصف الله كتابه بقوله: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾[٢]. وبقوله: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾[٣]. وبقوله: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾[٤].

وقال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾[٥]. وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾[٦].

أيستطيع الخلفيون أن ينكروا هذه الآيات الإلهية؟

أيستطيع أحدهم أن يقول: إن كتب الكلام هدى وشفاء؟

---

(١) الصفات الإلهية، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٤٢ــ١٤٤).

(٢) (سورة آل عمران : آية ١٣٨).

(٣) (سورة فُصِّلَت: آية ٤٤).

(٤) (سورة يوسف: آية ١١١).

(٥) (سورة الفرقان: آية ٢٧).

(٦) (سورة الزُّمَر:آية ٢٧).

إنها الخليل الذي أضل الخلفية عن الذكر الإلهي، إنها الشيطان الخذول الذي صرفهم عن هدى الله)[(١)].

إن مجرد مقارنة الخلف أنفسهم بالسلف، تعتبر جناية منهم على أنفسهم، وتعرية لهم عن ستار كانوا يختفون خلفه.

يقول الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ: (... ليتدبر هؤلاء ما يجنونه على أنفسهم، وعلى الناس، وعلى الكتاب والسنة، وليسمعوا هذه الكلمة الحسنى من الإمام الجليل ابن تيمية: "أن كثيرا من المتأخرين لم يصيروا يعتمدون في دينهم لا على القرآن ولا على الإيمان الذي جاء به الرسول ﷺ بخلاف السلف؛ فلهذا كان السلف أكمل علماً وإيماناً وخطؤهم أخف وصوابهم أكثر كما قدمناه. وكان الأصل الذي أسسوه هو ما أمرهم الله به في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾[(٢)] "[(٣)])[(٤)].

وبما أن الواقع أهم من النظريات، فإن أدلة القرآن والسنة أثبتت جدارتها؛ فأخرجت خير أمة أخرجت للناس فتحت الدنيا، وانتشر على يديها الخير الكثير، فأي أمة أو أي مجتمع صالح استطاع علم الكلام ــ عبر تاريخه الطويل ــ أن يكونه ويخرجه جاهزا واضحا للعيان.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (... ولقد أتى هذا الإيمان العظيم أكله؛ فجعل من أصحابه خير أمة أخرجت للناس، وأعظم جماعة تسامت بكرامة الإنسانية، ومكن له بنصر الله في الأرض فأشرف في أرجائها جلال التوحيد.

فأروني الأمة التي أخرجها علم الكلام، ودعاته ألوف ألوف، وقد خيم على العقول القرون الطوال؟!.

---

(١) الصفات الإلهية، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٤٦ــ١٤٧).

(٢) (سورة الحُجُرات:آية ١).

(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (ج١٣، ص ٦٠).

(٤) الصفات الإلهية، عبد الرحمن الوكيل (ص ٤٣ــ٤٤).

إننا لا نجد أمته إلا أمة ضلالة ذاهلة، وحيرة شاردة، وإن التاريخ لم يسجل غير هذا الذي نقول، وسجل له أنه كان من الظلمات التي حاولت أن تغتال النور في قلوب هذه الأمة وتاريخها المجيد)(١).

موقف السلف من علم الكلام:

ولكن لقائل أن يقول بعد كل هذا ما موقف السلف من علم الكلام؟ وهل يذمونه مطلقاً، أم يمدحونه مطلقاً، أم يفصلون في ذلك؟

يجيب الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ عن ذلك فيقول: (يقول الإمام الجليل ابن تيمية: "والسلف لم يذموا جنس الكلام، فإن كل آدمي يتكلم، ولا ذموا الاستدلال والنظر والجدل الذي أمر اللّه به رسوله، والاستدلال بما بينه اللّه ورسوله، بل ولا ذموا كلاماً هو حق، بل ذموا الكلام الباطل، وهو المخالف للكتاب والسنة، وهو المخالف للعقل أيضاً وهو الباطل، فالكلام الذي ذمه السلف هو الكلام الباطل، وهو المخالف للشرع والعقل.

ولكن كثيرًا من الناس خفي عليه بطلان هذا الكلام، فمنهم من اعتقده موافقًا للشرع والعقل، حتى اعتقد أن إبراهيم الخليل استدل به، ومن هؤلاء من يجعله أصل الدين ولا يحصل الإيمان أو لا يتم إلا به، ولكن من عرف ما جاء به الرسول وما كان عليه الصحابة علم بالاضطرار أن الرسول والصحابة لم يكونوا يسلكون هذا المسلك، فصار من عرف ذلك يعرف أن هذا بدعة، وكثير منهم لا يعرف أنه فاسد وأما الحذاق العارفون تحقيقه فعلموا أنه باطل عقلاً وشرعاً، وأنه ليس بطريق موصل إلى المعرفة، بل إنما يوصل لمن اعتقد صحته إلى الجهل والضلال، ومن تبين له تناقضه أوصله إلى الحيرة والشك.

ولهذا صار حذاق سالكيه ينتهون إلى الحيرة والشك(٢))(٣).

---

(١) الصفات الإلهية، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٥ــ١٦) بتصرف.

(٢) أحكام المرتد عند شيخ الإسلام ابن تيمية، علي بن نايف الشحود (ج١، ص٤٥١).

(٣) الصفات الإلهية، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٦٨ــ١٦٩).

وإذا كان علم الكلام لا يوصل إلى اليقين، وإنما إلى الحيرة والشك، وتعارض الأدلة العقلية في ذهن السامع، فالأولى هو تركه، وتجنبه، يضاف إلى ذلك ضعف علم المشتغلين به، وكثرة شكوكهم، وحيرتهم.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (... ويحدثنا الإمام الجليل ــ يقصد ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ عن سمات علماء الكلام فيقول: "أنك تجدهم أعظم الناس شكاً واضطراباً وأضعف الناس علماً ويقيناً وهذا أمر يجدونه في أنفسهم ويشهده الناس منهم وشواهد ذلك أعظم من أن تذكر هنا.

وما زال أئمتهم يخبرون بعدم الأدلة والهدي في طريقهم كما ذكرناه عن أبي حامد وغيره حتى قال أبو حامد الغزالي " أكثر الناس شكاً عند الموت أهل الكلام "[(١)] وهذا أبو عبد الله الرازي من أعظم الناس في هذا الباب ــ باب الحيرة والشك والاضطراب ــ لكن هو مسرف في هذا الباب؛ بحيث له نهمة في التشكيك دون التحقيق بخلاف غيره.

وكان من فضلاء المتأخرين وأبرعهم في الفلسفة والكلام: ابن واصل الحموي كان يقول: " أستلقي على قفاي وأضع الملحفة على نصف وجهي ثم أذكر المقالات وحجج هؤلاء وهؤلاء واعتراض هؤلاء وهؤلاء حتى يطلع الفجر ولم يترجح عندي شيء"[(٢)])[(٣)].

وحتى لا يظن بعض الناس أن هذا الرأي الذي ربما يعتبره بعضهم متشدداً في حق علم الكلام هو رأي الشيخ وحده دون مستند من أقوال السلف، يتبع الشيخ رحمه الله تعالى ما سبق من الكلام ــ والأدلة على ضعف علم المتكلمين ووقوعهم في الحيرة والشك بدل اليقين الذي كانوا يبحثون عنه ــ بقول أئمة السلف في علم الكلام، فيقول: (... وإليك رأي الأئمة في بدعة "علم الكلام" يقول ابن عساكر في "تبيين كذب

---

(١) نقض أصول العقلانيين ، سليمان بن صالح الخراشي ، الناشر : دار علوم السنة ، (ج٦، ص١٦).

(٢) فلسفة السعادة عند ابن تيمية (ج٢، ص ٣٠٨ــ ٢٠٩).

(٣) الصفات الإلهية، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٦٩ــ١٧٠).

المفتري": " فقد حفظ عن غير واحد من علماء الإسلام عيب المتكلمين وذم أهل الكلام ولو لم يذمهم غير الشافعي لكفى فإنه قد بالغ في ذمهم وأوضح حالهم وشفى"[١].

ثم ذكر بعض أقوال الشافعي مثل قوله: "ما تردى احد في الكلام فأفلح، ولأن يبتلى المرء بكل ما نهى الله عنه سوى الشرك خير له من الكلام ولقد اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننت أن مسلما يقول ذلك"[٢].

كما ذكر قول الشعبي[٣]: "من طلب الدين بالكلام تزندق"[٤].

وإليك ما حكم به الشافعي على علماء الكلام: "حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام "[٥].

أما ابن تيمية فيقول: "وأما أهل البدع من أهل الكلام والفلسفة ونحوهم فهم لم يثبتوا الحق بل أصلوا أصولاً تناقض الحق. فلم يكفهم أنهم لم يهتدوا ولم يدلوا على الحق حتى أصلوا أصولاً تناقض الحق ورأوا أنها تناقض ما جاء به الرسول ﷺ فقدموها على ما جاء به الرسول"[٦].

ثم وصفهم وصفا بليغا؛ فقال: "أوتوا ذكاء وما أوتوا ذكاء وأعطوا فهوماً وما أعطوا علوما وأعطوا سمعاً وأبصاراً وأفئدة ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ

---

(١) تبيين كذب المفتري، لابن عساكر (ج١، ص٣٣٥).

(٢) المرجع السابق (ج١، ص ٣٣٤).

(٣) الشعبي هو : عامر بن شراحيل الهمداني الشعبي ، أبو عمرو ،الإمام، علامة العصر .ت ١٠٥هـ. سير أعلام النبلاء (ج٤، ص٢٩٤).

(٤) تبيين كذب المفتري، لابن عساكر (ج١، ص ٣٣٤).

(٥) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، لابن أبي العز (ج١، ص ٣٦).

(٦) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (ج١٦، ص٤٤٠).

أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٢٦﴾[1]"[2].

وقال مالك كلمة محكمة عن المتكلم: "أرأيت إن جاءه من أجدل منه، أيدع دينه كل يوم لدين جديد؟!"[3].

وهي كلمة تدل على حقيقة ما يتردى فيه المتكلم دائماً من قلق وحيرة واضطراب وتناقض والخروج كل يوم من دين إلى دين)[4].

وحتى لا يظن أن ذلك رأي العلماء الأقدمين وحدهم شفع الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ تلك النقول برأي بعض المعاصرين؛ فقال ــ رحمه الله تعالى ــ: (.. ويقول الدكتور محمود قاسم عن علماء الكلام جميعاً: "إنهم لم يوفقوا في الكشف عن الأدلة البرهانية التي احتوى عليها كتاب الله، وإنما جنحوا إلى استخدام أدلة أخرى عليها مسحة غالبة من الجدل الكريه الذي نصفه هذا الوصف، لأنه يثـير من الشكوك أكثر مما يدعو إلى الإقناع".

ثم عرض لأشهر أدلتهم الجدلية، وهي: دليل الجوهر الفرد، ودليل الممكن والواجب، وبين تهافتهما، ثم قال: "إن مشكلة البرهنة على وجود الله لأكثر يسراً من أن يتخيل المتكلمون لحلها طريقة الجوهر الفرد، ولو رجع هؤلاء إلى المصدر الأول لدينهم ــ أي القرآن ــ لوجدوا في أدلته غناء".

وقال أيضاً عن منهج المتكلمين أشاعرة ومعتزلة: " كان منهجهم منهجاً واهياً؛ لأنه منهج جدل لا منهج إقناع، ولهذا فهو لا يصلح ــ في الحقيقة ــ لا للعلماء ولا للعامة، بل هو أعجز من أن يقنع المتكلمين أنفسهم.. إن طرق المتكلمين في البرهنة

---

(١) (سورة الأحقاف: آية٢٦) .

(٢) الفتوى الحموية الكبرى، لابن تيمية (ج١، ص ٥٧) .

(٣) درء التعارض، لابن تيمية (ج٣، ص ٣٧٤).

(٤) الصفات الإلهية، عبد الرحمن الوكيل (ص ٢٢ــ٢٣).

على العقائد الإسلامية تثير من الشبه أكثر مما تدعو إلى الإقناع")[١].

ويعلق الشيخ الوكيل على كلام قاسم السابق، فيقول: (... وفي كلمة الدكتور قاسم حقيقتان بارزتان يؤيدهما تاريخ هؤلاء المتكلمين، والنظر في تراثهم الجدلي..

أما الحقيقة الأولى: فتؤكد أن جدل الكلاميين لم يستطع أن يبث أثارة من اليقين في نفوس أصحابه أنفسهم.

وأما الحقيقة الأخرى فتثبت أن جدل هؤلاء الخلف يثير الشبه، ولا يسلم إلى إقناع.

ويكفينا في البرهنة على ثبوت الحقيقتين رجوع كثير من هؤلاء المتكلمين أنفسهم عن طريقتهم، وبراءتهم إلى الله منها، وتمجيدهم لطريقة السلف.

بل يكفينا أن نقرأ ما خلفوا!! ولو أن كتب هؤلاء الكلاميين كانت تورث يقيناً أو تدعو إلى هدى لكان حال الأمم الإسلامية اليوم غير ما هي عليه)[٢].

ثم يؤكد الشيخ أن استدلالات المتكلمين ليست مشروعة، ولا تقنع، ولا تفيد، فينقل عن شيخ الإسلام / ابن تيمية أقواله في استدلالات المتكلمين فيقول: (يقول ابن تيمية: النظر والاستدلال الذي يدعون إليه، ويوجبونه، ويجعلونه أول الواجبات وأصل العلم: هو نظر واستدلال ابتدعوه، ليس هو المشروع؛ لا خبراً، ولا أمراً. وهو استدلال فاسد لا يُوصل إلى العلم"[٣].

وفي مكان آخر يقول: "إن جميع ما ابتدعه المتكلمون وغيرهم مما يخالف الكتاب والسنة باطل لا ريب"[٤].

(١) الصفات الإلهية، عبد الرحمن الوكيل (ص ٢٤ــ٣٥).

(٢) المرجع السابق (ص ٢٦ــ٢٧).

(٣) النبوات ، لابن تيمية (ج١٠، ص ١).

(٤) المرجع السابق (ج٢٠، ص ٢).

ويقول عن صاحب علم الكلام:"إنه يرد باطلاً بباطل وبدعة ببدعة"[(١)].

ويقول: "أن الذين لبسوا الكلام بالفلسفة من أكابر المتكلمين تجدهم يعدون من الأسرار المصونة والعلوم المخزونة: ما إذا تدبره من له أدنى عقل ودين وجد فيه من الجهل والضلال ما لم يكن يظن أنه يقع فيه هؤلاء"[(٢)].

وكل ما قاله شيخ الإسلام وسبق به حق يثبته تاريخ هؤلاء جميعاً[(٣)].

---

(١) الصفدية ، لابن تيمية (ج٢، ص ٣٢٧).

(٢) مجموع الفتاوى ، لابن تيمية (ج٤، ص ٦٢).

(٣) الصفات الإلهية، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٧٩).

المبحث السادس

جهوده في بيان توحيد الألوهية

المطلب الأول

تعريف توحيد الألوهية

أله يأله من باب تعب إلهة بمعنى عبد عبادة و"تَأَلَّهَ" تعبد، والإله المعبود وهو الله سبحانه وتعالى، ثم استعاره المشركون لما عبدوه من دون الله تعالى والجمع "آلهة" "فالإِلَهُ" فعال بمعنى مفعول مثل كتاب بمعنى مكتوب وبساط بمعنى مبسوط [(١)].

والآلهة : الأصنام ، سموها بذلك لاعتقادهم أن العبادة تحق لها ، وأسماؤهم تتبع اعتقاداتهم لا ما عليه الشيء في نفسه. والتأليه: التعبيد، والتأله: التنسك والتعبد، وتأله فلان: ادعى الألوهية [(٢)].

أما في الاصطلاح فمن أجمع تعاريف توحيد الألوهية ما يلي:

١) أنه : إفراد الله تعالى بأفعال العباد كالصلاة والذبح والنذر وغيرها.[(٣)]

٢) أنه : هو إفراد الله تعالى بالعبادة، ويسمى توحيد العبادة، ومعناه الاعتقاد الجازم؛ بأن الله ــ سبحانه وتعالى ــ هو الإله الحق ولا إله غيره، وكل معبود سواه باطل، وإفراده تعالى بالعبادة والخضوع والطاعة المطلقة، وأن لا يشرك به أحد كائنا من كان، ولا يصرف شيء من العبادة لغيره تعالى؛ كالصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والدعاء، والاستعانة، والنذر، والذبح، والتوكل، والخوف والرجاء والحب، والإنابة،

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أحمد بن محمد المقري الفيومي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، (ج١، ص١٦) .

(٢) الصحاح للجوهري (ج٧، ص٧٤) .

(٣) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، عبد العزيز ين صالح بن إبراهيم الطويـــان ، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م (ج١، ص١٠٧) .

والخشية، والتذلل، وغيرها من أنواع العبادة الظاهرة والباطنة، وأن يعبد الله بالحب والخوف والرجاء جميعاً [(١)].

ولا شك أن هذا التعريف جامع مانع ــ إن شاء الله تعالى ــ، وهو من أجود التعاريف لتوحيد الألوهية عند أهل السنة والجماعة، وهناك تعريفات أخرى أعرضت عن ذكرها لقصورها، وعدم تحديدها للمقصود بتوحيد الألوهية. والله تعالى أعلم وأحكم.

المطلب الثاني

جهود الشيخ في بيان منزلة توحيد الألوهية بين أنواع التوحيد

إن توحيد الألوهية ــ كما قدمت ــ هو الغاية من خلق الإنس والجن وهو ثمرة الإيمان بقسمي التوحيد الآخرين، وقد بين في القرآن الكريم أتم بيان، فلا تكاد تجد آية إلا تتكلم عن ضرورة توحيد الله تعالى في العبادة؛ بل إنه هو قطب رحى القرآن الذي يدور عليه.

وهو لب دعوة الرسل ــ عليهم الصلاة والسلام ــ ، فكل منهم قال لقومه اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، فقد قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [(٢)] وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴿٧٣﴾﴾ [(٣)] وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ

(١) الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة ، عبد الله بن عبد الحميد الأثري مراجعة، وتقديم: فضيلة الشيخ الدكتور / عبد الرحمن بن صالح ، مدار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م (ج١، ص ٦٢) .

(٢) (سورة الأعراف: آية ٦٥) .

(٣) (سورة الأعراف: آية ٧٣) .

أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴿٨٥﴾﴾[(1)] وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾[(2)] وأجمل الله تعالى كل دعوات الرسل إلى توحيد العبادة فقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴿٣٦﴾﴾[(3)] إلى غير ذلك من الآيات التي تبين أنه دعوة الرسل، وهدف المصلحين والمجددين.

ومن المعلوم أن لفظة "كل" عامة تشمل جميع الأمم؛ لأن "كل" من صيغ العموم عند الجمهور وهي موضوعة لاستغراق أفراد ما تضاف إليه قال في مراقي السعود معدداً صيغ العموم: صيغه كل أو الجميع... وقد تلا الذي التي الفروع [(4)] .

ولذا فقد اهتم الشيخ / عبد الرحمن الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ ببيانه فقد قرر ــ شأنه في ذلك شأن علماء السلف رحمهم الله تعالى ــ أنه هو لب دعوة الرسل، وهو الفيصل الحقيقي، ومربط الفرس؛ إذ أن الأمم السابقة تقر بالرب الخالق المالك أو بما نسميه توحيد الربوبية.

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ مقرراً تلك الحقيقة التاريخية: (لم يسجل التاريخ ــ حتى وهو ملثم بالغيب المجهول ــ نبأ كائن ينكر وجود إله علي قدير حتى العقائد الوثنية التي كانت وما زالت تؤمن بآلهة متعددة، حتى هذه تدين بالتقديس لإله واحد من آلهتها تؤمن أنه فوق الكل عزة وعظمة وقدرة مالك الملك رب السماوات والأرض... ولهذا لم تكن رسالة الرسل دعوة الناس إلى الإيمان بوجود الله أو ربوبيته؛ إذ كان هذا

---

(١) (سورة الأعراف: آية ٨٥) .

(٢) (سورة الأعراف: آية ٥٩) .

(٣) (سورة النحل: آية ٣٦) .

(٤) انظر : أضواء البيان للشنقيطي (ج١، ص ١٤٣)، وراجع : الاعتصام، للشاطبى، المؤلف : أبو إسحاق الشاطبي، دار النشر : المكتبة التجارية الكبرى، مصر (ج٢، ص٢٥١).

مستقراً في القلوب، وإنما كانت هـي دعوة الناس إلى توحيـد الله في إلهيتـه، إلى عبادة الله وحده لا شريك له...)[(١)].

ويبين ترابط أقسام التوحيد بعضها ببعض، وأن توحيد الربوبية ـ بقسميه ـ أدل دليل على وجوب توحيد الألوهية..

يقول عليه ـ رحمة الله تعالى ـ: (في هذه الأية بيان مشرق الفصاحة معجز البلاغة لسبب إنكار اتخاذ الشيطان وذريته أولياء من دون الله.

وبيان لتفرد الله ـ جل شأنه ـ بالخالقية وهي أجل صفات الربوبية التي بها تجب له الألوهية وهذا في قوله سبحانه: ﴿ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ ﴾[(٢)])[(٣)] .

ولكن كيف نوحد الله تعالى في ألوهيته، وما هو تعريف العبادة الخالصة لله تعالى..

يجيب الشيخ / الوكيل ـ رحمه الله تعالى ـ عن ذلك فيقول: (العبادة الخالصة لله هي التي تضع أمام النفس مقاييس الحق والخير والجمال، فلا تضل فيما تفكر، ولا فيما تفعل، ولا فيما تحب، وكيف وهي عقلها وحواسها النور الذي يهدي ويوجه؟!

فإذا حـام في العقل فكـر أو رأي، نظرت نفـس المسلم: أيتجـاوب هذا مع ما اطمأنت إليه من توحيد الله أم لا؟

فإن كان الأول: صدقت به، وإن كان الثاني: كفرت به وحذرت منه.

لهذا نجد موازين الحق مستقيمة عند كل مؤمن وإن كان أمياً، ونجدها على النقيض مضطربة متناقضة متباينة عند من عميت أبصارهم، وإن كانوا يحملون من الألقاب العلمية ما يحملون)[(٤)].

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص٤٩ ـ ٥٠) .

(٢) (سورة الكهف:آية ٥١) .

(٣) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٥، تاريخ ١٣٨٣هـ (ص٦ـ٧) .

(٤) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٣، تاريخ ١٣٧٩هـ ، (ص٦) .

نعم إن الالتزام بمنهج الله تعالى يعطي النفس ارتياحاً وطمأنينة يجدها كل من تذوق التسليم لله تعالى ولأمره، وأمر رسوله ـــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـــ ، ولو كان أمياً، أما الذي يبتغي الهدى في غير محله، فسوف يتيه، وتخطفه الأفكار المتشتتة فتلقي به في مكان سحيق، ولا ينفعه عند ذلك ما تميز به من ألقاب علمية متعددة "شيخ، دكتور، علامة، سماحة..." .

ومترلة توحيد الألوهية أنه هو ملاك الأمر كله، وهو الغاية من نوعي التوحيد الآخرين.

يقول الشيخ / الوكيل ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (توحيد العبادة: ملاك الأمر وحقيقة الإسلام، والرسل ما جاؤوا ليقولوا إن الله هو رب الوجود، بل ليقولوا إن الله هو المعبود وحده، جاؤوا ليقرروا الواجب المقدس لله على الخلق.. وكل ذلك في كلمة التوحيد: "لا إله إلا الله")[١].

وإن من أخص خصائص الألوهية امتلاك النفع والضر حتى يستحق الإله أن يدعى، والدعاء هو العبادة كما قال رسول الله ـــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـــ [٢].

يقول الشيخ / عبد الرحمن الوكيل ـــ رحمه لله تعالى ـــ: (إن الذي يملك كل أسباب النفع والضر هو الخالق والداعي لا يدعو في خوفه ورجائه إلا من يعتقد فيه أنه يملك له تحقيق ما يرجو، أو دفع ما يخاف، مما ليس من شأنه أن تبلغه قدرة أحد غير الله سبحانه)[٣] .

ويقرر الشيخ / الوكيل ـــ رحمه الله تعالى ـــ أن توحيد الألوهية هو الذي يحقق للبشرية مثلها العليا ويوصلها للسعادة الدنيوية والأخروية، وأن أي دين لا يأمر بتوحيد

---

(١) مجلة الهدي النبوي ، مقالة : طواغيت ، العدد ٣، تاريخ ١٣٦٧هـ (ص ١٠) .

(٢) سنن أبي داود، كتاب شهر رمضان، باب الدعاء، حديث رقم (١٤٨١) (ج١، ص ٥٥١) وصححه الألباني في صحيح، وضعيف سنن أبي داود .

(٣) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نور من القرآن ، عدد ١١، تاريخ ١٣٨١هـ (ص١٢) .

الألوهية، هو دين هوى عار من أي مصداقية؛ فيقول عليه ــ رحمة الله تعالى ــ: (عبادة الله وحده لا شريك له هي قوام الدين وملاكه وروحه التي بها يستوي ويستقيم أمره، ويبلغ غايته، ويحقق في الوجود مثله التي تحقق للبشرية كمالها وسعادتها في الدنيا والآخرة.

والدين الذي لا يدعو إلى هذا، أو يأمر به هو دين هوى، ودين ضلال يستهدف الإنسانية وعلى أشرف ما تتعلق به)(١).

إن المسلم إذا عرف أن توحيد العبادة من أعظم حقوق الباري ﷻ ؛ فلا شك أنه سوف يتساءل عن الطريق الشرعي الذي يميز ما يعبد الله تعالى به عن غيره.

ويبين الشيخ/ الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ هذه النقطة فيقول معلقاً على قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾(٢) (... ثم جاء بالحقيقة الثانية التي لا تصح العبودية بدونها، وهي أن الله آتاه الكتاب.

وكل مسلم هو من الذين آتاهم الله الكتاب؛ فلولا كتاب الله الذي نزل على رسله ما عرف مسلم كيف يعبد ربه، ولا كانت عبودية صحيحة.

وأدل دليل على هذا أن أقطاب الفلاسفة لم يصلوا بهذا العقل والفكر إلى شيء يسكن إليه قلب مسلم دون قلق. إنما أتوا في المعتقدات بما يشهد بأنهم ليسوا آلهة عقل أو فكر، وإنما هم إفك تفتريه خرافة.

فكان نص عيـــسى على أن الله آتاه الكتاب إيحاء لكل مسلم بأنه لا عبودية بدون كتاب.

إن الكتاب هو الهادي إليها، والمضيء لها السبيل، ومن يعبد الله بدون كتاب فهو ضال لا يعرف شيئاً من إيمان)(٣).

---

(١) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نور من القرآن ، عدد ٣، تاريخ ١٣٧٩هـــ (ص٥) .

(٢) (سورة مريم :آية ٣٠) .

(٣) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نور من القرآن ، عدد ٢ تاريخ ١٣٨٦هـــ (ص ٧) بتصرف يسير .

فالعبادة إذن تحدد من خلال الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله ــ صلوات الله وسلامه عليهم ــ كل كتاب يوضح نوع العبادة وكمها وكيفها في فترته التاريخية، حتى أنزل الله ﷻ القرآن المهيمن على جميع الكتب، فنسخها جميعاً، وحدد شكل ونوع العبادة حتى تقوم الساعة...

يقول الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ: (نزل القرآن بالحق الأعظم في العبادة؛ فبين لنا بياناً شافياً هادياً ما يعبد الله به، ولن تجد نظماً أسمى أو أجل من هذه النظم)[1].

إذا كانت تلك أهمية توحيد الألوهية بين أنواع التوحيد، وتلك الطريقة التي يستطيع المسلم من خلالها أن يحققه؛ فما هي جائزة من قام بذلك، فلم يعبد إلا الله وحده لا شريك له، وكفر بكل ما يعبد من دونه سبحانه.

يجيب الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ عن ذلك فيقول: (ومناط الجزاء الأخروي أيضاً توحيد الله في ألوهيته، وهو أن نعبد الله وحده بما أمرنا أن نعبده به، ومن رحمة الله تعالى أنه لم يترك عباده حيارى لا يدرون كيف يعبدونه، وإنما فصل لهم هذا تفصيلاً واضحاً جلياً لا شبهة فيه ولا ريب، إلا من تعمد أن يلوذ بالشبهات والريب)[2].

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ١، تاريخ ١٣٨٢ هـ (ص ٧) .

(٢) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٢، تاريخ ١٣٧٩هـ (ص ٨) .

المطلب الثالث

جهود الشيخ في بيان ما يتحقق به توحيد الألوهية

إن مقتضى الشهادتين هو توحيد في العبادة، وتوحيد في الاتباع، فلا يعبد إلا الله وحده لا شريك له، ولا يعبد إلا بما شرع، وكما قدمت فإن كل أمة كانت ملزمة بعبادة الله وحده لا شريك له، وباتباع نبيها الذي أرسل إليها، ولما ختمت النبوة بمحمد ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ ، كان ذلك إلزاما للثقلين باتباعه والسير على خطاه.

وهذان الأصلان العظيمان هما ركيزتا الإسلام اللتين قام عليهما.

يقول الشيخ/ الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ: (إن الإسلام قائم على أصلين: عبادة الله وحده لا شريك له، وأن تكون هذه العبادة بما شرعه الله على لسان نبيه)[١].

ويقوم توحيد الألوهية على ركنين لا ينجبران؛ بل لا بد منهما جميعاً.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (ولا بد في توحيد الألوهية من أمرين: أن يعبد الله وحده لا شريك له، وأن لا يعبد سبحانه إلا بما شرعه في الخشية، وطهر التقوى، والاقتداء الخالص)[٢].

ويوضح هذين الركنين في موضع آخر، مبيناً حقيقة وجوب عدم الإشراك بالله تعالى في أي عمل يعمله المسلم، فيقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (... فملاك الحق في توحيد الله في عبادته أمران: أن تعبد الله وحده، وأن لا تعبده إلا بما شرعه ، فمن ابتغى بعمل له غير وجه الله فهو مشرك، ومن عبد الله بما لم يأذن به الله فهو مشرك [٣].

(١) مجلة الهدي النبوي ، مقالة طواغيت ، العددان ٩ـ١٠، تاريخ ١٣٦٦هـ (ص ٢٢) .

(٢) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٥) .

(٣) من عبد الله ، بما لم يأذن به الله تعالى، فهو مبتدع، وليس مشرك. وهذا من غلو الشيخ ــ رحمه الله ــ في ألفاظ الشرك.

ولن يكون الدين لله خالصاً إلا إذا كان كل ما نعمل أو نقول هو لله، وباسم الله، سواء كان من شؤون الدين أم من شؤون الحياة.

قال ـــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـــ : "يقول الله ﷻ : **من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**" (١).

دقق النظر في الحديث تجده ذكر "العمل" مطلقـــاً غير مقيد بكونه عمل ديـــن، أو عمل دنيا ، هذا ليكون لله وحده وجودك كله في الحياة)(٢).

إذن لا بد من التوحيد الكامل، والعمل المقبول يلزمه الإخلاص التام؛ فلا بد للمسلم الذي يريد النجاة من عذاب الله تعالى، والفوز برضاه وجنته من تزكية نفسه، والصعود بها في درجات التوحيد، حتى يجعلها تطمئن إلى أن الأعمال يكفي فيها وجه، وتتسامى عن النظر إلى الخلق فيما يخص الخالق.

يقول الشيخ الوكيل ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (وتوحيـــدك لله في عبادته لا يتحقق إلا بأن يكون ظاهرك وباطنك، سرك وعلانيتـــك، عملك وقولك، دينك ودنياك لله رب العالمين وحده.

ليس يكفي في التوحيد أن ترتل "لا إله إلا الله"، بل يجب أن يكون هوى قلبك، وباعث عملك، وغاية جهدك في الحياة، يجب أن يكون ذلك كله شهيدك الحق على صدق قولك: "لا إله إلا الله ")(٣).

هذا ما يبين به الشيخ عليه ـــ رحمة الله تعالى ـــ إخلاص التوحيد لله، ويحذر به من الشرك الخفي، وينبه به على خطورة الرياء.

وهذا من ناحية حقيقة الإخلاص، وبيان أهميته.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، حديث رقم (٧٦٦٦) (ج٨، ص٢٢٣) وأول الحديث : قال الله تبارك وتعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك . وقد قدم الشيخ ـــ رحمه الله تعالى ـــ كلمة "معي"، على كلمة "فيه"، والأصل :العكس.

(٢) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٥٠) .

(٣) المرجع السابق (ص ٥١) .

أما من ناحية ضرورة أن يشمل ذلك الإخلاص جميع أنواع العبادات، فذلك أمر لا يغفل عنه الشيخ رحمه الله تعالى، فكل عبادة مهما كانت يجب أن يراعى فيها الإخلاص لله تعالى، وتنقيتها من أدران الغيرية، وأوحال الرياء.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (ألا فلتتل هذه الآية: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾[١] لتؤمن بالحق وتهدى إلى حقيقة التوحيد، وهي أن كل عمل يجب أن يكون لله، أو باسم الله، وكما أذن الله.

فالآية تذكر ثلاثة أمور: شأن من الشؤون، تلاوة من القرآن، عمل من الأعمال، وتبين بعد ذلك أن الله شهيد على كل إنسان عليم بنيته التي توجه غايته وهو يأتي هذه الأمور، أو يقوم بواحد منها، وما قيدت الأية "الشأن" ولا "العمل " بأي قيد من القيود، تركتهما منكرين مطلقين لتهديك إلى أن كل شأن من شؤون دنياك، أو دينك، وكذلك كل عمل يجب أن تبتغي به وجه الله، وإلا فسقت عن التوحيد إلى الشرك، حتى تلاوة القرآن يحذرك الله في الآية أن تكون لغير وجه الله، ويبين أنها ليست عبادة إلا بما يوجهها من نية تبتغي طاعة الله، فيا لجاعلي القرآن تمائم!! ويا لبائعي القرآن عند القبور!! ويا للتالين له تطريباً وابتغاء مال يتخمون به بطون الربا!!

ولو أنك تتبعت موارد كلمة "العمل" لوجدتها مطلقة بدون قيد يحدد مفهوم العمل بأنه من أعمال الدين، أو من أعمال الدنيا، ولوجدتها تذكر مقترنة صراحة، أو ضمنا بما يوجب أن يكون هذا العمل لله، أو باسم الله)[٢].

يبين الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ هنا أموراً مهمة، وعلاقتها بالإخلاص واضحة بينة، ويمكن تلخيصها على النحو التالي:

---

(١) (سورة يونس :آية ٦١) .

(٢) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٥٣ــ٥٤) .

١) كل عمل مهما كان يجب إخلاصه لله تعالى، سواء كان من أمور الدين أو من شؤون الدنيا.

٢) أي عمل ولو كان مباحاً إذا أخلص لله تعالى وابتغي به وجهه سبحانه يكون عبادة يؤجر عليها صاحبها.

٣) ذكر الشأن والعمل منكرين، ومن دون قيد يدل على عمومها، ومن المعلوم أن النكرة في سياق النفي تعم كما هو مقرر في علم الأصول.

٤) جعل القرآن تمائم معلقة هو من الشرك [(١)]، ولذلك قال رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ :"من تعلق تميمة فلا أتم الله له " [(٢)].

٥) وينبه الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ على بعض البدع التي انتشرت في المسلمين انتشار النار في الهشيم ولم يعد ينكرها إلا "متشدد" "متعصب" كقراءة القرآن عند القبور.

٦) وينبه عليه شآبيب ــ رحمة الله تعالى ــ على بدعة قراءة القرآن باللحون تطريباً وتهييجاً للسامعين حتى تباع الأشرطة.

---

(١) " وفي التمائم المعلقة من آيات قرآنية مبينات اختلف في جوازها السلف من الصحابة والتابعين .
فبعضهم أجازها، ويروى ذلك عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ وعن أبي جعفر محمد بن علي. وغيرهما من السلف .
والبعض منهم كف عن ذلك وكرهه، ولم يره جائزاً، ومنهم : عبد الله بن عمرو، وعبد الله بن مسعود ومن بعدهم، كالنخعي وغيره .
ولا شك أن منع ذلك أسد لذريعة الاعتقاد المحظور، ولا سيما في زماننا هذا، فإذا كرهه أكثر الصحابة والتابعين في تلك العصور الشريفة؛ فلأن يكره في وقتنا هذا وقت الفتن والمحن أولى وأجدر"، معارج القبول، حافظ الحكمي (ج٢، ص ٦٣٧) ، بتصرف.

(٢) في مسند الإمام أحمد (ج٤، ص ١٥٤)، بسند صحيح.

المطلب الرابع

جهود الشيخ في بيان جوانب من توحيد الألوهية

إن عنوان توحيد الألوهية؛ بل عنوان الإسلام كله هو كلمة "لا إله إلا الله" وهي تلخص الدين كله، وكل ما قيل، أو يقال بعدها في الإسلام ما هو إلا شرح وبيان لمقتضاها، ومعناها.

يقول الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ: (إن الشريعة دائرة بين الإثبات والنفي، دائرة بين الأمر والنهي، وعنوانها: "لا إله إلا الله" تثبت الألوهية لله وتنفيها عن غيره.

ولا يمكن فصل الإثبات عن النفي، ولا الأمر عن النهي، وإلا كان الشرك والإلحاد، فإذا جعل النهي عن الشرك خاصا بعهد نزول القرآن، فقد فصلوا عن الدين شطره، أو جحدوا القرآن كله.

وهل ينفع تلفظ الشفاه بلا إله إلا الله، وفي القلوب مئات الآلهة، والغايات من العبادة ابتغاء وجوه العبيد لا وجه الخلاق العلي الكبير؟ ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٤٥﴾[1])[2].

ذلك هو الطرح السني السليم؛ فلو كان قول الإنسان "لا إله إلا الله" يكفي من غير معرفة لمعناها ولا عمل به. لكان الأمر هيناً، ولدخل كثير من كفار قريش في الإسلام وحقنوا دماءهم وحفظوا أموالهم، ومضوا على ما كانوا عليه من عبادة آلهتهم وتقديسها.

---

(١) (سورة الزُّمَر: آية ٤٥).

(٢) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٧٦).

إن كفار قريش كانوا يعلمون أن "لا إله إلا الله" ليست مجرد كلمة؛ بل إنها تعني ترك كل ما يعبد من دون الله تعالى، وتعني طاعة الرسول ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ، فلذلك أبى كثير منهم وامتنع عن قولها.

لقد تعس من كان كفار قريش أفقه منه في الدين، وأفهم منه لمدلولات دينه، وأوامر نبيه.

ويوضح الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ تلك الإيحاءات التي ضمنها في الفقرة السابقة من ذمه لكثير من المتصوفــة الذين يفضلون كلمة "هو هو " أو غيرها على كلمة "لا إله إلا الله" في موضع آخر فيقول: (... وقد ذكر لنا الله سبحانه هذا المعنى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾[1] فأي امرئ يجرؤ على أن ينتقص من قيمة هذه الكلمة المقدسة بغير ما يشهد الله؟! أي طائفة استزلها إبليس واستعبدها الهوى تنكر على هذه الكلمة جلالتها وسموها، وتجحد أنها هي الحق الأول والواجب الأول، وأنها هي التوحيد في حقيقته الخالدة.

فمن أول معانيها: نفي الشريك والبراءة من كل مألوه ومعبود، وإخلاص العبادة لله وحده)[2].

ويبين ــ رحمه الله تعالى ــ قيمة هذه الكلمة العظيمة "لا إله إلا الله" بوصفها هي أهم جانب من جوانب توحيد الألوهية؛ بل توحيد الله تعالى بجميع أنواعه، فهي متضمنة لكل المعاني؛ فلا إله خالق رب إلا الله، ولا إله له الأسماء الحسنى والصفات العليا إلا الله، ولا إله معبود ومألوه إلا الله سبحانه.

ويركز الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ على جوانب مهمة تدل المسلم على قيمة هذه الكلمة، وذلك من خلال النقاط التالية:

---

(١) (سورة آل عمران:آية ١٨) .

(٢) مجلة الهدي النبوي، مقالة طواغيت، عدد ٩ ــ١٠، تاريخ ١٣٦٦هــ (ص ١٨) بتصرف .

١) أن هذه الكلمة هي ذكر الإنس والجن، مؤمنهم وكافرهم، كل في ميدانه، فهي ذكر المؤمن حقيقة، والكافر مستيقن بها في نفسه، وإن جحدها بلسانه ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾[1].

وهي ذكر الحيوانات كلها؛ بل وذكر الجماد أيضا؛ فهي إذن وسيلة التوحيد وغايته في الكون كله، وهي الفيصل بين التوحيد والشرك، وبين الإيمان والكفر، وبين الحق والباطل، وهي التي شهد الله تعالى بها وملائكته وأولوا العلم.

٢) أنها أول واجب على الأنبياء، أن يعلموها، ثم أن يدعوا الناس إليها: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[2].

٣) أنها أفضل ذكر الأنبياء على الإطلاق،قال ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ: " **أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله** "[3] .

٤) أنها هي أول ما ناجى الله تعالى به موسى عندما كلمه: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾[4].

٥) أنها هي أعلى شعب الإيمان، قال ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ : " **الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها لا إله إلا الله وأوضعها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان** "[5].

---

(١) (سورة النمل:آية ١٤) .

(٢) (سورة محمد: آية ١٩) .

(٣) سنن الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب في دعاء يوم عرفة، حديث رقم (٣٥٨٥) (ج٥، ص ٥٧٢). وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي.

(٤) (سورة طه: آية ١٤) .

(٥) سنن النسائي، كتاب الإيمان وشرائعه، باب ذكر شعب الإيمان، حديث رقم (٥٠٠٥) (ج٨، ص١١٠) وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن النسائي.

٦) أن من كانت "لا إله إلا الله " آخر كلامه من الدنيا دخل الجنة.، قال ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ :" **من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة** "[1].

٧) أنها هي التي يشرع تلقينها لمن يحتضر:" **لقنوا موتاكم لا إله إلا الله** "[2][3].

العبادة وأنواعها:

إن توحيد الألوهية هو ألصق أنواع التوحيد بالعبادة حتى إن أهل العلم سموه توحيد العبادة، ولذلك فلا غرو إن عدد الشيخ أنواعا من العبادة شاع في العوام وأهل البدع جواز الإشراك فيها، وصرفوها لغير الله تعالى، منقسمين في تصورهم لها إلى قسمين:

أ ــ الأول: عوام ليس لهم من العلم الشرعي ما يميزون به العبادة عن غيرها، ولا يفرقون به بين حقوق الله تعالى التي لا يجوز صرفها لغيره، وبين العادات التي يمكن بشيء من التجوز القول بأنها تصح غير مخلصة لله تعالى، وإن كان الأولى والأفضل والأكمل إخلاصها لله تعالى.

ب ــ الثاني: قوم من المبتدعة وأعداء الإسلام نفذوا مخططاتهم الدنيئة في المسلمين عن طريق التفريق بين أنواع العبادة؛ ففرقوا بين الصلاة والدعاء، والزكاة والنذر، فجوزوا دعاء غير الله تعالى من الأحياء والأموات، وأباحوا النذر ل"الأولياء" و"الأبدال" و"الأقطاب".

وانطلت حيلهم تلك على كثير من عوام المسلمين؛ بل حتى بعض طلبة العلم سريعي التأثر والمتعجلين في قبول كل ما هو جديد، دون تثبت وتبين.

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب في التلقين، حديث رقم (٣١١٨) (ج٣، ص ١٥٩) دون لفظة "من الدنيا" وصححه الألباني .

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب تلقين الموتى لا إله إلا الله، حديث رقم (٢١٦٢) (ج٣، ص ٣٧) .

(٣) مجلة الهدي النبوي، مقالة طواغيت، عدد ٨، تاريخ ١٣٦٦هـ (ص ١٥ــ١٦) .

ووقف الشيخ / عبد الرحمن الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ لهذين القسمين بالمرصاد؛ فنبه من خدع عن حسن نية على الخدع التي حيكت ضده، وبين له الأدلة على ذلك بطريقة دعويــة فريدة، وأماط اللثام عن القســم الآخر حتى أظهره عريانا أمام الملأ.

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (ولن نحدث عباد الأولياء هنا عن الصلاة ــ وإن كانوا لا يقيمون وجوههم فيها لله، بل لأضرحتهم ــ لأنهم يقولون إن الصلاة عبادة.

ولا عن الزكاة ــ وإن كان أغنياؤنا يعبدون بها الميسر والراقصات وفقراؤنا شيوخ الطرق ــ لأنهم يؤمنون بها عبادة.

ولا عن الحج ــ وإن كانوا يرونه في حج قبر الرسول ﷺ ــ لأنهم يقولون عنه إنه عبادة.

وأعجب العجــب إقرارهم بأن ذلك كله يجــب أن يكون لله وحده وباسم العلي الكبير.

ولكني محدثهم هنا عما يدينون بأنه ليس من العبادة، أو يوقنون بجواز توجه القلب به إلى الله، وإلى غير الله وبجواز فعله لله ولغير الله، كالدعاء، والحلف والنذر)[1].

ثم يستطرد الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ مبيناً كل واحد من هذه الثلاثة، وموضحاً الأدلة الدامغة على أنه عبادة لا يجوز صرفها لغير الله تعالى ؛ ويبدأ بالدعاء فيقول : (الدعاء هو العبادة [2] ، وإليك من آي القرآن ما يكشف لك عن هذه الحقيقة التي كفر بها عباد القبور؛ فدعوا الموتى من دون الله، ويحسبون أنهم يحسنون صنعا، ويجدون من العلماء من يؤيد لهم بالباطل هذا الشرك الأصم، ويجهد في سبيل أن تكون قلوب المسلمين قبور أصنام وهياكل أوثان)[3].

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٥٤ ــ٥٥) .

(٢) سنن أبي داود، كتاب الوتر، باب الدعاء، حديث رقم (١٤٨١) (ج١، ص٥٥١). وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود .

(٣) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٥٥) .

نعم ذلك هو حال أهل البدع فإنهم دائماً يجدون غطاء من بعض من ينتسب للعلم وإن كان في حقيقته مجرد انتساب من غير الأب؛ فإن العالم الذي لا يفرق بين الحق والباطل، والذي يضل عن سبيل الله تعالى هو في النهاية دعي لا أب له في العلم الشرعي؛ ولا أعلم أحداً مثله الله تعالى بالكلب في كتابه إلا العالم الضال.

ثم يبين الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ الأدلة على أن الدعاء عبادة مقرراً من خلال ذلك أنه يجب صرفه لله تعالى وحده؛ فيقول: (قوله تعالى: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾﴾[1].

فالآية الأولى تقص أن إبراهيم عليه السلام قال لقومه: أنه سيعتزلهم وما يدعون من دون الله مخلصاً دعاءه لله وحده.

والآية الثانية تقص: أنه عليه السلام اعتزلهم وما يعبدون فوضعت العبادة موضع الدعاء.

وبهذا أقرت التسوية بين مفهوم العبادة ومفهوم الدعاء، قررت أنهما واحد، وأن مشركي قوم إبراهيم عبدوا آلهتهم بالدعاء.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[2].

جعل سبحانه من لا يدعوه مستكبراً عن عبادته ومعنى هذا أن الدعاء عبادة.

وإني اقتبست لك هذا الحق من هدي الرسول إذ تلا ــ عليه الصلاة والسلام ــ هذه الآية نفسها عقب قوله "إن الدعاء هو العبادة".

وفي رواية: "مخ العبادة" فتلاوته ﷺ للآية عقب قوله هذا تقرير وتوضيح لما بينه واستشهاد على حقيقته بآي الله، أو بمعنى أصرح تقرير للحقيقة التي يكفر بها الناس، وهي أن الدعاء هو العبادة.

---

(١) (سورة مريم : آية ٤٨) .

(٢) (سورة غافر: آية٦٠) .

وقد هدانا إلى هذه الحقيقة الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ بقوله، وهدانا بتذكيرنا بآية الله التي اقتبست منها ما قرره في بيانه.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٠﴾[1] فهل يؤمن بحجة الكتاب والسنة الذين يجادلون عن الكفر، وعن الذين يختانون أنفسهم، فيزعمون أن دعاء الولي إيمان، وإن الاستغاثة بالميت توحيد، وأن تقبيل الأحجار حب لآل البيت!!)[2].

وكم من أدلة في القرآن الكريم والسنة النبوية تقرر التسوية المطلقة بين الدعاء والعبادة وتقيم أحدهما مقام الآخر.

يبين الشيخ هذه النقطة بياناً شافياً فيقول: (... ثم من قال إن الدعاء غير العبادة، ورسولنا ﷺ يقول: "الدعاء مخ العبادة"[3]؟

وما قال رسول الله ذلك من عنده، وإنما قاله مطابقاً لهدي القرآن، فكم من آيات تجد فيها التسوية المطلقة بين مفهوم الدعاء ومفهوم العبادة، ووضع أحدهما مكان الآخر والحكم بالشرك على من يدعو غير الله.

اقرأ قوله تعالى ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾[4].

---

(١) (سورة الجن: آية ٢٠).

(٢) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٥٥ ــ ٥٦).

(٣) سنن الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الدعاء، حديث رقم (٣٣٧١) (ج٥، ص٤٥٦). وقال هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة ، قال الشيخ الألباني : ضعيف .

(٤) (سورة الأحقاف: الآيات ٤ ــ ٥ ــ ٦).

حكم بالشـــرك على من يدعون غير الله، وتسوية مطلقة بين مفهوم الدعاء ومفهوم العبادة.

فقد جاء في الاية الأولى "تدعون" وفي الثانية "يدعو، ودعاء" وفي الآية الثالثة — وهي تبين مآل الداعين وموقف من دعوهم منهم يوم القيامة جاء قوله سبحانه ﴿وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [١] وما تقدم في الآيات إلا ذكر "الدعاء" مما يدلك عن أن الدعاء هو العبادة[٢].

ويرد على شبه المموهين بأن الدعاء ليس عبادة، وأن شرك الجاهلية لم يأتيهم من قبل دعائهم غير الله تعالى فيقول: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۝٤٩﴾ [٣] ولنتدبر هنا وضع قوله ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ [٤] وهو الذي قال من قبل : ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ۝٤٨﴾[٥] أليس يفيد التسوية التامة بين مفهوم الدعاء ومفهوم العبادة.

ويؤكد أن دعاء غير الله هي عبادة لغيره، فلا يغرنك من يزعم أن شرك الجاهلية ما كان إلا لأنهم كانوا يعبدون غير الله، أما من يدعو غير الله فليس بمشرك!!

من ينادي: أغثنا أدركنا يا رسول الله، من ينادي مدد يا بدوي، من ينادي أنا في جاهك يا دسوقي، من ينادي يا حمى الحمى يا سيد، كل هذا ليس بشرك!! وإذا لم يكن هذا شركاً فأين هو الشرك؟؟

---

(١) (سورة الأحقاف: آية ٦) .

(٢) مجلة الهدي النبوي، مقالة نظرات في التصوف، عدد ١٢، تاريخ ١٣٨٣هـــ ، (ص ٢٤) .

(٣) (سورة مريم : آية ٤٨) .

(٤) السابق .

(٥) (سورة مريم :آية ٤٨) .

لقد علمنا الله سبحانه بما قال إبراهيم أن الدعاء عبادة، وأن من دعا غير الله فقد عبد غير الله، فماذا يقول الناعقون بغير هذا؟ وماذا يقول الشيوخ الذين يزينون للناس شركهم بأنه جهل فقط، والجهل مجرد خطأ لا شرك!!)[1].

تلك هي أهم الأدلة التي ساقها الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ على أن الدعاء عبادة يجب أن تخلص لله تعالى، ولا شك أن الأدلة على ذلك كثيرة في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ ؛ بل إن دعاء غير الله تعالى هو أصل الشرك في الأرض.

ثم يستنتج الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ من الأدلة السابقة نتائج في غاية الأهمية والواقعية؛ فيقول عليه شآبيب ــ رحمة الله تعالى ــ: (يقرر القرآن، وتؤيده السنة أن الدعاء عبادة، وأن من دعا غير الله فقد أشرك، واتخذ له إلها من دون الله.

ويقرر أولئك أن الدعاء ليس عبادة، وأن دعاء آل البيت من أصدق الدلائل على حب العبد لله ورسوله.

ويأبى بعض العلماء إلا أن يكونوا ضالعين مع أولئك)[2].

تلك أمور ثقيلة على نفس المسلم لكنها حقيقة، كون بعض من ينتسب للعلم يدافع عن الكفر البواح، ويستخدم كل ذكائه وما أعطاه الله تعالى من الفصاحة والعلم ليحارب دين الله تعالى.

النذور والقربات:

إذا كانت الانحرافات والشركيات قد وقعت في باب الدعاء فإنها كذلك قد تفشت في باب النذر لغير الله تعالى، وغفل الناس أو تغافلوا عن ما هو ثابت في الشرع من أن النذر عبادة كالصلاة والزكاة ولا فرق.

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ١٠، تاريخ ١٣٨٦هـ (ص ٨ــ٩) .

(٢) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٥٦) .

يقول الشيخ الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ: (النذر عبادة أذن الله فيها سبحانه لحكمة عالية: عن عبد الله بن عمر ــ رضي الله عنهما ــ قال: " أخذ رسول الله ﷺ ينهى عن النذر ويقول : **لا يرد شيئاً، إنما يستخرج به من البخيل** " (١) ويقول ﷺ ــ وهو من الأحاديث القدسية ولكن سقط منه التصريح بنسبته إلى الله سبحانه وتعالى ــ : " **لا يأتي ابن آدم النذر بشيء لم أكن قدرته، ولكن يلقيه النذر إلى القدر قد قدر له، فيستخرج الله به من البخيل، فيؤتيني عليه ما لم يكن يؤتيني من قبل** " (٢).

يصف الله ورسوله النذر الخالص لله بأنه لا يرد قضاء ولا يغير قدراً.

أما ما يجده الناذر من خير عقب نذره؛ فهو ما كان مقدرا له قبل النذر، فيظن أنه جزاء نذره.

وبهذه الحكمة العلية، وهذا التدبير الإلهي الحكيم يستخرج الله من البخيل ما لم يكن يخرجه لله من قبل ولذا أذن الله فيه.

فإذا كان هذا شأن النذر الشرعي الخالص لله؛ فما بالك بالنذر للقبور والمقبورين؟!

ويصف الله ورسوله الناذر لله بالبخل، إذ الكريم السمح لا يشترط لما يقدم عوضاً ولا جزاءً بل يبذل الخير قرير العين رضي النفس.

أما الناذر فلم ينذر قربته إلا بشرط أن الله له ما يرد فيقول لربه: "إن فعلت لأفعلن" فكان شرطه هذا دليل بخله، وبالرغم من ذلك أذن الله فيه براً ورحمة بعبيده، وبالفقراء قست عليهم قلوب الأغنياء.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب القدر، باب إلقاء النذر العبد إلى القدر، حديث رقم (٦٦٠٨) (ج١٦، ص٤٥٩) صحيح مسلم، كتاب النذور، باب النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئاً، حديث رقم (٤٣٢٦) (ج٥، ص ٧٧).

(٢) سنن أبي داود، كتاب الأيمان والنذور، باب النهي عن النذر، حديث رقم (٣٢٩٠) (ج٣، ص٢٢٨) ولفظ أبي داود هو : " لا يأتى ابن آدم النذر القدر بشىء لم أكن قدرته له ولكن يلقيه النذر القدر قدرته يستخرج من البخيل يؤتى عليه ما لم يكن يؤتى من قبل. وقال الألباني : صحيح.

فإذا كان هذا شأن الناذر يبتغي بنذره وجه الله وحده؛ فما بالك بالناذر يبتغي بنذره أضرحة الموتى وقبابها؟!)[١].

ذلك هو توضيح مسألة أن النذر عبادة، وبيان الأدلة على أنه لا يجوز صرفها لغير الله تعالى ولكن ما هي شروط النذر، حتى يكون مباحاً، وليس محرماً.

يبين الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ ذلك فيقول: (... ويجب أن يكون النذر لله وحده، وفي طاعته، وفيما يملك الإنسان، وفي غير ما كلف به، وأن لا يكون في مكان الوفاء به صنم، أو عيد من أعياد الجاهلية، وما شابه كل ذلك الآن، كالأضرحة، وموالد الأضرحة، لقوله ــ عليه الصلاة والسلام ــ : " **من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه** "[٢]وعن ثابت بن الضحاك قال: " **نذر رجل على عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلا "ببوانة" فأتى النبي ﷺ، فقال: إني نذرت أن انحر إبلا ببوانة، فقال النبي ﷺ هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية؟ قالوا: لا قال رسول الله ﷺ : أوف بنذرك، إنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم** "[٣].

فالرسول ﷺ لم يبح للرجل الوفاء بنذره إلا بعد أن استيقن أنه لم يكن ببوانة وثن ولا عيد من أعياد الجاهلية، وهذا يفيد أنه لو كان بها أحدها ما أذن له في الوفاء بنذره، في حين أن نية الرجل في النذر كان لوجه الله، فما كان ناذرا لوثن، ولا لعيد جاهلي، بدليل سؤال الرسول ﷺ .

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٨٩ ــ ٩٠) .

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب النذر في الطاعة {وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار}. حديث رقم (٦٦٩٦) (ج١٦، ص٥٨٤) .

(٣) سنن أبي داود، كتاب الأيمان والنذور، باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر، حديث رقم (٣٣١٥) (ج٣، ص٢٣٦). وقال الألباني : صحيح .

فتأمل رعاية الرسول ﷺ وحمايته لقدس التوحيد وحماه؛ فمجرد وجود الوثن في بوانة أو العيد الجاهلي كان كافياً في منع الرسول الرجل من الوفاء بالنذر رغم أن نية النذر لوجه الله، فما بالك لو كان النذر للوثن نفسه، أو للعيد الجاهلي؟)[١].

وينبه ــ رحمه الله ــ على البدع والشركيات التي انتشرت في زمانه فيما يتعلق بعبادة النذر، فيقول عليه ــ رحمة الله تعالى ــ: (فمن نذر لولي فقد اتخذه إلها، لأن النذر عبادة، وكل عبادة فإنما هي لله، ومن نذر لولي فقد نذر لوثن من الأوثان، لأن نذره في الواقع للقبر نفسه، إذ لا ينال المقبور منه شيئاً، ومن فعل ذلك فهو الجاهلي بشركه وآلهته وأصنامه، ولقد نهانا الرسول ﷺ أن نجعل قبره عيداً ، فما بالك بقبر السيد والدسوقي والشعراني وغيرهم) [٢].

أما إذا كان النذر الشركي المقدم إلى القبور وأوثان الجاهلية الحديثة يطعم للفقراء، فإن المأساة تزداد وتسوء؛ لأنه أيما جسد نبت من سحت فالنار أولى به.

يقول الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ: (ويلزم كثير من الناس بأداء شيء معين في "موالد" القبور، وإذا قلنا للناس هذا شرك قالوا: دعوا الفقراء يطعمون!! فيا لله من هذا القول الآثم فو الله ما يرضى الله لعباده الفقراء ــ وكلنا إلى الله فقير ــ أن يتخموا بطونهم من السحت، ولا من ذبيحة ذبحت على النصب، وأهل بها لغير الله، ولا من نذر قصد به غير وجه الله، لعن من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثاً، لعن الله من غير منار الأرض فكيف تريدون أن يطعم الفقراء من ذبائح لعن الله من ذبحها؟؟ ومن طعام رجل مبتدع لعن الله من يؤويه، وقال ﷺ: "لا عقر

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٩٠ــ٩١) .

(٢) المرجع السابق (ص ٩٢) .

في الإسلام" [١] قال عبد الرزاق: كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة[٢]، وهذا هو بعينه ما يحدث الآن، فهل من البر للفقراء تركهم يطعمون من هذا؟)[٣] .

ثم ذكر الأدلة على أن النسك والذبح عبادة يجب أن تخلص لله تعالى فقال: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾[٤] والنسك كما فسره ابن جبير والسدي والضحاك هو الذبح [٥] .

ويقول ابن فارس في معجمه "النون والسن والكاف" أصل صحيح يدل على عبادة وتقرب إلى الله تعالى " [٦] .

يعني أن كلمة نسك تطلق بمعنى عام على كل ما هو عبادة، أو يقصد به التقرب إلى الله سبحانه.

ومنها الناسك أو العابد؛ فكل ما يقرب إلى القبور والموتى فهو نسك لها.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ (٥٦)﴾[٧] هكذا فعلت الجاهلية وهكذا تفعل اليوم)[٨].

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب كراهية الذبح عند القبر، حديث رقم (٣٢٢٤) (ج٣، ص٢٠٩) والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (ج٢، ص١٢٥٢) .

(٢) المرجع السابق .

(٣) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٩٢) .

(٤) (سورة الأنعام : آية ١٦٢) .

(٥) النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت (ج٢، ص١٩٥) .

(٦) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ج٥، ص٤٢٠) .

(٧) (سورة النحل : آية ٥٦) .

(٨) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٩٣) .

الحلــف:

إن الحلف هو الآخر يعتبر ركنا من أركان توحيد الألوهية، ذلك أنه عبادة، وتعظيم، والمسلم عندما يحلف ليؤكد أمراً ما فإنه يلجأ إلى أكبر معظم عنده ليجعل المحلوف له يتيقن من ذلك المحلوف عليه، ولا شك أن أعظم معظم عند المسلم هو الله تعالى؛ فلذا كان الحلف به هو المشروع، وهو من توحيد العبادة.

يقول الشيخ الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ: (الحلف بالله وحده من توحيد الله في العبادة، قال ﷺ : " **إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليسكت** " [(١)]. وقال: " **لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم، ولا بالأنداد، ولا تحلفوا إلا بالله ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون** " [(٢)].

وسمع ابن عمر رجلاً يحلف: لا والكعبة، فقال له ابن عمر إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**من حلف بغير الله فقد أشرك** " [(٣)].

وقال ــ عليه الصلاة والسلام ــ : " **من حلف فقال في حلفه: واللات؛ فليقل: لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك، فليتصدق** " [(٤)].

من هذه الأحاديث تعلم أنه يجب الحلف بالله وحده، إن كان لا بد من الحلف، وأن الحلف بغير الله شــرك، وإن كان المحلــوف به رسولاً أو نبيــاً أو ولياً أو الكعبة أو غير ذلك.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولاً أو جاهلاً، حديث رقم (٦١٠٨) (٣٣٣/١٥). صحيح مسلم، كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى، حديث رقم (٤٣٤٦) (ج٥، ص٨٠) .

(٢) سنن أبي داود، كتاب الأيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالآباء، حديث رقم (٣٢٥٠) (ج٣، ص٢١٧) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود .

(٣) المرجع السابق، حديث رقم (٣٢٥٣) (ج٣، ص٢١٧) وقال الألباني : صحيح .

(٤) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب أفرأيتم اللات والعزى، حديث رقم (٤٨٦٠) (ج١٢، ص١٣٦) . صحيح مسلم، كتاب الأيمان، باب من حلف باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله، حديث رقم (٤٣٤٩) (ج٥، ص٨١) .

وأن من حلف بغير الله يجب أن يعود إلى الإسلام بقول: لا إله إلا الله، وهذا دليل على أن الحالف بغير الله قد ارتـد عن دينه، وإلا ما أمـره الرسول بقول: لا إله إلا الله) [(١)] [(٢)].

لقد استخلص الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ من تلك الأحاديث النبوية الشريفة التي ساقها في معرض استدلاله على مسألة الحلف بغير الله تعالى أمور مهمة منها:

١) وجوب الحلف بالله وحده إن كان لا بد من الحلف على أمر ما.

٢) أن الحلف بغير الله تعالى ـ كائنا من كان ـ شرك أكبر مخرج من الملة، وفاعله مرتد خارج عن دين الإسلام.

ولكن ينبغي التنبيه على أمور :

الأول : أن الحلف بغير الله تعالى حرام في أصح قولي العلماء، ويعزر من فعله في قول الجمهور، وحملوا الشرك والكفر في الحديث على الأصغر الذي لا يخرج من الملة؛ بل هو من جنس الشرك، والكفر.

الثاني : أن الحلف بالنبي ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ محل نزاع، وبعض أهل العلم ألحق به بقية الأنبياء، وأصح أقوال أهل العلم في ذلك، أنه لا يحلف بغير الله تعالى حتى النبي ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ .

---

(١) " (فقد كفر أو أشرك) أخذ به طائفة من العلماء ، فقالوا: يكفر من حلف بغير الله كفر شرك، قالوا: ولهذا أمره النبي ـ ﷺ ـ بتجديد إسلامه بقول: لا إله إلا الله. فلولا أنه كُفر ينقل من الملة لم يؤمر بذلك.
وقال الجمهور: لا يكفر كفراً ينقله عن الملة لكنه من الشرك الأصغر، كما نص على ذلك ابن عباس وغيره. واما كونه أمر من حلف باللات والعزى أن يقول : لا إله إلا الله؛ فلأن هـذا كفارة له مـع استغفاره . كما قال في الحديث الصحيح : " ومن حلف فقـال في حلفه: واللات والعزى، فليقل : لا إله إلا الله " وفي رواية : " فليستغفر " . فهذه كفارة له في كونه تعاطى صورة تعظيم الصنم، حيث حلف به لا أنه لتجديد إسلامه، ولو قُدّر ذلك فهو تجديد لإسلامه لنقصه بذلك لا لكفره ". تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، سليمان بن عبد الله، د. زهي رالشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، ط١، ١٤٢٣هـ، (ص٥١٤).

(٢) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٩٦).

الثالث : أن الحلف بأسماء الله تعالى وصفاته لا يدخل في النهي؛ بل يجوز الحلف بها.

ثم ينبه الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ على بعض البدع التي ظهرت في زمانه فيما يتعلق بالحلف، والأيمان فيقول: (... وقال ــ عليه الصلاة والسلام ــ "من حلف بالأمانة فليس منا " [١] وقال: " من حلف فقال: إني بريء من دين الإسلام فإن كان كاذباً فهو كما قال وإن كان صادقا فلن يرجع إلى الإسلام سالماً " [٢].

وهذا وذاك على ألسنة الناس اليوم، يحلفون بالأولياء وقبورهم، وبالآباء والأمهات، وبالشرف والأمانة والذمة.

في حين كان يقول كل من ابن عباس وابن عمر وابن مسعود ــ رضي الله عنهم ــ : " لأن أحلف بالله كاذباً خير من أن أحلف بغيره صادقاً ".

فالحلف كذباً بالله معصية آثمة والحلف بغيره ــ مع الصدق ــ شرك دنيء، وشتان بين معصية قد تنالها مغفرة، وبين شرك حرم الله عليه المغفرة)[٣][٤].

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الأيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالأمانة، حديث رقم (٣٢٥٥) (ج٣، ص٢١٨) وقال الألباني : صحيح .

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الكفارات، باب من حلف بملة غير ملة الإسلام، حديث رقم (٢١٠٠) (ج١، ص٦٧٩) . وقال الألباني : صحيح.

(٣) " وإنما رجح ابن مسعود ــ رضي الله عنه ــ الحلف بالله كاذباً على الحلف بغيره صادقاً، لأن الحلف بالله توحيد، والحلف بغيره شرك، وإن قُدّر الصدق في الحلف بغير الله ــ فحسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق، وسيئة الكذب أسهل من سيئة الشرك. ذكره شيخ الإسلام.
وفيه دليل على: أن الحلف بغير الله صادقاً أعظم من اليمين الغموس.
وفيه دليل على أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر، وفيه: شاهد للقاعدة المشهورة وهي: ارتكاب أقل الشرَّين ضرراً إذا كان لابد من أحدهما" . تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله (ص٥١٥).

(٤) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٩٧)

المبحث السابع

جهوده في بيان دلائل توحيد الربوبية والألوهية

المطلب الأول

تعريف الدلائل

ذكر الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ أن لتوحيد الربوبية دلائل ووسائل يعرف بها الموحد من المشرك، فسماها دلائل باعتبار، وأطلق عليها وسائل باعتبار آخر، فقال ــ رحمه الله تعالى ــ: (لتوحيد الله في الربوبية والإلهية وسائله ودلائله، فهي وسائل لمن شاء أن يكون خالص التوحيد اعتقاداً وعملاً، ودلائل يفصل بها المؤمن الصادق بين الموحد والمشرك)[١].

لذلك لا بد أن نعرف الوسائل والدلائل معاً:

أولا: تعريف الوسيلة لغة واصطلاحاً:

الوسيلة في اللغة من وسل فلان إلى الله تعالى، يسل وسلا: أي رغب وتقرب.

والوسيلة تطلق ويراد بها معنيان: الوصلة والقربى والمترلة والدرجة عند الملك. وعلى المعنى الأول يقال توسل إلى الله تعالى، إذا عمل عملاً تقرب به إلى الله تعالى، والواسل: الراغب إلى الله عز وجل كما قال الشاعر:

أرى الناس لايدرون ماقدر أمرهم ... بلى كل ذي رأي إلى الله واسل[٢]

وعرفت الوسيلة بأنها: كل ما يتوصل به ويتقرب به إلى الغير، كما قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥ ﴾[٣].

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٣٥)

(٢) الصحاح للجوهري (ج٦، ص١١٩) والبيت للبيد .

(٣) (سورة المائدة : آية ٣٥) .

قال الحافظ ابن كثير ــ رحمه الله تعالى ــ في تعريف الوسيلة: (الوسيلة هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود)[١].

وقال العلامة الراغب الأصفهاني رحمه الله تعالى: (الوسيلة: التوصل إلى الشيء برغبة وهي أخص من الوصيلة؛ لتضمنها لمعنى الرغبة. قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ۝٣٥﴾[٢] وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى: مراعاة سبيله بالعلم والعبادة، وتحري مكارم الشريعة، وهي كالقربة، والواسل: الراغب إلى الله تعالى)[٣].

وأما الدلائل فهي جمع دلالة بمعنى الإرشاد[٤].

والدَّلِيل ما يُسْتَدَلُّ به والدَّلِيل الدَّالُّ وقد دَلَّه على الطريق يَدُلُّه دَلالة ودِلالة ودُلولة بمعنى أرشده ووجهه[٥].

المطلب الثاني: بيان الشيخ لدلائل التوحيد:

لقد حــرص الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ على بيان التوحيــد، وتوضيحه، حتى لا يلتبس على أحد، وحتى يهدي الله تعالى من شاء من عبــاده إلى إخلاص التوحيد له، ولم يتركنا الشــيخ حيارى في الوسائل التي مــن خلالها يمكننــا أن نخلص التوحيــد، ولا الدلائل التي عن طريقها نعرف المؤمن الموحد فنواليه ونحبه في الله تعالى، والمشرك الملحد فنعاديه ونبغضــه لا لذاته بل لله تعالى، وبين الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ أنه استنبط هذه الدلائل من كتاب الله تعالى، ولم ينقلها عن أحد، فقال ــ رحمه الله تعالى ــ:

---

(١) تفسير ابن كثير (ج٢، ص٦٧) .

(٢) (سورة المائدة :آية ٣٥) .

(٣) مفردات ألفــاظ القرآن ، الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني ، دار القلم ، دمشق (ج٢، ص٥١٦) .

(٤) المعجم الوسيط (ج١، ص٢٩٤) .

(٥) لسان العرب، لابن منظور(ج١١، ص٢٤٧) .

(... وتلك الوسائل هي حسب ما فهمته من كتاب الله تعالى واستنبطتها منه...)[(١)] ثم عددها ـــ رحمه الله تعالى ـــ.

إذن فالشيخ استنبطها وفهمها من خلال تدبره لكتاب الله تعالى، والاستنباط الصحيح هو مسلك أهل العلم؛ بل إنه ربما يكون من أخص خصائصهم؛ فقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴿٨٣﴾﴾[(٢)] .

وقد عدد الشيخ ـــ رحمه الله تعالى ـــ هذه الوسائل والدلائل بصفة مختصرة فقال:

(أولاً: طاعة الله ورسوله ﷺ .

ثانياً : تقوى الله سبحانه وتعالى وحده فيما يطيع به الإنسان ربه والرسول ليكون لله الدين الخالص.

ثالثاً : اتباع الكتاب والسنة، حتى تكون الطاعة عن بينة هادية، والعمل خالصاً من كل شائبة، والاعتقاد في الله حق اليقين.

رابعاً : الاحتكام إلى كتاب الله وسنة رسوله كلما وقع بين المسلمين خلاف سواء أكان في شؤون الدنيا، أم في شؤون الدين حتى تظل وحدة المسلمين ثابتة مكينة، والتآخي بينهم قوياً صادق الشعور.

خامساً: الحكم بكتاب الله وسنة رسوله بين المختلفين، أو المتخاصمين مسلمين أو غير مسلمين، حتى تظل الدولة الإسلامية قوية العماد، لا ينتفض عليها أفرادها ولا يختلف فيها محكوم على حاكم، ما دام حكم الله يشمل الجميع، ويطبق عليهم تطبيقاً صالحاً عادلاً.

سادساً: الرضى بحكم الله والصبر عليه، والإذعان الكامل له)[(٣)].

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٣٥) .

(٢) (سورة النساء : آية ٨٣) .

(٣) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٣٥ــ ١٣٦) .

ثم فصلها ــ رحمه الله تعالى ــ تفصيلاً؛ فذكر كل وسيلة على حدة، ثم ذكر الأدلة عليها من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ .

وبما أن الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ فصلها، وذكر أدلتها؛ فسوف أقوم بدراسة تفصيله لها، وبيان لأدلتها، على النحو التالي:

الوسيلة الأولى: طاعة الله ورسوله:

يصدر الشيخ معالجته لهذه الوسيلة بدليل من كتاب الله تعالى وهو قوله ــ جل وعلا ــ من قائل: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾[1] ثم يعلق على هذه الآية قائلاً: (والذي يقترف البدعة يزعمها حسنة متول عن طاعة الله جاحد بسنة رسوله ــ عليه الصلاة والسلام ــ ، وهو ممن عناهم الله سبحانه ــ والله أعلم ــ بقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾﴾[2] وما وجبت طاعة الرسول إلا بأمر الله وإذنه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴿٦٤﴾﴾[3])[4].

فطاعة الله تعالى متلازمة مع طاعة الرسول ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ ، إذ هو المبلغ عن الله تعالى.

وبهذا ترد شبهة الداعين إلى جعل القرآن الكريم وحده هو مصدر التشريع، وقد انتشرت تلك الشبهة في عصر الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ انتشاراً كبيراً بين صفوف المنبهرين بالحضارة المادية للغرب، وبالدراسات النقدية التشكيكية، التي غرست حرابها

---

(١) (سورة آل عمران: آية ٣٢).

(٢) (سورة آل عمران: آية ١٠٦).

(٣) (سورة النساء: آية ٦٤).

(٤) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٣٧).

في كثير من التراث الإسلامي والعربي؛ فطعنوا في صحة الأحاديث المسلم بصحتها، ونهشوا أعراض علماء الملة المشهود لهم بالفضل.

وبما أن العلماء هم حراس الشريعة، والمدافعون عن الأمة؛ فقد تصدوا لتلك الشبهة التي لم يكن هدفها سوى محق الشريعة الإسلامية والقضاء عليها؛ متترسة في حربها تلك بادعاء تعظيم القرآن الكريم.

وكان من أولئك العلماء الربانيين المدافعين عن حجية السنة النبوية، وجعلها مصدرا من مصادر التشريع الإسلامي، العلامة / عبد الرحمن الوكيل ـــ رحمه الله تعالى ـــ.

يقول عليه ـــ رحمة الله تعالى ـــ رادا على زعم أولئك الحاقدين: (... وقد نبتت للشيطان فتنة جديدة دفعت بعض من ختم الله على قلوبهم إلى حمأة جديدة من الكفر إذ يفترون الكذب على الله؛ فيزعمون أن القرآن وحده هو مصدر التشريع، أما السنة فلا!! وهؤلاء أشد خطراً على الدين ممن ينابذونه العداوة جهاراً، إذ يتراءون بالتقديس الخاشع لكتاب الله، فيحسبهم الغر المفتون من ذوي الفكر الثاقب الحر، والتجديد، ويكفرون به رسولاً بين ما في القرآن؟ والأمين الذي ائتمنه الله على كتابه، فبلغه، وشهد الله له أنه بلغه، أليس هو الأمـــين الذي بين وفصل أحكام أمانة ربه؟ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾[1] ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[2] ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾[3] ويقول ﷺ " **لا أعرفن الرجل منكم يأتيه الأمر من أمري إما أمرت به أو نهيت عنه، وهو متكئ على أريكته فيقول:**

---

(١) (سورة النجم : ٣) .

(٢) (سورة النحل :آية ٤٤) .

(٣) (سورة النحل: آية ٦٤) .

ما ندري ما هذا!؟ عندنا كتاب الله وليس هذا فيه!![(١)] **وما لرسول الله أن يقول ما يخالف القرآن، وبالقرآن هداه الله** " وإن هذا الحديث ليعد من أعلام النبوة؛ فما أخبر به واقع اليوم!!)[(٢)].

تلك التساؤلات المحرجة المقنعة المفحمة صدرت من ذلك الشيخ، ولن يستطيع القائلون بتلك الشبهة أن يردوا عليها، ولو أعانهم شياطينهم من الإنس والجن، وكان بعضهم لبعض ظهيراً.

وإذا تقرر في الأذهان أن طاعة الله ورسوله ثابتة ووسيلة لترسيخ التوحيد الصحيح ودليلة من دلائله، فما جزاء من يحقق هذه الوسيلة، ويعمل بها؟

يجيب الشيخ/ الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ عن ذلك فيقول: (كل نفس إنسانية يشغفها الظفر بالخير الدائم... بين أخلاء أمجاد أعزة... ولكن الله سبحانه وعد المطيع ــ ووعده الحق ــ بما هو أسمى وأجل وأصدق من تلك الآمال، وعده بأن يظفر بالخير الدائم الثابت السليم العواقب، ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[(٣)] ولكن ما هذا المكان الذي ينعم فيه المطيع بهذا الفوز العظيم ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾[(٤)])[(٥)].

---

(١) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، حديث رقم (٤٦٠٧) (ج٤، ص٣٢٩). وقد تصرف الشيخ في لفظ الحديث قليلاً . ولفظ الحديث عن المقدام بن معدي كرب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا إني أوتيت الكتاب، ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السبع، ولا لقطة معاهد، إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه » والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(٢) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٣٧ ــ ١٣٨) .

(٣) (سورة الأحزاب : آية ٧١) .

(٤) (سورة النساء : آية ١٣) .

(٥) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٣٨) .

وهل يمكن أن يطمع إنسان بسعادة كتلك السعادة التي يجدها أهل الجنة، وهل هناك دار تتمنى نفس سكناها أفضل من تلك الدار التي أعدت للمتقين الطائعين؟

الوسيلة الثانية: تقوى الله:

هذه هي الوسيلة الثانية من وسائل بلوغ التوحيد الخالص، فبعد أن يعتقد الإنسان في نفسه وجوب طاعة الله تعالى ورسوله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ، وينويها؛ فلا بد له من أن يخلص في تلك النية، ويكون هدفه منها هو تقوى الله ﷻ؛ لا محبة ذكر الناس له بالطاعة، ولا الرغبة في ثنائهم عليه.

يقول الشيخ الوكيل: (الطاعة نية قبل أن تكون قولاً أو عملاً، وقد يكون الباعث النفسي عند المطيع خشية الناس، وتكون الغاية من طاعته ابتغاء الذكر الحسن... والله سبحانه يحب أن يكون عبده ملكاً له لا يشركه أحد في نيته، وقوله وعمله واعتقاده؛ فإذا كان قد أذن للعبد في طاعة رسله؛ فإنه لم يأذن له في أن يتقي أحداً غيره سبحانه؛ بل أوجب أن تكون تقوى الله وحده هي الباعث على الطاعة، والغاية منها)[1].

إن تقوى الله ﷻ هو الغاية الكبرى التي ينبغي للمسلم الحرص عليها؛ لأنها هي التي تقيه أهوال يوم القيامة، وتجنبه مهالك الطرق التي تؤدي إلى غضب الله سبحانه وتعالى.

يقول الشيخ / الوكيل ـ رحمه الله تعالى ـ: (... ولهذا وجه الله الأمر بتقواه إلى الإنسانية ممثلة في إنسانها الأعظم محمد بن عبد الله ﷺ، فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ١﴾[2] فأمر أول المتقين وأفضلهم أن يتقي الله؛ فما بالك بسواه)[3].

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٣٩).

(٢) (سورة الأحزاب: آية ١).

(٣) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٣٩ـ١٤٠).

جزاء التقوى:

لم يأمر الله تعالى أحداً بشيء إلا بين له جزاءه إن أطاع، وعقوبته إن عصى، وهذا محض الفضل والكرم منه سبحانه وتعالى.

يقول الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ مبينا هــذه النقطة: (يقول سبحانه ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٧٩﴾[١] ترك الجزاء هنا مجملاً موصوفاً بالعظم ليثير في النفس أشواق المتشوق إليه، ولكن الله سبحانه فصل لنا ثواب التقوى بعد ذلك في كثير من آيات كتابه المبين، والمتأمل فيها يدرك أنه سبحانه جعل للتقوى ثواباً في الدنيا وثواباً في الآخرة، وأن منه الحسي المادي تشهده الحواس وتتنعم به، والمعنوي الروحي تشهده الروح وتسعد به النفس، ويغنم به الفكر)[٢].

ثم فصل ــ رحمه الله تعالى ــ أنواعا من ذلك الثواب فأجاد وأفاد.

الوسيلة الثالثة: اتباع الكتاب والسنة:

إن لكل دين أصولاً يجب أن تتبع، ويرجع لها عند الاختلاف، وإن أهم أصلين يرجع لهما في الدين الإسلامي هما كتاب الله تعالى وسنة نبيه ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ .

يقول الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ: (عبادة الله سبحانه قائمة على أصلين: أن يعبد الله وحده، وأن لا يعبد إلا بما شرعه جل شأنه)[٣].

ولهذا فإن أي تشريع من دون هذين الأصلين هو خارج عن عبادة الله وحده، سواء تسمى باسم القانون الوضعي، أو باسم التصوف، أو اخترع اسما أقرب إلى الضحك على ذقون ضعاف المسلمين تحت شبهة ادعاء اتباع الأئمة والتمذهب بمذاهبهم.

---

(١) (سورة آل عمران: آية ١٧٩).

(٢) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٤١).

(٣) المرجع السابق (ص ١٤٥).

يقول الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ: (.. وهذا هو شأن المذهبيين اليوم: يضربون آيات الكتاب وأحاديث السنة بما سجلته لهم القرون الوسطى من ألغاز فقهية ورموز وحيل يصفونها بأنها شرعية، ويتعصــبون لما يتلون من كتبهم تعصباً أحمق الجهالة، لا يرضى لآية قرآنية بينة، ولا لحديث نبوي صادق أن يقف في طريق حكم فقهي سجل في هذه الكتب.

أليسوا بهذا يزعمون أنه لا يحسن أن يعبد الله بما شرع، ولكن يحسن بما يفتري الخيال من أساطير الكهان والأحبار)[1].

ولا شك أن من يرد النصوص الصحيحة الصريحة لمجرد كونها خالفت اجتهاد زيد أو عمرو، لا شك أنه على غير هدى، ويعيش في عمى وضلالة، ومن المعلوم أن أقوال العلماء يحتج لها، وأقوال الشارع محتج بها، وشتان بين المعنيين.

الوسيلة الرابعة: الاحتكام إلى الكتاب والسنة:

إن سنة الخلاف بين البشر سنة كونية ماضية، وليست عيباً في حد ذاتها إذا كان الاختلاف فيها مما يسوغ فيه الاختلاف.

ولكن إذا وقع الاختلاف بين الناس فما الواجب عليهم والحالة هذه، أيمضون قدماً في ترسيخ، وتوطيد الخلاف بينهم، ومن ثم التدابر والتناحر والتشرذم؟

كلا إن الميزان العدل يقتضي أن يكون هناك قسطاس يتحاكم الناس إليه ويرضون بحكمه بينهم، ذلك الحاكم بين الجميع هو كتاب الله تعالى وسنة نبيه ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ .

يقول الوكيل رحمه الله تعالى موضحاً هذا المعنى: (... أفيترك الإله الواحد الرحيم عباده يبدد جماعتهم الخلاف، وتفصم عرى وحدتهم المنازعة؟ كلا فإنه الله الرحمن الحكيم، ولذا بين لهم ما يرأبون به الصدع، ويلمون الشعث، ويجمعون الشتات،.... ذلك هو الاحتكام إلى كتاب الله وسنة رسوله، فلم يتركهم لسبحات الخيال ولا لتهاويل

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٤٧) .

الشاعرية، ولا لأساطير الفكر وخرافاته، ولا للطواغيت والأصنام البشرية يحكمون فيهم بالهوى والفتنة والشهوة، وفي إيجاب الله سبحانه ذلك تسام بالكرامة الإنسانية وإعلاء من شأنها)[١].

ثم استطرد ـــ رحمه الله تعالى ـــ في تبيين هذه النقطة وتجليتها إلى أن قال في معرض استدلاله عليها: (وإليك من القرآن ما يوجب ذلك، ويهديك إلى الإيمان بوجوبه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾[٢] ... ومعنى الرد إلى الله في الآية الاحتكام إلى كتابه، ومعنى الرد إلى الرسول الاحتكام إليه في حياته، وإلى سنته ﷺ بعد مماته)[٣].

ولا يقف الشيخ عند هذا الحد في توضيح ضرورة الاحتكام إلى الله ورسوله بل يذهب إلى بيان أن رد المتنازع فيه إلى الكتاب والسنة هو من أصول الإيمان، وبانتفائه ينتفي الإيمان.

يقول ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (... وقد جعل الله سبحانه هذا من أصول الإيمان وموجباته فإذا ما انتفى الرد إلى الله ورسوله انتفى الإيمان بالله واليوم الآخر)[٤].

ثم تابع الشيخ ـــ رحمه الله تعالى ـــ توضيحه لمسألة الحكم، ووجوب التحاكم إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه ـــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـــ ، مبيناً الأدلة الكثيرة التي تدل دلالة صريحة على وجوب التحاكم إلى الشارع، والتي توضح كفر من يحكم القوانين أو الأنظمة أو أي تسمية أخرى مهما حاول التلبيس بالمسميات المختلفة، فاستدل رحمه الله تعالى بآيات مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٦٤) بتصرف.

(٢) (سورة النساء: آية ٥٩) .

(٣) دعوة الحق، مرجع سابق (ص ١٦٥) بتصرف.

(٤) المرجع السابق (ص ١٦٥).

فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴿١٠﴾﴾[(١)] وقوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾[(٢)].

وبين من خلال هذه الآية الكريمة أنه لا يوجد إلا حكمان: حكم الله تعالى، وحكم الجاهلية، وحيث انتفى أحدهما وجد الآخر.

قلت: فإذا كان المتحاكم إليه حكم الله تعالى فيجب أن يترك باسمه ولا يوجد أحسن منه؛ فلا يحتاج إلى أن يسمى قانوناً ، ولا نظاماً، ونحو ذلك، وإذا كان المتحاكم إليه حكم الجاهلية؛ فلا ينبغي التلبيس بالمسميات المختلفة، ولا شك أن تلك الحيلة العفنة إن انطلت على كثير من العوام فإنها لن تموه الحقائق على طلبة العلم وحراس الأمة.

ومن هنا رد الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ كما هي عادته ــ على بدعتين كبيرتين مدعومتين من أعداء الإسلام إحداهما: الصوفية التي تحكم المرائي والخزعبلات، والزنادقة المدعين أنهم أولياء الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، والثانية: المقلدون للمذاهب القائلون بوجوب تقليد إمام معين في مذهبه.

ولا شك أن الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ بطرحه السلفي الواضح، وبما حباه الله تعالى به من ذهن ثاقب، وفهم قرآني نبوي سليم، قد أفحمهم بالحجج الواضحة البينة، وطرح عليهم تساؤلات منهجية علمية لن يستطيعوا الإجابة عليها إلا بالتناقض.

قلت: والناظر في أحوال هؤلاء يتضح له أنهم على قسمين:

أ ــ القسم الأول: المغرر بهم، وهم الذين انطلت عليهم شبه الحاقدين على الإسلام، فصاروا يرددون أفكار الداعين إلى هذه الدعوات الهدامة.

ب ــ القسم الثاني: المخططون، وهم أعداء الملة الذين ما فتئوا يحاولون هدم الإسلام من أركانه، وقد بدأوا في ذلك من زمن الصحابة رضوان الله عليهم ؛ بل حتى في زمن المعصوم ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ .

ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين .

---

(١) (سورة الشورى: آية١٠) .

(٢) (سورة المائدة: آية٥٠) .

الوسيلة الخامسة: الحكم بالكتاب والسنة:

إن التحاكم إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ فرض كما تقدم، ووجوب الرضى بما سيصدر عن ذلك الحاكم فرض على كل مسلم ومن هنا فإن سنة تنصيب حاكم يحكم بين الجماعة في الحدود وفي التزاعات المختلفة أمر طبيعي معروف، ولكن ما حق هذا الحاكم؟

يجيب الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ عن ذلك فيقول: (حق الحاكم أن يطاع، وأن لا ينازع أمره ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾[1].. ويقول ﷺ: " **اسمعوا وأطيعوا وإن أمر عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة** "[2] البخاري... وعن عبادة بن الصامت: " **بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، قال: إلا أن تروا كفراً بواحاً جهاراً، عندكم فيه من الله برهان** "[3]،... هذا حق الحاكم الإسلامي على المسلمين... فإن وجد المحكوم عليه، أو له في حكم الحاكم ما يحسبه مخالفاً لأحكام الشريعة الإسلامية راجعه فيما حكم به، واحتكم وإياه إلى الكتاب والسنة ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾[4][5].

---

(١) (سورة النساء: آية ٥٩).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجماعة والإمامة، باب إمامة العبد والمولى وكانت عائشة يؤمها عبدها ذكوان من المصحف، وولد البغي والأعرابي والغلام الذي لم يحتلم لقول النبي ﷺ يؤمهم أقرؤهم لكتاب الله، حديث رقم (٧١٤٢) (ج١٨، ص٥٢).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ (**سترون بعدي أموراً تنكرونها**)، حديث رقم (٧٠٥٦) (ج٦، ص٢٥٨٨) صحيح مسلم كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية وتحريمها فى المعصية. حديث رقم (٤٨٧٧) (ج٦، ص١٦).

(٤) (سورة النساء: آية ٥٩).

(٥) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٧٩) بتصرف.

قلت: لا شك أن طاعة أمير المؤمنين واجبة على كل مسلم، في كل الأحوال والظروف، حفظا لوحدة الأمة، وصيانة للأمن الإسلامي الذي يعتبر أهم أساس في البناء، وعمارة الأرض، ولكن هنا نقاط ينبغي توضيحها، وهي تفهم من سياق كلام الشيخ رحمه الله تعالى وغيره من أهل العلم، وهي:

١) لا يجوز تعدد خلفاء المسلمين؛ يل يجب أن يكون للمسلمين خليفة واحد تجب له الطاعة، ولذا قال ﷺ : " **إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما** "[(١)].

فلا يجوز إذن تعدد الخلفاء؛ ولا يمكن وجود خليفتين تجب لهما الطاعة في نفس الوقت؛ وقد استثنى بعض أهل العلم حالة واحدة وهي أن يتباعد الخليفتان جدا ومثل لذلك بالأندلس وخراسان؛ فأجاز الطاعة لهما معا كل في محله.

قلت ويرد عليه من وجهين:

أ ــ أنه مخالف لظاهر الحديث الصحيح المتقدم، ولا اجتهاد مع النص .

ب ــ أنه شاذ فلم يقل به من أهل العلم إلا أقل القليل.

١) يجب أن تكون في الخليفة الذي تجب له الطاعة صفات أمير المؤمنين من حيث العلم الشرعي، والسمع والبصر والكلام، والحنكة في الحرب، ونحو ذلك.

٢) تجب الطاعة لأمير المؤمنين إلا في حالتين:

أ ــ أن يقول أو يفعل مكفراً، صريحاً في الكفر، غير محتمل للتأويل؛ فيجب عزله، وتولية غيره،كما تقدم في قوله ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ : " **إلا أن تروا كفراً بواحاً** ".

ب ــ أن يأمر بمعصية، فتحرم طاعته؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ودليل ذلك في حديث سرية عمرو بن العاص، وهو مشهور.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب إذا بويع لخليفتين، حديث رقم (٤٩٠٥) (ج٦، ص٢٣) .

وكما أن حق الحاكم أن يطاع فلا يعصى، وتنفذ أوامره، فلا تهمل؛ وتراعى حقوقه فلا تنسى؛ فإن للمحكوم أيضاً حقوقاً تجب على الحاكم..

يقول الشيخ/ الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ: (... وكما وصى الله المسلمين بطاعة الحكام فإنه وصى الحكام بالعدل والبر والرعاية الرحيمة لكل فرد من أفراد الجماعة المؤمنة، وجعل كل حاكم مسؤولاً عن رعيته يقول ﷺ : "من ولاه الله ﷻ شيئاً من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله عنه دون حاجته وخلته وفقره"[١] أبو داود والترمذي، ويقول: " أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، من ترك مالاً فلأهله، ومن ترك ديناً وضياعاً فإلي وعلي " [٢] أبو داود والترمذي، ويقول: "من ترك مالا فلورثته، ومن ترك كلا فإلينا "[٣] الصحيحان، يوجب الله على الحاكم أن يكفل من مات من المسلمين في دينه وذريته الضعاف، وأهله الذين لا يستطيعون ضرباً في الأرض.

هذا هو الضمان الاجتماعي في سموه ورحمته، إنه ليس منحة تتفضل بها الدولة؛ بل فرضاً مقدساً عليها للمحتاجين)[٤].

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الخراج، باب فيما يلزم الإمام من أمر الرعية والحجبة عنه، حديث رقم (٢٩٥٠) (ج٣، ص٩٦) . وقال الألباني : صحيح .

(٢) المرجع السابق، حديث رقم (٢٩٥٦) (ج٣، ص٩٧) . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود .

(٣) صحيح البخاري، كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب الصلاة على من ترك ديناً ، حديث رقم (٢٣٩٨) (ج٦، ص١٥٢). صحيح مسلم، كتاب الفرائض، باب من ترك مالاً فلورثته حديث رقم (٤٢٤٢) (ج٥، ص٦٢) .

(٤) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٨٠ــ١٨١) وراجع : الدين الخالص أو إرشاد الخلق إلى دين الحق ، محمود محمد خطاب السّبكى، المتوفى فى الرابع عشر من ربيع الاول، سنة ١٣٥٢هــ. عنى بنتقيحه وتصحيحه وتنسيقه والتعليق عليه وضبط الآيات والأحاديث وترقيمها وبيان حالها وغريبها ومراجعها خليفة الشيخ: أمين محمود خطاب، المتوفى فى السابع والعشرين من ذى القعدة ١٣٨٧هــ ــ رحمه الله ــ الطبعة الثالثة سنة ١٤٠١هــ/١٩٨٠م (ج١، ص٢٦٦) . وفتاوى ورسائل: محمد بن إبراهيم آل الشيخ، المؤلف: محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ (المتوفى: ١٣٨٩هــ) ت : محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هــ (٤ / ١١٢) .

الوسيلة السادسة: الرضى بحكم الكتاب والسنة:

إنه لا يكفي كدليل على الإيمان أن نحكم الكتاب والسنة عند التنازع؛ بل لا بد مع ذلك من الرضى بالحكم الصادر عنهما، والإذعان له بالقلب والجوارح والتسليم بأن حكم الشارع أصلح للعبد من حكم غيره.

يقول الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ: (إذا احتكم المتنازعان إلى الكتاب والسنة وجب عليهما الرضى بما يحكمان به والاستسلام التام له، فكما أن الاحتكام إليهما واجب لا يتم الإيمان إلا به؛ فكذلك الرضى بالحكم من موجبات الإيمان التي لا بد منها: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[1]) [2].

والمسلم يعتقد اعتقاداً جازماً بأن الله وحده هو الذي يعلم عواقب الأمور على الحقيقة، أما الإنسان فإنما يعلم ظواهر الأشياء، معرفة على قدره من الضعف في الإدراك، والقصور في الإحاطة.

يقول الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ: (... والله وحده هو الخالق لكل شيء وهو الذي يعلم وحده حقيقة الخير، وحقيقة الشر، وهو الخبير بظواهر الأشياء وبواطنها، لا تخفى عليه خافية، وما شرع سبحانه لعباده إلا ما هو الحق والخير والصلاح، وما يحفظ على الإنسان دينه ونفسه وعقله وماله ونسله، فإذا ما قضى الله بأمر لا يرضاه هوى النفس، فواجب المؤمن أن يلتزم بطاعته... فما هو بالمختار حينئذ في تنفيذ ما حكم به الله، أو عدم تنفيذه.. ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾[3]

---

(١) (سورة النساء : آية ٦٥) .

(٢) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٩٦ــ١٩٧) .

(٣) (سورة الأحزاب : آية ٣٦) .

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾[(١)])[(٢)].

وإذا كان ذلك هو حال المؤمن، وهو الإذعان لحكم الله تعالى، فإن حال المنافق عكس ذلك تماماً، إذ أنه لا يتحاكم إلى كتاب الله تعالى، ولا إلى سنة رسوله ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ ، وبدهي أنه لن يرضى بحكمهما، إلا حين يكون ذلك لأجل مصلحة دنيوية ظاهرة، وحينئذ فليس رضى بحكمهما، ولا انصياعاً له، وإنما رغبة ذاتية محضة في تحصيل المصالح الآنية وجمعها.

ويكشف المنافق عن نفسه حين يكون الحق عليه لا له، فعند ذلك تثور ثائرته وتنكشف حيله، ويرفض الحكم، ولا يمتثل له..

يقول الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ: (..أما غير المؤمن فهو من يقص علينا الله نفاقهم وكفرهم: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾[(٣)] تكاد هذه الآيات تشير إليك إشارة حسية تدلك بها على مكان هذا الفريق اليوم، إنهم أولئك الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، يزعمون أنهم بالله مؤمنون، وللسنة متبعون، وهم بما شرع لهم البشر يدينون، وبقانون الغرب الملحد يفتنون ، هم أولئك الذين لا يلجؤون إلى الدين إلا حين يستشعرون خطراً داهماً، أو ثورة مجنونة الباطل يخشون أوارها، فيستصرخون به، لا إيماناً بأنه الحق والهدى، بل لأنه يقيهم شر ما يرهبون!!)[(٤)].

تلك هي حقيقة المنافقين، فهم من جهة لا يستطيعون التصريح بكفرهم حين يتحاكمون إلى القوانين الكفرية، خوفا من حنق المجتمع الإسلامي عليهم، وضياع كثير

---

(١) (سورة النور : آية ٥١) .

(٢) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص١٩٧) .

(٣) (سورة النور : آية ٤٧) .

(٤) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٩٧ــ١٩٨) .

من مصالحهم الدنيوية التي هي محل تفكيرهم واهتمامهم، ومن ناحية أخرى لا تطمئن قلوبهم لحكم الله تعالى، فيلجؤون إلى وضع الشبه والعراقيل أمام تطبيق أحكام الله تعالى، فمرة يقولون هذه القوانين التي تصدرها البرلمانات أو المجالس ــ سمها ما شئت ــ ليست بديلاً عن الشريعة، وليست معارضة لها، وإنما هي أنظمة تنظم الحياة بين الناس أفراداً وجماعات.

وهيهات أن تنطلي هذه على من تنور بنور الوحي، وأشرب عقله وفكره من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ..

ولكن هبنا قبلناها، وأغمضنا أعيننا ، أليس الواقع سيأتينا بما يصدمنا، ويقضي على نعومة ملمسنا، وسذاجة أفكارنا، فهاهم يصدرون أنظمة وقوانين تصادم الشريعة، ويلزمون الناس بالتحاكم إليها ــ رغما عن أنوفهم ــ وليست فقط في الأحكام المختلف عليها حتى يتعلقوا بقول ضعيف أو شاذ؛ بل إنها في المسائل المتفق عليها بين المسلمين.

الفَصْلُ الثَّالِثُ

جهود الشيخ / عبد الرحمن الوكيل

ـ رحمه الله تعالى ـ في محاربة الشرك وأنواعه

ويشتمل على مدخل وخمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الشرك وبيان أنواعه:

المطلب الأول: تعريف الشرك لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: بيان أنواع الشرك.

المبحث الثاني: جهود الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ في بيان حقيقة الشرك وأنواعه.

المبحث الثالث: جهوده في بيان خصائص الشرك والمشركين وأحكامهما.

المبحث الرابع: جهوده في بيان الشرك في العبادة.

المبحث الخامس: جهوده في بيان بعض مظاهر الشرك الواقعة في الأمة الإسلامية.

مدخل:

إن الله ﷻ لما جعل في الأرض خليفة، وأمر ملائكته بالسجود له تكرماً منه تعالى وبياناً لمنزلة هذا المخلوق العجيب، فطره على التوحيد الخالص؛ فكان نائياً عن الشرك ملتزماً بالتوحيد لله تعالى في عبادته.

لكن إبليس ـــ عليه لعنة الله تعالى ـــ ما فتئ يوسوس ويخنس حتى استطاع أن يزل ابن آدم عن الصراط السوي؛ فبدأت المعاصي من عدم الالتزام بأوامر الله تعالى، مروراً بارتكاب ما نهى عنه من القتل ونحوه، حتى وصلت إلى الشرك بالله تعالى في ربوبيته وألوهيته.

وأي ذنب وظلم أعظم من ذلك: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ۝١٣﴾[1] .

ولقد كان هذا التاريخ المعوج متسلسلاً عبر الحقب التاريخية للإنسان، " **ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء** "[2]وهي التوحيد الخالص، ثم يطرأ عليه الشرك والمعاصي بعد ذلك بسبب العوامل التي تدخل وتطغى على تلك الفطرة السليمة إلا من رحم الله تعالى، وقليل ما هم فإن الموحدين هم أهل الجنة والمشركون هم بعث النار وفي الحديث: يقول الله تعالى : " **يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك فيقول أخرج بعث النار قال وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين** "[3].

---

(١) (سورة لقمان: آية ١٣) .

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي، فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام؟ حديث رقم ١٣٥٨ (ج٣، ص٣٤٠) . صحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين. حديث رقم ٦٩٢٦ (ج٨، ص٥٢) .

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، حديث رقم ٣٣٤٨ (ج٨، ص٤١٤) . صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قوله: « يقول الله لآدم أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين »، حديث رقم ٥٥٤ (ج١، ص١٣٩) .

تلك الحقيقة تبين بجلاء كثرة المنغمسين في براثن الشرك، وأوحال المعاصي.

وهذا بعينه من أهم الأسباب التي دعت الخيرين من أبناء هذا الإنسان الخليفة إلى دعوة الناس إلى التوحيد وترغيبهم في محاسنه الكثيرة، وتحذيرهم من الشرك وعواقبه الوخيمة.

ولقد كانت هذه الأمة المحمدية من أكثر الأمم دعاة إلى الخير حتى تميزت عن غيرها، واكتسبت خيريتها بذلك العمل الرائع: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴿١١٠﴾﴾[1].

ولا شك أن الشرك هو أعظم المناكر، وأمحلها، وأجدبها داراً.

وقد توالى أهل العلم في بيان الشرك، وأنواعه، وخطورته، وألفوا فيه الكتب، وألقوا فيه الدروس، وناظروا أهل البدع في شأنه.

ولقد كان الشيخ / عبد الرحمن الوكيل من أكثر العلماء اعتناء بهذا الجانب سواء من حيث بيانه لضده الذي هو التوحيد ــ كما تقدم في الفصل السابق ــ أم من حيث بيانه للشرك نفسه كما سأعرض له هنا ــ إن شاء الله تعالى ــ.

ومن خلالي استقرائي لكتابات الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ المتعلقة بالشرك وجدت أنها تميزت بمميزات مهمة حاولت إيجازها وتلخيصها في النقاط التالية:

- رجوعه إلى الكتاب والسنة في معرض الاستدلال كعادته ــ رحمه الله تعالى ــ.
- استدلاله بمعاني اللغة، معضدا بها الأدلة الأخرى.
- عند كلامه عن أنواع الشرك، كان يهتم بإرجاع الأنواع إلى أصولها وربطها بها كعلل ظهورها وعلل تسميتها والغاية منها.
- تحذيره من شبه الذين يمارون في الحق، ويفرقون بين أنواع العبادة، فيجيزون صرف أنواع لغير الله تعالى، مجادلين بأنها ليست من العبادة، وأن صرفها لغيره تعالى لا يعتبر شركاً.

---

(١) (سورة آل عمران: آية ١١٠) .

- تسليمه جدلاً بأدلة الخصوم حتى يصل إلى إثبات ما هم عليه من باطل، ومن ثم يقرر الحق في المسألة.
- تركيزه على أنواع الشرك المنتشرة في زمانه، وذلك يوضح مدى اهتمامه بالواقع الذي تعيشه الأمة الإسلامية.

وستتضح تلك النقاط ــ إن شاء الله تعالى ــ من خلال المباحث القادمة.

المبحث الأول

تعريف الشرك وبيان أنواعه

المطلب الأول

تعريف الشرك لغةً واصطلاحاً

أولاً : الشرك لغةً:

الشِّرْك: مصدر شَرِكْتُ الرجل في ماله أشرَكه شِرْكاً[١] .

قال الجعدي[٢]: وشارَكْنا قُرَيْشاً في تُقاها وفي أَحْسابِها شِرْكَ العِنان[٣] .

وأَشْرَك بالله جعل له شَريكاً في ملكه تعالى الله عن ذلك والاسم الشِّرْكُ[٤] .

ثانياً: الشرك في الاصطلاح:

لقد عرف الشرك في الاصطلاح بتعريفات كثيرة ولعل أجمعها وأدقها هو أن الشرك عبارة عن اتخاذ الند مع الله تعالى؛ سواء أكان هذا النـــد في الربوبية أم في الإلهية أو كان في الأسماء والصفات.

وقال العلامة ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ: حقيقة الشرك: التشبه بالخالق والتشبيه للمخلوق به[٥].

---

(١) جمهرة اللغة لابن دريد ، ت: رمزي بعلبكي ، دار الملايين ، الطبعة الأولى، ١٩٦٩م (ج١، ص٤٠٠) .

(٢) النّابغَة الجَعديّ: قيس بن عبد الله، بن عُدَس بن ربيعة، الجعدي العامري، أبو ليلى. ولد سنة ٥٤ قبل الهجرة، شاعر مفلق، صحابي من المعمرين، اشتهر في الجاهلية، هجر الأوثان، ونهى عن الخمر قبل الإسلام. وفد على النبي ﷺ ، فأسلم ، وأدرك صفّين، ثم سكن الكوفة فَسَيّره معاوية إلى أصبهان مع أحد ولاتها فمات فيها سنة ٥٠هــ وقد كُفَّ بصره وجاوز المائة. انظر: معجم الشعراء للإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (المتوفى : ٣٨٤ هــ) بتصحيح وتعليق : الأستاذ الدكتور / ف . كرنكو ، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٢هــ/ ١٩٨٢م (ج١، ص٦١).

(٣) لسان العرب، لابن منظور (ج١٠، ص٤٤٨).

(٤) جمهرة اللغة، لابن دريد (ج١ ، ص ٤٠٠). لسان العرب، لابن منظور (ج١٠، ص ٤٤٨).

(٥) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، لابن قيم الجوزي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (ج١، ص٩٤) .

وبعبارة أدق: هو جعل شريك مع الله تعالى في التوحيد، ولذلك يكون الشرك ضد التوحيد، كما أن الكفر ضد الإيمان [(١)].

وغالب الشرك عند الناس يقع في الألوهية؛ كالشرك في الدعاء والذبح والنذر، والخوف والرجاء والمحبة، والخشية، والإنابة، والتعظيم والإجلال، والاستعانة، والطاعة، والتوكل، والحكم، وغيرها.

خطورة الشرك:

ولا شك أن الشرك بالله تعالى هو أعظم ذنب عصي الله به،وما تمايز الناس في الدنيا والآخرة إلا بسببه، وما أرسل الله الرسل وأنزل الكتب إلا تحذيراً منه وبياناً لقبحه وخطورته على الدين.

ولذلك كان يقع التنفير من الشرك موقع الأولوية عند الأنبياء والمصلحين، فكانوا يبدؤون ببيانه وترسيخ خطورته في عقول الناس، ودعوتهم إلى ضده الذي هو التوحيد.

ولعل من أهم الأسباب التي جعلت الشرك بهذه الخطورة ما يلي:

أ ــ أنه تشبيه للمخلوق بالخالق، فمن أشرك مع الله أحداً فقد شبهه به، وذلك هو أعظم الظلم والتعدي كما جاء من حديث عبد الله بن مسعود ــ رضي الله تعالى عنه ــ قال: سألــت رسول الله ﷺ : أي الذنب أعظم؟ قال:" **أن تجعل لله ندا وهو خلقك** ".[(٢)]

(١) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبد الله بن صالح الفوزان الأستاذ في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فرع القصيم. الناشر: مكتبة الرشد. (ج١، ص ٣٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿... فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ حديث رقم ٤٤٧٧ (ج١٠ ، ص ٥٨١). صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده، حديث رقم ٢٦٧ (ج١، ص ٦٣).

قال النووى: " روى شمر عن الاخفش قال الند: الضد والشبه، وفلان ند فلان ونديده ونديدته أي:مثله. "[١].

ب ــ أن الله تعالى لا يغفر لمشرك مات على الشرك دون توبة: وهذا بخلاف بقية الذنوب وإن كانت كبائر فإنها تحت المشيئة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴿٤٨﴾﴾[٢] .

ج ــ أن الله ﷻ حرم الجنة على المشرك كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾[٣] .

د ــ أن الشرك محبط لجميع الأعمال التي عملها العبد حتى ولو كانت جبالاً من الحسنات، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾[٤].

المطلب الثاني: بيان أنواع الشرك:

لقد اهتم علماء السلف رحمهم الله تعالى ببيان أقسام الشرك وتوضيحها حتى يحذر منها المسلم، ويجعل بينه وبينها حاجزا منيعا، يعصمه الله به من الوقوع في الشرك، وفساد الأعمال.

وقد قسموا الشرك إلى قسمين كبيرين هما الشرك الأكبر والشرك الأصغر وكل منهما تحته أنواع[٥].

---

(١) شرح النووي على مسلم لأبي زكرياء يحي بن شرف النووي ، دار إحياء التراث ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٢هـ (ج٢، ص٨٠).

(٢) (سورة النساء : آية ٤٨) .

(٣) (سورة المائدة : آية ٧٢) .

(٤) (سورة الزُّمَر : آية ٦٥) .

(٥) معارج القبول، حافظ بن أحمد حكمي، ت : عمر بن محمود أبو عمر ، دار ابن القيم، الدمام ، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م (ج٢، ص٤٧٥).

أولاً: الشرك الأكبر:

وتعريفه: أنه اتخاذ ند مع الله، ومن فعله فقد خرج بالكلية عن ملة الإسلام وأحبط أعماله السابقة عليه كلها وإن مات عليه فإنه يكون مخلدا في النار عياذاً بالله تعالى [(١)].

وأقسامه أربعة [(٢)]:

١) شرك الدعوة: وذلك أن الدعاء هو العبادة، قال رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ: (الدعاء هو العبادة) وقد بينت الأدلة على ذلك في الفصل الخاص بالتوحيد بما أغنى عن إعادته هنا.

وإذا ثبت أن الدعاء عبادة؛ بل هو العبادة؛ فصرفه لغير الله تعالى شرك أكبر مخرج من الملة، فمن دعا نبياً أو ملكاً أو ولياً أو غير ذلك من المخلوقين فهو مشرك خارج عن ملة الإسلام عياذاً بالله تعالى.

٢) شرك النية والإرادة والقصد: فإن من ينوي ويريد بأعماله الرياء أو السمعة، إرادة كلية، ولم يقصد بها وجه الله تعالى، فهو مشرك الشرك الأكبر، قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [(٣)].

ولا شك في خطورة هذا النوع من الشرك، لصعوبة التحرز منه، ولدقة مسلكه، وانجذاب النفس البشرية بطبيعتها إلى حب الثناء ومراقبة مدح الناس لها.

---

(١) راجع : المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد ، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، دار الهداية للطباعة والنشر والترجمة، الطبعه الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م (ج١، ص٣١٩) و"صفات التوحيد"، علوي بن عبد القادر السَّقَّاف، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م (ج١، ص٦٣) ومعارج القبول، حافظ الحكمي (ج٢، ص٤٨٣).

(٢) نور التوحيد وظلمات الشرك (ج١، ص ٣٧) وما بعدها د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني. و"أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة" (ج١، ص٧٧).

(٣) (سورة هود: الآيات ١٥ــ١٦).

٣) شرك الطاعة: فإن الطاعة المطلقة لا تكون إلا لله وإنما وجبت طاعة الرسول ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ لأنه مبلغ عن الله ومعصوم من الكذب على الله.

ومن هنا فإن من أطاع غير الله تعالى الطاعة المطلقة في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله، أو تغيير شيء من شرائع الله تعالى، فهو مشرك شركاً أكبر، إذا تحققت فيه الشروط كالتكليف والعلم بأن ذلك مكفر، وانتفت عنه الموانع، كالجهل، والغلط والغفلة ونحوها.

قال الله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[1].

وعن عدي بن حاتم قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال يا عدي اطرح عنك هذا الوثن وسمعته يقرأ في سورة براءة ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[2] قال أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه[3].

٤) شرك المحبة: والمقصود محبة العبودية المستلزمة للتعظيم والذل والخضوع فهي لا تنبغي إلا لله وحده، فمن صرف هذه المحبة لغير الله فقد أشرك به الشرك الأكبر.

---

(١) (سورة التوبة : آية٣١) .

(٢) (سورة التوبة : آية٣١) .

(٣) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة التوبة حديث رقم ٣٠٩٥ (ج٥، ص٢٧٨) وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴿١٦٥﴾ ﴾[١].

النوع الثاني: الشرك الأصغر:

ويعرفه أهل العلم بأنه: كل ما كان ذريعة إلى الشرك الأكبر وربما يعرفونه بأنه كل ما جاء في النصوص تسميته شركا ولم يصل إلى حد الأكبر[٢].

ومن أمثلته:

أ ــ يسير الرياء: وهو شرك لكنه لا يصل إلى الشرك الأكبر بمعنى أن فاعله تحت المشيئة كبقية الكبائر، والدليل ما رواه الإمام أحمد وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: (**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله قال: الرياء، يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جازى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء**)[٣].

ب ــ قول: " لولا الله وفلان " ونحو ذلك، والدليل حديث ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ في معنى قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[٤] قال: " الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلانة وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لأصحابه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلاناً، هذا كله به شرك "[٥].

---

(١) (سورة البقرة : آية١٦٥) .

(٢) إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (ص ٣٠٩).

(٣) مسند أحمد حديث ر قم ٢٣٦٣٠ (ج٣٩، ص٣٩).

(٤) (سورة البقرة : آية٢٢).

(٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (ج١، ص ٥٨).

المبحث الثاني

جهود الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ في بيان حقيقة الشرك وأنواعه

لقد اهتم الشيخ / عبد الرحمن الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ ببيان الشرك، وتحديد حقيقته وماهيته، وبيان أنواعه، وتحذير المسلمين من الوقوع فيه..

وقد احتل الشرك حيزاً لا يستهان به من كتابات الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ، وإن كان ركز على جوانب من الشرك أكثر من غيرها، فذلك عائد إلى اعتنائه بالواقع المعيشي كما قدمت، وسيرا منه على نهج السلف الصالح في ترتيب الأولويات، وتقديم الأهم على المهم.

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ معرفاً المشرك ومبيناً أهم خصائصه: (كل من توجه إلى شيء بما يجب أن يكون لله وحده، أو طلب منه ما لا يطلب إلا من الله وحده، فهو مشرك، متخذ هذا الشيء إلها وربا وإن سماه ولياً، وإن سماه شيطاناً)[1].

ويبين حقيقة ورود الشرك في القرآن الكريم، من حيث الإطلاق والتقييد فيقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (ورد النهي عن الشرك في القرآن وروداً كثيراً، وقد جاء ذكر الشرك مطلقاً ومقيداً.

ومما قيد به تحدد معنى الشرك وحقيقته.

الشرك المطلق: يقول سبحانه: ﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ ﴿٨٢﴾﴾[2].

فما ورد بعد الفعل "أشركوا" ما يقيده أو ما ورد بعده متعلقه.

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾[3].

---

(١) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نور من القرآن ، عدد ٢، تاريخ ١٣٧٩هـ (ص ١٠).

(٢) (سورة المائدة : آية ٨٢) .

(٣) (سورة الحج : آية ١٧).

شرك مقيد: كما ورد في القرآن آيات تحذر من الشرك مقترناً بمتعلقه، أو بما يقيده.

مثل قوله سبحانه: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾[1]

"أشركوا بالله" أما الآيتان السابقتان؛ فلم يذكر بعدهاما يفيد أنهم أشركوا بالله، وإنما جاء ما يفيد أنهم أشركوا كأنهم صاروا مشركين في كل شيء.

أما أشركوا بالله فقد نعتهم بالشرك في الألوهية)[2].

قلت: لا يتضح تقييد الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ لهذه الآية بأنها وصفت المشركين بالشرك في الألوهية؛ بل ظاهرها يقتضي الإطلاق والعموم، وأنهم أشركوا بالله جميع أنواع الشرك، والله تعالى أعلم.

وبما أن أهل البدع في زمنه يدعون شبهـا كثيرة كقولهم إنهـم بدعائهم للأولياء لا يعبدونهم وإنما يقصدون بذلك التوسل بأعمالهم الصالحة، وأن الله تعالى قد أمر بابتغاء الوسيلة إليه، ويفسرونها على هواهم، فإن الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ يرد عليهم بأن الله تعالى لا يأمر بالشرك به، وقد بين مراراً بالأدلة الصحيحة أن الدعاء هو العبادة.

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (إن أول حقيقة بدهية يؤمن بها المسلم ويغلب نورها كل شيء، هي أن الله لا يأمر بالشرك ولا الفحشاء، ولا بعبادة غيره؛ بل يأمر بعبادته وحده لا شريك له)[3].

وإن خطر الشرك وشؤمـه لا يحصل في الآخرة فقـط، وإنما حتى في الدنيـا، فإن المسلمين مأمورون بمقاطعة المشرك، حياً وميتاً، أما حياً فبعدم جواز معاملته المعاملات التي تختص بالمسلمين، وأهل الكتاب، وأما ميتاً، فبعدم الاستغفار له، ولو كان أقرب قريب.

---

(١) (سورة آل عمران : آية١٥١) .

(٢) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٦، تاريخ ١٣٨٥هـ (ص ١٣).

(٣) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ١٢، تاريخ ١٣٨٠هـ ، (ص ٦).

يقول عليه ــ رحمة الله تعالى ــ: (... وقد حرم الله الاستغفــار لمشرك؛ لأن الله لا يغفر أن يشرك به.

وقد امتنع المسلمون عن الاستغفار لآبائهم المشركين بعد هذا النهي)[١].

ويتواصل ذم الشرك والمشركين حتى في الآخرة، فإنهم لن يجدوا ناصراً أو معيناً حتى من الذين كانوا يشركون بهم، وعلى رأسهم إبليس لعنه الله تعالى.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (... ثم يتوعد الله من يفعل هذا الذي ينهى عنه بالمصير الرهيب في الدنيا والآخرة بأن يقعد مذموماً؛ لأنه ضيع في السفه عقله وقلبه وفكره وعمله ودينه، فلا يلقى من الله سبحانه إلا ذماً، وإن وجد من أولياء الشيطان مدحاً في الدنيا، فسيجد منهم ذما في الآخرة.

الشيطان يذمهــم يوم القيامة، ويبرأ منهــم، طواغيت الكفــر يبرؤون منهم يوم القيامة.

والعقاب الآخر: الخذلان، فلا يجدون من الله نصراً لأنهم لا يستحقون، ولا من أوليائهم نصراً لأنهم لا يملكونه)[٢] .

ولكن ما حاجة هؤلاء إلى اتخاذ أنداد من دون الله تعالى، وهؤلاء الأنداد هم عبيد لله تعالى وتحت سلطانه وقهره، ولا يعلمون شيئاً عن بداية خلقهم، وإيجادهم، ولا عن خلق هذا الكون الفسيح الذي يعيشون فيه.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (إن كل من عداه سبحانه وتعالى هم من خلقه وعبيده، ومنهم هؤلاء الذين يتخذهم المشركون أولياء لهم من دون الله.

والله تعالى ليس له شريك في ربوبيته القاهرة القادرة التي تهيمن على مقاليد السماوات والأرض.

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ١٠، تاريخ ١٣٨٦هـ (ص ٧).

(٢) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن ، عدد ٢، تاريخ ١٣٧٩هـ (ص ١١ــ١٢).

وهؤلاء المشركون لا يعلمون شيئاً عن أنفسهم ولا عن خلق السماوات والأرض إذ ما شهدوا خلقها ولا عاينوه ببصيرة أو بصر؛ فكيف يتخذ المخلوق مخلوقاً مثله إلها له من دون الله؟

إن الضلال من البشر يستعينون بهؤلاء الشركاء في قضاء ما لا يقدر عليه سوى الله سبحانه، فجعلوهم بهذا شركاء لله في قدرته وعلمه وملكه.

والله الذي يظنون أن له شريكاً يقرون هم أنه ما كان معه من أحد يعينه يوم خلق السماوات والأرض، فكيف يطلبون من سواه شيئاً من السماوات والأرض، شيئاً لا يقدر عليه سواه؟

أليس هذا معناه أنهم يبهتون الله بأنه في حاجة إلى من يعينه، أو يضم قدرته إلى قدرته، أو يرشده إلى حال لا يعلمها، أو إلى مكان شيء يجهله؟

لو أنه سبحانه كان في حاجة إلى شيء من هذا لكانت حاجته أشد يوم خلق السماوات والأرض، يوم خلق هذا الكون العظيم بسمائه ونجومه وكواكبه...)[1].

وإذا كان الله ﷻ غنياً عن المعين، وانفرد بالخلق والتدبير والملك، فكيف يجعل الإنسان له شركاء في الألوهية، وهي من توابع الخالقية التي انفرد بها وحده.

يقول الشيخ / الوكيل ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (... وتدبرها صريحة: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٧﴾[2].

أما خلقنا وبعثنا فقد قال الله فيه: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝٢٨﴾[3].

---

(١) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نور من القرآن، عدد ٥، تاريخ ١٣٨٣هـ (ص٧) بتصرف.
(٢) (سورة غافر: آية ٥٧) .
(٣) (سورة لقمان: آية ٢٨) .

فإذا كان الخالق لم يحتج إلى من يعنيه في هذا الخلق الأعظم؛ فكيف يحتاج إلى شيء من هذا فيما هو أقل شأنا وأهون ــ ولله المثل الأعلى ــ...

ومن أفواه المشركين نسمع الشهادة لله بأنه لم يكن معه أحد يوم خلق السماوات والأرض، وبهذا الحق الذي يقرون به يقيم الله حجته البالغة عليهم.

إذ كانوا يقرون بأنه ليس له شريك في خالقيته فكيف يجحدون بألوهيته، ويشركون بها وهي من توابع الخالقية)[(١)].

وإذا كان الشركاء المعبودون من دون الله أو مع الله عاجزون عن الخلق استقلالاً، وعاجزون عنه اشتراكاً، وعاجزون عنه مظاهرة ومعونة، فهم عن غيره أعجز، فلا يملكون حتى مشاهدة خلق أنفسهم، ولا يستطيعون هداية لا أنفسهم، ولا غيرهم.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (... ولهذا تحداهم الله سبحانه تحديه القاهر المعجز بقوله ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[(٢)].

"ولا خلق أنفسهم" كذلك ينفي الله عن هؤلاء الشركاء أنهم شهدوا خلق الأنفس وأن بعضهم شهدوا كيف خلق الآخر...

فكيف ألوذ بمن لا يعرف من خلق نفسه ولا نفس شيء.

ولهذا تحداهم الله بصفة هي له ولا يملكها أحد سواه إلى بإذنه ووحيه وتوفيقه وهي مذكورة في هذا الآية: ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[(٣)])[(٤)].

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٥، تاريخ ١٣٨٣هـ (ص ٨).

(٢) (سورة سبأ : آية ٢٢) .

(٣) (سورة يونس : آية ٣٥) .

(٤) مجلةالهدي النبوي ، مقالة نور من القرآن، عدد ٥، تاريخ ١٣٨٣هـ (ص ٩ـ١٠) بتصرف.

ومن المعلوم أن الهداية نوعان: هداية الإرشاد، وهداية التوفيق.

أما هداية الإرشاد ونعت الطريق، والدعوة إليه، فقد يعطيها الله تعالى لمن شاء من عباده، كما قال ــ جل وعلا ــ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾(١) .

وأما هداية التوفيق فلا يملكها إلى الله تعالى، قال جل من قائل: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾(٢) .

وكل منهما تأتي بحرفي الجر "إلى" و"اللام" فتقول هديته للطريق، وإلى الطريق(٣) .

ولا شك أن الشيخ رحمه الله تعالى قد أبهر بأدلته الواضحة الدامغة أولئك الذين يشركون مع الله تعالى غيره في العبادة؛ فقد بين الأدلة العقلية ــ قبل النقلية ــ على تفرد الله تعالى بالصفات التي تدعو إلى إفراده بالعبادة وحده لا شريك له، ثم شفع ذلك بالأدلة النقلية على نفس المعنى.

ولكي يبين كذب الذين يدعون أنهم مؤمنون بتفرد الله تعالى باستحقاق العبادة، وأن دعاءهم غير الله تعالى لا يعتبر شركاً، أوضح خفايا أنفسهم التي تنطوي عليها لا رجما بالغيب، ولا ادعاء لعلمه، ولكن من خلال استقراء ظواهرهم وأعمالهم..

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (... لو كان المشرك يعتقد في قرارة نفسه أن الله يتفرد بالخالقية والرازقية وغيرهما لتوجه إليه وحده ولكنه ــ عن شعور يسيطر على أعماقه ــ يدعو ويدعو وتفانى في الدعاء، دعاء غير الله.

ففي أعماقه دين مستور يقرر أن في قلبه إيماناً بأن الله غير متفرد بشيء؛ لهذا دمغ الله الداعي بأنه مشرك لأن الشركة مستلزمة وجود شيء يكون بين اثنين لا ينفرد به أحدهما.

---

(١) (سورة الشورى : آية ٥٢) .

(٢) (سورة القصص : آية ٥٦) .

(٣) تفسير القرطبي (ج١٥، ص٧٣).

والمشـــرك في قرارة نفســـه يدين بأن الوجود شركـــة بين الله وولي المشرك، وإلا ما دعا وليه من دون الله أو مع الله)[١].

وبذلك فضح الشيخ أولئك المشركين عباد الأصنام المتسترين بالنطق بالشهادتين دون العمل بأهم مقتضياهما، وهو توحيد الله تعالى.

وحتى يغلق عليهم الأبواب، ويبين الحق لطالبه منهم، ويكشف سوءة المعاندين الذين يضلون الناس عن قصد، بين رحمه الله تعالى نقطة في غاية الأهمية، وهي أن الشرك في الألوهية يستلزم الشرك في الربوبية، كما بين العكس سابقاً.

يقول ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (والنهي عن الشرك في الألوهية يقتضي ويستلزم النهي عن الشرك في الربوبية.

لهذا يجب أن نفهم أن من يتخذ مع الله إلها آخر يصدق عليه أيضاً أنه يتخذ مع الله رباً آخر.

والجعل هنا معناه الحكم والاتخاذ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾[٢] أي لا تحكم على شيء ما بما هو من شان الله وحده، لا تحكم عليه بأن له قدرة كقدرة الله، أو أنه يجيب الدعاء، أو يغيث أو غير ذلك مما هو من صفات الله وحده وأفعاله فيدمغك هذا الظن الواهم الكافر إلى أن تتوجه إليه بالعبادة مع الله، فتدعوه أو تتوكل عليه أو تستغيث به أي إلى أن تتخذه إلهاً)[٣].

والصراع الأزلي بين التوحيد والشرك، بين الحق والباطل، قائم ومستمر، ولا بد أن تكون نهايته انتصار الحق والتوحيد، وهزيمة الباطل والشرك، ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾[٤].

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٥، تاريخ ١٣٨٣هـ (ص ١٥).

(٢) (سورة الإسراء : آية ٣٩).

(٣) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٢، تاريخ ١٣٧٩هـ (ص ١٠).

(٤) (سورة المجادلة : آية ٢١).

ولكن في استمرار ذلك الصراع يجب أن يعلم دعاة الحق ما ينتظرهم من دعاة الشرك من غل وحقد، قد يؤدي ببعضهم ــ وخاصة إذا ضيق عليه الخناق ــ إلى اقتراف جرائم كثيرة في تخبطه وهو يعالج سكرات الموت المعنوي قبل الجسدي.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (إن الصدق في الدعوة إلى الله سبحانه يثير الشرك وأحقاد طغاته ودعاته.

وقد تدفع هذه الأحقاد بهؤلاء إلى اقتراف كل جريمة وانتهاك حمى كل حرمة في سبيل الحيلولة بين دعوة الحق وبين النجاح، فلا تجد سبيلها إلى القلوب لأن نجاح دعوة الحق معناه القضاء على طواغيت الباطل.

وأولياء الحق والداعون إليه يعلمون هذا ويتبينون معالمه فيما يقول أولياء الباطل أو يفعلون.

يعلمون أن أعداء الله يبيتون لهم كل شر وكل ضر ويعملون في سبيل الفتك بهم والقضاء عليهم.

ولقد فرض الله على خاتم رسله وأوليائه أن يجاهدوا الكفار والمنافقين وأن يغلظوا عليهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٣﴾[١].

إذن لا سلام بين التوحيد والشرك، إلا أن يفيء هذا وينيب ويرجع عن غله وأحقاده، ويذعن مستسلماً في صدق وإخلاص إلى قوة التوحيد في صفائه وقداسته وجلاله.

ستظل المعركة مشبوبة محتدمة الأدوار بين حزب الله وحزب الشيطان، ولا سبيل إلى النصر في هذه المعركة إلا السبيل الذي مده الله وعبده، وسلكه أنبياء الله ورسله والصديقون والشهداء)[٢].

---

(١) (سورة التوبة: آية ٧٣) .

(٢) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن ، عدد ١١، تاريخ ١٣٨٠هـ (ص ٤ــ٥).

تلك هي حقيقة الصراع بين التوحيد والشرك، وتلك هي نوايا كل طرف اتجاه الأخر، وتلك هي نتيجته الحتمية، ولكن كل ذلك لا يمنع دعاة الحق من إضمار الحب لمن يكن لهم الحقد، وإخلاص النصح، لمن يضمر لهم الغش والدسائس.

يقول الشيخ رحمه الله تعالى: (دعوة من الحب: ليتدبر عشاق أضرحة الأولياء الذين يتخذونهم آلهة من دون الله، ليتدبر الذين يجـأرون في كل ساعة بقولهـم: "مدد يا سيدي فلان..

لعلهم يؤمنون أننا ندعوهم عن محبة وإخلاص إلى الحق والخير والنجاة، هذه التي يتكفل بها سبيل الله سبحانه.

ليدفعوا عن أنفسهم غوائل التقليد، وإنا وجدنا آباءنا على أمة، وأن كبار الشيوخ يلوذون بالبدوي، وأضرابه، فكل هذا لا ينفعهم عند الله يوم القيامة.

ليتدبروا: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾[(١)] .

وفي "إياه" هذه إشراق الأيمان في وضاءته، والتوحيد في جلالته، والرحمة في شموها العظيم)[(٢)].

(١) (سورة الإسراء: آية ٦٧) .

(٢) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ١، تاريخ ١٣٨١هـ (ص ١١) بتصرف يسير.

المبحث الثالث

جهوده في بيان خصائص الشرك والمشركين وأحكامهما

إن النفس البشرية بطبيعتها ميالة إلى البحث عن الكمال، وادعائه، حتى ولو لم تستطع الحصول على نزر منه.

وهي بطبيعتها كذلك تنفر من النقص، وإن كانت متلبسة به.

ولذلك تجد المشركين المتلبسين بالشرك ينفرون منه، ويزعمون أنهم موحدون، وخاصة إذا كانوا من المنتمين للإسلام في الأصل.

فاستدعى ذلك من الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ أن يبين خصائص الشرك والمشركين، حتى نتبينهم ويتبينوا أنفسهم بما لا يدع مجالا للشك فيهم.

ولقد استقرأ الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ خصائصهم من كتاب الله تعالى، واستدل عليها بآيات واضحة الدلالة قطعية الورود.

يقول ـ رحمه الله تعالى ـ: (من خصائص الشرك والمشركين وأحكامهما:

أولاً: الضلال البعيد.

﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾(١).

ثانياً: افتراء الإثم.

﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾(٢).

ثالثاً: الكبر المقيت.

﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾(٣).

---

(١) (سورة النساء : آية ١١٦).

(٢) (سورة النساء : آية ٤٨).

(٣) (سورة الشورى : آية ١٣).

رابعاً: جحود الحق.

﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾(١).

خامساً: الاشمئزاز من ذكر الله.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾(٢).

سادساً: ليس له عهد.

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾(٣).

سابعاً: يتبع الظن والهوى.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾﴾(٤).

ثامناً: المشرك نجس.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴿٢٨﴾﴾(٥).

---

(١) (سورة الأنعام : آية ٣٣).

(٢) (سورة الزُّمَر : آية ٤٥).

(٣) (سورة التوبة : آية ٧).

(٤) (سورة يونس : آية ٦٦).

(٥) (سورة التوبة : آية ٢٨).

تاسعاً: عبيد الشيطان مسخرون له.

﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ١٢١﴾[(١)].

وعن الشيطان يقول الله:

﴿إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ١٠٠﴾[(٢)].

عاشراً: يكرهون الخير للمسلمين.

﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ١٠٥﴾[(٣)].

حادي عشر: يجب الإعراض عنه.

﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٤﴾[(٤)].

ثاني عشر: أشد الناس عداوة للمؤمنين.

﴿۞لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ ٨٢﴾[(٥)].

ثالث عشر: لا يجوز الاستغفار لهم.

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣﴾[(٦)].

---

(١) (سورة الأنعام: آية ١٢١).

(٢) (سورة النحل: آية ١٠٠).

(٣) (سورة البقرة: آية ١٠٥).

(٤) (سورة الحجر: آية ٩٤).

(٥) (سورة المائدة: آية ٨٢).

(٦) (سورة التوبة: آية ١١٣).

رابع عشر: الله بريء منهم.

﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴿٣﴾﴾(١).

خامس عشر: لا يجوز نكاحهم.

﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴿٢٢١﴾﴾(٢).

سادس عشر: يلقي الله الرعب في قلبه.

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ۖ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾(٣).

سابع عشر: يحبط الله عمله.

وقد بين الله هـــذه الحقيقة في خطاب وجهه إلى أفضل خلقه محمد ﷺ في قوله جل شأنه:

﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾(٤).

﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾(٥).

---

(١) (سورة التوبة : آية ٣).

(٢) (سورة البقرة : آية ٢٢١).

(٣) (سورة آل عمران : آية ١٥١).

(٤) (سورة الزُّمَر : آية ٦٥).

(٥) (سورة الأنعام : آية ٨٨).

ثامن عشر: لا يغفر له.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۝٤٨﴾[١].

تكررت مرتين في سورة النساء مع الآيتين ٤٨ و ١١٦.

تاسع عشر: مأواهم النار.

﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٥١﴾[٢].

هذا بعض ما في القرآن عن الشرك، ولعل الشرك في الربوبية هو أكثر انتشار بين المثقفين، والشرك في الألوهية أكثر انتشار بين غيرهم.

وإن كان لكليهما نصيب من هذا الشرك نعوذ بالله منه، ونضرع إليه جل شأنه أن يوفقنا إلى ما فيه حبه ورضاه)[٣].

---

(١) (سورة النساء : آية ٤٨).

(٢) (سورة آل عمران : آية ١٥١).

(٣) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٦، تاريخ ١٣٨٥هـ (ص ١٦ـ١٨).

المبحث الرابع

جهوده في بيان الشرك في العبادة

إن الشرك في العبادة من أكثر أنواع الشـــرك انتشاراً، ذلك أن كثيراً من العوام لا يفرق بين العبادة وغيرها، ولا يعرف ما يجوز طلبه من المخلوقين، وما هو مختص بالخالق، لا يعرف حدود قدرة المخلوق التي لا تتعداها، لا يميز بين التوسل والاستغاثة والمعونة، ولا يدرك حقيقة اختصاص الله تعالى بالحكم والتشريع..

فتراه يشرك مع الله غيره في كثير من هذه الأمور، ويتبرأ ــ مع ذلك ــ من الشرك، وينادي بالتوحيد، وهو مرتم في أحضان الشرك والمشركين، منابذ للتوحيد والموحدين.

وما أصدق ما بين به الشيخ/ الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ هذا الصنف من الناس حين قال: (ونحن نعرف أن كل امرئ يلعن الشيطان ويبرأ إلى الله منه حتى المشركون، ولكن الله سبحانه حكم على هؤلاء المشركين بأنهم جعلوا الشيطان معبوداً لهم رغم أنهم يلعنونه ويرجمونه، لأنهـــم أطاعوه، وعصوا الله، ولأنهـــم فهموا فيه القـــدرة المطلقة فاتقوه ورهبوه.

والله لا يحب أن يتقى ولا أن يرهب سواه، ومن فعل فهو مشرك.

كل امرئ يتخذ له أسوة في الدين غير رسول الله فهو مشرك.

كل امرئ يحكم في دينه غير كتاب الله وسنة رسوله فهو مشرك.

كل امرئ يصف إمامه ببعض صفات الله فهو مشرك.

كل امرئ يضرب القرآن بكتاب آخر فهو مشرك.

هذا الصوفي الذي يستأذن شيخه في ذكر الله فهو مشرك.

هذا المذهبي الذي يحل ما أحل مذهبه، ويترك حكم الله مشرك.

فما بالك بالطائفين حول القبور اللائذين بأحجارها وأستارها، العاكفين على أصنامها المستغيثين بها، المقربين إليها قرابينهم ونذورهم وتقواهم.؟!

فما بالك بمن يديـــنون بأن الله سبحانـــه هو عين هـــذه الأصنام والأوثان والجيف؟!)[1].

هكذا إذن يغفل كثير من الناس عن حقيقة الشرك الذي يرتكبه، وكونه محبطاً لأعماله دون أن يشعر.

ومع أن في كلام الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ السابق بعض الإجمال الذي يحتاج إلى بيان وتوضيح، إلا أنه ألم بأكثر أنواع الشرك شيوعاً في عصرنا الحاضر.

ولا شك أنه ــ رحمه الله تعالى ــ لا يقصد الشرك الأكبر المخرج من الملة في بعض تلك الأصناف التي ذكر، إلا على سبيل الشمول والإطلاق.

فالخوف عبادة تصرف لله تعالى تعظيماً له سبحانه وطاعة . ولكنه أقسام، فخوف الشرك هو : " أن يخاف من غير الله أن يصيبـــه بما يشاء بقدرتـــه ومشيئته سواء إدعى أن ذلك كرامة للمخلـــوق بالشفاعة أو على سبيل الإستقلال فهذا لا يجوز تعلقه بغير الله أصلاً ؛ لأن هذا من لـــوازم الإلهية ، فمن اتخذ مع الله نداً يخافه هذا الخوف فهو مشرك " [2].

أما الخوف الطبيعي الذي لا يذم فهو الخوف من محاذير الدنيا المختلفة.

قال ابن عطية : " ولا محالة أن الإنسان يخشى غيره ، ويخشى المحاذير الدنيوية، وينبغي أن يخشى في ذلك كله قضاء الله وتصديقه" [3].

أما إتخاذ الإسوة، فإن المطلوب من المسلم أن يكون رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ هو أسوته في الدين كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ

---

(١) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نور من القرآن ، عدد ٢، تاريخ ١٣٧٩هـ (ص ١٠ــ١١).

(٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله (ص ٤١٦).

(٣) المرجع السابق (ص٤١٩).

أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[1] ولكن من يتخذ بعض الأئمة المشهود لهم بالخير أسوة له غير معتقد أنهم مثل رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ ؛ بل لأنهم ــ في اعتقاده ــ سائرون على نهج رسول الله ﷺ، لا يكفر بذلك ولا يكون مشركاً شركاً أكبر، وإن كان مخالفاً لما جاء به الوحي.

والكتب المصنفة في المذاهب يستعان بها في فهم الكتاب والسنة وتقرير المسائل.

ولكن لا تقدم على كتاب الله وسنة رسوله ــ ﷺ ــ.

" إما أن تكون هي المقدمة على كتاب الله وسنة رسوله ــ ﷺ ــ الحاكمة بين الناس فيما اختلفوا فيه، المدعو إلى التحاكم إليها دون التحاكم إلى الله ورسوله ــ ﷺ ــ فلا ريب أن ذلك مناف للإيمان مضاد له "[2].

ولا شك أن مقصود الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ بإطلاقه الشرك على أؤلئك هو الشرك اللغوي، ولكن نبهت على ذلك لأن ظاهر اللفظ يحتمله.

وبما أن مظاهر الشرك، وألوانه شاعــت وانتشرت في عصرنــا الحاضر بشكل لم يسبق له مثيل في التاريخ الإنساني المعروف؛ فإن الشيخ رحمه الله تعالى اهتم ببيان بعض تلك الألوان والصور التي يتقمصها الشرك، محاولاً التخفي خلفها، وستر ما يمكنه من شكله القبيح..

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (وللشرك صور وفنون شتى أكثرها شيوعاً بين المنتسبين إلى الإسلام دعاء غير الله، وهو أشد أنواع الشرك.

والتوسل إلى الله بغير ما شرع أن نتوسل به إليه[3].

---

(١) (سورة الأحزاب : آية ٢١).

(٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله (ص٤٧٣).

(٣) التوسل بدعاء الأصنام والأولياء والأضرحة، توسل شركي ، وهو عين عمل أهل الشرك الذين كانوا يتخذون الأصناع وسيلة إلى الله.

"وإن كان يرى أنه لم يدع إلا الله ، ولم يعبد سواه، فهو قد عبد الله بغير ما شرع وابتدع في الدين ما ليس منه، واعتدى في دعائه ودعاء الله بغير ما أمره أن يدعوه به، فإن الله تعالى إنما أمرنا أن ندعوه بأسمائه الحسنى، كما قال تعالى:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ... ﴾ [الأعراف: آية ١٨٠] . ولم يشرع لنا أن ندعوه بشيء من خلقه البته "، معارج القبول، حافظ الحكمي (ج٢، ص ٦٥٠).

وأن نقسم على الله بأحد من خلقه كقول المشرك: وحق رسول الله، بجاه النبي، وحياة النبي[١].

والنذر لغير الله كما يفعل المشركون يقول "السيدة" وعجل السيد، وعجل الشيخ.

والقسم بغير الله لأن مقترفه يجعل ما لا يحلف به محلوفاً به كاسم الله الذي يكون به القسم.

والرياء لأنه أشرك في عمله غير الله، والطيرة والتمائم "الأحجية" ففيها اعتقاد جلب النفع ودفع الضر في غير الله.

ومجيء العـــراف، مثله "فتح الكوتشينـــة" والفنجال والطالع الذي ينشر في الصحف.

ففي هذا اعتقاد أن مع الله شريكاً يعرف غيب السماوات والأرض)[٢].

قلت: أما قول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ أن التوسل إلى الله تعالى بغير ما شرع شرك فليس المقصود الشرك الأكبر المخرج من الملة، فإن التوسل لا يعتبر شركاً كله؛ بل

---

(١) "ومن الشرك الأصغر الذي لايخرج من الملة الحلف بغير الباري ، كالحلف بالآباء والأمهات والأبناء والأمانة وغير ذلك .

كما في الصحيح، عن عبد الله بن عمر ــ ﷺ ــ أن رسول الله ــ ﷺ ــ أدرك عمر بن الخطاب، وهو يسير في ركـــب يحلف بأبيـــه فقال : " إلا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكـــم ، من كـــان حالفاً فليحلـــف بالله أو ليصمت".

وفي رواية قال عمر: " فوالله ما حلفت بها منذ سمعت النبي ــ ﷺ ــ ذاكراً ولا آثراً " متفق عليه. معارج القبول، حافظ الحكمي (ص٦١٥)، بتصرف يسير.

ولم يتنازع العلماء إلا في الحلف بالنبي ــ ﷺ ــ خاصة فإن فيه قولين في مذهب الإمام أحمد وبعض أصحابه . والقول الذي عليه جمهور الأئمة كمالك ، والشافعي، وأبي حنيفة .. وغيرهم أنه لا ينعقد اليمين بمخلوق البتة، ولا يقسم بمخلوق البتة.

(٢) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نور من القرآن ، عدد ٥، تاريخ ١٣٨٣هـ (ص ١٥).

بعضه كذلك وبعضه شرك أصغر، ونوع آخر محرم وبدعة شنيعة كما نص على ذلك أهل العلم [(١)].

وهكذا في بقية الأنواع التي ذكر فبعضها لا يعتبر شركاً أكبر، وإن كان بدعة خبيثة لا يفعلها إلى من في قلبه مرض.

وقد ركز الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ على أكثر تلك الأنواع شيوعاً، وأشدها خطراً على التوحيد، ألا وهو دعاء غير الله تعالى.

يقول الشيخ عليه ــ رحمة الله تعالى ــ: (الشرك بالعبادة: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾﴾[(٢)].

فمن قدم نوعا من أنـــواع العبادة إلى غير الله، أو قصد بهـــا غير وجهه فهو مشرك أثيم.

وعلى رأس العبادة يأتي الدعاء، وقد سوى القرآن في كثير من آياته بين مفهوم الدعاء ومفهوم العبادة.

تدبر قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾﴾[(٣)].

وتدبر ما قصه الله عن قول إبراهيم لأبيه وقومه: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾[(٤)].

---

(١) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ج١، ص ٦٣) التوصل إلى حقيقة التوسل (ج١، ص١٠).

(٢) (سورة الرعد : آية ٣٦).

(٣) (سورة الأحقاف : آية ٥).

(٤) (سورة مريم : آية ٤٨).

تدبر في الأحقاف: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [1] وفي ختام الأية ﴿وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [2] تدبر كيف تكرر ذكر الدعاء في قول إبراهيم ثم كيف جاء الإخبار من الله بقوله ﴿﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾﴾ [3] لتزداد يقيناً بأن القرآن يسوي بين مفهوم الدعاء ومفهوم العبادة، ولتؤمن بأن من دعا غير الله فيما هو من قدرة الله سبحانه فقد عبده من دون الله.

وكذلك من قصد بأي نوع من أنواع العبادة وجوه الخلائق لا وجه الخلاق، وستجد في القرآن آيات كثيرات تحكم بشرك من يحكم في دين الله بغير ما أنزل الله، وبشرك من يسند إلى مخلوق أنه يعرف الغيب وبشرك من يلحد في أسمائه وصفاته، ويحرف فيها الكلم عن مواضعه.

وبشرك من يسند إلى شخص بعينه سواء أكان رسولاً أم ملكاً أنه يشفع فيه يوم القيامة.

وبشرك من يطيع غير الله فيما حرم الله، وبشرك من يلوذ بالجن أو يستعين بهم)[4].

ودعاء غير الله تعالى يتضمن الشرك في الربوبية والألوهية أي أنه هو يقضي على التوحيد قضاء كلياً، فلولا ظن الذين يدعون غير الله تعالى أنه يملك بعض النفع والضر لما دعوه، وذلك شرك في الألوهية، ولولا اعتقادهم أنه ما ينفع به، وما يضر به لما دعوه، وذلك شرك في الملك وهو من أخص خصائص الربوبية.

---

(١) (سورة الأحقاف : الأيات ٥ـ٦).

(٢) (سورة الأحقاف : الأيات ٥ـ٦).

(٣) (سورة مريم : آية ٤٨).

(٤) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٦، تاريخ ١٣٨٥هـ (ص ١٦).

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (ما ظــن المشركون أن أولياءهــم يخلقون، أو يرزقون أو يملكون الحياة والموت..

وإنما كانوا يظنون أنهم يشفعون لهم عند الله، فتضرعوا إليهم مع الله بالدعاء، وبهذا ترددوا في ردغة الشرك.

لماذا؟ لأن الدعاء عبادة: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ۝٦ ﴾[1].

ولأن الدعاء خوف ورجاء، وهل يخاف إلا من يملك أسباب الضر؟ وهل يرجى إلا من يملك تحقيق النفع والرجاء؟ وهل هذا إلا بيد الرب الخالق وحده؟

فدل دعاؤهم هذا على أنهم يؤمنون بأن هنالك غير الله من يملك لهم الضر، ومن يملك لهم النفع.

أو على أنهم يدينون بأن هنالك رباً آخر له شرك في السماوات أو في الأرض، ولولا هذا ما دعوا.

ولما كان وراء الدعاء خوف ورجاء وتصميم، ويقين بأن الذين يدعونهم قادرون على أن يستجيبوا لهم، ولهذا يقول لهم الله: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ۖ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝٤ ﴾[2].

إن الذي يملك كل أسباب النفع والضر هو الخالق، والداعي لا يدعــو في خوفه أو رجائه إلا من يعتقد فيه أنه يملك له تحقيق ما يرجو، أو دفع ما يخاف مما ليس من شأنه أن تبلغه قدرة أحد غير الله سبحانه.

---

(١) (سورة الأحقاف : الأيات ٥ــ٦).

(٢) (سورة الأحقاف : آية ٤).

ولهذا يتردى الداعون لغير الله في ردغة المشركين، الشرك في الربوبية والشرك في الألوهية، لقد دعوا ــ والدعاء عبادة ــ فعبدوا غير الله فأشركوا به في ألوهيته.

وزعموا أن من دعوه يملك جلب النفع أو دفع الضر، فأشركوا بالله في ربوبيته إذ لا يملك هذا سوى من له وحده الربوبية والخالقية والرازقية.

إن توحيدهم لله في ربوبيته قولا يناقضه ذلك الشرك الذي يتردون فيه عملاً، والموحد الصادق وحدة متكاملة، يعبر تعبيراً صادقاً عن إخلاص التوحيد في العقيدة، والقول والعمل)[1].

ومما يؤكد أن من يدعو غير الله تعالى يعتقد فيه ــ وإن لم يقر بذلك ــ أنه يملك ما يدعوه له ــ وبالتالي يشرك به ــ أن فاقد الشيء لا يعطيه، لأنه ليس في مقدوره، وبالأحرى أن لا يطلب منه.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (الواقع الذي تؤيده تجارب الحياة، ويأتي به العقلاء يؤكد أن الناس حين يطلبون لا يطلبون إلا ممن يستطيع تحقيق الطلب، وأنهم لا يستدينون ممن يعلمون أن الدين يستغرق كل ما يملك، لا يطلبون من فقير غنى، ولا من محتاج حاجة، ولا من عبد سيادة، ولا من مريض شفاء، ولا من عار كساء، ولا من ظامئ لا يجد الماء رياً، ولا من عاجز أن يهب لهم القدرة، ولا من مخلوق أن يخلق لهم ما يشاؤون، ولا ممن يجهل مستقبله القريب أن يحدثهم عن غيب السماء!!

والعقل يحكم على من يهم بشيء من هذا بالسفه، والجهالة، والضلالة، والحماقة والجنون)[2].

ثم يستطرد الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ مبيناً أدلة صريحة في أن دعاء غير الله تعالى شرك أكبر مخرج من الملة ومعرياً شبه مشركي العصر، فيقول: (يقول سبحانه: ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٩، تاريخ ١٣٨٠هـ (ص ٦ــ٧).

(٢) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٩، تاريخ ١٣٨٠هـ (ص ١٣).

مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾﴾[١] والآية نص مشرق الوضوح والبيان في أن هؤلاء إنما أشركوا بسبب أنهم كانوا يدعون من دون الله.

أفي الآية حديث عن الأصنام يا عبدة الأصنام؟ أم فيها خطاب بين المشركين والله ثم بين المشركين وشركاءهم؟

أقول هذا لمن يزعم أن المشركين ما أشركوا إلا بسبب دعائهم للأصنام.

أما الذين يدعون الأولياء فليسوا بمشركين!!

والآية تدمغ هؤلاء بالإفك وقول الزور: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾﴾[٢] تدبر مجيء ولا أشرك بعد قوله أدعو ربي ليتبين لنا أن دعاء غير الله شرك في الربوبية وأيضاً هو شرك في الألوهية.

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾[٣].

هي نص صريح في أن هؤلاء ما أشركوا إلا لأنهم كانوا يدعون غير الله سبحانه.

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾[٤].

نص صريح جداً أيضاً في أن دعاء غير الله شرك أثيم.

فقد قابل دعاء الله بالشرك إذ كان يصح أن يقول: وإن يدعو غيره يؤمنوا ولكنه قال ﷻ ﴿وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟﴾[٥] ليبين لنا أن دعاء غيره شرك.

---

(١) (سورة النحل : آية ٨٦).

(٢) (سورة الجن : آية ٢٠).

(٣) (سورة الأنعام : آية ٤٠ــ٤١).

(٤) (سورة غافر : آية ١٢).

(٥) (سورة غافر : آية ١٢).

﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾[1].

وتفيد مع هذا أن المشركين لا يدعون في الحقيقة أولياء إنما يدعون ظناً[2].

وحتى لا يظن ظان أن دعاء غير الله تعالى لا يدخل فيه كبار الأولياء، أو الأنبياء، أو غيرهم بين لهم الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ أن دعاء غير الله تعالى شرك أكبر أياً كان ذلك المدعو بلا استثناء.

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (إلى من يدعو غير الله: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾[3].

ليتدبر الذين يدعون البدوي والدسوقي؛ بل ليتدبر الذين يدعون النبي ﷺ على جلاله وعظم شأنه.

فقد جاءت الآية بكلمة "من" وهي اسم موصول يفيد بصلته العموم والشمول، وليتدبر المدى الذي نفى فيه عنهم استجابة الدعاء وغفلتهم عنه، وهو يبلغ إلى يوم القيامة، ثم نفيه عنهم يوم القيامة مع إثبات عداوهم لمن كانوا يدعون.

ما صرحت الآية الأولى إلا بكلمة "يدعو"وما صرحت الأخرى إلا بكلمة "عبادهم".

ليهديك الله إلى أن الدعاء هو العبادة، وهل بعد هذا يخدعك خادع بزعمه أن المشرك ما كان مشركاً إلا لأنه كان يعبد أما من يدعو فلا يسمى مشركاً، وها أنت ترى القرآن يدمغ الداعين بأنهم مشركون.

---

(١) (سورة يونس : آية ٦٦).

(٢) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٦، تاريخ ١٣٨٥هـ (ص ١٣ــ١٥).

(٣) (سورة الأحقاف : الأيات ٥ــ٦).

والحكم على الداعين غير الله بالشرك حكم واضح جلي، ولكنه التراث الملعون الذي ورثه المشركون عن أجدادهم.

وغباء هؤلاء في شركهم واضح جداً فهم يقرون بأن هؤلاء الأولياء ليسوا شركاء لله في ربوبيته؛ فما لهم يجعلونهم شركاء لله في ألوهيته، والواضح أن من تجب له الربوبية وحده، يجب أن تكون له الألوهية كذلك؛ لأن هذه تشرق عن تلك وتابعة لها)(١).

ويقوم الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ في معرض رده على من يزعم أن دعاء غير الله تعالى شرك ــ بمقارنة فريدة بين شرك الجاهلية القديمة، وشرك عباد القبور المعاصرين فيقول: (يماري في الحق الذين يجادلون عن الباطل فيزعمون أن الله ما دمغ المشركين بالشرك إلا لأنهم:

- كانوا يدعون أصناماً.
- ويسمون معبوديهم بالآلهة .
- ويتخذونهم شركاء .
- ويعكفون على تماثيل وأوثان.

وقد وصفهم القرآن بذلك، وهذا الوصف يحدد مفهوم الشرك، ويبين سببه، ثم يقولون: أما نحن:

- فندعوا أولياء صالحين لا أصناما.
- ولا نسميهم آلهة.
- ولا نتخذهم شركاء لله.

وأقول رداً على هذا الباطل:

أولاً: هل إذا أقمت الصلاة لرسول وأديت زكاة مال لقديس أما إذا أديتهما لشيطان أكون مشركاً؟ أو الحق أن فاعل هذا مشرك في الحالين؟ ويقيني أن هؤلاء

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٥، تاريخ ١٣٨٣هـ (ص ١٣ــ١٤).

المجادلـين يدينون بأن الصـلاة للملاك كالصـلاة للشياطين أي أن كليهمـا شرك، فلم لا يقرون بهذا في الدعاء وهو مخ العبادة كما بين الرسول؟ لم لا يقرون بأن دعاء الولي كدعاء الصنم وهو أن كليهما شرك، وقد أقروا بذلك في فعل الصلاة؟ ذلك لأنهم يؤمنون بأن الدعاء ليس عبادة، وما بعد هذا مشاقة لله ولرسوله.

ثم إن الشرك هو صرف أي نوع من أنواع العبادة ـ والدعاء هو العبادة ـ إلى غير الله سواء أكان ذلك الغير رسولاً أم ملاكاً أم ولياً، كان صنماً أم وثناً أم قبراً، وسواء سميته إلها أم شريكاً أو سميته ولياً شفيعاً؛ بل حتى شيطاناً وطاغوتاً فالغيرية مطلقة غير مقيدة بشيء ولا مميزة بوصف)(١).

ويبين الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ سبب إطالته في بيان الشرك بدعاء غير الله تعالى فيقول: (وليعذرنا القراء حين نطيل الوقوف عند شيء قد يجدون إطالة الوقوف عنده مضيعة.

ليعذرونا، فقد مارسنا الشرك، ومارسنا جداله، ومارسنا تلبيسه بالباطل ليدحض به الحق، ليلوذ بالكذب الملعون، فيفتري على رسول الله ﷺ أحاديث تنص على أنه ﷺ كان رسول شرك لا رسول توحيد.

إذ يزعمون في هذه الأحاديث أنه كان يدعو إلى أن نلوذ بقبره ونستشفع بأحجاره، وبقبور آل بيته، ويقرر أن من يعتقد في حجر فسينفعه الحجر، ومعاذ الله سبحانه من هذا البهتان الأثيم)(٢).

تلك هي أهم أسباب إطالة الشيخ في بيان شرك الدعاء، ويمكن تلخيصها في نقاط على النحو التالي:

أ ـ خطورة شرك الدعاء حيث إنه مخرج من الملة.

ب ـ أنه أكثر أنواع الشرك انتشاراً في المنتسبين للإسلام.

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٦١ـ٦٢).

(٢) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٩، تاريخ ١٣٨٠هـ (ص ١٠).

ج ــ جدال أهل الباطل بشأنه، وادعاؤهم أنه ليس شركاً.

د ــ افتراؤهم أدلة من الأحاديث الموضوعة أو الضعيفة أو تحريفهم بعض الأحاديث الصحيحة عن مدلولها لتوهم القارئ بجواز دعاء غير الله تعالى.

وهي أسباب وجيهة تدعو لإفراد شرك الدعاء بكتب ومجلدات؛ فما كان بدهيا عند المسلمين في الصدر الأول، ولا يحتاج إلى استدلال لأنه معلوم من الدين بالضرورة صار اليوم يحتاج إلى جمع الأدلة بشأنه وتحريرها وشرحها حتى لا يلبس أعداء الملة على العوام بشبه باطلة مزعومة.

ولا شك أن اهتمام الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ ببيان أن دعاء غير الله تعالى شرك كان في محله، فهو أصل الشرك في الجاهلية القديمة والحديثة على حد سواء.

ومع ذلك لم يغفل الشيخ أنواع الشرك الأخرى المنتشرة في الأمة الإسلامية اليوم تحت عناوين مختلفة.

فتكلم عن طلب الشفاعة من الأولياء، وأهل القبور، وبين من خلالها أن المشركين الأول لم يكونوا يعبدون أصنامهم إلا بسبب أنهم يطلبون منهم الشفاعة، ثم أوضح غلط هذا الطرح وسخافته فقال عليه رحمة الله تعالى: (ما عبد المشركون في كل عصر صالحيهم إلا لهذه الغاية، وهي أن يشفعوا عند الله لهم، وعملهم لهذه الغاية صادر ولا ريب عن اعتقادهم في أوليائهم أنهم يملكون الشفاعة، وإلا ما دعوهم من أجلها وسألوهم إياها...

إن الشفاعة ملك خالص لله وحده، ولسنا نعلم أسماء من سيأذن لله لهم بالشفاعة عنده يوم القيامة إلا اسم محمد ﷺ ، ولكن ما في القرآن ولا في السنة أن رسول الله ﷺ يملك هذه الشفاعة، أو أنه يشفع من عنده لمن شاء فمن الشرك القول: "نسألك الشفاعة يا رسول الله" لأنك بهذا تسأله ما يملك الله وحده، ومن ضراعة الإيمان أن نقول: "اللهم إنا ندعوك أن تجعلنا ممن يستحقون يوم القيامة شفاعة رسولك محمد ﷺ بيد أن الشيطان يسول لعباده أنه لا فرق بين السؤالين، وأن التفريق بينهما تزمت وتنطع في الدين!! ثم يدفعهم إلى حرب المؤمنين بالفتنة وببهتان فيفترون عليهم أنهم ينكــــرون شفاعة محمد!!

لا يا عبيد الطاغوت ويا أحلاس الفتنة فإنا ــ والله الذي نعبده وحده ــ نؤمن أصدق الإيمان بأن الله سبحانه سيأذن للرسول ﷺ بالشفاعة يوم القيامة حين يقع تحت العرش ساجداً.

فما بالــك بمن يسألــون الأنصاب، والأصنــام، والتماثيل، ويسألــون القبور والمشاهد، ويزعمون لأربابها الشفاعة)[١].

ويورد الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ أصرح دليــل وأصحه على أن الرسول ﷺ ــ بله غيره ــ لا يملك الشفاعــة استقلالاً وهو قولــه ﷺ : " **أنا فرطكم على الحوض**" [٢] ثم يقول عليه ــ رحمة الله تعالى ــ: (أفيدل هذا على أن الرسول ﷺ مالك للشفاعة، يتصرف في ملكه كيف يشاء؟ أم أنه مأذون فيها فحسب، مقيد فيها بمشيئة الله، وبمن يعلم سبحانه أنهم مستحقون الشفاعة، فهنا في الحديث أصحاب ينازع الرسول في شأن ورودهم الحوض، ثم يغلب عليهم، ويقول الله له: "إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك " فتأمل)[٣].

ويبين الشيخ عليه ــ رحمة الله تعالى ــ الشرك الواقع في عبادات أخرى صرفت لغير الله تعالى كالتوسل والنذر والذبح والقسم فيقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (إن التوسل إلى الله بغير طاعته وأسمائه وصفاته شرك، ويدخل تحت الغير هنا كل بشر مهما علا مقداره.

والنذر لغير الله شرك: ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ٥٦﴾[٤].

أليست الجاهلية هي هي بعينها الآن؟

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٧٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض وقول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ حديث رقم ٦٥٧٦ (ج١٦، ص ٤٢٤) صحيح مسلم كتاب الفضائل باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته حديث رقم ٦١١٨ (ج٧، ص٦٨).

(٣) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٧٣ــ٧٤).

(٤) (سورة النحل : آية ٥٦).

والذبح لغير الله شرك: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾[١].

والنسك هو الذبح وإطعام الطعام والاجتماعات وتخصيص الأيام والليالي وغيرها.

والقسم بغير الله شرك " **لأن أحلف بالله كاذبا أحب إليَّ من أن أحلف بغيره صادقاً** "[٢] هذا قول ابن مسعود ﷺ فحلفه كذباً بالله معصية وحلفه بغيره شرك وشتان ما بينهما!!

ويوضح الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ بعض تلبيس إبليس على العوام، وبعض شبه كبراء المشركين الذين يدعون أهم ما لم يسموا شيئاً ما إلها فإنهم موحدون، ولو عملوا أعمال المشركين، ورددوا أقوالهم.

يقول عليه ــ رحمة الله تعالى ــ: (إن الشيطان يلبس على أوليائه المعاصرين، فيزعمون كما أوحى إليهم أن الله لم يحكم على الكفار والمشركين بالكفر أو الشرك إلا بسبب تسميتهم لبعض الأحياء أو الموتى أو غيرهم آلهة.

يزعمون أن الشرك هو هذا فحسب، أما من يعمل عمل المشركين ويسلك مسالكهم ويعبد عبادهم فلا يسمى مشركاً ما دام لم يقل عن شيء إنه إله!!

هذا وهم حقير، وشرك كبير، وتعمد للتعامي عن الحقيقة، وتلبيس لتصوير الشرك بصورةالإيمان)[٣].

ويبين الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ أن شرك الجاهلية المعاصرة أشد من شرك الجاهلية الأولى، مستقصياً معاني كلمة "إله" في اللغة ومترلاً جميع معانيها على آلهة عباد

---

(١) (سورة الأنعام : آية ١٦٢).

(٢) مصنف عبد الرزاق أبو بكر عبد الرزاق بن همام ، حبيب الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٣هـ، حديث رقم ١٥٩٢٩ (ج٨، ص٤٦٩).

(٣) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٢، تاريخ ١٣٧٩هـ (ص ١٠).

الأولياء بحسب واقع أقوالهم وأفعالهم، وإن لم يسموها آلهة بالقول الصريح؛ فقد جعلوها كذلك بالفعل.

يقول عليه ــ رحمة الله تعالى ــ في أبلغ عبارة وأدقها: (... ثم وصف الله المشركين بأنهم اتخذوا آلهة: القرآن عربي مبين يجب تفسير كلماته بما لها من معان في لغته، ويذكر معاني كلمة إله واشتقاقها في اللغة يظهر لك السبب الذي من أجله وصف الله عباد الأولياء بأنهم اتخذوا آلهة من دون الله، وكلمة إله مشتقة، إما من أله إلهة إذا عبد، أو من أله إذا تحير، أو من ألهت إلى فلان أي سكنت إليه، أو من أله إذا فزع من أمر نزل به، فآلهه صديق له أي أجاره، أو من أله الفصيل إذا ولع بأمه وهي الناقة، هذا هو اشتقاق كلمة إله في اللغة.

فعلى الأول يكون سبب وصفهم بذلك هو أنهم جعلوا لهم معبودين مع الله، وعلى الثاني: هو أنهم حيروا عقولهم في شأنهم، فلم يروهم مثلهم لله عبيداً، وعلى الثالث: هو سكون قلوبهم إلى ذكرهم، ونفوسهم إلى دعائهم، وعلى الرابع: هو فزعهم إليهم عند الشدائد،ينشدون منهم الإجارة من الكروب، وعلى الخامس: هو ولعهم الشديد بهؤلاء وشدة تعلقهم بهم.

تلك هي أهم الأسباب التي بها ــ أو ببعضها ــ وصف الله سبحانه أولئك بأنهم اتخذوا مع الله آلهة أخرى...

واليوم يعبد الناس الأولياء بالدعاء والنذر والحلف بأسمائهم والطواف حول قبورهم، فألهوهم بهذه العبادة، ولا تطمئن قلوبهم إلا بذكرهم، ولا يسكنون إلا إلى دعائهم ولا يستروحون أنسام الجنة ــ في زعمهم ــ إلا عند قبورهم، فألهوهم بهذا الذكر وهذا السكون؛ لأن الله وحده هو الذي بذكره تطمئن القلوب، ثم إنهم لا يفزعون في الملمات إلا إليهم، ولا يستجيرون من الكروب إلا بهم، فألهوهم بهذا، فليس أولياء المشركين اليوم آلهة لهم بمعنى واحد، بل بكل معنى تدل عليه كلمة إله، فهم لهم عابدون،

وفي شأنهم محيرون، ولذكرهم يطمئنون، وإليهم عند الروع يفزعون، وبهم عند الكروب يستجيرون، ويتخذونهم أولياء، والله هو الولي)[١].

ويقوم الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ ببناء معادلة متساوية الطرفين بين المشركين الأول، والمشركين المعاصرين، فيقول عليه رحمة الله تعالى: (ثم وصف الله المشركين بأنهم اتخذوا شركاء، الشريك في اللغة[٢] هو من له شركة مع آخر، أو آخرين في شيء مادي أو معنوي كما تقول: شاركت فلاناً في تجارته، أو أمره، وليس بلازم أن يكون الشريكان متساويين في الذات والصفة، ومقدار الشركة، إذ تتحقق وصف الشخص بأنه شريك آخر بأقل جهد وأقل مال، وإن كان أحدهما أميراً، والآخر عبداً.

ولما كان المشركون يدعون أولياءهم وينذرون لهم ويحلفون بأسمائهم فقد دمغهم القرآن بأنهم جعلوا لله شركاء، إذ عبدوهم بالدعاء والحلف والنذر.

ذلك ما بسببه وصف الله أولئك بأنهم اتخذوا شركاء، ومنه توقن أنهم لم يكونوا يفهمون أن أولياءهم يشاركون الله في ملكه، أو خلقه، أو قدرته، ولا فيما يجب أن يعبد به وحده، إذ كانوا لا يرون في دعاء الأولياء، أو النذر لهم، أو الحلف بهم عبادة!! تماماً كما يفهم المشركون اليوم)[٣].

ويقول في موضع آخر عن نفس المقارنة والمعادلة بين المشركين الأولين ومشركي المتصوفة المعاصرين: (نذكر لك عقيدة مشركي الجاهلية، لتقارن بينها وبين عقائد المشركين اليوم، وأترك لك الحكم أي العقيدتين أشد إيغالا في الشرك من الأخرى؟

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[٤]

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٦٣ــ٦٤) بتصرف يسير.

(٢) راجع : الصحاح للجوهري (ج٥، ص٢٧٩). تهذيب اللغة (ج١٠، ص ١٣).

(٣) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٦٥) بتصرف.

(٤) (سورة يونس : آية٣١).

﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾[(١)].

إيمان بالشاهد والغائب، وتوحيد كامل لله في ربوبيته، إيمان كله يقين بأن الله هو الخالق الرازق المدبر مالك السماوات والأرض رب العرش العظيم، بيده ملكوت كل شيء يجير عباده، ولا يجار أحد منه إذا لم يجره سبحانه.

اتل الآيات وتدبرها في لحظات مؤمنة فياضة بالخشية، ثم قارن بين عقيدة أولئك، وعقيدة المتصوفة الذين يلعنون الشرك والمشركين، ويزعمون أنهم المثل العليا لأحبة الله الربانيين، سلهم عن أقطابهم كيف يدبرون الأمر؟ وعن أهل تصرفهم فيمن يتصرفون؟ وعن محكمتهم الباطنية فيمن تحكم؟! وسلهم وسلهم، أو أقرأ ــ إذا شئت أن توقن بما أقول ــ كتبهم.

عند الشدة كان المشرك يخلص لله الدين : ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾[(٢)] كانوا إذا مسهم ضر دعوا الله سبحانه، ودعوا أولياءهم؛ فإذا ما حزب الأمر أخلصوا لله الدعاء فلا يستجيب لهم ممن يدعونهم إلا ربهم الرحمن الرحيم، وفي علمه ــ جل شأنه ــ أنهم سيشركون به مرة أخرى ولكنه فياض الجود والرحمة سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ

---

(١) (سورة المؤمنون : الأيات ٨٤ ــ٨٩).

(٢) (سورة الإسراء : آية ٦٧).

لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴿٢٣﴾﴾[1] ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾[2] ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾[3].

نفهم من هذه الآيات أن المشركين كانوا يخلصون الدعاء لله عند الشدة، ونفهم أن شركهم كان سببه عدم إخلاصهم الدعاء لله، ونفهم أن إخلاص الدعاء لله هو إخلاص الدين له سبحانه، وإخلاص الدين هو روح التوحيد.

فأين هذا مما يعتقده الناس اليوم في أوليائهم من زعمهم أنهم بيدهم الأمر، وانهم أحياء في قبورهم، وأنهم يخرجون منها أحياناً لقضاء حوائج الخلق في الدنيا!! قوم إبراهيم ما استطاعوا ادعاء النفع والضر، واستماع الدعاء لمن يدعوهم، أما هنا وهناك فاسمع للأقطاب يزعمون للأقطاب[4] القدرة على الرزق والإحياء والإماتة وتدبير أمر السماوات والأرض ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾[5])[6].

---

(١) (سورة يونس : الأيات ٢٢ــ٢٣).

(٢) (سورة العنكبوت : آية ٦٥).

(٣) (سورة لقمان : آية ٣٢).

(٤) الظاهر ــ والله تعالى أعلم ــ أن مقصود الشيخ بالأقطاب الأولى : السادة من باب السخرية بهم ، وأما الثانية فهو المصطلح الصوفي المعروف ، وأصل القطب نجم تدور عليه الأفلاك كما يقول أهل اللغة . وراجع : القاموس المحيط (ج١، ص١٦١).

(٥) (سورة غافر : الأيات ١٢ــ١٤).

(٦) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص٨١ــ٨٤) بتصرف.

ويستقصي الشيخ أسماء المعبودين من دون الله تعالى مبيناً المعاني اللغوية والشرعية لتلك المسميات من وثن وصنم وولي وطاغوت وغيرها، وموضحاً أن أصل الشرك إنما كان بتعظيم الصالحين راوياً حديث ابن عباس وغيره في شأن ودا وسواع ويغوث ويعوق ونسرا ثم يقول تنزلت عليه شآبيب الرحمة: (ومما سبق ذكره من بيان الأسباب التي وصفهم الله من أجلها بأنهم عباد آلهة، ومتخذوا شركاء، وعباد أصنام وأوثان وتماثيل، نؤمن أن ذلك كله ناتج عن عبادة الولي، وأن الفتنة بالصالحين هي سبب الشرك؛ فإذا ما رأيت اختلافاً في التعبير عما يعبده المشركون، فذلك لاختلاف الاعتبارات، وإلا فالشيء المعبر عنه واحد، فمعبودهم يوصف بأنه ولي باعتبار ما فهموه فيه، ويوصف بأنه شريك باعتبار أنهم أشركوه في العبادة مع الله، وبأنه إله باعتبار أنهم ألهوه بكل معاني التأليه، وبأنه وثن أو صنم أو تمثال باعتبار المشاهد المحس، أو باعتبار ما أقيم باسم الولي المعبود، ويوصف بأنه طاغوت باعتبار أنه أضلهم، أو ضلوا هم به، وبالشيطان باعتبار أنه مصدر الإغراء بعبادة هذا المعبود.

وتوصف معبوداتهم بأنهم أسماء لا وجود لمسمياتها باعتبار الحقيقة حيث سموهم أولياء، والله هو الولي، وشفعاء والله هو الذي يملك وحده الشفاعة ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۝٤٠﴾[1].

فلا يفتنك المشركون بكثرة الأوصاف فإنها لموصوف واحد، هو "غير" معبود من دون الله، ولا باختلاف التعابير، فالحقيقة المعبر عنها واحدة)[2].

شبهات وردها:

إن أهل الباطل لا يتكلون في استدلالهم إلا على شبه لا تسمن ولا تغني من جوع، وليست سوى خيوط أوهام أوهى من بيت العنكبوت، ومن شبههم التي يرددون مراراً وتكراراً، قولهم إن المسلم الناطق بالشهادتين لا يوصف بالشرك ولو قال ما قال

---

(١) (سورة يوسف : الآية ٤٠).

(٢) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص٧١ــ٧٢) بتصرف.

وفعل ما فعل، وأن كل ما في كتاب الله تعالى ــ والحالة هذه ــ من الآيات التي تصف الشرك وأهله إنما هي خاصة بالمشركين الأولين.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ مبيناً شبهتهم هذه وراداً عليها: (يخدع سدنة الطواغيت عبيدها، فيقصون عليهم أن آيات الكتاب التي تحذر من الشرك، وتتوعد المشركين باللعنة والغضب والخلود الأبدي في السعير، إنما هي خاصة بمشركي الجاهلية.

أما نحن فلا صلة لها بنا، لأنا بالشهادتين ننطق!!

والذي يفتري هذا الكفر يريد به تخصيص شريعة الله بمن نزل القرآن في عهدهم!!

وإذا كانوا يقولون ذلك عن الآيات التي تنهى عن الشرك وتحذر منه، فلم لا يقولون مثله عن الآيات التي تدعو إلى الإيمان وتأمر به؟ ألا إنه السعار يشتد بصاحبه حتى يعض نفسه!!)[1].

ويسترسل الشيخ في الرد على شيخ من شيوخ التجديد المدافعين عن عباد الأولياء، والمستغيثين بالقبور، حين ادعى أن التوسل بالحق والجاه أمر شرعي لا شركي.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ ناقلاً تلك الشبهة اللئيمة وراداً عليها: (... ثم تأنق الشيخ فأرسل من على منصته حكم شريعة هواه، فقال: ما من شك في جواز التوسل بالحق والجاه، كأن أقول: اللهم بجاه فلان عندك ــ أو حقه ــ إلا ما قضيت لي حاجتي!!

وما أدري كيف استطاع الشيخ أن يتناسى ما درسه عن حروف الجر، وأن للباء أربعة عشر معنى[2] لا يصلح منها هنا إلا أن تكون الباء للقسم، فالقائل بجاه فلان يا رب أو بحقه إنما يقسم على الله والقسم على الله بذلك فيه أمران خيرهما شرك: اعتقاد أن الله يغير ويبدل ما يريد تبعا لما يريد المقسِم عليه بالبشر.

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٧٦).

(٢) راجع : مغني اللبيب (ج١، ص ١٣٧).

الأمر الثاني: المخالفة الصريحة للنص القاطع بالنهي عن الحلف بغير الله)[١].

ويمكن تلخيص رد الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ على تلك الشبهة من ذلك المدافع عن المشركين المعاصرين في نقاط هي:

أ ــ أن الباء في قوله: بحق فلان أو بجاه فلان هي باء القسم.

ب ــ أنها إذا كانت قسماً فإنه لا يجوز أن يقسم على الله تعالى بأحد من خلقه[٢].

ج ــ أن الباء على فرض أنها للسببية ــ وإن كان ذلك مخالفا لحقيقتها النحوية في الجملة المذكورة ــ فإن الله لم يجعل من أسباب دعائه والحصول على مبتغى الإنسان إلا ما كان بأحد أمور ثلاثة :

- التوسل إليه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا.
- التوسل إليه بدعاء الرجل الصالح الحي.
- التوسل إليه بعمل الإنسان نفسه لا بعمل غيره.

وكل تلك الأسباب منتفية في الجملة المذكورة فجاه المقسم به ليس من كسب الإنسان وسعيه، وليس إسماً من أسماء الله تعالى ولا صفة من صفاته، ولا هو دعاء صالح حي.

د – أن الشيخ نفسه الذي يدافع عن قائلي تلك المقالة حنفي المذهب متعصب لمذهبه في دقائق العبادات كفرائض الوضوء والغسل وسننهما ومندوباتهما ولا يستطيع ولا يقبل مخالفة إمامه في شيء من ذلك وإن كان مذهبه مرجوحاً، فكيف يخالفه في

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٧٧ــ٧٨).

(٢) راجع : الرد على البكري أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ت : محمد علي عجال ، مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ. (ج١، ص١٥٤) و إغاثة اللهفان ، محمد بن أبي بكر الزرعي المعروف بابن قيم الجوزي ، ت : محمد حامد الفقي ، دار المعرفة، بيروت الطبعة الثانية ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م. (ج١، ص٢١٦).

أس الدين وأساسه وهو التوحيد، فإن أبا حنيفة ــ رحمه الله تعالى ــ وأجل صاحبيه يمنعان التوسل إلى الله بحق فلان أو بجاه علان [(١)].

ثم يورد الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ ما يعتذر به بعض من يدعي العلم عن أولئك المشركين، مدافعاً عنهم ــ بحسن نية أو بسوئها ــ، ثم يرد عليه رداً محكماً ويلخص أعذارهم الواهية في نقاط منها:

أ ــ ادعاء الجهل.

ب ــ ادعاء عدم قصد الشرك بتلك الأقوال والأفعال، ويستدلون على تلك الشبهة الدنيئة بقوله ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ :"إنما الأعمال بالنيات" وبئس الفهم.

ويركز الشيخ في رده عليهم على نقطتين مهمتين:

الأولى: عدم العذر بالجهل في بـــاب التوحيد، وهو مما علم من الدين بالضرورة فلا عذر لأحد بجهله.

"... وهذه المسألة تحتاج إلى تفصيل؛ فنقول : الجهل نوعان :

جهل يعذر فيه الإنسان، وجهل لا يعذر فيه، فما كان ناشئاً عن تفريط وإهمال مع قيام المقتضي للتعلم؛ فإنه لا يعذر فيه، سواء في الكفر، أو في المعاصي، وما كان ناشئاً عن خلاف ذلك، أي لم يهمل، ولم يفرط، ولم يقم المقتضي للتعلم بأن كان لم يطرأ على باله أن هذا الشيء حرام ؛ فإنه يعذر فيه، فإن كان منتسباً إلى الإسلام؛ لم يضره ، وإن كان

---

(١) للتوسع يراجع : تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس، عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين ١٢٨٢هـ ، ت: عبد السلام بن برجس العبد الكريم، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م (ج١، ص١٩١) وجهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ، أبو عبد الله شمس الدين بن محمد ابن أشرف بن قيصر الأفغاني (المتوفى ١٤٢٠هـ، دار الصميعي، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م (ج٢، ص١١٢٣).

منتسباً إلى الكفر؛ فهو كافر في الدنيا، لكن في الآخرة أمره إلى الله على القول الراجح، يمتحن، فإن أطاع دخل الجنة، وإن عصى دخل النار ..." [(١)].

الثانية: قدرتهم على التعلم والحفظ والفهم، بدليل ما يحفظون ويفهمون من الأوراد والصلوات الشركية التي يمليها عليهم شيوخهم في الضلالة ودقة تمييزهم لتلك الأمور الشركية والبدعية، وعدم وقوع أغلاط منهم في أدق تفاصيلها.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (يحاول بعض من يلبسون مسوح التجديد الدفاع عن عباد القبور؛ فيعتذرون عنهم بأنهم عوام جهلة وأقول لهؤلاء: إن جهل حقيقة التوحيد على العهود التي يأخذونها عليهم، ويحفظون جيدا ما يلقنه لهم ساداتهم من "أوراد" وصلوات شركية، وأنباء المعجزات والكرامات لآلهتهم، ويسألون كل يوم متى يكون "مولد" السيد، ورجبيته، ومتى يكون عيد الدسوقي، ومتى يكون "يوم الكنسه" أفمن عنده العلم بهذا والقدرة على التعلم نعتذر عنه بالجهل، ولا نطالبه بأن يعي جيدا، وبأن يتدبر آيات ربه، ويتعلم كيف يوحد ربه في ربوبيته وألوهيته، ومن عجب بعض المعتذرين أنهم أساتذة في "كلية الحقوق" التي تقرر مبدأ مهما في القانون "الجهل بالقانون لا يعفي من العقوبة"[(٢)]، فهل يستطيع الشيخ المجدد أن يعتذر حتى عن سارق جائع فقير بأنه كان يجهل عقاب السارق في القانون؟ هذا على فرض أن من يدعون القبور عوام جهلة، بيد أن منهم أحباراً كباراً وعباقرة حواش ومتون!!)[(٣)].

هكذا إذن يبين الشيخ هذه الافتراءات التي يزعمونها، ثم يفندها تفنيد الخبير المتقن، فيفرض ــ جدلاً ــ أن عباد القبور عوام جهلة، ثم يرد على ذلك بالأدلة الشرعية، والقانونية لمن لا يؤمنون بالشرع، رداً عقلانياً مقنعاً، ثم يبين أنهم في الحقيقة

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين، ط٢، ١٤٢٤هـ، دار ابن الجوزي، الرياض (ج١، ص ١٧٣) .

(٢) وتتكرر هذه القاعدة في جميع القوانين الوضعية، والدساتير بهذا اللفظ أحياناً وبلفظ : لا عذر لأحد في جهل القانون .

(٣) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٥٧ــ٥٨).

ليسوا عواماً ولا جهلة بل منهم العلماء الكبار، المتفننون في شتى المعارف الإسلامية من لغة وأصول وقرآن وحديث، ومنهم حافظوا المتون، وشروحها وحواشي الشروح؛ بل وحواشي الحواشي.

فالقضية إذن ضلال مقصود أو غير مقصود، والمهم أن الجهل بريء من هذا الضلال براءة الذئب من دم يوسف.

ويبين الشيخ استدلالهم الثاني بعدم القصد، أو بحديث "إنما الأعمال بالنيات" فيقول عليه ــ رحمة الله تعالى ــ: (... ومن أدلة الشيخ على زعمه أن هؤلاء الداعين للقبور لا يعتقــدون أنه شرك "إنما الأعمال بالنيات "!! وهذه هي حال المشركين وفتنتهم عند الله يوم القيامة ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾[١] والله سبحانه يذكر لنا في كتابه أن المشرك يوم القيامة لن ينفعه اعتذار بجهل ولن يعفيه من العقاب دعوى أن علماءه أضلوه ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾﴾[٢] فهل أعفى الجهل هؤلاء من تقليب وجوههم في النار؟! هل أعفاهم اعتذار بأنهم وثقــوا بعلم سادتهــم وكبرائهم فأضلوهم، وما كانوا يريــدون ضــلالاً أو يحســبون متابعتهم ضــلالاً؟ وهل يضــل عوامنا اليوم ــ وهل ضلوا قبل اليوم ــ إلا بطاعتهم للكهان والأحبار؟)[٣].

فتراه يرد على دعوى عدم القصد هذه، أو عدم نية الشرك بنقطتين في غاية الدقة والعلمية:

---

(١) (سورة الأنعام : الأيات ٢٢ــ٢٣).

(٢) (سورة الأحزاب : آية ٦٦).

(٣) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٥٨).

الأولى: أن المدافعين عن عباد القبور المعتذرين عنهم بعدم وجود نية الشرك عندهم لم يطلعوا على ما في قلوبهم حتى يعرفوا هل عندهم نية لأفعالهم وأقوالهم تلك؛ إذ لا يعلم ما في القلوب إلا الله.

والثانية: أن الواقع يثبت عكس ذلك، وهو أنه لا بد لكل فعل وقول من نية يصدر عنها باعث يسببه.

يوضح الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ هذا المعنى فيقول: (... وأقول كذلك: هل سبرتم أغوار قلوبهم؛ فرأيتم ما استكن فيها من شعور واعتقاد فيمن يدعوهم؟ فلا بد وراء كل قول أو عمل من باعث يصدر عنه، وغاية إليها يتوجه، إلا قول وعمل المجانين، والداعون للقبور ليسوا بمجانين، بدليل أنهم يتصرفون في شؤون الدنيا والمال تصرفا يشهد لهم بالحذق والبراعة[1]، وهذا يثبت ــ ولا ريب ــ أن وراء دعائهم للموتى نية، وفي نفوسهم شعور تام بما يفعلون ولهم غاية إليها يتوجهون، واعتقاد في موتاهم أنهم يملكون ما يسألون ولهذا يلحون في دعائهم ليستجيبوا لهم عند ربهم، وهذا هو الشرك)[2].

وبعد تفنيد الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ لتلك الشبه والأباطيل، يبين الشيخ نهاية الشرك، وعاقبة المشركين وحواراتهم العقيمة يوم القيامة، محذراً من تلك العواقب، ومنبها على أن الهروب من ذلك الموقف المخزي إنما يكون الآن، قبل أن يحصل الندم يوم القيامة، ولات ساعة مندم.

يقول عليه ــ رحمه الله تعالى ــ: (وسيجد المشركون في البحث عن شفعائهم يوم القيامة، ويقولون: ﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟

---

(١) فهم من أكثر الناس جمعا للمال، وخبرة في تكديسه واستثماره بما يزيده، وينميه، وبطرق شرعية وغير شرعية، وهذا يدل على أنهم ليسوا مجانين، بل لهم عقول، وإن لم تغن عنهم شيئاً، كما قال تعالى: ﴿... فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ ...﴾.

(٢) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٦٠).

لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[1] وما هي إلا لحظة تفجؤهم بعدها الحقيقة الرهيبة الصاعقة، ثم تقحمهم في السعير الزبانية، فتشويهم جهنم شيا، فيصرخون ثائرين في وجوه من ألهوهم في الدنيا، وأضلوهم: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾[2] فيا له من مصير!! نعوذ بوجهك الذي أشرقت له الظلمات يا رب العالمين)[3].

---

(١) (سورة الأعراف : الآية ٥٣).

(٢) (سورة الشعراء : الأيات ٩٧ــ٩٨).

(٣) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٧٥ــ٧٦).

المبحث الخامس

جهوده في بيان بعض مظاهر الشرك الواقعة في الأمة الإسلامية

لقد اهتم الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ ببيان مظاهر الشرك المنتشرة في الأمة الإسلامية بياناً شافياً، حرصاً منه ــ رحمه الله تعالى ــ على هداية الناس للحق بأحسن عبارة وأجملها وأدقها.

وقد بين في المباحث السابقة بعض الانحرافات الشركية[1] بما أغنى عن إعادته هنا، وبالمقابل ركز هنا على مظاهر لم يتعرض لها في السابق بشكل مفصل كما هي هنا.

ويشير الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ إلى أنه ليس بصدد الإحاطة والإحصاء لكل مظاهر الشرك ولكنه سوف يبين بعضها غير ما بين سابقاً:

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (لست في سبيل الإحاطة بما يتفشى اليوم بين المسلمين من صور الوثنية الجاهلية وعاداتها؛ بل بسبيل إشارة تغني عن العبارة، ومن مظاهر الشرك غير ما قدمت)[2].

ثم أخذ يعددها ويوضح أدلتها من الكتاب والسنة على النحو التالي:

١ ـ **الإفتاء بغير الكتاب والسنة**: من الشرك الآثم، وادعاء الربوبية الإفتاء في دين الله بغير كتاب الله وسنة رسوله، فإذا أفتى عالم بحكم يعلم أنه يخالف الكتاب والسنة كان ممن يفترون على الله الكــذب، والله يقول: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾[3] ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ

---

(١) كالشرك بدعاء غير الله تعالى، والنذر لغيره، والحلف بغيره، وطلب الشفاعة من غيره .

(٢) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٩٩).

(٣) (سورة النحل : الآية ١١٦).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٤﴾[١] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٧﴾[٢].

ويتوعدهم سبحانه بالويل واستئصالهم بالعذاب: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ٦١﴾[٣] والمفتي بغير ما شرع الله وهو على بينة من كتاب الله وسنة رسوله أخبث من يفترون الكذب على الله.

ولهذا حكم الله سبحانه بكفره: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ١٠٥﴾[٤].

أما إذا نصب نفسه للإفتاء بدين الله وهو لا يعلم أحكام الشريعة من الكتاب والسنة؛ فهو ممن يقولون على الله بغير علم، والقول على الله بغير علم أشد وأخبث من الشرك: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٣٣﴾[٥] ذكر تحريم القول على الله بغير علم بعد ذكر تحريم الشرك دليل على أنه أخبث وأشد خطراً؛ لأن أثره يتعدى إلى غير صاحبه ممن يتخذون هذا المفتي رباً، فيشركون كما أشرك، ويقولون للناس ما قاله على الله بغير علم، ولأنه عمل الشيطان، إذ يحذرنا الله منه بقوله: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ١٦٩﴾[٦].

---

(١) (سورة الأنعام : الآية ١٤٤).
(٢) (سورة الصف : الآية ٧).
(٣) (سورة طه : الآية ٦١).
(٤) (سورة النحل : الآية ١٠٥).
(٥) (سورة الأعراف : الآية ٣٣).
(٦) (سورة البقرة : الآية ١٦٩).

ويقول ــ عليه الصلاة والسلام ــ كما جاء في مسلم: " **قال الله تعالى: إني جعلت عبادي حنفاء، فاجتالتهم الشياطين، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا** " (١).

كلام الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ هنا عام قد يفهم منه الحكم بالشرك على كل الفقهاء المقلدين.

وإذا ترك كلامه هكذا على العموم كان من الغلو في ذم المقلدين المتعصبين المخالفين للكتاب والسنة؛ ولذلك تحتاج المسألة إلى شيء من الإيضاح والتفصيل .

فمن قصد المحادة والمشاقة والخروج عن شرع الله وتنصيب نفسه مشرعاً فقد وقع في الشرك لأنه بدل شريعة الله وهو عالم معرض عنها معتقداً أن غيرها خيراً منها .

أما من رغب عن كتاب الله وسنة رسوله ــ ﷺ ــ إلى مذهب أو شيخ ونحو ذلك من جفاه المقلدين فقد وقع في التقليد المحرم " إلا أن التقليد قبل بلوغ الحجة لا يزم، إنما المذموم المنكر الحرام : الإقامة على ذلك بعد بلوغ الحجة ، نعم ! وينكر الإعراض عن كتاب الله وسنة رسوله ــ ﷺ ــ والإقبال على تعلم الكتب المصنفة في الفقه إستغناء بها عن الكتاب والسنة " (٢).

ومن اجتهد وهو لا يريد مخالفة كتاب الله وسنة رسوله ــ ﷺ ــ وأخطأ في إجتهاده فهو معذور " وأنا لا أقول : نأخذ بكل ما قاله الفقهاء لأنهم قد يصيبون وقد يخطئون ، بل يجب أن نأخذ بكل ما قاله الله ورسوله ــ ﷺ ــ ، ولا يوجد حال من الأحوال تقع بين الناس إلا وفي كتاب الله وسنة رسوله ما يزيل إشكالها ويحلها ولكن الخطأ إما من نقص العلم أو الفهم هذا قصور ، أو نقص التدبر وهذا تقصير ، أما إذا وفق الإنسان بالعلم والفهم وبذل الجهد في الوصول إلى الحق ؛ فلابد أن يصل إليه ... " (٣).

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص١٠٠). والحديث مخرج في صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار، حديث رقم ٧٣٨٦ (ج٨، ص١٥٨).

(٢) تيسير العزيز الحميد في شرح، كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله ، (ص ٤٧٣) .

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين (ج ٢، ص ١٦١).

وعلى كل مسلم أن يحذر من مخالفة كتاب الله وسنة رسوله ــ ﷺ ــ ويجب عليه أن يقدم قول الله ورسوله على كل قول " بل الفرض والحتم على المؤمن إذا بلغه كتاب الله وسنة رسوله ــ ﷺ ــ وعلم معنى ذلك في أي شيء كان أن يعمل به ولو خالفه من خالفه ، فبذلك أمرنا ربنا تبارك وتعالى ونبينا ــ ﷺ ــ ، وأجمع على ذلك العلماء قاطبة الإجهال المقلدين وجفاهم ، ومثل هؤلاء ليسوا من أهل العلم .. "[١].

٢ ـ **أخذ الدين من الأحبار والرهبان:** ومن الشرك في الألوهية، بل في الربوبية أخذ الدين مما يشرعه الناس، لا مما شرعه الله وبينه في كتابه، وفصلته سنة رسوله، وبمعنى أصرح: من العلماء الذين يتقيدون في دينهم بمذهب خاص يرونه الحق كله والهدى كله؛ فالله سبحانه يقول عن اليهود والنصارى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[٢].

وما قال واحد من اليهود أن ربه حبر، ولا من النصارى أن راهبا ربه.

ولكن الله سبحانه وصفهم بذلك لأنهم تركوا ما شرع الله سبحانه وراحوا يأخذون أحكام دينهم من أولئك الأحبار والرهبان.

ثم نقل ــ رحمه الله تعالى ــ تفسير ابن كثير لهذه الآية وتفسير النبي ﷺ لها بأنه اتبعوهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال ثم نقله عن ابن عباس وحذيفة بن اليمان وغيرهم.

ثم قال الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ معقباً على تفسير النبي ﷺ لهذه الآية: (وما بعد بيان رسول الله ﷺ بيان، ولا بعد معرفته بكتاب الله معرفة وما إخالك إلا مؤمناً مع الحق بأن أخذ أحكام الدين من غير كتاب الله وسنة رسوله شرك في ربوبية الله سبحانه بما بين لك الرسول الصادق الأمين في تفسير الآية)[٣].

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح، كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله، (ص ٤٧٢) .

(٢) (سورة التوبة : الآية ٣١).

(٣) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٠١ــ١٠٢).

ولا شك أن التعصب لمذهب معين قد حاربه علماء الأمة المخلصون عبر التاريخ وبينوا أن كل مذهب مهما كان فيه من مسائل صحيحة موافقة للراجح حسب الأدلة ، ففيه أمور جانبه الصواب فيها.

وتلخيص ذلك كله هو ما قاله الإمام مالك ــ رحمه الله تعالى ــ : ما منا إلا راد ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر صلوات الله وسلامه عليه.

أما تحريم الحلال البين وتحليل الحرام البين طاعة للمخلوق وجعله هو الشرع هذا هو الشرك ، وليس التأول الموجود عند المتعصبين من الفقهاء.

ولضبط كلام الشيخ الوكيل ــ رحمه الله ــ هنا لابد من بيان أحوال اتباع العلماء أو الأمراء في تحليل ما حرم الله أو العكس.

" وأعلم أن اتباع العلماء أو الأمراء في تحيل ما حرم الله أو العكس ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : أن يتابعهم في ذلك راضياً بقولهم ، مقدماً له ، ساخطاً لحكم الله ؛ فهو كافر لأنه كره ما أنزل الله فأحبط الله عمله ، ولا تحبط الأعمال إلا بالكفر ، فكل من كره ما أنزل الله ؛ فهو كافر .

الثاني : أن يتابعهم في ذلك راضياً بحكم الله وعالماً بأنه أمثل وأصلح للعباد والبلاد ، ولكن لهوى في نفسه اختاره ، فهذا لا يكفر ، ولكنه فاسق وله حكم غيره من العصاة .

الثالث : أن يتابعهم جاهلاً ، فيظن أن ذلك حكم الله فينقسم إلى قسمين :

أ ــ أن يمكنه أن يعرف الحق بنفسه ؛ فهو مفرط أو مقصر ، فهو آثم ؛ لأن الله أمر بسؤال أهل العلم عند عدم العلم .

ب ــ أن لا يكون عالماً ولا يمكنه التعلم فيتابعهم تقليداً ، ويظن أن هذا هو الحق ، فهذا لا شيء عليه لأنه فعل ما أمر به وكان معذوراً بذلك .

فإن قيل : لماذا لا يكفر أهل القسم الثاني؟

أجيب : أننا لو قلنا بكفرهم لزم من ذلك تكفير كل صاحب معصية يعرف أنه عاص لله ويعلم أنه حكم الله " (١) .

٣ـ العرافة والكهانة وادعاء معرفة الغيب (٢) :

يبين الشيخ من خلال كلامه على هذه النقطة أموراً مهمة يمكن تلخيصها على النحو التالي:

أ ـــ ادعاء معرفة شخص ما الغيب ـــ لنفسه أو لغيره ـــ شرك.

ب ـــ العرافة والكهانة والتنجيم من ادعاء الغيب؛ فهي إذن شرك.

ج ـــ الرسل والملائكة لا يعلمون من الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه لحكمة إلهية، أما غير ذلك فلا يعلمونه.

د ـــ الجن لا يعلمون الغيب، بدليل مكوثهم في العذاب المهين في قصة سليمان ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ.

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين ، (ج ٢، ص ١٥٧) بتصرف يسير .

(٢) "الشرك بدعوى علم الغيب، أو باعتقاد أن غير الله تعالى يعلم الغيب ، فكل ما لم يطلع عليه الخلق ولم يعلموا به بأحد الحواس الخمس فهو من علم الغيب .

فمن أدعى أن أحداً من الخلق يعلم الغيب فقد وقع في الشرك الأكبر المخرج من الملة ، لأن في ذلك ادعاء مشاركة الله تعالى في صفة من صفاته الخاصة به ، وهي "علم الغيب" ومن أمثلة الشرك بدعوى علم الغيب :

أ ـــ اعتقاد أن الأنبياء أو أن بعض الأولياء والصالحين يعلمون الغيب .

ب ـــ الكهانة : والكاهن هو الذي يدعي أنه يعلم الغيب .

ج ـــ اعتقاد بعض العامة أن السحرة أو الكهان يعلمون الغيب ، أو تصديقه لهم في دعواهم معرفة ما سيقع في المستقبل .

د ـــ التنجيم : وهو الاستدلال بالأقوال الفلكية على الحوادث المستقبلة ".

تسهيل العقيدة الإسلامية ، عبد الله الجبرين ، ط ٤ ، دار الأصمعي ، الرياض ، ١٤٢٩هـــ (ص ٢١١) بتصرف .

ثم يورد الشيخ الأدلة من القرآن الكريم على كل ذلك ومنها:

ـ ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾(١).

ـ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾(٢).

ـ ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾﴾(٣).

ـ ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾(٤).

ـ ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ ﴿٢٥٥﴾﴾(٥).

ـ ﴿قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾(٦).

ويقول تعالى في شأن محمد ﷺ وهو أفضل خلق الله تعالى: ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ۚ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾(٧).

---

(١) (سورة النمل: الآية ٦٥).

(٢) (سورة آل عمران: الآية١٧٩).

(٣) (سورة يونس: الآية٢٠).

(٤) (سورة الجن: الآية٢٦).

(٥) (سورة البقرة: الآية٢٥٥).

(٦) (سورة الأنعام: الآية٥٠).

(٧) (سورة الأعراف: الآية١٨٨).

وينبه الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ على أنه إذا كان هذا شأن محمد ﷺ ؛ فما بالك بالفساق الزنادقة المخابيل، وهم يقسمون أنهم يعلمون الغيب، وأنهم يطلعون على اللوح المحفوظ، وأنهم حينما يقترفون فاحشة ما من زنى أو غيره، فذلك لأنهم اطلعوا عليها مكتوبة عليهم في اللوح المحفوظ.

ثم يتساءل الشيخ: أليسوا بهذا يصرحون بأنهم أفضل من رسول الله ﷺ؟

ثم ينقل الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ تعريف الكاهن والعراف عن ابن الأثير في النهاية، مبيناً من خلال ذلك التعريف أنه ينطبق على كثير من المتصوفة.

يقول ــ رحمه الله ــ: (والكاهن "هو الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار "

والعراف : "هو من يزعم أنه يعرف المور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواضعها من كلام من يسأله أو فعله")[١].

ثم يورد الأدلة على شرك الكهان والعراف؛ بل على كفر من صدقه في ادعائه علم الغيب، والأدلة التي ذكر ــ رحمه الله تعالى ــ هي:

ــ قوله ﷺ : "**من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد** "[٢].

ــ قوله ﷺ : " **العيافة والطيرة والطرق من الجبت** "[٣] .

ثم يقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (والطيرة هي التشاؤم من الفأل الرديء، وأخس مظاهرها الوثنية الآن: فتح الصحف ليأخذ الشخص فأله من أول آية يقع عليها

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٠٤).

(٢) السنن الكبرى، ت :محمد عبد القادر عطا، كتاب جماع أبواب كفارة القتل، باب تكفير الساحر وقتله إن كان ما يسحر به كلام كفر صريح حديث رقم ١٦٢٧٣ (ج٨، ص١٣٥).

(٣) سنن أبي داود، كتاب الطب، باب في الخط وزجر الطير، حديث رقم ٣٩٠٩ (ج٤، ص٢٣) وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود.

بصره،والعيافة زجر الطير، والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها، والطرق: الضرب بالحصا الذي يفعله النساء أو الخط في الرمل،"ضرب الرمل والودع" ولهذا كله نظائر وأشباه وإن اختلفت الأسماء، وكلها منتشرة اليوم، لا بين الجهلة والعوام؛ بل بين ذوي الجاه العريض، وذوي الشهادات الكبيرة!!

وبخاصة "قراءة الكف" و"تحضير الأرواح"، ولست أدري أي رجل هذا الذي يقدم كف امرأته لشيطان يطالع فيها الإثم والفتنة ويثيرهما؟

أما التنجيم، أو ما يسميه الفلكيون: طوالـــع المواليد، فإليك من هدي الرسول ما يكشف لك عنه: "**ومن اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد** "[(١)](٢).

٤ـ السحر:

يبدأ الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ كلامه عن السحر وكونه مظهراً من مظاهر الشرك بتعريف السحر ناقلاً تعريفه عن الراغب في مفرداته[٣]، وابن فارس في معجمه[٤] والفيروزابادي في قاموسه[٥] وابن الأثير في النهاية[٦] والرازي في تفسيره[٧] وهم شبه مجمعين على أن السحر مختص بكل ما يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته، ويجري مجرى التمويه والخداع، ثم يقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (هذا هو معنى السحر في اللغة التي شرفها الله فنزل بها كتابه وهو غير ما يفهمه الناس فيه، إذ يفهمون في السحر أنه قوة

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الطب، باب في النجوم، حديث رقم ٣٩٠٧ (ج٤، ص٢٢) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي دواد.

(٢) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٠٢ــ١٠٥).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن ، الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم ، دار القلم، دمشق (ج١، ص٤٦٣).

(٤) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (ج٣، ص١٣٨).

(٥) القاموس المحيط، للفيروز آبادي (ج١، ص٥١٨).

(٦) النهاية في غريب الأثر، لابن الأثير (ج٢، ص٨٧٥).

(٧) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هــ/٢٠٠٠م ، (ج٣، ص١٨٧).

خفية تدمر وتنسف وتهلك، ولا يقف في وجهها حتى القدر!!.. وقد وسوس الشيطان بهذا إلى أوليائه وادعاه من البشر جنوده، ومضـــى عبيدهم يرجفون بأنباء قدرتهم الزائفة التي تستطيع ــ في زعم شركهم ــ تغيير القضاء، وتقييد القدر، فرجفت لهذه الأنباء قلوب النوكى، والمأفونين، ومخابيل الأحلام، وهول لهم شياطين السحر، وأبالسة السحرة في أثره وتأثيره: امرأة يموت أولادها كلما ولدت، فتلطم نادبة: سحر! وأخرى ترى زوجها مصروفاً عنها، فتبث الشكاة الحزينة: سحر! زوج يستشعر الوهن والضعف، فيطوي نفسه على حسرة الذل والانكسار ويهمس في أذن زوجه: سحر! تاجر كسدت تجارته، وفد نفقت تجارة جاره، فيدمدم بالغيظ والحنق: سحر! وهكذا ينسب الناس إلى السحر القدرة العارمة المطلقة)[١].

ثم بدأ يحذر من السحر ويسرد الأدلة على تحريمه؛ فذكر منها:

أ ــ قوله ﷺ: " **اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا يا رسول الله: وما هن قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات** "[٢].

ب ــ قوله ــ عليه الصلاة والسلام ــ:"**من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق بشيء وكل إليه**" [٣].

ثم يختم كلامه عن السحر والساحر بقوله عليه ــ رحمة الله تعالى ــ: (هذا هو السحر، وهذا هو الساحر، وإن شئت فقل: هذا هو الكفر، وذلك هو الكافر!!)[٤].

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٠٥ــ١٠٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠ ﴾ ، (سورة النساء: آية ١٠)، حديث رقم ٢٧٦٦ (ج٧، ص١٦٢). صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، حديث رقم ٢٧٢ (ج١، ص٦٤).

(٣) سنن النسائي، حديث رقم ٤٠٧٩ (ج٧، ص١١٢) وضعفه الألباني.

(٤) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٠٧).

٥ ـ الزار:

وهو من العادات السيئة التي دخلت على العرب المسلمين من الوثنية الإفريقية، وانتشرت من ثم في بعض الأقطار الإسلامية.

ويصفها الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله: (الزار من الشرك الخسيس وعبادة غير الله، ففي الزار باسم الجن تقرب القرابين، وتنحر الذبائح ابتغاء رضاها، وصرف أذاها، واستعاذة بها من شرها، واستعانة بأرواحها على شفاء المرضى فالزار كله أو بعضه تأليه للجن.. ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾[1] ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾[2])[3].

ثم يختم الشيخ كلامه على الزار بإظهار المنكرات التي تصاحبه من تعري النساء الفاتنات بين يدي الشباب، وغياب الغيرة بين الرجال حتى الأزواج منهم؛ فترتمي زوجة أحدهم بين ذراعي شاب خبيث وهو يشاهد أو يعلم بذلك ولكنه لا يحرك ساكناً، وكأنه ساكن كله، قد مات ما يخص الرجولة منه، ولم يبق إلا جسم متخنث يتمايل في صورة رجل[4].

٦ ـ الرقى والتمائم[5] :

يبدأ الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ كلامه عن الرقى والتمائم بوصف حالة المجتمع، ومدى تعاطيه مع الكهان الذين يمارسون هذه الرذيلة، مبيناً أن شفاء بعض المرضى على

---

(١) (سورة الجن : الآية ٦).

(٢) (سورة سبأ : الأيات ٤٠ــ٤١).

(٣) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٠٧).

(٤) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٠٨) بتصرف يسير.

(٥) " هذه الأمور المذكورة التي يتعلق بها العامة غالبها من الشرك الأصغر ، لكن إذا اعتمد العبد عليها بحيث يثق بها ويضيف النفع والضر إليها كان ذلك شركاً أكبر والعياذ بالله؛ لأنه حينئذ صار متوكلاً على سوى الله ملتجئاً إلى غيره "، معارج القبول ، حافظ الحكمي (ج ٢، ص ٦٢٣) .

يد هؤلاء لا يجعل عملهم حقاً ما دام مخالفاً للأدلة الصحيحة من الكتاب والسنة؛ إذ قد يبتلي الله بعض عباده ويختبر إيمانه بشفاء بعض مرضاهم على يد هؤلاء..

ثم يسرد الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ الأدلة على أن الرقى والتمائم شرك على النحو التالي:

أ ــ قوله ﷺ : "**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**"[١].

يقول عليه ــ رحمة الله تعالى ــ: "والتمائم جمع تميمة وهو خرزات كانت تعلقها العرب على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم، وإنما جعلها شركاً؛ لأنهم أرادوا بها دفع المقادير المكتوبة عليهم، وطلبوا دفع الأذى من غير الله الذي هو دافعه. عن ابن الأثير[٢].

والتولة شيء تصنعه النساء يتحببن إلى أزواجهن جعله الله من الشرك لاعتقادهن أن ذلك يؤثر، ويفعل خلاف ما قدره الله تعالى)[٣].

ب ــ قوله ﷺ : "**من علق تميمة فلا أتم الله له، ومن علق ودعة فلا ودع الله له**"[٤].

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (يدعو الرسول ــ وهو الموصوف بالرأفة والرحمة، ولين الجانب لأصحابه وسماحة الروح في معاملته لهم ــ على معلــق التميمة أن لا يتم الله له ما يأمله ويرجوه، وعلى معلق الودعة بالقلق الروحي، والحيرة النفسية، واضطراب أمور الحياة في وجوده، فهل يفهم الكهان)[٥].

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الطب، باب في تعليق التمائم، حديث رقم (٣٨٨٥) ، وصححه الألباني في صحيح، وضعيف سنن أبي داود.

(٢) النهاية في غريب الأثر، لابن الأثير(ج١، ص٥٣٦).

(٣) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص١٠٩).

(٤) السنن الكبرى للبيهقي، حديث رقم ٢٠٠٩٠ (ج٩، ص٣٥٠).

(٥) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٠٩).

ثم يقوم الشيخ بإجراء مقارنة بين الرقى الشرعية والشركية ليوضح للمسلم البون الشاسع بينهما، والذي لا تحويه مجلدات؛ لعظم تباينهما وتباعدهما؛ فيقول عليه رحمة الله تعالى: (.. قال أنس لثابت البناني: ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ ؟ قال بلى؛ فقال: "**اللهم رب الناس أذهب الباس، أشف وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما**"[(١)] البخاري...

وأنت إذا تأملت قليلاً في هذا وجدته دعاء تفيض به أصدق مشاعر النفس وأزكاها، ويقين إيمان، وقدسية توحيد، وذل عبودية ظاهرة؛ تحب لله بتوحيده، وترجوه باليقين والتوكل والإيمان، فما هو بكلام يكتب وعاء، ثم يشرب بماء ورد، أو في ورقة ثم تعلق بين السحر والنحر، وما هو بتمتمات تمر بها يد يرعشها فوران الإثم فوق جسد المريض، وإنما هي تبتل، وابتهال وتوسل إلى الله بدعائه وحده، وما هي بطلسمات مجوسية، ولكنها بيان يتألق فيه إشراق الفصاحة يضيء الأفهام..

فأين من هذا الدعاء الذي تفتح له أبواب السماء ما أقصه عليك الآن: "بطد زهج واحي ياحي أنت هو نقسم عليك بسيدنا محمد أن تسخر لي الخلق كلهم، ونقسم عليك بحق ظهور يدعق سقفاطيس أحون قاف آدم حم هاء آمين أقسم عليك اللهم بهذه الأسماء أن تلطف بي"، لعلك مما قـرأت مشدوه بالغ الحيرة تحسـب بي مسا من خبال، أو تحسب نفسك بين أبالسة تدمدم بالشر، وتزبد! لا يا أخي، فإني نقلتها لك ـــ والذي نزل الكتاب بالحق ـــ أتعرف من أين؟ أتحسبها طقوساً عبرية يهودية، أو زمزمات كهانة كنسية؟ لالا ولكنها "صلوات صوفية" نقلتها لك من "مجموع الأوراد الكبير" الذي يطرب به الصوفية للشيطان تحت أقبية الأسحار، وغلائل الحق!!)[(٢)].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب رقية النبي ﷺ، حديث رقم ٥٧٤٢ـــ (ج١٤، ص٣٨٩).

(٢) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٠٩ـــ١١٠).

خاتمة:

يختم الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ كلامه عن الشرك، وأهم مظاهره المنتشرة في الأمة الإسلامية، فيقول: (تلك بعض مظاهر الشرك في الجماعات الإسلامية، وحسبي تذكيرك بالبعض الذي تعرف به الكل.

وقد بينت لك من القرآن والسنة حكم الله على جارميها، وإني لأكاد ألمح الآن ما سيؤججه الحقد في بعض النفوس من ثورة ثائرة على هذا الكاتب الضعيف يحاول بصرخاته أن يسمع صوته لمن يجرفهم الطوفان، حتى لا تهوي بهم لججه إلى أغوارها السحيقة، ولكن لهؤلاء أقول: إنها كلمة حق طيبها ذكر القرآن، فخلوا الطريق للحق مرة واحدة في الحياة!!)[1].

ويبين من خلاله خاتمته هذه عن الشرك أنه لا ينبغي أن يستغرب بعض الجهال ما ذكر الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ من المظاهر الشركية التي يستبعد بعض العوام أن تكون شركاً، ويظنون أن وصفها بذلك فيه غلو وتنطع.

ويجيبهم الشيخ ــ عليه رحمة الله تعالى ــ بأن الرسول ﷺ بين أنه يوصف بالشرك حتى بعض المسائل التي تعتبر حقيقة أخف من تلك الأمور المتقدمة.

يقول: (عن أبي واقد الليثي قال: "خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى جنين ــ ونحن حديثو عهد بكفر ــ وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينيطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط ــ فمررنا بسدرة ، فقلنا يا رسول الله : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط.

فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر إنها السنن قلم ــ والذي نفسي بيده ــ كما قالت بنو إسرائيل لموسى: [اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون] "**لتركبن سنن من كان قبلكم**" [2].

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ١١١).

(٢) سنن الترمذي، حديث رقم ٢١٨٠ (ج٤، ص٤٧٥). وصححه الألباني.

مجرد الرغبة في مشابهة المشركين في عمل لا يمس في ظاهره حقيقة التوحيد[١] جعله الرسول ﷺ كطلب بني إسرائيل أن يكون لهم مع الله آلهة أخرى!! أفيعتبر المسلمون!!)[٢].

ولكن قد يتساءل بعض العوام فيقولون: ما هو البديل عن تعلقنا بالأولياء والمشايخ؟ ولماذا تحارب أيها الشيخ الأولياء وأرباب الطرق الصوفية وأئمة المذاهب؟

فيجيب الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ عن كل ذلك فيقول: (دعوتنا: إنما ندعو الناس بدعوة الله التي جاهد من أجلها رسول الله ﷺ ندعوهم إلى التوسل إلى الله بتوحيده في ربوبيته وإلهيته، والإيمان الصادق به، وإخلاص الدين كله له، وصدق الجهاد، تحب فيه التضحية، ويسمو الفداء، والتسامي عن الجاهلية عقيدة وفكراً وأخلاقاً، ندعوهم إلى التوحيد الشامل الكامل.

ندعوهم إلى التوحيد الشامل الكامل بروح الحب الإلهي، ولن يكون ذلك كله إلا بالاعتصام بالكتاب والسنة، وتسألني ــ مشفقاً أو هازلاً ــ لم تلحون دائماً في محاربة ما تصفونه بأنه شرك.

وأجيبك صادقاً مخلصاً: ما بيدنـــا الحكم على المشركين بأنهم مشركون؛ بل بيد الله سبحانه.

ونحن نذكر الناس بما حكم به رب العالمين على من يقترفون تلك البدع والمنكرات، وآثام الوثنية، وما سمى ووصف به هذه الأشياء.

ونتهم بأنا نلح في محاربة الأولياء، وأئمة الدين.

وأقول: كيف نحارب من يوالي الله وحده، ودعوتنا هي موالاة الله وحده؟!

---

(١) التبرك بالشجر شرك أصغر، وإتخاذه إلهاً شركاً أكبر.

انظر: القـــول المفيد، لابن عثيمين (ج١، ص ٢٠٥) وتسهـــيل العقيدة الإسلاميـــة، لإبن جبريـــن، (ص ٣٥١).

(٢) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ١١١).

وإنما نحارب عبادة الأولياء، واتخاذهم آلهة مع الله، وجعل قبورهم وموالدهم أصناماً وأعياداً جاهلية، وما نحارب إماماً جليلاً، بل نحارب العصبية المذهبية التي فرقت الجماعات الإسلامية، واتخاذ كتب البشر أئمة يحكمون بها على كتاب الله الإمام المبين، وسنة رسوله خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه)[1] .

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ١١٢).

الفَصْلُ الرَّابِعُ

جهود الشيخ في بيان الإيمان ومسائله

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: جهوده في بيان حقيقة الإيمان وبعض مسائله

المطلب الأول: الإيمان لغة

المطلب الثاني: : الإيمان عند أهل السنة

المطلب الثالث: زيادة الإيمان ونقصانه.

المبحث الثاني: تعريف الشيخ للإيمان ومدى موافقته لأهل السنة والجماعة

المبحث الثالث: جهود الشيخ في بيان الإيمان ببعض أركان الإيمان.

المبحث الرابع: جهود الشيخ في بيان وجوب الإيمان بالغيب.

المطلب الأول: تعريف الغيب.

المطلب الثاني: وجوب الإيمان بالغيب.

المطلب الثالث: جهود الشيخ في بيان وجوب الإيمان بمسائل متفرقة من عالم الغيب.

المبحث الأول

جهوده في بيان حقيقة الإيمان وبعض مسائله

المطلب الأول

الإيمان في اللغة

اختلف علماء اللغة في تحديد معنى الإيمان، وربما كان ذلك من أهم أسباب خلاف أهل العلم بعد ذلك في مدلوله الشرعي.

فقيل الإيمان هو التصديق.

قال الخليل بن أحمد رحمه الله تعالى: (والإيمان: التصديق نفسه وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا ١٧﴾[١] أي: بمصدق)[٢].

وقيل: بل هو التصديق المختص بالأمور الغائبة[٣].

وقيل هو مشتق من الأمن ضد الخوف.

قال البغوي ــ رحمه الله تعالى ــ: (وقيل: الإيمان مأخوذ من الأمان، فسمي المؤمن مؤمناً لأنه يؤمن نفسه من عذاب الله، والله تعالى مؤمن لأنه يؤمن العباد من عذابه)[٤].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ: (فإذا قوبل الخبر بالتصديق والأمر بالانقياد فقد حصل أصل الإيمان في القلب وهو الطمأنينة والإقرار فإن اشتقاقه من الأمن الذي هو القرار والطمأنينة)[٥].

---

(١) (سورة يوسف: آية ١٧).

(٢) كتاب العين ، الخليل بن أحمد (ج٨، ص٣٨٩).

(٣) شرح الكوكب المنير ، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد الفتوحي المعروف بابن النجار ، ت : محمد الزحيلي ، ونزيه الحماد ، مكتبة العبيكان ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٢هـ (ج١، ص١٥٠).

(٤) معالم التنزيل ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ، ت : محمد عبد الله النمر ، عثمان ضميرية ، سليمان الحرش ، دار طيبة ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م (ج١، ص٦٢).

(٥) الصارم المسلول على شاتم الرسول ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، ت : محمد الحلواني ، ومحمد كبير شودري ، دار ابن حزم ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ (ج١، ص٥١٩).

وقيل الإيمان هو الإقرار، لا مجرد التصديق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ: (... فيقول القائل: ما أنت بمصدق لنا أدخل فيه اللام لكونه اسم فاعل وإلا فإنما يقال: صدقته لا يقال: صدقت له ولو ذكروا الفعل لقالوا: ما صدقتنا وهذا بخلاف لفظ الإيمان فإنه تعدى إلى الضمير باللام دائماً؛ لا يقال: آمنته قط وإنما يقال: آمنت له كما يقال: أقررت له فكان تفسيره بلفظ الإقرار أقرب من تفسيره بلفظ التصديق)[١].

وقال في موضع آخر: (ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار؛ لا مجرد التصديق)[٢].

والذي حققه غير واحد من أهل العلم أن الإيمان لا يختص بواحد من تلك المعاني، بل يشملها جميعاً ومعها غيرها من المعاني، وذلك بحسب الاستعمال اللغوي، حتى قال ابن الجوزي[٣] رحمه الله تعالى: (وذكر بعض المفسرين أن الإيمان في القرآن على خمسة أوجه:

أحدها: التصديق. ومنه قوله تعالى في يوسف: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ۝١٧﴾[٤].

وفي حم المؤمن: ﴿وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۝١٢﴾[٥] وفي الحشر: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ۝٢٣﴾[٦].

قال ابن قتيبة[٧]: أي مصدق ما وعده .

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (ج٧، ص٢٩١).

(٢) الإيمان الأوسط ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، ت : محمود أبو سن ، دار طيبة للنشر ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ (ج١، ص١٨٤).

(٣) ابن الجوزي: هو: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عبد الله بن جعفر المعروف بابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج، له تصانيف عظيمة. انظر: سير أعلام النبلاء (ج٢١، ص٣٦٥).

(٤) (سورة يوسف : آية ١٧).

(٥) (سورة غافر : آية ١٢).

(٦) (سورة الحشر : آية ٢٣).

(٧) هو : العلامة الكبير ذو الفنون أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، وقيل المروزي ، الكاتب صاحب التصانيف توفي ــ رحمه الله تعالى ــ سنة ست وسبعين ومائتين. انظر ترجمته في : "سير أعلام النبلاء" (ج١٣، ص٢٩٦).

والثاني: الإقرار باللسان من غير تصديق القلب. ومنه قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴿٦٢﴾﴾[1] فمعناه: آمنوا بألسنتهم، ونظيره في سورة النساء: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ ﴿١٣٦﴾﴾[2] قيل معناه: يا أيها الذين أقروا اعملوا واعتقدوا وفي سورة المنافقين: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾[3].

والثالث: التوحيد. ومنه قوله تعالى في المائدة: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ ﴿٥﴾﴾[4] وفي النحل: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴿١٠٦﴾﴾[5] وفي المؤمن: ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَـٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾﴾[6].

والرابع: الإيمان الشرعي. وهو ما جمع الأركان الثلاثة المذكورة.

ومنه قوله تعالى في البقرة: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴿٢٥﴾﴾[7] وفي الكهف: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴿٣٠﴾﴾[8] وهو كثير في القرآن.

والخامس: الصلاة. ومنـــه قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴿١٤٣﴾﴾[9] أي: صلاتكم إلى بيت المقدس.

---

(١) (سورة البقرة : آية ٦٢).

(٢) (سورة النساء : آية ١٣٦).

(٣) (سورة المنافقون : آية ٣).

(٤) (سورة المائدة : آية ٥).

(٥) (سورة النحل : آية ١٠٦).

(٦) (سورة غافر : آية ١٠).

(٧) (سورة البقرة : آية ٢٥).

(٨) (سورة الكهف : آية ٣٠).

(٩) (سورة البقرة : آية ١٤٣).

وقد ألحق بعض ناقلي التفسير وجهاً سادساً وهو: الدعاء.

ومنه قوله تعالى: في سورة يونس: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ ﴿٩٨﴾﴾[١] أي: دعوا)[٢].

المطلب الثاني: الإيمان عند أهل السنة والجماعة:

لقد اختلفت الفرق الإسلامية في تحديد تعريف جامع مانع لمسمى الإيمان يدخل جميع أجزائه ويخرج ما عداه من ذلك الحد.

وسأعرض هنا لمفهوم الإيمان عند أهل السنة والجماعة.

فالإيمان عند أهل السنة اعتقاد بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وهذا هو الذي عليه عامة أهل السنة وأهل الحديث.

قال الإمام الآجري: (اعلموا ــ رحمنا الله تعالى وإياكم ــ: أن الذي عليه علماء المسلمين: أن الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح.

ثم اعلموا: أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب، والتصديق، إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقاً، ولا تجزئ معرفة بالقلب، ونطق باللسان، حتى يكون عمل بالجوارح، فإذا كملت فيه هذه الخصال الثلاث: كان مؤمناً.

دل على ذلك الكتاب والسنة، وقول علماء المسلمين)[٣].

---

(١) (سورة يونس : آية ٩٨).

(٢) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، ت : محمد عبد الكريم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م (ج١، ص ١٤٥ ــ ١٤٧).

(٣) الشريعة للآجري ، ت : محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ (ج١، ص١١٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ: (وقال الشافعي ﷺ في كتاب " الأم " في باب النيــة في الصلاة: يحتــج بأن لا تجــزئ صلاة إلا بنية بحديــث عمر ابن الخطاب ﷺ عن النبي ﷺ "إنما الأعمال بالنيات" ثم قال: وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون: الإيمان قول وعمل ونية لا يجزئ واحد من الثلاث إلا بالآخر)[١].

فالإيمان إذن عند أهل السنة والجماعة لا بد أن يشمل ثلاثة أمور إجمالاً، هي: اعتقاد القلب، ونطق اللسان، وعمل الجوارح.

وربما فصلها بعضهم فجعلها أموراً خمسة هي: قول القلب وعمله، وقول اللسان وعمله، وعمل الجوارح.

والمقصود بقول القلب عندهم هو تصديقه وإقراره، وعمل القلب هو النية والإخلاص والتوكل على الله تعال وتوابع ذلك.

وأما قول اللسان فهو عندهم النطق بالشهادتين، والإقرار بلوازمهما، من التصريح بقبول حكم الله تعالى وحكم رسوله ﷺ ، والإقرار بما علم من الدين بالضرورة عامة، وتوابع ذلك.

وأما عمل اللسان فهو: فعل المسائل التي ترتبط باللسان في الشرع مثل تلاوة القرآن والأذكار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك.

وأما عمل الجوارح فهو فعل العبادات التي تتعلق بها كالقيام والركوع والسجود، والسعي إلى الجهاد وغيره.

---

(١) كتاب الإيمان الكبير ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) ت : محمد ناصر الدين الألباني الناشر: المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م (ج١، ص١٠٩).

المطلب الثالث

زيادة الإيمان ونقصانه

يجمع أهل السنة والجماعة على أن الإيمان قول وعمل ونية يزيد وينقص، وبعضهم يصرح بلفظ التفاضل، وآخرون يصرحون بلفظ الزيادة والنقصان، مع إجماعهم على المعنى وهو أن الإيمان يزيـد حتى يصل ما يعلمه الله تعالى، وينقص حتى لا يبقى منه شيء.

يقول العلامة اللالكائي[١] ـ رحمه الله تعالى ـ: (الإيمان قول وعمل ونية يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ولا يجوز القول إلا بالعمل ولا يجوز القول والعمل إلا بالنية ولا يجوز القول والعمل والنية إلا بموافقة السنة)[٢].

وقال في موضع آخر: (والصواب لدينا من القول أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص وبه الخبر عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ وعليه مضى أهل الدين والفضل)[٣].

ونقل الإمام ابن عبد البر[٤] تعريف الإمام ابن عيينة[٥] للإيمان بسنده إليه قال: (الايمان قول وعمل ونية والايمان يزيد وينقص)[٦].

---

(١) اللاَّلْكَائِيُّ هِبَةُ الله بنُ الحَسَنِ بن مَنْصُوْرٍ الطَّبَرِيُّ الإِمَامُ، الحَافِظُ، المُجَوِّدُ، المُفْتِي، أَبُو القَاسِمِ هِبَةُ الله بنُ الحَسَنِ ابنِ مَنْصُوْرٍ الطَّبَرِيُّ، الرَّازِيُّ، الشَّافِعِيُّ، اللاَّلْكَائِيُّ برع في مختلف العلوم وصنف في العقائد والسنن، توفي سنة٤١٨هـ، سير أعلام النبلاء (ج١٧، ص٤١٩).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة وإجماع الصحابة ، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي ، ت : د. أحمد سعد حمدان ، دار طيبة ، الرياض ، ١٤٠٢هـ (ج١، ص١٥١ـ١٥٢).

(٣) المرجع السابق (ج١، ص١٨٥).

(٤) ابن عبد البر هو: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري، الأندلسي، التجيبي، القرطبي، أبو عمر، ولد في ربيع الآخر، سنة ٣٦٨هـ، كان عالماً بالقراءات، وبالخلاف، وبعلوم الحديث والرجال، إماماً ديناً، ثقة متقناً، علامة متبحراً، صاحب سنة واتباع ، وصاحب تصانيف: فريدة من نوعها في بابها ، توفي سنة ٤٦٣هـ، ينظر: الديباج المذهب (ص٤٤٠).

(٥) هو : العلامة سفيان بن عيينـة بن أبي عمران ميمـون الهلالي ، أبو محمد الكوفي ، ثم المكي ، مولى محمـد ابن مزاحم ، ولد سنة سبع ومائة ، وطلب العلم في صغره حج سبعين سنة ، وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ١٩٨هـ انظر ترجمته في : "تذكرة الحفاظ" (ج ١، ص ٢٦٢).

(٦) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري ، ت : مصطفى العلوي ، محمد عبد الكبير البكري ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ، ١٣٨٧هـ (ج٢، ص٢٩١).

وقال الإمام ابن عبد البر: قال الحميدي: وسمعت سفيان بن عيينة يقول: الإيمان يزيد وينقص؛ فقال له أخوه إبراهيم بن عيينة: لا تقل ينقص؛ فغضـــب، وقال: اسكت يا صبي؛ بل ينقص حتى لا يبقى منه شيء [(١)].

وروى ابن عبد البر ــ أيضاً ــ بسنده إلى محمد بن يزيد قال: سمعت عبد الرزاق وسئل عن الإيمان، فقال: أدركت أصحابنا سفيان الثوري[(٢)] وابن جريـــج [(٣)] وعبد الله ابن عمر ومالك بن أنس ومعمر والأوزاعي[(٤)] وسفيان بن عيينة يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، فقال له بعض القوم: فما تقول أنت يا أبا بكر قال: إن خالفتهم فقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين)[(٥)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ: (ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول وعمل: قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح.

وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية)[(٦)].

وقال ــ رحمه الله تعالى ــ في موضع آخر: (ولهذا كان أهل السنة والحديث على أنه يتفاضل وجمهورهم يقولون: يزيد وينقص ومنهم من يقول: يزيد ولا يقول: ينقص

---

(١) انظر : "التمهيد" لابن عبد البر (ج٩ ، ص٢٥٣).

(٢) هو : سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، أمير المؤمنين في الحديث ، مجمع على جلالته وإمامته ، ولد سنة ٩٧هـ ، وطلب العلم صغيراً ، وعرف بقـــوة حفظه وذكائه وزهـــده وكرمه وخوفه من الله تعالى، توفي ــ رحمه الله تعالى ــ سنة ١٦١هـ . انظر ترجمته في : "سير أعلام النبلاء" (ج ٧، ص ٢٢٩).

(٣) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ، الإمام العلامة الحافظ ، أبو الوليد القرشي ، صاحب التصانيف ، هو أول من دون العلم بمكة المكرمة ، ت ١٥٠هـ . انظر: سير أعلام النبلاء (ج٦، ص٣٢٥).

(٤) هو : عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد شيخ الإسلام وعالم أهل الشام أبو عمرو الأوزاعي ، كان له مذهب مستقل مشهور عمل به فقهاء الشام مدة وفقهاء الأندلس ثم فني.توفي سنة سبع وخمسين ومائة. انظر : ترجمته في : "سير أعلام النبلاء" (ج٧، ص١٠٧).

(٥) التمهيد، لابن عبد البر (ج٩، ص ٢٥٣).

(٦) العقيدة الواسطية ، لابن تيمية (ج١، ص ٢٤).

كما روي عن مالك في إحدى الروايتين ومنهم من يقول: يتفاضل كعبد الله بن المبارك[١] وقد ثبت لفظ الزيادة والنقصان منه عن الصحابة ولم يعرف فيه مخالف من الصحابة؛ فروى الناس من وجوه كثيرة مشهورة: عن حماد بن سلمة عن أبي جعفر عن جده عمير بن حبيب الخطمي؛ وهو من أصحاب رسول الله ﷺ قال: الإيمان يزيد وينقص؛ قيل له: وما زيادته وما نقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله[٢])[٣].

وقد نقل غير واحد من أهل العلم إجماع أهل السنة من السلف الصالح على أن الإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وصرح بلفظ الزيادة والنقصان جماعة من الصحابة والتابعين، وصح معناها عن جماعة أخرى منهم؛ ثم تبعهم على ذلك أئمة الأمة من أهل العلم والفضل والصلاح.

قال الإمام الطبري ــ رحمه الله تعالى ــ: (وأما القول في الإيمان هل هو قول وعمل وهل يزيد وينقص أم لا زيادة فيه ولا نقصان فإن الصواب فيه قول من قال هو قول وعمل يزيد وينقص وبه جاء الخبر عن جماعة من أصحاب رسول الله وعليه مضى أهل الدين والفضل)[٤].

وقال الإمام ابن عبد البر ــ رحمه الله تعالى ــ: (أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ولا عمل إلا بنية والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية)[٥].

---

(١) هو: عبد الله بن المبارك. مولى بني حنظلة. قدم بغداد وحدث بها، ثقة ثبت فقيه عابد مجاهد، صاحب التصانيف. ولد سنة ثمان عشرة ومائة. وتوفي سنة إحدى وثمانين ومائة. الطبقات الكبرى (ص١٩١).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد، ت :غحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٨م (ج٤، ص٣٨١).

(٣) كتاب الإيمان الكبير، لابن تيمية (ج١ ، ص ١١٦).

(٤) صريح السنة لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، ت : بدر يوسف المعتوق ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ، الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ (ج١، ص٢٥).

(٥) التمهيد ، لابن عبد البر (ج٩ ، ص ٢٣٨).

والنقول في ذلك كثيرة مستفيضة في كتب أهل العلم، لا يكاد يجادل فيها إلا مكابر، ولعل فيما نقلت غية لمن أراد الحق في هذه المسألة.

وقد صرح علماء السلف ـ رحمهم الله تعالى ـ بكفر من ترك العمل الذي هو ركن من الإيمان الحقيقي أو الذي يعبرون عنه بالإيمان الواجب.

قال الإمام ابن عبد البر ـ رحمه الله تعالى ـ: (قال: الحميدي وسمعت سفيان ابن عيينة يقول: الإيمان يزيد وينقص، فقال له أخوه إبراهيم بن عيينة: لا تقل ينقص فغضب، وقال: اسكت يا صبي بل ينقص حتى لا يبقى منه شيء، وقال سفيان بن عيينة : نحن نقول الإيمان قول وعمل والمرجئة[1] تقول: الإيمان قول وجعلوا ترك الفرائض ذنباً بمنزلة ركوب المحارم، وليس كذلك إن ترك الفرائض من غير جهل ولا عذر كفر، وركوب المحارم عمداً من غير استحلال معصية، وبيان ذلك أمر آدم وإبليس، وذلك أن الله حرم على آدم الشجرة ونهاه عن الأكل منها فأكل منها فسماه عاصياً، وأمر إبليس بالسجود فأبى واستكبر فسمي كافراً)[2].

فمن أهم الفروق بين أهل السنة والجماعة والمرجئة قول ابن عيينة ـ رحمه الله تعالى ـ: الذي بين فيه أن المرجئة تقول إن ترك المأمورات مثل فعل المنهيات، وأنه لا يضر الإيمان بشيء، وبنوا على ذلك قاعدهم في الإيمان وغيره.

وقد أصل شيخ الإسلام هذه القاعدة في العمل الذي هو ركن من أركان الإيمان الثلاثة فقال ـ رحمه الله تعالى ـ: (قاعدة في أن جنس فعل المأمور به أعظم من جنس

---

(١) المرجئة : هي إحدى الفرق الكلامية التي تنتسب إلى الإسلام ، ذات المفاهيم والآراء العقدية الخاطئة في مفهوم الإيمان ، والتي لم يعد لها كيان واحد ، إذ انتشرت مقالتهم في كثير من الفرق .
فمنهم من يقول : إن الإيمان قول باللسان وتصديق بالقلب فقط ، وبعضهم يقصره على قول اللسان ، والبعض الآخر يكتفي في تعريفه بأنه التصديق ، وغالى آخرون منهم فقالوا إنه المعرفة .
وأول من قال بالإرجاء ذر بن عبد الله المذحجي ، ثم تابعة غيلان الدمشقي والجعد بن درهم ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ، مانع الجهني ، (ج٢، ص١١٤٣) .

(٢) التمهيد، لابن عبد البر (٩ ، ٢٥٤) وراجع فتح الباري ـ لابن رجب، ت : أبو معاذ طارق بن عوض الله ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٢هـ (ج١، ص٢١).

ترك المنهي عنه وأن جنس ترك المأمور به أعظم من جنس فعل المنهي عنه وأن مثوبة بني آدم على أداء الواجبات أعظم من مثوبتهم على ترك المحرمات وأن عقوبتهم على ترك الواجبات أعظم من عقوبتهم على فعل المحرمات. وقد ذكرت بعض ما يتعلق بهذه القاعدة فيما تقدم لما ذكرت أن العلم والقصد يتعلق بالموجود بطريق الأصل ويتعلق بالمعدوم بطريق التبع. وبيان هذه القاعدة من وجوه...)[1].

ثم ذكر ما يزيد على عشرين دليلاً في المسألة.

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (ج٢٠، ص ٨٥).

المبحث الثاني

تعريف الشيخ عبد الرحمن الوكيل للإيمان ومدى موافقته لأهل السنة

لقد عرض الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ لمفهوم الإيمــان مبيناً أن مفهومه للإيمان لا يختلف عن مدلوله عند أهل السنة والجماعة.

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (نقول لا إله إلا الله بقلوبنا وألسنتنا وأعمالنا[١]، ونعبده وحده، ونحبه وحده، ونرهبه وحده، ونتقيه وحده، ونتوكل عليه وحده، وندعوه وحده، ونستعين به وحده، لا نجعل بيننا وبينه حجباً، ولا نتخذ من دونه أنداداً، اعتقاداً جازماً بأن الله وحده هو الذي بيده الأمر وملكــوت كل شيء؛ فلا نتوجــه بأية عبادة إلا إليه)[٢].

وهكذا يبين الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ أن الإيمان قول وعمل، فلا بد من الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالجوارح، ولا بد أن يكون ذلك الاعتقاد جازماً لا يخالجه شك ولا ريب، وتصدقه الأعمال الظاهرة؛ فلا إيمان لمن يدعو غير الله تعالى، أو يتوكل عليه، أو يخل بمضمون ومعنى لا إله إلا الله.

ويقول عليه ــ رحمة الله تعالى ــ في موضع آخر: (والإيمان طمأنينة النفس بعقيدة حق من الله سبحانه، هو التصديق الذي يغمر النفس سكينة وأمناً بكل ما أخبر به الله سبحانه عن نفسه وعن رسله وعن جميع خلقه وعن الغيب كله، دون مسة من ريب، أو همسة شك، أو سعي إلى تحريف للكلم عن مواضعه، أو إلى تأويل هو شر أنواع التحريف)[٣].

---

(١) يقصد ــ رحمه الله تعالى ــ أسس الإيمان التي ينبني عليها عند أهل السنة ، وهي قول: لا إله إلا الله بالقلب بمعنى إقراره وتصديقه بها ، وقولها باللسان بمعنى تلفظه بها ، وقولها بالجوارح يعني عملها بمقتضى الشهادتين .

(٢) مجلة الهدي النبوي ، مقالة مفتريات، عدد ٩، تاريخ ١٣٧٦هــ (ص ١١ــ١٢).

(٣) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ١٢، تاريخ ١٣٨٤هــ (ص٥).

ويبين حقيقة الإيمان وأثره على النفس إذا سيطر عليها واستقر بها فيقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (وإذا بسطت هذه العقيدة سلطانها على النفس، وسيطر الإيمان بها على نوازع الحس، سيطرت على خلق المرء وسلوكه، ودفعت به في رضى ويقين إلى طاعة الله ورسوله، وخشية ربه وتقواه، وهذا لازم العقيدة الصالحة، أو لازم الإيمان الصحيح، أي يلزم من الإيمان الصحيح العمل بكل ما أمر الله به، والتكلم بما يرضيه، والإقرار الصادع بما يعتقد في ربه سبحانه)[١].

ولا يخفى هنا أن بيان الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ واضح غاية الوضوح، فالإيمان عنده كما هو عند أهل السنة والجماعة ولا فرق بينهما في التعريف ولا في الأثر.

وأنبه هنا أن اللزوم الذي يتكلم عنه الشيخ هنا ليس هو الذي يتحدث عنه مرجئة الفقهاء من أن العمل إنما هو من لوازم الإيمان لا من أسسه.

وقد صرح الشيخ بذلك مرارا كما في الفقرات السابقة، واللاحقة.

تقويم العمل في الإسلام:

وإذا كان العمل ركناً من أركان الإيمـــان، لا يتم إلا به، ولا يستقـــيم وينضج إلا من خلاله؛ فبماذا يقوم الإسلام العمل؟

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (يقول الله سبحانه لأعظم خلقه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾[٢] ويقول جل شأنه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾[٣].

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن ، عدد ١٢، تاريخ ١٣٨٤هـ (ص٥).

(٢) (سورة الزُّمَر : آية ٦٥).

(٣) (سورة الكهف : آية ١١٠).

وبهذا يتجلى لنا أن العمل الذي يتقبله الله هو العمل الذي تكون وراءه إرادة خير تنبع من عقيدة صافية، والذي يكون موافقاً لما سنه الله سبحانه أي أن يكون خالصاً، وأن يكون صواباً، ولقد وجه الله الخطاب بهذا إلى أعظم خلقه، وخاتم أنبيائه كيلا تخدعنا أباطيل الهوى عن الحقيقة، فنظن غير الحق ظن الجاهلية، ونزعم أن لكل عمل يشغفنا مظهر الطيبة فيه ثواباً في الآخرة عند الله، ونزعم أنه لا يقوم العمل سوى النية الطيبة؛ فكل عمل مقبول وإن كان ضلالاً!! إذ تكفي النية الطيبة في قبول العمل)[1].

لا بد من السعي مع الإرادة :

فالإيمان لا يستقيم بمجرد النية أو الاعتقاد بالقلب؛ والإقرار باللسان؛ بل لا بد مع ذلك من العمل والسعـــي في الأعمال الصالحة، ومجاهدة النفس في ترك الأعمال المنهي عنها.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (ولا يكفي في الإسلام أن تظل مريداً للخير، أو بتعبير أدق راغباً في الخير دون أن تفعله ما دامت لديك القدرة على أن تفعل كما أن الإسلام يوجب أن يكون العمل المصاحب للإرادة موافقاً لما سنه الله لا لما رسمته الأهواء، تدبر قول الله سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾[2] الإرادة وحدها لا تكفي؛ بل لا بد معها من سعي، وللآخرة سعيها الخاص بها، ولا تجد له من بيان إلا عند رب الآخرة، ولو تأملت كلمة "سعيها" لتجلى لك إشراق الهدى في جلاله؛ إذ يؤكد لك هذا أن ليس كل سعي يوصل إلى الآخرة؛ فللآخرة سعي خاص بها يجب على من يريدها أن يأتي به؛ فإن أتى بغيره فليس له عند الله عمل كريم)[3].

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ١٠، تاريخ ١٣٨٤هـ (ص٦).

(٢) (سورة الإسراء : آية ١٩).

(٣) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ١٠، تاريخ ١٣٨٤هـ (ص٧).

العمل يصاحب الإرادة:

ذلك أن إرادة الخير وحدها لا تكفي؛ ولا تدل على صدق الإيمان؛ بل لا بد من عمل يصدق تلك الإرادة ويفصح عن تلك النية الخيرة، ويوضح صدق ذلك الإيمان المستقر في النفس.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (والإسلام يبين لنا الإرادة الحقيقية في قوله سبحانه: ﴿۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾[1]. وهذا معناه أن الإرادة الحقيقية يصاحبها عمل يتحدث عنها، ويكشف عن غايتها، وكل إرادة لا يصاحبها عمل إرادة كسيحة، أو هي هم يعبر بالنفس دون أن يحركها إلى غاية العمل)[2].

وعند الكلام عن العمل وعلاقته بالإيمان لم يغفل الشيخ بيان أنه لا جبرية في الإسلام، وأن الإنسان مخير في أفعاله، مجازى عليها، وقد بين له طريق الخير ليسلكه وطريق الشر ليتجنبه كما قال تعالى: "﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾[3] .

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (تدبر قول الله عن ثمود: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾[4] إذن لا جبرية صارمة، وإنما هو اختيار باد واضح، وجزاء على الاختيار، بين الاختيار قوله سبحانه: ﴿فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾[5] والتعبير باستحبوا بدلاً من أحبوا يفيد أنهم سعوا في سبيل العمى وطلبوه ونشدوه.

---

(١) (سورة التوبة : آية ٤٦).

(٢) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ١٠، تاريخ ١٣٨٤هـ (ص٧).

(٣) (سورة البلد : آية ١٠).

(٤) (سورة فُصِّلَت : آية ١٧).

(٥) (سورة فُصِّلَت : آية ١٧).

ويفيد الجزاء على الاختيار قوله سبحانه : ﴿ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾[(١)] والباء تفيد السبب، ثم تدبر هذه الآية لترى المسؤول عن العطاء، وأن الله لا يظلم الناس شيئاً، وأنه جل شأنه ما وصفه إلا بعد أن طلبوا هم وصفه: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾﴾[(٢)].

وتدبر قوله سبحانه: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾[(٣)].

بين الله أنه لا يجزي إلا بما كسب الإنسان، وأن الكفار لن يمسهم ظلـــم؛ ثم بين ما كسب هؤلاء: اتخاذ الهوى إلها، ورفضهم أن يسمعوا وأن يبصروا وكفرهم بالخالق وعبادهم للدهر، ورفضهم الإيمان بيوم القيامة.

أفتشم رائحة جبرية ظالمة أم تجد العدل النظيم، والإحسان الكبير، والجزاء العادل على الاختيار الحر الذي ليس فيه شائبة من إكراه؟

إن الله لا يجبرك على فعل المعصية، وإلا كان ظالما، والله له العدل والإحسان فاحذر أن يضلك عن الحق همسات الظنون، ووسوسات الشياطين، وشبهات المارقين)[(٤)].

بين الشيخ في هذه الفقرة ضرورة مسؤولية الإنسان عن عمله، وأنه فعله باختياره، وبالتالي فسوف يجازى عليه إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

---

(١) (سورة فُصِّلَت : آية ١٧).

(٢) (سورة فُصِّلَت : آية ٥).

(٣) (سورة الجاثية : الأيات ٢٢ــ٢٥).

(٤) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٩، تاريخ ١٣٨٤هـ (ص١٠ــ١١).

وهو بذلك يرد على فرقة الجبرية[1] التي تقول بأن العبد لا فعل له أصلاً؛ بل ومنهم من يقول بأنه لا قدرة للعبد على الفعل أصلاً.

ترابط أسس الإيمان الثلاثة: النية، والإقرار، والعمل:

إن كل واحد من هذه الأركان الثلاثة لا يستغني عن الآخر، ولا يصح مفهوم الإيمان بدون اجتماع الثلاثة، ولا يكتمل دون اكتمالها.

يقول الشيخ عليه ــ رحمه الله تعالى ــ: (... والذي يقرأ ما قدمت يتضح له أن الله يحاسب هؤلاء الأخسرين أعمالاً على ما تعمدت قلوبهم، فقد دانوا بعقيدة غير سوية، عقيدة ضالة، فنتجت عنها إرادة ضالة وعمل ضال.

إن النية خاطئة، والإرادة خاطئة، والعمل خاطئ، أو قل: الإيمان غير صادق، وتذكر قول الله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾[2] فأين إيمان الأخسرين أعمالاً؟ وأين العمل الصالح؟)[3].

---

(١) الجبر: هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى والجبرية أصناف: فالجبرية الخالصة: هي التي لا تثبت للعبد فعلاً، ولا قدرة على الفعل أصلاً، والجبرية المتوسطة: هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً؛ فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثراً ما في الفعل، وسمي ذلك كسباً فليس بجبري.

وقالت الجبرية: إن التدبير في أفعال الخلق كلها لله تعالى، وهي كلها اضطرارية كحركات المرتعش، والعروق النابضة وحركات الأشجار وإضافتها إلى الخلق مجاز. انظر: الملل والنحل، للشهرستاني (ج١، ص٨٤) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز (ج١، ص٤٣٦).

(٢) (سورة الأنبياء: آية ٩٤).

(٣) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ١١، تاريخ ١٣٨٤هـ (ص٤ـ٥).

المبحث الثالث

جهود الشيخ في بيان الإيمان ببعض أركان الإيمان

لقد حدد الرسول ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ أركان الإيمان وبينها بما لا مزيد عليه؛ فقد ثبت في صحيح مسلم وغيره من حديث عمر بن الخطاب ــ رضي الله تعالى عنه ــ قال: (**بينما نحن عند رسول الله ـ ﷺ ـ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ـ ﷺ ـ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه. وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. قال: صدقت. قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره». قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك». قال: فأخبرني عن الساعة. قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل». قال: فأخبرني عن أمارتها. قال: «أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان». قال: ثم انطلق؛ فلبثت ملياً ثم قال لي: «يا عمر أتدري من السائل». قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**)[1].

كما ثبت معنى نفس الحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة ــ رضي الله تعالى عنه ــ.

فقد أخرج البخاري، ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة ــ رضي الله تعالى عنه ــ قال:(**كان النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس فأتاه جبريل فقال : ما الإيمان**

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، حديث رقم ١٠٢ (ج١، ص٢٨).

قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث. قال: ما الإسلام .قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان. قال: ما الإحسان . قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: متى الساعة. قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل وسأخبرك عن أشراطها إذا ولدت الأمة ربها وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان في خمس لا يعلمهن إلا الله ثم تلا النبي ﷺ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾[1] **الآية ثم أدبر فقال: ردوه فلم يروا شيئاً. فقال هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم)**[2].

فبين رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ في هذين الحديثين أركان الإيمان التي لا يستقيم إلا بها، وبين وجوب الإيمان بها مجتمعة، وأنه لا يغني الإيمان ببعضها عن الإيمان بالبعض الآخر؛ حيث جعلها أفراداً لمسمى الإيمان كل منها يقوم عليه جزء من الإيمان لا يتحقق إلا به.

وهذه الأركان هي: الإيمان بالله تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره.

أولاً : الإيمان بالله تعالى:

وهذا هو ركن الأركان، والأساس الذي ينبني عليه عمل الإنسان، وفلاحه في الدنيا والآخرة؛ حيث إن من لم يؤمن بالله تعالى كان من لازم ذلك أنه لا يؤمن بغيره من مخلوقاته.

---

(١) (سورة لقمان : آية٣٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، حديث رقم ٥٠ (ج١، ص٥٤). صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله، حديث رقم ١٠٦ (ج١، ص٣٠).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ: (وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾[1] فإن من كفر بالله فقد كفر بهذا كله فالمعطوف لازم للمعطوف عليه)[2].

وقد أشبع الشيخ / عبد الرحمن الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ هذا الركن بحثاً وتدقيقاً وتوسعاً في كتبه ومقالاته، وقد أفردت لذلك فصلاً مستقلاً حول جهوده في بيان التوحيد وحقيقته.

ثانياً: الإيمان بالملائكة:

وقبل أن أبرز جهود الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ في بيان وجوب الإيمان بالملائكة يجدر بي تعريف الملائكة أولا حتى نكون على بصيرة من طبيعة الموضوع الذي نتكلم عنه؛ فمن هم الملائكة؟

الملائكة في اللغة:

الملك من الملائكة واحد وجمع، أصله ملأك، ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال، فقيل ملك، فلما جمعوه ردوها إليه فقالوا ملائكة وملائك أيضاً.

وقيل: أصله: مألك بتقديم الهمزة من الألوك: الرسالة ثم قدمت الهمزة وجمع.

فالملك في اللغة يدل على معنى المرسل ــ بالفتح ــ والملائكة هم المرسلون الموكلون بمهام تصريف كثير من الأمور كالمطر والنفخ في الصور وكتابة الآجال والأرزاق والأعمال ونحو ذلك [3].

---

(١) (سورة النساء : آية ١٣٦).

(٢) كتاب الإيمان الكبير، لابن تيمية (ج١، ص ٩١).

(٣) الصحاح للجوهري (ج٥، ص٢٩٧) النهاية في غريب الأثر ، لابن الأثير (ج٤، ص٧٨٩).

الملائكة في الاصطلاح:

هذا من حيث الاستعمال اللغوي، أما الملائكة في الاصطلاح الشرعي فهم:

خلق من مخلوقات الله، لهم أجسام نورانية قادرة على التشكل والتمثل والتصور بالصور الكريمة، ولهم قوى عظيمة، وهم خلق كثير لا يعلم عددهم إلا الله، قد اختارهم الله واصطفاهم لعبادته والقيام بأمره، فلا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.

والإيمان بهم يجب: إجمالاً في الإجمالي، وتفصيلاً في التفصيل، وتعيناً في التعين، مثل ما ورد في الكتاب العزيز والسنة المطهرة، كجبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، ومالك ، ورضوان، وغيرهم [(١)].

وقد نص الله تعالى في كتابه الكريم على وجوب الإيمان بالملائكة في آيات كثيرة، وقرن الإيمان به بالإيمان بهم فقال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴿١٧٧﴾﴾[(٢)] .

وبين تعالى أن الإيمان بهم من الإيمان به، وأن الرسول ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ مؤمن بهم وكذلك المؤمنون ؛ فقال جل من قائل:

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾[(٣)] .

---

(١) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ج١، ص١٢٣). وحاشية الأصول الثلاثة لابن قاسم ، لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التميمي ، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي النجدي ، دار الزاحم ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م (ج١، ص١٠٢).

(٢) (سورة البقرة : آية ١٧٧).

(٣) (سورة البقرة : آية ٢٨٥).

وكثيراً ما يقرن القرآن ذكرهم بذكر الله ﷻ وكتبه ورسله، ويبين أعمالهم الخيرة التي يتصفون بها كوصف ملازم لهم؛ كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[2]

وقال جل شأنه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾[3].

وقرن شهادتهم بشهادة الله تعالى؛ ثم بين أن شهادته سبحانه تكفي وحدها؛ فقال سبحانه: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾[4].

ونص تعالى على أن من معاداتهم من معاداته، وأنه دليل على الكفر فقال تعالى:

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾[5].

وأوضح أن الكفر بهم من علامات الضلال البعيد؛ فقال جل شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن

---

(١) (سورة الأحزاب : آية ٤٣).

(٢) (سورة الأحزاب : آية ٥٦).

(٣) (سورة آل عمران : آية ١٨).

(٤) (سورة النساء : آية ١٦٦).

(٥) (سورة البقرة : آية ٩٨).

قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾[(١)].

والآيات التي تبين وجوب الإيمان بالملائكة، وأنه أساس من أسس الإيمان لا تكاد تنحصر، ومن استقصاها في القرآن الكريم يجدها تصل إلى أكثر من خمسين آية.

وكذلك وردت أحاديث كثيرة في بيان هذا الركن من أركان الإيمان وأوضحته.

فمن حيث وجوب الإيمان بهم بين الرسول ﷺ ذلك في حديث جبريل المتقدم في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ ، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ـــ رضي الله تعالى عنه ـــ.

أما من حيث خلقهم ومهامهم ونحو ذلك فهو مستفيض في السنة المطهرة، ومن ذلك قوله ﷺ مبيناً أن من مهامهم الصلاة على المسلم ما دام في مصلاه ما لم يحدث: (**الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه**)[(٢)].

وقوله ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ مبيناً حضورهم الذكر وقت الخطبة: (**فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر**)[(٣)].

وقال ـــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـــ مبيناً كتابتهم للحسنات والسيئات: (**قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة ـ وهو أبصر به ـ فقال ارقبوه فإن عملها فاكتبوها له بمثلها. وإن تركها فاكتبوها له حسنة ـ إنما تركها من جراي**)[(٤)].

---

(١) (سورة النساء : آية ١٣٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب أبواب المساجد، باب الحدث في المسجد، حديث رقم ٤٤٥ (ج١، ص٤٥٥).

(٣) المرجع السابق، كتاب الجمعة، باب فضل الجمعة، حديث رقم ٨٨١ (ج٢، ص٢٩٢).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب، حديث رقم ٣٥٢، (ج١، ص٨٢).

وبين ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ من أي شيء خلقوا فقال: (**خلقت الملائكة من نـور وخلق الجان من مارج من نـار وخلق آدم مما وصف لكم**)[١].

والأحاديث في ذكر الملائكة ومهامهم معروفة في كتب الحديث.

جهود الشيخ رحمه الله تعالى في بيان وجوب الإيمان بالملائكة:

عالج الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ مسألة الإيمان بالملائكة، وبين وجوبها، وحقيقة الملائكة، ورد على بعض الشبه من المعاصرين حول حقيقة الملائكة، وعلاقتهم بالله ﷻ ..

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (من الملائكـــة؟ هم من خلق الله، وهم غيب لا نعرف عنه إلا ما قاله عالم الغيب، وقد قال الله عنهم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾[٢] وعاب قول الذين يبهتونهم بأنهم إناث، وأن منهم حملة للعرش، وأنهم سيجيؤون مع الله يوم القيامة، وغير هذا مما بين الله سبحانه، وإنه ليعنينا هنا بيان أنهم من رسل الله سبحانه الذين يبلغون كل ما يأمرهم به، ويفعلون كل ما يكلفهم به، وقد جعل الله منهم من يقومون بأمر الإنسان وحفظه وتدبير ما يقوم وجوده بأمر الله)[٣].

فبين الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ أنهم من عالم الغيب الذي يجب الإيمـــان به؛ وأننا لا نعرف عنهم إلا ما أخبرنا به ربنا، ورسول ربنا؛ فلا نكلف أنفسنا وعقولنا ما زاد على ذلك؛ بل نقف حيث أوقفنا ربنا، ونؤمن بكل ما جاءنا عنهم من الله تعالى ورسوله ــ صلى الله عليه وآله وصحبه ــ.

وحب الملائكة واجب لأنهم عبيد الله تعالى المكرمون؛ الذين لا يعصونه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ولكن ليكن حباً في الحدود الشرعية دون تأليه، أو صرف أي نوع من أنواع العبادة لهم؛ فحق الله تعالى مختص به لا يشاركه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل.

---

(١) المرجع السابق، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، حديث رقم ٧٦٨٧ (ج٨، ص٢٢٦).

(٢) (سورة فاطر : آية ١).

(٣) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نور من القرآن ، عدد ٤، تاريخ ١٣٨٣هـ (ص٨ــ٩).

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (يصدق في حبه لله؛ فيحب من يحب الله، يحب ملائكته ورسله وأنبياءه وأولياءه، يحبهم الحب الذي يرضي الله؛ فلا يغلو؛ فيدفعه الغلو إلى تأليههم؛ كما فعل الذين عبدوا الملائكة، وبعض البشر...)[١].

فحب الملائكة إذن من حب الله تعالى؛ وهو واجب على المؤمن، ولكن في حدود الحب الشرعي لا البدعي الذي يدفع صاحبه إلى تأليه محبوبه، والغلو فيه..

وقد رد الشيخ على شبه عباد الملائكة واستقصى الأقوال المنكرة التي تقولوها فقال ــ رحمه الله تعالى ــ: (كان بعض مشركي العرب يعبدون الملائكة، وتدبر قول الله سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾[٢] وكان بعض العرب يجعلون الملائكة إناثاً، ويسموهم تسمية الأنثى، وتدبر قول الله جل شأنه: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾﴾[٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ۖ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾﴾[٤].

وكان بعض مشركي العرب أيضاً يزعمون أن الملائكة بنات الله، وتدبر قوله سبحانه: ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾﴾[٥].

---

(١) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نور من القرآن، عدد ١، تاريخ ١٣٨٠هـ (ص٧).

(٢) (سورة سبأ : الأيات ٤٠ــ٤١).

(٣) (سورة الزُخرُف : الآية ١٩).

(٤) (سورة النجم : الأيات ٢٧ــ٢٨).

(٥) (سورة الصافات : الأيات ١٥٠ــ٢٠٠).

يخاطب الله سبحانه في تلك الآيات أولئك الذين عبدوا الملائكة من دونه، وقالوا عنهم إنهم بنات الله؛ فيقول ما تفسيره، أفخصكم ربكم بالذكور وهم أفضل الأولاد الذين تتعلق بهم آمالكم، وتمتلئ بهم دنياكم سروراً فياض غامراً، واتخذ لنفسه الإناث اللاتي تئدونهـن وتقتلونهن، وتسـود وجوهكم إذا بشـرتم بهن؟ ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾(١) إذ لا يجيز العقل، ولا تأذن الحكمة، ولم تجر العادة أن يهب السيد المالك لعبيده الأفضل، ويترك لنفسه الدون!! أن يمنح عبيده أجود الأشياء ويدع لنفسه مالا يتسامى إلى قيمة ما أعطاه لعبيده ثم يقول سبحانه: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾(٢) وصف قولهم بالعظيم لأنه تجاوز قدره في الإثم والبغي لسفهه، وقد كان كذلك لأنهم اقترفوا به منكرات، كل منكر منها هلكة تودي مقترفها.

المنكر الأول: نسبتهم الولد إلى الله سبحانه، وهو جل شأنه لم يلد ولم يولد؛ لأنه غير محتاج في وجوده أو بقائه إلى أحد، حتى يكون له والد وولد!!

المنكر الثاني: هو أنهـم فضلوا أنفسهـم ــ وهم خلق وعبيد ــ على الله وهو جل شأنه الرب الخلاق، ويفهم هذا التفضيل من كونهم نسبوا إليه سبحانه ما يكرهون، تدبر قوله جل شأنه: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾(٣) .

المنكر الثالث: جعلهم الملائكـة الذين هم عباد الله إناثا، وهم لم يشهدوا خلقهم!!

---

(١) (سورة النجم : الأيات ٢١ــ٢٢).

(٢) (سورة الإسراء : آية ٤٠).

(٣) (سورة النحل : الأيات ٥٧ــ٥٩).

المنكر الرابع: قولهم على الله بغير علم، ولهذا رد الله عليهم في آية أخرى بقوله: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾﴾(١) وما من منكر من هذه المنكرات إلى وهو شرك بالله في ربوبيته وإلهيته)(٢).

فأوضح الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ بعض الأمور المهمة في مسألة الإيمان بالملائكة، ورد على شبه عباد الملائكة، من مشركي العرب وغيرهم.

فقد تدرجوا عليهم لعائن الله من سيء إلى أسوأ؛ فزعموا أولاً أن الملائكة إناث، ثم جعلوهم بنات الله ــ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ــ ثم عبدوهم، فاقترفوا بذلك المناكر العظيمة في المقامات الثلاثة.

وكان رد الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ عليهم دقيقاً وعلمياً، ومختصراً اختصاراً غير مخل.

قضية إبليس وكونه من الملائكة:

يرى الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ أن إبليس فرد من الملائكة؛ ويستدل على ذلك بأدلة كثيرة من نص القرآن الكريم، وأقوال السلف.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴿٣٤﴾﴾(٣). تؤكد الآية وغيرها أن الله أمر جميع الملائكة بالسجود وأن الملائكة جميعاً ــ على اختلاف أنواعهم ــ قد سجدوا إلا واحداً منهم هو إبليس، يقول ربنا سبحانه: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾﴾(٤). تدبر مجيء كلمتي "كلهم" و"أجمعون" وهما يفيدان توكيد إحاطة وشمول ثم تدبر مجيء الاستثناء عقبهما مباشرة؛ لتهتدي إلى الحقيقة الساطعة التي تؤكد أن إبليس كان من الملائكة.

---

(١) (سورة النجم : آية ٢٨).

(٢) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نور من القرآن ، عدد ٢، تاريخ ١٣٨٠هـ (ص ٤ــ٦).

(٣) (سورة البقرة : آية ٣٤).

(٤) (سورة الحِجر : آية ٣٠ــ٣١).

وحق ما يقول ابن عباس: "لو لم يكن من الملائكة لم يؤمر بالسجود"[١] وإنه لفخر للآدمية وتكريم عظيم لها أن يمن الله عليها بهذا عند بدء حياتها لتطمئن إلى أن الله سخر ملائكته للبر بالآدمية.

وإن كل الآيات التي جاءت بقصة هذا السجود تؤكد أن إبليس لم يعتذر بأنه ليس من الملائكة فلو إنه ليس من الملائكة لقال مثلاً لله سبحانه حين سأل عما منعه من السجود: لست من الملائكة، أو لقال: "إنك لم تأمرني أو إنك أمرت الملائكة ولم تأمرني.

ولم يأت في آيات الله شيء من ذلك؛ بل جاء ما يؤكد أن إبليس كان من الملائكة تدبر قول الله سبحانه في سورة الأعراف: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾﴾[٢] .

تدبر مجيء قوله سبحانه: "إذ أمرتك" بعد قوله سبحانه: ﴿قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾[٣] فهذا قول محكم يقطع بأن إبليس كان ممن أمرهم الله بالسجود وجيء بكلمة "أمرتك" توكيداً لهذا بعد أن عبر عنه بالاستثناء، ويقطع أيضاً بأن الله أمر إبليس فيمن أمره من الملائكة بالسجود لآدم ثم استثناه جل ثناؤه من الملائكة الذين أمروا فسجدوا؛ فأثبت لكل الملائكة السجود ونفاه عن واحد منهم هو إبليس، وقد قال محمد بن إسحاق: "أما العرب فيقولون ما الجن إلا كل من اجتن فلم ير، وأما قوله: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴿٥٠﴾﴾[٤] أي كان من الملائكة، وذلك

---

(١) لم أجده فيما اطلعت عليه من كتب الحديث.

(٢) (سورة الأعراف : آية ١١).

(٣) (سورة الأعراف : آية ١١).

(٤) (سورة الكهف : آية ٥٠).

أن الملائكة اجتنوا فلم يروا، وقد قال جل ثناؤه: ﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ ﴿١٥٨﴾﴾[١] وذلك لقول قريش: إن الملائكة بنات الله")[٢].

هذه أدلة الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ على أن إبليس كان من الملائكة، ويمكن تلخيصها، ومناقشتها على النحو التالي:

الدليل الأول: مجيء الاستثناء بعد التوكيد بكلمتي:"كلهم" و"أجمعون" يفيد الشمول، ويفيد أن إبليس من الملائكة لأن الله تعالى أكد أنهم سجدوا جميعاً بأداتي توكيد ثم استثنى إبليس من السجود.

ويمكن أن يعترض على هذا الدليل من وجهين:

الأول: أن بعض أهل العلم يقول إن الاستثناء في تلك الآيات منقطع، وبالتالي فالتوكيد في شأن الملائكة وقد سجدوا، وإبليس لم يكن منهم، وإن كان شمله الأمر بالسجود فأبى فكفر بذلك.

ويجاب عنه بأن الأصل في الاستثناء الاتصال.

ويجاب عن هذا الجواب بأن الاتصال وإن كان هو الأصل يمكن أن يصرف عنه لدليل، ولا دليل صارف هنا أصرح من آية الكهف التي صرحت بأنه من الجن؛ فوجب حمله على الانقطاع جمعا بين الأدلة.

الثاني: أن الملائكة معصومون من عصيان أمر الله تعالى كما قال جل ثناؤه: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾[٣] وقوله: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾[٤] .

---

(١) (سورة الصافات : آية ١٥٨).

(٢) الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٤، تاريخ ١٣٨٣هـ (ص١٠ــ١١).

(٣) (سورة التحريم : آية ٦).

(٤) (سورة الأنبياء : آية ٢٧).

فنفى عنهم العصيان، ووصفهم بالامتثال للأوامر، وهذا لم يتصف إبليس بشيء منه؛ فدل ذلك على أنه ليس منهم.

يقول ابن عادل ــ رحمه الله تعالى ــ: (فإن قيل: هب أن الآية دلت على أنَّهم فعلوا كلَّ ما أمروا به، فلم قلتم: إنها تدلُّ على أنهم تركوا كل ما نُهوا عنه؟

فالجواب: أنَّ كلَّ من نُهي عن شيءٍ، فقد أمر بتركه؛ وحينئذ يدخل في اللفظ، فإذا ثبت بهذه الآية كون الملائكة معصومين من كلِّ الذنوب، وثبت أنَّ إبليس ما كان معصوماً من الذنوب، بل كان كافراً؛ لزم القطع بأنَّ إبليس ما كان من الملائكة، وأيضاً: فإنه ــ تعالى ــ قال في صفة الملائكة: "وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ"، ثم قال ﷻ لإبليس: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾[1] وقال: ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾[2] وثبت أنَّ الملائكة لا يستكبرون، وثبت أنَّ إبليس تكبَّر، واستكبر، فوجب أن لا يكون من الملائكة)[3].

الدليل الثاني: أنه لو لم يكن من الملائكة؛ فإنه غير مأمور بالسجود، وبالتالي فهو غير عاص، وهذا مخالف لنص القرآن الكريم القاطع بأنه كفر بعدم امتثاله لأمر الله تعالى له بالسجود.

وأيد الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ هذا الدليل بعزوه لابن عباس ــ رضي الله تعالى عنهما ــ.

قلت: ويعترض عليه من وجهين:

الأول: أنه لم يثبت عن ابن عباس ــ رضي الله تعالى عنهما ــ .

الثاني: أنه على فرض ثبوته يبقى قول صحابي معارض بأدلة أقوى منه.

---

(١) (سورة ص : آية ٧٥).

(٢) (سورة الأعراف : آية ١٣).

(٣) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص الدمشقي (ج١٢، ص٧٤).

الدليل الثالث: أن جميع الآيات التي ذكرت فيها القصة، لم يأت في أي منها أن إبليس اعتذر بأنه غير مخاطب بالأمر بالسجود؛ فدل ذلك على أنه مخاطب به؛ ومعنى ذلك أنه من الملائكة لأنهم هم الذين أمروا بالسجود.

قلت: ويمكن أن يعترض عليه بأن الله تعالى لم يقل لم آمر أحداً بالسجود إلا الملائكة؛ وإنما قال إنه أمر الملائكة بالسجود، ولم ينف الأمر عن غيرهم؛ فدل ذلك على أن إبليس قد يشمله الخطاب، وإن لم يكن من الملائكة.

ولم أجد من أهل العلم من نص على هذا الاعتراض، وإنما استنبطته من كتاب الله تعالى مع ملاحظة قول بعض أهل العلم أنه شمله الخطاب لوجوده مع الملائكة وكثرة عبادته.

الدليل الرابع: أن هذه الأدلة وغيرها لا تعارض نص آية الكهف التي تدل على أن إبليس كان من الجن؛ لأن الجن في اللغة تطلق على كل ما لا يرى.

ويعترض عليه بأن هذا الدليل وإن كان سائغاً لغة إلا أن الأصل حمل الألفاظ على حقائقها الشرعية لا اللغوية كما هو معروف في علم الأصول، وكما حققه غير واحد من أهل العلم، والحقيقة الشرعية للفظ الجن هي غير الملائكة بدليل أن الجن منهم مؤمنون ومنهم كفار شياطين، أما الملائكة فكلهم مؤمنون معصومون من المعاصي؛ فضلاً عن الكفر البواح.

ثم ذكر الشيخ ـــ رحمه الله تعالى ـــ أدلة القائلين بأنه ليس من الملائكة ـــ وسماها شبها ـــ ثم رد عليها فقال رحمه الله تعالى: (وقد جاء الطبري بشبه القائلين بأن إبليس لم يكن من الملائكة، ثم رد عليها، وإليك هذه الشبه: لقد أخبر الله أنه خلق إبليس من نار السموم، ولكنه لم يقل هذا عن الملائكة، ثم أخبر عن إبليس في سورة الكهف أنه من الجن، ثم إن لإبليس نسلاً وذرية، والملائكة لا يتناسلون ولا يتوالدون.

وإليك رد ابن جرير الطبري على هذه الشبه: " وهذه علل تنبئ عن ضعف معرفة أهلها. وذلك أنه غيرُ مستنكر أن يكون الله جل ثناؤه خَلق أصنافَ ملائكته من أصنافٍ من خلقه شَتَّى. فخلق بعضًا من نُور، وبعضًا من نار، وبعضًا مما شاء من غير

ذلك. وليس في ترك الله جل ثناؤه الخبر عَما خَلق منه ملائكته وإخبارِه عما خلق منه إبليس ــ ما يوجب أن يكون إبليس خارجًا عن معناهم. إذْ كان جائزًا أن يكون خلق صِنفًا من ملائكته من نار كان منهم إبليس، وأن يكون أفرد إبليس بأنْ خَلقه من نار السَموم دون سائر ملائكته. وكذلك غيرُ مخرجه أن يكون كان من الملائكة بأنْ كان له نسل وذرية، لِمَا ركَّب فيه من الشهوة واللذة التي نُزعت من سائر الملائكة، لِمَا أراد الله به من المعصية. وأما خبرُ الله عن أنه من الجن، فغير مدفوع أن يسمى ما اجتنّ من الأشياء عن الأبصار كلها جنًّا"[1].

وما أستشهد بابن جرير على كتاب ربي، وإنما أتخذ منه شهيداً لكتاب ربي سبحانه، وإليك ما يقولــه شاهد آخر، وهو البيضــاوي[2] في تفسيره لسورة البقــرة: " والأية تدل على أن آدم عليه السلام أفضل من الملائكة المأمورين بالسجود له ولو من وجه وأن إبليس كان من الملائكة وإلا لم يتناوله أمرهم ولا يصح استثناؤه منهم ولا يرد على ذلك قوله سبحانه وتعالى "إلا إبليس كان من الجن " لجواز أن يقال إنه كان من الجن فعلاً ومن الملائكة نوعاً ولأن ابن عباس ــ رضي الله تعالى عنهما ــ روي أن من الملائكة ضرباً يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم إبليس".

ثم يقول: "وأن من الملائكة من ليس بمعصوم وإن كان الغالب فيهم العصمة ولعل ضرباً من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات وإنما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة من الإنس والجن يشملهما وكان إبليس من هذا الصنــف كما قاله ابن عباس ــ رضي الله تعالى عنهما ــ فلذلك صح عليه التغير عن حاله والهبوط من محله كما أشار إليه بقوله عز وعلا: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ ۝٥٠﴾[3] [4])[5].

---

(١) تفسير الطبري (ج١، ص ٥٠٨).

(٢) البيضاوي: العلامة المفسر قاضي القضاة، ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن علي البيضاوي الشيرازي، الشافعي، له مصنفات واسعة. انظر: البداية والنهاية (ج١٣، ٣٠٩ص).

(٣) (سورة الكهف : آية٥٠).

(٤) تفسير البيضاوى ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى ٦٨٥هــ) ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هــ (ج١، ص٢٩٤ــ٢٩٥).

(٥) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٤، تاريخ ١٣٨٣هــ (ص١١ــ١٢).

قلت: أما قول ابن جرير الطبري ــ رحمه الله تعالى ــ ففيه من التكلف ما هو ظاهر بين؛ إذ النزاع إنما هو في ما صرح به ربنا تبارك وتعالى، وقد صرح بأنه خلق الملائكة من نور وخلق إبليس من نار السموم، فدل ذلك على أن أصل خلقتهم مختلفة..

وأجمع المسلمون على أن الملائكة لا نسل لهم ولا يتوالدون ــ وقد بينت ذلك سابقاً ــ وصرح ربنا تبارك وتعالى أن لإبليس ذرية.

وقل نفس الشيء في كلام البيضاوي ــ رحمه الله تعالى ــ؛ يضاف إلى ذلك أن تفريق البيضاوي هذا الذي ذكر من أن إبليس كان من الجن فعلاً، وإن كـــان من الملائكة نوعاً لم أجد من سبقه إليه من أهل العلم، وهو مخالف لنص القرآن الكريم المصرح بأن نوع الملائكة وجنسهم معصوم من العصيان، ومجبول على امتثال الأوامر..

ثم قال الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ مصوباً قوله إن إبليس من الملائكة: (أما قوله تعالى: "كان من الجن " فأصوب قول قيل هو: أي كان من الملائكة، ولا سيما وأن القرآن قد أطلق على الملائكة أنهم جنة، وأقول: أصوب؛ ليوافق المعنى المفهوم من الاستثناء، فإن ما تخرجه بأداة الاستثناء إلا يكون من جنس ما قبلها اللهم إلا في الكلام غير الفصيح)[1].

وقال في الهامش مبيناً فائدة الاستثناء: (يفيد الاستثناء إخراج ما لولاه لدخل، ويصح دخوله، فهل يصح دخول إبليس إن نفينا عنه كونه من الملائكة)[2].

وقد بينت الاعتراضات الواردة على كلام الشيخ رحمه الله تعالى عن هذه الآية في الفصل الأول المتعلق بمنهجه في تقرير عقيدة السلف [3].

---

(١) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نور من القرآن، عدد ٤، تاريخ ١٣٨٣هـ (ص١٤).

(٢) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٤، تاريخ ١٣٨٣هـ (ص١١ــ١٢).

(٣) يراجع الفصل الأول من هذا الباب.

جهود الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ في بيان وجوب الإيمان بالرسل:

إن الإيمان بالرسل الكرام ركن من أهم أركان الإيمان كما هو مبين في آيات كثيرة وأحاديث نبوية شريفة.

وقد قدمت الأدلة على هذا الركن عند الكلام على الإيمان بالملائكة الكرام.

الفرق بين النبي والرسول:

يبين الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ موقفه من هذه القضية فيقول: ﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾[1]

تدل هذه الآيات ــ كما هو مبين ــ على أن كل رسول نبي، وأن كل نبي رسول، وأقصد بالرسول من أوحي إليه بدين، لا المعنى اللغوي فحسب، وتدبر أيضاً قوله تعالى: ﴿وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ ٦﴾[2] ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَۖ فَمِنۡهُم مُّهۡتَدٖۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٢٦﴾[3] وقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥﴾[4] ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ ١٥٧﴾[5] ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ

(١) (سورة النساء : الأيات ١٦٣ـــ١٦٤).

(٢) (سورة الزُّخرُف : آية ٦).

(٣) (سورة الحديد : آية ٢٦).

(٤) (سورة الأحزاب : آية ٤٥).

(٥) (سورة الأعراف : آية ١٥٧).

تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾[١] ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾﴾[٢] ووصف إسماعيل: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾[٣].

كما يقال أيضاً عن كل نبي إنه رسول، تدبر: ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾[٤] وعن عيسى: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾[٥].

وهكذا نستطيع أن نتبين من آيـــات القرآن أن كل رسول نبي وكل نبي رسول لا كما نحفظ أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا!!)[٦].

هكذا إذن يحاول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ أن يثبت أنه لا فرق بين النبي والرسول من خلال استعراض تلك الآيات القرآنية الكريمة التي جمعت وصفي الرسالة والنبوة.

قلت: ولا شك أن الآيات التي ذكرها الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ لا تدل على ما ذهب إليه؛ بل إنها صريحة في وصف أولئك الرسل بأنهم أنبياء وهذا لا خلاف فيه أعني أن كل رسول فهو نبي.

وإنما يستقيم رأي الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ لو ذكر لنا آيات تصف بعض الأنبياء غير المرسلين بأنهم رسل، وهذا ما لم يأت به.

---

(١) (سورة الأعراف : آية ١٥٨).

(٢) (سورة مريم : آية ٥١).

(٣) (سورة مريم : آية ٥٤).

(٤) (سورة النساء : الأيات ١٦٣ـــ١٦٤).

(٥) (سورة مريم :آية ٣٠).

(٦) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ١، تاريخ ١٣٨٥هـــ (ص٧).

ثم يستدرك الشيخ ليقرر أن هناك فرقاً بين النبي والرسول فيقول: (... غير أنا نجد في كتاب الله سبحانه هذه الآية: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢﴾[١].

وفي هذا ما يشعر بأن بينهما فرقاً؛ فما الفرق؟

جاء في تفسير الجلالين لتلك الآية أن الرسول من أمر بالتبليغ، وأن النبي هو الذي لم يؤمر بالتبليغ، وأكثرنا يردد قول تفسير الجلالين، وهو خطأ؛ لأن آيات القرآن تحكم بخطأ هذه التفرقة، فكثير من آيات القرآن تدل على أن النبي مأمور بالتبليغ أيضاً.

أما البيضاوي ففرق بينهما تفرقة أدل؛ إذ قال في تفسير تلك الآية "الرسول من بعثه الله بشريعة مجددة يدعو الناس إليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى ـــ عليهم السلام ـــ.

وقيل الرسول من جمع إلى المعجـــزة كتاباً منـــزلاً عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى عليه في المنام"[٢].

والرأي الأول هو: الذي أستطيع استنباطه من القرآن؛ فالله يقول عن أنبياء بني إسرائيل أنهم كانوا يحكمون بالتوراة، إذن لم يكن لهم كتاب جديد، فالنبي إذن هو من أرسل بكتاب نبي سابق، أما الرسول فنبي أعطي كتاباً جديداً والله أعلم)[٣].

قلت: وجمهور أهل السنة على أن هناك فرقاً بين النبي والرسول، وإن اختلفوا في ماهية ذلك الفرق.

---

(١) (سورة الحج : آية ٥٢).

(٢) تفسير البيضاوى (ج٤، ص١٣٣).

(٣) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ١، تاريخ ١٣٨٥هـــ (ص٧ـــ٨).

وصدق الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ في تخطئة القول بأن الرسول هو الذي أمر بالتبليغ والنبي لم يؤمر به بدليل آية سورة الحج حيث أسندت الإرسال لهما.

وهذا الفرق الذي قرره الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ في الأخير هو الذي تطمئن إليه النفس جمعا بين الأدلة. والله تعالى أعلم.

تصديق الرسل فيما أخبروا به:

ومن أهم أسس الإيمان بالرسل تصديقهم فيما يخبرون، وطاعتهم فيما يأمرون، وإلا فما فائدة الإيمان بأنهم رسل الله تعالى..

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (... والمؤمن الصادق لا تمسه أبداً مسة من شك في شيء يحدثه به رسول الله ﷺ، وإن تراءى له أنه يخالف العقل؛ فما بالك بمن يرتاب في آية من كتاب الله؟!

وإن العبرة التي تستروح روحانية هداها العظيم من هذه الآية هو أنه يجب على المسلم أن يذعن رضي النفس خاشع الحس متطامن الفكر لكل ما يخبرنا به الله ورسوله)[١].

وعند كلامه على قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ ﴾[٢] قال ــ رحمه الله تعالى ــ: (... إن موقف المسلم من هذا يجب أن يكون موقف الإيمان في أروع روحانية التقوى والخشوع؛ فيقول صادق الإيمان رضي الروح: آمنت آمنت بما أنزل الله، وأخبر به رسول الله، وإن خيل إليه أن العقل يخالف ما أنزل الله وأخبر به!! ليتهم عقله بالعي والقصور، وإلا بهت الوحي الإلهي بهذا، وكان ممن يزعم أن رأي المخلوق يهيمن على حكمة الخلاق)[٣].

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ١١، تاريخ ١٣٨٠هـ (ص٧).

(٢) (سورة الإسراء : آية ٦٠).

(٣) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ١١، تاريخ ١٣٨٠هـ (ص٩).

فالشيخ ينص في تلك الفقرات إلى نقطة مهمة في موضوع الإيمان بالرسل ألا وهي تصديقهم في كل ما يخبرون به، والسمع والطاعة لهم؛ حتى ولو تعارض ما يخبرون به مع عقل الإنسان أو هواه.

هل النبوة خاصة بالرجال فقط:

تكلم الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ على هذه القضية، وبين خطأ قول الظاهرية ومن وافقهم في أن النبوة تكون في النساء أيضاً.

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (حكم بعض الظاهرية[1] بنبوة مريم وأم موسى، والحق الذي يهدي إليه القرآن أن وحي النبوة والرسالة ما كان إلا للرجال فقط، تدبر هذه الآيات: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾[2] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[3] ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ ﴾[4].

---

(١) الظاهرية: أتباع مذهب داود بن علي الاصبهاني المعروف بالظاهري ، ومن أئمة الظاهرية: ابن حزم الاندلسي، وسموا بالظاهرية لأنهم يأخذون بظواهر النصوص الشرعية ويرفضون القياس معجم لغة الفقهاء د. محمد رواس ، د.حامد صادق ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ (ج١، ص٢٩٥) والمعجم الوسيط (ج٢، ص٥٧٨) ومقصود الشيخ ببعض الظاهرية هو ابن حزم ــ رحمه الله تعالى ــ وقد قال بنبوة النساء .

(٢) (سورة يوسف : آية ١٠٩).

(٣) (سورة النحل : آية ٤٣).

(٤) (سورة الأنبياء : آية ٧).

وحينما قال المشركون ــ كما قص الله في سورة الأنعام ــ ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨﴾[(١)] كان مما قاله الله سبحانه ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝٩﴾[(٢)].

وهذا يدل دلالة قاطعة على أن النبوة في الرجال فقط، ومن يقل بغير هذا يفتري على الله بهتاناً أثيماً)[(٣)].

وهكذا بين الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ مسألـــة في غاية الأهميـــة وهي أن النبوة لا تكون في النساء بل هي خاصة بالرجال، واستدل على ذلك بآيات كثيرة.

وأما قوله ــ رحمه الله تعالى ــ بأن القول بنبوة النساء خاص بالظاهرية فليس الأمر كذلك؛ بل قال بها أبو الحسن الأشعري والطبري والقرطبي وغيرهم [(٤)].

ومستنـــد قولهم أن النـــص القرآني إنما تناول الرسالة وخصصهـــا بالرجال، ولا خلاف في ذلك، وأما النبوة فلم تتناولها الآيات القرآنية من جهة حصرها في الرجال؛ وقالوا بأن النبي قد لا يؤمر بالتبليغ فيكون شرعه خاصاً به، وهذا غير ممتنع في النساء.

واستدلوا على قولهم هـــذا أيضاً بأن القرآن صريـــح في أن الله تعالى أوحـــى إلى أم موسى كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾[(٥)]. وصريح كذلك في أن جبريل خاطب مريم ابنة عمران، كما قال تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ

---

(١) (سورة الأنعام : آية ٨).

(٢) (سورة الأنعام : آية ٩).

(٣) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ١، تاريخ ١٣٨٥هـ (ص٦).

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم ، والسبع المثاني ، أبو الفضل محمود الآلوسي ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت (ج١٤، ص١٤٧). فتح الباري (ج٦، ص٤٤٧).

(٥) (سورة القصص : آية ٧).

جِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾[(١)]. وخاطبتها الملائكة: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾[(٢)] وهكذا في سارة وهاجر وحواء وآسية.

كما استدلوا بحديث النبي ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ حين قال: "**كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**"[(٣)].

والكمال البشري إنما يكون في النبوة.

ويعترض على أدلتهم من أوجه:

الأول: أن الفرق الذي يظهر من كتاب الله تعالى وأقوال أهل العلم بين النبي والرسول إنما هو في أن الرسول أوتي شرعاً جديداً والنبي بعث بشرع سابق، وعليه فلا فرق بينهما من ناحية الإرسال والأمر بالتبليغ.

الثاني: أن الملائكة قد تخاطب من ليس بنبي كما في قصة الأقرع والأبرص والأعمى، وغيرها.

الثالث: أن اصطفاء مريم وغيرها ليس حجة على نبوتها بدليل أن الله تعالى اصطفى كثيراً من العالمين وليسوا أنبياء كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ

---

(١) (سورة مريم : آية ١٧).

(٢) (سورة آل عمران : آية ٤٢).

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قول الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ... إلى قوله: ... وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴿١٢﴾﴾. حديث رقم ٣٤١١ (ج٨، ص٥٠٦) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ ، باب فضائل خديجة أم المؤمنين، حديث رقم ٦٤٢٥ (ج٧، ص١٣٢).

ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾[١] وقال: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[٢] ومن هؤلاء من ليس بنبي بالإجماع.

التفاضل بين الأنبياء:

بين الشيخ في مسألة الإيمان بالأنبياء حقيقتين مهمتين:

الأولى: أنهم أفضل من جميع العالمين.

الثانية: أن بينهم تفاضلاً فيما بينهم.

يقول ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (بين الله سبحانه بعض أنواع الفضل فذكر أن أعلاها وأعظمها إنما هي الرسالة والنبوة إذ يقول سبحانه عقب ذكر بعض أنبيائه ورسله: ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾[٣] .

ثم بين بعض أنواعه التي من بها على رسله فقال: ﴿۞ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ ﴿٢٥٣﴾﴾[٤] ﴿۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾[٥] [٦].

ويقول في موضع آخر: (... وبهذا العلم المحيط فضل بعض أنبيائه على بعض ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى

(١) (سورة فاطر : آية ٣٢).
(٢) (سورة آل عمران : آية ٣٣).
(٣) (سورة الأنعام : آية ٨٦).
(٤) (سورة البقرة : آية ٢٥٣).
(٥) (سورة سبأ : آية ١٠).
(٦) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ١، تاريخ ١٣٨٩هـ (ص١٠).

ﭐبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ ﴿٢٥٣﴾﴾[(١)] وفضل محمداً ﷺ بأن جعل رسالته للناس كافة، وأن جعله خاتم النبيين والمرسلين، وأن جعل الكتاب الذي أنزله عليه هو المهيمن على كل كتاب أنزله الله، وأن أكمل الله برسالته الإسلام الذي أرسل به كل رسله، فلا يقولن امرؤ لما اختص الله محمداً بهذا الفضل كله؛ فالله أعلم حيث يجعل رسالته، والله يختص برحمته من يشاء)[(٢)].

وهكذا يبين الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ حقيقة أن الأنبياء هم أفضل الخلق، وأن بعضهم أفضل من بعض؛ فيجب الإيمان بذلك إجمالاً.

ثم يعدد بعض الخصال التي فضل بها محمد ﷺ وهي كثيرة؛ فيجب الإيمان بذلك كذلك.

مناط الكفر الجحود بالرسل:

لم يقتصر الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ على المسائل التي يجب الإيمان بها فيما يتعلق بركن الإيمان بالرسل؛ بل أوضح المكفرات في هذا الجانب، والتي تفضي إلى الكفر..

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (زعم الكافرون في كل أمة أن الله سبحانه لا يمكن أن يكلم البشر، ولهذا كانت بشرية الرسل مناط الكفر والجحود برسالاتهم ونبواتهم من أولئك الذين ينكرون أن الله يمن على عباده بما يشاء.

وقد تبين لنا أن هؤلاء فريقان، أما أحدهما فوقف بكفره عند هذا، أي كفر بنبوة الرسل، ولم يؤمن بما جاؤوا به عن الله سبحانه.

أما الآخرون فلكونهم كفروا بأن يكون الرسل بشراً نسبوا الألوهية إلى بعض الرسل.

---

(١) (سورة البقرة : آية ٢٥٣).

(٢) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٨، تاريخ ١٣٨٠هـ (ص١١).

لقد زعموا أن للرسول ظاهراً وباطناً؛ فظاهرهم بشرية أو آدمية، وباطنهم ألوهية وربوبية.

أو زعموا أن الله نفسه هو الذي يتجلى في صور هؤلاء المرسلين، وهؤلاء هم الصوفية في كل أمة)(١).

ثم استطرد الشيخ رحمه الله تعالى في ذكر الأدلة من الآيات القرآنية على بشرية الرسل، واتصافهم بصفات البشر العادية من حيث الأكل والشرب والمشي في الأسواق.

وهذه الحقيقة التي ذكرها الشيخ هنا من أن جحود بشرية الرسل أو رسالتهم من عند الله تعالى هي مناط الكفر، مصرح بها في كتب أهل التصوف، وأشبعها الشيخ رداً عليهم وسوف أفصلها إن شاء الله تعالى في باب الردود.

جهود الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ في بيان ركن الإيمان باليوم الآخر:

بين الشيخ رحمه الله تعالى وجوب الإيمان باليوم الآخر وما يقع فيه من العرض والحساب وبقية الأمور الغيبية، وأوضح أدلة ذلك في مواضع شتى.

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ عن البعث: (كل ما ورد في القرآن عن البعث يؤكد أننا سنبعث بأجسادنا وأرواحنا من قبورنا بيد أنه نجمت فرق متعددة بين المسلمين تدعى الإيمان بالبعث، ثم تؤوله، وتؤول معه ما سيكون يوم القيامة تأويلا لا ينتسب لا إلى عقل ولا إلى دين، ولا إلى لغة، ولا إلى عرف، وحجتهم في هذا ــ إن كان خرف الضلالة يسمى حجة ــ أن العقول ترى المعاني الظاهرة للألفاظ مستحيلة التصديق؛ إذ لا يمكن أن يصدق العقل أن تعود العظام الرميمة مجلوة الحياة، ولا أن تبدل الأرض غير الأرض والسماوات، ولا أن تشرق الأرض بنور ربها، وغير ذلك مما يبين الله في كتابه الكريم)(٢).

ومرة أخرى نجد الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ يبين ويؤكد ضعف العقل البشري، وعدم قدرته على تصور كنه كثير من الأمور الغيبية، وإن كان إيمانه بالحقيقة الغيبية الكبرى يجعله ــ بداهة وعقلاً ــ مجبر على الحقائق الغيبية الأخرى.

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ١، تاريخ ١٣٨٥هـ (ص٨ـ٩).

(٢) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٦، تاريخ ١٣٨٠هـ (ص١١).

والمخبر عن هذه الحقائق الغيبية هو الله تعالى؛ ورسله ــ عليهم الصلاة والسلام ــ، والتصديق بما أخبروا به واجب، وقد قدم الشيخ رحمه الله تعالى أدلة ذلك.

الرد على منكري البعث:

كثير من الأمور العقدية يتم تقريرها من خلال الرد على منكريها؛ وبيان تهافت أدلتهم وضعف مستنداتهم من الناحية الشرعية والعقلية، وهذا ما جنح إليه الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ في مسألة البعث وغيرها من المسائل العقدية التي اختلف فيها المسلمون مع غيرهم.

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (الرد على منكري البعث، وقد استدل عليهم القرآن بالنشأة الأولى إذ اعترفوا بالخلق الأول، فقال: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾[1]. ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾[2] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾[3].

يشهد الحس والعقل أن من يبدع الشيء لأول مرة يكون صنع هذا الشيء نفسه أهون عليه في المرة الأخرى؛ فما لهؤلاء يشهدون بهذا الإنسان ويرونه مستحيلاً على خالق الإنسان؟

ما بالهم يعجبون من أن يبعثهم الله بعد أن يصيروا عظاماً، وبعد أن تصير هذه العظام رمادا؟ فقد دانوا بالخلق الأول، وبأن الله هو ربه ومبدعه، وبأن الإنسان خلق من تراب، فما بالهم يظنون أن الله لا يقدر أن يفعل هذا مرة أخرى؟ ألأن الإنسان صار عظاماً، ثم صارت هذه العظام رفاتا؟ إن الله الذي ينسبون إليه العجز عن هذا قد خلق

---

(١) (سورة يس : آية ٧٩).
(٢) (سورة ق : آية ١٥).
(٣) (سورة الروم : آية ٢٧).

ــ كما يؤمنون ــ مما هو أقل من هذا الرفات إنساناً سوياً يعقل ويسمع ويبصر ويكلمه الله، أفمن يبدع هذا الإبداع لأول مرة يعجز عنه إذا شاء أن يبدعه مرة أخرى؟[١].

ثم يستطرد الشيخ في ذكر أدلتهم ومنشؤها أنهم لا يؤمنون إلا بالحس والمشاهدة؛ ولذلك أنكروا البعث لأنهم يرون الأجساد تفنى كلها إما بأكل الوحوش لها حتى لا يبقى منها شيء، وإما بأكل الأرض لها حتى تبلى...

ولكن هذا عوار في عقولهم فلم تبصر من الحقيقة إلا جزءها، ولم تتعقل ذلك الجزء حق تعقله؛ إذ أن هذه الأجساد قبل أن تموت وتفنى وتصبح عظاماً نخرة؛ من الذي أحياها أول مرة؟ وهم يقرون بأن الله جل جلاله هو الذي خلقهم، والذي خلق أول مرة قادر على إعادة الخلق ثانية وثالثة إلى ما لا نهاية.

ثم يرد عليهم الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ بأدلة دامغة يمكن تلخيصها فيما يلي:

١ ــ أن الذي خلق الإنسان من عدم قادر على خلقه مرة أخرى.

٢ ــ أن منشأ الإنسان هو التراب، فكيف نؤمن بأن التراب الأول كان جياشاً بالحياة في حين صار التراب الآخر عاقراً لا يلد حياة؟

٣ ــ تردد قصة الإحياء والإماتة في القرآن الكريم كما في قصة الذي مر على قرية، وكما في قصة أصحاب الكهف وغير ذلك.

٤ ــ أنه في كل يوم تشهد الإنسانية هذه القضية، وهي أنه يولد أولاد ثم يكبرون ثم يموتون، وأصل الولد نطفة، وأصل النطفة الغذاء، وأصل الغذاء الأرض.

واستدل على تلك الأدلة بآيات من كتاب الله تعالى منها قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾﴾[٢]. ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٦، تاريخ ١٣٨٠هــ (ص٨).

(٢) (سورة يس: آية ٧٧).

أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾﴾[١]. وقوله تعالى: ﴿۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾﴾[٢][٣].

العرض والحساب:

من الأمور الغيبية المتعلقة بيوم القيامة مسألة العرض والحساب، وقد دلت عليها آيات كثيرة من كتاب الله تعالى.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾﴾[٤]. ثم تدبر في سورة الشورى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾﴾[٥].

تؤكد هذه الآيات عرض الكافرين على النار وعرض النار على الكافرين، وتؤكد أنها ستبرز لهم بما فيها من عذاب، وأنهم يعرضون عليها في حال وصفهم بأنهم خاشعين من الذل، وأنهم سيسترقون النظر إليها أحياناً)[٦].

---

(١) (سورة يس: آية ٣٣).

(٢) (سورة الإسراء: الأيات ٥٠ــ٥١).

(٣) راجع: مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٦، تاريخ ١٣٨٠هــ (ص٨ــ١٠).

(٤) (سورة الأحقاف: آية ٣٤).

(٥) (سورة الشورى: الأيات ٤٤ــ٤٥).

(٦) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٩، تاريخ ١٣٨٤هــ (ص٩).

الجنة والنار:

كذلك يجب الإيمان بالجنة والنار، وجزاء الكفار والعصاة، وجزاء المؤمنين الأتقياء، وكل من الجنة والنار من الأمور الغيبية المتعلقة بيوم الآخر.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ۝٢٩﴾[1] يخبر سبحانه عما أعده لأولئك الذين ظلموا أنفسهم، وهم الذين أغفل الله قلوبهم عن ذكره، واتبعوا أهواءهم، والذي أعده الله هو "نارا" هكذا جاءت نكرة غير معرفة بكلمة "أل" ليعلم المسلم أنها نار رهيبة مخيفة لم تر مثلها عين من قبل، وليست معروفة لأحد غير أن لهذه النار صفة هي أن سرادقها يحيط بمن فيها؛ فلا يجدون لها مهرباً، ولا يستطيعونه، وفي التعبير بإحاطة السرادق ما فيه من خوف وهول وفزع وتيئيس من الفرار من النار "وإن يستغيثوا" لا غوث لهؤلاء إن نزعوا إلى استغاثة وهم في النار سوى ما وصفه الله سبحانه وهو ماء وقد ورد نكرة أيضاً لأنه ليس كهذا الماء الذي نعرفه، وإنما هو يجمع صفتين أنه قذر غليظ غير مستساغ وأنه يشوي الوجوه، فتدبر رجلاً يوجعه الظمأ الشديد، ويدفع به إلى أن يستغيث فلا يجد إلا ذلك الشراب الموصوف بما ذكر!!

ثم يواصل الشيخ وصف بعض عذاب أهل النار، وصفة شرابهم أعاذنا الله وجميع المسلمين من ذلك، ثم يقول: ﴿وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ۝٢٩﴾[2]. لقد وصفت النار في سورة الفرقان بقوله سبحانه ﴿إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ۝٦٦﴾[3]. أما هنا فيزيدها الوصف رهبة بما فيه من استهزاء وسخرية بأصحاب النار.

---

(١) (سورة الكهف : آية ٢٩).

(٢) (سورة الكهف : آية ٢٩).

(٣) (سورة الفرقان : آية ٦٦).

فالمرتفق ما يتكئ الإنسان عليه بمرفقه، وما ينتفع به، والنار لا ارتفاق فيها للكفار، وإنما هو استهزاء بهم وبيان بالغ القوة لمدى تعاستهم وشقائهم وهل يوجد تعس أشد تعاسة من ذلك الذي لا يجد له مرتفقا سوى هذه النار)[١].

فبين الشيخ في هذه الفقرة حقيقة النار، وصفتها، وصفة العذاب المعد فيها للكفار، وأوضح ذلك بالأدلة من كتاب الله تعالى.

ويقول ــ رحمه الله تعالى ــ عن الجنة وما أعده الله تعالى من النعيم لأهلها: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾[٢]. بيان لبعض ما أعده الله سبحانه للذين آمنوا وعملوا الصالحات ومنه "جنات عدن" جنات إقامة وخلود كما ورد في سورة فاطر قاصا قول أصحاب الجنة: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾[٣]. وقد وصفت هذه الجنات بأن الأنهار تجري من تحتها أي دونها بحيث يشرف عليها من في الجنة من عل.

يحلون فيها من أساور من ذهب والأساور هذه كانت من سمات الغنى الوسيع، ويبدو لنا هذا من قول فرعون عن موسى، وقد قصه الله في قوله: ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ ﴿٥٣﴾﴾[٤]. وستكون الأساور التي يحلى بها المؤمنون أنواع مختلفة؛ فبعضها من ذهب كما ورد هنا وبعضها من فضة كما يقول الله سبحانه: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾[٥]. وسيكون معها لؤلؤ

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ١٠، تاريخ ١٣٨٢هـ (ص١٣ــ١٤).

(٢) (سورة الكهف : آية ٣١).

(٣) (سورة فاطر : آية ٣٤).

(٤) (سورة الزُّخرُف : آية ٥٣).

(٥) (سورة الإنسان : آية٢١).

أيضا كما يقول سبحانه: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾[(١)].

"ويلبسون ثيباً خضراً من سندس" هذا بيان لما يلبسه أهل الجنة فيها، ولعلها تكون ثياباً بعضها فوق بعض فمنها ما هو رقيق، ومنها ما ليس كذلك.

أو لعل أهل الجنة يلبسون مرة سندساً ومرة استبرقاً " يلبسون من سندس وإستبرق".

متكئين فيها على الأرائك " إنه النعيم الوفير، والسكينة الوارفة، والراحة وهدوء البال...)[(٢)].

هذه هـــي الجنة التي يجــب الإيمان بها، وبنعيمهـــا المادي والمعـــنوي، الروحي والجسماني، وهي من أسس وأركان الإيمان بيوم الآخر الذي هو ركن من أركان الإيمان.

وبين الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ الفردوس، وقضية الخلود في موضع آخـــر فقال: (... وقد ذكر المفســـرون عن الفردوس أقوالاً منسوبـــة إلى أصحابها، وأحب أن أذكرها لك.

قالوا عنها: هي معظم الجنة، أو ربوة الجنة، أو أوسطها وأفضلها، أو سرة الجنة، أو البستان باللغة الرومية أو الحبشية، أو البستان الذي فيه الأعناب، والذي يجمع الكرم والنخل، وقد ورد في الصحيحين: **"إذا سألتم الله الجنة؛ فاسألوه الفردوس؛ فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه تنفجر أنهار الجنة "**[(٣)].

ومن يتدبر الحديث ولا سيما آخره يجد فيه إشراقة من قول الله في سورة البقرة، وحسبنا هدي الله وهدي رسوله ﷺ.

---

(١) (سورة الحج : آية٢٣).

(٢) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نور من القرآن، عدد ١٠، تاريخ ١٣٨٢هـ (ص١٥ــ١٦).

(٣) صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير باب درجات المجاهدين في سبيل الله حديث رقم ٢٧٩٠ــ (ج٧، ص٢٠١).

"خالدين فيها لا يبغون عنها حولا" والخلود هو الثبات والملازمة أو هو كما عرفه الراغب مفصلاً: تبري الشيء عن اعتراض الفساد، وبقاؤه على الحالة التي هي عليه، وكل ما يتعاطى عنه الغيير والفساد تصفه العرب بالخلود، وهو تعريف دقيق، ومنه يتبين لنا أن أهل الجنة يبقون فيها دون أن يصيبهم نصب أو لغوب أو صيرورة إلى بوار، أو فساد أي دون أن ينال منهم كر الأحقاب والأجيال ما ينال من أهل الدنيا، تعرف في وجوههم دائما نضرة النعيم، ولقد جيء في غير هذه الآية بكلمة "أبدا" والأبد زمان ممتد لا يتجزأ كما يتجزأ زماننا...)[١].

ويبين في موضع آخر وجوب الإيمان بالجنة ونعيمها، وعدم تأويل أي لفظة من تلك الآيات والأحاديث التي ذكرت النعيم تأويلاً يخرج اللفظ عن مدلوله.

يقول عليه رحمة الله تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾﴾[٢]. الرزق مادي وروحي، هذا الرزق العظيم دائم لا ينقطع؛ فالتعبير بأول النهار وآخره يعطي هذا المعنى.

هذا وفي كتاب الله سبحانه آيات محكمات عن الجنة وثوابها العظيم المادي والروحي، الثواب الذي تؤكد آياته أنه الثواب الذي لا يعدل شيئاً منه ثواب آخر من كل الملوك البررة مجتمعين؛ والذي يفرضه الله علينا أن نؤمن بكل كلمة تتكلم عن هذا الثواب دون أن نأتي لها بتأويل هو تحريف للكلم عن مواضعه، أقول هذا لأن الذين لا يأخذ القرآن ولا يدنو قلوبهم منه بحب أو ثقة، يزعمون أن كل كلمة عن الجنة يجب أن تؤول بمعنى آخر غير معناها الذي هو لها في كتاب الله، زعما منهم أن الله أكبر من أن يعدنا بثواب من طعام وزوجات وفرش وغير هذا مما بين الله سبحانه.

إننا بشر وللبشرية استمتاع خاص بها، ونعيم تدرك أنه نعيم، وتذوق به تشعر أنها في سعادة أو شقاء؛ فلنؤمن مخبتين مذعنين بكل كلمة، بكل وصف ذكره، حامدين الله على نعمائه ضارعين إليه أن يهب لنا ما أعده جل شأنه.

---

(١) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نور من القرآن ، عدد ١٢ سنة ١٣٨٤هـ (ص٩).

(٢) (سورة مريم : آية٦٢).

وإليك حديثين ذكر فيهما شيء من حياة أهل الجنة في الجنة، قال رسول الله ﷺ :

" **أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون آنيتهم فيها الذهب أمشاطهم من الذهب والفضة ومجامرهم الألوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيا** "[(١)] والألوة بفتح الهمزة وضمها، وبضم اللام وتشديد الواو وفتحها من أسماء العود الذي يتبخر به، ويقول الأصمعي: ما أراها إلا فارسية عربت.

وعنه ﷺ: **إن أهل الجنة ليتراءون الغرف في الجنة كما تتراءون الكوكب في السماء**"[(٢)])[(٣)].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وبيان أنها مخلوقة، حديث رقم ٣٢٤٥ (ج٨، ص٢٩٧). صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فى صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم فيها بكرة وعشيا، حديث رقم٤٨٩ (ج١، ص١٢٢).

(٢) المرجع السابق، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، حديث رقم ٦٥٥٥ (ج١٦، ص٤٠١). صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب ترائى أهل الجنة أهل الغرف كما يرى الكوكب فى السماء، حديث رقم ٧٣١٩ (ج٨، ص١٤٤).

(٣) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٢، تاريخ ١٣٨٧هـ (ص١٠ـ١١).

المبحث الرابع

جهود الشيخ في بيان وجوب الإيمان بالغيب

المطلب الأول

تعريف الغيب

إن من أخص خصائص المؤمنين المتقين الإيمان بالغيب؛ كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ۝٣﴾[١].

وإن الإيمان بالمشاهد يستوي فيه التقي وغيره، بل والعاقل والمجنون؛ ولكن الذي يتصف بالإيمان بالغيب الذي أخبر الله تعالى به أو أخبر به رسوله ﷺ هو المؤمن الحقيقي، والمؤمن الصادق في إيمانه..

ولكن ما هو الغيب؟

الغيب: كل ما غاب عنك. تقول: غاب عنه غيبة وغيباً وغياباً وغيوباً ومغيباً[٢].

يقول الزبيدي: (الغيب: كل ما غاب عنك، كأنه مصدر بمعنى الفاعل، ومثله في الكشاف. قال أبو إسحاق الزجاج في قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ۝٣﴾ [٣] أي بما غاب عنهم، مما أخبرهم به النبي ﷺ من أمر البعث والجنة والنار. وكل ما غاب عنهم مما أنبأهم به فهو غيب. وقال ابن الأعرابي: يؤمنون بالله. قال: والغيب أيضاً: ما غاب عن العيون وإن كان محصلاً في القلوب. ويقال: سمعت صوتاً من وراء الغيب، أي من موضع لا أراه. وقد تكرر في الحديث ذكر الغيب؛ وهو كل ما غاب عن العيون سواء كان محصلاً في القلوب أو غير محصل.

والغيب من الأرض: ما غيبك، وجمعه غيوب. أنشد ابن الأعرابي:

إذا كرهوا الجميع وحل منهم أراهط بالغيوب وبالتلاع)[٤].

---

(١) (سورة البقرة : آية ٣).

(٢) الصحاح للجوهري (ج٢، ص٢١٥).

(٣) (سورة البقرة : آية ٣).

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي (ج٣ ، ص ٤٩٧).

المطلب الثاني

وجوب الإيمان بالغيب

الإيمان بالغيب هو أول صفات المتقين التي يتميزون بها عن غيرهم.

يقول الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ: (وقد جعل الله الإيمان بالغيب هو الصفة الأولى من صفات المتقين؛ فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ۝٣﴾[(١)].

فتلؤمن بكل غيب؛ الإيمان الصادق الذي لاينـزع به هوى إلى تعطيل جاحد، أو تأويل فاسد)[(٢)].

ويجب على المسلم أن يؤمن بالغيب؛ دون أن يتطلع إلى معرفة حقيقته؛ لأنه لو عرف حقيقته معرفة المشاهدة لم يعد غيباً، وبالتالي استوى فيه المؤمن وغيره.

يقول الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ: (تتشوف النفس الإنسانية إلى معرفة الغيب وإدراكه، وتتطلع دائماً بأشواقها إلى المجهول، لتدرك شيئاً من أسراره، أو تصل بفكرها إلى أغواره، والنفس التي خشع إيمانها، وفاض تقواها، وسلك بها حب الله السبيل إلى رضاه، تذعن طيعة لأمر الله ونهيه، وتؤمن في صدق وإخلاص بكل غيب أخبرها الله عنه.

فلا تمضي مع المسرفين في عشق الغيب إلى أن تعبده، ولا تمضي مع الجاحدين بالغيب إلى جحوده والكفر به.

إن نفس المؤمن لا تؤمن من الغيب إلا بما أخبرها الله عنه، فلا تزيد على صفات ذلك الغيب أو تنقص منه شيئاً)[(٣)].

---

(١) (سورة البقرة : آية ٣).

(٢) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٧، تاريخ ١٣٨١هـ (ص٦).

(٣) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٧، تاريخ ١٣٨١هـ (ص٤).

عدم إقحام العقل في أمور الغيب:

ثم يؤكد الشيخ على حقيقة وجوب الإيمان بالغيب كما هو دون تصوره شيئاً خيالياً مصطبغاً بصبغة الشاعرية وتمثيلها ودون تأويله تأويلاً بلا دليل، ودون صرفه عن ظاهره ليتلاءم مع معطيات العقل البشري.

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (إن نفس المؤمن لا تحب أن تقضي حياتها في تصوير الغيب تصويراً فيه جنون التخيل، وتهويلات الشاعرية، حسبها ما أخبرها الله به أنه يرضيها ويسعدها، ويمضي بحياتها مع السكينة، ثم هي لا يمكن أن تجحد بهذا الغيب كما يفعل الجاحدون الماديون عبيد الحس الأصم، والمادية الحمقاء.

لقد أخبر الله مثلاً عن الجن، وأن منهم صالحين، ومنهم غير ذلك، وأنهم استمعوا إلى القرآن فولوا إلى قومهم منذرين.

وأخبر أنه خلقهم من نار السموم...

هذا بعض ما جاء في القرآن عن الجن، وهم غيب لا يقعون تحت الحس.

والمؤمن يذعن ويطمئن قلبه إلى قول الله، ويؤمن أنه الصدق والحق، ويغمر نفسه اليقين أن هناك جنا، وأنهم كما وصف الله سبحانه دون أن توسوس نفسه بإنكار هذا أو تأويله تأويلاً هو شر من الكفر بالحقيقة وجحودها)[١].

ويقصد الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ في براعة التمثيل بالجن، وذلك لسببين:

الأول: أنهم من الغيب الذي يجب الإيمان به، ومنصوص في القرآن الكريم والسنة النبوية بوضوح.

الثاني: أن قوما حتى ممن يدعون أنهم علماء قد أولوا الجن بمحض ما يعطيه العقل البشري ليتلاءم الغيب مع المعطيات العلمية عند الغرب؛ فأول الجن أنهم عبارة عن الجراثيم.

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٧، تاريخ ١٣٨١هـ (ص٤ــ٥).

ويوضح الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ حقيقة علاقة العقل البشري بأمور الغيب؛ وأن الشرع هو الحاكم على العقل، ويجب على المحكوم اتباع الحاكم فيقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (... وفي الآية بيان شاف جليل تطمئن إليه النفس المؤمنة، أما غيرها فلا يزيدها الجواب إلا حيرة وضلالة، وتمردا على الإيمان بالغيب، ثم هو يبين لنا كيف نجيب أن يبين لنا ما يجب علينا اتباعه حين نسأل عن أمر من أمور الغيب، ثم هو جواب يقول للعقل الذي يزعم أنه يستطيع الإحاطة بكل شيء: قف، وإلا هلكت)[١].

الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى:

بين الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ أن من أهم خصائص الغيب الذي يجب الإيمان به أنه لا يعلمه إلا الله تعالى..

يقول عليه ــ رحمه الله تعالى ــ: (يقول الله تعالى في كتابه الغزيز: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾[٢] ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾[٣]. ويقول عز من قائل آمرا نبيه أخا عاد أن يقول: ﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾[٤] ويقول ــ ومن أصدق من الله قيلاً ــ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾[٥].

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٧، تاريخ ١٣٨١هـ (ص٧ــ٨).

(٢) (سورة الجن : آية ٢٦).

(٣) (سورة الأنعام : آية ٥٩).

(٤) (سورة الأحقاف : آية ٢٣).

(٥) (سورة النمل : آية ٦٥).

هذا بعض ما يقول الله، ومنه نعلم ونؤمن بأن الغيب لا يعلمه غير الله)[١].

ويقول في موضع آخر: (والله وحده هو الذي له غيب السماوات والأرض، وفي القرآن آيات كثيرات تؤكد لنا أن علم الغيب لله لا لأحد سواه؛ فلا الجن ولا الملائكة ولا الرسل يعلمون شيئاً من غيب السماوات والأرض بأنفسهم.

فالملائكة لم يعرفوا الغيب حين علم الله آدم الأسماء، ولهذا قال الله في إرشاده القوي الجليل: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[٢]. إذ كان قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴿٣٠﴾﴾[٣] شبيهاً بادعاء من يزعم أنه يعرف الغيب فامتحنهم الله في غيب مستور عنهم فلم يعرفوا شيئاً.

والجن ــ وكانوا يودون الانطلاق ــ لم يعرفوا شيئاً يقع تحت حسهم هو موت سليمان عليه السلام ؛ فما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته.

الدابة الضعيفة الصغيرة تعلم هؤلاء الأقوياء الجبابرة الذين كانوا يظنون أنهم يعرفون الغيب، ولهذا يقول الله سبحانه بعد هذا: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾[٤]. وسليمان النبي الملك العظيم لا يعرف الغيب؛ حتى يدله عليه بأمر الله هدهد.

فإذا كان الجن والملائكة والأنبياء والرسل لا يعرفون عن الغيب شيئاً؛ فهل يعرفه الفساق العرابيد الذين يزعمون أنهم شيوخ طرق أو منجمون)[٥].

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة طواغيب، عدد ٦، تاريخ ١٣٦٥هـ (ص٢٤).

(٢) (سورة البقرة : آية ٣٣).

(٣) (سورة البقرة : آية٣٠).

(٤) (سورة سبأ : آية ١٤).

(٥) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٩، تاريخ ١٣٨٣هـ (ص٧).

المطلب الثالث

جهود الشيخ في بيان وجوب الإيمان بمسائل متفرقة من عالم الغيب

إن الأمـــور الغيبية التي يجـــب على المسلم الإيمان بها، والتسلـــيم بحقيقتها، وإن لم يدركها عقله؛ ولم يستطع تصورها فكره؛ أمور كثيرة منها الجنة والنار والبعث، والنفخة الأولى والثانية، وغير ذلك كثير.

وقد تكلم الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ عن بعض هذه المسائل الغيبية، وبين وجوب الإيمان بها على وجه التفصيل..

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (متى يوضع الكتاب؟ إن الكتاب من الغيب ووضعه من الغيب ولهذا لا يجوز لامرئ أن يقتحم قدس الغيب ورجومها وإنما له ــ فحسب ــ أن يذكر ما ذكر الله يقول ربنا سبحانه: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾[1] وهذا بعد أن تكون النفخة الثانية في الصور، إذن يوضع الكتاب بعد النفخة الثانية، وبعد قيام الناس من قبورهم وبعد مجيء الله يوم القيامة هو وملائكته وإشراق الأرض بنوره سبحانه.

واكبح جماح الهوى أن يستبد بعقلك؛ فتضل في متاهات وتهلك في شعاب ينوشك في كل منها شيطان.

لتمتلئ باليقين من مجيء الله، ومن إشراق الأرض بنوره، ومن حمل الملائكة لعرشه، ومن أنهم سيكونون حافين من حول العرش مسبحين بحمد الله)[2].

إذن ذكر الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ أموراً غيبية يجب الإيمان بها، وكلها منصوصة في كتاب الله تعالى، وهي:

١ ــ إشراق الأرض بنور الله تعالى.

---

(١) (سورة الزُّمَر : آية ٦٩).

(٢) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٣، تاريخ ١٣٨٣هــ (ص٥).

٢ ـــ وضع الكتاب.

٣ ـــ مجيء الله تعالى.

٤ ـــ مجيء ملائكته.

٥ ـــ مجيء النبيين والشهداء.

٦ ـــ حمل الملائكة للعرش.

وبين أن العقل لا دخل له هنا؛ فهو عاجز حتى عن تصور أبسط منها؛ فكيف يقحم فيما هو عاجز عنه خلقة.

ثم ذكر بعد هذا كتابة الملائكة لعمل الإنسان، وإحصائهم له في كل صغير وكبير(١).

وكذلك بين أن هذه الكتابة من الملائكة لا تنفي الكتابة الأولية التي كتب الله عنده وعلم ما هو كائن؛ فيجب الإيمان بالكتابة(٢).

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٣، تاريخ ١٣٨٣هـ (ص٧).

(٢) مجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٣، تاريخ ١٣٨٣هـ (ص٨).

الباب الثالث

جهوده في الرد على عقائد الصوفية والبابية والبهائية

ويشتمل على تمهيد وأربعة فصول:

التمهيد: تعريف الصوفية لغةً واصطلاحاً.

الفصل الأول: منهجه في عرض أقوال الصوفية والفرق المخالفة.

الفصل الثاني: منهجه في الرد على الصوفية والفرق المخالفة.

الفصل الثالث: الرد على أرباب الفكر الصوفي ودعاته.

الفصل الرابع: جهوده في الرد على البابية والبهائية.

تمهيـــد

تعريف الصوفية:

أصل مادة الصوفية من:"الصاد والواو والفاء" وهو أصل صـــحيح في الـــصوف المعروف.

يقول الفيروزآبادي: (صاف الكبش صوفاً وصووفاً فهو صاف وأصوف وصائف وصوف كفرح فهو صوف ككتف وصوفانه بالضم وهي بهاء: إذا كثر صوفه)[1].

ويقول ابن فارس: (الصاد والواو والفاء أصل واحد صحيح، وهـــو الـــصوف المعروف. والباب كله يرجع إليه. يقال كبش أصوف وصوف وصائف وصاف، كل هذا أن يكون كثير الصوف)[2].

ومن هنا اختلف أهل العلم في نسبة الصوفية؛ فقيل هي منسوبة إلى الصوف على اشتقاق الكلمة؛ وسبب ذلك أنهم كانوا يلبسون الصوف إشارة إلى زهدهم في الـــدنيا على زعمهم.

وممن نصر هذا القول ابن خلدون في مقدمته حيث قال بعد ذكره لأقوال القائلين بالاشتقاق: (قلت: و الأظهر إن قيل بالاشتقاق أنه من الصوف و هم في الغالب مختصون بلبسه لما كانوا عليه من مخالفه الناس في لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف)[3].

وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ حيث قال: (والنـــسبة في "الصوفية" إلى الصوف؛ لأنه غالب لباس الزهاد)[4].

وقال في موضع آخر: (وكان السلف يسمون أهل الدين والعلـــم: " القـــراء " فيدخل فيهم العلماء والنساك ثم جد بعد ذلك اسم الصوفية والفقـــراء واسم الصوفية: هو نسبة إلى لباس الصوف هذا هو الصحيح)[5].

---

(١) القاموس المحيط للفيروز آبادي (ج١، ص١٠٧٢) .

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ج٣، ص٣٢٢) .

(٣) مقدمة ابن خلدون (ج٢، ص١٥٠) .

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (ج١٠، ص٣٦٩) .

(٥) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، مطابع الرياض ، الطبعة الثانية (ج١، ص٤٣) .

وهذا هو أرجح الأقوال من حيث ارتباطه بأصل الكلمة على الاشتقاق الأصغر وهو أقوى من الكبير والأكبر.

وهناك أقوال أخرى في اشتقاق لفظة:"الصوفية" منها أن كلمة الصوفية إنما جاء إطلاقها عليهم من معاني أخرى منها: الصفة[١]، والصفاء[٢]، والصف[٣]، وصوفة[٤]، وسوفيا [٥].

ولكن تلك الأقوال كلها لا تنتهض أدلتها للاحتجاج.

تعريف التصوف اصطلاحاً:

لم يتفق أهل العلم على تعريف واحد للتصوف ؛كما لم يجمع الصوفيون أنفسهم على تعريف معين لهم يدخلهم في دائرة التعاريف والحدود المعروفة؛ بل اختلفوا في ذلك؛

---

(١) أهْلُ الصَّفَّة هم فقراء المسلمين من أصحاب رسول الله ﷺ، الذين لم تكن لهم منازل يسكنونها، فكانوا يأوون إلى موضع مظلّل في المسجد النبوي بالمدينة المنورة، فعرفوا بأهل الصفة وقد يسمون أصحاب الظلة وضيوف الإسلام. وصُفَّة البنيان هي ظلّته وهي شبه بَهْو واسع مرتفع. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "أما الصُّفة التي ينسب إليها أهل الصفة من أصحاب النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فكانت في مؤخّر مسجد النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ في شمالي المسجد بالمدينة النبوية". كان يأوي إليها من فقراء المسلمين من ليس له أهل أو مكان يأوي إليه. يراجع: البداية والنهاية (ج٦، ص١٠٢) . ومجموع الفتاوى (ج١١، ص٣٨).

(٢) الصفاء ممدود: خلاف الكدر. يقال: صفا الشراب يصفو صفاء، وصفيته أنا تصفية. وصفوة الشيء: خالصة. الصحاح للجوهري (ج٧، ص٢٥١).

(٣) الصف: المصدر،كالتصفيف يقال: صف الجيش يصفه صفاً، وصففه، غير أن التصفيف فيه المبالغة. والصف: واحد الصفوف. تاج العروس من جواهر القاموس (ج٢٤، ص٢٤).

(٤) صوفة أبو حي من مضر وهو الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر كانوا يخدمون الكعبة في الجاهلية ويجيزون الحاج أي يفيضون بهم.لسان العرب (ج٩، ص١٩٩)، فقيل إن الصوفية سموا باسمهم لمشابهم لهم في الانقطاع إلى الله تعالى.انظر: تلبيس إبليس (ج١، ص١٩٩)، ورد شيخ الإسلام هذا الادعاء وفنده. انظر: مجموع الفتاوى (ج١١، ص٦).

(٥) سوفيا معناه الحكمة في اللغة اليونانية، انظر: نشأة الفلسفة الصوفية: عرفان عبد الحميد، المكتب الإسلامي ط٨ (ص١٠٨)، وقد نقل هذا القول عن نيكلسون، محمد فريد وجدي، مؤلف دائرة معارف القرن العشرين.

وسوف أعرض هنا لبعض تعاريف المتصوفة للتصوف:

١ ــ يعرفه معروف الكرخي[١] بأنه: "الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق"[٢].

٢ ــ ويعرفه الجنيد[٣] بأنه "أن تكون مع الله بلا علاقة"[٤].

٣ ــ ويعرف سمنون[٥] التصوف فيقول: "هو أن لا تملك شيئا ولا يملكك شيء"[٦].

وتعاريف الصوفية للتصوف كثيرة أوصلها بعضهم إلى مائة تعريف، وزادها آخرون حتى بلغت الألف؛ بل أوصلها بعضهم إلى زهاء الألفين [٧].

أما عند غير المتصوفة فإن الباحث أيضا لا يجد تعريفاً متفقاً عليه بينهم، وهذه بعض تعريفاته عندهم:

١ ــ عرف ابن الجوزي التصوف بقوله: "... والتصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي ثم ترخص المنتسبون إليها بالسماع والرقص فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من التزهد ومال إليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب "[٨].

---

(١) هو: معروف بين فيروز الكرخي ؛ يلقب بالزاهد، وهو من موالي علي بن موسى الرضا، توفي سنة ٢٠٠هـ؛ ودفن في بغداد. وفيات الأعيان (ج٥، ص٢٣١) طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن للسلمي ، ت : نور الدين سربيه ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٨هـ (ص٨٣).

(٢) عوارف المعارف للسهروردي عبد القاهر بن عبد الله ، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ. (ص٥٨).

(٣) أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزاز القواريري، الزاهد المشهور؛ أصله من نهاوند، ومولده ومنشؤه العراق، توفي سنة ٢٦٧هـ. وفيات الأعيان (ج١، ص٣٧٣).

(٤) الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي ، دار الفكر ، (ج١، ص٢٣٣).

(٥) سمنون بن حمزة يكنى أبا القاسم أصله من البصرة ولكنه سكن بغداد، توفي بعد الجنيد. صفة الصفوة عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م (ج٢، ص٤٢٦).

(٦) اللمع ، الطوسي أبو نصر السراج ، ت : د.عبد الحليم محمود طه عبد الباقي سرور ، دار الكتب الحديثة بمصر ، ١٩٦٠م. (ص ١٥).

(٧) التعرف لمذهب أهل التصوف التصوف ، أبو بكر محمد الكلاباذي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٠هـ ، (ص٩)، وعوارف المعارف (ص٥٨) واللمع (ص٤٧).

(٨) تلبيس إبليس، ابن الجوزي (ج١، ص١٩٩).

٢ ــ وعرفه ابن خلدون فقال: (الفصل السابع عشر: في علم التصوف: هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف. فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة)[١].

٣ ــ وعرف عمر فروخ الصوفية فقال: "الصوفية حركة بدأت زهداً وورعاً، ثم تطورت فأصبحت نظاماً شديداً في العبادة ثم استقرت اتجاهاً نفسياً وعقلياً بعيداً عن مجراها الأول، وعن الإسلام في كثير من أوجهها المتطرفة"[٢].

رأي الشيخ عبد الرحمن الوكيل في تعريف التصوف:

يستعرض الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ أقوال أهل العلم في الاشتقاق اللغوي لكلمة الصوفي معترضاً على كل قول بما يناسبه ومرجحاً أن الأولى بالصوفيين إذا كانوا يدعون الإسلام أن يتسموا بما سماه الله تعالى به وهو "مسلمون" [٣].

واللافت في استعراض الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ أنه استدل بأقوال المتصوفة أنفسهم مبرزاً رأي اثنين من كبار المتصوفة أحدهما قديم والآخر معاصر.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ بعد أن استعرض الأقوال السابقة في اشتقاق الصوفية واعترض عليها بما يناسبها: (... وقيل بل هي نسبة إلى الصوف لما ارتضاه الصوفية من لبس الصوف، وقد ارتضى هذا الرأي السراج الطوسي[٤] وابن خلدون

(١) مقدمة ابن خلدون (ج٢ ، ص ١٤٩ ــ ١٥٠).

(٢) تاريخ الفكر العربي د. عمر فروخ دار العلم للملايين بيروت ــ١٣٩٢هــ (ص ٤٧٠).

(٣) مجلة الهدي النبوي ، مقالة أثر التصوف في العقيدة ، عدد ١٠سنة ١٣٦٩هــ (ص٢٩).

(٤) الطوسي هو : أبو نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي الملقب بطاوس الفقراء، كان شيخ الصوفية، له كتاب "اللمع" في التصوف، توفي سنة ٣٧٨هــ. (الأعلام للزركلي (ج٤، ص١٠٤).

وزكرياء الأنصاري، ووافقهم في هذا شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ وأرضاه والنسبة هنا من ناحية اللغة صحيحة ولكن القشيري[(١)] الصوفي صاحب الرسالة المشهورة في التصوف يقول :"ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف" يعني من هذا أن لبس الصوف لم يكن مميزاً لهم وحدهم بل كان غيرهم يلبسون الصوف فتسميتهم بالصوفية نسبة إلى لبسهم الصوف يكون اسماً مشتركاً بينهم وبين غيرهم، وبالتالي يكون غير خاص بهم ولا مميز لهم عن سواهم.

ويقول أيضاً حسن رضوان[(٢)] في منظومته الكبرى التي تكاد تبلغ عشرة آلاف بيت من الرجز في قواعد الصوفية ما يأتي:

وقد جرى من حيث الاشتقاق ... في لفظة التصوف الشقاق

وكل ذي قول له توجيه ... لقوله في نفسه وجيه

ولكن القياس والقواعد ... في جملة الأقوال لا تساعد

والبعض منهم قد يقوى قوله ... بالأخذ من صوف بلبسهم له

فقوله هذا وإن يكن وجد ... له قياس في كلامهم عهد

لكن أهل الحق لم يختصوا ... بلبسه ولا عليه نصوا

وهكذا يعترف صوفيان أحدهما قديم زمانه والثاني لا يزال يوجد من كان يعرفه ويعاشره بأن النسبة إلى الصوف نسبة غير صحيحة)[(٣)].

ويستعرض الشيخ في موضع آخر تاريخ التسمية محاولاً استنتاج تعريف للصوفية ورداً على زعم الصوفية بأن الصحابة كانوا من المتصوفة مستدلاً على كل ذلك بأقوال أئمة التصوف الكبار وعلماء أهل السنة أيضاً.

---

(١) هو: عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري، أبو نصر: واعظ، من علماء نيسابور، من بني قشير صاحب تصوف ووعظ ؛ له كتاب "المقامات، والرسالة القشيرية، توفي في نيسابور سنة ٥١٤ هـ الأعلام للزركلي (ج٣، ص٣٤٦).

(٢) حسن بن رضوان بن محمد حنفي المالكي، ولد سنة ١٢٣٩هـ، وتوفي سنة ١٣١٠هـ، شاعر صوفي من تصانيفه: أرجوزة روض القلوب المستطاب، والمفاتيح الرضوانية في الصلاة على خير البرية وغيرها. انظر: ترجمته في معجم المؤلفين الصوفيين (ص١٢١).

(٣) مجلة الهدي النبوي، مقالة أثر التصوف في العقيدة ، عدد ١٠، سنة ١٣٦٩هـ ، (ص ٢٦ـ٢٧).

ثم يستخلص من خلال الأدلة نقاطا مهمة:

الأولى: أن كل الاشتقاقات التي قيلت في أصل كلمة الصوفية لا تخلوا من اعتراض لغوي أو معنوي.

الثانية: أن الصحابة لم يكونوا قطعا من المتصوفة ولم يتسموا باسمها.

الثالثة: أن أول من تسمى بالصوفي هو أبو هاشم الصوفي المتوفى سنة ١٥٠هـ[١].

ثم يرجح الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ رأي البيروني أن النسبة في الصوفي إلى الكلمة اليونانية صوفياً فيقول: (... بقي رأي للمحقق البيروني[٢] ذكره في كتابه "تحقيق ما للهند من مقولة؛ فقد ذكر البيروني في معرض الكلام عن مذاهب الحكماء من اليونان والهند واشتراك أولئك وهؤلاء في مقالة واحدة أن منهم من كان يرى الوجود الحقيقي للعلة الأولى فقط لاستغنائها بذاتها فيه وحاجة غيرها إليها وأن ما هو مفتقر في الوجود إلى غيره فوجوده كالخيال غير حق، والحق هو الواحد الأول فقط، وقد عقب على ذلك بقوله: "وهذا رأي السوفية وهم الحكماء فإن سوف باليونانية الحكمة، وبها سمي الفيلسوف بيلاسوفا أي محب الحكمة ولما ذهب في الإسلام قوم إلى قريب من رأيهم سموا باسمهم"[٣].

---

(١) يراجع مقالة نظرات في التصوف، عدد ١٠، سنة ١٣٧٩هـ، ص١١وما بعدها. قلت: وهذا رأي عبد الرحمن الجامي، والمستشرق نيكلسون أن أول من تسمى بالصوفي وأطلقت عليه هو أبو هاشم الكوفي الصوفي المتوفى سنة ١٥٠، وقال آخرون بل أول من تسمى به جابر بن حيان ؛ وقال بعض أهل العلم: أول من تسمى بالصوفي وأطلقت عليه هو: عبدك، وهو رجل شيعي صوفي توفي سنة ٢١٠ هـ. وقال آخرون: بل كان لفظ الصوفي موجوداً قبل الإسلام. والله تعالى أعلم. دراسات في التصوف والفلسفة/صالح الرقب ، د. محمود الشوبكي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م (ص: ١٨).

(٢) هو: محمد بن أحمد، أبو الريحان البيروني الخوارزمي: فيلسوف رياضي مؤرخ، من أهل خوارزم. أقام في الهند بضع سنين، ومات في بلده، اطلع على فلسفة اليونانيين والهنود، وعلت شهرته، وارتفعت منزلته عند ملوك عصره. وصنف كتباً كثيرة جداً. توفي ٤٤٠هـ، الأعلام للزركلي (ج٥، ص٣١٤).

(٣) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ، أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي (المتوفى: ٤٤٠هـ) ، عالم الكتب، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ (ص:٩).

ورأي البيروني قريب جداً من الواقع خصوصاً والقشيري يقول "وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق "[(١)].

فهو اسم أجنبي إذن عن العربية، ويؤيد رأي البيروني التقارب اللافت للنظر بين المنكرين عقائد المتصوفة ونظرهم إلى ما يسمونه الوجود المطلق والفيض الإلهي وبين ما ذهب إليه بعض محترفي الفلسفة الحيوانية أولئك الذين جعلوها هي الغاية العليا للمعرفة)[(٢)].

والذي أميل إليه بعد استعراضي لكل تلك التعريفات أن الصوفية حركة بدأت زهداً وورعاً، ثم تطورت حتى أصبحت اتجاهاً فلسفياً ذوقياً، لا يمت إلى الدين أو العقل بشيء.

وأما من حيث الاشتقاق فأقرب الأقوال إلى الحق في نظري أن اشتقاقها من الصوف.

---

(١) الرسالة القشيرية لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري دار الكتب الحديثة القاهرة . (ج٢، ص٥٥٠).

(٢) مجلة الهدي النبوي مقالة أثر التصوف في العقيدة، عدد ١٠، سنة ١٣٦٩هـ (ص ٢٧ـ٢٨).

الفصل الأول

منهجه في عرض أقوال الصوفية والبهائية

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: منهج الشيخ في عرض أقوال الصوفية من خلال النقل عن أكابرهم.

المبحث الثاني: منهج الشيخ في النقل من كتب الصوفية المعتمدة عندهم.

المبحث الثالث: اختيار نقاط انحرافاتهم الأساسية.

المطلب الأول: انحرافهم في عقيدتهم في الله تعالى.

المطلب الثاني: انحرافهم في عقيدتهم في النبي ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ.

المطلب الثالث: انحرافهم في الأولياء وكراماتهم.

المبحث الأول

منهج الشيخ في عرض أقوال الصوفية من خلال النقل عن أكابرهم

يسلك الشيخ / عبد الرحمن الوكيل مسلكاً دقيقاً في عرض أقوال المخالف له ثم مناقشتها بالأدلة الشرعية وبيان ضعف مستنداها الفكرية والعقلية فضلاً عن الدينية والشرعية.

ولا يهمل الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ أحداً من كبار المتصوفة أو غيرهم من الفرق التي رد عليها إلا استشهد بكلامه؛ ونقل عنه أهم العقائد والأفكار التي يريد الرد عليها.

ففي مجال رده على الصوفية؛ ينقل عن كبارهم في كل عصر مهتماً بالحيز التاريخي، ومنبهاً بذلك على أن الصوفية هي .. هي من بداية نشأها وحتى عصرنا الحاضر لم تختلف أفكارها ومعتقداها، وأسسها الفكرية؛ وإنما غالت في الابتعاد عن المنهج الرباني السوي.

وإن تجنب الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ في بعض الأحيان النقل عن بعضهم فإنه يفعل ذلك تحصيلاً لمصلحة راجحة يبينها وينص عليها؛ أو درءاً لمفسدة ظاهرة تزيح المناظرة والبحث عن مجاله المنوط به.

ومن ذلك قوله ــ رحمه الله تعالى ــ عند كلامه عن معتقد ابن الفارض: (ولم نتحدث عمن سبقه من الصوفية كالحلاج[1] أو البسطامي[2] مثلاً، لأنني اخترت أن أنقل عمن يجمع الصوفية جميعاً سلفاً وخلفاً على تقديسهم، أما الحلاج وغيره فيطعن فيه رياء ونفاقاً بعض الصوفية فتركته، حتى لا يكون لهم رياء معذرة)[3].

---

(١) الحسين بن منصور، وكنيته أبو مغيث. وهو من أهل بيضاء فارس. ونشأ بواسط، والعراق، وصحب الجنيد، وأبا الحسين النورى، وعمرا المكى، قتل ببغداد بباب الطاق، يوم الثلاثاء، لست بقين لذى القعدة، سنة تسع وثلاثمائة. طبقات الصوفية للسلمي (ص٩٠).

(٢) طيفور بن عيسى بن سروشان البسطامي أبو يزيد صوفي كبير صرح بالحلول والتطاول على الذات الإلهية ؛ هلك سنة ٢٦١هـ ، وهو ليس طيفور بن عيسى الأصغر. طبقات الصوفية، السلمي ، (ص ٦٧).

(٣) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص٧١).

ولكي أبين أن الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ كان ينقل عن أكابر المتصوفة والمعتمدين عندهم أورد نماذج من نقله عن رؤوسهم الذين كان لهم أثر لا يستهان به في التنظير الفكري، والتنظيم الحركي الصوفي:

نقله عن الغزالي(١):

إن الغزالي يعتبر من أكبر المتصوفين الذين نالوا سمعة كبيرة؛ واشتهروا بألقاب كالجبال عظماً وشموخاً.

ولهذا كان في نقل الشيخ عنه بعض أقواله التي تجعل المسلم على بصيرة من إطلاق الألقاب، والصفات العالية على كل عالم، وتنير له الطريق ليعرف أن تحت الرماد ناراً، وأن الإعلام يقلب الحقائق، ويجعل القبيح جميلاً، ويشوه الجميل حتى يجعله دميم الخلقة.

ويسبق الشيخ عرض عقيدة الغزالي في الله تعالى بمقدمة مفيدة فيقول عليه ــ رحمة الله تعالى ــ: (ولعل ما يقلق دهشتك، ويثير ثائرتك أن يقرن بأولئك هذا الذي افترى له الصوفية أضخم لقب في التاريخ، وهو "حجة الإسلام" ليفتكون بهذا اللقب الخادع بما بقي من ومضات النور الشاحبة في قلوب المسلمين. فاسمع إلى كاهن الصوفية ــ لا حجة الإسلام ــ يتحدث عن التوحيد ومراتبه "للتوحيد أربع مراتب... والثانية: أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه، كما صدق به عموم المسلمين، وهو اعتقاد العوام!! والثالثة: أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق، وهو مقام المقربين، وذلك بأن يرى أشياء كثيرة، ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار والرابعة: ألا يرى في الوجود إلا واحداً وهي مشاهدة الصديقين، وتسميه الصوفية: الفناء في التوحيد، لأنه من

---

(١) محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي أبو حامد الغزالي، ولد ٤٥٠هـ، وتوفي ٥٠٥هـ، له مؤلفات كثيرة من أشهرها: إحياء علوم الدين، والمستصفى. انظر: الأعلام ، للزركلي (ج٧، ص٢٢). ومعجم المؤلفين الصوفيين ، د. محمد أحمد درنبقه ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٦م (ص٤٢٠).

حيث لا يرى إلا واحداً، فلا يرى نفسه أيضاً، وإذا لم يــر نفــسه؛ لكونــه مــستغرقاً بالتوحيد، كان فانياً عن نفسه في توحيده، بمعنى أنه فنى عن رؤية نفسه والخلق"[(١)][(٢)].

هذا إذن هو الغزالي عندما تعرض أقواله كما هي دون إدخال المؤثرات عليهــا؛ فتظهر سحنتها المخيفة، واختلاطها بالفكر الصوفي البدعي.

ولا يقف الغزالي عند هذا الحد؛ ولكنه يمضي في تشويه حقائق الفكر الإســلامي ــ عن غير قصد نحسبه كذلك والله حسيبه ــ فينشر كثيراً مــن مــصطلحات أهــل التصوف، وكثيراً مما أدخله الفكر اليوناني المترجم على فكرهم..

يقول الشيخ عبد الرحمن الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ: (ثم يحدثنا الغــزالي عــن مقامات الموحدين في كل مرتبة، فيصف صاحب المرتبة الرابعة مــن التوحيــد بقولــه: "والرابع موحد بمعنى أنه لم يحضر في شهوده غير الواحد، فلا يرى الكل من حيث إنــه كثير، بل من حيث إنه واحد، وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد. فإن قلت. كيــف يتصور ألا يشاهد إلا واحداً، يكون الكثير واحــداً؟ فــاعلم أن هــذه غايــة علــوم المكاشفات[(٣)]، وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر في كتاب فقد قال العارفون: إفــشاء سر الربوبية كفر ثم يضرب لنا مثلاً عن شهوة الوحدة في الكثرة بقوله: "كما أن الإنسان كثير إن التفت إلى روحه وجسده وأطرافه وعروقه وعظامه وأحشائه، وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد. فكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق لــه اعتبــارات

---

(١) إحياء علوم الدين ، لأبي حامد الغزالي ، طبعة مصطفى البابي ، مصر ، ١٣٥٨هـ ، (ج٤، ص٢٤٠) بنصه.

(٢) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص٩٤ــ٩٥).

(٣) يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ في الهامش: (يكل المعرفة بأسمى مراتب التوحيد إلى علوم المكاشفات، فما تلك العلوم؟ إنها قطعاً شيء آخر غير الكتاب والسنة، إنها أساطير الصوفية التي استمدوها من "أذواقهم ومواجيدهم" ثم سجلوها في كتبهم، فكأن القرآن وسنة الرسول ليس فيهما ما يصل بالقلب إلى قدس الحق من التوحيد الخالص، فتدبر تجد الغزالي يهدف إلى صرف المسلمين عن هدي ربهم إلى خرافات الصوفية وضلالاتهم) هذه هي الصوفية (ص٩٥ــ٩٦).

ومشاهدات كثيرة مختلفة فهو باعتبار من الاعتبارات واحد، وباعتبار آخر سواه كثير[١])[٢].

عرضه أقوال ابن الفارض[٣]:

لقد كان ابن الفارض من المؤمنين بعقيدة وحدة الوجود التي أدخلت على الفكر الصوفي منعرجات في سيره، والتواءات في طريقة؛ وأبعدته عن السبيل الذي يمكن أن يجعل من الحوار معه نمطاً سليماً، وهدفاً قويماً..

يقول الشيخ عن عقيدة وحدة الوجود وإيمان ابن الفارض بها: (يؤمن هذا الصوفي ببدعة الاتحاد، أو الوحدة سمها بما شئت. بصيرورة العبد رباً، والمخلوق خلاقاً، والعدم الذاتي الصرف وجوداً واجباً، وإذا شئت الحق في صريح من القول، فقل: هو مؤمن ببدعة الوحدة، تلك الأسطورة التي يؤمن كهنتها بأن الرب الصوفي تعين بذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله في صور مادية، أو ذهنية، فكان حيواناً وجماداً وإنساً وجناً وأصناماً وأوثاناً. وكان وهماً وظناً وخيالاً، وكانت صفاته وأسماؤه وأفعاله، عين ما لتلك الأشياء من صفات وأسماء وأفعال؛ لأنها هي هو في ماهيته ووجوده المطلق أو المقيد، وكل ما يقترفه البغاة من خطايا، وما تنهش الضاريات من لحوم، أو تعرق من عظام، فهو فعل الرب الصوفي، وخطيئته وجرمه!!)[٤].

ويتوقع الشيخ من القارئ المسلم أن ينفعل ويغضب لسماع هذا عمن كان يظن أنه مسلم؛ ويجيب على ذلك التوقع؛ ويبينه فيقول عليه رحمة الله تعالى: (وإخالك الآن

---

(١) إحياء علوم الدين (ج٤ ، ص٢٤٠–٢٤١) بنصه مع حذف بعض الأسطر التي لا يخل حذفها بالمعنى.

(٢) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص٩٥–٩٦).

(٣) أبو حفص وأبو القاسم عمر بن أبي الحسن على بن المرشد بن علي الحموي الأصل المصري المولد والدار والوفاة المعروف بابن الفارض المنعوت بالشرف له ديوان شعر لطيف وأسلوبه فيه رائق ظريف.
وكانت ولادته سنة ست وسبعين وخمسمائة بالقاهرة، وتوفي بها يوم الثلاثاء في الثامن من جمادى الأولى سنة اثنين وثلاثين وستمائة. (الأعلام، للزركلي (ج٥، ص٥٥).

(٤) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص٧١).

تود لو تسوى بي الأرض، أو تدهمني ـــ على غرة صاعقة، إذ يجري على لسان الحق ذكر ابن الفارض منعوتاً بالزندقة وتعجب أن يكون سلطان العشق الصوفي زنديقاً!!.

وما علي ـــ برحمة الله ـــ مما تود، ولن يمنعني عجبك في ذهوله من أن أحكم على ابن الفارض بما ارتضاه هو ديناً له وتدبر ما سأنقل لك عنه من تائيتـــه، فلعـــل يـــزول عجبك، وينفثئ غضبك.

جلت في تجليها الوجود لناظري ففي كل مرئي رآها برؤية[1]

يزعم أن الذات الإلهية هتكت عنه حجب الغيرية، وجلت له الحق المغيب، فرأي حقيقة الله متعينة بذاتها في كل مظاهر الوجود، رأي هذا الكـــون المادي بكل ما يـــدب عليه، أو يغتال الحياة والأعراض في غياهب ليله الساجي، ومغاوره المظلمة، رآه هو عـــين الله وماهيته، ورأى وجوده عين وجوده، فما ثم من شئ عند ابن الفـــارض إلا وهو الله، بل ما للرب ـــ رب ابن الفارض ـــ وجود سوى وجود تلك الصور الماديـــة، أو الذهنيـــة المنطبعة عن شيء متحقق، أو متوهم، أو متخيل)[2].

وهذا المنهج في هويل القول الإلحادي للقراء هو منهج نبوي كريم؛ فقـــد كـــان رسول الله ﷺ يهول ويعظم كل ما يؤدي إلى الشرك، أو انتهاك محارم الله تعالى، فتـــراه يتلون وجهه الشريف على من قال له: "**ما شاء الله وشئت**" ثم يـــرد عليـــه قـــائلاً: "**أجعلتني لله نداً؛ بل ما شاء الله وحده**"[3].

واتباعاً لهذا المنهج النبوي تجد الشيخ ـــ رحمه الله تعالى ـــ يهول الأقوال التي هي شرك أو تفضي إليه في لغة رصينة تنزل كل عبارة منها على ذهن القارئ وكأنها صخرة عظيمة.

---

(١) قصيدة التائية الكبرى لابن الفارض: انظر : ديوان ابن الفارض ، أبو حفص عمر المشهور بابن الفارض، الناشر مكتبة القاهرة، ص ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م (ص٤٧).

(٢) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص٧١ـــ٧٢).

(٣) سنن النسائي الكبرى، حديث رقم ١٠٨٢٥ (ج٦، ٢٤٥). والبخاري في الأدب المفرد، حديث رقم ٧٨٣ (ج١، ص٢٧٤). مع اختلاف في بعض الألفاظ، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

ولم يتوقف الشيخ عند هذا الحد في نقله عقيدة ابن الفارض في وحدة الوجود؛ بل بين أنه معتقد حتى للازم هذه العقيدة، وما يترتب على الإيمان بها صراحة وتصريحاً.

يقول عليه ـ رحمة الله تعالى ـ: (أما وقد نعق بهذا البهتان، فليفتر لنفسه ما يترتب على الإيمان به؛ لهذا راح يزعم أنه بذاته اتحد بذات ربه، فكانت الثنائية في الاسم، وكانت الوحدة في الحقيقة والوجود، وأنه في جلوة تلك الوحدة يشهد في ذاته وصفاته وأفعاله ذات الله وصفاته وأفعاله، وعن هذا يعبر.

وأشهدت غيبي، إذ بدت، فوجدتني هنالك إياها بجلوة خلوتي[1]

شهد "هوية"[2] الوجود الإلهي، أو باطنه، "إنية"[3] وجوده هو، أو ظاهره، فلم يجد للرب وجوداً سوى وجوده ولا لذاته كياناً متقوماً غير كيانه، فهتف في جذل البشرى: أنا الله!!)[4].

وحتى لا يظن ظان أن هذا الكلام حال عارضة، أو غياب عقل محدود الزمن وصاحبه مرفوع عنه القلم؛ بين الشيخ أن ابن الفارض يصر على هذه العقيدة ويفتخر بها.

يقول ـ رحمه الله تعالى ـ: (ـ ابن الفارض ـ خشي أن يتوهم أحد أن هذا الشهود وهم طارئ، أو حال عارض أو صورة من حلم أسبل لها فكره وعينه، خشي هذا، فقال:

---

(١) ديوان ابن الفارض، ص٤٧.

(٢) الهوية هي الحقيقة في عالم الغيب، أو هي الحق عينه الذي لا يمكن ظهوره لكن باعتبار جملة الأسماء والصفات ؛ فكأنها إشارة إلى باطن الواحدية. انظر معجم المصطلحات الصوفية ، الدكتور أنور فؤاد أبي خزام ، مكتبة لبنان ناشرون ؛ الطبعة الأولى، ١٩٩٣م (ص١٨٠).

(٣) الإنية والذات: الشيء بعينه. رسائل ابن حزم الأندلسي ، ت : إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م (ج٤ ، ص٣٨٩).

(٤) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص٧٢).

ففي الصحو بعد المحو لم أك لغيرها وذاتي بذاتي، إذ تحلت، تجلت[١]

والصحو في دين الصوفية هو رجوع العارف إلى الإحساس بعد سكرته بوارد قوى،[٢] وفيه يشهد العارف المغايرة بين الذات الإلهية ومظاهرها أو صفاتها، يشهد أن الكون ليس هو الذات الإلهية، وإنما هو تجليات أسمائها وصفاتها، ومجال لأفعالها. أما المحو في دينها فهو امحاء الكثرة والغيرية، والخلقية المتنوعة المتعددة. وفناء السوية، وتجلى الوحدة المطلقة،[٣] فيرى الصوفي الخلق عين الحق، والمربوب عين الرب.

فثمة إذن فرق عند الصوفية بين الصحو والمحو، ولكن ابن الفارض أبي أن يؤمن بهذا الفرق المبتدع، فهتك الستر، ومزق القناع؛ ليكشف لك في قول صريح عن حقيقة معتقد الصوفية، ومضى مسرعاً يلهث؛ ليدرك فكرك قبل أن يؤمن بذلك الفرق بين الصحو وبين المحو!! وليؤكد لك أن دين الصوفية قائم من أول مرة على الإيمان بأن الله سبحانه هو عين خلقه!! على نفي كل مغايرة ــ مطلقة، أو مقيدة، إضافية، أو نسبية ــ بين الخالق والخلق، سواء في ذلك حال الصوفي في الصحو، وحاله في المحو، وهكذا صرح ابن الفارض في جرأة شرود بما يرمز عنه سواه من منافقي الصوفية، حين يفجؤهم برهان الحق، ولذا يقول:

إلى كم أواخي الستر، ها قد هتكته وحل أواخي الحجب في عقد بيعتي[٤])[٥].

ويمضي الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ في نقله عن ابن الفارض عقيدته في وحدة الوجود وتصريحه باتحاده مع الله ــ تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ــ فهو خالق ومخلوق وهو الوجود وواهب الوجود.

---

(١) ديوان ابن الفارض، (ص٤٧).

(٢) يقول الجرجاني: "الصحو هو رجوع العارف إلى الإحساس بعد غيبته وزوال إحساسه"، التعريفات (ص ١٧٣).

(٣) المحو: رفع أوصاف العادة بحيث يغيب العبد عندها عن عقله وتحصل منه أفعال وأفعال لا مدخل لعقله فيها كالسكر من الخمر ومحو الجمع والمحو الحقيقي فناء الكثرة في الوحدة ومحو العبودية ومحو عين العبد هو إسقاط إضافة الوجود إلى الأعيان. التعريفات (ص ٢٦٤).

(٤) ديوان ابن الفارض (ص٤٢).

(٥) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص٧٢ــ٧٣).

ويذهب ابن الفارض إلى أبعد من ذلك فيقول إن الرب ما هو إلا مظهر من مظاهر قدرة ابن الفارض؛ أو جزئي من كليه؛ وأن صفات الله تعالى ما هي إلا صفات ابن الفارض إلى غير ذلك من الكفر البواح الذي زمل به تائيته المشهورة بالكفر والزندقة [١].

عرضه أقوال ابن عربي [٢]:

يمضي الشيخ في منهجه في نقل عقائد الصوفية الكفرية عن أكابرهم المعتمدين؛ فينقل عن ابن عربي وهو من أعظم أئمة التصوف، ومنظريه، عقيدته في الله؛ فيقول: (أما هذا الطاغوت الأكبر، فقد افترى للصوفية رباً عجيباً يجمع بين النقيضين المتوترين في ذاته، وبين الضدين الحقيقيين في صفاته، فهو الوجود الحق، وهو العدم الصرف، هو الخلاق، وهو المخلوق، هو عين كل كائن، وصفاته عين صفات كل موجود وكل معدوم، هو الحق الكريم والباطل اللئيم، هو الفكرة العبقرية، والخرافة الحمقاء، هو الخاطرة الملهمة، والوهم الذاهل، والخيال الحيران، والمستحيل الذي لا يتصور فيه العقل أبداً أن يخطر حتى مرة واحدة في بال الإمكان، والممكن الذي يرى فيه الفكر أجلى معاني الإمكان، والذي لا يتوهم فيه العقل وهم استحالة. هو المؤمن، وهو الكافر، هو الموحد الخالص التوحيد، وهو المشرك الأصم الوثنية. هو الجماد الغليظ، وهو الحيوان ذو المشاعر المرهفة، والحساسية المتوقدة، هو الملاك الساجد تحت العرش، وهو الشيطان الذي يصطرخ في سقر، هو القديس الناسك يذوب قلبه في دموع التسابيح، هو النور يغمر الوجود بمباهجه، وهو الظلام موار الكهوف بالفزع والرهبة، تلك هي بعض ذاتيات رب ابن عربي، وبعض خصائص الإله الصوفي) [٣].

---

(١) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص ٧٤ـ٧٧). وراجع تائية ابن الفارض في ديوانه.

(٢) محمد بن علي بن محمد بن عربي الطائي الأندلسي المعروف بأبي بكر الحاتمي. لقب بمحيي الدين بن عربي، ويلقب كذلك بالشيخ الأكبر. فيلسوف من أئمة المتكلمين، وهو صاحب القول بوحدة وحدة الوجود. ولد في الأندلس سنة (٥٦٩). ثم انتقل إلى المشرق. وتوفي سنة (٦٣٨). له مؤلفات جمة منها "فصوص الحكم"، "الفتوحات المكية"، "الوصايا". معجم المؤلفين الصوفيين (ص ٣٩٠).

(٣) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص٨٠ـ٨١) بتصرف يسير.

هكذا إذن يبين الشيخ عقيدة ابن عربي في الله تعالى ومن خلالها عقائد المتصوفة الذين يعتبرونه الكبريت الأحمر، والسر الأعظم.

ولا يتوقف الشيخ في عرضه عقيدة ابن عربي في الله تعالى على هذا وإن كان كافياً في بيان إلحاده وإجرامه الديني؛ بل حتى العقلي المحض؛ وإنما يزيد عرض أقواله في الله تعالى حتى لا يبقى عذر لمتبعيه، والناعقين خلف أفكاره وكتبه؛ فيقول عليه رحمة الله تعالى: (ولهذا يؤمن الطاغوت بأن اليهود عباد العجل ناجون، بل يؤمن بأنهم كانوا على علم بحقيقة الألوهية، لم ينعم موسى ولا هارون بلمحة من تجلياته، ولا ببارقة من انكشاف الأسرار الإلهية المغيبة لأنهم ما قصروا العبادة على فكرة مجردة خاوية كموسى، وإنما عبدوا الرب متجلياً في صورة عجل، فأدركوا من حقيقة الأمر ما لم يدركه هارون، وهو أن الذات الإلهية لا تعبد إلا حين تتجلى في صور خلقية!!)[١].

ويؤمن ابن عربي بقدسية عبدة الأصنام، ويمجد صدق إيمانهم وإخلاص توحيدهم، يؤمن بالصابئة عباداً يوحدون الله، ويخلصون له الدين، يؤمن بسمو إيمان الذين عبدوا ثلاثة آلهة غير أنه يعيب عليهم قصورهم عن إدراك الحقيقة كاملة؛ إذ عبدوا الله في ثلاثة أقانيم، على حين كان الواجب أن يعبدوه في كل شيء، فليس الرب عنده هو تلك الأقانيم فحسب، وإنما هو عين ما يرى أو يحس، فأصحاب الثالوث عنده مخطئون؛ لأنهم عبدوا بعض مظاهر الرب، أو بعض تعيناته وكان واجباً أن يعبدوه في الكل؛ لأنه هو ذلك الكل فيما ظهر منه، وفيما بطن!![٢])[٣].

هذه هي الدقة في التلخيص؛ والأمانة في النقل، والجودة في عرض الأقوال، واختيار الأهم منها ثم المهم.

---

(١) فصوص الحكم لابن عربي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م ، فص حكمة إمامية في كلمة هارونية ، (ص١٥٥).

(٢) فصوص الحكم فص حكمة نبوية في كلمة عيسوية (ص ٩٩).

(٣) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص٨١ـ٨٢).

ثم إن الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ عند عرضه لأقوال ابن عربي وغيره من أئمة التصوف لا يغفل عن جانب الإحاطة في المسألة التي يعرض لها في أفكار المتصوفة وغيرهم؛ وإنما تراه حين ينقل عقيدة ابن عربي مثلاً في الله تعالى يبين معتقده في الذات الإلهية وفي أسماء الله تعالى وصفاته؛ وفي عقيدة وحدة الوجود التي فتكت بالفكر الصوفي وأحالته إلى تناقضات عقلية مقيتة؛ وهرطقات فلسفية تعيسة؛ فضلاً عن تحويله إلى كفر شرعي صريح..[1]

نقله عن الجيلي[2]:

ثم يمضي الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ في عرضه أقوال المتصوفة؛ فينقل عن الجيلي عقيدته في الله تعالى؛ وتصوره في الذات الإلهية؛ فيقول رحمه الله تعالى: (وهذا الكاهن الوثني الأكبر يدين بدين صنميه ابن الفارض وابن عربي، غير أن اللون الفاضح الصارخ في زندقته هو اعتقاده أن الله ما هو إلا إنسان كامل وأن الإنسان الكامل ما هو إلا الرب الأكبر الجامع بين الحق والخلق في وحدة، ولقد سبقه بهذا الإلحاد ابن عربي، ولكن الجيلي كان حفياً به أكثر، مديراً حول محوره زندقته، ولقد رأي الجيلي أن لا يمن بهذه المرتبة على أحد قبله، فمضى يؤكد القول أن إنسانيته هي أفق الربوبية والألوهية الأسمى)[3].

ويتواصل الجيلي في زندقته تلك فيذهب أبعد من ذلك إذ يدعي الربوبية العظمى؛ فيعرض الشيخ قوله هذا ويرد عليه رداً موجزاً في ثنايا نقله عنه فيقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (ادعاء الجيلي الربوبية العظمى:

لي الملك في الدارين، لم أر فيهما ... سواي، فأرجو فضله، أو فأخشاه
وقد حزت أنواع الكمال، وإنني ... جمال جلال الكل، ما أنا إلا هو

---

(١) يراجع هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص٨٢ ــ ٩٠).

(٢) عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي، ابن سبط الشيخ/ عبد القادر الجيلاني. شاعر، من علماء المتصوفين، ولد ٧٦٧ هـ، وتوفي ٨٣٢ هـ. من تصانيفه: (الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل) و(الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية) معجم المؤلفين الصوفيين (ص٢٢٢).

(٣) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص٩١).

هذا قول الجيلي. والله يقول: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾[1] ولكن الجيلي يفتري أن له وحده ملك الدنيا والآخرة وأنه ليس للوجود رب سواه، ولا ليوم الدين ملك غيره، وأنه الغني بذاته، فلا تنفح قلبه رغبة في نعمة من أحد؛ لأنه الوهاب للنعم. ولا تلفح نفسه وهبة من سلطان؛ لأنه ملك الكل ومالكهم!! ولم يكتف الجيلي بهذا، بل مضى يعدد أنواع الخلق، وصور الوجود المادي والحسي والروحي والمعنوي؛ ليزعم بعدها أنه هو عينها ذاتاً ووجوداً، فلا يتوهم واهم أن شيئاً ما في الوجود يغاير الجيلي، أو يخرج عن حقيقة ذاته، فقال:

فمهما ترى من معدن ونباته	وحيوانه مع إنسه وسجاياه
ومهما ترى من أبحر وقفاره	ومن شجر، أو شاهق طال أعلاه
ومهما ترى من صورة معنوية	ومن مشهد للعين طاب محياه
ومهما ترى من هيئة ملكية	ومن منظر إبليس قد كان معناه
ومهما ترى من شهوة بشرية	لطبع، وإيثار لحق تعاطاه
ومهما ترى من عرشه ومحيطه	وكرسيه، أو رفرف عز نجلاه
فإني ذاك الكل، والكل مشهدي	أنا المتجلي في حقيقته، لا هو
وإني رب للأنام وسيد	جميع الورى اسم، وذاتي مسماه

أرأيت إلى الجيلي بأية وثنية ينعق؟ وبأية مجوسية يدين؟ أرأيت إليه في قوله: "أنا المتجلي في حقيقته لا هو؟" يا للجيلي!! يحكم على الوجود الحق بالعدم الصرف!!

أرأيت إليه في زعمه أنه "رب للأنام وسيد"؟!

أرأيت إليه ــ وقد جنت شهوة الزندقة فيه ــ يفتري أن الشهوات إحدى مقومات الوجود الإلهي، وأنها في دنسها عين وجوده؟! وأن إبليس في غيه وتمرده هو عين الرب الأعظم؟! وأن كل اسم في الوجود هو اسم الله سبحانه، لأنه عين كل مسمى.

---

(١) (سورة آل عمران: آية ١٨٩).

وأن كل صفعة لكائن ما، هي لله صفـــة، لأنه عين الموصوف بها؟ فعلام يـــدل كل هذا، أو أثارة واحدة منه؟)[١].

هذا وقد أفرد الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ مقالة تامة للجيلي وبين فيها كثيراً مما يدين به الجيلي، وأوضح فيها أن دين الصوفية هو دين واحد لا فرق بين أفكارهم الـــتي يؤمنون بها وكل واحد منهم يؤسس للذي يأتي بعده [٢].

ولا يتوقف الشيخ في عرضه لأقوال كبار المتصوفة عند هؤلاء؛ بل لا يكاد يترك متصوفاً ــ على كثرتهم ــ إلا ويعرض قوله في أهم معتقدات الصوفية؛ فيعــرض قـــول الصدر القونوي[٣]، والنابلسي[٤]، وابن بشيش[٥]، والدمرداش[٦]، وابـــن عجيبـــة[٧]، وحسن رضوان، وغيرهم..[٨].

هذه إذن نماذج من عرض الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ لأقوال المتصوفة وكبـــار شيوخهم الذين كـــان لهم تأثير كبير في الفكر الصوفي، وكانـــت لهم انحرافات عقديـــة

---

(١) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص٩١ــ٩٢).

(٢) مجلة الهدي النبوي مقالة: زندقة الجيلي، عدد١ تاريخ ١٣٨١هـــ كاملة.

(٣) محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف بن علي القونوي الرومي، صدر الدين: صوفي، من كبار تلاميذ الشيخ محيي الدين ابن عربي.تزوج ابن عربي أمه، ورباه، من كتبه: النصوص في تحقيق الطور المخصوص، و "اللمعة النورانية في مشكلات الشجرة النعمانية" و"إعجاز البيان " في تفسير الفاتحة، توفي سنة ٦٧٣هـــ الأعلام للزركلي (ج٦، ص٣٠).

(٤) عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي. ولد سنة: ١٠٥٠ هـــ صوفي له تصانيف كثيرة منها: "حكم شطح الولي" و غيره توفي سنة ١١٤٣هـــ معجم المؤلفين الصوفيين (ص٢٠٩).

(٥) أبو محمد عبد السلام بن مشيش، أو بشيش، أحد الأئمة العارفين، كان يسكن مغارة في رأس جبل في المغرب، مات عام: (٦٢٢هـــ)، ومن تلامذته أبو الحسن الشاذلي. الأعلام للزركلي (ج٤، ص٩).

(٦) محمد الدمرداش المحمدي الخلوتي أبو عبد الله: متصوف مصري، له مؤلفات منها: القول الفريد، وتحفة الطلاب ومجمع الأسرار، توفي سنة ٩٢٩هـــ. الأعلام للزركلي (ج٦، ص١٢٢).

(٧) هو أحمد بن عجيبة الإدريسي الفاسي نسبة إلى فاس بالمغرب ولد سنة ١١٦٠هـــ متصوف له مؤلفات كثيرة، توفي سنة ١٢٢٤هـــ. معجم المؤلفين الصوفيين (ص ٩٠ــ٩١).

(٨) يراجع: هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل، فقد أكثر فيه من النقل عن كبار المتصوفة .

خطيرة، أثرت في عقائد المسلمين الذين عايشوهم أو قرؤوا كتبهم، أو تتلمذوا عليهم.

ولكن هل كان الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ ينقل عنهم ما قالوه سهواً أو غلطاً، أو في فتوى مستعجلة؛ أم أنه كان ينقل من كتبهم المعتمدة، وأقوالهم المحفوظة.

هذا ما سأعرض له في المبحث الآتي إن شاء الله تعالى.

المبحث الثاني

منهج الشيخ في النقل من كتب الصوفية المعتمدة عندهم

مع أن الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ كان يتحرى أكابر الصوفية ومنظريهم الكبار فينقل عنهم انحرافاتهم العقدية؛ ثم يرد عليها بالكتاب والسنة، وربما اكتفى بنقلها إن كانت في غنى عن الرد؛ فإنه مع ذلك كان ينتقي من كتب أولئك ما ثبتت نسبته، واعترف به الصوفية؛ وأعلنوا ثقتهم به؛ وأثنوا عليه.

فتراه ينقل من كتاب فصوص الحكم لابن عربي، والإنسان الكامل للجيلي، وحكم شطح الولي للنابلسي، وديوان ابن الفارض، والقول الفريد للدمرداش، وإيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة، وروض القلوب المستطاب لحسن رضوان، وذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق لابن عربي، والفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية لابن عجيبة، وغيرها [١].

ويبين الشيخ نقاطاً مهمة في مسألة النقل من كتب المتصوفة والاستشهاد بما فيها، ومن أهم تلك النقاط:

١ ــ أن الصوفيين مؤمنون بكتبهم إيمانا لا يتزحزح.

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (إن الصوفية هنا، وهناك، وفي كل مكان يتربصون فيه بالإسلام، يؤمنون بكتبهم إيماناً عنيداً طاغياً يأسر منهم في قبضته القاهرة عواطف القلوب، ومشاعر النفوس وسبحات الخواطر، وتأملات الفكر، ويدينون بكل حرف فيها يرمز إلى أسطورة، وبكل كلمة تفشي خرافة. فما تناوحت إحساساتهم بالحب إلا لها، أسطورة، وما فتك بالقلوب أخطبوطهم إلا بها، وما قتلت عناكبهم ذباب النفوس إلا بلعابها السام) [٢].

---

(١) يراجع كتاب هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل، ومصرع التصوف، ومقالات الشيخ في مجلة الهدي النبوي.

(٢) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص١١٤ــ١١٥).

٢ ــ فرارهم مما في تلك الكتب على سبيل المخادعة مع صحة نسبتها إلى أصحابها من أئمة التصوف:

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (بيد أنهم حين يلقون المؤمنين، يقولون رياء ومخادعة: مدسوس! حتى إذا خلوا إلى شياطينهم، قالوا: نفتن المؤمنين!.

وإلا، فإني أدوي بصيحة الحق، تتحدى الصوفية وطواغيتها أن يجرؤ واحد منهم على القول: إن تلك الكتب مدسوسة!.

أو يستنكر ما تطفح به من كفر، وليأتنا بأثارة من علم، أو ظن تدل على أنها دعية النسب إلى من افتروها!.

نعم أدوي بصيحة الحق: إن تلك الكتب ليست بمدسوسة، ويشهد بذلك التاريخ الحق، وتواتر النقل الصحيح، ولكن هبوها كذلك، فما ينفعكم، وأنتم بها تدينون، وتؤمنون ...

مدسوسة! إنها الترس الأخير، يلوذ به من ينأد منك تحت صدمة الحق الصاعقة! وشهادة زور تفتري؛ لينجو بها المجرم من عقاب جريمته)[١].

٣ ــ زعمهم أن ما فيها أسرار ورموز: وذلك حين لا يجدون مهرباً يهربون إليه من البدع التي تنطوي عليها كتبهم.

يقول عليه ــ رحمة الله تعالى ــ: (وآخرون من أسارى الصوفية يزعمون أن تلك الكتب أسرار ورموز، لا يفقهها إلا أولئك الذين أباح لهم الغيب الخفي مكنونه، وقدس أسراره، أو الذين هتك الله عنهم الحجاب الأعظم، فخروا تحت عرشه سجداً يسمعون وحيه، ويسجلونه رموزاً في شعرهم ونثرهم)[٢].

٤ ــ أنه في نقله من كتبهم المعتمدة عندهم يدفع شبهة عن الذين غرروا بهم ويجعلهم أمام النص بمرجعه وصفحته وطبعته وأمام الدليل المبين للباطل في تلك الكتب.

---

(١) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص١١٥) بتصرف يسير.

(٢) المرجع السابق ، (ص١١٥).

ويوضح الشيخ ذلك فيقول: (وسيرى القراء كما عودهم، أنني لم أرم الصوفية بغير ما به تدين، وأننا لم نعتد بقول أحد في الصوفية، وإنما اعتددنا بنقل نصوص كثيرة من كتب الصوفية بينة الدلالة على معتقدهم، مقارنين بينها وبين بعض آيات القرآن الكريم، وأحاديث خاتم النبيين ﷺ ، هذا لكيلا يفتري صوفي أننا نرميهم بغير ما يفترون على الله. كنا نستطيع أن نصنع صنيع بعض نقدة الصوفية قديماً وحديثاً، فنأتي بفتاوى أئمة المسلمين في شأن الصوفية، أو ننقل ما نقلوه عن الصوفية من نصوص، بيد أني رأيت أن يكون للعدل والحق والتحقق الرعاية الأولى، فنقلت دين الصوفية من كتبهم التي يؤمنون بها ذاكراً اسم الكتاب، وتاريخ ومكان طبعه، ورقم الصفحة التي عنها نقلت؛ لأرمي الظن والريب باليقين الواضح؛ ولأبعد كل شبهة تتوهم أننا نفتات عليهم، أو نبهتهم؛ وليكون كل قارئ مفتياً لنفسه بالحق، وحكما بين الحق وباطلهم)[١].

ومما يدل على أن الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ كان يعتمد على النقل من كتب الصوفية المعتمدة عندهم، وأن نقله كان بأمانة: أن الصوفيين أنفسهم لم يستطيعوا الرد على الشيخ ولم يجدوا ثغرة في كتاباته يدخلون منها، وخاصة أن كتابه هذه هي الصوفية كان خطاباً موجهاً لشيخ مشايخ الطرق.

ولكن هل كان نقل الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ عن هؤلاء متميزاً بالدقة والأمانة، أم أنه كان ينقل بالمعنى، ويغير المبنى، أم أنه زاد عليهم، وألصق بهم مما هم منها براء...؟

إن الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ حين يعرض أقوال أهل التصوف والفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة؛ فإنه يتحرى الأمانة في النقل؛ وغالباً ما ينقل الكلام بلفظه دون زيادة أو نقصان ويمكن أن تلخص طريقة نقله في ثلاث نقاط رئيسية:

الأولى: النقل باللفظ من غير زيادة ولا نقصان:

كثيراً ما ينقل الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ عن المتصوفة ما يعرض من أقوالهم باللفظ من غير زيادة ولا نقصان؛ ثم يعزوه لمرجعه بدقة متناهية، ومن ذلك:

---

(١) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص٥٦).

١ ــ نقله عن ابن عربي قوله: (اعلم أن العلوم الإلهية الذوقية الحاصلة لأهل الله مختلفة باختلاف القوى الحاصلة منها مع كونها ترجع إلى عين واحدة)[١].

وهذا اللفظ موجود بنصه من غير زيادة ولا نقصان في فصوص الحكم[٢].

وهذا يدل على أمانته في النقل حتى مع الخصوم.

٢ ــ نقله عن ابن عربي كذلك قوله: (قال ابن عربي ــ وهو يتحدث عن علم وحدة الوجود: "وليس هذا العلم إلا لخاتم الرسل، وخاتم الأولياء! وما يراه أحد من الأنبياء، أو الرسل إلا مشكاة الرسول الخاتم، ولا يراه أحد الأولياء إلا من مشكاة الولي الخاتم، حتى إن الرسل لا يرونه ــ متى رأوه ــ إلا من مشكاة خاتم الأولياء، فإن الرسالة والنبوة ــ أعني نبوة التشريع ــ تنقطعان، والولاية لا تنقطع أبداً، فالمرسلون من كونهم أولياء، لا يرون ما ذكرناه إلا من مشكاة خاتم الأولياء")[٣].

وهذا النص بلفظه في كتاب: فصوص الحكم لابن عربي[٤].

٣ ــ نقله عن الدباغ[٥] قوله: (إني أرى السماوات السبع والأرضين السبع، والعرش داخلة وسط ذاتي. وكذا ما فوق العرش من السبعين حجاباً)[٦].

وهو بنصه في الإبريز[٧].

---

(١) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص١٥٦).

(٢) انظر: فصوص الحكم، لابن عربي (ص٦٧).

(٣) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص١٧٥).

(٤) فصوص الحكم لابن عربي (ص ١٩) مع حذف بسيط حيث حذف كلمة: ورسالته بعد قول ابن عربي: أعني نبوة التشريع.

(٥) الشيخ عبد العزيز بن مسعود بن أحمد الدباغ، مغربي من فاس، ولد سنة (١٠٩٥هـ)، وتوفي سنة (١١٣٢هـ). الكشف عن حقيقة الصوفية ، محمود عبد الرؤوف القاسم ، دار الصحابة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ (ج١، ص٢٩٢).

(٦) مجلة الهدي النبوي ، مقالة صوفيات ، عدد ١ تاريخ ١٣٦٨هـ (ص٣٦).

(٧) الإبريز من كلام الدباغ ، أحمد بن مبارك ، المكتبة الأزهرية للتراث ، الطبعة الأولى ، (ص٤٢٣) مع حذف كلمة "في" بعد كلمة داخلة .

٤ ــ نقله عن ابن الفارض وقد أكثر النقل عنه وخاصة من تائيته المشهورة.

وكان نقله متميزاً بالدقة؛ والأمانة في ذلك[١].

الثانية: النقل بالمعنى دون اللفظ:

وحين يكون لفظ الصوفي في كتابه ركيكاً، أو غير مفهوم، أو طويلاً، أو نحو ذلك، فإن الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ ينقل الفكرة بالمعنى دون مراعاة الألفاظ..

ومن أمثلة ذلك قول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ موضحاً عقيدة ابن عربي: (ويؤمن ابن عربي بقدسية عبدة الأصنام، ويمجد صدق إيمانهم وإخلاص توحيدهم، يؤمن بالصابئة عباداً يوحدون الله، ويخلصون له الدين، يؤمن بسمو إيمان الذين عبدوا ثلاثة آلهة غير أنه يعيب عليهم قصورهم عن إدراك الحقيقة كاملة؛ إذ عبدوا الله في ثلاثة أقانيم، على حين كان الواجب أن يعبدوه في كل شئ، فليس الرب عنده هو تلك الأقانيم فحسب، وإنما هو عين ما يرى أو يحس، فأصحاب الثالوث عنده مخطئون؛ لأنهم عبدوا بعض مظاهر الرب، أو بعض تعيناته وكان واجباً أن يعبدوه في الكل؛ لأنه هو ذلك الكل فيما ظهر منه، وفيما بطن!! "اقرأ الفص "العيسوي" و "المحمدي" من فصوص الحكم لابن عربي") [٢].

وعندما تقرأ الفصين المذكورين تجد أن الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ لخص المعنى الذي يؤديه هذان الفصان؛ ولم يزد عليه؛ بل لخصه وترك الاستطرادات التي لا تزيد المعنى[٣].

---

(١) يراجع كتاب هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص٧١ و ٧٤ و٨٠) و"مصرع التصوف" (ص٦١ إلى ٦٩ و ٨٤ إلى ٨٦) وغيرها .

(٢) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص ٨١ ــ٨٢) وقد نقل الشيخ في الهامش ما يدل على كلامه ذاك من الفصين العيسوي والمحمدي.

(٣) انظر: فص حكمة نبوية في كلمة عيسوية (ص٩٩) وما بعدها، وفص حكمة فردية في كلمة محمدية (ص١٧٨) وما بعدها.

وكثيراً ما ينقل الشيخ بهذه الطريقة أعني النقل بالمعنى ولكن بصفة متقنة ملخصة لا تزيد فكرة جديدة على فكرة المنقول عنه، ولا تضخم قوله وتزيد عليه ما ليس فيه[(١)].

الثالثة: النقل باللفظ مع الاختصار غير المخل:

أما عندما يكون لفظ الصوفي الذي ينقل عنه في كتابه بعض الجمل الزائدة التي لا دخل لها في الفكرة الرئيسية فإن الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ يلجأ إلى الاختصار؛ لكنه ــ فيما اطلعت عليه ــ لا يكون اختصاراً مخلاً؛ بل هو حذف للجمل الزائدة التي لا تؤدي معنى له علاقة بالفكرة الرئيسية، ومن ذلك:

قوله ــ رحمه الله تعالى ــ: (إفك وبهتان: وأعظم الأمر أنه نسب كفره إلى إذن رسول الله ﷺ الماحي لجميع الإشراك المخلص لمتبعيه من حبائل سائر الأشراك فقال في الخطبة.

أما بعد فإني رأيت رسول الله ﷺ في مبشرة أريتها في العشر الآخر من محرم سنة سبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق وبيده كتاب فقال لي هذا كتاب فصوص الحكم خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به فقلت السمع والطاعة لله ولرسوله وأولى الأمر منا كما أمرنا فحققت الأمنية وأخلصت النية وجردت القصد والهمة إلى إبراز هذا الكتاب كما حده لي رسول الله ﷺ من غير زيادة ولا نقصان.

فمن الله فاسمعوا وإلى الله فارجعوا انتهى)[(٢)].

فهنا تراه حذف أسطرا من كلام ابن عربي؛ لأنها تعتبر تتمة للفكرة، خارجة عن تحديد ماهيتها، وهذا نص الأسطر التي حذف الشيخ من نص فصوص الحكم تبدأ من قوله: ولا نقصان حتى قوله فمن الله: (وسألت الله تعالى أن يجعلني فيه وفي جميع أحوالي من عباده الذين ليس للشيطان عليهم سلطان، وأن يخصني في جميع ما يرقمه بناني، وينطق به لساني، وينطوي عليه جناني بالإلقاء السبوحي والنفث الروحي في الروع النفسي

---

(١) يراجع مثلاً مقالاته في التصوف، عدد ١، سنة ١٣٨٦هـ، ص٣٠ وعدد ١٣٨٦/١٠هـ، ١٤ وغيرهما.

(٢) مصرع التصوف، عبد الرحمن الوكيل (ص٣٧).

بالتأييد الاعتصامي، حتى أكون مترجماً لا متحكماً، ليتحقق من يقف عليه من أهــل الله أصحاب القلوب أنه من مقام التقديس المتره عن الأغراض النفسية التي يدخلها التلبيس، وأرجو أن يكون الحق لما سمع دعائي قد أجاب ندائي فما ألقى إلا ما يلقي إلي، ولا أنزل في هذا المسطور إلا ما يترل علي، ولست بنبي رسول، ولكني وارث، ولحياتي حارث)[١].

وقصدي في كل تلك النقاط إنما هو التمثيل فقط؛ وإلا فإن المطالع لكتب الشيخ عند عرضه لأقوال الصوفيــة والفرق المخالفة لا يكاد يجد له نقلاً خارجاً عــن تلــك الصور الثلاث.

أما في ناحية العزو؛ فإن الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ كثيراً ما يعزو القول الــذي ينقله عن المخالف أياً كان، ويعتمد في ذلك على كتب المخالف التي لا جدال في نسبتها له؛ وغالباً ما تكون طبعتها متداولة في زمانه، يسهل الرجوع إليها على الأقل في مــوطن الخلاف الذي هو مصر.

ولكنه ربما نقل بعــض الأمور وسها عن عزوهــا، وإن كــان ذلك في حيــز القلة جداً [٢].

---

(١) فصوص الحكم، لابن عربي (ص٥ ــ٦).

(٢) يراجع مثلاً مجلة الهدي النبوي ، مقالة نظرات في التصوف ، عدد ١٠، سنة ١٣٨٦هــ (ص١٤) عند نقله عن التلمساني قوله: "القرآن كله شرك، وإنما التوحيد في كلامنا".

المبحث الثالث

اختيار نقاط انحرافاتهم الأساسية

لقد كان من منهج الشيخ عند عرضه لأقوال المتصوفة، والفرق المخالفة لأهل السنة أن لا يتتبع كل انحرافاهم لكثرها؛ بل كان يركز على المحاور العقدية التي زاغوا فيها زيغاً واضحاً لا لبس فيه؛ ويبين من مخالفاهم ما كان مجمعاً عليه بين المسلمين، ومعلوماً من الدين بالضرورة، ومن أول ذلك وأهمه:

المطلب الأول

انحرافهم في عقيدتهم في الله تعالى

ومن أهم ما انحرفوا فيه في هذا الجانب:

ادعاء بعضهم الربوبية لنفسه، ونعت بعضهم "الأولياء" بصفات الربوبية:

فمن الذين ادعوا الربوبية صراحة؛ كما ادعاها فرعون أو أصرح من ذلك: ابن الفارض ، والجيلي، وابن عربي، والتجاني[١] وغيرهم.

ينقل الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ عن ابن الفارض ادعاءه الربوبية والألوهية فيقول : (ما ثم عند ابن الفارض من رب، ولا مربوب. إلا وهو ابن الفارض إنه الخلاق. وإنه هو الوجود، وواهب الوجود، وما الرب الأكبر إلا أثر من آثار قدرته، أو جزئي تائه حيران من كليه!! هذا دين ابن الفارض. فبماذا تحكم عليه؟!

فوصفي إذ لم تدع باثنين وصفه وهيئتها. إذ واحد نحن. هيئتي[٢]

---

(١) التجاني هو : أحمد بن محمد المختار بن أحمد الشريف التجاني، أبو العباس، شيخ "الطائفة التجانية" بالمغرب. كان فقيهاً عالماً بالأصول والفروع، ملماً بالأدب. تصوف ووعظ وأقام مدة بفاس وتلمسان، استقر بفاس إلى أن توفي بها عام ١٢٣٠هـ. ولبعض أصحابه كتب في سيرته منها: "جواهر المعاني" و"النفحة القدسية في السيرة الأحمدية التجانية". الأعلام، للزركلي (ج١، ص٢٤٥).

(٢) ديوان ابن الفارض (ص٤٧).

يزعم أن كل ما وصف به الله نفسه، فالموصوف به على الحقيقة هو ابن الفارض؛ لأنه الوجود الإلهي الحق، في أزليته، وأبديته، وديمومته، وسرمديته.

فإن دعيت كنت المجيب، وإن أكن منادى أجابت من دعاني ولبت[١]

إن دعي الله أجاب ابن الفارض؛ لأنه عينه، وإن دعي ابن الفارض لبى الله، لأنه اسمه ومسماه! ولكن أتلمح الكبر جائر العتو من ابن الفارض على خالقه؟ إذ يزعم أنه إن دعي الرب، فما يفعل ابن الفارض شيئاً سوى أن يجيب، أما إذا دعي ابن الفارض، فما يكفي الرب أن يجيب، وإنما يهرول ملهوفاً إلى التلبية!!.

ما كفاه زعمه أنه الله، فأكد أن الرب الأكبر ما هو إلا صورة شاحبة منه، وظل حيران له)[٢].

وينقل عن الجيلي كذلك ادعاءه الربوبية العظمى؛ فيقول:

لي الملك في الدارين، لم أر فيهما سواي، فأرجو فضله، أو فأخشاه
وقد حزت أنواع الكمال، وإنني جمال جلال الكل، ما أنا إلا هو

هذا قول الجيلي. والله يقول: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾[٣] ولكن الجيلي يفتري أن له وحده ملك الدنيا والآخرة وأنه ليس للوجود رب سواه، ولا ليوم الدين ملك غيره، وأنه الغني بذاته، فلا تنفح قلبه رغبة في نعمة من أحد؛ لأنه الوهاب للنعم. ولا تلفح نفسه وهبة من سلطان؛ لأنه ملك الكل ومالكهم!! ولم يكتف الجيلي بهذا، بل مضى يعدد أنواع الخلق، وصور الوجود المادي والحسي والروحي والمعنوي؛ ليزعم بعدها أنه هو عينها ذاتاً ووجوداً، فلا يتوهم واهم أن شيئاً ما في الوجود يغاير الجيلي، أو يخرج عن حقيقة ذاته، فقال:

فمهما ترى من معدن نباته وحيوانه مع إنسه وسجاياه

---

(١) ديوان ابن الفارض (ص٤٧).

(٢) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص ٧٤–٧٥).

(٣) (سورة آل عمران: آية ١٨٩).

ومهما ترى من أبحر وقفاره ... ومن شجر، أو شاهق طال أعلاه
ومهما ترى من صورة معنوية ... ومن مشهد للعين طاب محياه
ومهما ترى من هيئة ملكية ... ومن منظر إبليس قد كان معناه
ومهما ترى من شهوة بشرية ... لطبع، وإيثار لحق تعاطاه
ومهما ترى من عرشه ومحيطه ... وكرسيه، أو رفرف عز مجلاه
فإني ذاك الكل، والكل مشهدي ... أنا المتجلي في حقيقته، لا هو
وإني رب للأنام وسيد جميع ... الورى إسم، وذاتي مسماه

أرأيت إلى الجيلي بأية وثنية ينعق؟ وبأية مجوسية يدين؟ أرأيت إليه في قوله: "أنا المتجلي في حقيقته لا هو؟" يا للجيلي!! يحكم على الوجود الحق بالعدم الصرف!!

أرأيت إليه في زعمه أنه "رب للأنام وسيد"؟!)[1].

بل إن بعضهم ادعى أن عند الولي كلمة التكوين؛ فإذا قال للشيء كن كان، وماذا بقي لله تعالى بعد ذلك؟

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (تزعم الصوفية أن شيوخها يقولون للشيء: كن، فيكون، فيتحدث أحدهم عن الولي الذي استخلفه الله، فيقول: "إنه خليفة يمكله الله كلمة التكوين متى قال للشيء: كن، كان من حينه[2])[3].

---

(١) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص٩١ــ٩٢).

(٢) جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني، علي حرازم، ت: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هــ (ج٢ ، ص٩).

(٣) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص١٦٤).

المطلب الثاني

انحرافهم في عقيدتهم في النبي ﷺ

لقد ادعى الصوفيون حبهم للنبي ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ؛ وزعموا أن أهم ميزة تميزهم عن غيرهم هي ذلك الحب المحمدي الذي هو أخص خصائص الإيمان عند أهل السنة والجماعة؛ ولكن الدعوى وحدها لا تكفي؛ فهل فعلاً تميز الصوفيون بحبهم للنبي ﷺ؟

ولكن قبل حب النبي ﷺ ينبغي أن نعرف من هو محمد ﷺ عند الصوفية..

يعرض الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ قولهم فيما يسمى في الفكر الصوفي:"الحقيقة المحمدية" فيقول: (عرفها الصوفية بقولهم: "هي الذات مع التعين الأول، ولها الأسماء الحسنى وهي اسم الله الأعظم"[1] فمحمد الصوفية ليس بشراً، ولا رسولاً، وإنما هو الذات الإلهية في أسمى مراتبها!!

ويقول الدمرداش: "حقيقة الحقائق هي المرتبة الإنسانية الكمالية الإلهية الجامعة لسائر المراتب كلها، وهي المسماة بحضرة الجميع، وبأحدية الجمع، وبها تتم الدائرة، وهي أول مرتبة تعينت في غيب الذات، وهي الحقيقة المحمدية[2].

ويقول الكمشخانلي[3]: "صور الحق هو محمد؛ لتحققه بالحقيقة الأحدية والواحدية[4] فمحمد عندهم هو الاسم الأعظم، فما الاسم الأعظم؟ إنه "الجامع لجميع الأسماء، أو هو اسم الذات الإلهية من حيث هي .. هي أي المطلقة[5].

---

(١) ينظر: معجم المصطلحات الصوفية، أنور فؤاد أبي خزام (ص ٧٧).

(٢) (ص ٧، رسالة في معرفة الحقائق لمحمد الدمرداشي) نقلاً عن الشيخ.

(٣) الكمشخانلي الحنفي أحمد بن مصطفى بن عبد الرحمن، ولد سنة ١٢٢٧هـ. في كمشخانه بولاية طريزون بتركيا، وتصوف على الطريقة النقشبندية، له مؤلفات منها: جامع الأصول في الأولياء وروح العارفين وإرشاد الطالبين وغيرهما، توفي سنة ١٣١١هـ. انظر: معجم المؤلفين الصوفيين (ص٩٤).

(٤) (ص ١٠٧، جامع الأصول للكمشخانلي) نقلاً عن الشيخ.

(٥) (ص ٩٢، المرجع السابق) نقلاً عن الشيخ.

ومحمد هــو الأحديــة! فما هي؟ إنها "مجلــى الــذات الإلهية ليــس للأسماء، ولا للصفات، ولا لشيء من مؤثراتها فيه ظهور، فهي اسم لصرافة الذات المجردة عــن الاعتبارات الحقية"[١].

ذلك هو التصور الصوفي عن حقيقة محمد ﷺ؛ وهو يكفي ليعرف المسلم أنه كفر صريح؛ وإجرام واضح..

لكن الصوفيين لا يقفون عند هذا الحد في وصف النبي ﷺ بل يذهبون إلى حــد جعل الوجود كله مظهراً من مظاهر الكرم المحمدي..

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ ناقلاً صورة من ذلك التصور الصوفي العنيــد بعد نقله لحقيقة محمد ﷺ عند أهــل السنة؛ وبيان أنه بشر يوحى إليه: (... هذا هــدي الله سبحانه.

وليبدو لنا بهاء النور وجماله، وسلطان الحق وجلاله نعرض صورة مــن الباطــل الصوفي العربيد، يقول المناوي في مولده الذي ينشد كل عام في شهر ربيع الأول:

لولاه ما كان ملك الله منتظماً دنيا وأخرى به كل قد افتتحت.

ويقول البوصيري[٢] في قصيدته المسماة البردة:

يا أشرف الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم.

واللياذ لا يكون إلا بالله وحده، ولا سيما في الآخرة التي لا تملك فيهــا نفــس لنفس شيئاً، والأمر يومئذ لله وحده.

ثم يقول في عماية:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم.

---

(١) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٢١).

(٢) البوصيري : (٦٠٨/٦٩٦هـ = ١٢١٢/١٢٩٦م) محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري ، شاعر مشهور ، له ديوان شعر مطبوع ، من أشهر قصائده "البردة والهمزية .الأعلام للزركلي (ج٦، ص١٣٩).

يقول: إن الدنيا والآخرة بعض جود الرسول وكرمه، وإن علم ما كتب القلم في اللوح بعض علم الرسول ﷺ؛ فماذا بقي لله سبحانه؟

لا تقولوا: شطحة، فالمسلم إذا شطح استغفر وأناب، أما صاحب هذا فأصر عليه.

ولا تقولوا: جذبة، فالمجاذيب قذارة ونفاية وثنية ماكرة)[١].

إذن هذا هو الحب الصوفي لمحمد ﷺ بعد عرض الشيخ له؛ وبيانه أتم بيان من كتبهم، وقصائدهم التي يترنمون بها حتى وقتنا الحاضر.

---

(١) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نور من القرآن ، عدد ٢، تاريخ ١٣٨٥هـ (ص٩).

المطلب الثالث

انحرافهم في الأولياء وكراماتهم

إن كرامات الأولياء عند أهل السنة والجماعة حقيقة يؤمن بها كل مسلم؛ ولكن لها حدود تنتهي إليها، وليست مفتوحة لتشمل الخلق والتدبير في الكون.

ولكن أهل التصوف أبوا إلا أن يخرجوا الكرامة الثابتة عن حدودها الشرعية ليلبسوها مسحة من الفكر الخرافي الذي لا يستند إلى دليل من كتاب أو سنة؛ بل ولا حتى عقل سليم، أو ذوق مليح.

ولذلك فإن الشيخ رحمه الله تعالى عند عرضه لأقوال أهل التصوف فإنه لم يهمل هذا الجانب الذي كان أساساً لكثير من انحرافاتهم العقدية.

يبين الشيخ هذا المسلك؛ فيعرض حقيقة علاقة المريد بالشيخ عند الصوفية؛ فيقول: (ما ألحفت الصوفية في شيء إلحافها في الدعوة إلى اتخاذ شيوخها أرباباً من دون الله، ففرضت على الدرويش أن يكون وطاءً ذليلاً لشيخه مستعبد الفكر سليب الإرادة كجثة الميت في يد الغاسل، وجعلت هذه العبودية الممتهنة أولى الدلائل على طاعة المريد لشيخه، وعلى حبه له، وعلى أنه يرقى معارج الوصول إلى حظائر القدس. اسمع إلى طيفور البسطامي يقول:"من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان"[1] وغلا صاحب لطائف المنن إذ يزعم: "من لم يكن له أستاذ يصله بسلسلة الأتباع، ويكشف له عن قلبه القناع، فهو في هذا الشأن لقيط لا أب له، دعي لا نسب له[2]" وإلى محمد عثمان يقرر آداب المريد مع شيخه: "ومشاهدتك له في كل حال ورد عليك أنه بواسطته إليك يا فتى، ومنها أن تجلس جلوس الصلاة عنده، وأن تفنى فيه، وألا تجلس فوق سجادته،

---

(١) (ص ١٤٧ كتاب الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية، ط ١٩١٣م) نقلاً عن الشيخ.

(٢) كتاب لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق ، ومؤلفه: أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني ، (ص٣٤٢) نقلاً عن الشيخ.

وألا تتوضأ بإبريقه ولا تتكئ على عكازه، واسمع ما قال بعض الأصفياء: من قال لشيخه: لم؟! لا يفلح، ولتكن محضره في قلبك وخيالك، فإن غفلت عنه وقتاً، فهذا من مقتك، واجتهد في أن تنال مقام الفناء فيه، فمن ثم ترقى إلى مقام البقاء به[1] وقد نظمها مصطفى البكري، فقال:

وسلم الأمر له، لا تعترض — ولو بعصيان أتى أذى فرض

وكن لديه مثل ميت فاني — لدى مغسل؛ لتمسى داني

ولا تطأ له على سجادة — ولا تنم له على وسادة[2]

وقد سبقه الجيلي بهذا:

وكن عنده كالميت عند مغسل — يقلبه كيف يشاء، وهو مطاوع[3][4]

ومبنى هذه الطاعة العمياء للشيخ "الولي" عند الصوفية ناتجة عن وصفهم لأشياخهم بالصفات التي لا تكون إلا لله تعالى؛ وخروجهم بكراماتهم عن المسلك الشرعي الرصين.

حتى إنهم أدخلوا الأمور المستقبحة في إطار الكرامة.

يقول الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ:(الشعراني[5] كاهن الخطايا الصوفية، يبشر بها، ويكافح في سبيل الدعوة إليها، وعجيب أن ترى الشعراني يعقد على ذكر كل اسم صوفي يتزى جسده فاحشة بقوله: "ﷺ"! اسمع إلى الكاهن يبشر بهتك العورة كرامة! "ومنهم الشيخ إبراهيم العريان، كان يطلع المنبر، ويخطبهم عرياناً، فيقول: السلطان،

---

(١) (الهبات المقتبسة لمحمد عثمان، ط ١٩٣٩م).

(٢) (بلغة المريد للبكري). نقلاً عن الشيخ.

(٣) (منحة الأصحاب للرطبي، ص ٧٥) نقلاً عن الشيخ.

(٤) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص١٤٧ــ١٤٨).

(٥) الشعراني (٨٩٨/ ٩٧٣هــ = ١٤٩٣/١٥٦٥م). عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحَنَفي، نسبه إلى محمد ابن الحنفية، الشعراني، أبو محمد ، له مؤلفات كثيرة في التصوف .الأعلام للزركلي (ج٤، ص١٨٠).

ودمياط، وباب اللوق، بين الصورين، وجامع طولون، الحمد لله رب العالمين، فيحصل للناس بسط عظيم[١]) [٢].

ويقول في موضع آخر: (إليك ما يأفكه الدباغ: "إن غير الولي إذا انكشفت عورته، نفرت منه الملائكة الكرام، والمراد بالعورة: العورة الحسية، والعورة المعنوية التي تكون بذكر المجون وألفاظ السفه، وأما الولي، فإنها لا تنفر منه، إذا وقع له ذلك؛ لأنه إنما يفعله لغرض صحيح، فيترك ستر عورته لما هو أولى منه[٣]".

قد جعلها الشعراني كرامة خاصة بالعريان، أما الدباغ، فيجعل كشف العورة دستوراً في الولاية الصوفية!، أما الكمشخانلي، فيحدثنا عن أنواع الأولياء المتصرفين، فيقول: "والرحمانيون وهم ثلاثة أيضاً، وهم عند الوحي يجلسون عرايا، ويسمعون الوحي ويفهمون المراد منه[٤]"! فتأمل الصوفية تزعم أن أولياءها يسمعون الوحي! ومن هم؟ سفهاء عرابيد، اتخذهم الخطايا دعاة مجونها وسفهها! وألسنة تعبر عن سوءاتها!)[٥].

تطور الصوفيين إلى وحوش وغيرها:

يقول الشعراني عن الغمري: "ودخل عليه سيدي محمد بن شعيب، فرآه جالساً في الهواء، وله سبع عيون" يقول. عن الشيخ أبو علي: "تدخل عليه تجده جندياً، ثم تدخل عليه، فتجده سبعاً، ثم تدخل عليه فتجده فيلاً، وكان يقبض من الأرض، ويناول الناس الذهب والفضة[٦]".

---

(١) (ص ١٢٩، ج ٢، الطبقات اللشعراني، ط ابن شقرون) نقلاً عن الشيخ.

(٢) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص١٥٠).

(٣) الإبريز، للدباغ (ص٣٧٤) بنصه مع حذف عبارتين: الأولى: لأن الحياء يغلب عليهم وهي واقعة بعد لفظ الملائكة الكرام. والثانية عبارة: وهي "ظاهرة" وهي واقعة بعد قوله العورة الحسية.

(٤) (ص ١٢٣ جامع الأصول في الأولياء) الكمشخانلي، نقلاً عن الشيخ.

(٥) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص١٥٢).

(٦) (ص ٨٠، ٨١ ، ج٢ الطبقات) للشعراني، نقلاً عن الشيخ .

ترى لو أن مسلماً قتل صوفياً وهو"فيل، أو سبع" أتلزمه الدية، أم يلزمه القصاص؟

يزعم الشعراني أن ذلك الشيخ المتطور إلى فيل وسبع قد قطعه بعض الناس بسيوفهم، وأخذوه في تليس، ثم أصبحوا، فوجدوا الشيخ حياً جالساً[(١)]"!)[(٢)].

تلك التساؤلات التي طرحها الشيخ جديرة بالإجابة عنها من طرف من ماتت قلوبهم في هذا الفكر الصوفي الذي يعتمد الذوق طريقا للمعرفة، والخرافة مسلكاً للاستدلال، والجهل سبيلاً للعلم.

ولكن هيهات أن يستطيعوا محاولة إجابتها فقط مجرد المحاولة.

وإن تسنى لهم ذلك وهيهات؛ فكيف يجيبون عن هذه الطامة الكبرى التي صرح بها الدباغ؛ فدبغ بها عقول العوام.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ ناقلاً عن الدباغ هذه القولة المنكرة: (يقول الدباغ: "رأيت ولياً بلغ مقاماً عظيماً، وهو أنه، يشاهد المخلوقات الناطقة والصامتة، والوحوش، والحشرات، والسموات، ونجومها، والأرضين، وكرة العالم بأسرها تستمد منه ويسمع أصواتها وكلامها في لحظة واحدة، ويمد كل واحد بما يحتاجه، ويعطيه ما يصلحه من غير أن يشغله هذا عن ذاك"[(٣)] يصف عبداً بصفات الربوبية والإلهية!!) [(٤)].

أما التجاني فإنه ترقى إلى أن وصل إلى مرحلة الإمداد من الأزل إلى الأبد:

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ ناقلاً تلك الفرية: (ويقول أحمد التيجاني عن نفسه: "روحي" روحه ﷺ تمد الرسل والأنبياء، وروحي تمد الأقطاب والعارفين من الأزل إلى الأبد وإذ جمع الله تعالى خلقه في الموقف ينادي مناد بأعلى صوته يسمعه كل من في

---

(١) (ص ٨٠ جـ٢ الطبقات) للشعراني، نقلاً عن الشيخ .

(٢) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص١٥٣).

(٣) الإبريز، الدباغ (ص٤٢٣) بنصه مع حذف كلمة "وما فيها" بعد كلمة والأرضين، وإبدال هذا بذلك.

(٤) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص١٥٩).

الموقف، يا أهل المحشر، هذا إمامكم الذي كان مددكم منه، كل ما فاض من ذوات الأنبياء تتلقاه ذاتي. ومني يتفرق على جميع الخلائق[١])" ويصفه تابع له بقوله: "إذ توجه أغنى وأقنى، وبلغ المنى[٢]" ويصفه آخر بقوله: "لا يتلقن واحد من الأولياء فيضاً من حضرة نبي إلا بواسطته[٣]" وآخر بقوله "نفوذ بصيرته الربانية التي ظهر مقتضاها من إظهار مضمرات، وإخبار بمغيبات، ولعم بعواقب الحاجات، وما يترتب عليها من المصالح والآفات[٤])"[٥].

---

(١) (ص ٥، ج٢، رماح حزب الرحيم وما بعدها. لعمر بن سعيد الفوتي، نقلاً عن الشيخ .

(٢) جواهر المعاني، لعلي بن حرازم (ج١، ص ٤٩).

(٣) (ص ٥، ج٢، رماح حزب الرحيم وما بعدها. لعمر بن سعيد الفوتي، نقلاً عن الشيخ .

(٤) جواهر المعاني، لعلي بن حرازم (ج١، ص ٤٩) بنصه مع حذف عبارة "في معرفة الأصحاب وفي غيرها" بعد قوله مقتضاها.

(٥) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٥٩).

الفَصْلُ الثَّانِي

منهجه في الرد على الصوفية والبهائية

ويشتمل على مبحثان:

المبحث الأول: الرد عليهم بالأدلة المتفق عليها.

المطلب الأول: الرد عليهم بالقرآن الكريم.

المطلب الثاني: الرد عليهم بالسنة النبوية.

المطلب الثالث: الرد عليهم بالإجماع.

المطلب الرابع: الرد عليهم بالقياس.

المبحث الثاني: الرد عليهم بأدلة أخرى.

المطلب الأول: مخالفتهم لصريح العقل ووقوعهم في التناقض.

المطلب الثاني: مخالفتهم لما علم من الدين بالضرورة.

المطلب الثالث: الرد عليهم بأقوال أئمة السلف.

المطلب الرابع: اكتفاؤه بعرض أقوالهم الواهية دون رد مباشر.

المبحث الأول

الرد عليهم بالأدلة المتفق عليها

لقد كان الشيخ عبد الرحمن الوكيل من أكثر علماء الأمة تمسكاً بأصول دينه سواء كان ذلك حين يعرض عقيدة السلف، ويدافع عنها، أو عندما يرد على المبتدعة من المتصوفة وغيرهم..

ولقد كان رحمه الله تعالى مستحضراً للأدلة التي يرد بها؛ والتي تدل دلالة واضحة على المطلوب إما نصاً وإما ظاهرة فيه؛ حتى لا يترك للخصم مجالاً للتحايل؛ وميداناً للجدال والخصام.

وكان يعينه على ذلك استحضاره المنقطع النظير لكتاب الله تعالى؛ وكأنه مسطر أمام ناظريه يأخذ منه ما يناسب الموضوع الذي يكتب عنه، وهو في هذا المجال قل أن يوجد له نظير حقاً.

وكذلك كان يستحضر ما يريد من الأحاديث، وإن كان بصفة أقل دقة، وكما من القرآن الكريم.

المطلب الأول: الرد عليهم بالقرآن الكريم:

ولقد نهج الشيخ رحمه الله تعالى في رده على المتصوفة منهج السلف الصالح؛ حيث كانوا يردون على المبتدعة بكتاب الله تعالى أولاً، ثم بسنة رسول الله ﷺ، ثم بإجماع الأمة، ثم بالعقل المحض.

وقبل أن يرد الشيخ على أي بدعة من بدعهم فإنه ـ رحمه الله تعالى ـ كان يحرص على ما يلي:

١ ـ عرض البدعة محل الرد من كتبهم المعتمدة.

٢ ـ يختار من مشايخهم من يعتبرونهم في مرتبة كبرى كما بينت ذلك في الفصل السابق.

٣ ـ عرض البدعة من كتب متعددة حتى لا يبقى مجال لإنكارها أو القول بتحريف هذا الكتاب أو ذاك.

٤ ـ إن كانت البدعة تحتاج إلى توسع في الرد توسع فيه؛ ونوع أدلة الرد، وأسهب في بيانها.

٥ ـ إن لم تكن تحتاج إلى ذلك بأن كانت متضحة الضعف؛ وبينة البعد عن الشرع فإنه يكتفي أحياناً بمجرد عرضها؛ وربما رد عليها رداً موجزاً بآية واحدة، دون تفصيل في تفسيرها، ونحو ذلك.

ومن أمثلة بيانه بدع بعض المتصوفة ورده عليهم عرضه قول الجيلي أن له ملك الدنيا والآخرة؛ ثم يرد عليه:

("لي الملك في الدارين، لم أر فيهما سواي، فأرجو فضله، أو فأخشاه
وقد حزت أنواع الكمال، وإنني جمال جلال الكل، ما أنا إلا هو"

هذا قول الجيلي، والله يقول: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾[1])[2].

ويكتفي هنا في الرد عليه بذكر هذه الآية الكريمة؛ لأن دعواه الربوبية العظمى غني عن الخوض معه في الأدلة على الأقل بالنسبة للمسلمين؛ والصوفيون يدعون الإسلام.

ويرد على ابن عربي دعواه الكفرية بأن الله تعالى محتاج إليه؛ ويختصر رده عليه كذلك في آية واحدة: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾[3])[4].

---

(١) (سورة آل عمران: آية ١٨٩).

(٢) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص ٩١).

(٣) (سورة فاطر: آية ١٥).

(٤) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص ٩٠).

ويجمع الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ كثيراً من دعاواهم الباطلة؛ ويرد عليها بنص القرآن الكريم في موضع واحد فيقول: (وإشفاقاً على الصوفية أن يجدوا مشقة في إبصار الحق المتلألئ، أذكرهم بهدي الله من كتابه؛ ليعرف حقيقة النور من يخبط في تيه الظلام، ويدرك الحق من دوخه الباطل، وينعم بالتوحيد من شقى بالشرك، ولعل الصوفي الضليل يتخذ من التذكير بآيات الله منجاة له، فيجعلها حكماً يصدع بالحق والعدالة في شأن الصوفية، يقول رب العالمين: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ۝٩٥﴾[1] ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ۝٤﴾[2].

يقول سبحانه: إنه خالق السموات والأرض، فتقول الصوفية: لا، بل هو عين السموات والأرض، وما فيهن من دابة! ويقول سبحانه: إنه يدبر الأمر، فتصرخ الصوفية: مين وبهتان، فنحن الذين يدبرون الأمر له! ويقول الله: ذلكم الله ربكم، فاعبدوه، فيضج كل طاغوت صوفي. لا: بل أنا الله لا إله إلا أنا! ويقول جل شأنه: إليه مرجعكم جميعاً، فتزعم الصوفية: إن معنى الرجوع هنا أن تعود الذات المتكثرة إلى وحدها، فتعود حقاً، بعد أن كانت خلقاً!.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾ ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ

(١) (سورة مريم: الآيات ٩٣ــ٩٥).

(٢) (سورة يونس: آية ٣ــ٤).

يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾[١]
يقولون: أما نحن، فنتخذهم معه!! وهل الشرك إلا هذا؟: أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ يقولـون: أما نحن فندعوهم!! وهل الدعاء إلا العبادة، أو مخ العبادة؟:وتزعم الصوفية أن الكاذب الكفار هو الرب الأكبر في صورة كاذب كفار، ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّـٰرُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَـٰتٍ ثَلَـٰثٍ ۚ ﴿٦﴾﴾[٢]. وتزعم الصوفية أن ربها هو ذلك الخلق المتطور في ظلمـات ثـلاث" العماء، الأحدية، الواحدية"﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ﴾[٣] . "ويزعم الجيلي أن لـه الملك في الدارين ويزعم معه كذلك الأحبار!!" ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾[٤].

يقول عز من قائل: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ﴾[٥] . "وتقـول الصوفية بل حكمه إلى كتب ابن عربي أو الغزالي أو ابن الفارض، ويقول غيرهم بل: إلى كتـب المـذاهب الأربعـة". ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾[٦]. وتزعم الصوفية أن الله هو الذي جعل نفسه أزواجاً، فبدا حقاً في صورة خلق، أو إلهاً في صورة عبـد!!" ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ

---

(١) (سورة الزُّمَر: آية ٢ــ٣).
(٢) (سورة الزُّمَر: آية ٤).
(٣) (سورة الزُّمَر: آية ٤).
(٤) (سورة الزُّمَر: آية ٤).
(٥) (سورة الشورى: آية١٠).
(٦) (سورة الشورى: آية ١٠ــ١١).

أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾[١]. وتقول الصوفية كما ذكرتك: بل هوعين كل شيء ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[٢]. وتقول الصوفية على لسان ابن عربي والغزالي وغيرهما: بل هو عين كل سميع وعين كل بصير ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[٣]. وتقول الصوفية: بل كل شيء هو له كفو إذ كل شيء في الوجود هو الذات الإلهية".

فأين أين من هذا التوحيد المشرق بالحق الأعظم. تلك الأساطير المجوسية التي ينعق بها ابن عربي، وينعب ابن الفارض، وينبح الجيلي، وتعوي الصوفية؟!)[٤].

فهذه الآيات التي اختارها الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ في رده على المتصوفة نجد أنها قطعية الدلالة على المطلوب، وقد فسرها السلف الصالح بما أراد الشيخ تماماً.

فالآية الأولى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾[٥].

قال فيها إمام المفسرين ابن جرير الطبري ــ رحمه الله تعالى ــ: ("وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا" يقول: وجميع خلقه سوف يرد عليه يوم تقوم الساعة وحيداً لا ناصر له من الله، ولا دافع عنه، فيقضي الله فيه ما هو قاض، ويصنع به ما هو صانع)[٦].

---

(١) (سورة الشورى: آية ١٠ــ١١).

(٢) (سورة الشورى: آية ١٠ــ١١).

(٣) (سورة الإخلاص: كاملة).

(٤) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص ١١١ــ١١٣).

(٥) (سورة مريم: آية ٩٣ــ٩٥).

(٦) تفسير الطبري (ج١٨، ص ٢٦١).

وقال فيها الإمـــام ابن كثير ــ رحمه الله تعـــالى ــ: (﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾[١] أي لا ناصر له ولا مجير إلا الله وحده لا شريك له، فيحكم في خلقه بما يشاء وهو العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة، ولا يظلم أحداً)[٢].

ولا شك أن هذا التفسير المطبق عليه بين عامة المفسرين؛ هو نفس المعنى الـــذي أراده الشيخ في الرد على المتصوفة؛ وخاصة فيما يتعلق بالـــشفاعة المنفيـــة، وعبوديـــة المخلوقين للخالق..

والآية الأخرى التي رد بها الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ على المتصوفة هي قولـــه تعـــــالى: ﴿ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ ﴾[٣].

ولا شك أنها صريحة في إثبات الخلق لله تعالى؛ وواضحة في علة ذلك الخلق..

فأين هذا مما يتقيؤه المتـــصوفة مـــن ادعـــائهم الربوبيـــة العظمـــى[٤] وتـــدبير الكون[٥]وضمان الجنة لأتباعهم ومريديهم؛ بل ولكل من أطعمهم أو أحبهم[٦].

وكذا بقية الآيات التي استدل بها الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ، ورد بهـــا علـــى الصوفية؛ فهي دالة في منطوقها على ما ذهب إليه الشيخ مما يدل على منهجه في اختيـــار الآيات التي يرد بها على أهل البدع والأهواء.

واستدلال الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ بالقرآن الكريم على المتصوفة أكثر من أن يحصى في كتبه ــ رحمه الله تعالى ــ؛ فقد كان رده عليهم مرتكزاً على القرآن الكـــريم أولاً؛ وكان كثير الاستدلال به ومستحضراً له[٧].

---

(١) (سورة مريم: آية ٩٣ــ٩٥).

(٢) تفسير ابن كثير (ج٣، ص ١٧١).

(٣) (سورة يونس: آية ٣ــ٤).

(٤) كالجيلي وابن عربي وابن الفارض وغيرهم.

(٥) كالدباغ وغيره.

(٦) كالتجاني.

(٧) يراجع: هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل، ص٩١ و٩٣ و١١٢ و١٢٢ و١٢٧ و١٢٨ و١٣٦ وغيرها وسأزيد ذلك بياناً ــ إن شاء الله تعالى ــ في فصل الردود من هذا البحث.

المطلب الثاني

الرد عليهم بالسنة النبوية الشريفة

لقد نبه الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ على مكانة السنة النبوية، وحجيتها، وضرورة الإيمان بما جاء فيها؛ وبين أنها هي المفسرة للقرآن الكريم، وهي مصدر التشريع الثاني؛ ورد من خلال ذلك على بدعة القائلين بالاكتفاء بكتاب الله تعالى؛ ورفض السنة النبوية.

يقول الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ: (.. والأمين الذي ائتمنه الله على كتابه، فبلغه، وشهد الله له أنه بلغه، أليس هو الأمين الذي بين وفصل أحكام أمانة ربه؟ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾[1] . ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[2] . ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾[3]. ويقول ﷺ " **لا أعرفن الرجل منكم يأتيه الأمر من أمري إما أمرت به أو نهيت عنه، وهو متكئ على أريكته فيقول: ما ندري ما هذا!؟ عندنا كتاب الله وليس هذا فيه** !![4] وما لرسول الله أن يقول ما يخالف القرآن، وبالقرآن هداه الله وإن هذا الحديث ليعد من أعلام النبوة؛ فما أخبر به واقع اليوم!!)[5].

---

(١) (سورة النجم: آية ٣).

(٢) (سورة النحل: آية ٤٤).

(٣) (سورة النحل: آية ٦٤).

(٤) سنن أبي داود كتاب السنة باب في لزوم السنة حديث رقم ٤٦٠٧ (ج٤، ص٣٢٩) وقد تصرف الشيخ في لفظ الحديث قليلاً. والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(٥) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٣٧ ــ ١٣٨).

ومن هذا الإيمان بحجية السنة النبوية نجد الشيخ ينطلق في رده على الـصوفية؛ فينهج في ذلك الاستدلال عليهم بالأحاديث النبوية الشريفة؛ وينتقي منها ما صح سنده؛ واتضح متنه، ودل على المطلوب منطوقه.

ومن ذلك رده لفريتهم فيما يسمونه الحقيقة المحمدية؛ وقولهم بأنه خلق من نور، وأنه أول المخلوقات وغير ذلك.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (والرسول نفسه ﷺ يقول: "**خلقت الملائكة من نـور، وخلق الجان من مارج من نـار، وخلق آدم مما وصف لكم** "[1].

تحدث الرسول عن النور، وعمن خلق منه، فلم يذكر نفسه أنه خلق من نـور، كما ذكر الملائكة، وتحدث عن آدم الأب الأول للبشرية،وعن خلقه، وأنه خلق مما ذكر الله في القرآن، يعني من طين لازب، ومحمد ﷺ ابن آدم!، فلمن تنتسب الحقيقة المحمدية الصوفية؟!)[2].

وقد ركز الشيخ في هذا الرد على محورين أساسيين:

الأول: أن يكون الحديث المستدل به صحيحا مجمعاً على صحته.

ومن هنا اختار حديثاً في صحيح مسلم.

الثاني: أن يكون صريحاً في الدلالة على المطلوب.

وذلك هو الذي جعله يختار هذا الحديث الجامع لأصناف المخلوقات المخاطبـة؛ والذي بين فيـه رسول الله ﷺ؛ ما خلق منه الملائكـة، وما خلق منه الجن، وما خلـق منه الإنسان.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، حديث رقم ٧٦٨٧ (ج٨، ص٢٢٦)

(٢) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص١٣٥).

ويقول في معرض رده عليهم فرية قولهم بأن النبي ﷺ كان يعرف القرآن قبل نزوله عليه: (وفرية الصوفية تناقض هذه الحجة الإلهية على صدق محمد.

أولاً يذكر الصوفية أن رسول الله حين فجأه الوحي، كان يقول ــ وجبريل يغطه: "**ما أنا بقارئ**"؟!

وأنه عاد إلى زوجه الطيبة الطهور في خوف وقلق، وأن هذه المؤمنه العظيمة قالت له قولتها التي طيبها الإيمان بروحانيته "**والله لا يخزيك الله أبداً**"[(١)].

أفكان يحدث هذا، أو بعضه، لو أنه ﷺ، كان على بينة من القرآن، قبل نزوله عليه؟ لم قال: ما أنا بقارئ؟ يكررها ثلاثاً؟ لم عاد خائفاً حتى زملوه ودثروه؟ لم بث ذات نفسه إلى زوجته خديجة، ولم ذهب معها إلى ورقة بن نوفل؟! كل هذا حدث منه ﷺ حتى بعد نزول الوحي عليه!! أهذه دلائل علم سابق بالقرآن، ويقين جازم به قبل نزول جبريل عليه به في ليلة القدر؟، أم دلائل مشاعر نفس مؤمنة تقية، فجأها من لله سبحانه، ما لم تكن تدريه من قبل؟!)[(٢)].

فاستدلاله بحديث بدء الوحي يدل على حسن اختياره في الرد كما سبق بيانه.

ويكاد هذا المنهج يكون مطرداً في رد الشيخ على المتصوفة وغيرهم[(٣)].

المطلب الثالث: الرد عليهم بالإجماع:

لم يهمل الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ الإجماع بوصفه دليلاً من أدلة أهل السنة والجماعة؛ معتمدين في ذلك على قوله ﷺ:"**أمتي لا تجتمع على ضلالة**"[(٤)].

---

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير سورة اقرأ حديث رقم ٤٩٥٣ (ج١٢، ص٣٥٠) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، حديث رقم ٤٢٢ (ج١، ص٩٧).

(٢) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٣٨).

(٣) يراجع: هذه هي الصوفية، مرجع سابق (ص ١٢٢ و١١٩ و١٥٧).

(٤) سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، حديث رقم ٢١٦٧ (ج٤، ص٤٦٦) وصححه الألباني.

ومن هنا كان الشيخ يستدل بالإجماع على المتصوفة؛ ويرد عليهم بـــه؛ مبينـــاً مكانته التشريعية، وموضحاً أن الصوفيين لم يعبؤوا به؛ بل خالفوا إجماعات كثيرة..

وقد علق الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ على كثير من الإجماعات التي نقل البقاعي في كتابه تنبيه الغبي تعليقات تبين أنه يهتم بالمكانة التشريعية للإجماع.

كما علق على الإجماعات التي نقل البقاعي عن الإمام النـــووي[١] بمـــا يفيـــد ذلك...[٢].

---

(١) النووي هو : الإمام الفقيه الحافظ الأوحد القدوة شيخ الإسلام ، علم الأولياء ، محيي الدين ، أبو زكريا يحيى ابن شرف بن مري الحزامي الحوراني الشافعي ، ولد في المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة مات ــ رحمه الله تعالى ــ في رابع عشر رجب سنة ست وسبعين وستمائة.

انظر ترجمته في : "طبقات الحفاظ" (ج١، ص٥١٣).

(٢) يراجع: مصرع التصوف، بتحقيق: الوكيل (ص٢٤) وما بعدها.

المطلب الرابع

الرد عليهم بالقياس

كان من منهج الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ أن يستنفد كل الأدلة الشرعية لــيرد بها على المتصوفة؛ معذرة إلى ربهم ولعلهم يتقون.

ومن هنا فإنه كان يرد عليهم أحياناً بالقياس[1]؛ ليبين لهم بصريح العقل والشرع ما هم فيه من تخبط، وما أوقعتهم فيه الفلسفة من تناقض.

فحين يصرحون بأن أشياخهم يدبرون الكون، وأنهم رغــم مــوتهم يــسيرون المسافات الطويلة، ويكلمون مريديهم، ويقضون لهم الحوائج؛ يبين لهم الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ أن ذلك غير ممكــن عقلاً، ولا شرعــاً؛ مستخدماً في ذلك دليــــل قيــاس الأولى، أو القياس الجلي[2] كما يسميه بعض الأصوليين.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (أرأيت إلى الشعراني يؤكد أن سيده البدوي حي رغم تعفن البلى في رمته؟!، وأنه يطبخ ويغسل، ويدعو الأحياء والموتى إلى مولده؟!

---

(١) "يطلق القياس في اللغة على تقدير الشيء بشيء آخر، يقال قاس الثوب بالمتر، إذا قدره به، ويطلق أيضاً على التسوية بين الشيئين سواء كانت حسية، مثل : قاس كذا على كذا، إذا حاذاه وسواه به، أم كانت معنوية كقولهم: فلان لا يقاس بفلان، أي لا يسوى به في الفضل والشرف.

ويطلق القياس في اصطلاح الأصوليين على إلحاق واقعة لم يرد لها حكم في الكتاب أو السنة أو الإجماع بواقعة أخرى ورد لها حكم في أحد هذه الأدلة في حكمها، لاشتراك الواقعتين في علة ذلك الحكم".

أصول الفقه الإسلامي، الدكتور/ زكي الدين شعبان، دار نافع للطباعة والنشر (ص٩٧).

(٢) " ينقسم القياس باعتبار القوة إلى قسمين:

أ) القياس الجلي: وهو ما كانت العلة فيه منصوصة بطرق قطعية وهي النص والإجماع، أو لم تكن منصوصة إلا أن الفارق بين الأصل والفرع مقطوع بنفي تأثيره.

وهذا النوع من القياس قطعي عند الجمهور من الأصوليين.

أما الحنفية : فالقياس الجلي عندهم : ما تبادر إلى الإفهام وجهه ولم يعارضه وجه يقتضي عليه الترجيح.

ب) القياس الخفي: وهو ما كانت العلة فيه مستنبطة، أو لم يكن مقطوع الفارق بين الأصل والفرع؛ لأن احتمال تأثير الفارق فيه قوي. وعند الحنفية: هو الاستحسان".

تيسير الأصول، حافظ ثناء الله الزاهدي، ط٢، ١٤١٨هــ/١٩٩٧م، دار ابن حزم، بيروت(ص٢٨٠).

أرأيت إليه يؤكد أنه حين أخطر "الحريثي" في باله، قام من قبره، وهرول إلى مصر على قدميه من دمياط؟!.

حجة من الحق:

أسائلك ــ وما تضنيني كثرة التساؤل ــ ألهذه الوثنية صلة بقرآن، أو فكر؟ هذا رسول الله ﷺ، وقد ووري قبره، فيعز على ابنته فاطمة أن يهيل أصحاب أبيها العظيم التراب على وجهه الكريم، فتقول ملتاعة القلب بالأسى والحزن:"أو هان عليكم أن تهيلوا التراب على وجه رسول الله؟". ويجيبها أنس بالحق، يأسو في قلبها الحزين لوعة العاطفة، ويجلي عنه ران الهموم. **"لو لا أننا أمرنا بذلك، ما فعلناه"**[(1)][(2)].

فإذا كانت التراب تهال على رسول الله ﷺ؛ وينقطع عن التصرف في الدنيا؛ فغيره من باب أولى.

وحين يصرح الصوفية بأن كرامات أوليائهم يملكونها استقلالاً من دون الله تعالى؛ وأن عندهم كلمة التكوين؛ وأنهم ملكوا التصرف في الكون؛ يرد عليهم الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ كذلك بقياس الأولى..

ويبين لهم أن الأنبياء وهم أفضل من الأولياء ما كانوا يملكون معجزاتهم استقلالاً من دون الله تعالى؛ وأن موسى ــ عليه الصلاة والسلام ــ ما كان منه حين ألقى السحرة حبالهم وعصيهم إلا أن خاف وارتعد لولا أن ثبته الله تعالى وقال له ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾[(3)].

وحينما عاين فرعون وجنوده لم يكن له حول ولا قوة لولا ما من الله تعالى به عليه وعلى المؤمنين معه؛ من أمره بضرب البحر بعصاه.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته وقول الله تعالى: {إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون}، حديث رقم ٤١٩٣ (ج٤، ص١٦١٩) دون إجابة أنس.

(٢) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٥٧).

(٣) (سورة طه:آية ٦٨).

وكذلك إبراهيم ومحمد ﷺ؛ لم تكن معجزاهم بملك أيديهم؛ بل كانوا مفتقــرين إلى الله تعالى.

إذن لم يكن الأنبياء يملكون معجزاهم؛ فكيف يملك الأولياء كراماهم؟

كيف يمكن المفضول، ويحرم الفاضل؟

ذلك ما لا تجد له جواباً إلا حين ترمي عقلك ودينك وراء ظهرك.. [(١)].

(١) انظر: هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص١٦٥)

المبحث الثاني

الرد عليهم بأدلة أخرى

المطلب الأول

مخالفتهم لصريح العقل ووقوعهم في التناقض

إن من أهم ما تفحم به خصمك؛ وتبين به عوار أدلته، أن توضح تناقضه في استدلاله وتظهر تعارض أدلته.

ومن هنا فإن الشيخ ـــ رحمه الله تعالى ـــ بين في أماكن كثيرة من كتبه تناقض الصوفية في استدلالهم، وفي أدلتهم؛ فيصفون الله تعالى بصفات؛ ثم ينقضونها بصفات تتناقض معها.

ويجردونه عن الصفة والاسم؛ ثم يصفونه ويسمونه.

يقول الشيخ ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (تدين الصوفية بأن الوجود الإلهي له أطوار، أو مراتب، أو تنزلات، أو تعينات أو نسب، أو إضافات، فكلها ذات مدلول خرافي واحد!!

وأولى تلك المراتب "العماء"[(١)] والوجود الإلهي في هذا الطور لا يوصف بوصف، ولا يسمى باسم، ولا يعرف بحد ولا برسم. أو كما يقول الكمشخانلي: "اعلم أن حقيقة الذات الإلهية من حيث هي هي، امتدادها ـــ أعني مدة بقائها ـــ غير مضبوط لأنها من حيث هي كذلك لا وصف لها، ولا رسم، فهي العماء، إذ لا يمكن معرفتها بوجه من الوجوه، ما لم تتعين بصفة. وأول هذه التعينات علمها بذاتها، فهذه الصفة تنزل لها من

---

(١) العمى ضد البصر والبصيرة والعمى السحاب والجهالة وعند أهل الحقيقة العماء هو المرتبة الأحدية.التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، دار الفكر المعاصر، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ (ص ٥٢٦).

الحضرة الإهلية الذاتية التي لا نعت لها إلى الحضرة الواحدية التي هي حضرة الأسماء والصفات، وتسمي: الحضرة الإلهية[١]".

نقلت لك النص بتمامه، ليستيقن قلبك بأننا ننصف الصوفية، فلا نسمهم إلا بما يحبون أن يعرفوا به. وقد يسمى الرب الصوفي في تلك المرتبة بالوجود المطلق، بيد أن النابلسي في غلو التجريد الذي ينتهي به إلى العدم المطلق، ينزه الوجود في تلك المرتبة حتى عن الإطلاق، لأن وصفه بالمطلق قيد، أو صفة له، فيستلزم أن يكون المطلق مقيداً، والمقيد مطلقاً، فيتوتر التناقض بين وصفيه، ويستلزم أن تكون له صفة، وهو مجرد كل التجريد في ذلك الطور عن الاسم والصفة!!يقول الشيخ في الهامش: "رغم هذا، فهو واقع في التناقض، لأن الوصف بالسلب، أي عدم الإطلاق، قيد أيضاً للوجود، كالوصف بالإيجاب!!")[٢].

ويبين الشيخ تناقض المتصوفة العقلي في كثير من أقوالهم، وممارساتهم في مواضع كثيرة من كتبه[٣].

ومن راجع ما يسمونه شطحات الأولياء يجد من الخواء الفكري؛ والحضيض الاستدلالي، والتناقض العقلي ما يندى له الجبين.

وقد بين الشيخ كثيراً من ذلك في مقالاته تحت عنوان: "نظرات في التصوف"[٤].

وأوضح ــ رحمه الله تعالى ــ أنها ليست شطحات يهذي بها السكران كما يدعون؛ بل هي صادرة عن تصميم وإرادة ومكر ودهاء.

---

(١) (ص ٩٣، جامع الأصول للكمشخانلي). نقلاً عن الشيخ.

(٢) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص١١٩ــ١٢٠).

(٣) يراجع: هذه هي الصوفية (ص ٦٦ و١٤٢). والصفات الإلهية، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٢٥ــ١٢٧) وغيرها.

(٤) يراجع: الأعداد ١١، سنة ١٣٨٠هـ. وأعداد سنة ١٣٨٣هـ.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (ولا يجوز لمسلم أن يعتذر عن هذا الشطح بأنه صدر في حال سكر، فالسكران يهذي، ويخرف، ولا يقول كلاماً يرتبط أوله بآخره، أو مبتدؤه بخبره، أو فعله بفاعله، ولكنك تجد في كل ما نقلناه كلاماً وراءه إرادة، وقصد، وعزيمة، ووراءه فكر يوجه، ويختار جيد الكلمات التي تعبر عن مضمونه، ويوحي إليك بأنه يجب أن تفهم عنه هذا!! بل يأتي بعدة مؤكدات منها تكرار معانيه في جمل مختلفة الصور، ولكنها متفقه في المعنى؛ فهل يوصف فاعل هذا بأنه سكران؟ ثم أقول ما الذي أسكره؟)[1].

---

(١) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نظرات في التصوف ، عدد ١١، تاريخ ١٣٨٠هـ (ص٤٢).

المطلب الثاني

مخالفتهم لما علم من الدين بالضرورة

إن هناك أموراً في الدين علمت بالضرورة؛ ولا مجال لإنكارها، وقد أجمع المسلمون على كفر من أنكر معلوماً من الدين بالضرورة كالواجبات الظاهرة والمحرمات المشهورة[١].

ومن هنا فإن الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ كان يبين للمتصوفة من خلال رده عليهم كفر من أنكر ما علم من الدين بالضرورة، وأنهم وقعوا في ذلك تصريحاً لا تلويحاً.

قول ابن عربي بنجاة فرعون في الدنيا والآخرة:

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ ناقلاً قول ابن عربي في نجاة فرعون؛ بل وتفضيله على موسى: (وبهذا يحكم ابن عربي بنجاة فرعون موسى، يقول معقباً على قوله تعالى: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۝٩﴾[٢]: "فبه قرت عينها بالكمال الذي حصل لها، وكان قرة عين لفرعون بالإيمان الذي أعطاه الله عند الغرق، فقبضه طاهراً مطهراً، ليس فيه شيء من الخبث"[٣].

ويقول عن فرعون أيضاً: "فنجاه الله من عذاب الآخرة في نفسه، ونجى بدنه، فقد عمته النجاة حساً ومعنى[٤]".

---

(١) يراجع: شرح العقيدة الواسطية ، لابن تيمية تأليف محمد خليل هراس الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م (ج١، ص١٦٦) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة (ص ٢٧٣).

(٢) (سورة القصص: آية ٩).

(٣) فصوص الحكم، لابن عربي (ص ١٦٤).

(٤) فصوص الحكم، لابن عربي (ص١٧٥) مع حذف بسيط حيث حذف الشيخ هذه العبارة:"كما قال تعالى "فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية" لأنه لو غاب بصورته ربما قال قومه: احتجب ؛ فظهر في صورته المعهودة ميتاً ليعلم أنه هو.. وهي تقع بعد قوله: ونجى بدنه.

واقرأ بقية ما افتراه في "الفص الموسوي" من كتابه الفصوص، ففيه يفضل فرعون على موسى![(١)])[(٢)].

ولا شك أن هلاك فرعون منصوص عليه في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ؛ ومعلوم بالضرورة من دين الإسلام أنه كافر؛ وأن إيمانه الذي صرح به لم ينفعه؛ لأنه كان بعد معاينة العذاب.

ومن أصرح الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿ءَآلۡـَٔـٰنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٩١﴾[(٣)].

قال الإمام الشنقيطي رحمه الله تعالى مبيناً هذا المعنى: (قوله تعالى: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ ءَآلۡـَٔـٰنَ وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ٥١﴾[(٤)] بين تعالى في هذه الآية الكريمة، أن الكفار يطلبون في الدنيا تعجيل العذاب كفراً وعناداً، فإذا عاينوا العذاب آمنوا، وذلك الإيمان عند معاينة العذاب وحضوره لا يقبل منهم، وقد أنكر ذلك تعالى عليهم هنا بقوله: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾[(٥)] ونفى أيضاً قبول إيمانهم في ذلك الحين بقوله: ﴿ءَآلۡـَٔـٰنَ وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ٥١﴾[(٦)].

وأوضح هذا المعنى في آيات أخر، كقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ٨٤ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ

---

(١) انظر: فصوص الحكم "فص حكمة علوية في كلمة موسوية" (ص ١٦١).
(٢) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص١٤٣).
(٣) (سورة يونس: آية ٩١).
(٤) (سورة يونس: آية ٥١).
(٥) (سورة يونس: آية ٥١).
(٦) (سورة يونس: آية ٥١).

ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ [١] وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ [٢] وقوله: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [٣] إلى غير ذلك من الآيات.

واستثنى الله تعالى قوم يونس دون غيرهم، بقوله: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ [٤]) [٥].

فبان من ذلك أن الإيمان حين مشاهدة العذاب لا ينفع أحداً، ولم ينفع أحداً في الماضي إلا قوم يونس وحدهم؛ فقد استثناهم الله تعالى من ذلك.

أما فرعون فهو أول الداخلين في ذلك العموم.

كيف لا وقد صرح الله تعالى بأنه لم ينفعه إيمانه في قوله تعالى: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ [٦]. وقوله تعالى عن موسى ودعائه وتأمين هارون عليه: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ

(١) (سورة غافر: آية ٨٤ ـ٨٥).
(٢) (سورة يونس: آية ٩٠ـ٩١).
(٣) (سورة النساء: آية ١٨).
(٤) (سورة يونس: آية ٩٨).
(٥) أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي (ج٢، ص ١٦٠ـ١٦١).
(٦) (سورة يونس: آية ٩٠ـ٩١).

ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾[(١)] . ثم قال تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾[(٢)].

فقول ابن عربي بنجاة فرعون في الدنيا والآخرة قول عار من الصحة، وإنكار لما علم بالضرورة من الدين.

قول الجيلي بنجاة إبليس:

حتى إبليس رأس الكفر لم يسلم من ثناء المتصوفة عليه؛ وأي شيء في إبليس يثنى عليه؟

أليس معلوما بالضرورة من الدين أنه أول الكافرين؛ وهو الموسوس الذي سبب دخول أهل النار فيها؟

ولكن يأبى الجيلي إلا أن يمجده، ويلبسه لباس زور يخدع به من استطاع من عوام المسلمين.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (الصوفية حفية دائماً بتقديس عدو الله، كفرعون، وإبليس، ثم تزعم للناس أن أقطابها أحباء الله وأودّاؤه، وأنهم مشارق ألوهية وربوبية، وأن لهم القدرة الخلاقة القهارة التي تسخر الوجود كله لقبضتها الظلوم! لقد مجد ابن عربي فرعون، حتى فضله على موسى كليم الله، وهاهو الجيلي يمجد إبليس العدو الأول لله وللبشرية!.

يقص الله علينا إباء إبليس عن السجود لآدم، وقوله: "أنا خير منه" فيقول الجيلي: "وهذا الجواب يدل على أن إبليس من أعلم الخلق بآداب الحضرة، وأعرفهم بالسؤال، وما يقتضيه من الجواب" واقرأ بقية خطاياه في كتابه "الإنسان الكامل"؛ لتراه في إعجابه الرائع بإبليس، وتقديسه له، وحكمه بأنه في الفردوس يوم القيامة، يقول

---

(١) (سورة يونس: آية ٨٨).

(٢) (سورة يونس: آية ٨٩).

الجيلي: " لايلعن إبليس أي لا يطرد من الحضـــرة الإلهيـــة إلا قبـــل يوم الدين؛ لأجل ما يقتضيه أصله، وهي الموانع الطبيعية التي تمنع الروح عن التحقق بالحقائـــق الإلهيـــة، وأما بعد ذلك فإن الطبائع تكون لهـــا من جملة الكمالات فلا لعنة، بل قـــرب محـــض، فحينئذ يرجع إبليس إلى ما كان عليه عند الله من القرب الإلهي.. قيل إن إبليس لما لعن هاج وهام لشدة الفرح حتى ملأ العالم بنفسه، فقيل له: أتصنع هكذا، وقد طردت مـــن الحضرة؟ فقال: هي خلقة أفردني الحبيب بها لا يلبسها ملك مقرب ولا نبي مرســـل"[١]
هذا نص الجيلي بلفظه!)[٢].

وهذه الأمور التي مثل بها الشيخ لا يحتاج القارئ معها إلى بحث عن سلوك القوم؛ ومعتقداهم، وتشكيكهم في صريح كتاب الله تعالى،وصحيح سنة رســـول الله ﷺ؛ فـــإن هلاك فرعون وكفره؛ وهلاك إبليس وشركه، لا يشك فيه مسلم، وهو من المـــسلمات التي يجد المسلم نفسه مجبرة فطرياً على الإيمان بها.

فكيف بمن لا يحكم بنجاهم فقط؛ بل يجعلهما من أكبر أولياء الله تعالى.

سبحانك هذا بهتان عظيم.

---

(١) ص ٤٢، ج ٢، من الإنسان الكامل، للجيلي. نقلاً عن الشيخ.

(٢) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٤٤ـــ١٤٥).

المطلب الثالث

الرد عليهم بأقوال أئمة السلف

لم يهمل الشيخ جانب أقوال السلف حين كان يرد على المتصوفة؛ بل ثمن جهود السلف، وجعل لها ميداناً خاصاً في رده على المبتدعة.

وأبرز جهود معظم علماء السلف في ردوده على الصوفية والفرق المخالفة؛ وإن كان أعطى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى الحيز الأكبر من ذلك.

وبعد أن بين الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ المملكة الباطنية للصوفية؛ وعرض أقوالهم فيها، رد عليهم بكلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فقال: (تعقيب: يقول الإمام الجليل ابن تيمية عن مذاهب الصوفية: "اعلم هداك الله وأرشدك أن تصور مذهب هؤلاء كاف في بيان فساده، ولا يحتاج مع حسن تصوره إلى دليل آخر "[1] ثم يقول: "وكل من يقبل قول هؤلاء فهو احد رجلين، إما جاهل بحقيقة أمرهم، وإما ظالم يريد علواً في الأرض وفساداً أو جامع بين الوصفين، وهذه حال أتباع فرعون، وحال القرامطة مع رؤسائهم وحال الكفار والمنافقين في أئمتهم الذين يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون"[2].

وحق ما يقوله الإمام الكبير؛ فالأمر لا يحتاج إلى دليل تثبت به فساد وضلال مختلقي أسطورة القطب، لأن مجرد قراءة ما كتبوه عنه يكفي في بيان أنها أسطورة الزندقة)[3].

ويرد على قول آخر من أقوال الصوفية، وهو ادعاؤهم أن القرآن له ظاهر وباطن، وأن الدين فيه شريعة وحقيقة، مدعماً رده بقول شيخ الإسلام فيقول ــ رحمه

---

(١) جامع الرسائل ، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى : ٧٢٨هـ) ت : د. محمد رشاد سالم ، دار العطاء ، الرياض الطبعة : الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م (ص ٢٣١).

(٢) المرجع السابق (ص ٢٣٢).

(٣) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نظرات في التصوف ، عدد ٣، تاريخ ١٣٨٦هـ (ص ١٣).

الله تعالى ــ: (ويطيب لي أن أنقل هنا ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية عن القرآن بعد أن تكلم عن بعض الكتب السماوية: " وأما القرآن فإنه مستقل بنفسه لم يحوج أصحابه إلى كتاب آخر بل اشتمل على جميع ما في الكتب من المحاسن؛ وعلى زيادات كثيرة لا توجد في الكتب؛ فلهذا كان مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه يقرر ما فيها من الحق ويبطل ما حرف منها وينسخ ما نسخه الله فيقرر الدين الحق وهو جمهور ما فيها ويبطل الدين المبدل الذي لم يكن فيها والقليل الذي نسخ فيها؛ فإن المنسوخ قليل جداً بالنسبة إلى المحكم المقرر. والأنبياء كلهم دينهم واحد وتصديق بعضهم مستلزم تصديق سائرهم وطاعة بعضهم تستلزم طاعة سائرهم وكذلك التكذيب والمعصية: لا يجوز أن يكذب نبي نبيا بل إن عرفه صدقه وإلا فهو يصدق بكل ما أنزل الله مطلقاً وهو يأمر بطاعة من أمر الله بطاعته. ولهذا كان من صدق محمدا فقد صدق كل نبي؛ ومن أطاعه فقد أطاع كل نبي ومن كذبه فقد كذب كل نبي؛ ومن عصاه فقد عصى كل نبي قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾﴾[1]. وكذلك من كان من الملاحدة والمتفلسفة طاعناً في جنس الرسل كما قدمنا بأن يزعم أنهم لم يعلموا الحق أو لم يبينوه فهو مكذب لجميع الرسل كالذين قال فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾[2] ".

وقد تصرف الشيخ في كلام شيخ الإسلام بحذف بسيط.

ثم يقول: " وكثير من أهل الكلام والتصوف لا يكذب الرسل تكذيباً صريحاً ولا يؤمن بحقيقة النبوة والرسالة بل يقر بفضلهم في الجملة مع كونه يقول: إن غيرهم أعلم منهم؛ أو أنهم لم يبينوا الحق أو لبسوه؛ أو إن النبوة هي فيض يفيض على النفوس من العقل الفعال من جنس ما يراه النائم ولا يقر بملائكة مفضلين ولا بالجن ونحو ذلك

---

(١) (سورة النساء: آية ١٥ــ١٦٠).

(٢) (سورة غافر: آية ٧٠).

فهؤلاء يقرون ببعض صفات الأنبياء دون بعض؛ وبما أوتوه دون بعض ولا يقرون بجميع ما أوتيه الأنبياء وهؤلاء قد يكون أحدهم شراً من اليهود والنصارى "(١).

وصوفية ابن عربي وابن الفارض والحلاج والبسطامي والشبلي لا تؤمن بأن القرآن فيه الحقيقة، كلهم يعتقدون أن نصوص ابن عربي، أو تائية ابن الفارض هي خير من القرآن، ولهذا صرح التلمساني بقوله: "القرآن كله شرك، وإنما التوحيد في كلامنا")(٢).

الرد عليهم في قولهم في المحبة:

وكثيراً ما يتشدق المتصوفة بأنهم أهل حب وعشق، حتى جعلوا من أركان ذلك الحب أن يحب المرء كل ما في الكون لأجل محبته لله تعالى؛ فيعرض الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ قولهم هذا ثم يذكر قصة وقعت لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى مع واحد من متصوفة زمانه؛ مبينا من خلالها ضعف مستندهم في ذلك الادعاء.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (يزعم التصوف في عهره الماجن أن حب الله يوجب عليهم محبة كل شيء حتى الخطيئة!! ولقد عثر شيخ الإسلام ابن تيمية بواحد من هؤلاء فلامه على مجونه وإباحيته؛ فقال الصوفي الماجن: المحبة نار في القلب تحرق ما سوى مراد المحبوب، والكون كله مراده؛ فأي شيء أبغض منه؟!

فقال ابن تيمية لهذا الإباحي الصوفي: إذا كان المحبوب قد أبغض أفعالاً وأقوالاً، وأقواماً، وعاداهم؛ فطردهم ولعنهم؛ فأحببتهم تكون موالياً للمحبوب أو معادياً له؟

قال شيخ الإسلام: فكأنما ألقم حجراً، وافتضح بين أصحابه "(٣).

لقد زعم أدعياء الحب أنهم من أجل الله يحبون كل شيء، حتى الأجساد التي اتخذتها الخطايا حمأة لها، وتعبيراً عن فسوقها؛ لأن كل شيء يحكي عن جمال الله وبهائه، ثم تطور زعمهم هذا، فقالوا: إنهم يعبدون كل شيء عين ذاته)(٤).

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (ج١٩، ص١٨٤ــ١٨٧).

(٢) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نظرات في التصوف ، عدد ١، تاريخ ١٣٨٦هــ (ص١٣ــ١٤).

(٣) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية (ج٣، ص١٤).

(٤) مجلة الهدي النبوي، مقالة نظرات في التصوف، عدد ٦، تاريخ ١٣٨٣هــ (ص٤٤ــ٤٥).

المطلب الرابع

اكتفاؤه بعرض أقوالهم الواهية دون رد مباشر عليها

كثيراً ما يعرض الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ بدع المتصوفة؛ ويكتفي بذلك دون رد مباشر، وخاصة إذا كانت البدعة معلوم حكمها، وعرضها يكفي في الرد عليها.

وهذا المسلك موجود في ردود الشيخ على المتصوفة وعلى غيرهم من الفرق المخالفة، وخاصة إذا كانت البدعة فيما يتعلق بتوحيد الله تعالى، وفيما علم من الدين بالضرورة، أو كانت تحوي خرافات ينكرها العقل السليم[1].

وكان من منهج الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ في ردوده على المتصوفة أنه كثيراً ما يستعرض ما عندهم من الأدلة على البدعة التي يناقشها، ويستقصي أدلتهم التي استدلوا بها؛ ثم يفندها واحداً تلو الآخر.

ومن ذلك استعراضه لأدلتهم على ما يسميه الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ المملكة الباطنية؛ ويقصد بها ما يسمى في الفكر الصوفي بالقطب وأعوانه.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (والذي يثير ويوجع، أن يتوج التاريخ المكذوب أولئك الذين حاولوا القضاء على الإسلام بألقاب: مجدد الإسلام، حجة الإسلام، إمام الأئمة، إمام الحديث، إمام مصر وكل مصر!!

وأن يلقب دعاة الحق وأبطال ميادينه بألقاب تنزو بغياً وحقداً كما فعل ــ مثلاً للأولى ــ مع الغزالي، وكما فعل ــ مثلاً للأخرى ــ مع الإمام ابن تيمية.

غير أننا لن نمل أبداً من تكرار ذكر الحقيقة التي يؤمن بها المسلمون، وهي أن كتاب ديننا هو القرآن، وأن نبي الإسلام الخاتم هو محمد ﷺ؛ فليأت المفترون بعشرات السيوطيين والغزاليين وكتبهم وفتاويهم؛ ليحشدوا معهم كهانهم وأحبارهم وشياطينهم،

---

(١) يراجع على سبيل المثال مقالة نظرات في التصوف، عدد ١، تاريخ ١٣٨٦هـ (ص٢٨) وما بعدها، وقد قدمت أمثلة من ذلك في مواضع من هذا البحث.

وليملأوا الجو صخباً وهتافاً يعربد على نداء الحق النبيل؛ فإنهم لن يخدعوا بكل هذا مسلماً ينتسب قلبه وفكره إلى القرآن، ولن يستطيعوا بكل ما افتروا من أباطيل أن يصرفوا مسلماً عن آية واحدة من القرآن.

ولنعرض عليك بعض ما نقله السيوطي من مفتريات أبت إلا أن تنتسب زوراً وبهتاناً إلى صحابي جليل هو عبد الله بن مسعود ﷺ فقد بهتوه بأنه قال: "إن لله ﷻ في الخلق أربعون قلوبهم على قلب نوح ﵇، ولله في الخلق سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم ﵇، ولله في الخلق خمسة قلوبهم على قلب جبريل ﵇، ولله في الخلق ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل ﵇ ولله في الخلق واحد قلبه على قلب إسرافيل ﵇ فإذا مات الواحد أبدل الله ﷻ مكانه من الثلاثة وإذا مات من الثلاثة أبدل الله تعالى مكانه من الخمسة وإذا مات من الخمسة أبدل الله تعالى مكانه من السبعة وإذا مات من السبعة أبدل الله تعالى مكانه من الأربعين وإذا مات من الأربعين أبدل الله تعالى مكانه من الثلاثمائة وإذا مات من الثلاثمائة أبدل الله تعالى مكانه من العامة. فبهم يحيي ويميت ويمطر وينبت ويدفع "[1].

وعبد الله بن مسعود الذي ينسب إليه هذا الحديث هو القائل: "**لأن أحلف بالله كاذبا خير من أن أحلف بغيره صادقاً**"[2]؛ لأن الحلف بغير الله شرك، والله لا يغفر أن يشرك به.

فكيف ـــ وهذه روحه في تقديس التوحيد ـــ يروي هذه الوثنية؟ على أن هذا الحديث الموضوع لا يوجد في كتاب من كتب السنة المعتبرة)[3].

(١) أبو نعيم في الحلية (ص ٩١). ومن طريقة ابن الجوزي في الموضوعات، الطبعة الأولى، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م (ج٣، ص١٥٠).

(٢) الطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم ٨٩٠٢ (ج٩، ص١٨٣).

(٣) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نظرات في التصوف ، عدد ٢، تاريخ ١٣٨٦هـ (ص٢٦) وراجع: العدد ١، تاريخ ١٣٨٦هـ (ص١٣).

الفصل الثالث

الرد على أرباب الفكر الصوفي ودعاته

ويشتمل على مبحثان:

المبحث الأول: أكثر الذين تناولهم الشيخ بالرد ومكانتهم عند الصوفية.

المبحث الثاني: أهم العقائد التي تناولها الشيخ من خلال رده على أكابر الفكر الصوفي.

المطلب الأول: انحرافهم فيما يتعلق بالتوحيد.

المطلب الثاني: انحرافهم فيما يتعلق بالنبي ﷺ.

المطلب الثالث: انحرافهم فيما يتعلق بالقرآن الكريم.

المطلب الرابع: انحرافهم فيما يتعلق بالأولياء، وكراماتهم.

المطلب الخامس: انحرافهم في مصادر التلقي والمعرفة.

المبحث الأول

أكثر الذين تناولهم الشيخ بالرد ومكانتهم عند الصوفية

لقد حرص الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ على انتقاء أكابر المتصوفة، والمنظرين الذين كان لهم دور مهم في تكوين الفكر الصوفي، وكانت لهم مؤلفات لها ثقلها في الثقافة الإسلامية عامة والصوفية بشكل خاص.

وكانت تلك المؤلفات منتشرة في أصقاع العالم الإسلامي مخطوطة حين كانت المخطوطات هي النمط السائد؛ ومطبوعة حين أصبحت الطباعة مستنداً للمعرفة، ووسيلة لنشر الأفكار والمذاهب.

وقد بلغ صيت أولئك المتصوفة ما بلغت كتبهم، وكان لسحرها البياني تأثيره الفاعل في إفساد عقائد العوام؛ بل وخلخلة عقائد كثير من العلماء وطلبة العلم؛ لما انطوت عليه من الغموض، والجمال اللغوي، والنسق الشعري الفريد.

ويمكن في شيء من الإيجاز تلخيص أسباب نقل الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ عن أوتاد الفكر الصوفي في نقاط مهمة على النحو التالي:

١ ــ أن عامة الصوفية يبجلونهم ويثنون عليهم خيراً؛ فكان في إظهار عقائدهم وشرحها للناس بعد تعريتها من ملابسها البيانية؛ دعوة لمن في قلبه الخير من المتصوفة إلى التوبة والرجوع؛ وإقامة للحجة على أولئك الذين فضلوا اتباع الهوى، وإيثار الشهوات واستعباد البشر.

٢ ــ أن هؤلاء الجماعة الذين أكثر الشيخ من النقل عنهم كان لهم صيت ذائع سحروا به كثيراً من المسلمين؛ فكان في إظهار حقائقهم وبيان عقائدهم محاولة للوقوف أمام التيار الجارف الذي يتبعهم، ويعبد شخوصهم ويقدسها.

٣ ــ أن بعض علماء الأمة قد انخدعوا بكثير منهم كالغزالي والهروي[١] وغيرهما فكان في سبر أحوالهم وبيان حقيقتهم إرجاعا للحق إلى نصابه؛ وحفظا لعلماء الأمة من أن يختلط بهم ما ليس منهم؛ فهم حملة الدين، وورثة الأنبياء.

٤ ــ أن في النقل عنهم إقامة للحجة على من يدعي العلم من المتصوفة؛ فلن يبقى أمامه إلا أحد خيارين:

أ ــ أن يكفر بهؤلاء الذين تبين حقيقتهم وعلم أنهم صوروا له بهتاناً وزوروا أنهم علماء الأمة، ومتبعوا السنة.

ب ــ أن يعلن صراحة أنه مؤمن بما ذهبوا إليه؛ وبالتالي فلن يخدع مسلماً بعدها؛ بعد اتضاح الحق، وظهوره.

وسوف أستعرض أهم الذين نقل الشيخ عنهم؛ وأبين مكانتهم عند المتصوفة، وذلك على النحو التالي:

مكانة البسطامي ونقل الشيخ عنه:

وقد عبر الغزالي عن مكانة البسطامي عند الصوفية فقال: "أبو يزيد قلما يتكلم إلا عن أعلى المقامات، وأقصى الدرجات"[٢].

قال عنه الشيخ: (وأبو يزيد البسطامي صوفي يقدسه كل صوفي، وكانت به أثارات من مجوسية لم يستطع أن يكبتها.

يقول عنه الصوفية "أشهر من أن يذكر، وأعرف من أن يعرف، وكان نادرة زمانه مالاً وأنفاساً وورعاً ")[٣].

---

(١) الهروي هو : عبد الله الهروي (٣٩٦ (١) ــ ٤٨١ هــ) (١٠٠٥ ــ ١٠٨٩ م) عبد الله بن محمد بن علي ابن محمد بن أحمد ابن علي بن جعفر بن منصور الأنصاري، الهروي، الحنبلي (أبو إسماعيل) أصولي، محدث، حافظ، مفسر، مؤرخ، متكلم ولد بقندهار ، وتوفي بهراة في ذي الحجة من تصانيفه: منازل السائرين إلى الحق المبين. معجم المؤلفين (ج٦/، ص١٣٣).

(٢) إحياء علوم الدين، لأبو حامد الغزالي (ج٤، ص٢٥٨) وراجع: مجلة الهدي النبوي ، مقالة من شطحات الصوفية، عدد ١١ تاريخ ١٣٨٦هــ (ص٣٨).

(٣) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نظرات في التصوف ، عدد ١١ سنة ١٣٨٦هــ (ص٣٦).

وقد نقل عنه الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ كثيراً من عقائده الصوفية التعيسة..

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ ناقلاً عنــه شركه الظاهر: (... وهــاك بعض ما قاله:

أريدك لا أريدك للثواب ولكني أريدك للعقاب وكل مآربي قد نلت منها ســوى ملذوذ جلدي بالعذاب ، وقوله: "سبحاني ما أعظم شاني، ما الجنة إلا لعبة صبيان")[1].

وينقل عنه الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ الشرك الظاهر والجراءة النادرة على رب العالمين فيقول: (وهذا أبو يزيد البسطامي يقول: "تالله إن لوائي أعظم من لواء محمــد: لوائي من نور تحته الجان والجن والإنس كلهم من النبيين". ويقول: "لأن تراني مرة خير لك من أن ترى ربك ألف مرة")[2].

مكانة الغزالي عند المتصوفة وإكثار الشيخ من النقل عنه:

لقد كان الصوفيون يجلون الغزالي، ويمجدونه، وقد أطلقوا عليه لقــب حجــة الإسلام إعجاباً بكتبه وأفكاره، وتقديراً للمجهود الذي بذله في نشر التصوف.

وقد بين الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ تلك المكانة للغزالي عند المتصوفة.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (ولعل ما يقلق دهشتك، ويثير ثائرتــك أن يقرن بأولئك هذا الذي افترى له الصوفية أضخم لقب في التاريخ، وهو "حجة الإسلام" ليفتكوا بهذا اللقب الخادع ما بقي من ومضات النور الشاحبة في قلوب المسلمين)[3].

و من هنا فقد نقل الشيخ فأكثر النقل عن الغزالي؛ ولا غرو في ذلك؛ فــالغزالي متكلم بارع في علم الكلام متفنن في تحكيم الكلام، ومتصوف مسلم للذوق والوجــد، وفيلسوف منطقي يحكم العقل ويمجده.

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة نظرات في التصوف ، عدد ١١ سنة ١٣٨٦هـ (ص٣٦ــ٣٧).

(٢) مجلة الهدي النبوي ، مقالة صوفيات ، عدد ١، تاريخ ١٣٦٨هــ ، (ص٣٥).

(٣) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص٩٤).

وكل هذا مدعاة لأن يتابعه الشيخ عبد الرحمن الوكيل وهو الذي نـذر نفـسه للدفاع عن الحق، وبيان مذهب أهل السنة والجماعة، وكل ما ذكر متصادم مع مذهبهم، ومعتقدهم، فكيف ينجو من رد الشيخ العلمي المفحم.

فعند كلام الشيخ عن بدعة الكلام رد على الغـزلي ردودا مفحمـة لا مجـال لإنكارها أو الاعتراض عليها.

وكذلك رد بالغزالي على الغزاليين الذين يمجدون الغزالي، ويقدسون أفكـاره، ويجعلونه حجة للإسلام.

ولعل مرد ذلك أن الغزالي كان متقلب الأفكار، متناقض الرؤى؛ لا يستقيم على رأي، ولا ينهج منهجاً واحداً.

يقول عنه الشيخ واصفاً تلك الحقيقة في علم الغزالي: (... فـالغزالي أشـعري متحمس في كتاب، ساخر بالأشعرية متهكم عليها في آخر، والغـزالي طعـان في علـم الكلام، وهو البطل الفذ من أبطاله!! والغزالي هدام للفلسفة في "التهافت"[(١)] كاهن يبشر بطقوسها، بناء لهيكلها في "المضنون به على غير أهلها"[(٢)] والغزالي داعية قوي لإثبـات الصفات مكفر لمن يؤولها، وداعية أقوى لتأويلها أفسد التأويل في "مشكاة الأنـوار"[(٣)] وغيره، والغزالي هجاء لعان للصوفية في موضع من الإحياء[(٤)]، صوفي في موضع آخر منه متطرف يغلو في تصوفه حتى ليأخذ بما فسر به التصوف النظري:"حقيقة التوحيد" من أنه رؤية الواحد في الكثير، ورؤية الكثير في الواحد، ويمثل لك في هذا الـشأن بالـشجرة وفروعها وأوراقها، فهي واحدة إذا نظرت إليها من حيث هي شجرة، وهي كـثيرة إذا نظرت إلى كل شيء فيها نظرة مستقلة، ويمثل كذلك بالإنسان وأعضائه، فهـو واحـد

---

(١) تهافت الفلاسفة لأبي حامد الغزالي، تحدث فيه عن الفلاسفة، وحاول الرد عليهم.

(٢) المضنون به على غير أهله، كتاب للغزالي يتحدث فيه عن الصوفية، محاولا توجيه كثير من بدعهم.

(٣) مشكاة الأنوار، هو أيضاً من كتب الغزالي المعروفة ؛ يذكر فيه مراتب العارفين بالله على الطريقة الصوفية.

(٤) كتب الغزالي، الإحياء إحياءاً للصوفية، وكان مغالياً في الصوفية، ولم يكن هجاءاً لعاناً.

باعتباره إنساناً، وكثير، لأنه عين، وأذن وفم، وذراع، وساق، هذا ما مثل به الغزالي في الإحياء "لتوحيده أو لوحدته الصوفية")[١].

هذا هو ما أوضح به الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ تناقض الغزالي، والأسباب التي جعلته يرد بكلامه على كثير من المبتدعة، ويرد عليه هو بوصفه منهم في كثير من كتبه.

وقد نقل الشيخ خطر الغزالي على الفكر الإسلامي، ومدى شرعنته للتصوف حيث قال: (ولقد فطن إلى حقيقة دين الغزالي المستشرق نيكلسون، وإلى أنه النافث لجرثومة الصوفية، فقال: "إن الغزالي أوسع المجال لبعض صوفية وحدة الوجود أمثال ابن عربي وغير هؤلاء من طوائف الصوفية الذين كانوا إخواناً في ذلك الدين الحر بكل ما لكلمة الحر من معنى[٢]ولقد كنا نحب أن يفطن إلى ذلك بعض من يمجدون الغزالي، كما فطن إليه المستشرق المسيحي[٣].

ويقول جولد زيهر: "وابن عربي الذي أشرنا من قبل إلى تأثره بالغزالي يخضع تفسيره الذي نحا فيه منحى التأويل إخضاعاً تاماً لوجهة النظر التي أخذ بها الغزالي[٤]". ويقول: "خلص الغزالي الصوفية من عزلتها التي ألفاها عليها، وأنقذها من انفصالها عن الديانة الرسمية، وجعل منها عنصراً مألوفاً في الحياة الدينية، وفي الإسلام، ورغب في الاستعانة بالآراء والتعاليم بالتصوف، لكي ينفث في المظاهر الدينية الجامدة "كذا!!". قوة روحية[٥].

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل ، (ص ٤٨ ــ ٤٩) وانظر: إحياء علوم الدين، لأبو حامد الغزالي (ج٤، ص٢٤٠ــ٢٤١). تجد الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ لخص هذا المعنى من كلام الغزالي بلا زيادة ولا نقصان.

(٢) (ص ١٠٤ "في التصوف الإسلامي" ترجمة الدكتور/ عفيفي.) نقلاً عن الشيخ .

(٣) يقول الشيخ في الهامش: (سبقه إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ــ ﷺ ــ، فكشف كشفاً صريحاً مؤيداً بالنصوص القاطعة عن صوفية الغزالي، وإن كان لم يستشهد بتلك النصوص التي نقلتها من الإحياء فيما قرأت لشيخ الإسلام)!!

(٤) (ص ٢٥٩ مذاهب التفسير لجولد زيهر)! نقلاً عن الشيخ .

(٥) (ص ١٥٩ العقيدة والشريعة لجولد زيهر) نقلاً عن الشيخ .

ويقول: "إن الغزالي رفع من شأن الآراء الصوفية، وجعلها من العوامل الفعالة في الحياة الدينية في الإسلام[١]وهكذا لم يعمل الغزالي للإسلام بل للصوفية، وبعد أن كان المسلمون على حذر من سمها، وفي انفصال تام عنها حملهم بسحر بيانه على أن يعتنقوا أساطيرها. ويقول كارل بكر "ولقد سادت روح "الغنوص" فرق صدر الإسلام كلها، ثم سادت التصوف الذي كان يعد في البدء بدعة خارجة عن الدين، ولكنه أصبح بفضل الغزالي خالياً من السم معترفاً به من أهل السنة[٢] هذا هو خطر الغزالي!! صور التصوف للمسلمين رحيقاً خالياً من السم، فترشفوه، ففتك بهم)[٣].

وقد خصص الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ مقالات في أعداد كثيرة من مجلة الهدي النبوي التي كان يرأس تحريرها للغزالي، وجعلها تحت عنوان: هل تجنيت على الغزالي[٤].

وبين من خلالها موقفه من الغزالي، والأسباب التي جعلته يشتد في حكمه على كتبه وأفكاره المنتشرة في العوام..

وأرجع ذلك لأسباب ثلاثة:

١ – أن الغزالي قد ألصق به لقب "حجة الإسلام" فكان لا بد من مؤاخذته على كل كبيرة وصغيرة؛ لأن من يحمل هذا اللقب كان من الأجدر به أن يمثله بما يعنيه عند المسلمين وغير المسلمين.

٢ – أن أخطاء "حجة الإسلام" لم تكن في الفروع والمسائل الاجتهادية وإلا لهان الخطب فكم من عالم أخطأ في مثل ذلك النوع؛ وتغاضى المسلمون عن أخطائه تلك وترحموا عليه وغفروا له اللمم في اجتنابه للكبائر.

---

(١) (ص ١٦١، العقيدة والشريعة لجولد زيهر) نقلاً عن الشيخ.

(٢) (ص ١٠ التراث اليوناني ترجمة الدكتور / وي). نقلاً عن الشيخ .

(٣) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص٩٧ــ٩٨).

(٤) تراجع مقالة طواغيت ، الأعداد: ٥و٦و٧و٨و٩و١٠ سنة ١٣٦٧هــ وقد خصص مقالة فيها كاملة لأسباب انتقاده للغزالي تحت عنوان: هل تجنيت على الغزالي.

ولكن أخطاء الغزالي لم تكن كذلك؛ بل كانت في التوحيد، وفي صفات الله تعالى، وفي النبوة، وفي الولاية.

نعم كانت في الأصول لا في الفروع، وفي الواجبات لا في المندوبات.

٣ – أن كثيراً من العوام قد اغتر بذلك اللقب الذي أطلق على الغزالي، وأصبح يقدس أفكاره، ويثني على أخطائه، ولا يقبل مراجعة لها، ولا نقدا بناء لها؛ فكان لا بد من إزاحة الستار، ورؤية ما خلفه[1].

تلك هي أهم الأسباب التي تبين لي بالاستقراء أنها جعلت الشيخ يبين أفكار الغزالي، ويعرضها، ثم ينتقدها ويبين بعدها عن السنة الصحيحة، وعن منهج السلف الصالح.

ولم يكن من عذر لأولئك الذين ينتقدون الشيخ على مسه من الغزالي سوى أنهم ادعوا أنه اشتغل في آخر أيامه بالكتاب والسنة، وأنه ترك التصوف والكلام.

ولكنها دعوى مردودة أعني فيما يخص تراث الغزالي، وإلا فشخص الغزالي نفسه لا يقصد المس منه؛ بل كل مسلم يرجو أنه تاب من ذلك.

يقول الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ: (وإني لعلي بينة من أني بهذا الحق الذي أشهد به، أثير ثائرة الكبار من الشيوخ، فكتاب "الإحياء" قرآنهم الأول. وبما يهرف الغزالي فيه، يؤولون كتاب الله، ويحرفون آياته. وفي وجه الحق من هدي الله يرفعون ضلالة الأساطير من "الإحياء" وخرافة الأوهام من "المشكاة"!!

ولكني أصرخ بالحق في وجوه الثائرين: رويدكم!! فما نؤله من دون الله أحداً، وما نتخذ كتاباً يهدينا غير كتابه، ولا قدوة غير رسوله ﷺ، ولا نسجد لصنم، ولا ننعق بطاغوت، وإن يكن هو الغزالي، أو كتبه "يحاول السبكي في كتابه طبقات الشافعية تبرئة ساحة الغزالي بزعمه أنه اشتغل في أخريات أيامه بالكتاب والسنة. ونحن نسأل الله أن

---

(١) تراجع الأعداد السابقة، ودعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٤٥ و ٤٨) ومقالاته نظرات في التصوف الأعداد ، ٨، ٩، ١٠، ١١ ، ١٢ ، تاريخ ١٣٨٣هـ.

يكون ذلك حقاً، ولكن لا بد من تحذير المسلمين جميعاً من تراث الغزالي، فكل ماله من كتب في أيديهم تراث صوفي، ولم يترك لنا في أخريات أيامه كتاباً يدل على أنه اشتغل بالكتاب والسنة"!!)[١].

مكانة ابن الفارض ونقل الشيخ عنه:

يذكر الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ أن الصوفيين يسمّون ابن الفارض "سلطان العاشقين"[٢].

قلت: ومما يبرز مكانة ابن الفارض عند الصوفية أن المرادي كان يقول: قدس الله روحه ونور ضريحه[٣].

ويترضى عنه في موضع آخر فيقول: (سيدي عمر ابن الفارض ﷺ)[٤].

وقد أكثر الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ من النقل عن ابن الفارض مستدلاً به على المتصوفة؛ فهم يقدسونه، ويجعلونه سلطان العاشقين، ويترضون عنه.

ومن هنا أراد الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ إفحامهم بأن هذا الذي تجلونه وتجعلونه ولياً من أولياء الله تعالى هو ذلك الذي ملأ شعره بالاتحاد، وبالجراءة على الله تعالى، والتكبر حتى على الخالق ــ جل وعلا ــ .

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ موضحاً هذا المعنى: (ويريد ابن الفارض أن يثبت لنا أنه اتحد بربه فيقول:

وأشهدت غيبي إذ بدت، فوجدتني هنالك إيَّاها بجلوة خلوتي[٥]

(١) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص٩٩).

(٢) مجلة الهدي النبوي ، مقالة صوفيات ، عدد ١، تاريخ ١٣٦٨هـ (ص٨).

(٣) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، محمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد الحسيني، أبو الفضل (المتوفى: ١٢٠٦هـ) ، دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م (ج١، ص٢٩٩).

(٤) المرجع السابق (ج١، ص٣٨٤).

(٥) ديوان ابن الفارض (ص ٤٧).

أي نظر إلى حقيقة نفسه فوجدها هي بذاتها: الحقيقة الإلهية:

ففي الصَّحو بعد المحو، لم أكُ غيرها   وذاتي بذاتي إذ تحلّت تجلّتِ

وذاتي بذاتي إذ تحلّت تجلّتِ[1].

والصّحو عند الصوفية: هو رجوع العارف إلى الإحساس بعد غيبته بوارد قوي[2]. وهنا يشهد العارف في حال الصّحو أعيان الموجودات على أنها ليست عين ذات إلهه، وإنما هي مظاهر له.

أما المحو عند الصوفية: فهو امّحاء الكثرة والخلقيَّة، وتجلي الوحدة في حقيقتها، وهنا يرى الصوفي في الخلق عين الحق. يرى المربوب عين الرب، يرى العبد نفسه عين الإله[3].

فثمَّة فارق عند الصوفية بين حال الصّحو وحال المحو، ولكن ابن الفارض كان جريئًا كل الجرأة في إباحته سرَّ الصوفية الخفي، وهو إيمانهم بأن لا خالق ولا خلق، بل الكل شيء واحد. فيقول:

ففي الصَّحو بعد المحو، لم أكُ غيرها   وذاتي بذاتي إذ تحلّت تجلّتِ

أي إنّه ليس كمن سبقوه. بل إنّه ليرى نفسه هي حقيقة الذات الإلهية في حال الصّحو، وفي حال المحو.

وإليك تسويته بين الذاتين، إذ يقول: "وذاتي بذاتي، إذ تحلّت" فهو يتكبر عن قوله:

"وذاتي بذاته" بل أراد أن يتعالى حتى ليجعل ذات ربه هي ذاته، لا العكس.

---

(١) ديوان ابن الفارض (ص ٤٧).

(٢) الرسالة القشيرية (ج١، ص٣٧).

(٣) ولتوضيح ذلك يقول القشيري في رسالته: "والكيِّس: من كان بحكم وقته ؛ إن كان وقته الصحو فقيامه بالشريعة، ون كان وقته المحو، فالغالب عليه أحكام الحقيقة" الرسالة القشيرية (ج١، ص٣١).

ويقول مستكبرًا متعاليًا، جاعلاً صفات ربه من صفاته:

فوصفي، إذ لم تدع باثنين وصفها وهيئتها، إذ واحد نحن هيئتي
فإن دُعِيَتْ كنت المجيَب، وإن أكن منادًى أجابت من دعاني ولبتِ(١)

وصفُه هو وصف ربه، لأنه بذاته هو الرب، فلا فرق ولا سوى. بل اتحدت الإنية والأينيَّة. فإن دُعي ربه أجاب ابن الفارض، لأنه هو الرب. وإن دُعي ابن الفارض أجاب الرب الذي هو ابن الفارض! سبحانك ربنا.

إن ابن الفارض عربي خشي أن يفهم الناس في حرف "في" الظرفيَّة المجازيَّة، فقطع الشَّكّ باليقين. فقال: "بل عين كل شيء")(٢).

وابن الفارض هذا هو صاحب القول بالاتحاد.

حتى قال الذهبي(٣) ـ وهو من هو في الإنصاف ـ عن قصيدته التائية: (إن لم يكن في تلك القصيدة صريح الاتحاد الذي لا حيلة في وجوده، فما في العالم زندقة ولا ضلال، اللهم ألهمنا التقوى، وأعذنا من الهوى، فيا أئمة الدين ألا تغضبون لله؟! فلا حول ولا قوة إلا بالله)(٤).

وقد نقل الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ عن ابن الفارض في مواضع كثيرة من كتبه؛ وفي بدع صوفية كثيرة، وإن كان تركيزه في الغالب على قوله في الاتحاد(٥).

---

(١) ديوان ابن الفارض (ص ٤٧).

(٢) مجلة الهدي النبوي ، مقالة صوفيات، عدد ١، تاريخ ١٣٦٨هـ ، (ص٨ـ٩).

(٣) الذهبي هو : محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ، شمس الدين أبو عبد الله التركماني الذهبي ، محدث عصره ، شيخ الجرح والتعديل ، ولد سنة ٦٧٣ هـ توفي رحمه الله تعالى سنة ٧٤٨ هـ . انظر : ترجمته في : "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة" (ج٥، ص٦٦).

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ، (ج٢٤، ص٤٠٥).

(٥) راجع: هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص٧١ إلى ٨٠) ومصرع التصوف، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل ،(ص٢١٩) وما بعدها ، ومقالة نظرات في التصوف ، عدد ١ ، تاريخ ١٣٨٦هـ ، (ص٣٣)

مكانة ابن عربي ونقل الشيخ عنه:

إن مكانة ابن عربي عند المتصوفة لا تكاد توصف؛ فهو عمدة المتصوفة الذين جاءوا من بعده؛ وهو مرجعهم في أكثر علومهم التي يتناقلونها، ومنه تفرعت الأفكار الصوفية، وأخذت المنحى العلمي؛ واتجهت له؛ ومن ثم انزلقت ضمن متناقضاتها الغير متناهية إلى الانجرار إلى الذوق والوجد حين لم تجد للمنحى العلمي مجالاً يتحرك فيه.

وقد بين الشيخ رحمه الله تعالى مكانة ابن عربي عند الصوفية في مواضع؛ فقال مرة: (يرى الصوفية أن ابن عربي كان قطب وقته، ويؤمنون بأنه أكمل العارفين بالله؛ ولذا يلقبونه بالشيخ الأكبر، والكبريت الأحمر)[١].

وقد نقل عنه الشيخ كثيراً، وخاصة فيما يتعلق بالحلول والاتحاد[٢]، والحقيقة الإلهية، والحقيقة المحمدية[٣]، وكرامات الأولياء، وغيرها[٤].

وهذه نماذج من نقله عنه:

في وحدة الوجود:

ينقل الشيخ ـــ رحمه الله تعالى ـــ عن ابن عربي قوله في وحدة الوجود؛ فيقول: (أما ابن عربي فرأيه في ربه أظهر من أن يخفى. إنَّه يراه كل كائن، وكل موجود، ولهذا كان عبَّاد الصنم عنده ناجين، وعبَّاد العجل فالحين، وما أخطأ المسيحيون ـــ عند ابن عربي ـــ إلا بسبب أنهم قصرَّوا العبادة في مظاهر ثلاثة، وكان واجبًا عليهم عبادتهم إيَّاه في كل مظاهره، فمن عبد الحجر فقد عبد ربهم المتجلي في صورة الحجر. وهكذا، إذ يقول ابن عربي: "فإن العارف من يرى الحقّ في كل شيء، بل يراه عين كل شيء".

---

(١) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نظرات في التصوف ، عدد ٢ تاريخ ١٣٧٣هـ (ص٢٦) ومقالة صوفيات عدد ١، تاريخ ١٣٦٨هـ (ص٧).

(٢) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (٨٠ـــ٨٩).

(٣) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص١٢٤).

(٤) يراجع: مقالة صوفيات، عدد ١ (ص١١و١٢) ومقالاته نظرات في التصوف .

فابن عربي من أصرح الدّعاة إلى وحدة الوجود، بل هو زعيمها الأول بين الصوفية، ولكنا نختار لك من كفرياته هذا النص الذي يدلنا على رأي ابن عربي في ربّه وتجليه في صورة المرأة التي يتَّصل بها زوجها.

قال: "ولما أحبّ الرّجل المرأة طلب الوصلة، أي غاية الوصلة التي تكون في المحبة، فلم يكن في صورة النشأة العنصرية أعظم وصلة من النكاح؛ ولهذا تعمّ الشهوة أجزاءه كلها. ولذلك أمر بالاغتسال منه. فعمَّت الطهارة كما عمَّ الفناء فيها عند حصول الشهوة. فإن الحق غيور على عبده أن يعتقد أنه يلتذّ بغيره.

فطهره بالغسل، ليرجع بالنظر إليه فيمن فني فيه. إذ لا يكون إلا ذلك، فإذا شاهد الرجل الحقَّ في المرأة كان شهودًا في منفعل، وإذا شاهده في نفسه من حيث ظهور المرأة عنه شاهده في فاعل، وإذا شاهده في نفسه من غير استحضار صورة ما تكون عنه كان شهوده في منفعل عن الحق بلا واسطة. فشهوده للحق في المرأة أتمّ وأكمل، لأنه يشاهد الحق من حيث هو فاعل منفعل، ومن نفسه من حيث هو منفعل خاصة، فلهذا أحب، النساء لكمال شهود الحق فيهن، إذا لا يُشاهَد الحق مجردًا عن المواد أبدًا"[1])[2].

لا خير ولا شر في الحياة عند الصوفية:

وينقل عنه تساوي الخير والشر عند الصوفية؛ وبالتالي لا فرق بين الحسنات والسيئات فيقول ــ رحمه الله تعالى ــ واصفاً هذه النتيجة الصوفية: (وأما في الأخلاق، فيدينون بأن الخير والشر، أو الفضيلة والرذيلة سواء في الباعث والغاية وفي القيمة، وإن شئت حديثاً أكثر اختصاراً، فقل: إن خلاصة دين الصوفية وفكرها وخلقها: لا تقابل، لا تضاد، لا تناقض، إذ الكل ذات واحدة، هي ذات الله سبحانه. أو كما يقول ابن عربي: "ما في الوجود مثل، فما في الوجود ضد، فإن الوجود حقيقة واحدة، والشئ لا يضاد نفسه"[3])[4].

---

(١) فصوص الحكم، لابن عربي (ص١٨٠ــ١٨١) بنصه غير أنه حذف عبارة: ﷺ بعد قوله: فلهذا أحب.
(٢) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص٨٦ــ٨٧).
(٣) فصوص الحكم لابن عربي (ص٥١) بنصه.
(٤) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص٢٢٠).

عقيدة ختم الولاية عند ابن عربي:

ويبين عقيدة ختم الولاية عند ابن عربي فيقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (قال ابن عربي ــ وهو يتحدث عن علم وحدة الوجود: "وليس هذا العلم إلا لخاتم الرسل، وخاتم الأولياء! وما يراه أحد من الأنبياء، أو الرسل إلا مشكاة الرسول الخاتم، ولا يراه أحد الأولياء إلا من مشكاة الولي الخاتم، حتى إن الرسل لا يرونه ــ متى رأوه ــ إلا من مشكاة خاتم الأولياء، فإن الرسالة والنبوة ــ أعني نبوة التشريع ــ تنقطعان، والولاية لا تنقطع أبداً، فالمرسلون من كونهم أولياء، لا يرون ما ذكرناه إلا من مشكاة خاتم الأولياء"[١])[٢].

مكانة الدسوقي[٣] ونقل الشيخ عنه:

مكانة الدسوقي عند المتصوفة معروفة مشهورة بينها الشعراني بقوله: (هو أحد من أظهره الله ﷻ إلى الوجود فأبرزه رحمة للحق، وأوقع له القبول التام عند الخاص والعام، وصرفه في العالم، ومكنه في أحكام الولاية، وقلب له الأعيان، وخرق له العادات، وأنطقه بالمغيبات، وأظهر على يديه العجائب)[٤].

وقد نقل عنه الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ كثيراً في ثنايا كتبه، ومن ذلك نقله عنه بعض ما يسميه الصوفية بالشطحات؛ وهي شرك لا مجال لتأويله أو صرفه عن ظاهره.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (كان يقول ــ أي الدسوقي ــ: "أنا موسى في مناجاته، أنا علي في حملاته، أنا كل ولي في الأرض خلقته بيدي، ألبس منهم من شئت، أنا في السماء شاهدت ربي، وعلى الكرسي خاطبته، أنا بيدي أبواب النار غلقتها،

---

(١) فصوص الحكم، لابن عربي (ص١٩) مع حذف بسيط حيث حذف كلمة: ورسالته بعد قول ابن عربي: أعني نبوة التشريع.

(٢) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص١٧٥).

(٣) إبراهيم بن أبي المجد بن قريش الدسوقي الشافعي ولد سنة ٦٠٣هـ وتوفي سنة ٦٧٦هـ، وهو مؤسس الطريقة الدسوقية، له مؤلفات من أهمها كتاب الجواهر. انظر: ترجمته في معجم المؤلفين الصوفيين (ص ١٩).

(٤) مجلة الهدي النبوي، مقالة نظرات في التصوف ، عدد ١١، تاريخ ١٣٨٦هـ (ص٣٩).

وبيدي جنة الفردوس فتحتها، من زارني أسكنه جنة الفردوس، واعلم يا ولدي أن أولياء الله متصلون بالله، وما كان ولي متصل بالله تعالى إلا وهو يناجي ربه كما كان موسى عليه السلام يناجي ربه، وقد كنت أنا وأولياء الله تعالى أشياخاً في الأزل بين يدي قديم الأزل، وبين يدي رسول الله، وأن الله ﷻ خلقني من نور رسول الله، وأمرني أن أخلع على جميع الأولياء بيدي فخلعت عليهم بيدي، وقال لي رسول الله ﷺ: "يا إبراهيم أنت نقيب عليهم، فكنت أنا ورسول الله ﷺ وأخي عبد القادر خلفي وابن الرفاعي خلف عبد القادر، ثم التفت إلي رسول الله ﷺ وقال لي: "يا إبراهيم سر إلى مالك وقل له يغلق النيران، وسر إلى رضوان، وقل له يفتح الجنان؛ ففعل مالك ما أمر به، ورضوان ما أمر به ")[1].

مكانة الجيلي ونقل الشيخ عنه:

وقد عبر الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ عن مكانة الجيلي عند الصوفية بقوله: (وتسمّون الجيلي "العارف الربانيّ، والمعدن الصمداني")[2].

وقد أكثر الشيخ من النقل عن الجيلي؛ لأن الصوفيين عامة، والمصريين منهم خاصة يقدسونه، ويقرون له بالإمامة.

وقد نقل عنه الشيخ آراءه البدعية في كثير من العقائد الصوفية، وبين أنه من خلال تأليفه لكتابه: "الإنسان الكامل" إنما يهدف إلى توضيح عقيدته في أن الإنسان الكامل يصير إلها، وهذا هو ما يوصل إليه كتابه المذكور.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (والجيلي في كتابه: "الإنسان الكامل" إنّما يهدف إلى حقيقة واحدة. هو أنه يوجد إنسان يبلغ مرتبة الإلهية، أو بمعنى أصرح: إنَّ الإنسان في نهايته يصير إلهًا. ولذا يقول:

فمهما ترى من معدن ونباته ... وحيوانه مع إنسه وسجاياه

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة نظرات في التصوف، عدد ١١ تاريخ ١٣٨٦هـ، (ص٣٩ــ٤٠).

(٢) مجلة الهدي النبوي، مقالة صوفيات، عدد ١، تاريخ ١٣٦٨هـ، (ص٨).

ومهما ترى من أبحر وقفاره ... ومن شجر، أو شاهق طال أعلاه
ومهما ترى من صورة معنوية ... ومن مشهد للعين طاب محياه
ومهما ترى من هيئة ملكية ... ومن منظر إبليس قد كان معناه
ومهما ترى من شهوة بشرية ... لطبع، وإيثار لحق تعاطاه
ومهما ترى من عرشه ومحيطه ... وكرسيه، أو رفرف عز نجلاه
فإني ذاك الكل، والكل مشهدي ... أنا المتجلي في حقيقته، لا هو
وإني رب للأنام وسيد ... جميع الورى إسم، وذاتي مسماه

أرأيت إلى أيّ أسطورة يهدف الجيلي هو الآخر؟ أرأيت زندقته الآثمة في قوله: "أنا المتجلّي في حقيقته لا هو". وتصريحه بأنّه ربّ للأنام وسيد و...و...

فهل يريد صاحب السماحة شيئًا أدلّ على الزندقة المجوسية من هذه الأبيات التي يعترف فيها الجيلي بأنَّه "هو الله"؟)[١].

وينقل عنه في مواضع أخر من كتبه ومقالاته بما لا يتسع البحث لاستقصائه[٢].

مكانة التجاني ونقل الشيخ عنه:

وهو شيخ الطريقة التيجانية، ومؤسسها، وثناء تلاميذه عليه لا تسعه هذه العجالة؛ فقد وصفوه بصفات الرب، وصفات النبي، ولم يعرفوا كيف يحددون حقيقته؛ فمرة يصفونه بأنه خاتم الأولياء، وتارة يعتقدون أنه ممدهم من الأزل إلى الأبد، وحيناً آخر ينعتونه بأنه المتصرف في الكون، وأنه إذا اتجه أقنى وأغنى، ووصل المنى[٣]..

أما ورده فهو أفضل من القرآن الكريم عندهم، ومن داوم عليه دخل الجنة بلا حساب ولا عقاب[٤].

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة صوفيات، عدد ١، تاريخ ١٣٦٨هـ، (ص١٣).

(٢) يراجع مثلاً: هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص٩١و٩٢و٩٣) ودعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص٣٦ و٣٧و٣٨و ٣٩) ومجلة الهدي النبوي، مقالة نور من القرآن، عدد ٥ تاريخ ١٣٨٥هـ (ص٥).

(٣) رماح حزم الرحيم لعمر بن سعيد الفوتي (ج ٢، ص٥) نقلاً عن الشيخ.

(٤) جواهر المعاني في فيض التيجاني لعلي حرازم (ج ١، ص ١٠٠) وما بعدها.

وقد نقل عنه الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ في مواضع متعددة من كتبه ومقالاته، ومن ذلك قوله رحمه الله تعالى: (ويقول أحمد التيجاني: روحي روحه ﷺ تمد الرسل والأنبياء، وروحي تمد الأقطاب والعارفين من الأزل إلى الأبد، وإذ جمع الله تعالى خلقه في الموقف ينادي مناد بأعلى صوته يسمعه كل من في الموقف، يأهل المحشر، هذا إمامكم الذي كان مددكم منه، كل ما فاض من ذوات الأنبياء تتلقاه ذاتي. ومني يتفرق على جميع الخلائق.

ويصفه تابع له بقوله: "إذ اتجه أغنى وأقنى، وبلغ المنى"، ويصفه آخر بقوله: "لايتلقن واحد من الأولياء فيضاً من حضرة نبي إلا بواسطته، وآخر بقوله "نفوذ بصيرته الربانية التي ظهر مقتضاها من إظهار مضمرات، وإخبار بمغيبات، وعلم بعواقب الحاجات، وما يترتب عليها من المصالح والآفات")[1].

ونقل عنه ضمانه الجنة لأتباعه، ولكل من أطعمه وسقاه، ولكل من أحبه [2].

وتفضيله لورده على القرآن الكريم، وكل ذكر ودعاء وقع في الكون[3].

مكانة ابن عجيبة ونقل الشيخ عنه:

ومكانة ابن عجيبة عند المتصوفة تبينها أقوالهم في تزكيته؛ فيصفونه بأنه العلامة ابن عجيبة المغربي والعارف بالله، وغيرها من الأوصاف.

وقد نقل عنه الشيخ كثيراً، وخاصة في مفاصل التصوف أعني الأفكار الصوفية التي كان لها خطر عظيم على معتقداتهم[4].

---

(١) هذه هي الصوفية ، عبد الرحمن الوكيل (ص١٥٩) وقد تقدم عزو تلك النصوص لكتاب جواهر المعاني (ص٥٣٤).

(٢) راجع: هذه هي الصوفية ، عبد الرحمن الوكيل (ص١٦٨) جواهر المعاني لعلي حرازم (ج١، ص٩٦) بنصه مع بعض التصرف بالحذف غير المخل.

(٣) هذه هي الصوفية ، عبد الرحمن الوكيل (ص١٧٣) جواهر المعاني في فيض التيجاني لعلي حرازم (ج ١، ص ١٠٠) وما بعدها.

(٤) كالمرجعية الشرعية لعلم التصوف وكونه خص النبي ﷺ به عليا وتسلسل منه في آل البيت تماماً كما يزعم الرافضة، وكالحقيقة الإلهية، وتقسيم الإسلام إلى حقيقة وشريعة، وعلاقة المريد بالشيخ، وغير ذلك.

ويذهل الباحث حين يجد الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ بتوفيق من الله تعالى يخرج خبء هذا المتصوف، ويوضح ما انطوت عليه أفكاره من خطر على الإسلام.

فعند كلام الشيخ عن نشأة التصوف؛ بين رأي ابن عجيبة في ذلك فقال رحمه الله تعالى: (ولكن لا تكدوا أنفسكم، فهذا ابن عجيبة الفاطمي الهوى، الصوفي الدين يلهمكم جواب ما عنه تسألون، فإليكم ما افتراه: "وأما واضع هذا العلم ــ يعني التصوف ــ فهو النبي ﷺ علمه الله بالوحي والإلهام، فنزل جبريل أولاً بالشريعة فلما تقررت، نزل ثانياً بالحقيقة، فخص بها بعضاً دون بعض، وأول من تكلم فيه، وأظهره سيدنا علي كرم الله وجهه، وأخذه عنه الحسن البصري"[(١)])[(٢)].

ونقل عنه في مواضع كثيرة أخرى، وفي مسائل عقدية من أهم مرتكزات الفكر الصوفي بشكل عام[(٣)].

مكانة الشعراني ونقل الشيخ عنه:

عبر الشيخ عن مكانة الشعراني عند المتصوفة فقال: (وتسمون الشعراني "الهيكل الصمداني والقطب الرباني")[(٤)].

ويكثر الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ من النقل عن الشعراني؛ وخاصة في باب ما يسمونه كرامات الأولياء؛ وبالأخص من كتاب الشعراني: "الطبقات" والتي دس فيها كثيراً من الخرافات؛ والأساطير، والمسائل القبيحة التي يخجل منها حتى الفساق، وجعل كل ذلك من قبيل الكرامة.

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ: ("صوفي يخطب الجمعة عارياً":

الشعراني كاهن الخطايا الصوفية، يبشر بها، ويكافح في سبيل الدعوة إليها، وعجيب أن ترى الشعراني يعقد على ذكر كل اسم صوفي يتترى جسده فاحشة بقوله:

---

(١) (ص ٥ إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة جـ ١ ط ١٩١٣م) نقلاً عن الشيخ .

(٢) هذه هي الصوفية ، عبد الرحمن الوكيل (ص٦٥ــ٦٦).

(٣) يراجع: هذه هي الصوفية ، عبد الرحمن الوكيل (ص١٠٨) ومقالة نظرات في التصوف ، عدد ١ تاريخ ١٣٨٦هـ (ص ١٢).

(٤) مجلة الهدي النبوي ، مقالة صوفيات ، عدد ١ تاريخ ١٣٦٨هـ ، (ص٨).

"ﷺ"! اسمع إلى الكاهن يبشر بهتك العورة كرامة! "ومنهم الشيخ إبراهيم العريان، كان يطلع المنبر، ويخطبهم عرياناً، فيقول: السلطان، ودمياط، وباب اللوق، بين الصورين، وجامع طولون، الحمد لله رب العالمين، فيحصل للناس بسط عظيم"[1].

أمن رفيف الروحانية بعبير القدسية من الولي على حشد محشود بعورة مكشوفة، وهذيان مخبول؟!)[2].

قلت: وإذا كانت هذه كرامة عظيمة للولي؛ فإن الفساق في المواخير والملاهي الراقصة أولياء إذن؛ إذ الكل يخطب عرياناً في حشد من الناس دون حياء أو خجل؛ فما الفرق بين الاثنين سوى أن أقلهما حياء ذلك الذي يقصد المسجد بتلك الأفعال الشنيعة بدل أماكنها المعهودة لها.

---

(١) ص ١٢٩، ج ٢، الطبقات للشعراني، ط ابن شقرون. نقلاً عن الشيخ .

(٢) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص١٥١). ويكثر الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ من النقل عن الشعراني في نحو ٢٦ موضعاً من كتاب هذه هي الصوفية، وصوفيات خطاب مفتوح. وكذا في أعداد نظرات في التصوف من المجلة منها، عدد ٣، سنة ١٣٨٦هـ (ص١١ــ١٤).

المبحث الثاني

أهم العقائد التي تناولها الشيخ في رده على أكابر المتصوفة

لقد كان اهتمام الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ بتقرير العقيدة السلفية السنية السليمة من الشوائب والبدع والأهواء أمراً معروفاً شغل به الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ عمره، وسخر له قلمه وفكره وعقله.

ولقد كان من أهم الوسائل التي اتخذها لإبراز عقيدة السلف والدعوة لها، وبيانها نقية صافية، ردوده على أهل البدع والأهواء، وخاصة المتصوفة الذين اجتهدوا في إفساد عقائد الأمة، وخلخلة إيمانها، وسلكوا لذلك وسيلة اللغة بسحرها البياني، لما انطوت عليه كتبهم من جميل العبارة، ولما تميزت به أشعارهم من جودة السبك، وسحر الوزن الجميل.

من هنا ركز الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ على بدعهم التي كانت سبباً في خروج العقيدة الإسلامية عن مسارها في فكر المسلم، فبين وناقش وناظر في سبيل بيان الحق، وتعرية الباطل من لباسه المزيف المهيب.

وسوف أعرض هنا لأهم العقائد التي رد عليها الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ في الفكر الصوفي مبينة رده ومستقصية أدلته على بطلان تلك العقائد.

المطلب الأول

انحرافهم فيما يتعلق بالتوحيد

لقد كان توحيد الله تعالى الهم الشاغل للشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ، وكان يهدف من خلال ما كتب من مؤلفات، ومقالات إلى تقرير حقيقة التوحيد عند السلف، والرد على من خالف نهجهم في توحيد الله تعالى، وقد بينت تقريره للتوحيد في الباب الثاني.

ولكن لكثرة انحرافات الصوفية في جانب توحيد الله تعالى؛ فإن الشيخ التزم بالرد عليهم، وبين بدعهم المتعلقة بتوحيد الله تعالى؛ والمفضية إلى الشرك الصريح.

وكان انحرافهم في جانب التوحيد متمثلاً في جوانب متعددة سأبينها مع رد الشيخ عليها على النحو التالي :

أولاً: انحرافهم في صفات الله تعالى:

لقد كان لانحراف الصوفية في صفات الله تعالى أثر كبير في بعد نهجها عن الحق؛ وتضاد عقائدها مع عقائد المسلمين.

ولقد ابتدعوا في باب الصفات ما لم يسبقوا إليه في التاريخ الإسلامي.

يقول الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ مبيناً انحرافهم في صفات الله تعالى: (... أما الصوفية فيثبتون للإله كل شيء، ولا ينفون عنه شيئاً؛ إذ لا غير حتى تنفى عنه صفات هذا "الغير"، ولا "سوى" حتى تسلب عنه صفاته، وإنما الإله عندهم هو كل "شيء" والموجودات كلها ـ على تباينها، ماديها وروحيها ـ مقومات لوجوده، مفتقر إليها لظهوره لنفسه كما يقول ابن عربي: "فما وصفناه بوصف إلا كنا نحن ـ يريد العالم ـ ذلك الوصف، فوجودنا وجوده، ونحن مفتقرون إليه من حيث وجودنا، وهو مفتقر إلينا من حيث ظهوره لنفسه ")[1].

هكذا إذن يعرض الشيخ هذا الانحراف الصوفي الذي لا يرضى أن ينفي عن الله تعالى ما نفاه عن نفسه، وما نفاه عنه رسوله ﷺ ؛ وفي المقابل يثبتون له كل شيء أثبته الشرع له أم لم يثبته.

ويكتفي الشيخ في هذا المقام بعرض هذا الهراء الصوفي؛ وكأنه لا يحتاج عنده إلى رد لأنه بين العوار، واضح الدس؛ إذ كيف يتحكم المخلوق في صفات الخالق بلا مستند شرعي؛ بل بمجرد الهوى، والتحكم العقلي المحض؛ بل وحتى الذوقي البئيس.

ولم يكتف الصوفية بهذا المسلك في خلق إله على النمط الذي يريدونه؛ بل ألغوا كل معاني الشرع التي جاء بها؛ فنفوا أن تكون كلمة التوحيد لا إله إلا الله لها معنى؛ بل هي شرك محض، وجعلوا مكانها "هو الله".

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص٣٤).

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (... وكلمة التوحيد عندهم "هو الله" فـ"هو" إشارة إلى "هوية" الذات، أي باطنها قبل أن تتعين في صورة، و"الله" إشارة إلى "إنية" الذات أي إلى ظاهرها باعتبارها وجوداً قائماً في تعينات مادية، أما "لا إله إلا الله" فلا تؤدي عندهم إلى حقيقة التوحيد)[1].

ثانيا: الحلول والاتحاد ووحدة الوجود:

الحلول في اللغة:

قبل الخوض في رد الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ على الصوفيين القائلين بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود؛ أمر على التعريف اللغوي والاصطلاحي لهذه الألفاظ.

قال الخليل: (والحل والحلال والحلول والحلل: جماعة الحال النازل قال رؤبة:

وقد أرى بالجو حياً حللاً   حللاً حلالاً يرتعون القنبلاً)[2]

وقال ابن سيده[3]: (حل بالمكان يحل حلاً وحلولاً وحله واحتل به واحتله وكذلك حل بالقوم وحلهم واحتل بهم واحتلهم ورجل حال من قوم حلول وحلال وحلل وأحللته المكان وأحللته به وحاللته ــ حللت معه)[4].

ومن ذلك يتبين أن الحلول يأتي على معنيين في اللغة:

أ – الحلول بمعنى النزول من حل العذاب يحل بالضم.

ب – الحلول بمعنى الوجوب من حل العذاب يحل بالكسر.

ومنه حل بالمكان يحل به إذا نزل.

---

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل (ص ٣٤).

(٢) كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي (ج٣، ص٢٦).

(٣) ابن سيده: الحافظ أبو الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده المرسي توفي في سنة ثمان وخمسين وأربع مئة. انظر: سير أعلام النبلاء (ج١٨، ص١٤٤).

(٤) المخصص، لابن سيده، ت: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م (ج٣، ص٣١٢).

الحلول في الاصطلاح:

تفنن أهل الكلام والفلسفة والتصوف في بيان الحلول في اصطلاحاتهم، وعبروا عنه بألفاظ متقاربة تؤدي معان متحدة، ومن أجود تعريفاتهم، والمبينة لأقسام الحلول قولهم: (والحلول هو أن يكون الشيء حاصلاً في الشيء ومختصاً به بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر تحقيقاً أو تقديراً والحلول أعم من القيام لأن العرض ما يحل في الجسم والحلول اختصاص الناعت بالمنعوت وأما علمنا بذاتنا وبما حصل من الكيفيات والصور فهو حضوري بحت وعلمنا بما هو الغائب عنا انطباعي صرف وبما ترتسم صورته في قوانا يشبه الأول من وجه والثاني من وجه والحلول الحيزي كحلول الأجسام في الأحياز والحلول الوضعي كحلول السواد في الجسم والحلول السرياني قد يكون في الجواهر كحلول الصورة في الهيولى وقد يكون في الأعراض كحلول الأعراض النفسانية والحلول الجواري هو أن يتعلق الحال بالمحل كحلول النقطة في الخط وحلول الخط في السطح وفي الحلول السرياني يستلزم كل واحد من المحل والحال انقسام الآخر ويستلزم عدم انقسام كل منهما عدم انقسام الآخر وليس الأمر كذلك في الحلول الجواري ومعنى الحلول في المتحيز أن يختص به بحيث تكون الإشارة الحسية واحدة كاللون مع المتلون لا كالماء مع الكوز فإنه ليس حالا في الكوز)[1].

ويبين شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ أنواع الحلولية فيقول:

(الحلولية على وجهين، أحدهما: أهل الحلول الخاص، كالنصارى والغالية من هذه الأمة الذين يقولون بالحلول إما في علي، وإما في غيره، والثاني: القائلون بالحلول العام، الذين يقولون في جميع المخلوقات نحوا مما قالته النصارى في المسيح ــ عليه السلام ــ، أو ما هو شر منه)[2].

---

(١) كتاب الكليات، لأبي البقاء الكفومي، ت : عدنان درويش ن محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م (ج١، ص٦٠٨).

(٢) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (ج٦، ص١٥١).

ويوضح الشيخ / عبد الرحمن الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ الحلول بأوضح عبارة وأجملها وأدلها على المطلوب فيقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (والحلاج حلولي يؤمن بثنائية الحقيقة الإلهية، فيزعم أن الإله: له وجهان، أو طبيعتان هما: اللاهوت والناسوت، وقد حل الأول في الآخر. فروح الإنسان هي لاهوت الحقيقة الإلهية، وبدنه ناسوته)(١).

ومن هنا يتبين أن الحلولية على قسمين:

أ ــ القائلون بالحلول العام وهم الذين يزعمون أن ربهم في كل مكان بذاته، وبالتالي يعطلونه عن جميع الصفات التي تتنافى مع ذلك الحلول؛ فيتزهونه عن الاستواء على العرش؛ وعن العلو على خلقه.

ب ــ القائلون بالحلول الخاص: وهم الذين يزعمون أن ربهم حل في مخلوق معين؛ كالقائلين بحلوله في علي، أو في المسيح ــ عليه الصلاة والسلام ــ، أو غير ذلك.

الاتحاد في اللغة:

يقول الجوهري: (واستأحد الرجل: انفرد)(٢).

وقال الفيرزآبادي: (واستأحد واتحد : انفرد)(٣).

وفي المعجم الوسيط: (اتحد انفرد، واتحد الشيئان، أو الأشياء صارت شيئاً واحداً)(٤).

ويقول الجرجاني(٥): (الاتحاد هو تصيير الذاتين واحدة، ولا يكون إلا في العدد من الاثنين فصاعداً.

---

(١) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص١٠٠).

(٢) الصحاح للجوهري (ج٣، ص٢).

(٣) القاموس المحيط، للفيروزآبادي (ج١، ص٣٣٨).

(٤) المعجم الوسيط (ج٢، ص١٠١٦).

(٥) الْجُرْجَاني (٧٤٠/٨١٦ هـ = ١٣٤٠/١٤١٣م) علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني فيلسوف. من كبار العلماء بالعربية. الأعلام للزركلي (ج٥، ص٧).

في الجنس يسمى مجانسة و في النوع مماثلة و في الخاصة مشاكلة و في الكيف مشابهة وفي الكم مساواة وفي الأطراف مطابقة وفي الإضافة مناسبة وفي وضع الأجزاء موازنة وهو شهود الوجوه الحق الواحد المطلق الذي الكل موجود بالحق فيتحد به الكل من حيث كون كل شيء موجوداً به معدوما بنفسه لا من حيث إن له وجوداً خاصاً اتحد به فإنه محال.

و قيل الاتحاد امتزاج الشيئين و اختلاطهما حتى يصيراً شيئاً واحداً لاتصال نهايات الاتحاد)[1].

وبهذا يتبين أن الاتحاد في اللغة يأتي على معنيين أيضاً:

أ – الانفراد.

ب – تجميع المفترق بحيث يتحد ويصير مجتمعا في واحد.

الاتحاد في الاصطلاح:

من أجود من لخص تعريف الاتحاد، تعريفاً منطقياً ــ أي لا صلة له بالتعريف الصوفي للاتحاد ــ وجمع صوره في موضع واحد الغزالي حين قال: ("الاتحاد اسم مشترك، فيقال اتحاد لاشتراك أشياء في محمول واحد ذاتي أو عرضي، مثل اتحاد الكافور والثلج في البياض، والإنسان والثور في الحيوانية. ويقال اتحاد لاشتراك محمولات في موضوع واحد، مثل: اتحاد الطعم والرائحة في التفاح. ويقال اتحاد لاجتماع الموضوع والمحمول في ذات واحدة، كجزئي الإنسان من البدن والنفس. ويقال اتحاد لاجتماع أجسام كثيرة إما بالتتالي كالمائدة، وإما بالجنس كالكرسي والسرير، وإما باتصال أعضاء الحيوان[2].

" اختلف فلاسفة الصوفية في صورة فمنهم من يراه :

ــ اتحاد ذاتيين معنوياً مع تغايرهما مادياً، بحيث لا تتحد عين إحداهما وصفاقما بعين الأخرى وصفاقما، بل يبقى الخالق خالقاً والمخلوق مخلوقاً، فكل منهما متميز عن الآخر وإن لم يكن منفصلاً عنه. وهو الاتحاد الخاص وعليه لا يثبت التعدد بحال.

---

(١) التعريفات، الجرجاني (ج١، ص٢٢).

(٢) معيار العلم، لأبي حامد الغزالي، ت : د. سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، (ص٢٩٨).

ــ الاتحاد العام الكامل بأن يصبح الله ــ تعالى الله عن قولهم ــ عين وجود المخلوقات من إنس وجن وشياطين ونجاسات وكلاب وخنازير، وإلا انتفى معنى الاتحاد بلا وسيط، ولا يتم ذلك إلا عن طريق الفناء عن النفس والتجرد عن الحس"[(١)].

وأحق هذا الباب باسم الاتحاد هو: حصول جسم واحد بالعدد، من اجتماع أجسام أو غير أجسام كثيرة، لبطلان خصوصيتها؛ بسبب ارتفاع حدودها المنفردة، وبطلان استقلالاتها لأجل الاتصال، ومن ثم تجتمع فتصبح شيئاً واحداً متحداً.

والاتحاد بهذه المعاني المذكورة هو قول أهل وحدة الوجود في أدق معانيها.

وحدة الوجود:

إن مذهب وحدة الوجود عندما يذكر يقصد به مذهب الذين يوحدون الله تعالى والعالم، ويعتقدون أن كل شيء هو عين الله، وأنه لا موجود بحق إلا الله، والعالم الباقي بجزئياته وكلياته إنما هو مظهر من مظاهر الذات الإلهية.

ويبين شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ مذهب أهل وحدة الوجود، وعلاقتهم بالاتحاد فيقول: (حقيقة قول هؤلاء: إن وجود الكائنات هو عين وجود الله تعالى ليس وجودها غيره ولا شيء سواه ألبتة، ولهذا من سماهم حلولية، أو قال: هم قائلون بالحلول رأوه محجوباً عن معرفة قولهم خارجاً عن الدخول إلى باطن أمرهم لأن من قال: إن الله يحل في المخلوقات فقد قال بأن المحل غير الحال وهذا تثنية عندهم وإثبات لوجودين: أحدهما: وجود الحق الحال. والثاني: وجود المخلوق المحل وهم لا يقرون بإثبات وجودين ألبتة... وأما وجه تسميتهم اتحادية ففيه طريقان أحدهما لا يرضونه لأن الاتحاد على وزن الاقتران والاقتران يقتضي شيئين اتحد أحدهما بالآخر وهم لا يقرون بوجودين أبداً والطريق الثاني صحة ذلك بناء على أن الكثرة صارت وحدة كما سأبينه من اضطرابهم. وهذه الطريقة إما على مذهب ابن عربي فإنه يجعل الوجود غير الثبوت ويقول إن وجود الحق قاض على ثبوت الممكنات فيصح الاتحاد بين

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، مانع الجهني (ج٢، ص٩٢٤).

الوجود والثبوت وأما على قول من لا يفرق فيقول إن الكثرة الخيالية صارت وحدة بعد الكشف أو الكثرة العينية صارت وحدة إطلاقية)[١].

وقد بين الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ الفرق الدقيق بين الحلول والاتحاد ووحدة الوجود، وإن كانت معانيها متقاربة وبعضها يصب في البعض الآخر كما بينت سابقاً.

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (إن التصوف النظري عندكم قائم على معرفة ربكم بالأذواق، واستشعار حقيقته بالمواجيد، وعلى أن الصوفي الحق من يرى أنه الرب، أو أن الرب حالٌّ فيه: أو أنه اتحد بربه، كما تقول وحدة الوجود وزعيمها ابن عربي، أو كما تقول أسطورة الحلول وزعيمها الحلاج، أو أسطورة الاتحاد، وزعيمها ابن الفارض)[٢].

وزاد وحدة الوجود إيضاحاً وبياناً لكثرة انتشارها، وارتكاز المتصوفة عليها في كتبهم وممارساتهم العملية؛ فقال ــ رحمه الله تعالى ــ: (... فهل من الإسلام أسطورة وحدة الوجود، وخرافة وحدة الأديان؟! فتلك تزعم أن الله سبحانه عين خلقه، عينهم في الذات والصفات والأسماء والأفعال، تزعم أن واهب الحياة، وخالق الوجود عين الصخر الأصم، والرمة العفنة!!)[٣].

وقد بين الشيخ الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ هذه العقيدة الفاسدة عند المتصوفة ورد عليها رداً شافياً أحياناً، وأحياناً أخرى يكتفي بعرضها لوضوح زيفها وافتقارها إلى أبسط أسس العلمية والعقلانية.

وينهج في ذلك ما نص عليه شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ حين قال: (اعلم ــ هداك الله وأرشدك ــ أن تصور مذهب هؤلاء: كاف في بيان فساده لا يحتاج مع حسن التصور إلى دليل آخر وإنما تقع الشبهة لأن أكثر الناس لا يفهمون حقيقة قولهم وقصدهم؛ لما فيه من الألفاظ المجملة والمشتركة بل وهم أيضاً لا يفهمون

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (ج٢، ص١٤٠ــ١٤١).

(٢) مجلة الهدي النبوي ، مقالة صوفيات، العدد ١، تاريخ ١٣٦٨هـ (ص٣٤ــ٣٥).

(٣) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص٦٤).

حقيقة ما يقصدونه ويقولونه ولهذا يتناقضون كثيراً في قولهم؛ وإنما ينتحلون شيئاً ويقولونه أو يتبعونه. ولهذا قد افترقوا بينهم على فرق ولا يهتدون إلى التمييز بين فرقهم مع استشعارهم أنهم مفترقون)[١].

ينقل الشيخ الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ وحدة الوجود عن ابن عربي وهو شيخ الصوفية الأكبر في هذا المجال؛ فيقول: (واسمع إليه يؤكد لك أن كل شيء هو الله سبحانه: "سبحان من أظهر الأشياء، وهو عينها"[٢]. "إن العارف من يرى الحق[الله]في كل شيء، بل يراه عين كل شيء"[٣] وكلمة "شيء" في دين الطاغوت تطلق حتى على الصور الذهنية والوهمية وعلى العدميات، فوق إطلاقها على كل موجود له كيانه المادي المستقل المتقوم بذاتياته وخصائصه. فابن عربي كما ترى أصرح الدعاة إلى وحدة الوجود، بل هو كاهنها الأكبر!!)[٤].

هذا فيما يخص الذات؛ وفيما يخص الصفات ينقل الشيخ كذلك عن ابن عربي وصفه لله تعالى بصفات المخلوق، والعكس، فيقول: (ويحكم ابن عربي على ربه، ويصفه بالعجز الذليل، والنقص المشين، والسفه والحماقة، وبأنه مناط مذمة وتحقير مهانة. فيقول: "ألا ترى الحق يظهر بصفات المحدثات، وأخبر بذلك عن نفسه، وبصفات النقص، وبصفات الذم؟! ألا ترى المخلوق يظهر بصفات الحق من أولها إلى آخرها ــ وكلها حق له ــ كما هي صفات المحدثات حق للحق"[٥].

لقد خشي ابن عربي أن يتوهم فيه إنسان أنه يطلق صفات الخلق على الله سبحانه إطلاقاً مجازياً، أو يطلق صفات الله على خلقه كذلك. خشي هذا، فمحا توهم المجاز عن الأولى بقوله: "كما هي صفات المحدثات حق للحق" فلا تتوهم مجازاً ما فيما يحكم به

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (ج٢، ص ١٣٨).

(٢) (ص ٦٠٤، ج٢، الفتوحات المكية لابن عربي، نقلاً عن الشيخ.

(٣) فصوص الحكم، لابن عربي (ص ١٥٦) بنصه.

(٤) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص٨٢).

(٥) فصوص الحكم، لابن عربي (ص ٣٨) بنصه. وقال الشيخ: راجع ما كتبته في "دعوة الحق" (ص٣٠) وما بعدها.

ابن عربي على ربه، أو فيما يصفه به من ذم ونقص وعجز. ومحاه عن الأخرى بقوله:"وكلها ـ أي صفات الله من ربوبية وإلهية وخالقية ورازقية، وسواها مما هو من صفات الله وحده ـ حق له"، أي للمخلوق، فالخلق يوصف بصفات الله على الحقيقة لا على المجاز!! ذاك دين ابن عربي)[١].

وينقل وحدة الوجود عن الجيلي وابن عربي معاً فيقول: (يقول الجيلي:"إن الحق تعالى من حيث ذاته، يقتضي ألا يظهر في شيء، إلا ويعبد ذلك الشيء، وقد ظهر في ذرات الوجود"[٢] ويزيد ابن عربي الفرية جلاء بقوله: "والعارف المكمل من رأى كل معبود مجلي للحق يعبد فيه، ولذلك سموه كلهم إلهاً، مع اسمه الخاص بحجر، أو شجر، أو حيوان، أو إنسان، أو كوكب، أو ملك"[٣].

وقال الشيخ في الهامش: وقد عدد في هذا النص آلهة الذين كفروا من قبل، فعبدوا الحجر والشجر والحيوان والإنسان والكوكب والملك، يعني الصابئة واليهود والنصاري والذين أشركوا. وصوب عبادتهم، إذ كل ما عبدوه في دينه ليس إلا رباً تجلى في صورة ذلك المعبود)[٤].

رد الشيخ على أهل وحدة الوجود:

ويرد الشيخ على بدعة الصوفية هذه في وحدة الوجود فيقول ـ رحمه الله تعالى ـ: (يقول "نيكلسون": "إن الإسلام يفقد كل معناه، ويصبح اسماً على غير مسمى، لو أن عقيدة التوحيد المعبر عنها بـ "لا إله إلا الله" أصبح المراد بها: لا موجود ـ على الحقيقة إلا الله. وواضح أن الاعتراف بوحدة الوجود في صورتها المجردة قضاء تام على كل معالم الدين المترل، ومحو لهذه المعالم محواً كاملاً"[٥] حقيقة ساطعة، يقررها

---

(١) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص٨٤).

(٢) ص ٨٣، ج ٢، الإنسان الكامل للجيلي، نقلاً عن الشيخ.

(٣) فصوص الحكم، لابن عربي (ص ١٥٩) بنصه.

(٤) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص٨٥).

(٥) لم يقم الشيخ بعزو هذا الكلام لمصدره.

مسيحي، ويكفر بها شيوخ كبار يزعمون أنهم أحبار الدين وأئمته!! وهل المقام الرابع للتوحيد في دين الغزالي إلا مقام القائلين "لا موجود إلا الله"؟ بل إنها لتسبيحة الصوفية في العشايا والأبكار!! وإني لعلي بينة من أني بهذا الحق الذي أشهد به، أثير ثائرة الكبار من الشيوخ، فكتاب "الإحياء" قرآنهم الأول. وبما يهرف الغزالي فيه، يؤولون كتاب الله، ويحرفون آياته. وفي وجه الحق من هدي الله يرفعون ضلالة الأساطير من "الإحياء" وخرافة الأوهام من "المشكاة"!!.

ولكني أصرخ بالحق في وجوه الثائرين: رويدكم!! فما نؤله من دون الله أحداً، وما نتخذ كتاباً يهدينا غير كتابه، ولا قدوة غير رسوله ﷺ ، ولا نسجد لصنم، ولا ننعق بطاغوت، وإن يكن هو الغزالي، أو كتبه)[١].

ويبين هزال الفكر الصوفي في مسألة التوحيد، وضعف مستندهم الفكري في وحدة الوجود فيقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (فهذا غستاف لوبون يقول ــ وهو يتحدث عن وحدة الوجود ــ: "إن الإسلام يختلف عن النصرانية، ولا سيما في التوحيد المطلق الذي هو أصل أساسي، فالإله الواحد الذي دعا إليه الإسلام مهيمن على كل شيء، ولا تحف به الملائكة والقديسون وغيرهم، وللإسلام وحده كل الفخار، بأنه أول دين أدخل التوحيد المحض، والإسلام وإدراكه سهل خال مما نراه في الأديان الأخرى، ويأباه الذوق السليم من المتناقضات والغوامض، ولا شيء أكثر وضوحاً، وأقل غموضاً من أصول الإسلام القائلة بوجود إله واحد، وبمساواة جميع الناس أمام الله"[٢].

ويقول سيديو: "من شأن مبدأ التوحيد الجليل الذي انتشر بين قوم وثنيين أن يضرم الحمية في النفس المتحمسة العالية، ويسود هذا المبدأ القرآن وغليه يعود إبداعه، ويبدو هذا التوحيد المحض جازماً تجاه علم اللاهوت الذي تورطت فيه الفرق النصرانية بعد أن زاد عددها بفعل البدع"[٣]. ثم يقول في ص ٨٩ من الكتاب: " ومحمد إذ كان

---

(١) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص٩٩).

(٢) (ص ١٥٨، حضارة العرب ترجمة : عادل زعيتر). نقلاً عن الشيخ .

(٣) (ص ٨٨، تاريخ العرب العام لسيديو ترجمة : زعيتر). نقلاً عن الشيخ.

رسول الخالق بلغ أن الله لا ولد له، وإن إله الكون واحد، وأن الله مصدر كل قوة، وأن إلى الله مرد من لم يجيبوا دعوته، ويود محمد أن يجتذب الناس إلى عبادة خالق كل شـئ بغير واسطة"[١])[٢].

واستدلاله بكلام المستشرقين لا عيب فيه إذ أنه استشهد بما عندهم من الحـق؛ مفحماً بذلك كبار المدافعين عن التصوف؛ وموضحاً أن ما فطن له هؤلاء المستـشرقون مع كفرهم كان الأولى أن يتنبه له من يدعي العلم من المدافعين عن التصوف الإلحادي.

يقول الشيخ ــ رحمه الله ــ في الهامش : (لا أذكر رأي هؤلاء احتجاجاً بــه ، وإنما هو لبيان أن هذا الحق قد أدركه هؤلاء المستشرقون على عداوتهم فقرروه على حين يعاديه الصوفية ويكفرون به)[٣].

ثم يرد الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ على تلك البدعة المنكرة بكتــاب الله تعــالى فيقول: (وإشفاقاً على الصوفية أن يجدوا مشقة في إبصار الحق المتلألئ، أذكرهم بهدي الله من كتابه؛ ليعرف حقيقة النور من يخبط في تيه الظلام، ويدرك الحق من دوخه الباطــل، وينعم بالتوحيد من شقي بالشرك، ولعل الصوفي الضليل يتخذ من التذكير بآيــات الله منجاة له، فيجعلها حكماً يصدع بالحق والعدالة في شأن الصوفية.

يقــول رب العــالمين: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴿٩٥﴾﴾[٤] ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴿٤﴾﴾[٥].

---

(١) (ص ٨٩ تاريخ العرب العام لسيديو ترجمة : زعيتر). نقلاً عن الشيخ .
(٢) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص١١١).
(٣) المرجع السابق (ص١٣١).
(٤) (سورة مريم: آية ٩٣ــ٩٥).
(٥) (سورة يونس: آية ٣ــ٤).

يقول سبحانه: إنه خالق السموات والأرض، فتقول الصوفية: لا، بل هو عين السموات والأرض، وما فيهن من دابة! ويقول سبحانه: إنه يدبر الأمر، فتصرخ الصوفية: مين وبهتان، فنحن الذين يدبرون الأمر له! ويقول الله: ذلكم الله ربكم، فاعبدوه، فيضج كل طاغوت صوفي. لا: بل أنا الله لا إله إلا أنا! ويقول جل شأنه: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ ﴿٤﴾﴾[١]، فتزعم الصوفية: إن معنى الرجوع هنا أن تعود الذات المتكثرة إلى وحدها، فتعود حقاً، بعد أن كانت خلقاً!)[٢].

ومن أخطر ما أفضت إليه تلك العقائد البدعية عند المتصوفة كونها ألزمتهم ـ فضلاً عن الشرك الواضح منها ـ بوحدة الأديان، وأنه لا فرق بين الشرك والإيمان، وبالتالي فلا كافر ولا مؤمن؛ بل الكل عابد لله..

يقول الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ: (آمنت الصوفية بأن الله سبحانه هو عين خلقه، هذه الأسطورة ـ أسطورة وحدة الوجود ـ استلزمت عند الصوفية الإيمان بوحدة الأديان سواء منها ما نسجته عناكب الأوهام، وافترته أساطير الخيال، وفارت به الشهوات، أو ما أوحاه الله إلى رسله، ولهذا آمن الصوفية سلفهم وخلفهم بأن الإيمان والتوحيد عين الكفر والشرك، وبأن الإسلام على هداه وقدسه، عين الدين المجوسي في ضلاله ورجسه...

إلى أن يقول:

يقول ابن عربي:

عقد الخلائق في الإله عقائداً وأنا اعتقدت جميع ما عقدوه[٣]

ويقول:

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي إذا لم يكن ديني إلى دينه داني

---

(١) (سورة يونس: آية ٤).

(٢) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص١١١).

(٣) انظر: شرح الفصوص لعبد الرحمن جامي، شرح الفص الهودي. نقلاً عن الشيخ.

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة | فمرعى لغزلان، ودير لرهبان
وبيت لأوثان، وكعبة طائف | وألواح توراة، ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أني توجهت | ركائبه، فالدين ديني

ويحذر ابن عربي أتباعه أن يؤمنوا بدين خاص، ويكفروا بما سواه، فيقول: "فإياك أن تتقيد بعقد مخصوص، وتكفر بما سواه، فيفوتك خير كثير، بل يفوتك العلم بالأمر على ما هو عليه، فكن في نفسك "هيولي"(٢) لصور المعتقدات كلها، فإن الله تعالي أوسع وأعظم من أن يحصره عقد دون عقد، فالكل مصيب، وكل مصيب مأجور، وكل مأجور سعيد، وكل سعيد مرضي عنه"(٣))(٤).

وليست المشكلة في هذا وحسب؛ بل الطامة الكبرى بعد كل تلك الطوام أنهم بهذا التدرج الماكر نفوا عذاب الآخرة، ونعيمها؛ فلا فائدة إذن من العبادة، ولا مانع من الشرك والمعاصي، إذ الكل في النهاية متساوون، وعابدون..

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (وهذا الدين الأسطوري يستلزم حتماً نفي عذاب الآخرة، فرب الصوفية في دينهم كل مشرك وكل موحد، ويستحيل أن يعذب الرب نفسه، ولهذا يقول ابن عربي:

فلم يبق إلا صادق الوعد وحده | ومالوعيد الحق عين تعاين
وإن دخلوا دار الشقاء، فإنهم | على لذة فيها نعيم مباين

---

(١) ص ٣٩، ذخائر الأعلاق، شرح ترجمان الأشواق لابن عربي. نقلاً عن الشيخ.

(٢) الهيولى: لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة.

وفي الاصطلاح: هي جوهر الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال محل للصورتين الجسمية والنوعية.

التعريفات، للجرجاني (ص ٢٥٣).

(٣) فصوص الحكم، لابن عربي، ص ٧٣ــ٧٤، وقد اختصر الشيخ الكلام في الأصل فحذف منه ١١ سطراً ونصف غير مخل بالمعنى.

(٤) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص١٤١ــ١٤٢).

نعيم جنان الخلد فالأمر واحد ... وبينهما عند التجلي تباين

يسمى عذاباً من عذوبة طعمه ... وذاك له كالقشر، والقشر صائن[(١)]

وهكذا يوغل ابن عربي إيغالاً سحيقاً في الغلو العجيب من التناقض، ويكدح شيطانيته؛ لتبتدع من البدع ما يقضى به على بقية الخير اليتيمة من إيمان المسلمين! لقد آمن بأن الرب عين العبد، وأن الإيمان صنو الكفر حقيقة وغاية، فما الذي يمنعه من الإيمان بأن الوعد عين الوعيد؟ وأن نعيم الجنة وكوثرها عين عذاب السعير وغسلينها؟ لم يمنعه شيء، فصرح كما ترى به! فأي قضاء على الدين والأخلاق، أشد طغياناً من ذلك، إذا كان العمل الصالح يستوي والعمل الخبيث، وإذا كانت الفضيلة عين الرذيلة، وإذا كان الخير قرين الشر، وما مصير الإنسانية لو أنها آمنت بهذه الصوفية؟!)[(٢)].

ومن هنا احتقر الصوفية النار وعذابها؛ وسخروا من الجنة ونعيمها؛ فقالوا إنهم لا يعبدون الله تعالى خوفاً من ناره أو طمعا في جنته.!.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (... وصفوة المحبين الصادقين عند الغزالي هم من لا يحبون الله خوفاً من النار أو رجاء في الجنة، وإنما يحبونه لذاته.

يقول الغزالي :"قال أبو سليمان الداراني[(٣)]: إن لله عباداً ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة"[(٤)]. وينقل عن معروف الكرخي أن تلميذاً له سأله: يا أبا محفوظ أي شيء هاجك إلى العبادة والانقطاع عن الخلق، فسكت، فقال ــ أي

---

(١) فصوص الحكم، لابن عربي (ص ٥٢ــ٥٣) بنصه.

(٢) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص١٤٢ــ١٤٣).

(٣) أبو سليمان الداراني: هو عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي المذحجي، أبو سليمان: زاهد مشهور، من أهل دارياً (بغوطة دمشق) رحل إلى بغداد، وأقام بها مدة، ثم عاد إلى الشام،وتوفي في بلده، كان من كبار المتصوفين، له أخبار في الزهد.

الأعلام، للزركلي (ج٣، ص٢٩٣).

شذرات الذهب، لابن عماد الفكري (ج٢، ص١٢).

(٤) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي (ج٤، ص٣٠٢) بنصه.

التلميذ ــ ذكر الموت؟ فقال ــ أي الجنيد[١] ــ وأي شيء الموت؟ فقال ذكر القبر والبرزخ؟ فقال: وأي شيء هذا؟ إن ملكاً هذا كله بيده إن أحببته أنساك جميع ذلك، وإن كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا "[٢].

وينتقل الغزالي ونشوة الطرب تستخفه عن علي بن الموفق[٣] أنه رأى بشر ابن الحارث[٤] وأحمد بن حنبل في الجنة على مائدتين، والملائكة عن أيمانهم وشمائلهم يطعمونهما من جميع الطيبات، ثم رأى رجلاً آخر في سرادق العرش من حظيرة القدس قد شخص ببصره ينظر إلى الله تعالى، لا يطرف، فسأل رضوان عنه فأنبأه أن هذا الرجل هو معروف الكرخي، وأنه استحق هذه المنزلة لأنه عبد الله لا خوفاً من ناره ولا شوقاً إلى جنته بل حباً له، فأباحه النظر إليه إلى يوم القيامة!![٥].

ومعروف هذا الصنم الذي يصدق الغزالي أن له هذه المنزلة كان يقول: "إذا كانت لك حاجة إلى الله فأقسم عليه بي " فهل بهذا القول الكافر استحق معروف عند الغزالي هذه المنزلة العظمى؟ [٦].

ثم يفضي بالمتصوفة هذا الكلام الملحد إلى الحكم بنجاة فرعون، وإبليس؛ بل وتفضيل فرعون على موسى[٧].

---

(١) هكذا في الأصل ولعل الصواب الكرخي.

(٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي (ج٤، ص٣٠٢). نقله الشيخ بنصه مع حذف بسيط لا يغير المعنى حيث حذف جملة "وأي شيء القبر ؟ فقال خوف النار ورجاء الجنة " وهي بعد سؤال التلميذ عن القبر والبرزخ.

(٣) هو: علي بن الموفق أبو الحسن العابد الزاهد، كان صوفياً عفيفاً نزهاً، مات سنة (٢٦٥هـ).
الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي، ت: محمد أديب الجادر، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت (ج١، ص ٦٧٩).

(٤) هو: بشر بن الحارث بن علي بن عبد الرحمن المروزي، أبو نصر، المعروف بالحافي: من كبار الصالحين. له في الزهد والورع أخبار، وهو من ثقات رجال الحديث، من أهل "مرو" سكن بغداد،وتوفى بها سنة (٢٢٧هـ).
ــ الأعلام، للزركلي (ج٢، ص ٥٤).
ــ الكواكب الدرية، محمد عبد الرؤوف المناوي (ج١، ص ٥٥٧).

(٥) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي (ج٤، ص٣٠٢). نقله الشيخ بنفس المعنى بلا زيادة ولا نقصان وإن كان في اللفظ تقديماً وتأخيراً لا يضر المعنى.

(٦) مجلة الهدي النبوي، مقالة نظرات في التصوف ، عدد ٦، تاريخ ١٣٨٣هـ (ص٤٢ــ٤٣).

(٧) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص١٤٣).

ويختم الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ كلامه على وحدة الوجود عند المتصوفة مبيناً منهجه في الكلام عليها فيقول: (هأنذا شرقت وغربت، وياسرت، ويامنت مع الصوفية أحباراً وكهاناً، قدامى ومحدثين، ونقلت عن سلفهم، وسجل ماضيهم وحاضرهم، نقلت ما يدينون به في أمانة لم يجنح بها عن قدسها غل ولا حقد ولا غضب، نقلت هذا كلــه؛ لؤمن من لا يزال على فكره وقلبه غشاوة من سحر الصوفية، أن الصوفية ــــ قــديماً وحديثاً في النصرانية، وفي اليهودية، وفي دين من خدعوك بأنهم مسلمون ــ تؤمن بــأن هذا الكون كله، حتى جيفه ورممه وخنازيره، وكلابه ماهو إلا حقيقة الرب الأعظم "هوية وإنية". ولذا ينقل محمد بهاء الدين عن زعيم صوفي قوله:

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا وما الله إلا راهب في كنيسة[(١)]

وناقل هذا صوفي يتمثل بهذا البيت الصوفي في روعة الحب الخاشع، ليكشف لك عن روحانية الجمال الصوفي!)[(٢)].

ثالثاً: التوحيد عند الصوفية، وتقرير الشيخ للتوحيد ردا عليهم:

بين الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ أغلب البدع التي أنهكــت الجسم الصوفي على مر التاريخ الإسلامي؛ وخاصة فيما يتعلق بتوحيد الله تعالى الذي هو أهــم ركيــزة في الشرائع عامة.

وأوضح الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ أن الصوفية لا يعرفون التوحيد بمعناه عنــد المسلمين؛ وإنما يصنعون توحيدا خاصا بهم؛ لا يمت إلى التوحيد القرآني والنبوي بصلة..

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (سئل الجنيد عن التوحيــد فقــال: "معــنى تضمحل فيه الرسوم وتندرج فيه العلوم ويكون الله تعالى كما لم يزل" وسئل أيضاً عــن توحيد الخواص فقال: "أن يكون العبد شبحاً بين يدي الله سبحانه تجري عليه تــصاريف تدبيره في مجاري أحكام قدرته في لجج بحار توحيده بالفناء عن نفسه، وعن دعوة الخلــق

---

(١) النفحات الأقدسية شرح الصلوات الإدريسية، محمد بهاء الدين البيطار، ط ١٣١٤هــ، نقلاً عن الشيخ.
(٢) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص١١٠).

له، وعن استجابته بحقائق وجوده ووحدانيته في حقيقة قربه بذهاب حسه وحركته؛ لقيام الحق سبحانه له فيما أراد منه، وهو أن يرجع آخر العبد إلى أوله؛ فيكون كما كان قبل أن يكون".

خلاصة هذا : إلغاء الوجود الإنساني والإرادة الإنسانية، والفكر الإنساني ليزعم الدجال الصوفي أن الله هو الذي يفعل له، ويتصرف له ويتكلم على لسانه، ويشعر ويحس بدلا عنه!! فلم إذن خلق السماوات والأرض؟ ولم أرسل الله الرسل، ومنح عباده العقل؟ وخلاصته إن دين الصوفية يؤكد أنه لا وجود إلا وجود الله، ولا فعل إلى فعل الله؛ فلا شر ولا ضلال ولا باطل ولا عوج في السلوك؛ فكل الأفعال منسوبة إلى الله حقيقة لا مجازاً.

ولقد قيل للجنيد: "أيزني العارف يا أبا القاسم؟" فقال: "وكان أمر الله قدراً مقدوراً".

والعارف هو صفوة الصفوة من الصديقين والقديسين عند الصوفيين!!.

وأي نفع للأمة من رجل فان عن نفسه، وعن تعاونه معهم، عن رجل يزعم أن فحش الخطايا الذي يتلوث به لا تجري عليه معايير القيم ولا موازين الأحكام؛ لأن الله هو الذي تيصرف له فهو تحت جبرية ساحقة ماحقة لا تأذن له أن يهمس بهمسة!!)[1].

ثم يستطرد الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ في نقله عن الجنيد تعريفه للتوحيد في روايات متعددة منسوبة إليه إلى أن يقول: (إن حقيقة ما يدين به الجنيد: هو أن ينظر الصوفي إلى الوجود كوحدة ليس فيه إلا الوجود القديم.

ثم إننا لا نجد في الكتاب ولا في السنة وصف الله بالقدم، ولا إطلاق اسم القديم عليه، وكلمة "القديم" كما وردت في القرآن لا يجوز إطلاقها على الله.

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة نظرات في التصوف، العدد ٧، تاريخ ١٣٨٣هـ (ص٤٢ـ٤٣).

اقرأ هذه الآيات: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾[١] ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَـٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾[٢] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَـٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾[٣] ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾﴾[٤] فقد قيل عن الضلال إنه قديم، وكذلك عن الإفك وأعذاق النخل والآباء السابقين، فهل يجوز إطلاق "القديم" على الله سبحانه وهذا معناه، وهذه هي مواردها في القرآن؟

أما ما ورد في القرآن مما لا يشوبه ما في كلمة "القديم" من نقص فقوله سبحانه: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾[٥] ولهذا كان من مناجاة الرسول ﷺ "**أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء**"[٦].

وهكذا لم يردد علماء "الكشف" غير ما رددته الضلالة القديمة[٧].

والشيخ هنا ــ في النقلين السابقين ــ بعد عرضه لتعريف التوحيد عند الجنيد يرد عليه بأدلة من أهمها:

١ – أن تعريفه للتوحيد يلغي الوجود الإنساني برمته.

٢ – أنه يلغي الإرادة الإنسانية.

٣ – أنه يلغي حتى الحكمة من خلق السماوات والأرض، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب، إذ مدار ذلك كله على عبادة الله تعالى؛ فإذا كان لا فاعل ولا مريد

---

(١) (سورة يوسف: آية ٩٥).

(٢) (سورة يس: آية ٣٩).

(٣) (سورة الأحقاف: آية ١١).

(٤) (سورة الشعراء: آية ٧٥ــ٧٦).

(٥) (سورة الحديد: آية ٣).

(٦) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، حديث رقم ٧٠٦٤ (ج٨، ص٧٨).

(٧) مجلة الهدي النبوي، مقالة نظرات في التصوف، العدد ٧، تاريخ ١٣٨٣هـ (ص٤٣ــ٤٤).

إلا الله تعالى فلا فائـدة إذن من هذا الخلق؛ تعالى الله عما يقول الظـالمون علـواً كبيراً.

٤ – وفي رده على كلام الجنيد عندما سئل :"أيزني العارف؟" رد عليه الشيخ بـدليلين من كتاب الله تعالى هما:

أ ـ قوله تعـالى: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾[1].

ب ـ قوله جل شأنه: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[2].

---

(١) (سورة الأعراف:٢٩).

(٢) (سورة الأعراف:٢٨).

المطلب الثاني

انحرافهم فيما يتعلق بالنبي ﷺ

لقد كانت العلاقة بالنبي ﷺ من أهم الأسس التي انحرف فيها الصوفيون؛ وأدخلوا عن طريقها كثيراً من بدعهم الاعتقادية والتشريعية.

ففي حين كان المسلمون يعتقدون أن محمداً ﷺ عبد الله ورسوله وصفوته من خلقه وخليله ويصفونه بالمكانة البشرية العالية؛ جعل الصوفيون محمداً ﷺ إلها؛ وبثوا في كتبهم وصفه بالنور، وبالحق، وجعلوه علة خلق الكون، وما يتلو ذلك من أوصاف لا تمت إلى الشريعة الإسلامية بصلة.

ولما كان الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ متتبعاً لبدع المتصوفة؛ وراداً عليها؛ لم يكن ليغفل عن هذا الجانب والمرتكز الأساسي في البناء القبوري الصوفي.

وسوف أبين هنا ردوده ــ رحمه الله تعالى ــ على أهم الجوانب التي انحرف فيها الصوفية فيما يتعلق بعلاقة المسلم بالرسول ﷺ ، وعقيدته فيه.

الحقيقة المحمدية:

لقد ابتدع المتصوفة القول بالحقيقة المحمدية؛ وبنوا عليها ما يتبعها من وصفها بصفات الله تعالى، وجعلها هي عين الذات الإلهية، وبالتالي فلها الأسماء الحسنى.

يذكر الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ ذلك فيقول: (الحقيقة المحمدية: يعرفها الصوفية بقولهم: "هي الذات مع التعين الأول، ولها الأسماء الحسنى وهي اسم الله الأعظم"[(١)].

فمحمد الصوفية ليس بشراً، ولا رسولاً، وإنما هو الذات الإلهية في أسمى مراتبها

ويقول الكمشخانلي: "صور الحق هو محمد؛ لتحققه بالحقيقة الأحدية والواحدية[(٢)].

---

(١) التعريفات، للجرجاني. (ص ١٢٢).

(٢) (ص ١٠٧، جامع الأصول للكمشخانلي). نقلاً عن الشيخ.

فمحمد عندهم هو الاسم الأعظم، فما الاسم الأعظم؟ إنـــه "الجـــامع لجميـــع الأسماء، أو هو اسم الذات الإلهية من حيث هي .. هي أي المطلقة "[١].

ومحمـــد هو الأحديـــة! فما هي؟ إنها "مجلـــى الـــذات الإلهية ليـــس للأسماء، ولا للصفات، ولا لشئ من مؤثراتها فيه ظهور، فهي اسم لصرافة الذات المجـــردة عـــن الاعتبارات الحقية والخلقية)[٢].

وإذا كانت تلك هـــي الحقيقة المحمدية عند المتصوفـــة فإن الكون إذن ما هـــو إلا مظهر من مظاهرها، وما خلق إلا من نورها.

يبين الشيخ هذا المعتقد الصوفي الباهت فيقول رحمه الله تعالى: (ها أنت قـــرأت رأيهم وظنَّهم ــ وأستغفر الله ــ بل معتقدهم في الله. أعقيدتهم تلك تبع لما جاء به محمد رسول الله؟

ثم اقرأ يا سيدي كتب الصوفية فستجـــد أن أهون ما فيهـــا عن الرسول: هـــو أن النور المحمدي قديم، وأن الله خلق الكائنات جميعها من نوره. وستجد مـــثلاً كتـــاب "جامع الأصول" يقول: "صور الحق هو محمد لتحقّقه بالحقيقة الأحدية والواحديّة".

وستجد مثلاً محمد الدمرداش الخلوتي المحمدي يقول: "حقيقة الحقائق هي المرتبة الإنسانية الكمالية الإلهية الجامعة لسائر المراتب كلها. وهي المـــسماة بحـــضرة الجمـــع، وبأحديَّة الجمع، وبمقام الجمع وبها تتم الدائرة، وهي أول مرتبة تعينت في غيب الـــذات. وهي الحقيقة المحمدية".

وستجدهم يعرِّفون الحقيقة المحمديـــة بأنها: "الذات مع التعين الأول، وهي اسم الله الأعظم".

---

(١) (ص ٩٢، جامع الأصول للكمشخانلي). نقلاً عن الشيخ).

(٢) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص١٢١).

ونحن نعلم من القرآن قول الله تعالى آمرًا للرسول: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾[١].

فهل من خصائص البشرية أنها بأفرادها هي الذات مع التعين الأول؟

هل خلق من نورك يا شيخ الصوفية كل شيء، كما خلق من محمد؟ لأنك بشر مثله!!.

ونحن نعلم من القرآن والسنة أن أول خلق الله هو العرش، ثم القلم،[٢] فأين مكان الحقيقة المحمدية من هذا؟

ونعلم بالتواتر القطعي زواج عبد الله من آمنة، وأنهما أنجبا طفلاً بعد تسعة أشهر، وأن هذا الطفل سُمِّيَ محمدًا، وأنه تربى ونشأ، كما ينشأ الأطفال والشّبَّان: راعي غنم، ثم تاجرًا، ثم كاملاً في الأدب والأخلاق، والسخاء والبرّ، والإحسان في كل ما أعطاه الله، ثم أصطفاه الله واختاره، خاتم النبيين.

فمحمد القديم ــ عندكم ــ من والده؟ وكيف خُلِق؟

ومالي أسأل وهذا واحد منكم يقول: "ولما كانت بشريَّته نورًا محضًا كانت فضلاته مقدسة طاهرة، ولم يكن لجسمه الشريف ظلّ كالأجسام الكثيفة. وهذا النور المحمدي هو المعنى بروح الله المنفوخ في آدم. قال تعالى: {وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي}. [صّ: ٧٢]. فروح الله نور محمد ". ويقول: "فشأن محمد في جميع تصرفاته شأن الله. فما في الوجود إلا محمد" ويقول: "لا يدري لحقيقته غاية، ولا يعلم لها نهاية. فهو الغيب الذي نؤمن به "[٣].

---

(١) (سورة الكهف: آية ١١٠).

(٢) تنازع السلف في العرش والقلم أيهما خلق أولاً؛ وأرجح قولي العلماء في ذلك أن العرش هو الذي خلق أولاً ثم القلم. الصفدية ، لابن تيمية(ج٢، ص٨٢).

(٣) هذه النصوص الثلاثة المذكورة من (ص٩، ١١، ١٣) على الترتيب من كتاب "النفحات الأقدسية في شرح الصلوات الإدريسية. نقلاً عن الشيخ.مجلة الهدي النبوي، مقالة صوفيات، عدد ٤، تاريخ ١٣٦٨هـ، (ص٢٢ــ٢٣) وهذه هي الصوفية (ص١٢٢).

هذا ما يدين به الصوفية.

أما القرآن العظيم فيؤكد لنا بشرية عبده ورسوله محمد، وأنه مثلنا في بـــشريته. ومن فهم قوله: ﴿بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۝٦﴾[(١)] علم أنه يوحي بالفهم إلى أن بشريَّتنا كالقاعدة، ومحمد منسوب إليها. وهذا أبلغ في الدلالة على بشريَّته من قوله: أنتم بشر مثله.

إنه يعرفنا بشرية محمد بما نعرفه نحن من خصائص هذه البشريَّة ولوازمها. ولـــذا يقول عنه: إنه كان يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق. وأن الرّسل جميعًا بـــشر جـــسد يأكلون الطعام، وكل من أكل الطعام فلابد أن تكون له فضلات، وله مخـــارج بـــشرية تخرج منها تلك الفضلات، ويترتب على خروجها في الأنبياء ما يترتب عليها في البشر، ولذلك كان يتوضَّأ ويغتسل ويتنظف ويتطيب. ورد على اليهود والنصارى حين ادَّعـــوا بنوَّة الله بقوله: ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۝١٨﴾[(٢)] وعلى النصارى حين ادَّعـــوا بنـــوَّة عيسى بقوله عنه وعن أمه: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۝٧٥﴾[(٣)] بل وأخبر ســـبحانه ـــ عن عبده ورسوله أنه سيموت: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾[(٤)] وموته ـــ كما تفيد الآية ـــ مثل موتنا.

ثم إن الله تعالى وصفه بأعظم ما يوصف به البشر المؤمنون، وصفه بالعبوديـــة في أعز مقاماته، وأسمى أحواله الشريفة، فهو يصفه بالعبودية في ليلة بلغ فيها سنام الـــذروة العليا من السّموّ، حيث كُرِّمت فيه الإنسانية، وتألقت أمجادها ليلة الإسراء والمعـــراج: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١﴾[(٥)]. ثم وصفه بالعبوديـــة في مقـــام

---

(١) (سورة فُصِّلَت: آية ٦).

(٢) (سورة المائدة: آية ١٨).

(٣) (سورة المائدة : آية ٧٥).

(٤) (سورة الزُّمَر: آية ٣٠).

(٥) (سورة الإسراء: آية ١).

الدعوة، إذ يقول: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ١٩﴾[١]. ثم وصفه بالعبودية في مقام من أجل مقاماته، وهو مقام التحدي بالمعجزة الكبرى: القرآن ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٣﴾[٢]. ويقول الرسول: "**لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**"[٣]. وعلمنا في التشهد أن نقول: "**وأشهد أن محمداً عبده ورسوله**"[٤]. وفي حديث الشفاعة: "**إن المسيح يقول لهم: اذهبوا إلى محمد عبد غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخّر**"[٥].

ها أنت ترى أن عظمة محمد تتجلى في كمال عبوديته، لا في تشريكه في الربوبية والإلهية، كما ينعق زعماء الصوفية.

من هدي الله:

ذاك هو محمد الصوفية، أما محمد خاتم النبيين ﷺ، فقد جلى لنا ربه وخالقه، ومن اصطفاه رحمة للعالمين. جلى لنا حقيقته في قوله الحكم ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾[٦].

ترى هل يصدق على كل بشرى أنه هو ذات الله، واسمه الأعظم؟ إن الدين

---

(١) (سورة الجن: آية ١٩).

(٢) (سورة البقرة: آية ٢٣).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله: {واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها} نبذناه ألقيناه، حديث رقم ٣٤٤٥ (ج٨، ص٥٥٢).

(٤) صحيح البخاري، كتاب صفة الصلاة، باب التشهد في الآخرة، حديث رقم ٨٣٥ (ج٢، ص٢٤٦). صحيح مسلم كتاب الصلاة باب التشهد في الصلاة، حديث رقم ٩٢٤ (ج٢، ص١٣).

(٥) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قول الله: "وعلم آدم الأسماء كلها"، حديث رقم ٤٤٧٦ (ج١٠، ص٥٧٧). صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة مترلة فيها، حديث رقم ٤٩٥ (ج١، ص١٢٣).

(٦) (سورة الكهف: آية ١١٠).

الصوفي يستلزم هذه الزندقة، بل يستلزم إطلاق تلك الصفات والأسماء على فرعون وأبي جهل ــ وغيرهما من طواغيت الكفر ــ فيصف كلاً منهم بأنه: هو الوجود الإلهــي في تعينه الأول؛ إذ كلهم بشراً!)(١).

وقد أوضح الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ بالأدلة القرآنية والأحاديــث النبويــة الشريفة بشرية الرسول ﷺ ؛ وبين أن ما يدعيه الصوفية فيما يسمونه الحقيقة المحمدية من وصف الرسول ﷺ بالصفات الإلهية وأنه خلق من نور وغير ذلك أنه كلــه باطــل ورد دعواهم تلك بأسلوب علمي رصين، واستدلال موسوعي عجيب..

وبعد أن بين حقيقة نشأة محمد ﷺ وأنه في الأصل من البشر؛ وخلقه ــ بإسكان اللام ــ كخلقهم، أوضح أصل البشر وأنهم من سلالة من طين؛ وأن الرسول ﷺ يتميز عن البشر لا في أصل الخلقة والمنشأ وإنما بصفة أخرى لا تنال إلا باختيار الله تعالى وهي النبوة والرسالة(٢).

المولــد:

لقد ادعى الصوفيون أنهم اختصوا بمحبة النبي ﷺ؛ ووصــفوا أنفــسهم بلفــظ "المحبين"، وصار بعض فرقهم يميز أفراده بلفظ "محب"، وكل تلك الدعاوى في حب النبي ﷺ كذبها واقع جهلهم بسنته، وعدم اتباعهم لنهجه..

فأي حب هذا الذي لا يعرف صاحبه حديثاً واحداً من أحاديث النبي ﷺ ، وأي حب هــذا الذي لا يتبع محبه محبــه، وإنما يبتــدع في دينه، ويشوه حقائقــه عن قصد أو غير قصد.

ومن هنا فقد ابتدعوا في دينه ما ليس منه؛ وهو الاحتفال بمولده ﷺ ، ولم يكــن الشــيخ ــ رحمه الله تعالى ــ ليغفــل عن هذه البدعة المنكــرة أو ليتركها تمــر دون رد وبيان.

---

(١) مجلة الهدي النبوي ، مقالة صوفيات، (ص١٧ــ٢٠). وهذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص١٢٢ــ١٢٦).

(٢) سيد الخلق بشر، فتحي عثمان، (ص١٧) وما بعدها.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (لم يبق لمحمد ﷺ عند هؤلاء إلا ما لا يحبه محمد وإلا ما لا يرضاه رب محمد، ولم يبق من أثارة تمجيد لمحمد، أو شية من تكريم له في قلوب هؤلاء وعملهم سوى ما يأفكون به من مظاهر وثنية نذكر بعضها).

ثم بدأ الشيخ يعدد البدع التي أحدثوها في بدعة المولد نفسها[1].

وكذب في موضع آخر دعوى حبهم للنبي ﷺ وربطها بالمولد؛ وأوضح أن ذلك محض كذب لا تخجل منه الحركة الصوفية، ولا تستحي من التناقض الذي يوقعها فيه.

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (ودعوى حبهم للرسول وآل بيته دعوى الرجس أنه قداسة، والإثم الكبير أنه روحانية فضيلة!! وكتلك الفرية افتراء الشيعة أنهم أحباء آل بيت محمد!! أترى الشيعة والصوفية: اتبعوا الرسول، وجعلوه وحده الأسوة والقدوة الحسنة؟! ما ثم ما يحتجون به لدعواهم سوى العكوف على الأضرحة الزنيمة المفتراة لآل البيت! سوى تلك القباب التي شيدوها معبودة على عظام نخرة، لا تدري أهي لحيوان أم إنسان، أم هي أمشاج من عظام شتى، لا تدري أهي لصالح أما طالح، لمسلم أم يهودي، فقد شيدتها الفاطمية في مصر؛ لتصرف الناس عن حج بيت الله، ولتجعل قلوب المسلمين نفسها قبوراً خربة، ثم سمتها بأسماء آل البيت، وأقامت على سدانتها وعبادتها الصوفية! ما لهم من دليل على حبهم لآل البيت سوى عبادة تلك الأصنام بتقبيل أستارها وأحجارها ولثم نحاسها وخشبها، وتعطير أجوائها، والاستشفاع بأعتابها، واقتراف الأعياد الوثنية في كل موسم لها. وسل الآمين تلك "الموالد" عن عربدة الشيطان في باحاته، وعن الإثم المهتوك في حاناتها، وعن حمم الشهوات التي تتفجر تحت سود لياليها ويصف الجبرتي ما كان يحدث في مولد العفيفي ــ وكأنما يصف موالد اليوم "ينصبون خياماً كثيرة وصواوين ومطابخ وقهاوي، ويجتمع العالم الأكبر من أخلاط الناس، وخواصهم وعوامهم، وفلاحي الأرياف وأرباب الملاهي والملاعيب والغوازي والبغايا

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة بدعة المولد ، عدد ٣، تاريخ ١٣٧٠هـ (ص٤٢).

والقرادين والحواة، فيملئون الصحراء والبستان، فيطئون القبور ويبولون ويتغوطون ويزنون ويلوطون ويلعبون ويرقصون ويضربون بالطبول والزمور ليلاً ونهاراً، ويجتمع لذلك الفقهاء والعلماء، ويقتدي بهم الأكابر من الأمراء والتجار والعامة من غير إنكار، بل يعتقدون أن ذلك قربة وعبادة...)[1].

وبالنظر في كلام الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ نجده ينتقد بدعة المولد من أساسها، وينتقد ما يمارس فيها من بدع أخرى كثيرة ويعدد منها:

أولاً : صنع أصنام من الحلوى باسمه.

ويتعجب الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ وحق له ــ من تسميتهم لهذه الأصنام التي يصنعونها من الحلوى باسم "عروسة المولد، حصان المولد، كلب المولد، قرد المولد ".

وينتقد عليهم الشيخ أموراً فيما يتعلق بهذه الأصنام منها:

أ ــ هذه التسميات البائسة التي يقرنونها بما يسمونه المولد.

ب ــ كونها تخدش الحياء وتعذب الضمير المسلم.

ج ــ كون الأموال المصروفة عليها كان الأولى أن تصرف فيما ينفع الأمة من تسليح جيش المسلمين، أو الإنفاق على الفقراء واليتامى والمساكين، أو غير ذلك من وجوه البر؛ بدلا من إنفاقها على حلوى تكون مرتعا للذباب حتى يأنفها.

ثانياً: القصص والأناشيد:

ويقول ــ رحمه الله تعالى ــ إن تلك القصص والأناشيد ليست مبنية على حقيقة محمد الرسول ﷺ، ولا محمد البشري ﷺ؛ بل إنها عبارة عن تغزل شكلي بصفات لا تمت إلى صفات محمد ﷺ.

---

(١) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص٢٠٥ــ٢٠٦).

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (إنك واجد في قصصهم صفات ما لمحمد الرسول بها صلة وسجايا ليس للنبي الكريم بها نسب، وأخلاقاً إما هي سمات إله متجسد في صورة بشر، أو أنثى تردت كساء رجل، ويا للعهد الفاسق يتنزى من أناشيدهم، هذا نشيد يتغزل في "حاجب" محمد، وذاك في "بطنه" ذات الثنايا، وذاك في ظلم الشيم حلو المذاق، وذاك في وجنتيه اللتين تتلهف عليهما شهوات القبل العربيدة، وذاك في وصاله الذي هنا تحت الليل وغلائل السحر يدعوه إليه، صيغ كل هذا في كلمات تجرح الحياء، وتدمي الفضيلة...)[1].

ولم يقف الصوفيون عند بدعة الاحتفال بمولده ﷺ؛ بل جعلوها سلماً لإحداث موالد لكل صوفي؛ بل لكل قبر.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ مسجلاً ذلك، ومبيناً خطورته على الأمة الإسلامية فضلاً عن بعده عن المنهج النبوي: (وهكذا تكد الصوفية في سبيل أن تجعل دنيا المسلمين كلها مقبرة، قفراء إلا من الوحشة، جرداء إلا من الرهبة والفزع، خاوية إلا من الخطايا تقترف باسم الإسلام! تلك في سبيل أن تجعل نفوس المسلمين مقابر، وغاياتهم المقابر، وآلهتهم العظام البوالي في المقابر! وتحث المسلمين؛ ليجعلوا الحياة كلها قرباناً إلى غيابات العدم، وجيف المقابر! فما ينقضي في مصر أسبوع إلا وتحشد الصوفية أساطير شركها، وعباد أوثانها عند مقبرة يسبحون بحمد جيفتها، ويسجدون أذلاء لرمتها، ويقترفون خطايا المجوسية في حمأتها، ويحتسون آثام الخمر و"الحشيش" والأجساد التي طرحها الليل على الإثم فجوراً ومعصية ويسمونها للناس: "موالد" أو مواسم عبر وذكريات خوالد! وما تجتمع جماعة صوفية، أو تنفض، إلا ليبحثوا كيف يحتفلون بصنم قبر، أو رمة قبر؟! وما يهوم ليل على صوفي، أو يفزعه بالنور نهار، إلا وقلبه مستعبد بهوي صنم قبرن أو رمة قبر! وما يقعد صوفي أو يقوم، أو يركب أو يمشي إلا وينعق

---

(١) مجلة الهدي النبوي ، مقالة بدعة المولد ، عدد ٣ تاريخ ١٣٧٠هـ (ص٤٢).وما بعدها.

مستغيثاً بصنم قبر، أو رمة قبر! قبور قبور! هذه هي دنيا الصوفية، لها جهاد الصوفية، ولرممها عبادها، لها تحيا، ولها تموت، وبها تعيش! وخير ما تتمناه الصوفية، هو أن يهلك المسلمون جميعاً، حتى يكون في كل ساعة "مولد" مقبرة، وعيد رمة! فيلقتل المسلمون أنفسهم؛ ليمدون الصوفية بأعياد كثيرة للقبور ونذور للجماجم! ما لهم من دليل على حبهم للرسول وآل بيته سوى تلك "التواشيح" التي تغزلون بها في العيون الحوالم النعس والشفاه الظوامئ اللمس، والأهداب المسبلات في إغراء على لهب من الورد يتوهج في الخدود النضر، تلك هي أدلتهم! ويا لها من أدلة! حياة كلها خطايا، وقلوب أربابها رمم معبودة، ونفوس آلهتها جيف، وأفكار كلها للأساطير وحياة ميتة، ووجود يفزع منه العدم، ودنيا خمول خامد تعصف بها الذلة)[1].

وإن المطلع على حال الصوفيين في العالم الإسلامي ليجد ما وصفه الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ ماثلاً للعيان لا يكذب أو يشكك فيه إلا مكابر أو معاند.

---

(١) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص٢٠٦ـ٢٠٧).

المطلب الثالث

انحرافهم فيما يتعلق بالقرآن الكريم

لم يكن انحراف الصوفية في التوحيد وفي ما يتعلق بالنبي ﷺ فحسب؛ بل إنها ديانة نسخت دين محمد ﷺ ، وأبدلت منه ديناً جديداً يقوم على الخرافة في كل شيء.

حتى القرآن الكريم لم يسلم من بدع الصوفية؛ فلم يتركوا منه جانباً إلا وأدخلوا عليه ما أمكنهم من التشكيك وما وسعهم من أفكار الفلسفة، وترهات الذوق والوجد.

ومن أهم ما انحرفوا فيه فيما يتعلق بالقرآن الكريم ما يلي:

أولاً: في تنزل القرآن الكريم:

لقد ادعى المتصوفة أن الرسول ﷺ علم القرآن مجملاً قبل أن يترل به جبريل؛ وفسروا بذلك آيات من القرآن الكريم.

وعرض الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ قولهم هذا ثم رد عليه رداً محكماً فقال: (ثم إليك ما يرويه الشعراني عن شيخكم الأكبر ابن عربي: "وقال في قوله تعالى:

{وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ}. [طه: ١١٤]. اعلم أن رسول الله أُعطي القرآن مجملاً قبل جبريل من غير تفصيل الآيات والسور.

فقيل له: ولا تعجل بالقرآن الذي عندك قبل جبريل، فتلقيه على الأمة مجملاً، فلا يفهمه أحد عنك لعدم تفصيله".

أين هذا من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾[2].

---

(١) (سورة التكوير: آية١٩ــ٢٤).

(٢) (سورة الحاقة: آية٤٣ــ٤٧).

وقولـــــه: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾[١].

وقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾﴾[٣].

الآيات قاطعة الدلالة على أن الذي علَّم الرسول هو جبريل.

وإذا علمنا قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾[٤] فهمنا أن جبريل كان هو الذي يلقيه للرسول إذن من أول ليلة كما قال الله تعـــالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾[٥].

فمتى علم الرسول القرآن مجملاً؟ الله تعالى يقول له: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ ﴿٥٢﴾﴾[٦] هل علمه قبل الرسالة أو بعـــدها؟

---

(١) (سورة النساء: آية ١١٣).

(٢) (سورة الفرقان: آية ٣٢ــ٣٣).

(٣) (سورة النجم: آية ١ــ٧).

(٤) (سورة القدر: آية ١).

(٥) (سورة الشعراء: آية ١٩٢).

(٦) (سورة الشورى: آية ٥٢).

والله يقول: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾[(١)].

يعلّم الله الرسول أن يبرهن على صدق رسالته، وأن القرآن من عند الله بأنه لبث أعوامًا من قبل بعثته لم يجئهم فيها بشيء يدل على أن عنده من القدرة ما يؤلف مثله، فيزيد فيه أو ينقص منه، أو يبدل بعض نصوصه أو شرائعه وأحكامه، فلو كان القرآن من عنده لجاءهم به قبل ذلك، هذا يثبت قطعًا عدم معرفة الرسول بشيء من القرآن إلا وقت أن أُوحي إليه، حتى لكان يسأله أعداؤه محرجين متعنتين. فما كان يحير جوابًا حتى يجيئه جبريل به من عند ربه، ولقد سئل عن الروح وفتية الكهف وذي القرنين. فقال: غدًا أجيبكم، ولم يقل إن شاء الله، فحبس الله الوحي عنه حتى اشتد عليه الأمر جدًا، فلما أتاه سأله عن علة التأخّر؟ فأنزل الله: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾[(٢)].

وقد تظاهرت الدلالات القطعية من القرآن والسنة والعقل السليم على أن الذي جاءه به جبريل. فكيف بابن عربي يزعم هذا الزعم الباطل؟!)[(٣)].

---

(١) (سورة يونس: آية ١٥ـ١٦).

(٢) (سورة مريم: آية ٦٤).

(٣) مجلة الهدي النبوي، مقالة صوفيات، تاريخ ١٣٦٨هـ (ص٢٠ـ٢٢) وهذه هي الصوفية، (ص١٣٦ـ١٣٩).

ويمكن أن توضح أدلة الشيخ بشيء من الإيجاز في نقاط على النحو التالي:

١ ــ قوله تعالى:

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾[(١)].

٢ ــ قوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾[(٢)].

٣ ــ قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾[(٣)].

٤ ــ قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[(٤)].

٥ ــ قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾﴾[(٥)].

٦ ــ قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ ﴿٥٢﴾﴾[(٦)].

---

(١) (سورة التكوير: ١٩ ــ ٢٤).

(٢) (سورة الحاقة: ٤٣ ــ ٤٧).

(٣) (سورة النساء: ١١٣).

(٤) (سورة الفرقان: آية ٣٢ ــ ٣٣).

(٥) (سورة النجم: آية ١ ــ ٧).

(٦) (سورة الشورى: آية ٥٢).

٧ ــ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾[1].

٨ ــ أنه ﷺ كان يسأله أعداؤه محاولين إحراجه تعنتاً وتكبراً؛ فما كان ينشئ لهم جوابًا حتى يجيئه جبريل من عند ربه.

والدليل على ذلك سؤاله عن الروح وفتية الكهف وذي القرنين. فقال: غدًا أجيبكم، ولم يقل إن شاء الله، فحبس الله الوحي عنه حتى اشتد عليه الأمر جدًا، فلما أتاه سأله عن علة التأخر؟ فأنزل الله: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾[2].

ثانياً: القول بالشريعة والحقيقة:

ومن البدع التي أفكها المتصوفة والتصقت بالقرآن الكريم أكثر من غيره؛ بدعة القول بالشريعة والحقيقة، وأن للقرآن ظاهراً وباطناً.

وقد بين الشيخ هذه البدعة ورد عليها فقال ــ رحمه الله تعالى ــ: (تدين الصوفية في كل عهودها القديمة أو الحديثة بأن لكل نص ديني ظاهراً وباطناً، وقد زعم الصوفية الذين رزئ بهم المسلمون أن لكل آية قرآنية أو حديث نبوي معنى ظاهراً هو ما فهمه الرسول ﷺ وبينه وعمل بمقتضاه ودعا إليه أمته، ومعنى باطناً كتمه، فلم يبح به إلا لعلي ﷺ، وقد توارثه عنه إمام بعد إمام، أو قطب بعد قطب، أو بطريق بعد بطريق،

---

(١) (سورة يونس: آية ١٥ــ١٦).

(٢) (سورة مريم: آية ٦٤).

ولم يكن أبو بكر وعمر وعثمان إلا من طائفة الظاهر، أما علي فقد جمع وحده بين المعرفتين معرفة الظاهر ومعرفة الباطن، وهذا ما يؤكد الصلة الوثيقة بين التشيع وبين التصوف.

ولهذا كان الدين عند هؤلاء شريعة وحقيقة، أما الشريعة فهي تلك التي بينها الرسول ﷺ، وعمل بما توجبه، وقام عليها بعده صفوة أصحابه وأقاموها قولاً وعملاً واعتقاداً وخلقاً وسلوكاً مع الناس.

وأما الحقيقة فهي تلك التي كتمها محمد ﷺ، وحاشاه وهو بالمؤمنين رؤوف رحيم أن يكتم شيئاً عن أمته لهم فيه خير وصلاح)[١].

ثم يبين الشيخ التناقض الحاصل في هذا التقسيم؛ معتمداً في ذلك على أدلة من أهمها:

١ ـ أنه من المحال أن يكتم رسول الله ﷺ شيئاً من الدين يقرب من الجنة أو يباعد من النار.

٢ ـ أن الموصوفين عند المتصوفة بأنهم أهل الحقيقة هم في الغالب؛ بل كلهم ممن يتصفون بصفات الجهل بالشريعة، وأفعالهم الظاهرة لا تدل على ما يسمونهم به من المنازل العالية.

٣ ـ أن وصف أهل الحقيقة بأنهم مخفيون؛ وقد يكونون في الكنائس أو في المساجد، أو في المواخير يعربدون مع أهل المجون مناقض لهذه الصفة السامية العالية.

٤ ـ أن قمة من يوصفون بأنهم أهل الحقيقة وهم الأقطاب متناقضون في كلامهم خارجون عن المعنى الشرعي السليم؛ فكل منهم يدعي أنه هو القطب الأكبر من الأزل إلى الأبد.

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة نظرات في التصوف، عدد ٢ تاريخ ١٣٨٦هـ (ص٢٤).

فيدعي سهل بن عبد الله التستري[١] أنه يعرف تلامذته من يوم "ألست بربكم"[٢] ويربيهم وهم في الأصلاب من ذلك اليوم حتى وقت كلامه.

وابن عربي ليس أضعف كذبا من سهل في هذه فهو الآخر يزعم أن الله أشهده في العلى وهو ابن ست سنين، وأنه نظر في اللوح المحفوظ وهو ابن ثمان سنين، وأنه حرك ما سكن وسكن ما تحرك وهو ابن أربع عشرة سنة[٣].

وقد دان المتصوفة بهذه البدعة المنكرة الوقحة حتى قال قائلهم:

وأسلمت نفسي حيث أسلمني الهوى ... ومالي عن حكم الحبيب تنازع

فطوراً تراني في المساجد راكعا ... وإني طوراً في الكنائس راتع

إذا كنت في حكم الشريعة عاصياً ... فإني في علم الحقيقة طائع[٤]

فبين أن الشريعة والحقيقة متناقضتان متعارضتان كلياً؛ فما تحكم الشريعة بأنه معصية هو في علم الحقيقة طاعة.

ويقول الدباغ: "إن الولي يسمع كلام الباطن، كما يسمع كلام الظاهر"[٥] ولهذا قد يعصى الولي الصوفي في نظر الشريعة، فيكون مطيعاً في نظر الحقيقة. يقول الدباغ: "إن الولي الكبير فيما يظهر للناس يعصي وهو ليس بعاص وإنما حجبت روحه ذاته. فظهرت في صورتها، فإذا أخذت في المعصية فليست بمعصية"[٦].

---

(١) هو : سهل بن عبد الله بن يونس التستري (أبو محمد) : أحد أئمة الصوفية وعلمائهم ، والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضيات وعيوب الأفعال . مات سنة (٢٨٣هـ) له كتاب في " تفسير القرآن " مختصر ، وكتاب " رقائق المحبين " وغير ذلك . الأعلام ، للزركلي ، (ج٣، ص١٤٣) الكواكب الدرية ، محمد عبد الرؤف المناوي ، (ج١، ص٦٣٣).

(٢) ويسمى بعالم الذر ؛ حيث أخذ الله تعالى العهد على بني آدم أنه ربهم ؛ كما في قوله تعالى: (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا...).

(٣) فصوص الحكم لأبي عربي، مقدمة المؤلف، (ص ٥) وما بعدها.

(٤) الإنسان الكامل للجيلي (ج ١، ص٦٩) نقلاً عن الشيخ.

(٥) الإبريز للدباغ ،(ص٣٧٢) بنصه.

(٦) المرجع السابق (ص٣٧٣) بنصه.وراجع: هذه هي الصوفية ، عبد الرحمن الوكيل (ص١٤٨) وص١٩٩).

وقد أودت بالصوفية هذه البدعة إلى تفضيل من يسموهم أولياء على علماء الشريعة وورثة الأنبياء مستدلين على ذلك بأن نقل أهل الشريعة لعلومهم إنما يكون بالسند المعروف الذي يدخل فيه الأموات من أهل العلم؛ أما أولياؤهم فيأخذون العلم عن الله تعالى مباشرة بلا واسطة.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (وهاهو البسطامي يقول لأهل الشريعة: "أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت"[(١)].

ويقول: "خضنا بحراً، وقف الأنبياء بساحله"[(٢)] وقال ابن عربي: علماء الرسوم ــ يعني أهل الشريعة ــ يأخذون خلفاء عن سلف إلى يوم القيامة، فيبعد النسب، والأولياء يأخذون عن الله، ألقاه في صدورهم من لدنه رحمة منه، وعناية سبقت لهم عند ربهم"[(٣)] يعني أن أتباع الشريعة الإسلامية، إنما يأخذونها عن أناس طواهم الموت، أما الصوفية، فلهم الصلات المباشرة مع الله، يأخذون عنه من غير واسطة ملك أو نبي أو رسول! وبهذا كفروا بشريعة محمد، ومهدوا لأتباعهم الكفر بشريعة محمد ﷺ)[(٤)].

ولا شك أن الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ أفحمهم بالأدلة التي سقتها سابقاً؛ وإن كانت شبهتهم هذه لا تحتاج إلى رد لوضوح هزالها وضعف مستندها..

ولكنها لكثرة انطلائها على بعض العوام استدعت رداً يبينها على ما هي عليه حقيقة.

---

(١) (ص ٢٤٦ الكواكب الدرية للمناوي) نقلاً عن الشيخ .

(٢) جواهر المعاني لعلي بن حرازم (ج٢، ص ٢٧٦) وعزاه لأبي يزيد البسطامي من قوله.

(٣) (ص ٢٤٦ الكواكب الدرية للمناوي) نقلاً عن الشيخ.

(٤) هذه هي الصوفية ، عبد الرحمن الوكيل (ص١٧٧).

المطلب الرابع

انحرافهم في كرامات الأولياء

لقد كان انحراف الصوفيين فيما سبق ما هو إلا مقدمة وتأسيس للبدع والانحرافات الأخرى التي كان لا بد من توطئة الجو لها، وخاصة فيما يتعلق بالتوحيد والعلاقة بالرسول ﷺ وبالقرآن الكريم.

من هنا ــ وبناء على ما سبق ترسيخه في الأذهان من البدع ــ وصل الصوفيون إلى بدع لا تصغر عما سبقها، فأسسوا ــ تحت مسمى كرامات الأولياء ــ إلى بدع كبرى سيفصلها الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ ويرد عليها.

سماع نطق الجمادات ومكالمة الملأ الأعلى ومشاهدة الله تعالى:

وتفنن المتصوفة في كرامات الأولياء؛ فادعوا منها سماع نطق الجمادات، وتكليم الملأ الأعلى، ومشاهدة الله تعالى في الدنيا، وغير ذلك.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (يقول الكبريت الأحمر، والشيخ الأكبر محيي الديّن ابن عربي، متحدثًا عن كرامات أوليائه الصوفية: "ومنها سماع نطق الجمادات على مراتب نطقها في العوائد وخرقها"[1].

ولكن الله يقول: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾﴾[2] فهل نصدّق ابن عربي الدجال الكذاب لِنُكَذِّب...؟؟

ويقول: "ومنها: مكالمته للعالم الأعلى، ومحادثته لهم"[3].

هل كلم أبو بكر العالم الأعلى، بل هل كلم رسول من قبل سيد الخلق العالم الأعلى؟ اللهم إلا من يجيئه من الملائكة بالوحي؟ بل هل كلم سيد الخلق العالم الأعلى، إلا في ليلة الإسراء والمعراج؟ وجبريل في أوقات الوحي؟!

---

(١) (ص ٧٥ مواقع النجوم لابن عربي ط ١٣٢٥هـ بمصر) نقلاً عن الشيخ.

(٢) (سورة الإسراء:آية ٤٤).

(٣) مواقع النجوم لأبي عربي (ص ٨١) نقلاً عن الشيخ.

ثم اقرأ في "الطبقات" للشعراني قول إبراهيم الدسوقي "أنا في السماء شاهدت ربي، وعلى الكرسي خاطبته. أنا بيدي أبواب النار أغلقتها، وبيدي جنة الفردوس فتحتها، من زارني أسكنته جنة الفردوس، وما كان ولي متصلاً بالله إلا وهو يناجي ربه كما كان موسى يناجي ربه" [(١)].

ثم اقرأ للدباغ في كتابه "الإبريز" قوله عن نفسه: "إني أرى السموات السبع والأرضين السبع، والعرش داخله وسط ذاتي. وكذا ما فوق العرش من السبعين حجابًا"[(٢)][(٣)].

ضمان دخول الجنة أو صكوك الغفران:

وينقل الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ في موضع آخر زعم بعضهم أن من كراماته أن كل من اتبعه أو أحبه أطعمه بل أو رآه يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (يزعم طاغوت التيجانية الأول ما يأتي: "أخبرني سيد الوجود يقظة، لا مناماً: كل من أحسن إليك بخدمة، أو غيرها، وكل من أطعمك يدخلون الجنة، بلا حساب، ولا عقاب، فسألته لكل من أحبني، ولكل من أحسن لي بشئ من مثقال ذرة، ومن أطعمني طعامه، كلهم يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب وسألته لكل من أخذ عني ذكراً، أن تغفر لهم جميع ذنوبهم، ما تقدم منها وما تأخر، وأن يرفع الله عنهم محاسبته على كل شئ، وأن يكونوا آمنين من عذاب الله من الموات إلى دخول الجنة، وأن يكونوا كلهم معي في عليين في جوار النبي، فقال لي ﷺ: ضمنت لهم هذا ضمانة، لا تنقطع، حتى تجاورني، أنت وهم في عليين"[(٤)]!".

---

(١) كتاب "الطبقات" للشعراني جـ ١ تحت كرامات الدسوقي نقلاً عن الشيخ في صوفيات (ص:٤٥).

(٢) الإبريز للدباغ (ص ٤٢٣) مع حذف كلمة "في" بعد كلمة داخلة.

(٣) هذه هي الصوفية ، عبد الرحمن الوكيل (ص١٦٩).

(٤) جواهر المعاني لعلي بن حرازم (ج١ ، ص ٩٦) بنصه مع بعض التصرف بالحذف غير المخل.

والله سبحانه يقول لمحمد: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥٦)﴾[(١)] ويقول محمد ﷺ لابنته فاطمة: "**اعملي فإني لن أغني عنك من الله شيئاً**"[(٢)] وتشهد امرأة جليلة لصحابي عند موته بقولها: أشهد أن الله قد أكرمك، فيقول لها رسول الله معاتباً، يضع الصواب مكان الخطأ: "**وما يدريك أن الله قد أكرمه؟ وإني لأرجو الخير والله إني لرسول الله، ولكني لا أدري ما يفعل بي غداً**؟!"[(٣)].

أما التيجاني؟! لقد قرأت قوله، فيم تحكم عليه؟، غير أني أضع إصبعك على قوله: "وكل من أطعمك" لأريك مبلغ حرص الصوفية على انتهاب أقوات الناس؟!.)[(٤)].

ويزيد الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ هذه "الكرامة" بيانا فيقول: (مما نقمه "مارتن لوثر" من باباوات الكاثوليكية صكوك الغفران التي كانوا يبيعونها مقابل مبلغ من المال، وثمة يعتقد المشتري أن كل ذنب له غفر!!

وفي الصوفية هذه الكاثوليكية بعينها، فيزعم عبدة الرفاعي أن رجلين من أصحابه تحابا في الله، فخرجا يوماً بصحراء، فتمنى أحدهما كتاب عتق من النار يترل من السماء فسقط منها ورقة بيضاء، فلم يريا فيها كتابة، فأتيا إليه ولم يخبراه بالقصة فنظر إليها ثم خر ساجداً لله، ثم قال: الحمد لله الذي أراني عتق أصحابي من النار في الدنيا قبل الآخرة، فقيل له: هذه بيضاء، فقال: أي أولادي يد القدرة لا تكتب بسواد هذه مكتوبة بالنور.

---

(١) (سورة القصص:آية٥٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الفرائض، باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب؟، حديث رقم ٢٧٥٣ (ج٧، ص١٣٨). صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين)، حديث رقم ٥٢٢ــ (ج١، ص١٣٣).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في كفنه، حديث رقم ١٢٤٣ (ج٣، ص١٥٩).

(٤) هذه هي الصوفية ، عبد الرحمن الوكيل (ص١٦٨).

كما يرى المناوي أن الرفاعي أراد شراء بستان فأبى صاحبه بيعه إلا بقصر في الجنة، فاشتراه الرفاعي، وكتب بخطه ضماناً لصاحب البستان بقصر في الجنة محدود بحدود أربعة: الأول جنة عدن، والثاني: جنة المأوى، والثالث جنة الخلد، والرابع جنة الفردوس، بجميع حوره وولدانه وفرشه وأسرته وأنهاره وأشجاره عوضاً عن بستانه في الدنيا، فلما مات صاحب البستان دفنوا معه ورقة الرفاعي، فأصبحوا وإذا مكتوب على قبره، قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا. أرأيت إلى اللصوص؟)[١].

رؤية النبي ﷺ يقظة:

يزعم الصوفية أن رؤية النبي ﷺ يقظة أمر ممكن شرعاً وعقلاً، وأنه واقع للأولياء؛ فإنهم يجتمعون به ﷺ، ويسألونه عن الأمور ويكلمونه..

ينقل الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ هذا الفرية الصوفية ويرد عليها؛ فيقول: (.. ومن هذه الكرامات التي ينسبها الصوفية إلى شيوخهم أنهم يرون النبي ﷺ يقظة لا مناما، ويكلمونه، وكل طائفة تفتري لشيخها هذه الكرامة، فالتيجانية يزعمون أن سيدهم التيجاني الكبير تربى على يدي النبي ﷺ، واجتمع به عدة مرات يقظة، وسأله مشافهة عن كل أمر كان يخطر له، وشاوره في كثير من أموره، وكان ﷺ لا يغيب عنه طرفة عين، وقد بشره بأن من رآه ــ أي التيجاني ــ يوم الاثنين أو الجمعة يدخل الجنة بغير حساب، ويزعم هذا المؤلف "أن جماعة من أئمة الشريعة نصوا على أن من كرامات الولي أنه يرى النبي ﷺ ويجتمع به في اليقظة ويأخذ عنه ما قسم له من معارف ومواهب" ويؤكد هذا الصوفي أن رؤية الرسول بعين الرأس في عالم الحس وما يتبعها من الأخذ عنه وسؤاله عما يعرض ومشاورته "كل ذلك ممكن عقلا ثابت نقلاً"!)[٢].

علم الغيب:

لم يخجل الصوفيون من ادعاء علم الغيب لأوليائهم؛ فهم بحسب الفكر الصوفي يعلمون المغيبات، ويحدثون الناس عنها.

---

(١) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نظرات في التصوف ، عدد ٨ تاريخ ١٣٨٥هـ (ص٢٢).

(٢) مجلة الهدي النبوي المقال السابق ، (ص٢٠ــ٢١).

يقول الشيخ ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (إن سر ما يبثه الصهيونية هو أن بعض الناس يطلعون على سر القدر، ولهذا نرى هؤلاء يقترفون كل منكـــر زاعمين أنهم إنما ينفذون ما رأوه مسطورا في لوح القدر، ويسكتون عن قتال البغاة والمشركين بهذه الدعوى؛ بل يدعون الناس إلى الاستسلام الذليل)[١].

إذن ادعوا علم الغيب لأوليائهم ولم يكتفوا بذلك بل جعلوه وسيلة لإذلال الأمة وولاء أعدائها، والبراءة منها.

حتى كان بعضهم يرضى لنفسه أن يكون عميلاً لأعداء بلاده وأمتـــه؛ ويجعـــل تلاميذه ذلك كرامة وخصوصية اختص بها.

يقول الشيخ ـــ رحمه الله تعالى ـــ مبيناً ذلك: (يتحدث صوفي عن اطلاع شيخه التيجاني على الغيوب فيقول: "ومن هذا الباب إخباره عن استيلاء أعداء الدين على بلد الجزائر وعملها.

وقد كان ﷺ على ما تلقيناه من فضلاء أصحابه كثيراً ما يشير إليه بما يفيد تحقق وقوعه تارة تصريحاً وتلويحاً ".

وليس بعد هذا من دليل على أن هذا الشيخ كان جاسوساً قذراً علـــى البلـــد العربي، وكان يداً للاستعمار الفرنسي)[٢].

ويمكن بشيء من الإيجاز تلخيص ما عرض الشيخ في هذه النقول من كرامـــات الأولياء عند المتصوفة ورده عليهم على النحو التالي:

١ـ سماع نطق الجمادات:

ورد عليها الشيخ بقولـــه تعـــالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾[٣].

---

(١) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نظرات في التصوف ، عدد ١١ تاريخ ١٣٨٥هـــ (ص١٧).

(٢) مجلة الهدي النبوي ، المقال السابق ، عدد ٨ تاريخ ١٣٨٥هـــ (ص٢١).

(٣) (سورة الإسراء:آية٤٤).

وهي صريحة في تكذيب أن الناس يفقهون تسبيح الجمادات وغيرها.

قال الإمام الشنقيطي ــ رحمه الله تعالى ــ عند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾[(1)]: (والظاهر أن الطير تسبح وتصلي صــلاة وتسبيحاً يعلمهمـــا الله، ونحن لا نعلمهما؛ كما قـــال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾[(2)].

ومن الآيات الدالة على أن غير العقلاء من المخلوقات لها إدراك يعلمه الله ونحن لا نعلمه، قوله تعالى في الحجارة: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾[(3)]. فأثبت خشيته للحجارة، والخشية تكون بإدراك. وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾[(4)]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾[(5)]. والإباء والإشفاق إنما يكونان بإدراك، والآيات والأحاديث واردة بذلك، وهو الحــق. وظـــاهر الآية أن للطير صلاة وتسبيحاً، ولا مانع من الحمل على الظاهر)[(6)].

---

(١) (سورة النور: آية٤١).

(٢) (سورة الإسراء:آية٤٤).

(٣) (سورة البقرة:آية٧٤).

(٤) (سورة الحشر:آية٢١).

(٥) (سورة الأحزاب:آية٧٢).

(٦) أضواء البيان ، محمد الأمين الشنقيطي (ج٥ ، ص٥٥٢).

فدل ذلك على أن صلاة وتسبيح ونطق الجمادات وإرادتها، لا يعلمه البشر، ولا طريق إلى معرفته على التفصيل إلا بوحي من الله تعالى، والأولياء لا يوحى إليهم؛ فبطل بذلك دعوى الصوفية أن من كراماتهم سماع نطق الجمادات؛ لأنه تكذيب لصريح القرآن الكريم النافي فقهنا لتسبيحهم، وهو فرع عن إدراك نطقهم.

٢ ـ مكالمة من يسمونه القطب. وكلهم يزعم أنه قطب زمانه. الملأ الأعلى:

ويرد الشيخ على هذه الفرية بأن أبا بكر وهو أفضل الناس بعد الأنبياء لم يكلم الملأ الأعلى؛ بل يقول إنه لم يكلم رسول من قبل سيد الخلق العالم الأعلى، ويستثني من ذلك من يجيؤه من الملائكة بالوحي.

قلت: ويرد على الشيخ هنا تكليم موسى لله تعالى؛ وهو ثابت في نص القرآن الكريم. وكذا تكليم آدم لله تعالى على الصحيح من قولي العلماء.

ولكن أين هؤلاء من أولئك؟ وأين الثرى من الثريا؟

لا شك أن جراءة المتصوفة على القول بهذه البدعة يعتبر قمة في قلة الحياء وعدم الخجل من الدعوى الساقطة.. ولكنها ليست الأولى.

مملكة الصوفية:

لم ينته الصوفية عند تنوعهم في كرامات الأولياء، والذهاب بها عن مدلولها الشرعي وإمكانيتها العقلية؛ بل كان كل ذلك ترسيخاً للسابق، وتمهيداً للاحق.

إن ادعاء تلك الكرامات للأولياء كان لبنة في بناء يعتزم المتصوفة إكماله وتشييده في العقول التي يمكن أن تستقبله؛ ومن ثم الوصول بها إلى الهدف من كل ذلك وهو استعبادها، والسيطرة على قواها المادية والروحية.

ولا ريب أن من قبل بتلك الكرامات؛ فلن يستغرب ما يلحقها من مملكة منظمة تدير الكون، وتديره؛ وتغني وتفقر، بل وتحيي وتميت.

ومن هنا نظم المتصوفة مجموعة خيالية تنظم حركات الكواكب والنجوم، وتقسم الأرزاق بين الخلق، وتقوم بسائر المهام المتعلقة بالوجود.

وأول هذه المملكة ورأسها: القطب:

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ:(في دين القوم كما يشرح الكاشاني[١] نوعان: قطب قديم أو معنوي، وقطب حادث أو حسي، والأول يكون قطباً بالنسبة إلى جميع المخلوقات في عالم الغيب والشهادة، ولا يستخلف بدلاً من الأبدال، ولا يقوم مقامه أحد من الخلائق، وهو قطب من الأقطاب المتعاقبة في عالم الشهادة، لا يسبقه قطب، ولا يخلفه آخر، وهو الروح المصطفوي، أو هو كما يقول الكاشاني: "عين الله وعين العالم، الإنسان الكامل المتحقق بحقيقة البرزخية الكبرى".

أما القطب الحادث، فهو أكمل إنسان متمكن في مقام الفردية "أي تحققت وحدته مع الذات " ويعتبر قطباً بالنسبة إلى ما في عالم الشهادة من المخلوقات يستخلف بدلاً منه عند موته من أقرب الأبدال منه؛ فحينئذ يقوم مقامه بدلاً هو أكمل الأبدال)[٢].

ثم يستطرد الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ ليبين جذور فكرة القطب موضحاً علاقتها بالحقيقة الإلهية وتعيناتها وفكرة الإنسان الكامل عند الصوفية.

وإذا كان هذا عن وجود القطب وحقيقته عند الصوفية؛ فإن الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ بين أيضاً علم القطب المزعوم عند الصوفية فقال ــ رحمه الله تعالى ــ: (علم القطب: يعلم "علم ما قبل وجود الكون وما وراءه ولا نهاية له ويشهد الذات بعين الذات، ويعلم علم جميع الأسماء القائم بها نظام كل ذرة من جميع الموجودات، وهي الأسماء العالية، ويخصص بأسرار دائرة الإحاطة، وجميع الفيوض الإلهية، ويقول الجيلي عن علمه: "علم العوالم بأجمعها على ما هي عليه من تعاريفها من المبدأ إلى المعاد.

---

(١) هو: محمد تقي بن محمد الكاشاني: نزيل طهران: فقيه إمامي. تعلم في النجف، وتوفي بطهران سنة ١٣٢١هـ. له " بحر الفوائد " سبعة اجزاء، و " معين العوام "، " ايضاح المشكلات " في التفسير، و " توضيح الآيات " وغير ذلك. الأعلام، للزركلي، (ج٦، ص٦٣).

(٢) مجلة الهدي النبوي، مقالة نظرات في التصوف، عدد ٢ تاريخ ١٣٨٦هـ (ص٢٧ــ٢٨).

وعلم كل شيء كيف كان، وكيف هو كائن، وكيف يكون، وعلم ما لم يكن ولم لا يكون، ما لم يكن، ولو كان ما لم يكن كيف كان يكون، كل ذلك علماً أصلياً حكمياً كشفياً ذوقياً من ذاته لسريانه في المعلومات علماً إجمالياً تفصيلياً كلياً جزئياً ".

وتدبر قول الله: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾[١].

فكيف يفتري المبطلون أن قطبهم يعلم غيب السماوات والأرض؛ بل يعلم كل ما كان قبل أن يخلق الله السماوات والأرض؟!)[٢].

وإذا كان ذلك هو القطب المزعوم فمن يقف وراءه من باقي المملكة الصوفية الخيالية وماذا لو غاب هذا القطب المدبر؟

ينقل الشيخ الجواب الصوفي عن ذلك فيقول: (واقرأ فيه أيضًا ــ يعني الإبريز ــ: "وقد يغيب الغوث عن الديوان فلا يحضره، فيحصل بين أولياء الله تعالى من أهل الديوان ما يوجب اختلافهم فيقع منهم التصرف الموجب؛ لأن يقتل بعضهم بعضًا، فإن كان غالبهم اختار أمرًا وخالف الأقل في ذلك، فإن الأقل يحصل فيهم التصرف السابق فيموتون جميعًا، وقد اختلفوا ذات يوم في أمر، فقالت طائفة منهم قليلة: إن لم يكن ذلك الأمر فلنمت. فقالت الطائفة الكثيرة: فموتوا إن شئتم. فماتت الطائفة القليلة. إن أهل الديوان إذا اجتمعوا فيه اتفقوا على ما يكون من ذلك الوقت إلى مثله في الغد، فهم يتكلمون في قضاء الله تعالى في اليوم المستقبل والليلة التي تليه، ولهم التصرف في العوالم كلها السفلية والعلوية وحتى في الحجب السبعين، وحتى في عالم الرّقا، وهو ما فوق الحجب السبعين، فهم الذين يتصرفون فيه، وفي أهله، وفي خواطرهم.

---

(١) (سورة النمل:آية٦٥).

(٢) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نظرات في التصوف ، عدد ٢ تاريخ١٣٨٦هـ (ص٣٠ــ٣١).

وما تهجس به ضمائرهم، فلا يهجس في خاطر واحد منهم شيء إلا بإذن أهل التصرف، وإذا كان هذا في عالم الرّقا الذي هو فوق الحجب السبعين التي هي فوق العرش، فما ظنك بغيره من العوالم"(١).

ثم يستطرد الشيخ – رحمه الله تعالى – في نقوله عنهم إلى أن يقول: العالم كله حيّه وجماده، علوية وسفليه، وخواطر الناس ونفوسهم والعرش وما فوقه، كل أولئك بيد بعض أقطابكم يتصرفون فيها ويتقاتلون من أجلها، فماذا أبقيتم لرب العالمين؟ ثم قارن بين هذا وبين جواب المشركين للرسول في هذه الآيات: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾(٢).

أو يرضيك أن يكون مشركو الجاهلية أبرّ دينًا وأصفى عقيدة، وأسمى فهمًا لقدرة الله وجلاله أكثر من أقطابكم؟!

وا أسفاه يا سماحة الشيخ، إذا تعارضت الدنيا مع الدّين!!

ويا أسفاه إذا خشينا على السلطان، ولم نخش يوم الدّيَّان!!

ومالنا نأسف يا سماحة الشيخ ونحن نستطيع بعون الله أن نتوب إليه متابًا!

إن في مقدورك أيها الشيخ وعظ هؤلاء الضاربين في غياهب الباطل، المدلجين في ظلمات الضلال، فأرشدهم، فإن استمعوا لك كنت المصلح الأكبر، وإلا فدعهم مرتّلاً قول ربك: ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾(٣)(٤).

---

(١) الإبريز للدباغ (ص ٣١٧–٣١٩) بنصه لكنه نص متفرق جمعه الشيخ دون تغيير في المعنى.

(٢) (سورة المؤمنون: آية ٨٤–٨٩).

(٣) (سورة هود: آية ٨٨).

(٤) مجلة الهدي النبوي، مقالة صوفيات، تاريخ ١٣٦٨هـ (ص٣٧–٣٨) وهذه هي الصوفية (ص١٨٠–١٨١).

وقد نقل الشيخ كل ما يتصل بالمملكة الباطنية المزعومة من كتب الصوفية المعتمدة عندهم وعالج ما يتصل بالقطب من ذلك فبين:

١ ـ تصرف القطب: وأوضح فيه أن الصوفيين يقولون إن القطب له التصرف العام والحكم الشامل التام في جميع المملكة الإلهية.

٢ ـ مدد القطب : وبين فيه أن القطب تتفرع منه جميع الأمداد الإلهية على جميع العالم العلوي والسفلي.

٣ ـ خصائص القطب: ومن أهمها أنه يختلي وحده بالله تعالى.

٤ ـ علامة القطب عند الصوفية: وأوضح فيه ما أجاب به الشعراني عندما سئل: ما علامة القطب؟

فأجاب: ذكر أبو الحسن الشاذلي أن للقطب خمس عشرة علامة، وعددها..

٥ ـ عوالم القطب: نقل فيه عن الجيلاني[1] أن للقطب ستة عشر عالماً إحاطياً، الدنيا والآخرة ومن فيهما عالم واحد من هذه العوالم.

٦ ـ أسماء القطب: نقل عن المتصوفة أن اسم القطب في كل زمان عبد الله وعبد الجامع.

أما الأقطاب الذين تولوا القطبانية من آدم إلى محمد؛ فقد لقيهم ابن عربي في مدينة قرطبة، وهم خمسة وعشرون، وأسماؤهم: المفرق، مداوي الكلوم، البكاء، المرتفع، الشفاء، الماحق، العاقب، المنحور، شجر الماء، عنصر الحياة، الشريد، المراجع، الصائغ، الطيار ـ السالم، الخليفة، المقسوم الحي، الرامي، الواسع، البحر، الملصق، الهادي، المصلح، الباقي.

---

(١) عَبْد القَادِر الجِيلاني (٤٧١ ـ ٥٦١ هـ = ١٠٧٨ ـ ١١٦٦ م) عبد القادر بن موسى بن عبد الله ابن جنكي دوست الحسني، أبو محمد، محيي الدين الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي: مؤسس الطريقة القادرية. من كبار الزهاد والمتصوفين. الأعلام للزركلي (ج٤، ص٤٧).

٧ ــ مبايعة القطب: ونقل الشيخ رحمه الله تعالى فيه عن الشعراني نقله عن ابن عربي أنه يبايعه الملأ الأعلى والسفلي حتى النباتات وكل مسبح لله[١].

٨ ــ مكان القطب: وبين فيه أن الذي عليه جمهور المتصوفة أن محل إقامته مكة، ولكن الشعراني رجح أنه بجسمه حيث يشاء الله، ومن شأنه الخفاء؛ فتارة يكون حداداً، وتارة يكون تاجراً...

٩ ــ ذوات القطب: يقول الخواص إن للقطب ستا وستين وثلاثمائة ذات، واحدة منهن بمكة لا تبرح منها ما دام حياً، أما الذوات الترابية فحيث أراد الله تعالى من البلاد

١٠ــ مقاماته ودرجاته: يقولون إن له مائة ألف مقام واثنتان وأربعون ألف درجة.

١١ــ معرفة الأولياء بالقطب: يقول المتصوفة إن أكثر الأولياء لا يعرف القطب.

١٢ــ موت القطب: أما القطب القديم، وهو الحقيقة المحمدية، فأزلي أبدي، أو هو الأول والآخر، لأنه هو الله سبحانه!!.

وأما القطب الحادث فيموت؛ ويعنون بموته أن يهلك جسمه، وتنتقل الحقيقة المحمدية التي كانت متعينة فيه إلى بدل آخر، فيصبح هو القطب.

١٣ــ مدة القطبية: نقل عن الشعراني أنه ليس للقطبية مدة معينة؛ فقد يمكث القطب في قطبيته سنة أو أكثر أو أقل إلى يوم إلى ساعة؛ فإنها مقام ثقيل تحمل صاحبها أعباء الممالك الأرضية كلها ملوكها ورعياها.

ويعقب الشيخ على هذه الأساطير، والمضاحك فيقول: (هذه خلاصة ما ذكروه عن القطب، ولا يعنينا هنا إثبات أن هذه الأساطير تشبه رأي الصليبية في الكلمة، والأفلوطينية في "اللوغرس" فلهذا كتاب آخر إن شاء الله إنما يهمنا إثبات أن ما يقوله هؤلاء يناقض روح الإسلام ويشاقها بالعداوة والبغضاء، ويدفع الصوفية ــ وعلى رأسهم ابن عربي ــ بأنهم أشد الناس عداوة للإسلام)[٢].

---

(١) وبين الشيخ هنا عدم أمانة الشعراني حتى في نقله عن شيوخه.

(٢) مجلة الهدي النبوي ، مقالة نظرات في التصوف ، عدد ٣ تاريخ١٣٨٦هـ (ص١٧).

ثم يتابع الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ بيان باقي أعضاء المملكة الأسطورية فيذكر منها:

الإمامان: وهما بمترلة الوزيرين له، واسم الأيسر منهما عبد الملك، واسم الأيمن عبد ربه.

وإذا كانت مهمة القطب حفظ دائرة الوجود كله من عالم الكون والفساد؛ فإن مهمة الإمامين حفظ عالمي الغيب والشهادة، وهو ما أدركه الحس.

الأوتاد: وهم أربعة من أعوان القطب، واحد باليمن وواحد بالشام، وواحد بالمغرب، وواحد بالمشرق.

الأبدال: وهم سبعة، وهم طائفة من أهل الكشف والمشاهدة والحضور، رحم الله بوجودهم العباد والبلاد، ويدفع عن الناس بهم البلاء والفساد.

النجباء: وهم المشتغلون بحمل أثقال الخلق، وهم بمصر، وعددهم سبعون وقيل ثلاثمائة [(١)].

النقباء: وعددهم ثلاثمائة وقيل خمسمائة، وقيل أربعون، وهم الذين يستخرجون خبايا الأرض، وقلوبهم على قلب آدم.

وبالنقباء تقفل الدائرة التي تبدأ بالقطب، وتنتهي إليه أيضاً.

ولكن هناك غير هؤلاء من ليسوا من أهل الدائرة، وهم عامة الأولياء وهم طوائف كل طائفة لها عدد لا ينقص؛ فإذا مات الواحد منهم خلفه غيره في مرتبته، ومنهم:

الضنا والذخائر: فالضنا عددهم أربعة آلاف وكذلك الذخائر ومرتبة هاتين الطائفتين أنهم يعتقدون وجود الكون، ولا يرونه لأنهم غرقى في بحار الألوهية.

---

(١) مجلة الهدي النبوي ، العدد السابق ٣ تاريخ١٣٨٦هـ (ص١٢ــ١٨).

أصحاب النوبة: وهم جماعة من الأولياء منبثون في الأرض لقضاء مصالح الناس وحفظهم ورعايتهم، ولا يجوز لمن هو دونهم من الأولياء أن يتصرف في شـــيء دون أن يستأذنهم بقلبه.

ومن عارضهم أو خالفهم أو تصرف بغير إذنهـــم قتلوه، كما حدث للخـــواص لما كثرت منه الشفاعات؛ فأغضب منه ذلك أصحاب النوبة بمـــصر، وكـــانوا عجمـــا؛ فطعنوه بخنجر لم يتلقه عنه أحد من الأولياء سوى الشريف المجذوب، ولكنهم طعنوه مرة أخرى بخنجر في مشعره فقضوا عليه.

ويعلق الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ على تلك الأساطير التافهة فيقـــول: (وهـــذا الإفك الأسطوري لا هدف له إلا القضاء على توحيد الله، والقـــضاء علـــى القـــرآن، والقضاء على الإسلام، لا هدف له إلا أن يصبح المسلمون إمعات تسخرهم الـــصهيونية الكامنة وراء هؤلاء الدعاة لما شاءت.

أي مسلم يشعر بالأمان والطمأنينة والعزة والكرامة وهـــو يـــشعر أن أقـــداره يصرفها هؤلاء البله القذرون الدنسون "الخواجات"، وأي عالم نتصوره وقـــد تخلـــى الله عنه، وتركه لجماعة منهم الخواجة والأشل وبائع الفول والطفل ؟!)[1].

ثم يرد الشيخ على مجمل ما نقله عن الصوفية فيما يخص المملكة الباطنية الوهمية التي بنوها بمحض الخيال والكذب بقول شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعـــالى ــ فقال: (رأي ابن تيمية: يقول الإمام الجليل: "وأما الأسماء الدائرة على ألسنة كثير مـــن النساك والعامة مثل الغوث الذي يكون بمكة والأوتاد الأربعة والأقطاب السبعة والأبدال الأربعين والنجباء الثلاثمائة فهذه الأسماء ليست موجودة في كتاب الله ولا هـــي أيـــضاً مأثورة عن النبي ﷺ لا بإسناد صحيح ولا ضعيف محتمل إلا لفظ الأبدال فقد روي فيهم حديث شامي منقطع الإسناد عن علي بن أبي طالب مرفوعاً إلى النبي ﷺ... ولا توجـــد هذه الأسماء في كلام السلف كما هي على هذا الترتيب، ولا هي مـــأثورة علـــى هـــذا

---

(١) انظر : تلك النقول السابقة في مجلة الهدي النبوي ، مقالة نظرات في التصوف ، عدد ٧ تاريخ١٣٨٦هـ (ص٢٦) وما بعدها.

الترتيب والمعاني عن المشايخ المقبولين عند الأمة قبولاً عاماً وإنما توجد على هذه الصورة عن بعض المتوسطين من المشايخ.

ثم قال: "وأما لفظ الغوث والغياث فلا يستحقه إلا الله تعالى فهو غياث المستغيثين لا يجوز لأحد الاستغاثة بغيره لا بملك مقرب، ولا نبي مرسل، ومن زعم أن أهل الأرض يرفعون حوائجهم التي يطلبون بها كشف الضر عنهم، ونزول الرحمة بهم، إلى الثلاثمائة والثلاثمائة إلى السبعين، والسبعين إلى الأربعين والأربعين إلى السبعة والسبعة إلى الأربعة والأربعة إلى الغوث فهو كاذب ضال مشرك فقد كان المشركون كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾[١] وقال: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾[٢] فكيف يكون المؤمنون يرفعون إليه حوائجهم بعدة وسائط من الحجاب وهو القائل تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[٣] " وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون "[٤][٥].

ثم رد عليهم الشيخ رحمه الله تعالى بأنهم أشد تطرفا حتى من الرافضة فبين أن الرافضة تقول بإمام مختف معصوم أما الصوفية فتفوقها بادعائها بقاء كثيرين لا إماماً واحداً.

(١) (سورة الإسراء:آية٦٧).

(٢) (سورة النمل:آية٦٢).

(٣) (سورة البقرة:آية١٨٦).

(٤) جامع الرسائل ، لأبي تيمية (ج١ ، ص ٢٣).

(٥) مجلة الهدي النبوي مقالة نظرات في التصوف ، عدد ٧ تاريخ١٣٨٦هـ (ص٣١–٣٢).

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (.. والشيعة الإثنى عشرية[١] تزعم أن إمامها الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري ــ والثابت أن الحسين[٢] لم يخلف وراءة ذرية ــ قد اختفى، وسنه ثلاث أو خمس أو سبع سنوات في سنة ٢٦٠هـ وما زال مختفياً حتى الآن، ولكنه حي، وسيظهر فيما بعد ويحاجون أهل السنة بما يعتقد الصوفية في الخضر والقطب فهم يدينون ببقاء واحد فقط، أما الصوفية فيدينون ببقاء كثيرين.

وقد رد الإمام ابن تيمية على هذا بقوله: " فإن قال هؤلاء الرافضة: إيماننا بهذا المنتظر المعصوم مثل إيمان كثير من شيوخ الزهد والدين باليـاس والخضر والغوث والقطب، ورجال الغيب، ونحو ذلك من الأشخاص الذين لا يعرفون وجودهم، ولا بماذا يأمرون، ولا عن ماذا ينهون، فكيف يسوغ لمن يوافق هؤلاء أن ينكر علينا ما ندعيه؟ قيل الجواب من وجوه:

(أحدها): أن الإيمان بوجود هؤلاء ليس واجباً عند أحد من علماء المسلمين وطوائفهم المعروفين، وإن كان بعض الغلاة يوجب على أصحابه الإيمان بوجود هؤلاء، ويقول إنه لا يكون مؤمناً ولياً لله إلا من يؤمن بوجود هؤلاء في هذه الأزمان، كان قوله مردوداً، كقول الرافضة.

(الوجه الثاني):أن يقال من الناس من يظن أن التصديق بهؤلاء يزداد الرجل به إيماناً وخيراً، وموالاة لله وأن المصدق بوجود هؤلاء أكمل وأشرف وأفضل عند الله ممن لم يصدق بوجود هؤلاء، وهذا القول ليس مثل قول الرافضة من كل وجه، بل هو مشابه له من بعض الوجوه، لكونهم جعلوا كمال الدين موقوفاً على ذلك.

---

(١) الشيعة الإمامية الأثنى عشرية هم : تلك الفرقة من المسلمين الذين زعموا أن علياً هو الأحق في وراثة الخلافة دون الشيخين ، وعثمان ــ رضي الله عنهم أجمعين ــ . وقد أطلق عليهم الإمامية ؛ لأنهم جعلوا من الإمامه القضية الأساسية التي تشغلهم ، وسموا بالاثنى عشرية ؛ لأنهم قالوا بالاثنى عشر إماماً دخل آخرهم السرادب بسامراء على حد زعمهم . كما أنهم القسم المقابل لأهل السنة والجماعة في فكرهم وآرائهم المتميزة ، وهم يعملون لنشر مذهبهم ليهم العالم الإسلامي. الموسوعة الميشرة في الأديان والمذاهب ، مانع الجهني ، (ج١، ص٥١).

(٢) هكذا في الأصل ولعل الصواب الحسن يعني العسكري.

وحينئذ، فيقال هذا القول أيضاً باطل باتفاق علماء المسلمين وأئمتهم، فإن العلم بالواجبات والمستحبات وفعل الواجبات والمستحبات كلها ليس موقوفاً على التصديق بوجود هؤلاء، ومن ظن من أهل النسك والزهد والعامة أن شيئاً من الدين واجباً أو مستحباً موقوف على التصديق بوجود هؤلاء فهذا جاهل ضال، باتفاق أهل العلم والإيمان العالمين بالكتاب والسنّة، إذ قد علم بالأضرار من دين الإسلام أن النبي ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ لم يشرع لأمته التصديق بوجود هؤلاء، ولا أصحابه كانوا يجعلون ذلك من الدين، ولا أئمة المسلمين وأيضاً.

فجميع هذه الألفاظ لفظ الغوث والقطب والأوتاد والنجباء وغيرها لم ينقل أحد عن النبي ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ بإسناد معروف أنه تكلم بشيء منها، ولا أصحابه، ولكن لفظ الإبدال تكلم به بعض السلف ويروى فيه عن النبي ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ حديث ضعيف وقد بسطنا الكلام على ذلك في غير هذا الموضع.

(الوجه الثالث): أن يقال القائلون بهذه الأمور، منهم من ينسب إلى أحد هؤلاء ما لا تجوز نسبته إلى أحد من البشر، مثل دعوى بعضهم أن الغوث أو القطب هو الذي يمد أهل الأرض في هداهم ونصرهم ورزقهم، وأن هذا لا يصل إلى أحد إلا بواسطة نزوله على ذلك الشخص وهذا باطل بإجماع المسلمين، وهو من جنس قول النصارى في الباب وكذلك ما يدعيه بعضهم من أن الواحد من هؤلاء يعلم كل ولى له كان أو يكون، اسمه واسم أبيه ومنزلته من الله ونحو ذلك من المقالات الباطلة، التي تتضمن أن الواحد من البشر يشارك الله في بعض خصائصه.

مثل أنه بكل شيء عليم، أو على كل شيء قدير، ونحو ذلك كما يقول بعضهم في النبي ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ وفي شيوخه: أن علم أحدهم ينطبق على علم الله وقدرته منطبقة على قدرة الله، فيعلم ما يعلمه الله ويقدر و يقدر على ما يقدر الله عليه، فهذه المقالات، وما يشبهها من جنس قول النصارى، والغالية في عليّ، وهي باطلة بإجماع المسلمين.

ثم يقول ﷺ وأجزل مثوبته:

(الوجه الرابع):أن يقال الصواب الذي عليه محققو العلماء أن إلياس والخضر ماتا، وأنه ليس أحد من البشر واسطة بين الله عز سلطانه وبين خلقه في خلقه ورزقه وهداه ونصره، وإنما الرسل وسائط في تبليغ رسالاته، لا سبيل لأحد إلى السعادة إلا بطاعة الرسل.

وأما خلقه وهداه ونصره ورزقه فلا يقدر عليه إلا الله تعالى. فهذا لا يتوقف على حياة الرسل وبقائهم، بل ولا يتوقف نصر الخلق ورزقهم على وجود الرسل أصلاً، بل قد يخلق ذلك بما شاء من الأسباب بواسطة الملائكة أو غيرهم، وقد يكون لبعض البشر في ذلك من الأسباب ما هو معروف في البشر.

وأما كون ذلك لا يكون إلا بواسطة من البشر، أو أن أحداً من البشر يتولى ذلك كله ونحو ذلك، فهذا كله باطل، وحينئذ فيقال للرافضة إذا احتجوا بضلال الضلال: ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾[1] "[2].

وللعز ابن عبد السلام رسالة مطبوعة في حلب عن الأبدال والغوث به يقرر فيها أن هذه الأسماء ليس لها أصل في الدين الإسلامي ولم يؤثر عن النبي ﷺ في حديث صحيح ولا ضعيف)[3].

عبادة الأولياء:

لقد أدى الإيمان بتلك الكرامات المنافية للإسلام والمخالفة للعقل الطبيعي، والمنافية للفطر السليمة بالمتصوفة إلى عبادة الأولياء والصلاة لهم ودعائهم وغير ذلك من مظاهر العبادة، وقد بينت ذلك في الفصل الخاص بالتوحيد.

---

(١) (سورة الزُّخرُف: آية٣٩).

(٢) مختصر منهاج السنة ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) اختصره: الشيخ / عبد الله بن محمد الغنيمان ، دار الصديق للنشر والتوزيع، صنعاء، الجمهورية اليمنية الطبعة: الثانية، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م (ج١، ص٣٩ـ٤١).

(٣) مجلة الهدي النبوي، مقالة نظرات في التصوف ، عدد ٧ ، تاريخ ١٣٨٦هـ (ص٣٢ـ٣٤).

والذي يهمني هنا هو فكرة أن عبادة الأولياء عند الصوفية دخيلة على الإسلام.

ينقل الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ عن عدد من المستشرقين الغربيين إجماعهم على أن عبادة الأولياء مخالفة لمنهج الإسلام الصحيح المتشدد في جانب التوحيد، والذي لا يقبل مساومة فيه، ويذكر من هؤلاء: هينرش بكر ومتز وروندلسن وجولد زهير، وليون جوتييه.

ثم يسائل بعض العلماء المهادنين؛ بل والمعاونين للتصوف والمدافعين عنه في صور مختلفة فيقول: (ألا يخزي بعض ساداتنا العلماء إذ يرون أولئك الأجانب عن الإسلام يصدعون بالحق في هذه المسألة وبقدر ما يختلف الكاتبون عن الإسلام من فلاسفة الأجانب ومستشرقيهم فإنهم يجمعون جميعاً على أمر واحد وهو تشدد الإسلام في التوحيد، وأن التوسل بالأولياء وقبورهم ليس من الإسلام...

وهؤلاء الذين نقلنا عنهم الآن أجمعوا على أن عقيدة التوحيد جلية تمام الجلاء في القرآن، وعلى أن تقديس الولياء والتوسل بهم وبقبورهم مخالف لروح الإسلام واعتبره ليون جوتييه تغيراً خطيراً في عقيدة المسلمين فما رأي السادة العلماء)[1].

وإذا كانت تلك عقيدتهم في الأولياء؛ وقد قدمت وصفهم لهم بصفات الألوهية؛ بل وبصفات الربوبية أيضاً؛ فإنهم مع ذلك أسسوا في الفكر الصوفي طريقة الوصول إلى مرتبة الولاية المزعومة التي يستحق صاحبها أن يعبد من دون الله تعالى.

ومن أول من أسس لتلك الفكرة اللعينة من يلقب بحجة الإسلام.

يقول الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ: (يقول الغزالي من كتابه الجواهر الغوالي: إن القلب له بابان بأحدهما يطلع على اللوح المحفوظ، ويشبه القلب بالمرآة، واللوح المحفوظ بالمرآة يتقابلان، فينتقش ما في اللوح المحفوظ في القلب.

---

(١) مجلة الهدي النبوي، مقالة لتتبعن سنن من كان قبلكم، عدد ١٠، تاريخ ١٣٦٧هـ (ص٢٣ـ٢٤).

ويقول في ص ١٥ ما نصه: "إذا جلس في مكان خال وعطل طريق الحواس وقال دائماً: الله الله الله بقلبه دون لسانه أبصر في اليقظة الذي يبصره في النوم، فتظهر له أرواح الأنبياء والملائكة وانكشف له ملكوت السماوات والأرض، ورأى ما لا يمكن شرحه ولا وصفه كما قال النبي ﷺ: "**زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها**"[١] وقال الله ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ ﴾[٢].

أرأيت إلى الغزالي يزعم هذا الزعم الباطل ويقرر أن الإنسان يصل عن هذا الطريق إلى ما وصل إليه الرسول وجده الخليل ــ عليهما الصلاة والسلام ــ؟)[٣].

هكذا إذن يستطيع الإنسان أن يصل إلى النبوة؛ بل إلى أعلى مراتب النبوة فضلاً عن الولاية على اعتبار أنها أدنى مترلة من النبوة، وإلا فإن الولاية في الفكر الصوفي أعلى مرتبة من النبوة.

ثم يرد الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ على الغزالي ومن بعده المتصوفة كلهم فيقول: (ويقول ــ يعني الغزالي ــ"للقلب عينان يدرك بهما الغيب".

والله يقول: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩ ﴾[٤] ولكن الغزالي يخالف الله فمن نصدق؟

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، حديث رقم ٧٤٤٠ (ج٨، ص١٧١).

(٢) (سورة الأنعام:آية٧٥).

(٣) مجلة الهدي النبوي، مقالة هل تجنيت على الغزالي، عدد ١٠، تاريخ ١٣٦٧هـ (ص١٦ــ١٧).

(٤) (سورة الأنعام:آية٥٩).

... ويقول: "لا إله إلا الله توحيد العوام ولا هو إلا هو توحيد الخواص".

والرسول يقول "أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله "[١]والله يقول: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[٢] ولم يقل لا هو إلا هو)[٣].

ثم يرد الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ على مفهوم الولي بشكل عام عند المتصوفة ويبين أنهم فرغوا كلمة ولي من معناها اللغوي والقرآني؛ وجعلوا لها معنى مرادفاً لكلمة الرب والإله.

ويستدل على ذلك من اللغة بكلام الراغب في مفرداته[٤] وابن الأثير في النهاية[٥] وابن فارس في معجمه[٦].

ثم يشفع ذلك بتعريف شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ ناقلاً عنه قوله: (والولاية: ضد العداوة وأصل الولاية: المحبة والقرب وأصل العداوة: البغض والبعد وقد قيل أن الولي سمي ولياً من موالاته للطاعات أي متابعته لها والأول أصح والولي: القريب يقال: هذا يلي هذا أي يقرب منه ومنه قوله ﷺ: **[ألحقوا الفرائض بأهلها فما أبقت الفرائض فلأولى رجل ذكر]**[٧] أي لأقرب رجل ذكر)[٨].

---

(١) سنن الترمذي، حديث رقم ٣٥٨٥ (ج٥، ص ٥٧٢) ولفظه: خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

(٢) (سورة محمد: آية١٩).

(٣) مجلة الهدي النبوي مقالة هل تجنيت على الغزالي ، عدد ١٠ تاريخ ١٣٦٧هـ (ص١٧).

(٤) مفردات ألفاظ القرآن للراغب (ج٢، ص٥٣٦).

(٥) النهاية في غريب الأثر لإبن الأثير (ج٥، ص٥١٠).

(٦) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ج٦، ص١٤١).

(٧) صحيح البخاري، كتاب الفرائض، باب ميراث الولد من أبيه، حديث رقم ٦٧٣٥ (ج١٧، ص٤٦). صحيح مسلم، كتاب الفرائض، باب ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى رجل ذكر، حديث رقم ٤٢٢٦ (ج٥، ص٥٩).

(٨) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لأبي تيمية (ج١، ص١٠).

ثم بين الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ أن الولي الحق الأعظم في القرآن الكريم هو الله، وأن الله تعالى وصف في القرآن الكريم بأنه ولي ومولى ووال، واستدل على ذلك بآيات من كتاب الله تعالى هي :

١ ــ قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦﴾[1].

٢ ــ قوله تعالى: ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾[2].

٣ ــ قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٩﴾[3].

٤ ــ قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٤٠﴾[4].

٥ ــ قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ١١﴾[5].

٦ ــ قوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١﴾[6].

٧ ــ قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ١١﴾[7].

---

(١) (سورة الأعراف: آية ١٩٦).

(٢) (سورة يوسف: آية ١٠١).

(٣) (سورة الشورى: آية ٩).

(٤) (سورة الأنفال: آية ٤٠).

(٥) (سورة محمد: آية ١١).

(٦) (سورة التوبة: آية ٥١).

(٧) (سورة الرعد: آية ١١).

ثم أوضح الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ أن ولاية المرسلين والمؤمنين نابعة وتابعة لولاية الله تعالى مستدلاً على ذلك بآيات كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾(١) ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾(٢).

ثم بين أن أولياء الله تعالى هم المتقون المؤمنون وأن من صفاتهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله، والركوع والسجود والذل لله سبحانه(٣).

ولأن الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ قد ركز في نقله لتلك البدع على أئمة التصوف الكبار وخاصة الغزالي ختم كلامه بخاتمة حسنة مفيدة فقال ــ رحمه الله تعالى ــ: (مما قدمت أظن؛ بل أوقن أن العاتبين من كرام الإخوة سيعتقدون معي أنني ما تجنيت على الغزالي، وأن زلات الغزالي لا تغفر لأمرين: لفهم العامة فيه والمسمين بالعلماء أنه حجة الإسلام، ولأنها بذاتها كبيرة كبيرة لا يعفى عنها ونحن في حاجة إلى النظر الثاقب فيما خلف الماضون من تراث ديني حتى نصحح بعض القيم التي سجلها التاريخ لأناس ثبت أنهم لا يستحقون تلك القدسية التي أضفاها عليهم التاريخ المضلل.

نحن في حاجة إلى تصحيح القيم الفكرية والذاتية، يجب أن لا نجعل القيمة الحقة إلا لكتاب الله وسنة رسوله، وعلى ضوئهما يجب أن نسير، وبهداهما يجب أن نقتدي لا بالغزالي؛ بل ولا بابن تيمية، أفرضيت يا أخي؟

وإني فيما أكتب لا أبتغي إلا التحذير حتى لا يقع غيري فيما كنت متردياً فيه؛ فمثلي مثل من كان في حمأة قذرة نجاه الله منها كتب على بابها أنها مسجد لله، فأنا أنادي:

---

(١) (سورة المائدة: آية ٥٥).

(٢) (سورة التوبة: آية ٧١).

(٣) مجلة الهدي النبوي، مقالة نظرات في التصوف، عدد ٢، تاريخ ١٣٨٤هـ (ص٢٨ــ٣٠).

يا قوم إنها للشيطان مباءة وللهوى معبد، إني شربت من سموم الزندقة ما كان يقدم لي في كاسات من البلور كتب عليها رحيق من الجنة؛ فأنا أخشى على غيري أن يتعاطاهـــــا، فلا تغضبوا لإنسان أيها الرفاق؛ بل ليكن غضبكم للحق من دين الله وحـــده، ولـــتكن قلوبكم مشرقة بهدي الله ورسوله، ولا يهولنكم أن نحطم معا تلك الطواغيت الوهميـــة، واسمعوا قول الله ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾[١] فلن نتخذ لنا ولياً من دون الله ولن نغضب لامرئ ننقده مهمـــا عزت مكانته إذا وجدنا من حديثه ما يخالف كتاب الله وهدي رســـول الله، ولا ســـيما أولئك الذين اغتر بهم التاريخ وخلع عليهم ألقاب القدسية والتمجيد)[٢].

المطلب الخامس

مصادر التلقي والمعرفة عند الصوفية

لقد كان المسلمون عبر تاريخهم يستقون المعلومات من مصادر موثوقة معتمـــدين في ذلك على النقل والعقل؛ كل في مجال اختصاصه، وفي مستوى إدراكه.

ومن هنا ظل أهل السنة والجماعة معتدلين في هذا المجال معطين النقـــل مكانتـــه اللائقة به دون إهمال للعقل ودوره.

وفي فترة ظهور الفرق الإسلامية نشأت جدلية العقل والنقل؛ وافترقت الفـــرق حولها وكان مذهب أهل السنة هو تقديم النقل على العقل.

بل وقرر شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ أن العقل السليم لا يمكن بحال أن يتعارض أصلاً مع النقل الصحيح الصريح، وألف في ذلك كتابه المـــشهور "درء تعارض العقل والنقل".

---

(١) (سورة البقرة:آية٢٥٧).

(٢) مجلة الهدي النبوي، مقالة هل تجنيت على الغزالي، عدد ١٠، تاريخ ١٣٦٧هـ (ص١٨ـ١٩).

ثم ظهر المتصوفة، وجاؤوا ببدعة الذوق، وفكرة الكشف؛ ومعرفة حقائق الأمور عن طريق الكشف والذوق.

وقبل الخوض في تلقيهم المعارف عن طريق الذوق والكشف لا بد من تعريف المصطلحين حتى نميز ما يراد بكل منهما.

تعريف الذوق والكشف لغة واصطلاحاً:

يرد الذوق في اللغة العربية على معان منها:

١ ـــ الطعم؛ فتقول: هذا ذواقه ومذاقه طيب.

٢ ـــ الخبرة في الشيء ومعرفته تمام المعرفة؛ فتقول: ذقت فلاناً أي خبرته وعرفته، قال تعالى ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۝٩﴾[(١)] أي خبرته.

٣ ـــ تجربة الشيء لتعرف حقيقته، فتقول: ذق هذا القوس أي ارم بها لتعرف لينها وشدها.

وقد يكون الذوق بالفم وبغيره[(٢)]؛ قال تعالى: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝١٠٦﴾[(٣)] وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٥٦﴾[(٤)].

وفي الاصطلاح يعرف الصوفية الذوق بأنه "ما يجده العالم على سبيل الوجدان والكشف لا البرهان والكسب، ولا على طريق الأخذ بالإيمان والتقليد"[(٥)].

---

(١) (سورة الطلاق:آية٩).

(٢) تهذيب اللغة للأزهري، (٩ /٢٠٤).

(٣) (سورة آل عمران:آية١٠٦).

(٤) (سورة النساء:آية٥٦).

(٥) القيصري في كتابه "مطلع خصوص الكلم" (ص١٩٣) نقلاً عن هذه هي الصوفية (ص١٠٥).

ويعرفه الجرجاني بأنه عبارة عن نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره [١].

ويبين ابن عربي مصدر هذا الذوق الصوفي بقوله: "اعلم أن العلوم الذوقية الحاصلة لأهل الله مختلفة باختلاف القوى الحاصلة، مع كونها ترجع إلى عين واحدة"[٢].

الكشف لغة واصطلاحاً:

يعرف علماء اللغة الكشف بأنه الإظهار ورفع شيء عما يواريه ويغطيه [٣].

وفي الاصطلاح هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجوداً وشهوداً [٤].

ويحصل ذلك عند الصوفية بطريقين:

يقول ابن عربي: الكشف والاطلاع على الغيب يكون بطريق التجلي، إما بالتنزل أو بالعروج [٥].

وعندهم كشفان:

الأول: الكشف من النبي ﷺ، ويقصدون به أخذ الأحكام الشرعية عنه ﷺ يَقَظَةً أو منامًا، ومعلوم أنَّ هذا من الضلال البعيد ـــ عياذًا بالله تعالى.

ثانيًا: الكشف من الخضر ـــ عليه السلام ـــ حيث تكثر حكايات الصوفيّة عن لُقياه والأخذ عنه أحكامًا شرعيَّة وعلومًا دينيَّة إضافة إلى أنهم يدَّعونَ أنه يُعلِّمهم الأوراد والأذكار والمناقب [٦].

---

(١) التعريفات للجرجاني، (ص١٤٤).

(٢) فصوص الحكم لابن عربي، ص ٦٧ بنصه مع حذف كلمة منها بعد كلمة الحاصلة.

(٣) قاموس المحيط للفيروزآبادي، (ص١٠٩٧).

(٤) التعريفات للجرجاني، (ص٢٣٧).

(٥) إنشاء الدوائر لابن عربي ص ٣٥ ط مطبعة بريل ليدن ١٣٣٦ هـ. نقلاً عن التصوف.. المنشأ والمصادر، إحسان إلهي ظهير (ص١٨٢).

(٦) أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة، سعود بن عبد العزيز الخلف الطبعة: ١٤٢٠هـ/١٤٢١هـ. (ج١، ص٢٧)

وقد أوضح العلامة ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ جهالة من يعتمد على ذوقه في معرفة ربه أو دينه فقال: (ومن الناس من تكون له القوة العملية الإرادية وتكون أغلب القوتين عليه وتقتضي هذه القوة السير والسلوك والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة والجد والتشمير في العمل ويكون أعمى البصر عند ورود الشبهات في العقائد والانحرافات في الأعمال والأقوال والمقامات كما كان الأول ضعيف العقل عند ورود الشهوات فداء هذا من جهله وداء الأول من فساد إرادته وضعف عقله وهذا حال أكثر أرباب الفقر والتصوف السالكين على غير طريق العلم بل على طريق الذوق والوجد والعادة يرى أحدهم أعمى عن مطلوبه لا يدري من يعبد ولا بماذا يعبده فتارة يعبده بذوقه ووجده وتارة يعبده بعادة قومه وأصحابه من لبس معين أو كشف رأس أو حلق لحية ونحوها وتارة يعبده بالأوضاع التي وضعها بعض المتحذلقين وليس له أصل في الدين وتارة يعبده بما تحبه نفسه وتهواه كائناً ما كان وهناً طرق ومتاهات لا يحصيها إلا رب العباد)[١].

جهود الشيخ / الوكيل في بيان انحرافهم في مسألة تلقي المعرفة عن طريق الذوق والكشف:

يوضح الشيخ الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ أن الذوق هو المصدر المعرفي عند الصوفية فيقول: (وسيلة المعرفة عند الصوفية .

ويدين الصوفية ببهتان آخر يدمغها بالمروق عن الإسلام، ذلك هو اعتقادها أن الذوق الفردي "يعني به الذوق الخاص بكل إنسان" ــ لا الشرع، ولا العقل ــ هو وحده وسيلة المعرفة ومصدرها. معرفة الله وصفاته، وما يجب له "لم نقل: وما يستحيل عليه. لأن الصوفية تؤمن بأنه سبحانه يجب له كل شيء، لأنه عين كل شيء، فلا يستحيل عليه نقص ولا عجز"، فهو ــ أي الذوق ــ الذي يقوم حقائق الأشياء،

---

(١) طريق الهجرتين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ، دار السلفية، القاهرة، مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٤هـ (ص ٢٨٧).

ويحكم عليها بالخيرية أو الشرية، بالحسن أو القبح، بأنها حق أو باطل، فلا جرم أن تدين الصوفية بعدد عديد من أرباب وآلهة، ولا عجب أن ترى النحلة منها تعبد وثناً بغير ما تعبده به أخرى، أو تخنع لصنم يكفر به سواها من النحل الصوفية، ولا عجب من ذلك كله، ما دامت تجعل "الذوق" الفردي حاكماً وقيماً على المسميات وأسمائها، فيضع للشئ معناه مرة، ثم ينسخه بنقيضه مرة أخرى. هذه الحدة في توتر التناقض صبغة الصوفية دائماً في منطقها المخبول، ولقد ضربت الصوفيين أهواء أحبارهم بالحيرة والفرقة، فحالوا طرائق قدداً، تؤله كل طريقة منها ما ارتضاه كاهنها صنماً له، وتعبده بما يفتريه هواه من خرافات!! على حين يجمعهم على الوحدة هوى واحد، وغاية واحدة، هي القضاء على الإسلام والجماعة الإسلامية)[1].

ويوضح اعتمادهم على الذوق في موضع آخر فيقول: (كل صوفي يؤمن بأن "الذوق" وحده هو وسيلة المعرفة، أما العقل عندهم، فطاغوت أخرق، أما الشرع، فمادية تنسب مخالبها في الصخر، دون أن ترمق السماء بنظرة واحدة! أو هو نوع من عبادة التاريخ الميت؛ ولهذا تتباين عندهم قيم الأشياء، تبعاً لتباين الأذواق! وقد يرى الصوفي الباطل، فيما يرى غيره فيه الحق! و لا يضيرهم أن يتوتر التناقض بين ما يؤمن به صوفي، ويكفر به آخر غيره، فكلاهما في الدين صوفي على حق.

ولعل هذا سر فريتهم "من اعترض، انطرد!" إذ ربما حكمت بالشرع أو بالعقل على شيء ما بأنه باطل، وهو في "ذوق" شيخك حق! فتعرض نفسك للطرد من حظيرته) [2].

ثم يرد عليهم ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله: (فالذوق إذن لا يخضع للفكر ولا يمكن الاستدلال عليه بالعقل، ولا يستمد من الحس ولا من التجربة. وبهذا استطاع الصوفية

---

(١) هذه هي الصوفية ، عبد الرحمن الوكيل (ص٦٦).

(٢) المرجع السابق (ص١٥٦).

ـ كما خيل إليهم ـ أن يتخلصوا من ربقة العقل، وأن يفروا من حقائق الدين التي تصدم أذواقهم ومعارفهم. ومن ذلك نفهم لماذا ينفر الصوفية من الدليل العقلي والحجة القرآنية، ولماذا لا يرتضونهما ونفهم أيضًا لماذا يرد في كل كلامهم مالاً يتلاءم مع العقل والشرع)[1].

إذن يمكن تلخيص رد الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ عليهم في مسألة تلقي المعرفة عن طريق الذوق بأدلة منها:

١ ـ أنه مخالف لما عليه الإجماع من تلقي المعرفة عن طريق النقل والعقل لا الذوق والكشف.

٢ ـ أنه يفضي إلى التناقض العقلي؛ إذ الأذواق مختلفة؛ وإذا استمد منها الإنسان معارفه سوف تصبح هناك أديان بعدد الأفراد؛ ولن يتحد ذوقان وبالتالي دينان، وهذا مخالف للدين والعقل.

٣ ـ أن من أسباب جعلهم الذوق الفردي مصدراً للمعرفة هو هروبهم من ربقة الدين والعقل؛ وبالتالي إطلاق أنفسهم على شهواتها دون رادع من الدين أو العقل؛ وبالتالي فالأساس الذي جعلهم يتخذون الذوق وسيلة للمعرفة ليس أمراً علمياً، وإنما هو مجرد هوى متبع.

٤ ـ أنهم متناقضون حتى في تأسيس قاعدة أن الذوق وسيلة للمعرفة؛ إذ أنهم يبنون عليها بعض القواعد الصوفية المتعلقة بعلاقة الشيخ بمريده، ومنها قاعدة "من اعترض انطرد"، وتوضيح ذلك أنه لو كان الذوق الفردي وحده وسيلة للمعرفة فلماذا لا يمكن لمريد أن يعترض على أوامر شيخه باعتبار أن ذوقه مخالف لذوق شيخه؟ الصوفية لا يؤمنون بذلك بل يمنعون لاعتراض على الشيخ؛ ويصفون من يعترض عليه بأنه مطرود من الرحمة. ومن هنا فقد تناقضوا في مسألة الذوق.

(١) مجلة الهدي النبوي ، مقالة صوفيات ، تاريخ ١٣٦٨هـ ، (ص٤٣).

الفصل الرابع

جهوده في الرد على البابية والبهائية

المبحث الأول: مقدمة حول البابية والبهائية.

المطلب الأول: تعريف البابية والبهائية ونشأتهما.

المطلب الثاني: أهم شخصياتهما وأهم الكتب التي ألفت عنهما.

المبحث الثاني: أصول البهائية ومستنداتها الفكرية.

المطلب الأول: علاقة البهائية بالشيعة.

المطلب الثاني: علاقتها بالصوفية.

المبحث الثالث: أهم انحرافاتها العقدية والرد عليها.

المطلب الأول: قولهم بنسخ الإسلام والرد عليه.

المطلب الثاني: ادعاء البهاء الربوبية.

المطلب الثالث: انحرافهم في الحقيقة الإلهية.

المطلب الرابع: إنكارهم كون الله تعالى هو الخالق.

المطلب الخامس: عقيدة البهائية في الرسل والرد عليها.

المطلب السادس: عقيدتهم في الوحي والرد عليها.

المطلب السابع: انحرافهم في الغيبيات والرد عليهم في ذلك.

المطلب الثامن: عقيدة الرجعة والتناسخ والرد عليها.

المطلب التاسع: مصادر المعرفة عند البهائية والرد عليهم.

المبحث الأول

مقدمة حول البابية والبهائية

المطلب الأول

تعريف البابية والبهائية ونشأتهما

البابية والبهائية حركة نبعت من المذهب الشيعي الشيخي [١] سنة ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م تحت رعاية الاستعمار الروسي واليهودية العالمية والاستعمار الإنجليزي بهدف إفساد العقيدة الإسلامية وتفكيك وحدة المسلمين وصرفهم عن قضاياهم الأساسية.

أسسها الميرزا علي محمد رضا الشيرازي ، أعلن أنه الباب نسبة إلى ما يعتقده الشيعة الشيخية من ظهوره بعد وفاة الرشتي المتوفي سنة ١٢٥٩هـ وأنه رسول وعياذاً بالله أفضل.

ثم ادعى حلول الإلهية في شخصه حلولاً مادياً وجسمانياً.

وأوصى الباب بالخلافة للميرزا يحي علي فنازعه أخاه الميرزا حسين علي الملقب بالبهاء وأعلن في بغداد إمام مريديه أنه المظهر الكامل الذي أشار إليه الباب وأنه رسول الله الذي حلت فيه الروح الإلهية لتنهي العمل الذي بشر به الباب وأن دورته هي المرحلة الثانية في الدورة العقائدية..."[٢].

---

(١) الشيخية : احد إفرازات الشيعة الاثنى عشرية المنسوبة إلى زعيمها الوطني المدعو الشيخ/ أحمد زين الدين الأحسائي البحراني ، وللشيخية أفكاراً واعتقادات خارجة عن الإسلام منها : اعتقادهم بحلول الله ــ تعالى عن قولهم ــ في علي ﷺ وأولاده وأنهم مظاهر الله، كما يعتقدون أن الحقيقة المحمدية تجلت في الأنبياء قبل النبي محمد ــ ﷺ ــ تجلياً ضعيفاً ثم تجلت في النبي محمد ــ ﷺ ــ والأئمة الاثنى عشر، وبعد فترة انقطاع تجلت في الشيخ/ أحمد الأحسائي ثم من يأتي بعده من تلاميذه مثل: كاظم الرشيى وأتباعه. وقد خلفه من بعده كاظم الرشي ثم الميرزا علي محمد مؤسس البابية. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب (ج٢، ص١٠٨٣) بتصرف يسير.

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ، مانع الجهني ، (ج١، ص٤٠٩ــ٤١١) بتصرف.

فالبابية إذن هي أصل البهائية، وتعتبر الأخيرة امتداداً للأولى، وقياماً بـــدعوتها، فالباب الذي يدعى ميرزا علي بن محمد رضا الشيرازي هو مؤسس البابية في إيران[١].

وكان ذلك في ليلة الخميس ٥ جمادى الأول عام ١٢٦٠هـــ الموافق٢٣ مـــارس عام ١٨٤٤م ويعتبر هذا اليوم لدى البابية عيد البعث، وتحرم فيه الأعمال.

وكانت بداية هذا الباب زعمه أنه باب للوصول إلى الإمام المنتظر الذي يعتـــبر الإيمان به من أسس العقيدة الشيعية.

ومن ثم تطور هذا "الباب" إلى أن أصبح يقول إنه المهدي المنتظر، وأن جـــسم المهدي اللطيف قد حل في جسمه المادي، وأنه ظهر الآن في هذا العالم ليمحـــو الظلـــم ويبدد الجور وينشر العدل[٢].

وكان للباب كاتم لأسراره وهو الملا حسين البشروئى، وكان يسمى وسط البابية باب الباب.

وعند التحقيق في تاريخ ظهور نشأة هذه الفرقة، تبين أن وراء نشأتها وتنظيمهـــا الجاسوس الروسي " كنياز دالكوركي"، الذي كانت وظيفته الظاهرة مترجماً بالـــسفارة الروسية في طهران، ثم تظاهر أنه اعتنق الإسلام وقد لعب دورًا خطيرًا في ضم مجموعـــة من الرجال إلى هذه العصابة؛ إذ جلب لها رجلاً يقال له: حسين علي المازندراني والمولود بقرية "نور" من قرى المازندران، وقيل كانت ولادته بطهران عام ١٢٣٣هـــ[٣]، وقـــد أوصى إليه هذا الجاسوس بعد ذلك بدعوى الألوهية والتلقب بالبهاء[٤].

---

(١) البهائية والقاديانية، د.أسعد السحمراني، در النفائس، طبعة ثانية ١٤٢٧هـــ، (ص٦١).

(٢) انظر: البابية عرض ونقد، إحســـان إلهي ظهـــير، دار الإمـــام المجدد، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـــ (ص٥٤) وما بعدها.

(٣) "بهاء الله والعصر الجديد"، لأسلمنت، الداعية البهائية، (ص٣١)، ط عربي، نقلاً عن "البهائية، نقد وتحليل" إحسان إلهي ظهير، درا الإمام المجدد، القاهرة، ١٤٢٦هـــ (ص١٣).

(٤) الموسوعة البهائية، دراسة نقدية للديانة البهائية، التاريخ والنشأة والعقيدة، خالد محمد عبده، الشعاع للنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م، (ص٢٨).

واستعمله لكل ما يريد.

كما ضم إلى هذه العصابة يحيى المازندراني الأخ غير الشقيق لحسين علي ولقبه بعد ذلك بصبح الأزل [١].

رغم انضمام "حسين علي" لدعوة "الباب الشيرازي". فإن الأخير لم يعتبره من "حروف حي" وهم الأشخاص الذين يشكلون صفوة الزعامة لدعوة البابية؛ بل قيل إنه أهمله وأدخل أخاه الأصغر يحيى الذي لم يبلغ الحلم بعد في عداد "حروف حي" ما دفع "حسين علي" إلى الحقد على "الباب" وتحين الفرص للانشقاق وهو ما حدث بالفعل [٢].

والخلاصة أنه في التاريخ المذكور أعلن علي محمد الشيرازي بتشجيع حسين البشروئي وتدبير الجاسوس الروسي أنه الباب إلى الغائب الذي بالسرداب، ثم توجه من شيراز إلى بو شهر متخفياً.

وأخذ البشروئي يذيع أنه رأى الباب بعينه وبدأ بدعوة الناس إلى متابعته وأطلق على من تبعه اسم (البابية) [٣].

ثم لم يلبث البشروئي أن طور التصور في دعوته إلى الباب؛ فحوله من باب المهدي إلى المهدي نفسه، وانضم إليه في ذلك رجل يقال له محمد علي البارفروشي [٤] وآخرون بلغ عددهم سبعة عشر رجلاً وامرأة وهي الملقبة لديهم بقرة العين [٥] وتوجهوا إلى بوشهر واجتمعوا بزعيمهم الجديد (الباب) وصاروا معه تسعة عشر شخصاً؛ فلذلك قرر "الباب" أن يجعل عدة الشهور تسعة عشر شهراً والشهر تسعة عشر يوماً واعتبر اليوم الذي أعلن فيه دعوته يوم ٥ من جمادى الأولى سنة ١٢٦٠ هـ هو بدء التاريخ.

---

(١) نشرت مذكرات هذا الجاسوس في مجلة الشرق "السوفيتية" سنة ١٩٢٥م.

(٢) "دائرة المعارف الأردية" ص٧٨٥، ج٣ نقلاً عن "البهائية نقد وتحليل" (ص ١٨).

(٣) الموسوعة البهائية ، خالد محمد عبده (ص٢٩).

(٤) ستأتي ترجمته.

(٥) ستأتي ترجمتها.

ولكن بقي التنظير الفكري دون مستند للدعوة الجديدة مما دفع "الباب" إلى جمع جمل متناقضة مملوءة بالفساد التعبيري؛ فضلاً عن العقلي والعقدي وسماها "البيان" [١].

وسار الباب وأتباعه من بعده في الدعوة إلى البابية ومعتقداها الفاسدة والتعلق بكتاب الباب الذي أسماه "البيان".

والذي قال عنه بأنه يفوق القرآن، وأنه يتحدى أي شخص يأتي بباب من أبواب البيان العظيم، أو ما يسميه الباب: البيان العربي. وهو كتاب البابية المقدس. كما أن للباب كتاباً ثانياً يطلق عليه: البيان الفارسي. وهذا الكتاب حرقه البهائيون بعد ظهور الأقدس، كتابهم المقدس.

وقد ثار علماء شيراز على دعاة البابية فقبض واليها حسين خان عليهم، ثم أمر بإحضار الباب من بو شهر فأحضر وأحيل إلى مجلس الحاكم فخر على الأرض ترتعد فرائصه فلطمه الحاكم وبصق في وجهه ثم رمي به في السجن سنة ١٨٤٧م. ثم رأى الحاكم أن يختبره بنفسه فأرسل إليه وأحضره من السجن، وأظهر له أنه تأسف على ما بدر منه فانطلق الباب المغرور يمنيه بأنه سيجعل منه سلطاناً فيما بعد على الدولة العثمانية حينما تدين الدنيا كلها له ولأتباعه. ثم فوجئ الباب بحشد من العلماء في قصر الحاكم ففزع فأوهمه الحاكم بأنه جمعهم للتمكين لدعوته وإعلائها فاغتر الباب وحضر مجلس العلماء ثابت الجنان ثم بدأ يخاطب العلماء بقوله إن نبيكم لم يخلف لكم بعده غير القرآن فهاكم كتاب البيان فاتلوه تجدوه أفصح عبارة من القرآن، ولما اطلع العلماء عليه وجدوه كفراً بواحاً وأخطاء فاحشة في اللغة فلما نبهوه إلى هذه الأخطاء ألقى اللوم على الوحي الذي جاء بها!!.

وهنا أمر الحاكم رجاله فعلقوه من رجليه ثم انهالوا عليه ضرباً فأعلن أنه كفر بدعوته ورضي أن يطاف به في الأسواقِ على دابةٍ شوهاء ثم أعيد إلى سجن شيراز.

---

(١) البهائية والقاديانية ، أسعد السحمراني (ص ٦٥).

بيد أن الجاسوس الروسي بواسطة جاسوس روسي آخر هو منوجهر خان الأرمني الذي دفعته الحكومة الروسية لإعلان إسلامه فغمره الشاه بالفضل وأولاه ثقته وعينه معتمداً للدولة في أصفهان استطاع هذا أن يخلص الباب من السجن ويهربه إلى أصفهان. ولما مات منوجهر عثر بالباب يمرح في قصره فقررت الحكومة نفيه إلى قلعة ماكو بأذربيجان(١).

مؤتمر بدشت سنة ١٢٦٤هـ :

وفي هذه الأثناء اجتمع الدعاة المرتدون الثمانية عشر وقرروا أن يحضروا معهم كل الذين استمالوهم وأن يعقدوا منهم مؤتمراً في صحراء بدشت بين خراسان ومازندران وعلى رأسهم باب الباب (حسين البشروئي) وقرة العين وحسين علي المازندراني الذي تلقب فيما بعد بالبهاء وجعلوا الدعوة الظاهرة لهذا المؤتمر هي التفكير في الوسائل الممكنة لإخراج الباب من السجن، أما المقصود لهذا المؤتمر فهو إعلان نسخ دين الإسلام.

ولم يكن هناك من يملك الشجاعة لإعلان نسخ الإسلام سوى "قرة العين" فاندفعت تلهب حماسهم وأعلنت بشكل واضح وقح أن أحكام الإسلام قد نسخت بظهور الباب.

ثم انهالت على أحكام الإسلام بالسب والشتم وأعلنت الإباحية في أبشع صورها، وأن الصلاة والصوم وسائر أحكام الإسلام منسوخة لا يجوز العمل بها.

وبعد انفضاض المؤتمر وتسرب أنبائه ثارت ثائرة رجال الدين والدولة في إيران فطلب الشاه من ولي عهده ناصر الدين وهو في تبريز أن يحضر الباب من سجنه فأقر الباب أمام العلماء بأنه جاء بدين جديد فوجه إليه العلماء هذا السؤال: ما النقص الذي رأيته في دين الإسلام وما الذي كملت به هذا النقص لو كان؟ فارتج الدعي ولم يجد شيئاً، فاستقر الرأي على وجوب قتله مرتداً بعد أن أطبق العلماء على كفره وردته.

---

(١) البابية، عرض ونقد ، إحسان إلهي ظهير (ص٨١) وما بعدها.

ولما جاء وقت التنفيذ حمل الباب من سجنه ومعه أحد أتباعه لإعدامهما في أحد ميادين تبريز الذي كان مكتظاً بفئات كثيرة من الناس حضروا ليشاهدوا مصرع هذا الضال بيد أن القنصل الروسي استطاع أن يتصل بقائد الفرقة المكلفة بتنفيذ حكم الإعدام وأن يغريه برشوة كبرى ليحاول إنقاذ الباب.

وشد هذا الباب إلى عمود طويل ومعه تابعه والناس يلعنونه ويستعجلون الفتك به، وأطلق الجنود ثمانمائة رصاصة استقرت كلها في جسد تابعه المغرور غير واحدة من هذه الرصاصات فقد قطعت الحبل الذي ربط به الباب وحينما إنجاب الدخان الكثيف رأى الناس جسد التابع ممزقاً تحت العمود، أما الباب فقد فر، غير أن بعض الجند الذين كانوا يعرفونه ويجهلون قصد قائدهم مزقوا جسده بالرصاص فانهار قنصل الروس وبكى من هول ما أصيب به. وقد تركت جثته في خندق طعاماً للوحوش بعد أن صور قنصل الروس الجثة وبعث بالصورة إلى حكومته ثم نكلت الحكومة بأتباعه وأعدمت الكثير منهم ومن بينهم قرة العين [(١)].

ظهور البهائية:

بعد أن قُتل الباب حاول الروس اختيار شخص آخر من أتباعه ليكون خليفة له، ويقول الجاسوس الروسي كنيازد الكوركي في مذكراته: "قلت لميرزا حسين علي ــ البهاء ــ ونفر آخرين أن يثيروا الغوغاء بالضجيج والتظاهر، ففعلوا وأطلقوا الرصاص على الشاه ناصر الدين. فقُبض على كثيرين، منهم حسين علي المازندراني وبعض آخر من أصحاب السر، فتوسطت لهم وشهدت ومعي عمال السفارة وموظفوها أن هؤلاء ليسوا بابيين، فنجيناهم من الموت وسيرناهم إلى بغداد. وقلت لميرزا حسين علي: اجعل أنت أخاك الميرزا يحيى وراء الستر وادعوه (من يظهره الله)، وأعطيتهم مبلغاً كبيراً فألحقت به في بغداد زوجته وأولاده وأقرباءه. فشكلوا في بغداد تشكيلات وجعلوا له كاتب وحي.

(١) البهائية عرض ونقد ، إحسان إلهي ظهير(ص٧٣) وما بعدها.

وواصلت السفارة الروسية في طهران دعمها لكل من اعتنق البهائية، بل لم يكن لهم البتة مأوى سوانا" [(١)].

دب الخلاف بين البابيين فتبعت جماعة حسين المازندراني وتبعت أخرى أخاه يحيى ورفضت جماعة أن تنصاع لأحد الرجلين.

وبدأ النزاع بين هذه الفرق الثلاث.

وتأكد لشاه إيران أن البابية رغم مقامهم في بغداد بعيداً عن حدوده ما زالوا يمثلون خطراً داهماً على دولته فطلب من الحكومة العثمانية إخراجهم من العراق، فأصدرت أمرا بنفي حسين المازندراني وأخيه وأتباعهما إلى الآستانة سنة ١٢٨١هـ.

وتجمع هؤلاء في حديقة نجيب باشا والي بغداد استعداداً للرحيل فاستغل حسين المازندراني اجتماع هؤلاء وأعلن أنه الموعود الذي جاء الباب ليبشر به وأنه بهاء الله، وأن الغاية من ظهور الباب أنها كانت لإعداد الناس لقدوم بهاء الله.

وما أن وصل هؤلاء إلى الآستانة حتى طلب السفير الإيراني نقلهم إلى مكان بعيد عن العاصمة فنقلوا إلى أدرنة وفيها احتدم النزاع بين الأخوين فعرف أتباع يحيى بالأزليين؛ إذ صار يحيى يلقب صبح الأزل وعُرف أتباع حسين بالبهائيين إذ أطلق على نفسه لقب بهاء الله.

وحاول حسين القضاء على أخيه بدس السم له كما حاول قتله غيلة مما حدا بالحكومة إلى نفي يحيى إلى قبرص ونفي حسين إلى عكا في فلسطين وقد عمدت الحكومة العثمانية إلى إقامة عيون على كل واحد من الأخوين من أتباع الآخر.

---

(١) البهائية عرض ونقد ، إحسان إلهي ظهير(ص٦٢) وما بعدها.

وما أن وصل حسين إلى عكا واستمر في سجنها حوالي أربعة أشهر حتى امتدت الأيدي الماسونية[١] والصهيونية لإمداده بالمال الوفير وهيئته للدعوة لدينه الجديد، وأطلق سراحه من السجن فاستقبل مع أتباعه استقبالاً حافلاً من قبل اليهود الذين دعموه بالمال وأسكنوه قصراً يعرف باسم "البهجة" وفي عكا ما لبث أن دبّر مؤامرة لأتبـاع أخيـه فأبادهم ليلاً بالحراب والسواطير مما حمل الحكومة علـى اعتقـال البـهائيين في أحـد معسكرات عكا. كما وضع أتباعه في مترل آخر وأذن لأتباعـه ولغيرهـم في زيارتـه والتحدث إليه.

بدأ حسين المازندراني بدعوى أنه وصي الباب ثم زعم أنه المسيح قد نزل ثم ادعى لنفسه النبوة ثم زاد في تبجحه وادعى أنه إله السماوات والأرض زاعماً أن الحقيقة الإلهية لم تنل كمالها الأعظم إلا بتجسدها فيه[٢].

وقد أمدته الصهيونية بلقب بهاء الله الموجود في المزامير إذ قـد ردد فيهـا (أن السماوات تحكي عن بهاء الله) فزعم أو زعموا له أنه هو هذا البـهاء وأنـه مظهـر الله الأكمل، وأنه موعود كل الأزمنة ومجيئه الساعة الكبرى وقيامه القيامة والانتماء إليه هو الجنة ومخالفته هي النار، حتى وصل به الحال إلى ادعاء الألوهية ووضع برقعاً على وجهه؛ بزعم أنه لا يجوز لأحد أن يطلع على بهاء الله!!

وأخذ ينسخ من البابية ما لا يوافق هواه، وألف الإتقان والإشراقات ومجموعـة الألواح والأقدس المطبوع ببغداد لأول مرة عام ١٣٤٩هـ، في ٥٢ صفحة وهو أهـم

---

(١) الماسونية : لغة معناها البناؤون الأحرار ، وهي في الاصطلاح : منظمة يهودية سرية هدامة ، إرهابية غامضة ، محكمة التنظيم ، تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم وتدعو إلى الالحاد والإباحية والفساد . وتتستر تحت شعـارات خداعة (حرية ـ إخاء ـ مساواة ـ إنسانية) جلُّ اعضائها من الشخصيات المرموقة في العالم ، من يوثقهم عهداً بحفظ الأسرار ، ويقيمون ما يسمى بالمحافل للتجمع والتخطيط والتكليف بالمهام ، تمهيداً لتأسيس جمهورية ديمقراطية عالمية ـ كما يدعون ـ وتتخذ الوصولية والنفعية أساساً لتحقيق أغراضها في تكوين حكومة لادنيسية عالمية . الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ، مانع الجهني ، (ج١، ص٥١٠).

(٢) تهافت البابية والبهائية في ضوء العقل والنقل، د. مصطفى عمران، دار البصائر، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ (ص١٥٢).

كتاب عندهم وهو في نظرهم أقدس من جميع الكتب المقدسة وقد حشاه بالآراء المضطربة والأقوال المتناقضة، ولم يخرج في جملته عن مثل ضلالات شيخه الباب [١].

استمر حسين المازندراني في نشر افتراءاته بدعم المؤسسات الماسونية والصهيونية، التي اتخذته مطية لتحقيق أهدافها. وفي أواخر حياته أصيب بالجنون فحبسه ابنه عباس حتى لا يراه الناس وتكلم باسمه، إلى أن أنهكته الحمى فهلك في مايو ١٨٩٢م. وقيل أنه قتل على يد بعض البابيين فتولى "عباس أفندي"، أكبر أولاده الذي كان قد سماه (عبد البهاء) زعامة البهائيين. وكان قبل هلاكه قد جمع وصف الألوهية له ولولده هذا؛ إذ كتب له يقول: من الله العزيز الحكيم إلى الله اللطيف الخبير"، كما كان يلقبه بالفرع العظيم المتشعب من الأصل القديم. وقد ترك وراءه من زوجتيه أربعة أبناء وثلاث بنات[٢].

عندما أعلن عباس (عبد البهاء) أنه وصي أبيه نازعه أخوه محمد علي وانضم إليه بقية إخوانه غير أنه استطاع أن يستأثر بالأمر دونهم. وقد كان عباس هذا أشد مكراً من أبيه وأعرق في الخبث والدهاء. انتقل إلى حيفا حيث أخذ يضم إلى ضلالات أبيه ضلالات أخرى وأخذ يتزلف إلى كل أعداء الإسلام في الأرض، فحضر الصلوات في المساجد والكنائس، وأعلن أن عليه السلام هو ابن الله، وأعلن إيمانه بألوهية المسيح وصلبه، فقال: ولما أشرقت كلمة الله من أوج الجلال بحكمة الحق المتعال وقعت في أيدي اليهود أسيرة لكل ظلوم وجهول وانتهى الأمر بالصلب.

وادعى أن البهائي يجمع بين جميع الديانات فهو يقول في " خطابات عبد البهاء ص٩٩: اعلم أن الملكوت ليس خاصاً بجمعية مخصوصة فإنك يمكن أن تكون بهائياً مسيحياً وبهائياً ماسونياً وبهائياً يهودياً وبهائياً مسلماً. ودعا إلى التجمع الصهيوني والعمل على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين بقوله: وفي هذا الزمان وفي تلك الدورة سيجتمع بنو إسرائيل في الأرض المقدسة وتتجمع أمة اليهود التي تفرقت في الشرق

---

(١) الموسوعة البهائية، خالد محمد عبده (ص٦٣) وما بعدها.

(٢) تهافت البابية والبهائية، مصطفى عمران (ص ١٧٤ــ١٧٥).

والغرب والجنوب والشمال، فالآن تأتي طوائف اليهود إلى الأرض المقدسة ويمتلكون الأراضي والقرى ويسكنون فيها ويزدادون تدريجياً إلى أن تصير فلسطين كلها وطناً لهم.

استمر هذا الأفاك في نشر ضلالاته وضلالات أبيه حتى أهلكه الله في يوم الاثنين السادس من ربيع الأول سنة ١٣٤٠هـ عن ثمان وسبعين سنة بعد أن عهد إلى المدعو شوقي ابن بنته ضيائية نكاية في أخيه محمد علي الذي استمر مناوئاً له إلى آخر رمق[1].

المطلب الثاني: أهم شخصياتهما وأهم الكتب التي ألفت عنهما:

إن شخصيات البابية والبهائية المهمة ليست بالكثيرة فقد كانت الأدوار تتمحور حول أشخاص معدودين لهم تأثيرهم في الحركة؛ وهم المستفيدون من ظهورها، وامتدادها..

ومن هنا فيمكن بيان أهم شخصيات البابية على النحو التالي:

١ ـ الباب نفسه: الميرزا علي محمد رضا الشيرازى الذي ابتدع نحلة البابية، ولد سنة ١٢٣٥هـ.

كان اثني عشريا شيخيا ثم أخذ مجموعة آراء من مذاهب مختلفة وصنع منها مذهبه الجديد.

وأعلن أنه الباب سنة ١٢٦٠هـ، فاجتمع عليه أهل فارس، واصطدمت دعوته فيما بعد بطموح الشاه فأعدمه إلا أن الدعوة استمرت بعد هلاك مؤسسها حيث كان قد اختار لها أنجب طلابه ـ بهاء الله ـ الذي نادي بالمساواة المطلقة بين سائر البشر، لا فرق في ذلك بين يهودي ومسلم ونصراني، ولا بين رجل وامرأة، ونسخ صلاة الجماعة، ونادي بنبذ ما أسماه القيود الإسلامية وأخيراً ألغى كل ما في الإسلام من حلال وحرام.توفي "الباب" سنة ١٢٦٥هـ[2].

---

(١) البهائية والقاديانية ، أسعد السحمراني (ص ٧٨).

(٢) كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها، عماد السيد الشربيني، الطبعة ١٤٢٢هـ (١/ ١٤٣). والبهائية للوكيل (ص٨٧).

٢ ــ الملا حسين البشروئي من أصل فارسي، وكان يسمى بين البابية باب الباب وهو الذي غرس في الباب فكرة ادعاء البابية، وهو أول من آمن به، حتى جعلوا محمداً ﷺ عاد في صورة حسين البشروئي ليقر بوحدانية الله الذي هو الباب.

وقد كان "حسين البشروئي" من كبار تلامذة "كاظم الرشتي " ونسبته إلى بشرويه إحدى قري خراسان حتى أطلق عليه لقب"كبير تلاميذ كاظم الرشتي" أو المهدي المنتظر الذي اختاره ليكون المنفذ الحقيقي لتلك المؤامرة البشعة[١]...

ولم أجد من أرخ لميلاده أو موته.

٣ ــ "قرة العين".الملقبة ب"رزين تاج" والملقبة أيضا ب"الطاهرة" واسمها الحقيقي فاطمة كما أسماها أبوها وكنيت ب: "أُمْ سلمي" بنت صالح القزويني ولدت في قزوين، ولقبها أبوها بلقب:"رزين تاج" أي التاج الذهبي، وأطلق عليها "كاظم الرشتي" "قرة العين"...ويزعم البهائية أن حضرة بهاء الله قد لقَّبَهَا بالطاهرة.

وقد تبحرت في علوم الشريعة؛ وحفظت القرآن الكريم، وتعلمت الأدب؛ فكانت شاعرة مفلقة، وناثرة، وخطيبة[٢].

وتزوجت فاطمة وهي صغيرة من ابن عمها، فنفرت منه، ولم يكن لأبيها صالح ابنة سواها فلم يجبرها على العودة إلى زوجها.

ولدت في قزوين للملا محمد صالح القزويني،أحد علماء الشيعة ودرست عليه العلوم كما رأينا... ومالت إلى" الشيخية" بواسطة عمها الأصغر"الملا علي الشيخي" وتأثرت بأفكارهم ومعتقداهم،ثم رافقت الباب في الدراسة عند" كاظم الرشتي" بكربلاء حتى قيل إنها كانت: مهندسة أفكاره...

في رجب١٢٦٤هجرية اجتمعت "قرة العين" مع زعماء البابية في مؤتمر"بدشت" وكانت خطيبة القوم...ومحرضة الأتباع على الخروج في مظاهرات احتجاج على اعتقال "الباب"... وفي هذا المؤتمر:أعلنت "قرة العين" نسخ الشريعة الإسلامية.

---

(١) فتنة البهائية ، أحمد عبد السلام السكندري (ج١، ص٣٧).

(٢) الموسوعة البهائية ، خالد محمد عبده (ص٤١).

ولم تكن تلـك آخر أفكار هذه المـرأة الفاسقة الفاجـرة التي نادت بالـشيوعية في النساء.

ولما أصبحت تطبق هـذا الأمر علناً ــ وهو شيوعية النساء ــ أصبحت تُلَقَّـب بـ: الطاهرة.

وقيل إن الـذي أضفـي عليها هذا اللقـب ــ المضاد للحقيقـة ــ والـذي لا تستحقه ــ هو: البهاء نفسه.... واشتركت "قـرة العـين" في مـؤامرة قتـل الشاه"ناصر الدين" شاه إيران آنذاك... مع البهاء فقبض عليهما وحكم عليها بأن تُحرق حية...ولكن الجلاد خنقها قبل أن تحرق في عام ١٨٥٣م...

وتقول المصادر البهائية عن ساعة موت هذه المرأة الفاسقة التي نادت بالشيوعية في النساء: "وتوجهت بكل ثبات إلي مقـر جـسدها الأخـير...لتُخْنَـقَ بمنديلـها الحريري...وتُلقي في بئر عميق بعد إحراقها ــ جزاء وفاقـاً لمناداتهـا بالإباحيـة الجنسية... ومن قبل قالت بنسخ الشريعة الإسلامية ــ ليُهَـالُ عليهـا التـراب والأحجار..."!!!.

ويجدر بالذكر أن الحكومة التركية بواسطة واليها في بغداد عندما نفت "قرة العين" إلي بغداد؛أنزلها الواليفي بيت"محمد شبل الكاظمي"،فأفسدت دينـه وأمالتـه إلي البابية...

فأمر نجيب باشا ــ الوالي التركي ــ بنقلها إلي مترل"الشهاب الألوسـي"،مفـتي بغداد وصاحب التفسير المشهور،لتكون تحت رقابته...

غير أنه في هذه الأثناء قام البشروئي بثورة مسلحة وحاولوا اغتيال الشاه، فلقـي الكثير منهم حتفه...وانتهى الأمر بإعدام " قرة العين" كما سبق القول آنفا [1].

٤ ــ الجاسوس الروسي "كينا زد الغوركي" والمدعي الإسلام باسم "عيسي النكـراني" كانت وظيفته الظاهرة مترجماً بالسفارة الروسية في طهران، ثم تظاهر أنـه اعتنـق

---

(١) البهائية الضالة...نشأتها وانحرافاتها ـــ، راشد عبد المعطي بن محفوظ (ج١، ص ٧ــ٩).

الإسلام وأخذ يلازم مجلس كاظم "الرشتي " وقد لعب دورًا خطيرًا في ضم مجموعة من الرجال إلى البابية منهم البهاء الذي سيدعي الألوهية فيما بعد بإيحاء من نفس الجاسوس[١].

أما البهائية فإن أهم شخصياتها بعد انفصالها عن البابية هم:

١ ـــ الميرزا حسين علي المازندراني:

لقب نفسه أول ظهوره ب"الذكر"، أخذا من قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾[٢] ثم تلقب "بطلعت مبارك" أي الطلعة المباركة، ثم "بجمال مبارك" أي الجمال المبارك، ثم "بجمال القدم، والحق " وأخيراً لقب نفسه بـــ: بهاء الله.

ولد عام: ١٢٣٣هـــ/ ١٨١٧م بقرية نور من ولاية مازندران.

ترعرع مهتماً بكتب الصوفية، وأكثر من معاشرة الصوفيين، حتى أصبح معدوداً من كبار المتصوفة وشيوخهم في ذلك الزمان[٣].

ولما انضم للبابية، نازع أخاه خلافة الباب وأعلن في بغداد أمام مريديه أنه المظهر الكامل الذي أشار إليه الباب، وأنه رسول الله الذي حلت فيه الروح الإلهية لتنهي العمل الذي بشر به الباب...

وأن دعوته هي المرحلة الثانية في الدورة العقائدية...

وحاول قتل أخيه"صبح أزل"،وكان على علاقة مع اليهود في أدرنة في تركيا والتي يطلق عليها البهائيون"أرض السر" التي أرسل منها إلى عكا فقتل من أتباع أخيه"صبح أزل" الكثير...وفي عام ١٨٩٣م قتله بعض"الأزليين" ودفن بالبهجة بعكا، وكانت كتبه تدعو للتجمع الصهيوني على أرض فلسطين[٤].

---

(١) البابية عرض ونقد، إحسان إلهي ظهير (ص٦٢) وما بعدها.

(٢) (سورة الحِجر:آية ٩).

(٣) تهافت البابية والبهائية في ضوء العقل والنقل، مصطفى عمران (ص١٢٥ـــ١٢٦).

(٤) البابية عرض ونقد ، إحسان إلهي ظهير (ص٢٥٣).

٢ ـ الميرزا يحي أخو البهاء والملقب بـ: صبح أزل كان قد ادعى أنه أوصي له الباب بخلافته... وسمي أصحابه بالأزليين فنازعه أخوه الميرزا "حسين البهاء" في الخلافة ثم في الرسالة... وحاول كل منهما دس السم لأخيه... ولشدة الخلافات بينه وبين الشيعة تم نفيهم إلي" أدرنة"بتركيا عام:١٨٦٣م حيث كان يعيش اليهود...

ولاستمرار الخلافات بين أتباع"صبح أزل" وأتباع البهاء؛ نفي السلطان العثماني، البهاء وأتباعه، مع بعض أتباع أخيه إلي عكا ونفي "صبح أزل" مع أتباعه إلي قبرص إلي أن قبض حيث مات ودفن بها في:٢٩ إبريل ١٩١٢م...عن عمر يناهز الثانية والثمانين، وأوصي بالخلافة لابنه الذي تنصر... وانفض من حوله الأتباع [(١)].

٣ ـ عباس أفندي..الملقب بـ: عبد بهاء: ولد في مايو ١٨٤٤م في نفس يوم إعلان دعوة" الباب"... أوصي له والده البهاء بخلافته... فكان ذا شخصية جادة لدرجة أن معظم المؤرخين يقولون بأنه: لولا العباس لما قامت للبابية والبهائية قائمة... ويعتقد البهائيون أنه معصوم غير مشرع... وكان يضفي على والده صفة الربوبية القادرة علي الخلق...

زار سويسرا وحضر مؤتمرات الصهيونية، ومنها مؤتمر"بال" ١٩١١م، وحاول تكوين طابور خامس وسط العرب لتأييد الصهيونية.

وزار لندن وأمريكا والنمسا،وأسس في شيكاغو أكبر محفل للبهائية..رحل إلى حيفا/١٩١٣ ثم إلي القاهرة حيث هلك بها ١٩٢١م بعد أن نسخ بعض تعاليم أبيه... وأضاف إليها من العهد القديم ما يؤيد أقواله...[(٢)].

٤ ـ شوقي أفندي: خلف جده عبد البهاء وهو ابن الرابعة من العمر في عام ١٩٢١م... وسار علي نهجه في إعداد الجماعات البهائية في العالم لانتخاب بيت العدالة الدولي... ومات بلندن بأزمة قلبية ودفن بها في أرض قدمتها الحكومة البريطانية هدية للطائفة البهائية [(٣)].

---

(١) البهائية الضالة... نشأتها وانحرافاتها، راشد عبد المعطي بن محفوظ (ج١، ص ٩).

(٢) البهائية والقاديانية ، أسعد السحمراني (ص٧٦).

(٣) المرجع السابق (ص ٧٨).

بيت العدالة الدولي:

في عام ١٩٦٣م تولي تسعة من البهائيين شئون البهائية... بتأسيس بيت العدالة الدولي من تسعة أعضاء: أربعة من أمريكا، واثنان من انجلترا وثلاثة من إيران،وذلك برئاسة "فرناندو سانت" ثم تولي رئاستها من بعده اليهودي الصهيوني: ميسون الأمريكي الجنسية [(١)].

أهم الكتب التي ألفت عن البابية والبهائية:

ظلت هذه النحلة الضالة تنشر عقائدها وكتبها وسط أتباعها، ومن استطاعت أن تغرر به من ضعاف العقول من عوام المسلمين.

ولكن ما لبث كتاب الأمة أن فضحوا عقيدها، وبينوا خبث مخططاها، وألفوا في ذلك كتباً تنير للقارئ الدرب، وتبين له المنهج المطوي الخادع.

ومن أول ما كتب عن البابية مقالة "دائرة معارف البستاني" في مادة بابية، فقد كتب بطرس البستاني ما ملخصه: "أسس الباب ذلك الدين من عناصر إسلامية ونصرانية ويهودية ووثنية... وادعى أنه ليس نبياً بسيطاً بل هو مشخص الآلهة... وأن الله قد أنزل عليه كتاباً يسمى البيان.. ويزعم أتباعه أن جثته قد صعدت إلى السماء بعد موته...".

ثم ألف الدكتور / ميرزا محمد مهدي خان كتاباً ضخماً عن البابية والبهائية أصدر مقدمته في ٤٥٠صفحة من القطع المتوسط بعنوان "مفتاح باب الأبواب" وهو أول وأوفى كتاب عن هذه النحلة لما احتواه من معلومات وافية، ولأن مؤلفه فارسي، ولأن أباه وجده ممن ناقشوا الباب وحضروا محاكمته في إيران، وقد طبع الكتاب سنة ١٣٢١هـ في القاهرة، وهو نادر الوجود.

ثم ألف الشيخ / محمد فاضل كتابه "الحراب في صدر البهاء والباب" عام ١٣٢٩هـ، وهو من أهم الكتب التي ألفت في هذا المجال أيضاً؛ لأن مؤلفه تتلمذ على داعية البهائية في العالم الإسلامي ثم في مصر أبو الفضل الجرفادقاني، مما مكن المؤلف من

---

(١) البهائية الضالة...نشأها وانحرافاها ، راشد عبد المعطي بن محفوظ (ج١، ص ١١).

الاطلاع على كتب البهائية وأسرارها، ثم كتب في الصحف منددا بها بعد أن نجاه الله تعالى من شركها.

وقد طبع الكتاب في حوالي ٤٠٠ صفحة من القطع الوسط.

ثم توالت الكتب والكتيبات المتعلقة بالبهائية، ومنها كتاب "تنوير الألباب لإبطال دعوة البهاء والباب" لجلال الدين شمس أحمدي، وهو من القاديانية، ويحوي كتابه بعض نصوص من كتب البهائية، وربما ذكر النص الفارسي المترجم منه.

ثم نشر الأستاذ / محب الدين الخطيب بحثاً عن البهائية في المجلد السادس والعشرين من مجلة الأزهر في جزأي رجب وشعبان سنة ١٣٧٤هـ، ونشره مستقلاً بعد ذلك، ثم طبع عدة مرات.

ثم الأستاذ الشيخ / عبد الرحمن الوكيل كتابه البهائية تاريخها وعقيدها وصلتها بالباطنية والصهيونية.

كما نشر الأستاذ الشيخ / محمد أبو زهرة فصلاً عنها في كتابه "تاريخ المذاهب الإسلامية" في الجزء الأول.

وفي سنة ١٣٩٢هـ أصدر مجمع البحوث الإسلامية نشرة توجيهية موجزة برقم "٣٤" عن البابية والبهائية تاريخاً ومذهباً بقلم الشيخ عطية صقر..

كما أصدر الدكتور / أحمد محمد عوف كتاباً هاماً بعنوان "خفايا الطائفة البهائية" يحتوي نصين هامين هما "كتاب البيان" و"كتاب الأقدس" وهما الكتابان المقدسان عند البابية والبهائية كما قدمت آنفاً.

ثم ألفت الدكتورة / آمنة محمد نصير كتابها "أضواء وحقائق على البابية والبهائية والقاديانية"، ثم كتاب "البهائية في ميزان الإسلام" للدكتورين عمارة نجيب ومحمود عثمان، و"حقيقة البهائية" للدكتور مصطفى محمود.

ثم كتبت الدكتورة / عائشة عبد الرحمن "بنت الشاطئ" مقالات متوالية في الصفحة الدينية بجريدة الأهرام لخصت فيها عقائد تلك النحلة وفتشت عن خباياها، ثم

جمع كل ذلك وصدر في كتاب كبير بعنوان "قراءة في وثائق البهائية" سنة ١٤٠٦هـ، ثم نشرت مقالات أخرى في نفس الجريدة بعنوان "جديد من وثائق البهائية".

هذه أهم الكتب التي ألفت عن البهائية وعقائدها وحكم الإسلام عليها ولا يتسع المجال لاستقصاء كل ما كتب عنها من نشرات وكتيبات صغيرة وفتاوى وغير ذلك [١].

---

(١) مقدمة كتاب البهائية لعبد الرحمن الوكيل، بقلم أحمد حمدي إمام من ج ــ ح.

المبحث الثاني

أصول البهائية ومستنداتها الفكرية

المطلب الأول

علاقة البهائية بالشيعة

تعريف الشيعة لغةً واصطلاحاً:

الشيعة لغةً:

شيعة الرجل بالكسر: أتباعه وأنصاره وأعوانه، وأصل الشيعة الفرقة من الناس، وتقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد.

وقد غلب هذا الاسم على كل من يزعم أنه يتولى علياً ﷺ وأهل بيته حتى صار لهم أسماً خاصاً فإذا قيل فلان من الشيعة عرف أنه منهم.

وتجمع الشيعة على شيع. وأصلها من المشايعة وهي المتابعة والمطاوعة [(١)].

تعريف الشيعة اصطلاحاً:

لقد تعددت تعريفات الشيعة عند أهل العلم؛ فاختلفت عباراتهم في تحديد تعريف جامع مانع للشيعة.

ولعل مرد ذلك إلى تغير مفهوم الشيعة عبر التاريخ؛ فشيعة الأمس غير شيعة اليوم، وشيعة اليوم غير شيعة الغد، ففي كل يوم تطرأ على معتقداتهم تغيرات وعلى جماعاتهم انقسامات تجعل من الصعب تحديد مفهوم واحد للقوم.

ومن تعريفاتهم ما يلي:

تعريف الأشعري: يقول أبو الحسن الأشعري: "إنما قيل لهم: الشيعة، لأنهم شايعوا علياً ــ رضوان الله عليه ــ ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله ﷺ"[(٢)].

---

(١) القاموس المحيط ، للفيروزآبادي (ج١، ص ٩٤٩) النهاية في غريب الأثر ، لإبن الأثير (ج٢، ص١٢٦٩).

(٢) مقالات الإسلاميين ، واختلاف المصلين ، علي بن إسماعيل الأشعري ن أبو الحسن ، ت : هلموت ريتر ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، (ج١، ص٦٥).

تعريف ابن حزم:

ومن أدق التعاريف للشيعة ــ في رأي البعض ــ تعريف ابن حزام للشيعة حيث قال: "ومن وافق الشيعة في أن علياً ــ ﵁ ــ أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعي، وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون، فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعياً"[(١)].

تعريف الشهرستاني:

يقول الشهرستاني: "الشيعة هم الذين شايعوا علياً ــ ﵁ ــ على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إما جلياً، وإما خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده. وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين لا يجوز للرسل ــ عليهم السلام ــ إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله.

ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر. والقول بالتولي والتبري قولاً وفعلاً وعقداً إلا في حال التقية، ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك"[(٢)].

وقد بين الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ أن اختيار كلمة الشيعة كان اختياراً ماكراً؛ خدع الكثيرين من أبناء الأمة الإسلامية، وانضوى تحته من كان يظن أنه اسم يعبر عن الولاء والحب؛ ولا يستلزم بغضا لأكابر الصحابة.

يقول ــ رحمه الله تعالى ــ: (.. وقد تجمع كثير من هؤلاء تحت اسم خادع خلاب ساحر الوشي، اسم "الشيعة" أي أنصار علي وقد مكروا بهذا الاسم ومفهومه

---

(١) أصول مذهب الشعية الإمامية الإثني عشرية ، عرض ونقد ، ناصر بن عبد الله بن علي القفاري ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ ، (ج١، ص٤٤).

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ، (ج١، ص ١٤٥).

الذي ذكرنا في هذه الآونة؛ فلم يسفروا عن غايته وأهدافه التي ظهرت فيما بعد، فلا عجب ــ إذن ــ من أن ينضوي كثيرون تحت هذا الاسم دون أن يجدوا في هذا الانضواء الذي يعبر عن الحب ــ فحسب ــ ما ينال من المكانة العظيمة التي في قلوبهم لأبي بكر وعمر وعثمان)[١].

ولا شك أن للبهائية أصولاً شيعية خالصة يمكن قراءتها من خلال محورين:

الأول: علاقة النشأة المتمثلة في نشأة الباب والبهاء الشيعيتين الشيخيتين حيث استقى جميع مبادئه العلمية على يد هؤلاء الشيعة؛ بل حتى فكرة المهدي الغائب التي شغلت فكره واستوحى منها فكرة "باب المهدي" ثم استوحى منها البهاء فكرة المهدية ومن ثم النبوة وانتهاء بادعاء الربوبية هي عقيدة شيعية محضة.

الثاني: علاقة العقائد حيث تتقاطع البهائية مع الشيعة في كثير من عقائدها وخاصة فرقتي الإثنى عشرية والإسماعيلية[٢].

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ مبيناً هذا الجانب: (ويقول جولدزيهر:"وهذه الحركة صدرت دون ريب عن ضرب من ضروب التشيع؛ غير أن مبادئها الأساسية ترتبط تاريخياً بفكرة صادفتنا في القسم السابق، ونوهنا بأنها الفكرة الرئيسية في مذهب الإسماعيلية، ونعني بها تحقيق الكمال الذاتي للوحي الإلهي عن طريق التجلي التدرجي الارتقائي للعقل الكلي".

ويبين الشيخ في الهامش ما يعنيه جولدزيهر بقوله:"الفكرة الرئيسية في مذهب الإسماعيلية" فيقول: "يعني ما تدين به الإسماعيلية من أن للعقل الكلي تجليات في مظاهر متعاقبة بدئت بآدم، وختمت بالإمام السابع، وللمظهر اللاحق الأفضلية على المظهر

---

(١) البهائية، عبد الرحمن الوكيل، (ص ٤٥ــ٤٦).

(٢) الإسماعيلية: فرقة باطنية انتسبت إلى الإمام اسماعيل بن جعفر الصادق، ظاهرها التشيع لآل البيت، وحقيقتها هدم عقائد الإسلام، تشعبت فرقها وامتدت عبر الزمان جتى وقتنا الحاضر، وحقيقتها تخالف العقائد الإسلامية الصحيحة. وقد مالت إلى الغلو الشديد لدرجة أن الشيعة الأثنى عشرية يكفرون اعضاءها. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، مانع الجهني، (ج١، ص٣٨٣).

السابق؛ لأنه ينجز العمل الذي لم تنجزه المظاهر السابقة، وهو يستلزم القول بعدم انقطاع الوحي، ويعلق جولدزيهر على هذا بقوله: "إن القول بهذا يهدم إحدى دعائم الإسلام الأساسية، وإن هدف الإسماعيلية هو التقويض والتدمير لأركان الإسلام"[(١)][(٢)].

وقد تتبع الشيخ العلاقة التاريخية بين الشيعة والبهائية في نحو ٤٥ صفحة من كتابه "البهائية تاريخها وعقيدتها وصلتها بالباطنية والصهيونية" وجعل ذلك تحت عنوان "من السبئية إلى البابية".

وأوضح فيه الجذور التاريخية للشيعة من عهد عبد الله بن سبأ اليهودي ونشأته لفكرة التشيع مروراً بتقسيمات الشيعة عبر التاريخ الإسلامي ووصولاً إلى نشأة البابية ومن ثم البهائية، مبيناً كثيراً من التشابه العقدي بين الشيعة والبهائية [(٣)].

---

(١) (ص ٢١٣ العقيدة والشريعة) لجولدزهير . نقلاً عن الشيخ في البهائية.

(٢) البهائية، عبد الرحمن الوكيل ، (ص ١٢٧).

(٣) البهائية، مرجع سابق ، (من ص ٤١ ــ٨٨).

المطلب الثاني

علاقة البهائية بالصوفية

لقد استطاعت البهائية أن تكون مزيجاً عجيباً من عقائد شتى ليكون هو دينها الجديد؛ فاقتنصت شيئاً من الشيعة، وجزت قطعة من أختها الصوفية، وقضمة من الغنوصية، وهكذا.

يقول الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ موضحاً هذه العلاقة بين الصوفية والبهائية: (يقول بروكلمان في حديثه عن الباب: "والواقع أن التفنن في اصطناع الأعداد الذي احتل مكاناً واسعاً في الصوفية الإسلامية القديمة ساعده على تفسير عقيدته وتأويلها، وكان العدد "١٩" ذا قدسية خاصة؛ لأنه يمثل القيمة العددية لكل من مجموع أحرف الكلمتين العربيتين "واحد" أو "وجود"[(١)].

ويقول جولدزيهر عن الباب: "إنه اعتمد على مقدمات غنوصية كما مزج آراء الثقافة العصرية بالدقائق الفيثاغورية[(٢)]ولعب كالحروفيين بتجميعات الحروف، واهتم بما لها من خطر كبير من حيث قيمتها العددية، وكان أخطرها شأناً في تقديراته الرقم ١٩ الذي جعل منه نقطة مركزية استند عليها في حساباته التي تشغل جانباً كبيراً من مباحثه وأفكاره)[(٣)].

ومن أظهر سمات العلاقة الوطيدة بين الفكر الصوفي والبهائية إيمان الأخيرة بوحدة الوجود التي هي عقيدة أكثر التصاقاً بالتصوف، حتى صارت سمة من سماته التي لا تكاد تفارقه.

ينقل الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ بعض نصوص وحدة الوجود عن البهائية فيقول: (يقول عبد البهاء: "إن للحقيقة الكلية والهوية اللاهوتية الظهور في جميع المراتب

---

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية، لبروكلمان ، (ج٤، ص١٦٢) نقلاً عن الشيخ.

(٢) نسبة إلى الفيلسوف اليوناني فيثاغورس، الذي ولد قبل الميلاد في ساموس، ويرى فيثاغورس أن العالم عدد ونغم .نقلاً عن الشيخ في البهائية.

(٣) البهائية، عبد الرحمن الوكيل ، (ص١٢٧ــ١٢٨).

والمقامات والشؤون؛ لأنها واحدة المراتب ساطعة البرهان لامعة الحجة في كل كيان " ويقول البهاء: "إن كل الممكنات والمخلوقات حاكية عن ظهور العز المعنوي وبروزه" ثم يستشهد البهاء على أن الحقيقة الإلهية هي كل حقائق الممكنات بقوله سبحانه: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾﴾[1] "وكل شيء أحصيناه كتاباً" فالحقائق الوجودية حروف وكلمات والحقيقة الإلهية هي الكتاب الحاوي لكل حرف وكلمة، ويقول أبو الرذائل[2]: "إن مظاهر أمر الله كلهم مظاهر حقيقة واحدة، وهم جميعهم في حكم إنسان متفرد، ونفس مفردة، أولهم عين آخرهم، وسابقهم عين لا حقهم")[3].

ثم يستطرد الشيخ في النصوص الدالة على إيمان البهائية بوحدة الوجود وسرقتها لها من الصوفية، وأكثر من النقل عن كتبهم في إثباتها بنصوص صريحة الدلالة عليها.

وليس هذا فحسب؛ بل إن الحقيقة الإلهية في نظر البهائية هي نفسها الحقيقة الإلهية في الفكر الصوفي.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (... والبهائية على دين الجهمية ودين الصوفية التي تقول عن الله: "اعلم أن حقيقة الذات الإلهية ــ من حيث هي كذلك ــ لا وصف لها ولا رسم؛ فهي العماء؛ إذ لا يمكن معرفتها بوجه من الوجوه ما لم تتعين بصفة"[4]، ويقول القاشاني عن الله: "هو من حيث هو مقدس عن النعوت والأسماء

---

(١) (سورة النبأ: آية ٢٩).

(٢) يقول عنه الشيخ / عبد الرحمن الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ: (هو الميرزا أبو الفضائل الجرفادقاني داعية البهائية الأكبر وداهيتهم بعد عبد البهاء، وقد عاش في مصر طويلاً يكتم أول الأمر إيمانه بالبهائية نافثاً سمومه في خفاء ثم استعلن حينما استوثق من الأمان لنفسه وراح يجادل ويناضل ويكتب في الصحب ولا سيما المقتطف لإقامة البراهين على كمال دين البهائية وقد بلغ من دهائه أنه خدع عن حقيقته الزعيم مصطفى كامل ؛ فجعله يثني عليه وعلى كتابه الدرر البهية في صحيفة اللواء). البهائية (ص١٧٥).

(٣) البهائية، عبد الرحمن الوكيل (ص٢٠٤).

(٤) (ص ٩٣ جامع الأصول في الأولياء) الكمشخانلي ، نقلاً عن الشيخ.

لا نعت له ولا رسم ولا اسم، ولا اعتبار للكثرة فيه بوجه من الوجوه"(١)، وقارن بين هذا وبين قول البهائية تجده هو هو(٢).

والذي يهمني هنا هو بيان أن هناك علاقة وطيدة بين البهائية والشيعة والصوفية أكثر من علاقتها ببقية الفرق، مما سيكون له تأثير على ردود الشيخ عليها؛ إذ ستعمق دراسته للبهائية ما تقدم له من معرفة تامة بالصوفية وعقائدها، وسيكون رده على البهائية موازياً لردوده على المتصوفة.

(١) (ص٣ شرح فصوص الحكم، للقاشاني، طبع حجر ١٣٩٩هـ) نقلاً عن الشيخ.
(٢) البهائية عبد الرحمن الوكيل ، (ص ١٨٥).

المبحث الثالث

أهم انحرافاتها العقدية ورد الشيخ عليها

لقد انحرفت فرقة البهائية كما لم تنحرف فرقة أخرى؛ وجمعت جل انحرافات من سبقوها، وكونت من ذلك خليطاً غاية في البعد عن الإسلام، ومتعمقاً في البحث عن وسائل تفكيك أمة الإسلام، والقضاء على دينها الذي هو أساس وحدتها، وحبلها الذي يجمعها، ويشد تماسكها.

والذي يدرس البهائية سيلاحظ أن انحرافها تميز عن غيره بمميزات من أهمها:

١ ــ أن انحرافها عن الإسلام لم يكن انحرافاً عادياً؛ بل كان اختلاف تضاد في مصدر التلقي، وفي المنهج، وفي الممارسة.

٢ ــ أن انحراف البهائية كان سافراً عن وجهه؛ لا يساوره خجل، ولا يتغطى بغطاء فهم أو تأويل بعيد، أو نحو ذلك مما كانت تتستر به الدعوات الضالة التي سبقتها.

٣ ــ أن انحراف البهائية كان في الأصول لا في الفروع، فلم يقروا بربوبية الله تعالى؛ بل كان ربهم هو الباب ثم البهاء...

٤ ــ أن انحراف البهائية كان مدعوماً دعماً مطلقاً من الاستعمار والصهيونية وبشكل جهري لا سري؛ وترسل لهم الأموال والدعم جهاراً نهاراً، ويحتفى بهم في وضح النهار من اليهود وأعوانهم.

٥ ــ أن انحراف البهائية كان مبناه على أساس نسخ الإسلام بالكلية، ومن أجل ذلك طالبوا في مصر بالاعتراف بهم كدين جديد.

ولقد اهتم الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ في الرد عليهم في عقائدهم المكفرة وكان ذلك ميزة من ميزات الإنصاف التي يتحلى بها الشيخ رحمه الله تعالى، وإلا فإن مثل هؤلاء لا تحتاج انحرافاتهم إلى رد؛ إلا كما يرد على إبليس وفرعون.

وسوف أبين هنا أهم العقائد في نحلة القوم، ورد الشيخ عليهم.

المطلب الأول

قولهم بنسخ الإسلام

لقد كان من أول أهداف أول مؤتمر تعقده أم البهائية هو القول الصريح بنسخ الإسلام، وإبدال تعاليم الباب محل شرائع الإسلام.

وهو ما سارت عليه البهائية بعد ذلك بشكل صريح لا لبس فيه.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (القرة تقود حملة النسخ، على أن البشروئي والقدوس رفضا القول بنسخ البابية للشريعة الإسلامية، ولكن قرة العين أرغمتهما على السكوت، وعلى أن يحتجبا عن المؤتمر إلى أن تنتهي هي من إعلام المؤتمرين بأن البابية ناسخة للشريعة الإسلامية، أما البهاء فادعى أنه مريض؛ ليكون بنجوة من الهلكة إذا فشلت قرة العين في إقناع المؤتمرين، وقبض عليها، إذ كانت العادة المتبعة أن لا يحكم بإعدام المرأة، ولهذا تستر البابيون خلف قرة العين.

خطبة قرة العين: واندفعت قرة العين مسفرة تتلهب أنوثتها الفاجرة، وتتقتل فتنتها الطاغية، واعتلت منصة الخطابة، وراحت تقول: "اسمعوا أيها الأحباب والأغيار، اعلموا أن أحكام الشريعة المحمدية قد نسخت الآن بظهور الباب، وأن أحكام الشريعة الجديدة البابية لم تصل إلينا، وأن اشتغالكم الآن بالصوم والصلاة والزكاة وسائر ما أتى به محمد كله عمل لغو، وفعل باطل، و لا يعمل بها بعد الآن إلا كل غافل وجاهل.

إن مولانا الباب سيفتح البلاد ويسخر العباد، وستخضع له الأقاليم السبع المسكونة، وسيوحد الأديان الموجودة على وجه البسيطة، حتى لا يبقى إلا دين واحد، وذلك الدين الحق هو: دينه الجديد، وشرعه الحديث الذي لم يصل إلينا إلى الآن منه إلا نزر يسير فبناء على ذلك أقول لكم ــ وقولي هو الحق ــ لا أمر اليوم ولا تكليف ولا نهي ولا تعنيف، وإنا نحن الآن في زمن الفترة...)[1].

(١) البهائية عبد الرحمن الوكيل (ص١٠٦ــ١٠٧).

وصرح الباب بنسخ دينه الجديد لجميع الأديان السابقة بما فيها الإسـلام، وأن كتابه أفضل من القرآن وناسخ له في رسالة بعث بها إلى الشيخ / محمود الألوسي صاحب التفسير المعروف(١).

أما البهاء فيصـرح هو الآخر بأن شرعه ناسخ للإسلام بالكلية؛ بـل لكـل الشرائع السابقة.

يقول الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ: (قال البهاء قبل أن يزعم أنه الرب: "طويت سماوات الأديان، وارتفعت سماء البيان" والبيان هو كتاب الباب، وعبد البهاء يكـذب أباه؛ فيزعم أن الباب لم يأت بشرع جديد!!.

وحينما زعم البهاء أنه الرب زعم أن شريعته التي سرقها من الباب ناسخة لكل شريعة؛ فيقول عن نفسـه: "وأنزل لكم ما تبقـى به أذكاركم، وأسماؤكـم في كتاب لا يأخذه المحو، ولا تبدله شبهات المغرضين، ضعوا ما عند القوم، وخذوا ما أمرتم به من لدن آمر قديم "لأن الله سبحانه ـ كما تفتري البهائية ـ قد قدر محو كل دين وإبطـال كل ملة عند ظهوره ـ جل شأنه ـ في صورة البهاء...)(٢).

والجدير بالذكر أن عباس عبد البهاء نفسه هو الآخر صرح بأن دينهم جديـد؛ وإن كان يزعم ـ نفاقاً ـ أنه مسلم سني.

يقول عباس أفندي: (.. فالجميع يجدون في تعـاليم بهـاء الله منتـهى آمـالهم ورغائبهم؛ فمثلاً يجد أهل الأديان في تعاليم بهاء الله تأسيس دين عمومي في غاية الموافقة للحالة الحاضرة)(٣).

---

(١) البهائية، عبد الرحمن الوكيل، (ص ١٢٦) وعزاه الشيخ لرسائل الإصلاح للشيخ محمد الخضر الحسين شيخ الأزهر الأسبق (ج٣، ص٩٨).

(٢) المرجع السابق (ص ٢٣٩).

(٣) الموسوعة البهائية دراسة نقدية للديانة البهائية، خالد محمد عبده (ص٣٤).

المطلب الثاني

ادعاء البهاء الربوبية

زعمت البهائية ـــ ومن قبلها أمها البابية ـــ أن البهاء رب تجسدت فيه الحقيقة الإلهية في كمالها، ولم تخجل من التصريح بذلك؛ بل جعلته أس عقيدتها، والفاصل بينها وبين الإسلام.

يقول الشيخ ـــ رحمه الله تعالى ـــ ناقلاً هذا المعتقد عنهم وراداً عليه: (زعمت البهائية ـــ كما بينا من قبل ـــ أن الحقيقة الإلهية لا بد لها من التعين في جسد بشري، وأنها تظل تنتقل من جسد إلى جسد حتى تبلغ كمالها الأعظم في هيكل إنساني يكون هو أعم هياكلها، أو تجسداتها، أو تناسخاتها، ولا يهم أن تغضب البهائية من التعبيرين الآخرين، فمن يعرفها يؤمن بنفاق غضبها.

وقد زعمت البهائية أن "الميرزا" حسين علي النوري، هو هذا الجسد البشري الذي تجسدت فيه الحقيقة الإلهية بكمالها الأعظم، وأنه هو المقصود بقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢﴾[1] وأنه هو قيوم الوجود أزلا وأبدا وأنه هو الروح الإلهي الذي كان يوحي إلى الأنبياء والرسل وأنه هو الله الذي كلم موسى ورفع عيسى، ونزل القرآن على محمد.

أما موسى وعيسى ومحمد وكل الرسل، فلم تكن لهم من مهمة سوى التبشير بظهور الله في جسد البهاء، وإعداد القلوب، وتهيئتها لقبول تجلي الله الأتم الأكمل الأبهى في الميرزا "النوري"!.

ومما يصف به عبد البهاء دور ظهور الله في جسد أبيه قوله: "دور الحقائق والأسرار في هوية عوالم ربك العزيز المختار" يعني أن الله حينما اتخذ جسد أبيه مظهراً

---

(١) (سورة الفجر: آية ٢٢).

لحقيقته أظهر كل ما ادخر من سر وقدر وحقيقة، وأشرق بكل اسم له وصفة، وما ننقل عنهم إلا ما قالوه في كتبهم المقدسة)[١].

وهذا الادعاء الصريح من البهائية بربوبية البهاء، مع ظهور سقوطه، وكفر قائله كفراً أكبر؛ إلا أنه حتى من الناحية العقلية المحضة متناقض مع ما يصرح به البهاء نفسه من ربوبية شيخه الباب.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ موضحاً ذلك التناقض: (... ولكن ما رأي البهائيين فيما وصف به البهاء الباب:"كل الأمور محتاجة لأمره، وما سواه مخلوق بأمره، وموجود بحكمه" وحينما سئل عبد البهاء في لندن عن الباب: أكد أنه لم يكن غير مصلح فحسب ومبشر بظهور البهاء"[٢] فقارن بين الكذبين)[٣].

وينقل الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ عن عبد البهاء تصريحه بربوبية أبيه تصريحاً واضحاً فيقول: (... يقول عبد البهاء عن أبيه: "تجلى رب الأرباب والمجرمون لخاسرون، وهو الذي أنشأ لكم النشأة الأخرى، وأقام الطامة الكبرى، وحشر النفوس المقدسة في الملكوت الأعلى".

وإنما كان له وحده هذا المقام الأعظم لأنه ــ كما يزعم ابنه ــ هيكل الجلال الذي بسببه استقر الرحمن على عرش الأكوان، وتلألأت فيه حقيقة الله، وتشعشعت على آفاق الإمكان، ولأنه كان بهاء السماوات والأرض أزلا، وسيظل كذلك أبدا، ولقد أشرقت شمس الحقيقة الإلهية من أفقه بقوة وشعاع لم يسبق لهما مثيل!! لهذا لا يقارن به مطلع من المطالع؛ فما لأحد منهم نفوذه الباهر، وقدره القاهر وكيف وهو عين الحقيقة الإلهية في غيبها وشهودها، والسماء التي صعد إليها عيسى وعالم الغيب الذي ظهرت منه

---

(١) البهائية ، عبد الرحمن الوكيل ، (ص٢٢٢).

(٢) (ص ٤٥ خطابات). نقلاً عن الشيخ.

(٣) البهائية ، مرجع سابق ، (ص ٢٢٢).

رسالة الرسل والعرش الذي عرج إليه الرسول، وهو الوجود والموجود، إنه فوق ما ظهر وفوق ما سيظهر، ولن يظهر بعده من هو أكمل منه [١])[٢].

ويبن الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ قول البهاء بأن له المشيئة المطلقة والعلم المحيط وزعمه بأنه هو الله الخالق لكل شيء وأنه يرعى الكون وهو ميت [٣].

ثم يذكر أدلة البهائية على ربوبية البهاء فيذكر منها:

١ـ **الدليل الأول الكتاب:** ويذكر فيه الشيخ النقل عن البهاء في أن كتابه يمتاز بتأثيره التام في هداية النفوس، وإحياء الأمم، وتهذيب أخلاق الشعوب، وإيجاد أمة جديدة مستقلة نامية، وتشريع شريعة مهذبة باقية، وقهر من يقاومه من الأمم والغلبة على من يمانعه.

ويرد الشيخ على هذا الدليل من وجهين:

أ ــ التناقض العقلي: فقد ذكرت البهائية في موضع آخر أنه لم يكن من مطلبها تكوين أمة جديدة[٤].

ب ــ الواقع: حيث إن البهائية لم تنشئ أي أمة جديدة نامية؛ بل إن البهائيين أنفسهم ما هم إلا عبيد للاستعمار والصهيونية.

فأين هذه الشعوب التي هذبتها البهائية؟

ومما يزيد هذا الادعاء عواراً وكذباً أن قطب البهائية يعيش في إسرائيل مسخراً لأحقادها، ومسخراً أتباعه في كل بلد لشهواتها، وكذا بقية أعضاء البهائية في أمريكا والهند وبرما وتركستان وإسرائيل، وبقية البلدان التي تتواجد فيها [٥].

---

(١) نصوص الفصل ص ١٠٢،١٣٨، ١٤٨، ١٥٦، ٢٠٨ نقلاً عن الشيخ.

(٢) البهائية، عبد الرحمن الوكيل (ص ٢٢٤).

(٣) البهائية، مرجع سابق (ص ١٢٧ــ١٢٨).

(٤) (ص٣٧ الحجج). نقلاً عن الشيخ.

(٥) البهائية، مرجع سابق (ص٢٢٧ــ٢٢٨).

٢- **الدليل الثاني هو المسمى بالدليل العقلي:** حيث يقول البهائيون إن وراء كل دين قوة إلهية تعمل على انتشاره دون استناد إلى أسباب بشرية"[١].

ثم يزعمون أن هذه الأسباب البشرية قد انتفت عن البهائية؛ فلم يبق إلا أن تكون مستندة إلى إرادة إلهية، وقدرة ملكوتية سماوية أدت إلى انتشارها بسرعة.

ثم يرد الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ على هذا الدليل من ثلاثة أوجه:

الأول: أن كل دعوة مارقة تستطيع أن تزعم ما زعمته البهائية، وأقرب مثال على ذلك: الباطنية حيث بدأت دعوتها في سجن بالعراق "[٢] ثم انتشرت حتى أنشأت لها دولة كبرى في شمال إفريقية.

الثاني: أن البهائية ـ على عكس دعواها ـ ظلت تتعرض للفشل الذريع في دعوتها؛ ولم تنتشر في المنتسبين لها إلا بدعم كبير من القوى الاستعمارية والصهيونية في المنطقة.

الثالث: أن الجهد البشري لم يغب عن هذا الانتشار البهائي الضعيف؛ حيث استندت إلى تراث كل دعوة مارقة قبلها، ولا سيما تراث الصوفية والإسماعيلية، وتأويلاتها الكافرة للآيات القرآنية مسبوقة بها من الباطنيين وإشاراتها الفلسفية، وما حشت به كتبها من أسرار الأعداد والحروف، وكل هذا مبثوث في كتب الحروفية والعددية.

---

(١) (الحجج ص٤١) نقلاً عن الشيخ .

(٢) الفرق بين الفرق ، البغدادي ، (ص١٦٩).

وأما نزعة البهائية الخلقية فهي مزيج من المسيحية والبوذية[١] والبرهمية[٢].

فهل يمكن ــ بعد هذا ــ أن تنفي البهائية استمدادها من المعارف الاكتسابية؟![٣].

٣ـ الدليل الثالث: البشارات:

ينقل الشيخ عن أبي الرذائل قوله: "من نظر في الكتب السماوية فلن يجدها إلا أناشيد لهجت بها ألسنة الأنبياء في محامد ربهم الأبهى".

ثم يقول: (وقد تجلى لنا أن الصهيونية هي التي أمدت الميرزا بما جاء في أسفارها عن بهاء الله ــ بعد أن لقبته به ــ ودفعته إلى أن يزعم المقصود بما ورد في كتبها عن بهاء الله، وقد فعلت هذا كل فرقة قامت تناهض الإسلام، يقول الدكتور / محمد كامل حسين في كتابه طائفة الدروز: "استشهد الكرماني بنصوص من الكتب المقدسة التوراة والإنجيل والقرآن في البشارة بالحاكم" وقد جاء في رسالة مباسم البشارات للكرماني هذا استشهاده بفقرات من سفر أشعياء ــ وهي نفس الفقرات التي استشهدت بها البهائية ــ وقد زعم الكرماني أن هذه الفقرات التي استشهد بها

---

(١) البوذية: هي فلسفة وصفية انتحلت الصبغة الدينية ، وقد ظهرت في الهند بعد الديانة البرهمية الهندوسية في القرن الخامس قبل الميلاد . وكانت في البداية تناهض الهندوسية وتتجه إلى العناية بالإنسان ، كما أن فيها دعوة إلى التصوف والخشونة ونبذ الترف والمناداة بالمحبة والتسامح وفعل الخير . وبعد موت مؤسسها تحولت إلى معتقدات باطلة ذات طابع وثني ولقد غالى اتباعها في مؤسسها حتى ألهوه . وهي تعد نظاماً أخلاقياً ومذهباً فكرياً مبنياً على نظريات فلسفية ، وتعاليمها ليست وحياًوإنما هي آراء وعقائد في إطار ديني ، وتختلف البوذية القديمة عن البوذية الجديدة في أن الأولى صنعتها اخلاقية ، في حين أن البوذية الجديدة هي تعاليم بوذا مختلطة بآراء فلسفية ، وقياسات عقلية عن الكون والحياة ــ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ، مانع الجهني، (ج٢، ص٧٥٨).

(٢) البرهمية: هي الاسم الآخر للهندوكية ، وهي نسبة إلى براهما الذي يمثل عند الهندوك القوة العظيمة السحرية الكامنة التي تطلب كثيراً من العبادات : كقراءة الأدعية ، وإنشاء الأناشيد ، وتقديم القرابين والبراهمية مشتقة من البراهما لتكون علماً على رجال الدين كأن يعتقد أنهم يتصلون في طبائعهم بالعنصر الإلهي ، ولذا لا يجوز ذبح الذبائح إلا في حضرتهم وعلى إيديهم . الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ، مانع الجهني ، (ج٢، ص٩٨٥).

(٣) البهائية، عبد الرحمن الوكيل (ص ٢٢٩ــ٢٣٠).

لا تدل على عيسى وإنما تدل على الحاكم. وكذلك زعمت البهائية وقد سبق ذكر بعضهم، ونذكر هنا منهم سليمان بن الحسن القرمطي، ومن شعره:

ألست أنا المذكور في الكتب كلها ألست أنا المبعوث في سورة الزمر) [(١)].

٤ـ الدليل الرابع: المعجزات:

ينقل الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ عن أبي الرذائل قوله: "إن معجزات البهاء أقــرب إلى القبول من معجزات سائر الأنبياء".

ويعلق عليه قائلاً: (ثم ينفض حواة البهائية كل ما لهــم من جعاب فلا يساقط منــها إلا أوهام يسمونها معجزات، وإلا ادعاء الكذب الصراح أنه صدق جليل؛ فيقــول أبو الرذائل: "قل من أدرك أيام ربنا الأقدس الأبهى جل ذكره، وعز اسمه مدة مــن الذين يوثق بأقوالهم إلا وشاهد منه معجزة" وما تلك المعجزات؟ يجيب عبد البــهاء عن هذا بقوله عن أبيه إنه: "أنشأ النشأة الأخرى، وأقام الطامة الكــبرى، وحــشر النفوس المقدسة في الملكوت الأعلى " فهو إذن رب الآخرة والأولى)[(٢)].

---

(١) البهائية، عبد الرحمن الوكيل (ص٢٣٠).

(٢) البهائية، المرجع السابق (ص٢٣١).

المطلب الثالث

انحرافهم في الحقيقة الإلهية

سلكت البهائية في تصورها عن الله تعالى مسلك من سبقها من المبتدعة الصوفية، والفلسفة والباطنية وغيرهم، ومزجت عقائدهم في الله تعالى منتقية أسوأ ما في كل عقيدة.

وقد بين الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ عقيدة البهائية في الحقيقة الإلهية ورد عليها؛ وأوضح ما تؤول إليه من عبادة عدم محض..

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (... تقول البهائية عن الله سبحانه:"إنه حقيقة ربانية وكينونة صمدانية، وهو غيب في ذاته، وكنز مخزون في صفاته، ومجرد بحت في حقيقته وهويته، لا يوصف بوصف، ولا يسمى باسم، لم تزل كانت ذاته، ولا تزال تكون مقدسة عن كل اسم، ومنزهة عن كل وصف، ليس لجواهر الأسماء في ساحة قدسها طريق، ولا للطائف الصفات في ملكوت عزها سبيل، وكل تسبيح أو تقديس أو تنزيه وتمثيل وتشبيه ذكر من حيز العجز والنسيان ولو تكون طائرا في هواء قدس ــ كان الله ولم يكن معه شيء ــ لترى أن جميع هذه الأسماء لدى تلك الساحة: معدومة عدماً صرفاً، ومفقودة فقداً بحتاً"[(١)].

هذه هي عقيدة البهائية بنفس ألفاظهم، وهي مسبوقة بهذه الزندقة من مخانيث الفلسفة والصوفية والباطنية، والإسماعيلية والدرزية، وهي زندقة حيرى بين عبادة عدم وعبادة صنم؛ فالمجرد الصرف، والكلي البحث، وجوده ذهني لا عيني، أي لا حقيقة له خارج الأذهان، وهم يقولون في غلو التجريد أو السلب أو النفي: إن الله سبحانه لا يوصف بوصف، ولا يسمى باسم ولا يذكر بذكر، ويضلون مع هذا التجريد، وهذا السلب أو النفي في تيهه الذي ليس له من آخر!! فهل تجد أو ترى بعد هذا التجريد

---

(١) (ص ١٣٣مكاتيب ص٢٤، الحجج ص٢٥ ،،١١٣ إيقان ص٢٢٠ مكاتيب، ص١٢، إشراقات).نقلاً عن الشيخ.

الصرف، أو السلب الخالص وجوداً أو تحس به، أو أنك في الحقيقة لا تتصور ولا تجد سوى مفهوم العدم؟ قد يقال: كيف يتهمون بأنهم يحكمون على الحقيقة الإلهية بأنها عدم؟ وكيف يحكمون عليها بأنها وجود، وفرق كبير بين الوجود والعدم؟ وأقول رداً على هذا: إن التفرقة هنا تفرقة اسمية أو لفظية أو تصورية، فحسب؛ لأن مفهوم الوجود مع هذا التجريد هو: مفهوم العدم، فالتفرقة الحقيقة تستلزم وجود شيئين ووجود صفة في أحدهما ليست موجود في الآخر، فبماذا نفرق بين الوجود البهائي وبين العدم؟ والبهائية تنفي عن الوجود كل اسم وصفة إيجابية، أو سلبية، وبتعبير آخر نقول: إن كل موجود لا بد له من صفة تبين ما هو، وبها يثبت وجوده، وصفة سلبية بها يتميز عن غيره، وإلا فلن نستطيع التفرقة بين اثنين، والبهائية تنفي عن ربها كل صفة إيجابية فكيف نسميه وجوداً، أو بماذا نثبت وجوده؟ وتنفي عنه كل صفة سلبية، فكيف نميزه عن سواه؟ وأقول أيضاً: إن التفرقة تستلزم التحديد والتحديد يستلزم وجود الصفات وهم ينفونها ثم هم يقولون عن الله: إنه كلي فإذا كان كليهم هذا وجوداً مطلقاً بشرط الإطلاق لزمهم الحكم على الله بأنه عدم أو مجرد تصور ذهني فحسب، وإن كان وجوداً مطلقاً لا بشرط الإطلاق لزمهم الحكم على الله بأنه جزء من المعينات، أو بأن وجوده جزء من وجود خلقه أو بأن الخالق صنعة الخلق أو هو هو، وهذا دينهم، والعقل لا يتصور أبداً أن يكون الخلق عين الخالق، أو خالقا له، وهذا الذي لا يتصوره عقل، ولا يقره دين هو: دين البهائية الذي يعبد عدماً ويسميه وجوداً، وصنماً ويسميه رباً معبوداً!!)[1].

هذا هو تفصيل عقيدة البهائية في الحقيقة الإلهية؛ ويمكن تلخيص نظرتهم في الله تعالى في نقطتين:

الأولى: أن الله تعالى عدم محض؛ يدل على ذلك أنهم لا يرضون أن يوصف الله تعالى بصفة أو يسمى باسم أو يذكر بذكر.

الثانية: أنه موجود وجوداً ذهنياً لا عينياً؛ وهذا يفضي إلى سابقه؛ لأن التفرقة هنا تصبح لفظية لا حقيقية.

---

(١) البهائية عبد الرحمن الوكيل (ص١٨٥ــ١٨٦).

ويرد الشيخ على هذه النظرة إلى الحقيقة الإلهية من وجهين:

١ ــ أن التفرقة الحقيقة بين العدم والوجود تستلزم وجود شيئين، ووجود صفة في أحدهما ليست موجودة في الآخر حتى يصح التمييز بينهما.

٢ ــ أن كل موجود لا بد له من صفتين:

أ ــ صفة إيجابية تبين ما هو؛ وهي التي بها يثبت وجوده.

ب ــ صفة سلبية وبها يتميز عن غيره.

وبما أن البهائية يقولون إن الله تعالى كلي يريدون بذلك الخروج من إلزامهم بوصف الله تعالى فإنهم قد تناقضوا مع ذلك تناقضاً عظيماً؛ لأنهم جعلوه كلياً مطلقاً والكلي المطلق بشرط الإطلاق يلزم منه جعل الله تعالى عدماً محضاً؛ لأن المناطقة متفقون على أن الكلي المطلق بشرط الإطلاق لا وجود له في الخارج.

وإن عنوا الكلي المطلق لا بشرط الإطلاق لزمهم القول بأن الله تعالى إما جملة المخلوقات أو جزءاً منها أو صفة من صفاتها؛ وهم في كل ذلك مخالفون للعقل والدين؛ لأن الكلي المطلق لا بشرط الإطلاق لا وجود له بذاته؛ وإنما يكون وجوده تابعاً لوجود غيره؛ مع أن جمهور المناطقة وغيرهم على أن ما يوجد في الخارج ليس إلا معيناً؛ ولا يكون مطلقاً أصلاً.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ مجليا هذه النقطة: (ومعلوم أن المطلق لا وجود له في الخارج ولا يوجد إلا معيناً وهذا من أوائل ما في المنطق عندهم والمطلق بشرط إطلاقه قد اتفقوا على أنه لا يوجد في الخارج.

وأما المطلق لا بشرط فقد غلط فيه بعضهم كالرازي وادعى وجوده في الخارج وأنه جزء من المعين.

والجمهور يعلمون أن ما يوجد في الخارج ليس إلا معيناً ليس مطلقاً أصلاً وابن سبعين يجعله تارة في كلامه الكلي وأجزاء العالم أجزاؤه وتارة يجعله الكلي الذي هو الوجود فلا يكون له وجود في الخارج بحال ولكن كلامه يقتضي أنه يجعل الكلي المطلق

موجوداً في المعين على القول الضعيف وإذا نزلنا معه على هذا التقدير يكون الرب تعالى عندهم جزءاً من كل موجود مخلوق.

فهم بين أن يجعلوه جملة المخلوقات أو جزءاً من كل مخلوق أو صفة لكل مخلوق أو يجعلونه عدماً محضاً لا وجود له إلا في الأذهان لا في الأعيان ثم هم مع هذا التعطيل الصريح والإفك القبيح يتناقضون ولا يثبتون على مقام)[١].

وبعد أن رد الشيخ / عبد الرحمن الوكيل على البهائية بالعقل المحض، والمقدمات المنطقية؛ رد عليهم بكتاب الله تعالى فقال: (نور من الحق: وفي هذا التيه المظلم يتجلى لنا نور الحق هادياً إلى اليقين من القرآن في قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾[٢].

وصف بالنفي، ووصف بالإثبات، ومن يتدبر الذكر الحكيم يجد أنه جاء في صفات الله بإثبات مفصل، ونفي مجمل، على نقيض ما يدين به المعطلة، وعبد العجل من القائلين بالحلول ووحدة الوجود؛ فقد أسرف الأولون في النفي حتى صيروا معبودهم عدماً، وأسرف الآخرون في الإثبات، فلم ينفوا عنه شيئاً، فكان أن ألهوا كل شيء!!.

ثم تدبر قوله سبحانه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٢٤﴾[٣].

---

(١) بغية المرتاد لإبن تيمية ، (ج٢، ص٢٦٩ــ٢٧٠).

(٢) (سورة الشورى:آية١١).

(٣) (سورة الحشر:آية٢٣ــ٢٤).

وكل اسم إلهي جليل من هذه الأسماء له معناه الجليل ودلالته على صفة إلهية جليلة، وإلا بهتنا الله بأنه يسمي نفسه بما ليس له معنى؛ فما الذي يدعونا إلى إغماض العين والقلب عن هذا النور الإلهي؛ لنخبط دياجير ليل اغتال الأبد السحيق فجره؟!)[١].

ويمكن تلخيص أدلة الشيخ القرآنية التي رد بها على عقيدة البهائية في الحقيقة الإلهية كما يلي:

١ ــ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[٢].

ولا شك أنها صريحة في الرد على قولهم في الحقيقة الإلهية حيث تثبت الصفات لله تعالى مع نفي مماثلته لأي شيء.

وهي آية لطالما استدل بها علماء السلف على قضية الصفات؛ وردوا بها المنحرفين فيها أياً كان ذلك الانحراف، وبينوا من خلالها المنهج الحق في هذا الباب.

يقول ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ: (... فنفي حقائق أسمائه متضمن للتعطيل والتشبيه وإثبات حقائقها على وجه الكمال الذي لا يستحقه سواه هو حقيقة التوحيد والتتريه فالمعطل جاحد لكمال المعبود والممثل مشبه له بالعبيد والموحد مبين لحقائق أسمائه وكمال أوصافه وذلك قطب رحى التوحيد فالمعطل يعبد عدماً والممثل يعبد صنماً والموحد يعبد رباً ليس كمثله شيء له الأسماء الحسنى والصفات العلى وسع كل شيء رحمة وعلماً)[٣].

٢ ــ قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ

---

(١) البهائية، عبد الرحمن الوكيل (ص ١٨٧ــ١٨٨).

(٢) (سورة الشورى: آية ١١).

(٣) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، ابن قيم الجوزية ، ت : على بن محمد الدخيل الله ، دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة ٣،١٤١٨هــ/١٩٩٨م ، (ج١، ص١٤٧ــ١٤٨).

ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[1]. وهي صريحة في إثبات أسماء الله تعالى وتعددها مع دلالتها على مسمى واحد وموصوف واحد.

قال الإمام البيهقي ــ رحمه الله تعالى ــ: (باب بيان صفة الذات وصفة الفعل قال الله جل ثناؤه ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [2] فأشار في هذه الآيات إلى فصل أسماء الذات من أسماء الفعل على ما نبينه إلى سائر ما ذكر في كتابه من أسماء الذات وأسماء الفعل؛ فلله عز اسمه أسماء وصفات وأسماؤه صفاته وصفاته أوصافه)[3].

ومقصود الشيخ / عبد الرحمن الوكيل بالاستدلال بهاتين الآيتين كونهما من أصرح الآيات في إثبات الصفات والأسماء لله تعالى، وكذا فإن الآية الأولى نفت عن الله تعالى مشابهة أي شيء.

ومن هنا فإن من يؤمن بالقرآن الكريم لا يستطيع إلا تكذيب البهائية من خلال هاتين الآيتين إذ هما متعارضتان مع عقيدة البهائية تعارضاً تاماً.

---

(١) (سورة الحشر: آية٢٣ــ٢٤).

(٢) (سورة الحشر: آية٢٢ــ٢٤).

(٣) الاعتقاد للبيهقي (ج١، ص٧٠).

المطلب الرابع

إنكارهم كون الله تعالى هو الخالق والرد عليهم

لم تقتصر البهائية على الانحراف في الحقيقة الإلهية؛ ولم تكتف بدمج كثير من العقائد الفاسدة في تصورها للحقيقة الإلهية؛ بل إنها ذهبت لأبعد من ذلك حين أنكرت كون الله تعالى هو الخالق...

وبعد أن ينقل الشيخ ـــ رحمه الله تعالى ـــ كثيراً من أقوالهم المدونة في كتبهم عن الخلق وعن الرحمة الإلهية وغير ذلك يخلص إلى أنهم ينفون كون الله تعالى هو الخالق.

يقول الشيخ ـــ رحمه الله تعالى ـــ مجلياً هذه النقطة: (والخلاصة أن البهائية تكفر بأن الله خالق، ولا يغرنك التعبير عنه في كتبهم بأنه خالق، فمفهوم "الخلق" عندهم هو التصرف في الأشياء فحسب أو "الفيض" فإذا قرأت في كتاب بهائي كلمة "خالق" فليس معناه أن الله أنشأ الموجودات بعد أن لم تكن أو أنه أوجدها بعد عدم، وإنما معناه "المتصرف" أو "المفيض" لأن كل حقيقة مجهولة من الأزل ثابتة متحققة في غيب القدم ولا يد لله في خلقها أو منحها فطرها كذلك تدين البهائية بأن العالم لا أول له، وبقدم المادة، يدلك على هذا قولهم بالأعيان الثابتة وقول أبي الرذائل السابق: "إن الفرد الذي تتجلى فيه تلك الحقيقة متحقق قبل التجلي ومستحضر موجود" وقول عبد البهاء: "هذا الكون اللامتناهي ليس له بداية ولا نهاية" وقوله: "لو كانت الكائنات عدماً محضاً فلا يتحقق منه الوجود"[(١)].

وتدين أيضاً بأن الإله لا يستطيع أن يغير شيئاً من نواميس الكون فهو قد رأى أعياناً ثابتة أمامه لم يخلقها ولم يعط لشيء منها فطرته، وقد رأى لكل منها استعداداً خاصاً ففاض على هذه الأعيان أو قل: حل فيها، كذلك تدين البهائية بالجبرية المحضة التي تحكم السلوك الإنساني، وبالحتمية المطلقة التي تحكم نواميس الوجود، ولكن تلك الجبرية أو الحتمية لا ترجع إحداهما إلى مشيئة الله فما له يد في هذا ـــ تعالى الله ـــ وإنما ترجع

---

(١) (ص٢٠١ بهاء الله) ، نقلاً عن الشيخ.

إلى طبيعة الأشياء وطبيعة الإنسان فقد كان كل شيء متحققاً ثابتاً باستعداده وقابليته قبل إفاضة الوجود، وعلم الإله البهائي بالأشياء ـ ومنها الإنسان ـ تابع لما تعطيه أعيانها الثابتة بما هي عليه في الأزل من الاستعدادات والقابليات والخواص وإرادته ـ إن كانت له إرادة ـ لا تتعلق حتماً إلا بما علم وما علمه إنما هو تابع لمعلوم سابق على علمه فأفاض الوجود عليها كما هي بخصائصها التي هي لها والتي لم تخل منها أزلا ولا تنفك عنها أبدا مثلها هذا مثل الشكول الهندسية فكما أنك لا تستطيع مطلقاً أن تغير من خواص المثلث أو تبدل فيه تبديلاً معقولاً أو محسوساً كذلك الإله البهائي المسروق من عدة آلهة أمشاج فإنه لا يستطيع أن يغير أو يبدل من طبيعة الأشياء أو قابلياتها أو استعداداتها وهذا يستلزم الحكم على الله سبحانه بأنه ليس له من إرادة ولا مشيئة ولا اختيار وأنه جل شأنه مجبور مغلوب على أمره وأنه يحل في الأشياء فتسيطر عليه طبائعها ولا يسيطر هو على شيء منها)[1].

إذن لا خالق عند البهائية، وإنما هو فيض، أو حلول في الموجودات دون مشيئة أو إرادة أو خلق.

وقد رد عليهم الشيخ بأن هذا الفكر ساقط معلوم السقوط إذ كيف ينفى عن الخالق صفة الخلق، وكيف يعبد إله عاجز لا قدرة له ولامشيئة ولا إرادة؛ بل هو مغلوب على أمره عاجز أمام الأشياء التي يحل فيها.

هذا وقد رد الشيخ على البهائية في عقائد متعلقة بالله تعالى كوحدة الوجود واعتقاد عقيدة التثليث وغير ذلك من المتناقضات التي تحتوي عليها عقيدة البهائية وهي في غالبها غنية عن الرد وبعضها قد رد عليه الشيخ في ردوده على المتصوفة...[2].

---

(١) البهائية، عبد الرحمن الوكيل (ص٢٠١).

(٢) تراجع الفصول السابقة في الرد على الصوفية.

المطلب الخامس

عقيدة البهائية في الرسل والرد عليها

إن الإيمان بالرسل هو ثمرة الإيمان بالله تعالى؛ ونتيجة له؛ ولا شك أن من يتلقى عقيدته عن الوحي سيكون إيمانه بالرسل مضبوطاً بما ينص عليه الوحي الإلهي بخلاف من يجعل الرأي والهوى استمداده ومنطلقه.

ومن هنا كانت عقيدة البهائية في الرسل لا تختلف كثيراً عن نظرتها لله تعالى لا من حيث المنهج ولا من حيث الطريقة والنتيجة.

وقد بين الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ عقيدة البهائية في الرسل من زوايا مختلفة فأوضح أنهم يعتبرون الرسل مظاهر إلهية أو هي تعينات الحقيقة الإلهية، وأنهم أعظم من المرسل وهو أي الله بحاجة إلى الرسل لكي تظهر صفاته وعلمه، أما هم فمستغنون عنه، وأن الرسول هو رب وعبد في آن واحد، وأن للرسل القيومية المطلقة، وأن كل شيء يتحرك بإرادتهم ويوجد بقدرتهم.

واعتبر البهائية ــ كما ينقل عنهم الشيخ رحمه الله تعالى ــ أن الرسل عبارة عن هياكل تتناسخ، ومن هنا فإنه لا تغاير بينهم، ولا معنى لختم النبوة ولا بدئها، فالجميع اسم واحد ورسم واحد وذات واحدة وحقيقة واحدة.

ثم بين الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ أن البهائية مع كل هذه المتناقضات دانت بوحدة الرسل ولكن أبى البهاء إلا أن يجعل نفسه فوقهم جميعاً؛ إذ زعمت البهائية أن الحقيقة الإلهية تنزع إلى الكمال في تعيناتها وأن البهاء هو أكمل وأتم تجسدات الحقيقة الإلهية.

ثم رد عليهم الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ في عقيدتهم في الرسل بما يلي:

١ ــ قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ

﴿فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦﴾[١] وهي صريحة في تعدد الرسل والمغايرة بين المرسل ـ بالكسر وهو الله تعالى ـ والمرسل ـ بالفتح ـ وهم الأنبياء.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿۞وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٥١﴾[٢] وهذه الآية صريحة الدلالة على أنه لا يمكن عقلاً ولا يجوز شرعاً تعدد الآلهة، وإنما هو إله واحد، عكس ما تدعيه البهائية من تعدد الآلهة بتعدد تعيناتها أو مظاهرها.

٣ – أنه من المعلوم بالضرورة أنه قد تعاقب رسل الله ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ يبشرون بالإسلام ويدعون له حتى أكمله الله بالقرآن وختم رسله بمحمد ﷺ.

وهذا مخالف لما تدعوا له البهائية من التناسخ والوحدة في الرسل، وعدم ختم النبوة.

وختم الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ رده على البهائية بعرضه عقيدتهم في عدم إمكانية خلو الوجود من رسول فقال: (تزعم البهائية أنه لا بد من وجود مظهر إلهي في كل زمن ليكون هيكل عبادة الله، وأنه لا يعقل أن يستغني أهل العالم يوما عن الظهورات الإلهية!! ويقول عبد البهاء: "وهذه المدينة تتجدد وتتزين في رأس كل ألف سنة أو ما يقل عن ذلك، أو يزيد" وهو يفسر المدينة بأنها الكتب الإلهية وشرائع الله!! والكتب لا تتجدد إلا على يد مظهر أو رسول!!.

لقد زعمت البهائية كما بينا أن الله لا يعمل ولا يعبد إلا وهو متعين في جسد بشري وأنه لا يعقل انقطاع صدور الأفعال عنه، وهذا يستلزم القول بديمومة تجسده البشري بحيث لا يخلو الوجود لحظة من جسد بشري تتعين فيه الحقيقة الإلهية وإلا انقطع صدور الفعل.

---

(١) (سورة النحل: آية ٣٦).

(٢) (سورة النحل: آية ٥١).

وهذا ما تقول به البهائية أحياناً، غير أن البهاء ــ لكي يضمن لأبنائه وأسباطه وأحفاده السلطة زمناً طويلاً ــ خالف دينه هنا، إذ قرر أن العالم لن ينعم بمظهر جديد بعده إلا بعد مرور ألف سنة قد تزيد وقد تنقص! " احتياطاً للمستقبل.

فأي عالم هذا الذي يظل ألف سنة، دون أن يكون له رب يعمل وإله يعبد؟!)[1].

ولا شك أن الباحث والناظر في عقائد القوم ليجد أن الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ كان منصفاً وليناً ومجادلاً بالتي هي أحسن؛ لأن مثل هذه المتناقضات العقلية الفارغة من أي معنى له قيمة شرعية أو فكرية، لا تحتاج إلى رد، ولا إلى نقاش؛ فالبليد الغر يعرف خواءها، ويكشف زيفها، ومجرد عرضها كاف في دحضها وبيان عوارها.

---

(١) البهائية عبد الرحمن الوكيل ، (ص٢٠٨ــ٢١٥).

المطلب السادس

عقيدتهم في الوحي والرد عليهم فيها

تلك العقائد السابقة ما هي إلا توطئة للنظرة المتناقضة للوحي عامة، وللقــرآن بصفة خاصة.

ذلك أن البهائيين نظروا إلى الوحي انطلاقاً من عقيدتهم في الحقيقة الإلهية وكونها تتجسد أو تتعين في المظهر الإلهي الذي هو الرسول.

ومن هنا كان الوحي صادراً عن الله المتجسد في المظهر الذي هو الرسول.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ مبيناً هذا المعنى: (تزعم البهائيــة أن الــوحي عبارة عن المعاني التي تنبجس في قلب مظهر أمر الله بوساطة روح القدس المتجلي فيه ثم تظهر على هيئة الكلمات من لسانه، وتنسبك في قوالب الألفاظ بنطقه وبيانه[1].

وهذا معناه أن الوحي ينبع من داخل نفس المظهر، لأنه هو الله، غير أن المعــاني صادرة عن ربوبيته، أما الألفاظ فعن بشريته.

يقول عبد البهاء في رسالة تزلف بها إلى ملك العجم عن نفسه، وعن البهائيــة: "إن هؤلاء العباد لا يقولون باستحالة ظهور مظاهر الأحدية ــ أي الرسل ــ ولــو أن قائلاً قال بهذا فأي فرق بينه وبين قوم يقولون: يد الله مغلولة؟!"[2].

أما البهائية في القاهرة فتقول في رسالة لها: "إن القول بانقطاع الوحي بعد محمد ﷺ ليس له سند في منطق الواقع".

ولا ندري أي واقع تريد، وما ثمة من واقع يزعمونه إلا ويدمغهم بالبهتان وأقرب واقع هو واقع معبودهم، فهو لا يقص إلا واقع الزور والإثم والخيانة)[3].

---

(١) (ص٢٥، ٢٦، ٧٩ الحجج، ص ١٣٧إيقان). نقلاً عن الشيخ.

(٢) (ص٩٥ مقالة سائح.) نقلاً عن الشيخ.

(٣) البهائية، عبد الرحمن الوكيل (ص٢١٥).

إذن ليس هذا هو الوحي المعروف عند المسلمين، وليس حتى الإلهام المعروف في الفكر الصوفي؛ بل هو خليط متعفن في تناقضه ولا عقلانيته.

ويصل البهائيون من خلال ذلك التعريف للوحي إلى الطعن في القرآن الكريم، والتنقيص من إعجازه البلاغي والبياني.

يعرض الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ تلك العقيدة عندهم ويرد عليها فيقول: (... يقول أبو الرذائل: "لا يعرف ولا يمتاز كلام الله من كلام البشر بفصاحته وبلاغته ولا بشهادة الآثار العتيقة وبقايا مصنوعات الملل البائدة، ولا بالتلقي عن الآباء والأمهات والأكابر "[1].

ومن ينكر غير أبي الرذائل أن كلام الله لا يتسامى إلى قدسه الأسمى كلام آخر في فصاحته وبلاغته؟! وقد احتشد لمعارضته قرون بلغاء الوجود وفصحائه؛ فدكت أعناقهم دون أقرب غاية؟! ومن ينكر غير أبي الرذائل أن من معجزات القرآن الإخبار عن أحوال الأمم الماضية بأخص مقوماتها الحضارية والاعتقادية والخلقية، وقد تضافرت النقول القطعية على صحة وصدق ما أخبر به؟ ومن ينكر غير أبي الرذائل وشيعته أن التوتر الحق الكامل الشروط دليل قطعي على أن ما في المصاحف التي بأيدينا اليوم هو كلام الله الذي نزله سبحانه على خاتم المرسلين؟ لقد تحدى الله بإعجاز الفصاحة والبلاغة في قرآنه أعظم فحول البلاغة والفصاحة أن يأتوا بسورة من مثله؛ فقهرهم تحديه المعجز، وانداحوا أمامه صاغرين)[2].

ثم يستطرد الشيخ في رده عليهم ويعرض أدلة من أهمها:

١ ــ أن الله تعالى قد تحدى أئمة اللغة وعمالقة البيان ورؤوس البلاغة فلم يستطيعوا أن يأتوا بسورة مثل القرآن.

---

(١) (الحجج ص ٣٩، ٤١،٣٧،١١٩) ، نقلاً عن الشيخ.

(٢) البهائية عبد الرحمن الوكيل (ص ٢١٧).

٢ ــ أن القرآن الكريم قد احتوى على قصص الأمم السابقة بتفاصيلها التي شهد بها التاريخ؛ فمن الذي علم محمداً ﷺ هذه القصص في أوجهها الإخبارية التفصيلية والبيانية الإعجازية، وهو النبي الأمي الذي لا يعرف قراءة ولا كتابة؟

٣ ــ أن أبا الرذائل نفسه قد وصف الرسل فقال: "فاقوا جميع الفصحاء والبلغاء في سبك المعاني في قوالب البيان ورصف الألفاظ وانسجام الكلام وسلاسة العبارات ولطف الإشارات، وتسجيع الكلام، وترصيع الآيات".

فإذا كان هذا ما يوصف به كلام الرسل؛ فما بالك بكلام الله تعالى الذي علمهم البيان؟

وأما انحرافهم في تأويل آيات القرآن الكريم فهي أكثر من أن تحصى، وقد ذكر الشيخ منها نماذج ورد عليها فقال: (... كما تستشهد البهائية على باطلها هذا بقول الحق سبحانه: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[1] فتزعم أن هذه الآية تؤكد أن تفسير آيات القرآن التي تتعلق بأصول الدين وأمور الآخرة لن يكون إلا يوم القيامة الكبرى، أي يوم تجلي الحقيقة الإلهية بكمالها الأعظم في صورة ميرزا "حسين علي" وقد تحقق هذا، إذ ما بين المقصود من القرآن إلا الميرزا المذكور، ويفسر أبو الرذائل "التأويل" بأنه هو الكشف عن المعاني الباطنة غير الظاهرة التي أطلقت عليها تلك الألفاظ!!.

وما يزعمه لا ينتسب إلى معنى الكلمة في الآية مطلقا، فمعنى التأويل في الآية هو تحقق ما أخبر به القرآن من وعد ووعيد وغيرهما في يوم القيامة، ثم إنه جاء في الآية التي استشهدوا بها قوله سبحانه: ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴿٥٣﴾﴾[2] وهذا يؤكد وجود جماعة مؤمنة فقهت جيداً ما نزل الله قبل يوم القيامة، ولم تخالف عن أمر الله، ويؤكد وجود جماعة أخرى فقهت ولكنهم أعرضوا ظالمين عن

---

(١) (سورة الأعراف: آية ٥٣).

(٢) (سورة الأعراف: آية ٥٣).

هديه سبحانه وهم الذين سيشهدون يوم القيامة بأن رسل الله قد جاؤوا بالحق، ويتمنون العودة إلى الدنيا؛ ليعملوا صالحاً؛ فأين من فعلوا هذا حينما افترى البهاء فريته، وزعم أنه رب القيامة الموعود إن ألوف الألوف يرجمونه بكل لعنة هو بها الحري في الدنيا وفي الآخرة)[١].

إذن هذا التأويل الفاسد الذي لا يعتمد على دليل لا من اللغة ولا من القرآن الكريم ولا من السنة هو مردود ومحكوم عليه بالبطلان.

وقد رده الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ بأدلة منها:

١ ــ أن تعريف أبي الرذائل للتأويل في الآية بأنه هو الكشف عن المعاني الباطنة غير الظاهرة التي أطلقت عليها تلك الألفاظ!! هو تعريف فاسد يدل على جهل صاحبه بالقرآن الكريم وبأساليب لغة العرب.

٢ ــ أن قوله تعالى: ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴿٥٣﴾﴾[٢] "يقول الذين نسوه من قبل" دليل واضح على أن التأويل في الآية غير ما ذكر البهائية، كما يؤكد وجود جماعة مؤمنة فهمت ما نزل الله تعالى في كتابه العزيز.

٣ ــ أن نفس الآية المذكورة تدل على وجود جماعة أخرى فهمت ما دل عليه القرآن الكريم لكنه فهم غير مواز للعمل؛ أي أنه فهم ترك وتعنت.

٤ ــ أن البهائية تناست الآية المحكمة المذكورة قبل الآية التي استدلوا بها وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾[٣] حيث أكد فيها ربنا ــ تبارك وتعالى ــ أنه فصل الكتاب وجعله هدى ورحمة.

ثم استطرد الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ مبيناً بعض انحرافاتهم في تأويل القرآن الكريم فذكر من ذلك انحرافهم في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾[٤] وقولهم

---

(١) البهائية، عبد الرحمن الوكيل (ص٢٧٠).

(٢) (سورة الأعراف: آية ٥٣).

(٣) (سورة الأعراف: آية ٥٢).

(٤) (سورة القيامة: آية ١٩).

إن ثم تفيد التراخي مستدلين بذلك على قولهم في عدم ختم النبوة بمحمد ﷺ وأن الله تعالى سيصطفي شخصاً يختصه ببيان القرآن الكريم وإظهار معانيه المستورة وهذا الشخص هو الميرزا حسين علي.

ثم رد عليهم الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ بأدلة منها:

١ ـ أنهم متناقضون في تفسير هذه الآية؛ فمرة يزعمون فيها ما تقدم، ومرة يقولون إن البيان فيها هو كتاب الباب "البيان"، وهذا التناقض كاف في رد فريتهم تلك.

٢ ـ أن ثم التي بنوا عليها تفسيرهم ذلك لا تفيد التراخي المتساوي؛ فقد تفيد تراخياً بزمن قليل أو متوسط أو طويل بحسب السياق، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾[1].

٣ ـ أنه لا فائدة من تنزيل القرآن على حسب قول البهائية لأنه ـ بحسب زعمهم ـ لم يبين ولن يبينه إلا الميرزا، فدل ذلك على أن الأمة قبله كانت تتعبد الله تعالى بكتاب غير واضح وغير مبين، ولا شك أن هذا اللازم باطل فكذا الملزوم.

٤ ـ أن الله تعالى قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾[2] " فهل يكمل الدين وأصوله التي لا يمكن النجاة بدونها مستورة مجهولة لا يعرفها حتى خاتم الرسل؟!!

ثم ذكر الشيخ أمثلة أخرى من تحريفهم للقرآن الكريم وتأويلهم لآياته تأويلاً فاسداً لا يعتمد على أي دليل أو فكر[3].

---

(١) (سورة المؤمنون: آية ١٢ـ١٤).

(٢) (سورة المائدة: آية ٣).

(٣) البهائية ، عبد الرحمن الوكيل (ص٢٧٢ـ٢٧٣، ٢٨٧).

المطلب السابع

انحرافهم في الغيبيات والرد عليهم في ذلك

إن من أهم صفات المؤمنين المتقين إيمانهم بالغيب ويقينهم بحصوله كما أخبر الله تعالى عنه، وتلك صفة ملازمة لهم يمتازون بها عن غيرهم، فلا يترددون في الغيب، ولا يحرفونه عن مراد الله تعالى، ولا يحاولون تفسيره ليناسب العقول البشرية الضعيفة؛ بل يؤمنون به ولو مع عدم تمكنهم من تصوره.

ولكن ما هو الغيب الذي يجب الإيمان به، ويتميز به المتقي عن غيره؟

أولاً: الغيب في اللغة:

يعرف علماء اللغة الغيب بأنه كل ما غاب عنك، قالوا كأنه مصدر بمعنى الفاعل(١).

ثانياً: الغيب في الاصطلاح:

ويعرفه العلماء في الاصطلاح بأنه كل ما غاب عن العقول والأنظار من الأمور الحاضرة والماضية والمستقبلة(٢).

وقال ابن الأثير: هو كل ما غاب عن العيون وسواء كان محصلاً في القلوب أو غير محصل(٣).

وقد امتاز المسلمون بالإيمان بالغيب والتسليم بما ورد منه في الكتاب والسنة إجمالاً في الإجمالي وتفصيلاً في التفصيلي.

ومن هنا كانت معرفة عقيدة البهائية في الغيب من أهم النقاط التي يمتحنون بها لمعرفة حقيقة فكرهم ودعوتهم، ومدى تعنتها في الكفر بالإسلام فضلاً عما سبق تفصيله من عقائد كفرية أخرى.

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي ، (ج٣، ص٤٩٧) الصحاح للجوهري (ج٢، ص٢١٥).

(٢) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، لنحبة من العلماء (ج١، ص٨٩).

(٣) النهاية في غريب الأثر، لابن الأثير ، (ج٣، ص٧٥١).

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ: (من صفات المؤمن الحق أنه يؤمن بالغيب، ومن الغيب يوم القيامة الذي فصل الله وصفه تفصيلاً جلياً، وفصل ما سيحدث فيه، وما سيكون بعده تفصيلاً شافياً هادياً لا يأذن لريبة ما في أن تلم بقدسه المشرق الطهور، فماذا تقول البهائية عن يوم القيامة وأمور الآخرة؟

تقول:"المراد من الأمور المكتومة منذ تأسيس العالم هو رموز الحشر والنشر ودقائق القيامة والبعث وغيرها من الآيات النازلة في الكتب مما كانت ــ ولم تزل ــ معانيه ومفاهيمه غامضة مستورة مغلقة ".

وتحكم البهائية بالجهل وبالكفر على كل من يستمد من القرآن إيمانه بأمور الآخرة وعلى كل من يؤمن بها إيمان خاتم المرسلين)[١].

إذن هذا هو تصورهم عن أصل الغيب بشكل عام، وعن مصدر تلقيه.

ولكن ما هي القيامة عند البهائية؟

يذكر الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ عقيدة البهائية في القيامة وتقسيمهم لها إلى قيامتين:

الأولى: قيام روح الله بأحد مظاهره الكلية.

ويرد عليهم الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ بأن معنى هذا أنه قد حصلت قيامات كثيرة؛ بل إن معناه أن العالم في قيامة منذ نشأته إلى الآن؛ لأن الحقيقة الإلهية عند البهائية لا تغيب عن الهياكل البشرية؛ فكل رسول وكل نبي قامت به نفس الله ــ تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ــ وهذا بين السقوط من الوجهين أعني على الحقيقة وعلى قول البهائية أنفسهم.

الثانية القيامة الكبرى: وهي عند البهائية قيام الروح الإلهية في جسد الميرزا "النوري"؛ فقيامها في أجساد الأنبياء والرسل قيامة صغرى، أما في جسد هذا الرذيل فهي قيامة كبرى[٢].

---

(١) البهائية، عبد الرحمن الوكيل (ص٢٥٢ــ٢٥٣).

(٢) المرجع السابق (ص٢٥٥ــ٢٥٦).

ثم عرض الشيخ ـــ رحمه الله تعالى ـــ عقيدهم في بعض الأمور الغيبية الأخـــرى على النحو التالي:

البعـــث: هو اليقظة الروحية.

الحساب: هو الفصل بين المؤمنين بتجسد الله في البهاء وبين الكافرين بهذا.

رؤية الله: هي رؤية الجسد البشري الذي حلت فيه روح الله.

لقاء الله: في جلاله الأعظم هو لقاء ميرزا حسين علي؛ لأنه العزيز الجبار الذي في ظلـــل من الأنوار!!

وعلق عليه الشيخ فقال: "الله يأتي في ظلل من الغمـــام، أما النوري ففـــي ظلل من الأنوار.

الجنة: هي رياض المعرفة التي فتحت أبوابها في عهد البهاء، ومعرفة رموز الكتب الإلهية بواسطة ميرزا حسين علي، وهي الإيمان بأن الميرزا هو رب الـــسماوات والأرض وأبواب الجنة هي حروف حي وهم كبار أتباع الباب.

وعلق عليه الشيخ ـــ رحمه الله تعالى ـــ فقال: "والثابت أن كثيراً منهم ـــ يعـــني حروف حي ـــ قد ارتد عن البابية ولعنها.

نعيم الجنة: هو ارتقـــاء من يؤمن بربوبية البهاء؛ فتكـــون له قدرة الله وقوتـــه وعزته وهيمنته.

وعلق عليه الشيخ فقال " وعلى هذا الوهم الأسطوري تمضي حياة البهائيين.

الحور العين: هي المعاني العالية التي بينها البهاء لكتب رب العالمين، وكانت خفية علـــى جميع المرسلين.

النـــــــار: كانت أولاً هي الحرمان من معرفة الحقيقة الإلهية التي ظهـــرت في جـــسد الباب أو هي: الكفر بأن "الباب" هو رب القيامة الكبرى، فلمـــا ادعـــى البهاء الربوبية صارت النار هي: الكفر بأن البهاء هو الله رب العالمين!!

الملائكـــــة: هم أئمة الهدى وأئمة الضلال، وأما ملائكة النار المذكورون في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾[١] فهم التسعة عشر رجلاً الذين كفــروا بمـــيرزا حسين علي واتبعوا أخاه "يحيى".

أما في عهد عبد البهاء فأصبح عدد أبواب النار ثلاثة فقط! هي إخوة عبد البهاء الذين كفروا بزعامته[٢].

ورد الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ على قولهم في هذه الأمور الغيبية فقال: (وهكذا نرى البهائية في جحودها الأصم بما ورد في القرآن عن البعث والحساب والجنة والنــار، غير أنها تقنع هذا الجحود الأصم بهذه التأويلات الخرقاء التي هي في حقيقتها أخبث صور للجحود بأوضح وأحكم وأجلى الحقائق ثم تقول بعد تلك التأويلات الكافرة: "أما غير هذا من الأفكار السائدة الخاصة بقيام الجسم المادي، وبالجنة والنــار الماديــة، وأمثالهــا فاختراع وهمي"[٣].

وما تنعته البهائية بأنه اختراع وهمي هو قول الله جل شأنه!)[٤].

---

(١) (سورة المدَّثر:آية٣٠).

(٢) البهائية ، عبد الرحمن الوكيل (ص٢٥٦ــ٢٥٧).

(٣) (ص ٢٩بهاء) ، نقلاً عن الشيخ.

(٤) البهائية ، عبد الرحمن الوكيل (ص٢٥٨).

المطلب الثامن

عقيدة الرجعة والتناسخ عند البهائية والرد عليها

لما كانت البهائية تستمد فكرها ومرجعيتها من الشيعة وخاصة الإثنى عشرية كان لا بد من أن تقول بالرجعة والتناسخ؛ لأنها من أهم أركان معتقد الرافضة..

ولم يغفل الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ في استقصائه لمعظم انحرافاتهم العقدية عن هذا الجانب؛ بل نبه على النقطتين الأساسيتين فيه وهما:

١ ــ أن الرجعة أخذتها البهائية من الشيعة الرافضة.

٢ ــ أنهم حولوا مسمياتها ولم يغيروا في جوهرها عند الشيعة.

يقول الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ : (يقرر الشهرستاني أن أسس دين الرافضة هي الغيبة والرجعة والبداء والتناسخ والحلول والتشبيه[١].

وعلى نفس الأسس أقامت البهائية دينها غير أنها فسرت الغيبة: بغيبة روح الله عن هيكله البشري، والرجعة: بأنها رجوع روح الله إلى الشروق من جسد آخر، ورجوع أرواح المؤمنين والكفار السابقين إلى أجساد أخرى[٢].

وتفسير الرجعة بهذا يستلزم حتما القول بالتناسخ والتشبيه والحلول)[٣].

ثم يسرد الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ نصوص البهائيين من كتبهم مثبتاً ما قرره من قولهم بتلك العقائد.

ويرد عليهم بأدلة من أهمها:

١ ــ في قضية الرجعة يتساءل الشيخ: هل كان المؤمنون في عهد أول رسول بهذه الكثرة التي نراها الآن، حتى يمكن القول بالرجعة.

---

(١) الملل والنحل، للشهرستاني ، (ج١، ص١٦١).

(٢) (ص ٢٩ الحجج) . نقلاً عن الشيخ.

(٣) البهائية، عبد الرحمن الوكيل (ص٢٦١).

ويعضده بأن البهاء نفسه قرر أن عدد المؤمنين في عهد نوح كانوا اثنين وسبعين مؤمناً، أما المؤمنون في عهد محمد ﷺ فقد كانوا ألوف ألوف فهل يمكن اعتبارهم رجعة لاثنين وسبعين؟!!

ثم يتساءل عن فائدة ظهور الحقيقة الإلهية في صورة فرد ثم في صورة سبعين ثم في صورة ألوف ألوف الألوف على زعم البهائية بأن هؤلاء المؤمنين حقيقة واحدة هي حقيقة الله؟.

٢ ـ أن البهائيين أنفسهم يحكمون على العالم كله بالكفر؛ فرجعة من هذا العالم كله ولم يكن في البدء إلا كافر واحد؟.

وما الحكمة من إرسال الرسل إذا كان عدد المؤمنين والكافرين لا يزيد ولا ينقص .

وما الحكمة من مجيء الله في صورة البهاء كما تزعم البهائية ما دام الكفر هو الكفر والإيمان هو الإيمان وما دام أصحاب الإيمان وأصحاب الكفر لا يتغيرون؟

ويقرر الشيخ أنه بهذه التساؤلات لا يرد على البهائية، وإنما يبين تناقضاها ومضحكاها فيقول ـ رحمه الله تعالى ـ: (أنا لا أرد على البهائية فباطلها يرد على نفسه وإنما أشير إلى بعض متناقضاها أو مضحكاها المبكيات)[١].

---

(١) البهائية ، عبد الرحمن الوكيل (ص٢٦٢).

المطلب التاسع

مصادر المعرفة عند البهائية والرد عليهم

يبين الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ مصادر المعرفة عند البهائية فيلخصها في أربعة مصادر:

١ ــ الميزان الحسي: ويقصدون به أن أصل المعرفة هو الإدراك الحسي المستمد من الحواس الظاهرة والباطنة.

٢ ــ الميزان العقلي: ويشيرون بهذا إلى مذهب الفلاسفة العقلانيين القائلين إن العقل قوة فطرية بها يتصف العلم بأهم صفتين له هما: الصدق والضرورة.

٣ ــ النقل: وقد نقدوه بأنه لا يوصل إلى اليقين.

٤ ــ الإلهام: وقد سرقوه من الصوفية إلا أن عبد البهاء نقده بأنه قد يكون وساوس شيطانية.

ثم دعا عبد البهاء إلى نبذ كل معقول ومنقول فقال: (اترك المعقول والمنقول تتابع عليك ملائكة الإلهام؛ لأن الحقيقة خلاف ما هو مسلم به عند الناس جميعا ولا سيما الحقائق الإلهية فالناس عنها غالفون ولقائلها وناقلها والظاهر بها منكرون[1])[2].

ويعرض الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ زعم البهائية بأنها تستمد من القرآن الكريم مصدرها في المعرفة ثم يرد عليهم فيقول: (... وتزعم البهائية أنها تستمد من القرآن حجتها في مسألة المعرفة فننظر في كتاب الله لنعرف كيف افتروا على الله الكذب.

يقول ربنا سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[3] ولنتدبر فيما ورد من آيات في سورة عبس؛ ليتجلى لنا

---

(١) (ص ١١٣، ١١٨، ١٥٣ مكاتيب، ص٢٣ الحجج) نقلاً عن الشيخ.

(٢) البهائية، عبد الرحمن الوكيل (ص٢٨٣).

(٣) (سورة الإسراء: آية ٣٦).

أن القرآن لايحقر أبداً من شأن المعرفة "الحسية" بل يدعو إلى استخدام حواس السمع البصر واللمس والشم والذوق، وقد بلغ من حفاوة القرآن بالعقل أنه ختم كثيراً من الآيات بقوله سبحانه: إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون، أو لقوم يتفكرون، ووصف الذين لا يعقلون بأنهم شر الدواب ﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[1] ومن هذه الآية ــ ومثلها كثير ــ يتبين لنا بجلاء أن القرآن يقدر الإدراك الحسي، والإدراك العقلي، ويحترم النقل الصحيح، تدبر قوله سبحانه:"قل هل عندكم من علم".

ويقول سبحانه عن الجن الذين صرفهم الله إلى الرسول ﷺ ليستمعوا القرآن: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[2] يدعوهم إلى الإيمان بما نقلوه نقلاً صحيحاً عن رسول الله ﷺ، فهل يعادي القرآن النقل الصحيح عن الحق كما تزعم البهائية؟

غير أن القرآن يوجب أن نجعل وحي الله سبحانه هو الفيصل الأكبر والحكم المطاع عند التنازع، وأن نجعله وحده هو المصدر الذي نستمد منه معارفنا الدينية: ﴿فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾[3])[4].

ومن هنا فإن الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ رد على تناقضات البهائية في مسألة المعرفة رداً محكماً، وبين أن ادعاءها استمدادها فكرها في المعرفة من القرآن الكريم باطل

---

(١) (سورة الأنفال: آية ٢٢).

(٢) (سورة الأحقاف: الآية ٢٩ــ٣٠).

(٣) (سورة النساء: آية ٥٩).

(٤) البهائية، عبد الرحمن الوكيل (ص٢٨٥ــ٢٨٦).

إذ أن القرآن الكريم يوضح بجلاء أن العقل والنقل الصحيح هما مصدرا المعرفة اليقينية وأن ما عداهما يوزن بميزانهما، وهذا عكس ما تدعيه البهائية.

وقد انتقى الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ وهو موفق في انتقائه ــ آيات تدل دلالة صريحة على ما ذهب إليه؛ كالآيات التي تحث على استخدام العقل، والاستمداد من الحواس، والآيات التي تجعل النقل الصحيح هو المصدر الأساس للمعرفة.

الخاتمـــــــة

وتشتمل على نتائج البحث

الخاتمـــة

الحمد لله الذي بفضله ونعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على من أكمل الله به الرسالات ، محمد بن عبد الله خير خلقه وخاتم أنبيائه ورسله وعلى آله وصحبه أولي الفضل والكرامات.

وبعد :

فإني أشكر الله تعالى على نعمه التي لا تحصى وأشكره جل شأنه على ما من به علي من إنجاز هذا البحث ؛ مع قلة بضاعتي وضعف حولي وقوتي .

وأهم النتائج التي توصلت لها من خلال هذا البحث يمكن تلخيصها على النحو التالي :

١ – أن الشيخ / عبد الرحمن الوكيل وافق السلف في جميع المسائل العقدية التي تناولها في مؤلفاته ومقالاته التي وقفت عليها.

فقد قرر ـــ رحمه الله تعالى ـــ قول السلف في مجمل القضايا العقدية ، وكان متابعا لما أثر عنهم ، مع تعرضه لبيان بعض الأقوال المخالفة لقولهم.

٢ – تمسك الشيخ / الوكيل ـــ رحمه الله تعالى ـــ الشديد بالكتاب والسنة ودعوته لوجوب الرد إليهما عند الاختلاف ، وتحكيمهما في جميع الأمور.

٣ – أن الشيخ ـــ رحمه الله تعالى ـــ تميز بقـــوة الاستدلال بنصوص الكتاب والسنـــة مما يدل على رسوخه وتمكنه في العلم.

٤ – كان الوكيل ـــ رحمه الله تعالى ـــ يولي العقل اهتماما كبيرا ويحث على استخدامه وينبذ دعاة تعطيل العقول والاعتماد على التقليد أو الذوق وغيرها من وسائل تفضي إلى إهمال دور العقل في فهم النصوص الشرعية واستنباط الأحكام منها.

ولكن هذا العقل في نظره يجب أن لا يذهب به بعيدا فهو وسيلة مهمة ولكنه ليس مصدرا حاكما بل محكوما بالوحي.

٥ – كان الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ شديد الدفاع عن السلف الصالح ومشهرا قلمه في وجه كل من حاول التنقيص منهم في العلم أو الفهم.

٦ – كان للوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ اطلاع واسع في كل العلوم الشرعية ويتضح ذلك من معالجتـــه للمسائل العقدية والتفسيرية وتعليقاته في علوم الحديث وغيرها.

٧ – تميز الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ بتنزيله الأمور العقدية على الواقع المعاش فلم يكن يعالج من العقيدة إلا ما يحتاجه أهل عصره مقدما الأهم ثم المهم.

٨ – منهج الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ هو التركيز على جوانب الدين مع الأخذ بالأولويات ؛ حيث بدأ بإصلاح الفرد والمجتمع بتصحيح العقيدة.

٩ – جهد الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ اللغوي في تفسير آيات العقيدة جهد جبار في العقائد المتصلة بالصوفية والبهائية وأهل الكلام فقد استقصى غالب الألفاظ المتداولة عندهم في العقائد وغيرها.

١٠ – كان الوكيل ــ رحمه الله ــ صاحب منهج في التحقيق يتسم بالأمانة العلمية والتخريج الصحيح والتعليقات النيرة وخير دليل على صحة ذلك تحقيقه لكتاب مصرع التصوف للإمام البقاعي.

١١ – كان للوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ اطلاع واسع على كتب أهل البدع كافة وخاصة الفرق التي نصب نفسه للرد عليها وكان متفردا في ذلك من بين علماء أنصار السنة المحمدية.

١٢ – كان الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ خبيراً بطرائق الفرق الغالية المبتدعة فاستطاع بفضل الله أن يجلي خبايا كتاباتهم وأن يرد فكرهم إلى مصادره منبها ومحذرا من غدرهم في منهج علمي صحيح واستقصاء للحقائق سليم وأمانة علمية مما يجعل كتبه ومقالاته مرجعا لكل من أراد أن يكتب عن التصوف.

١٣ – مجمل رأي الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ في الصوفية الفكر والسلوك لا يخرج عن كون الصوفية يسوون بين مفهوم الوجود وبين مفهوم الرب ؛ فالوجود عندهم هو الرب.

١٤ – يرى الوكيل ــ رحمه الله ــ أن التصوف النظري والتصوف العملي شيء واحد فالنظرية وليدة التطبيق والتطبيق وليد النظرية ، ولا يرى فرقا بين التصوف القديم والحديث ؛ فهما في نظره متساويان في المنهج والتفكير والتطبيق والهدف ، ويرى أن ليس هناك ما يسمى بالتصوف البدعي والتصوف السلفي.

١٥ – يرى الشيخ / الوكيل ــ رحمه الله ــ أن التصوف كله شر ، وأن مظاهر الخير المنسوبة إليه إنما هي رداء مستعار ليدخل على السذج والبسطاء فيخدعهم ، وأنه قد تمرس في الخداع طويلاً.

١٦ – كان إلمامه ــ رحمه الله ــ بالفلسفة وبأقوال المستشرقين ليس من قبيل الاعتقاد ولا من قبيل الاستدلال بها ، وإنما من قبيل الإظهار لبطلان الفلسفة وعلم الكلام والتصوف إلا أنه ــ رحمه الله تعالى ــ أكثر من الاستشهاد بأقوالهم.

١٧ – كان في أسلوب الوكيل ــ رحمه الله تعالى ــ حدة في الدفاع وفضح للخصوم ولكن هذه الحدة لم تخرجه عن الإنصاف وتحري الحق ؛ فقد كان يسمي الباطل بالباطل ولا يداهن فيه.

هذه أهم النتائج التي توصلت لها من خلال هذا البحث ، وأسأل الله تعالى أن يغفر لي زللي ويعفو عن خطئي.

والحمد لله رب العالمـين والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين.

الفهارس

وتشتمل على الآتي:

- فهرس الآيات القرآنية .
- فهرس الأحاديث .
- فهرس الأعلام .
- فهرس الفرق والطوائف والمذاهب مرتبة أبجدياً .
- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات القرآنية

نص الآيـــــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾	٧٤	البقرة	٦٦٩
﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَـٰفِرِينَ﴾	٩٨	البقرة	٥٠٣
﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴿١٠٥﴾﴾	١٠٥	البقرة	٤٣٦
﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾	١٣٣	البقرة	٢١٣- ٢٧٢
﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴿١٤٣﴾﴾	١٤٣	البقرة	٤٨٥
﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾	١٦٣	البقرة	٢١٤- ٢٧٣
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴿١٦٥﴾﴾	١٦٥	البقرة	٤٢٤
﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾	١٦٩	البقرة	٤٦٧
﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴿١٧٧﴾﴾	١٧٧	البقرة	٥٠٢
﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴿١٨٥﴾﴾	١٨٥	البقرة	٣٣٥
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾	١٨٦	البقرة	٦٧٨
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ ﴿٢١٦﴾﴾	٢١٦	البقرة	٢٤٨
﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴿٢٢١﴾﴾	٢٢١	البقرة	٤٠٨
﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴿٢٥٣﴾﴾	٢٥٣	البقرة	٥٢٢- ٥٢٣

نص الآيـــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾	٢٥٥	البقرة	٣١٥- ٤٧٢
﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ﴾	٢٥٧	البقرة	٦٨٧
﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾	٢٨٥	البقرة	٥٠٢
﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِالْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	١٨	آل عمران	٣٨٣- ٥٠٣
﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَٰفِرِينَ﴾	٣٢	آل عمران	٤٠١
﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى الْعَٰلَمِينَ﴾	٣٣	آل عمران	٥٢٢
﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ الْعَٰلَمِينَ﴾	٤٢	آل عمران	٥٢١
﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	١٠٤	آل عمران	٧٣
﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾	١٠٦	آل عمران	٤٠١- ٦٨٨
﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَٰسِقُونَ﴾	١١٠	آل عمران	٤١٧
﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾	١٢٨	آل عمران	١٧٤- ٢٢٥
﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾	١٣٧	آل عمران	٣٣٩
﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾	١٣٨	آل عمران	٣٦٣
﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾	١٥١	آل عمران	٤٢٦- ٤٣٧

نص الآيـــــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾	١٧٩	آل عمران	٤٠٥- ٤٧٢
﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾	١٨٧	آل عمران	٧٤
﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾	١٨٩	آل عمران	٥٥٩- ٥٧٠- ٥٨٢
﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾	١٣	النساء	٤٠٣
﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾	١٨	النساء	٥٩٩
﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴿٢٧﴾﴾	٢٧	النساء	٣٣٦
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾	٤٨	النساء	٣٣٦- ٢٨٤- ٢٩٠- ٤٢١- ٤٣٤- ٤٣٨
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا ﴿٥٦﴾﴾	٥٦	النساء	٦٨٨
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾	٥٩	النساء	٢٤٧- ٤٠٧- ٤٠٩- ٧٥٠
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴿٦٤﴾﴾	٦٤	النساء	٤٠١

نص الآيـــــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾	٦٥	النساء	٢٢٢-٤١٢
﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴿٨٣﴾ ﴾	٨٣	النساء	٤٠٠
﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾	١١٣	النساء	٦٥٧-٦٥٩
﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾	١١٥	النساء	٣٢٥
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾	١١٦	النساء	٤٣٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ ﴿١٣٦﴾ ﴾	١٣٦	النساء	٤٨٥-٥٠١-٥٠٤
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ ﴾	١٥٠	النساء	٦٠٣
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ ﴾	١٥١	النساء	٦٠٣
﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴿١٦٣﴾ ﴾	١٦٣	النساء	٥١٥-٥١٦
﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾	١٦٤	النساء	٥١٥-٥١٦
﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ ﴾	١٦٦	النساء	٥٠٣
﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾	٣	المائدة	٨٢-٧٤٢

نص الآيـــــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٤٠)﴾	٤٠	الأنعام	٤٤٧
﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا (٤١)﴾	٤١	الأنعام	٤٤٧
﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ (٥٠)﴾	٥٠	الأنعام	٤٧٢
﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ (٥٩)﴾	٥٩	الأنعام	٥٣٦- ٦٨٣
﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ (٧٥)﴾	٧٥	الأنعام	٦٨٣
﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ (٨٦)﴾	٨٦	الأنعام	٥٢٢
﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٨٨)﴾	٨٨	الأنعام	٤٣٧
﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (١٠١)﴾	١٠١	الأنعام	٣٢٢
﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾	١٢١	الأنعام	٤٣٦
﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢٥)﴾	١٢٥	الأنعام	٣٣٥
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٢١)﴾	١٤٤	الأنعام	٤٦٧
﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ﴾	١٤٨	الأنعام	٢٤٦
﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٦٢)﴾	١٦٢	الأنعام	٢٢٩- ٢٧١- ٣٩٤- ٤٥٣

نص الآيـــــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾	١٦٣	الأنعام	٢٧١
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ ﴿١١﴾﴾	١١	الأعراف	٥٠٩
﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾	١٣	الأعراف	٥١١
﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾	٢٣	الأعراف	٢٠٩
﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾	٢٨	الأعراف	٦٤٥
﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾	٢٩	الأعراف	٦٤٥
﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾	٣٣	الأعراف	٤٦٧
﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾	٥٢	الأعراف	٧٤١
﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ ﴿٥٣﴾﴾	٥٣	الأعراف	٤٦٥- ٧٤٠- ٧٤٠
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾	٥٤	الأعراف	٣٤٣
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟﴾	٥٩	الأعراف	٢٨٣- ٣٧٣
﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ﴾	٦٥	الأعراف	٣٧٢
﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴿٧٣﴾﴾	٧٣	الأعراف	٣٧٢
﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ ﴿٨٥﴾﴾	٨٥	الأعراف	٣٧٣
﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ﴿١٤٤﴾﴾	١٤٤	الأعراف	٣١٥

نص الآيـــــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ (١٥٧) ﴾	١٥٧	الأعراف	٤٧٧
﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨) ﴾	١٥٨	الأعراف	٤٧٧
﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨) ﴾	١٥٨	الأعراف	٤٧٧
﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾	١٧٢	الأعراف	٢٠٨
﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ (١٥٧) ﴾	١٥٧	الأعراف	٥١٥
﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠) ﴾	١٨٠	الأعراف	٣٣١
﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ (١٨٨) ﴾	١٨٨	الأعراف	٤٧٢
﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (١٩٦) ﴾	١٩٦	الأعراف	٦٨٥
﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (٢٢) ﴾	٢٢	الأنفال	٢٤٦- ٧٥٠
﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ (٢٤) ﴾	٢٤	الأنفال	٣٣٦
﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ (٣٩) ﴾	٣٩	الأنفال	٢٧٢
﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٤٠) ﴾	٤٠	الأنفال	٦٨٥
﴿ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ (٣) ﴾	٣	التوبة	٤٣٧
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ (٢٨) ﴾	٢٨	التوبة	٤٠٦
﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ ﴾	٧	التوبة	٤٣٥
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ (٢٨) ﴾	٢٨	التوبة	٤٣٥
﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ (٣١) ﴾	٣١	التوبة	٢٢٨- ٢٢٩- ٤٢٣- ٤٦٩

نص الآيـــــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۝٤٠﴾	٤٠	التوبة	٣٤٦
﴿۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ۝٤٦﴾	٤٦	التوبة	٤٩٦
﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٥١﴾	٥١	التوبة	٦٨٥
﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾	٧١	التوبة	٦٨٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾	٧٣	التوبة	٤٣٢
﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾	١٠٠	التوبة	٢٢٣
﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٠٢﴾	١٠٢	التوبة	٢٩٠
﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝١٠٧﴾	١٠٧	التوبة	١٦٥
﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ۝١١٣﴾	١١٣	التوبة	٤٣٦
﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝١١٩﴾	١١٩	التوبة	٣٤٨
﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝١٢٩﴾	١٢٩	التوبة	٨١
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾	٣	يونس	٢١٤- ٣٤٣- ٥٨٣- ٥٨٦- ٦٣٧

نص الآيـــــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾	١٥	يونس	٦٥٨-٦٦٠
﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾	١٦	يونس	٦٥٨-٦٦٠
﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾﴾	٢٠	يونس	٤٧٢
﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾	٢٢	يونس	٤٥٧
﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾	٣١	يونس	٤٥٥
﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾	٣٥	يونس	٤٢٩
﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾﴾	٥١	يونس	٥٩٨
﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ ﴿٦١﴾﴾	٦١	يونس	٣٨٠
﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾	٦٢	يونس	١٧٤
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾	٦٣	يونس	١٧٤
﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾﴾	٦٦	يونس	٤٣٥-٤٤٨

نص الآيـــــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ (٨٨) قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا (٨٩)﴾	٨٨-٨٩	يونس	٦٠٠
﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ (٩٠)﴾	٩٠	يونس	٢٢٦-٥٩٨-٥٩٩
﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ (٩٨)﴾	٩٨	يونس	٤٨٦-٥٩٩
﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥)﴾	١٥	هود	٤٢٢
﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ﴾	١٦	هود	٤٢٢
﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ (٤٠)﴾	٤٠	هود	٣٤٨
﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٤٤)﴾	٤٤	هود	٣٤٢-٣٤٣
﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ (٦٦)﴾	٦٦	هود	٣٤٤
﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨)﴾	٨٨	هود	٦٧٤
﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧)﴾	١٠٧	هود	٣٣٥
﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا (١٧)﴾	١٧	يوسف	٤٨٣-٤٨٤
﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠)﴾	٤٠	يوسف	٤٥٨
﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨)﴾	٨٨	يوسف	٩٧

نص الآيـــــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ٩٥﴾	٩٥	يوسف	٦٤٤
﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾	١٠١	يوسف	٦٨٥
﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٨﴾	١٠٨	يوسف	٢٠٠
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ١٠٩﴾	١٠٩	يوسف	٥١٩
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ١١٠﴾	١١٠	يوسف	٩٦
﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ١١١﴾	١١١	يوسف	٣٦٣
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ٢﴾	٢	الرعد	٣٤٣
﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾	١١	الرعد	٦٨٥
﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ ١٣﴾	١٣	الرعد	٢٨٤
﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ١٥﴾	١٥	الرعد	٣٠٠
﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾	١٦	الرعد	٢١٥
﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ٣٣﴾	٣٣	الرعد	٣٤٥
﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾	٣٦	الرعد	٤٤٣
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾	٩	الحجر	٧٠٦
﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ٣٠﴾	٣٠	الحجر	٤٧١
﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٣١﴾	٣١	الحجر	٤٧١
﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ٩٤﴾	٩٤	الحجر	٤٣٦

نص الآيـــــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾	٣٦	النحل	٣٧٣- ٧٣٦
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾	٤٣	النحل	٥١٩
﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ (٤٤)﴾	٤٤	النحل	٢٤٠- ٤٠٢- ٥٨٧
﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ (٥٠)﴾	٥٠	النحل	٣٣٨
﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٥١)﴾	٥١	النحل	٢١٤- ٢٧٣- ٧٣٦
﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ (٥٦)﴾	٥٦	النحل	٣٩٤- ٤٥٢
﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ ۙ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ (٥٧)﴾	٥٧	النحل	٥٠٧
﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨)﴾	٥٨	النحل	٥٠٧
﴿ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٥٩)﴾	٥٩	النحل	٥٠٧
وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٦٤)﴾	٦٤	النحل	٢٤٠- ٤٠٢- ٥٨٧
﴿خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ ۚ (٧٠)﴾	٧٠	النحل	٢٧٩
﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ (٨٦)﴾	٨٦	النحل	٤٤٧
﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠)﴾	١٠٠	النحل	٤٣٦
﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٠٥)﴾	١٠٥	النحل	٤٦٧
﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ (١٠٦)﴾	١٠٦	النحل	٤٨٥

الصفحة	السورة	رقمها	نص الآيـــــة
٤٦٦	النحل	١١٦	﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾
٢٠١	النحل	١٢٥	﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾
٦٤٩	الإسراء	١	﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾
١٦١	الإسراء	١٣	﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾﴾
٤٩٥	الإسراء	١٩	﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾
٢٧٣	الإسراء	٢٢	﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾
٢٤٦- ٧٤٩	الإسراء	٣٦	﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾
٢٧٣- ٤٣١	الإسراء	٣٩	﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾
٥٠٧	الإسراء	٤٠	﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾
٣٠٠- ٢٨٩- ٦٦٤- ٦٦٩	الإسراء	٤٤	﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾
٥٢٧	الإسراء	٥٠	﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾﴾
٥٢٧	الإسراء	٥١	﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ﴾
٣٠١	الإسراء	٥٦	﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾

نص الآيـــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا (٦٠) ﴾	٦٠	الإسراء	٥١٨
﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا (٦٧)﴾	٦٧	الإسراء	٤٣٣- ٤٥٦- ٦٧٨
﴿ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ (١١٠)﴾	١١٠	الإسراء	٣٣٢
﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا (١١١)﴾	١١١	الإسراء	٣٢٤
ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩)﴾	٢٩	الكهف	٥٢٨
﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ (٣٠)﴾	٣٠	الكهف	٤٨٥
﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۚ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (٣١)﴾	٣١	الكهف	٥٢٩
﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ (٣٩)﴾	٣٩	الكهف	٣٣٦
﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣)﴾	٤٣	الكهف	٢٢٦
﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ (٥٠)﴾	٥٠	الكهف	٢٣٤- ٥٠٩- ٥١٣
﴿ ۞ مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا (٥١)﴾	٥١	الكهف	٢٩٨- ٣٧٤
﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)﴾	١١٠	الكهف	٢٣٠- ٤٩٤- ٦٤٨- ٦٥٠
﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧)﴾	١٧	مريم	٥٢١

نص الآيـــــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ٣٠﴾	٣٠	مريم	٣٧٦- ٥١٦
﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ٤٨﴾	٤٨	مريم	٢٢٦- ٣٨٧- ٣٨٩- ٤٤٣- ٤٤٤
﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ٤٩﴾	٤٩	مريم	٢٢٦
﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ٥١﴾	٥١	مريم	٥١٦
﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ٥٤﴾	٥٤	مريم	٥١٦
﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ٦٢﴾	٦٢	مريم	٥٣١
﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ٦٤﴾	٦٤	مريم	٦٥٨- ٦٠٠
﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ٦٤﴾	٦٤	مريم	٦٦٠
﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ٦٥﴾	٦٥	مريم	٣٢٢
﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ٩٣﴾	٩٣	مريم	٥٨٣- ٥٨٥- ٦٣٧
لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ٩٤	٩٤	مريم	٥٨٣- ٥٨٥- ٦٣٧
﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ٩٥﴾	٩٥	مريم	٥٨٣
﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ٥﴾	٥	طه	٣٤٣- ٣٤٥
﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ١٤﴾	١٤	طه	٣٨٤

نص الآيــــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾	٤٦	طه	٣٤٦
﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ٦١﴾	٦١	طه	٤٦٧
﴿لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٦٨﴾	٦٨	طه	٥٩٢
﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ ٧١﴾	٧١	طه	٣٣٩
﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ١١١﴾	١١١	طه	٣٣٣
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧﴾	٧	الأنبياء	٥١٩
﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ ٢٢﴾	٢٢	الأنبياء	٢٩٦
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾	٢٥	الأنبياء	٢١٢- ٢٨٣- ٢٨٥
﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧﴾	٢٧	الأنبياء	٥١٠
﴿وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ٧٩﴾	٧٩	الأنبياء	٣٠١
﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ٩٢﴾	٩٢	الأنبياء	٢١٤
﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ٩٤﴾	٩٤	الأنبياء	٤٩٨
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١٧﴾	١٧	الحج	٤٢٥
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٢٣﴾	٢٣	الحج	٥٣٠
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢﴾	٥٢	الحج	٥١٧

نص الآيـــــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ﴾	١٢	المؤمنون	٢٥٥-٧٤٢
﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴿١٣﴾ ﴾	١٣	المؤمنون	٧٤٢
﴿ فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾	٢٨	المؤمنون	٣٤٢
﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾	٨٤	المؤمنون	٤٥٦-٦٧٣
﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾	٨٥	المؤمنون	٦٧٣
﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ ﴾	٨٦	المؤمنون	٤٥٦
﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾	٨٧	المؤمنون	٤٥٦
﴿ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾	٨٨	المؤمنون	٤٥٦
﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾	٨٩	المؤمنون	٤٥٦
﴿ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ﴿٢﴾ ﴾	٢	الفرقان	٣٢٢
﴿ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا ﴿٢٦﴾ ﴾	٢٦	الفرقان	٢٢٦
﴿ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴿٢٧﴾ ﴾	٢٧	الفرقان	٣٦٣
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴿٣٢﴾ ﴾	٣٢	الفرقان	٦٥٧-٦٥٩
وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾	٣٣	الفرقان	٦٥٧-٦٥٩
﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴿٥٨﴾ ﴾	٥٨	الفرقان	٣١٥-٣٣٣
﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ﴾	٥٩	الفرقان	٣٤٤
﴿ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ ﴾	٦٦	الفرقان	٥٢٨

الصفحة	السورة	رقمها	نص الآيــــــة
٣٤١	القصص	١٤	﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾
٤٣٠-٦٦٦	القصص	٥٦	﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾
٤٥٧	العنكبوت	٦٥	﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾
٢٣٦-٥٢٥	الروم	٢٧	﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾
٢٠٩	الروم	٣٠	﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ﴿٣٠﴾﴾
٥٢٢	سبأ	١٠	﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾
٥٣٧	سبأ	١٤	﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾
٤٢٩-٤٠١	سبأ	٢٢	﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾
٤٧٦-٥٠٦	سبأ	٤٠	﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾﴾
٤٧٦-٥٠٦	سبأ	٤١	﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾
٤١٦	لقمان	١٣	﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾
٢٩٥	لقمان	٢٥	﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾

نص الآيـــــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ (٢٨) ﴾	٢٨	لقمان	٤٢٨
﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (٣٢) ﴾	٣٢	لقمان	٤٥٧
﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣٤) ﴾	٣٤	لقمان	٥٠٠
﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٤) ﴾	٤	السجدة	٣٤٤
﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ (٥) ﴾	٥	السجدة	٣٤٠
﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١) ﴾	١	الأحزاب	٤٠٤
﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾	٢١	الأحزاب	٤٤١
﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) ﴾	٣٣	الأحزاب	٥١
...﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾	٣٦	الأحزاب	٤١٢
﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) ﴾	٤٣	الأحزاب	٣٣٢- ٥٠٣
﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) ﴾	٤٥	الأحزاب	٥١٥
﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦) ﴾	٥٦	الأحزاب	٥٠٣
﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (٦٦) ﴾	٦٦	الأحزاب	٤٣٠

نص الآيـــــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾	٧١	الأحزاب	٤٠٣
﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾	٧٢	الأحزاب	٦٦٩
﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾	١	فاطر	٥٠٥
﴿ ۞ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾	١٥	فاطر	٥٨٢
﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾	٣٢	فاطر	٥٢٢
﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ﴾	٣٤	فاطر	٥٢٩
﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾	٣٣	يس	٥٢٧
﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ ﴾	٣٩	يس	٦٤٤
﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ ﴾	٧٧	يس	٥٢٦
﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾	٧٩	يس	٥٢٥
﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾	٨٢	يس	٣٣٥
﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ ﴾	٤	الصافات	٢١٥
﴿ رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾ ﴾	٥	الصافات	٢١٥
﴿ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾	١٥٠	الصافات	٥٠٦
﴿ أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾	١٥١	الصافات	٥٠٦
﴿ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾	١٥٢	الصافات	٥٠٦
﴿ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾	١٥٣	الصافات	٥٠٦
﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾	١٥٤	الصافات	٥٠٦
﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾	١٥٥	الصافات	٥٠٦

نص الآيـــــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًاۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾	١٥٨	الصافات	٢٣٤-٥١٠
﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾	٧٥	ص	٥١١
﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾	١	الزمر	٢٧٤
﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾﴾	٢	الزمر	٢٧٤-٥٨٤
﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾	٣	الزمر	٢٧٤-٥٨٤
﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبْحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾	٤	الزمر	٥٨٤
﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾﴾	٥	الزمر	٥٨٤
﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍۚ﴾	٦	الزمر	٥٨٤
﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾	٢٧	الزمر	٣٦٣
﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾	٣٠	الزمر	٦٤٩
﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾	٤٥	الزمر	٣٨٢-٤٣٥
﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾	٦٥	الزمر	٢٩٠-٤٢١-٤٣٧-٤٩٤
﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾	٦٧	الزمر	٢٢٧
﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾	٦٨	الزمر	٢٢٨

نص الآيـــــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾	٦٩	الزمر	٢٣٧- ٥٣٨
﴿ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾	١٠	غافر	٤٨٥
﴿ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ﴿١٢﴾ ﴾	١٢	غافر	٤٤٧- ٤٥٧- ٤٨٤
﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾	١٣	غافر	٤٥٧
﴿ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾	١٤	غافر	٤٢٥
﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾	٥٧	غافر	٤٢٨
﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾	٦٠	غافر	٣٨٧
﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾	٧٠	غافر	٦٠٣
﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ ﴾	٧١	غافر	٦٠٣
﴿ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾	٧٢	غافر	٦٠٣
﴿ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾	٨٤	غافر	٥٩٩
﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾	٨٥	غافر	٥٩٩
﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾	٥	فصلت	٤٩٧
﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ﴾	٦	فصلت	٢٨٤- ٦٤٩

نص الآيـــــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾﴾	٧	فصلت	٢٦٨
﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾﴾	١١	فصلت	٣٤١
﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾	١٥	فصلت	٣٣٤
﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾	١٧	فصلت	٤٩٦
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾	٣٣	فصلت	٨٦
﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾	٤٤	فصلت	٣٦٣
﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۖ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾﴾	٩	الشورى	٦٨٥
﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ۚ ﴿١٠﴾﴾	١٠	الشورى	٤٠٨- ٥٨٤
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾	١١	الشورى	١٧٤- ٣٠٤- ٣٢٠- ٣٢١- ٧٣٠- ٧٣١
﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا﴾	١٣	الشورى	٢١٤- ٤٣٤
﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ ۗ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾﴾	٤٤	الشورى	٥٢٧
﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾﴾	٤٥	الشورى	٥٢٧

نص الآيـــــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾	٥٢	الشورى	٤٣٠- ٦٥٧- ٦٥٩
﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾﴾	٦	الزخرف	٥١٥
﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾	١٢	الزخرف	٣٤٢
﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾	١٣	الزخرف	٣٤٢
﴿وَجَعَلُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾	١٩	الزخرف	٥٠٦
﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾	٢٣	الزخرف	٢٤٧
﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾	٣٩	الزخرف	٦٨١
﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ ﴿٥٣﴾﴾	٥٣	الزخرف	٥٢٩
﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾	٢٢	الجاثية	٤٩٧
﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾	٢٣	الجاثية	٤٩٧
﴿وَقَالُوا مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾	٢٤	الجاثية	٤٩٧
﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا ٱئْتُوا بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾	٢٥	الجاثية	٤٩٧
﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾﴾	٤	الأحقاف	٣٨٨- ٤٤٥- ٤١٦
﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾	٥	الأحقاف	٣٨٨- ٤٤٣- ٤٤٤- ٤٤٥
﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾	٦	الأحقاف	٣٨٨- ٣٨٩- ٤١٢- ٤٤٤

نص الآيـــــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾	٥٨	الذاريات	٣١٥- ٣٣٤
﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٥﴾	١٥	ق	٥٢٥
﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾	١	النجم	٦٥٧- ٦٠٠
﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾	٢	النجم	٦٥٧- ٦٠٠
﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾	٣	النجم	٢٤٠- ٤٠٢- ٥٨٧- ٩٥٦
﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾	٤	النجم	٦٥٧- ٦٥٩
﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾	٥	النجم	٦٥٧- ٦٥٩
﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦﴾	٦	النجم	٦٥٧- ٦٥٩
﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧﴾	٧	النجم	٦٥٧
﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١﴾	٢١	النجم	٥٠٧
﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ۝٢٢﴾	٢٢	النجم	٥٠٧
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢٧﴾	٢٧	النجم	٥٠٦
﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۝٢٨﴾	٢٨	النجم	٥٠٦- ٥٠٨
﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾	٣	الحديد	٦٤٤
﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤﴾	٤	الحديد	٣٤٤- ٣٤٥- ٣٤٦

نص الآيـــــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾	٢٦	الحديد	٥١٥
﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢١)﴾	٢١	المجادلة	٣٣٤- ٤٣١
﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١)﴾	١	الحشر	٣٠٠
﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾	٧	الحشر	٢٢٣- ٢٢٧- ٢٣٩
﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)﴾	٢١	الحشر	٦٦٩
﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢)﴾	٢٢	الحشر	٧٣٢
﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	٢٣	الحشر	٤٨٤- ٧٣٠- ٧٣١- ٧٣٢
﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤)﴾	٢٤	الحشر	٧٣٠- ٧٣١
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٧)﴾	٧	الصف	٤٦٧
﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا (٩)﴾	٩	الطلاق	٦٨٨
﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦)﴾	٦	التحريم	٥١٠
﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦)﴾	٦	الجن	٤٧٦
﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩)﴾	١٩	الجن	٦٥٠
﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠)﴾	٢٠	الجن	٣٨٨- ٤٤٧
﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢)﴾	٢١	الجن	٢٢٥

نص الآيـــــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ٢٢﴾	٢٢	الجن	٢٢٥
﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦﴾	٢٦	الجن	٤٧٢- ٥٣٦
﴿عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ٣٠﴾	٣٠	المدثر	٢٥٨- ٧٤٦
﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦﴾	١٦	الملك	٣٣٩- ٣٤٠- ٣٢٠
﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ١٧﴾	١٧	الحاقة	٣٤٠
﴿تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٣﴾	٤٣	الحاقة	٦٥٧- ٦٥٩
﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ٤٤﴾	٤٤	الحاقة	٦٥٧- ٦٥٩
﴿لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ٤٥﴾	٤٥	الحاقة	٦٥٧- ٦٥٩
﴿ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ٤٦﴾	٤٦	الحاقة	٦٥٧- ٦٥٩
﴿فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ٤٧﴾	٤٧	الحاقة	٦٥٧- ٦٥٩
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ٣﴾	٣	المنافقون	٤٨٥
﴿عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ٢١﴾	٢١	الإنسان	٥٢٩
﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبٗا ٢٩﴾	٢٩	النبأ	٦٧٠
﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ٢٧﴾	٢٧	النازعات	٢٩٨
﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩﴾	١٩	التكوير	٦٥٦- ٦٥٩
﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠﴾	٢٠	التكوير	٦٥٦- ٦٥٩
﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١﴾	٢١	التكوير	٦٥٦- ٦٥٩

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

فهرس أسماء الأعلام

فهرس الفرق والطوائف والمذاهب مرتبة أبجديا.

فهرس المصادر والمراجع

١) الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز ، للدباغ ، أحمد بن المبارك ، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الأولى بدون ذكر تاريخ لها.

٢) الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة للشيخ عبد الرحمن الدوسري ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٣) احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، د. سعد الدين صالح، دار الأرقم، الزقازيق، ط ٢، ١٩٩٣م .

٤) أحكام القرآن، لأحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، ت : محمد الصادق قمحاوي دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ

٥) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ، طبعة : مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، سنة ١٣٥٨هـ.

٦) أدب الكاتب ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى ٢٧٦هـ) ، ت : محمد الدالي ، مؤسسة الرسالة.

٧) الأدب المفرد ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ، ت: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٨) الإرشاد للجويني ، ت: د. محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد مكتبة الخافجي ، مصر.

٩) الأزهر تاريخه وتطوره، وزارة الأوقاف وشؤون الأزهر، دار مطابع الشعب، القاهرة، ١٩٦٤م.

١٠) الأزهر في ألف عام، د. محمد عبد المنعم خفاجي، عالم الكتب، بيروت : ١٩٨٨م.

١١) الأسماء والصفات نقلا وعقلا محمد الأمين الشنقيطي ــ رحمه الله تعالى ــ.

١٢) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ، نخبة من العلماء ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية ،الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

١٣) أصول الدين الإسلامي مع قواعده الأربع ، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي ١٢٠٦هـ ، ت : محمد الطيب بن إسحاق الأنصاري، دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة .

١٤) أصول الدين لأبي منصور عبد القاهر البغدادي ، درا صادر ، بيروت ، ط الأولى ، ١٣٤٦هـ.

١٥) أصول الفقه الإسلامي ، الدكتور : زكي الدين شعبان ، دار نافع للطباعة والنشر.

١٦) أصول مذهب الشعية الإمامية الإثني عشرية عرض ونقد ، ناصر بن عبد الله بن علي القفاري ، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

١٧) أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة ، سعود بن عبد العزيز الخلف الطبعة ١٤٢٠هـ-١٤٢١هـ

١٨) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن محمد الأمين بن محمد المختار ابن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى، ١٣٩٣هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان الطبعة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

١٩) الاعتصام ــ للشاطبي ، أبو إسحاق الشاطبي دار النشر، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

٢٠) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، أحمد أبو العينين دار الفضيلة الرياض، ط الأولى، ١٤٢٠هـ.

٢١) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، حافظ بن أحمد الحكمي، حازم القاضي الطبعة الثانية ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٢هـ.

٢٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية ، عبد الرحمن الوكيل، ط ٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٢٣) الإعلام بمخالفات الموافقات والاعتصام تأليف، ناصر بن حمد الفهد ، طبعة ١٤١٩هـ.

٢٤) الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى، ١٣٩٦هـ) ، دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.

٢٥) إغاثة اللهفان محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله المعروف بابن القيم ، دار المعرفة ، بيروت الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ، محمد حامد الفقي.

٢٦) الأغاني ، أبي الفرج الأصفهاني ، دار الفكر، بيروت الطبعة الثانية ، سمير جابر.

٢٧) اقتضاء الصراط المستقيم تأليف شيخ الإسلام ،أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ت:ناصر عبد الكريم العقل ، دار عالم الكتب، بيروت : لبنان الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٢٨) القول المفيد على كتاب التوحيد ، محمد بن صالح العثيمين ، ط٢ ، ١٤٢٤هـ ، دار ابن الجوزي ، الرياض.

٢٩) الإكليل في المتشابه والتأويل ، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى، ٧٢٨هـ) خرج أحاديثه وعلق عليه، محمد الشيمي شحاته ، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية ، مصر.

٣٠) الأمالي في لغة العرب أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، ت٣٥٦هـ دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٣١) إنباه الرواة بأنباء النحاة ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى، ٦٤٦هـ) المكتبة العنصرية، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٣٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى، ٦٨٥هـ) ، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ.

٣٣) الإيمان الأوسط ، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، ت : محمود أبو سن ، دار طيبة للنشر ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ.

٣٤) الإيمان ، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى، ٧٢٨هـ) ، ت : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي، عمان، الأردن الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٣٥) الإيمان حقيقته ، خوارمه ، نواقضه عند أهل السنة والجماعة ، ت: عبد الله ابن عبد الحميد الأثري مراجعة وتقديم، فضيلة الشيخ الدكتور / عبد الرحمن ابن صالح ، مدار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى،١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٣٦) البابية عرض ونقد، إحسان إلهي ظهير، دار الإمام المجدد، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

٣٧) بحر العلوم أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي دار النشر، دار الفكر ، بيروت ، ت: د. محمود مطرجي

٣٨) البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء ، مكتبة المعارف ، بيروت.

٣٩) بدائع الفوائد ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله. المعروف بابن قيم الجوزية ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م ، هشام عبد العزيز عطا ، عادل عبد الحميد العدوي ، أشرف أحمد.

٤٠) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، شيخ الإسلام ، أحمد ابن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، مكتبة العلوم والحكم الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ، ت : د. موسى سليمان الدويش.

٤١) بغية الوعاة ، للسيوطي ، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر بيروت ، ط ٢، سنة ١٣٩٩هـ.

٤٢) البهائية تاريخها وعقيدها، عبد الرحمن الوكيل، راجعه وضبطه: أحمد حمدي إمام، مطبعة المدني، ط ٢.

٤٣) البهائية والقاديانية، د. أسعد السحمراني، در النفائس، طبعة ثانية،١٤٢٧هـ.

٤٤) البهائية، نقد وتحليل : إحسان إلهي ظهير، دار الإمام المجدد، القاهرة، ١٤٢٦هـ ، ص١٣.

٤٥) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، شيخ الإسلام أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ،ت : محمد بن عبد الرحمن بن قاسم مطبعة الحكومة – مكة المكرمة الطبعة الأولى، ١٣٩٢.

٤٦) تاج العروس من جواهر القاموس محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي ،دار الهداية.

٤٧) تاريخ الجامع الأزهر، محمد عبد الله عنان، مطبعة : لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ط ٢، ١٩٥٨م.

٤٨) تاريخ العرب المعاصر مصر والعراق، عبد العزيز نوار، دار النهضة العربية، بيروت.

٤٩) تاريخ الفكر العربي، د. عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٢هـ.

٥٠) تاريخ المشرق العربي (١٥١٦-١٩٢٢م)، عمر عبد العزيز عمر، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.

٥١) تاريخ بغداد ، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

٥٢) تاريخ نجد، حسين بن غنام، حرره وحققه: د. ناصر الدين الأسد، مطابع الشرق الأوسط، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.

٥٣) تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس ، عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين ١٢٨٢هـ دراسة وتحقيق عبد السلام بن برجس العبد الكريم ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٥٤) التبشير في منطقة الخليج العربي (دراسة في التاريخ الاجتماعي والسّياسي) ، د. عبد المالك خلف التّميمي ، دار الشباب للنشر والترجمة والتوزيع نيقوسيا ، قبرص. الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.

٥٥) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ، علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي ، دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

٥٦) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ، أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي (المتوفى،٤٤٠هـ) ، عالم الكتب، بيروت ، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٥٧) تذكرة الحفاظ للذهبي، تصحيح : عبد الرحمن المعلمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٨) ترجمة الشيخ / عبد الرحمن الأفريقي عمر بن محمد بن محمد بكر فُلاَّتَة (بالتاء) أو الفُلاَّنِيُّ (بالنون) ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة غرة رمضان، ١٣٩٨هـ.

٥٩) تسهيل العقيدة الإسلامية، عبد الله بن عبد العزيز الجبرين ، ط٤، ١٤٢٩هـ، دار الصميعي للنشر والتوزيع ، الرياض.

٦٠) التصوف المنشأ والمصادر، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور باكستان.

٦١) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد ويليه شرح الصدور في تحريم رفع القبور ، محمد بن إسماعيل الصنعاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، ت: عبد المحسن ابن حمد العباد البدر ، مطبعة سفير، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٦٢) تطور الحركة الوطنية في مصر، من سنة ١٩١٨/١٩٢٤م، عبد العظيم محمد رمضان، دار الكتاب العربي، القاهرة.

٦٣) التعرف لمذهب أهل التصوف ، أبو بكر محمد الكلاباذي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٠هـ.

٦٤) التعريفات ، علي بن محمد بن علي الجرجاني، ت: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي ، بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٦٥) التعليم في مصر ماضيه وحاضره ومستقبله، د. أحمد صبحي، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٦م.

٦٦) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى، ٧٧٤هـ) ، ت: محمود حسن، دار الفكر، الطبعة الجديدة، ١٤١٤هـ.

٦٧) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس ابن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى، ٣٢٧هـ) ت: أسعد محمد الطيب ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٩هـ.

٦٨) تفسير القرآن الكريم (ابن القيم) ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى، ٧٥١هـ) ، مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ،الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ.

٦٩) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، أبو عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النمري ، ت : مصطفى بن أحمد العلوي ،محمد عبد الكبير البكري ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب، ١٣٨٧هـ.

٧٠) تهافت البابية والبهائية في ضوء العقل والنقل، د. مصطفى عمران، دار البصائر الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

٧١) تهذيب اللغة أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، ت : محمد عوض مرعب ، دار النشر، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - ٢٠٠١م الطبعة الأولى

٧٢) التوحيد وقرة عيون الموحدين في ، دعوة الأنبياء والمرسلين عبد الرحمن ابن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، دراسة وتحقيق: بشير محمد عيون ، مكتبة المؤيد، الطائف، المملكة العربية السعودية، مكتبة دار البيان، دمشق، الجمهورية العربية السورية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٧٣) التوقيف على مهمات التعاريف ، محمد عبد الرؤوف المناوي ، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر ، بيروت ، دمشق الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٧٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي ، ت : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٧٥) جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري ، ت٣١٠ هـ ، ت : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ/٢٠٠٠م.

٧٦) تيسير الأصول ، حافظ ثناء الله الزاهدي ، ط٢، ١٤١٨هـ ، دار ابن حزم ، بيروت .

٧٧) جامع الدروس العربية ، مصطفى بن محمد سليم الغلاييني (المتوفى، ١٣٦٤هـ) ، المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت الطبعة الثامنة والعشرون، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٧٨) جامع الرسائل ، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى ، ٧٢٨هـ) ت : د. محمد رشاد سالم ، دار العطاء ، الرياض الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٧٩) جامع الرسائل، ابن تيمية ، د. محمد رشاد سالم، القاهرة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م

٨٠) الجامع الصحيح، سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، أحمد محمد شاكر وآخرون.

٨١) الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي (المتوفى، ٦٧١هـ) ، ت : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

٨٢) جريدة الأخبار المصرية.

٨٣) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ، نعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين، الآلوسي (المتوفى،١٣١٧هـ) ، مطبعة المدني ، عام النشر، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٨٤) جماعة أنصار السنة، نشأتها – أهدافها – منهجها – جهودها، أحمد الطاهر، مطبعة جماعة أنصار السنة القاهرة، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٦م

٨٥) جمهرة اللغة، لابن دريد ، رمزي بعلبكي، نشر دار العلم للملايين، ط١ ، ١٩٧٨م.

٨٦) جهود الشيخ / محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف ، عبد العزيز اين صالح بن إبراهيم الطويان ، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٨٧) جهود الشيخ / محمد حامد الفقي ، في نشر العقيدة السلفية ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة ، من جامعة أم القرى ، عام ١٤٢٤هـ، للباحث/ موفق عبد الله كدسة.

٨٨) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، أبو عبد الله شمس الدين بن محمد ابن أشرف بن قيصر الأفغاني (المتوفى، ١٤٢٠هـ) ، دار الصميعي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦ هـ/١٩٩٦م.

٨٩) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني ، دراسة وتحقيق علي بن حسن بن ناصر الألمعي وغيره ، دار الفضيلة، الرياض، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

٩٠) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، المعروف بابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

٩١) جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني، علي حرازم ، عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٩٢) حاشية الأصول الثلاثة لشيخ الإسلام، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي ، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي النجدي ١٣٩٢هـ ، دار الزاحم ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٩٣) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة أبو القاسم إسماعيل ابن محمد ابن الفضل التيمي الأصبهاني ، ت: ٥٣٥هـ ، محمد بن ربيع بن هادي المدخلي ،دار الراية ، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م السعودية ، الرياض.

٩٤) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول ، عبد الله بن صالح الفوزان ، مكتبة الرشد.

٩٥) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ .

٩٦) الحياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، جمع الأستاذ عبد الجليل التميمي، منشورات مكتب الدراسات والبحوث العثمانية، زغوان، ١٩٩٠م.

٩٧) درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ، شيخ الإسلام/ أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن تيمية ، ت : عبد اللطيف عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٩٨) دراسات في التصوف والفلسفة الإسلامية ، الدكتور/ صالح الرقب، الدكتور/ محمود الشوبكي، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٩٩) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد ابن علي بن محمد العسقلاني سنة الولادة، ت: ٨٥٢هـ ، محمد عبد المعيد ضان ، مجلس دائرة المعارف العثمانية سنة النشر ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م ، مكان النشر، حيدر آباد، الهند.

١٠٠) دعوة الحق، الشيخ / عبد الرحمن الوكيل، ط٥ ، دار اللواء، ١٤٠٣هـ.

١٠١) دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، ت : د. محمد السيد الجليند ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ.

١٠٢) الدين الخالص أو، إرشاد الخلق إلى دين الحق محمود محمد خطاب السّبكى، المتوفى في الرابع عشر من ربيع الأول، سنة ١٣٥٢هـ ، عنى بتنقيحه وتصحيحه وتنسيقه والتعليق عليه وضبط الآيات والأحاديث وترقيمها وبيان حالها وغريبها ومراجعها : خليفة الشيخ، أمين محمود خطاب ، المتوفى في السابع والعشرين من ذى القعدة، ١٣٨٧هـ ، ـ رحمه الله ـ الطبعة الثالثة ، سنة ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.

١٠٣) ديوان ابن الفـــارض، أبو حفص عمر المشهور بابن الفارض ، مكتبة القاهرة، ط ١٤١٤هــ/١٩٩٤م.

١٠٤) ديوان الوحي الحزين، عبد الرحمن الوكيل، مطبعة النهضة ، الإسكندرية.

١٠٥) الرد على البكري ، شيخ الإسلام / أحمـــد بن عبد الحليم بن تيميـــة الحراني أبو العباس ، ت : محمد علي عجال ، مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة المنـــورة ، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـــ.

١٠٦) الرسالة التدمرية ، شيخ الإسلام / أحمد بن عبد الحليم ابن تيميـــة ، المطبعـــة السلفية، القاهرة، مصر الثانية، ١٣٩٧هــ/١٩٧٧م.

١٠٧) الرسالة القشيرية لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة.

١٠٨) رسالة بعثت من قبل جماعة أنصار السنة بقلم : أ. د. عبد القـــادر الطويـــل، رئيس جماعة دعوة الحق، ورئيس تحرير مجلة الهدي النبوي، أستاذ غير متفـــرغ بجامعة الأزهر.

١٠٩) رسالة من الأستاذ / سعد صادق.

١١٠) رسالة من الشيخ / فتحي عثمان.

١١١) رسائل ابن حزم الأندلسي ، ابن حزم ت : إحسان عباس ، المؤسسة العربيـــة للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٠م.

١١٢) رسائل مكتوبة من رئيس عام جماعة دعوة الحق الإسلامية ، ورئيس تحرير مجلة الهدي النبوي، بعثتها جماعة أنصار السنة.

١١٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثـــاني، أبـــو الفـــضل محمـــود الألوسي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

١١٤) الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، المعروف بابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

١١٥) الروض الأنف، عبد الرحمن السهيلي ، عبد الرحمن الوكيل، ط١، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

١١٦) زاد المسير في علم التفسير ، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

١١٧) زاد المعاد في هدي خير العباد ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، المعروف بابن قيم الجوزية ، مؤسسة الرسالة ، مكتبة المنار الإسلامية ، بيروت، الكويت الطبعة الرابعة عشرة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

١١٨) سلسلة أبحاث جامعية، رؤية الجبرتي للحركة السلفية في مصر وشبه الجزيرة العربية، د. نازك زكي.

١١٩) سلسلة الأحاديث الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت ، الدار السلفية، الكويت ، المكتبة الإسلامية، الأردن، الطبعة الأولى.

١٢٠) سلسلة الأحاديث الضعيفة لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت ، الطبعة الأولى.

١٢١) السلفية وقضايا العصر عبد الرحمن الزبيدي، دار إشبيليا، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ، .

١٢٢) الدين ، عبد الله دراز ، دار القلم ، القاهرة ، ط٥ ، ١٤٢٧هـ.

١٢٣) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، محمد خليل بن علي بن محمد ابن محمد مراد الحسيني، أبو الفضل (المتوفى، ١٢٠٦هـ) ، دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م

١٢٤) سنن ابن ماجه ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، ت : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، بيروت.

١٢٥) سنن أبي داود ، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي ، ت : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر.

١٢٦) سنن البيهقي الكبرى ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي ، ت : محمد عبد القادر عطا ، مكتبة دار الباز ، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

١٢٧) سنن النسائي ، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ، ت : عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

١٢٨) سيد الخلق بشر، فتحي عثمان، دار الألباني للتراث، الطبعة الأولى ٢٠٠١م

١٢٩) سير أعلام النبلاء ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى، ٧٤٨هـ) ت : مجموعة من المحققين: بإشراف الشيخ / شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥م.

١٣٠) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى، ١٠٨٩هـ) حققه: محمود الأرناؤوط خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط ، دار ابن كثير، دمشق ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م.

١٣١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي ، ت : د. أحمد سعد حمدان ، دار طيبة ، الرياض، ١٤٠٢هـ.

١٣٢) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ، صدر الدين علي بن علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي ، ت : أحمد محمد شاكر الطبعة الأولى ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٨هـ.

١٣٣) شرح العقيدة الطحاوية ابن أبي العز الحنفي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الرابعة، ١٣٩١هـ.

١٣٤) شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام / ابن تيمية ، محمد خليل هراس ، الطبعة الأولى ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

١٣٥) شرح العقيدة الواسطية، للعلامة/ محمد بن صالح العثيمين، اعتناء، سعد ابن فواز الصميل، دار ابن الجوزي، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٢٣هـ.

١٣٦) شرح القصيدة النونية المسمى، توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم ، أحمد بن إبراهيم بن عيسى ، ت : زهير الشاويش، المكتب الإسلامي ، بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ.

١٣٧) شرح الكوكب المنير ، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز ابن علي الفتوحي المعروف بابن النجار (المتوفى، ٩٧٢هـ) ت: محمد الزحيلي ونزيه حماد ، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

١٣٨) شرح النووي على صحيح مسلم، لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٢هـ.

١٣٩) شرح تنقيح الفصول ، شهاب الدين أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي ، ت : ٦٨٤ هـ ، رسالة مقدمة لنيل، درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية إعداد الطالب / ناصر بن علي بن ناصر الغامدي ، إشراف فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/ حمزة بن حسين الفعر ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

١٤٠) شرح حديث النزول ، شيخ الإسلام / أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى، ٧٢٨هـ) ، المكتب الإسلامي، بيروت ، لبنان ، الطبعة الخامسة، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

١٤١) الشرح والإبانة على أصول الديانة، لعبيد الله بن محمد بن بطة العكبري ، ت : ٣٨٧هـ ، تحقيق وتعليق: رضا بن نعسان معطي، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.

١٤٢) الشريعة للآجري ت : محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١، سنة ١٤١٠هـ.

١٤٣) شعب الإيمان ، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، ت: محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

١٤٤) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، المعروف بابن قيم الجوزية ، ت: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

١٤٥) الصارم المسلول على شاتم الرسول ، شيخ الإسلام / أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني أبو العباس ، ت: محمد عبد الله عمر الحلواني ، محمد كبير أحمد شودري ، دار ابن حزم ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

١٤٦) الصحاح ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى، ٣٩٣هـ) ، ت: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١٤٧) صحيح ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، ت: شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة ، بيروت الطبعة الثانية ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

١٤٨) صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي ، ت: د. مصطفى ديب ، دار ابن كثير، اليمامة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٤٩) صحيح الجامع الصغير وزياداته ، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى، ١٤٢٠هـ) ، المكتب الإسلامي.

١٥٠) صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى، ٢٦١هـ) ت: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

١٥١) صراع بين الحق والباطل، سعد صادق، دار السنة المحمدية، القاهرة، ط ٦، ١٤١٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٥٢) صريح السنة ، محمد بن جرير الطبري أبو جعفر ، ت: بدر يوسف المعتوق ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ، الكويت ، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

١٥٣) الصفات الإلهية بين السلف والخلف، الشيخ / عبد الرحمن الوكيل ، دار أم القرى للطباعة، القاهرة.

١٥٤) صفات الله ، تأليف : علوي بن عبد القادر السَّقَّاف ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١٥٥) صفة الصفوة ، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ابن الجوزي ، ت: محمود فاخوري ، د. محمد رواس قلعه جي دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١٥٦) الصفدية ، شيخ الإسلام / أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى، ٧٢٨هـ) ت: محمد رشاد سالم ، مكتبة ابن تيمية، مصر الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

١٥٧) الصلاة وحكم تاركها وسياق صلاة النبي من حين كان يكبر إلى أن يفرغ منها ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، المعروف بابن قيم الجوزية ، ت: الجفان والجابي ، دار ابن حزم ، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

١٥٨) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، المعروف بابن قيم الجوزية ، ت: د. علي بن محمد الدخيل الله ، دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

١٥٩) طبقات الحنابلة ، أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (المتوفى، ٥٢٦هـ) ت: محمد حامد الفقي ، دار المعرفة ، بيروت.

١٦٠) طبقات الشافعية ، لابن قاضى شهبة ، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر ابن قاضي شهبة ت: د. الحافظ عبد العليم خان دار النشر، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ.

١٦١) طبقات الصوفية، لأبي عبد الرحمن السلمي ، ت: نور الدين سريبه، مكتبة الخانجي ، بالقاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ.

١٦٢) الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري ، ت: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٨م.

١٦٣) طريق الهجرتين ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى، ٧٥١هـ) ، دار السلفية، القاهرة، مصر ، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ.

١٦٤) طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، المعروف بابن قيم الجوزية ، ت: عمر بن محمود أبو عمر ، دار ابن القيم ، الدمام ، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

١٦٥) عبد الرحمن الوكيل وقضايا التصوف، فتحي عثمان، دار السنة المحمدية للطباعة، القاهرة.

١٦٦) عقيدة أهل السنة والجماعة على ضوء الكتاب والسنة ، سعيد القحطاني ، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة ، ط٢، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

١٦٧) عمدة القاري ، شرح صحيح البخـــاري، محمود بن أحم،د بن موسى العيني، ت : ٨٥٥هـــ، طبع، دار الفكر، ١٣٩٩هـــ/ ١٩٧٩م.

١٦٨) عوارف المعارف للسهروردي عبد القاهر بن عبد الله ، دار الكتاب العـــربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هــ.

١٦٩) الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي ، أحمد شهاب الدين ابن حجر الهيتمـــي المكي دار النشر، دار الفكر.

١٧٠) الفتاوى الكـــبرى ، شيخ الإسلام / أحمد بن عبـــد الحليم بن تيميـــة الحراني أبو العباس ، ت: حسنين محمد مخلوف ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٣٨٦هــ.

١٧١) فتاوى ورسائل ، سماحة الشيخ / محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ ، محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ (المتوفى، ١٣٨٩هــ) جمع وترتيب وتحقيق : محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هــ.

١٧٢) فتح الباري ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العـــسقلاني (المتوفى، ٨٥٢هــ) ت: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وذكر أطرافها: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر.

١٧٣) فتح الباري ، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغـــدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب ، ت: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمـــد ، دار النشر، دار ابن الجوزي، السعودية ، الدمام ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٢هــ.

١٧٤) فتح المغيث شرح ألفية الحديث ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هــ.

١٧٥) الفتوى الحموية الكبرى ، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى، ٧٢٨هـ) ت: د. حمد بن عبد المحسن التويجري ، دار الصميعي ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

١٧٦) الفرق ، أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان الجشمي السجستاني (المتوفى، ٢٤٨هـ) ت: حاتم صالح الضامن ، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد ٣٧، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

١٧٧) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.

١٧٨) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لشيخ الإسلام / ابن تيمية، مطابع الرياض، ط٢.

١٧٩) الفروق اللغوية ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى ابن مهران العسكري (المتوفى، نحو ٣٩٥هـ) حققه وعلق عليه، محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ، مصر.

١٨٠) فصوص الحكم ، لابن عربي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

١٨١) القاموس الفقهي لغة واصطلاحا ، سعدي أبو جيب ، دار الفكر. دمشق ، سورية ، الطبعة تصوير ١٩٩٣م ، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٨٢) القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت .

١٨٣) كتاب العين ، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ت: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال .

١٨٤) كتاب الكليات ، لأبي البقاء الكفومي معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تأليف: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي ، عدنان درويش ، محمد المصري ، دار النشر، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

١٨٥) كتابات أعداء الإسلام ، ومناقشتها عماد السيد الشربيني ، طبعة ١٤٢٢هـ.

١٨٦) كشف الظنون، حاجي خليفة، بيروت ، سنة ١٤٠٢هـ.

١٨٧) الكشف عن حقيقة الصوفية ، محمود عبد الرؤوف القاسم ، ط١ ، دار الصحابة ، بيروت ، ١٤٠٨هـ.

١٨٨) الكشف والبيان ، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري ، دار النشر، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

١٨٩) الكواكي الدرية في تراجم السادة الصوفية ، زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي ، ت: محمد أديب الجادر ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩م .

١٩٠) اللباب في علوم الكتاب ، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي دار النشر، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

١٩١) لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الطبعة الأولى ، دار صادر، بيروت.

١٩٢) اللمع ، الطوسي أبو نصر السراج ، ت : د. عبد الحليم محمود طه عبد الباقي سرور ، دار الكتب الحديثة ، بمصر ، ١٩٦٠م.

١٩٣) مجرد مقالات أبي الحسن الأشعري لابن فورك ، دانيال جيمارية ، دار المشرق بيروت ، ١٩٨٦م.

١٩٤) مجلة التوحيد .

١٩٥) مجلة الدارة .

١٩٦) مجلة الهدي النبوي.

١٩٧) مجلة منبر الإسلام.

١٩٨) مجموع فتاوى ابن تيمية ، دراسة وتحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

١٩٩) المحكم والمحيط الأعظم ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، (ت : ٤٥٨هـ) ، ت: عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٠٠) المحيط في اللغة ، أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني دار النشر، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٢٠١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة مؤلف الأصل، محمد بن أبي بكر ابن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى، ٧٥١هـ) اختصره، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي (المتوفى، ٧٧٤هـ) ت: سيد إبراهيم ، دار الحديث، القاهرة ، مصر الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م

٢٠٢) مختصر منهاج السنة ، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى، ٧٢٨هـ) اختصره، الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان ، دار الصديق للنشر والتوزيع، صنعاء ، الجمهورية اليمنية الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٢٠٣) المخصص ، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده ، ت: خليل إبراهيم جفال ، دار النشر ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٢٠٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، ابن قيم الجوزية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

٢٠٥) مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ، د . عثمان جمعة ضميرية تقديم، الدكتور/ عبد الله بن عبد الكريم العبادي ، مكتبة السوادي للتوزيع ، الطبعة الثانية ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٢٠٦) مرآة الجنان ، اليافعي المكي ، بيروت ، منشورات الأعلمي، ١٩٧٠م.

٢٠٧) المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع، تأليف: خالد بن مسعود الجعيد ، وعلي بن جابر العلياني، وناصر بن حمدان الجهني، إشراف: د. عبد الله ابن محمد الدميجي، دار الفضيلة ، الرياض ، السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٨هـ.

٢٠٨) مسند أبي يعلى ، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي ، ت: حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٢٠٩) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أحمد بن حنبل ، ت: شعيب الأرنؤوط وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٢١٠) مشاهير علماء نجد وغيرهم، الشيخ / عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ ، الطبعة الأولى ، دار اليمامة ، ١٣٩٢هـ.

٢١١) مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور ، عادل بن محمد أبو العلاء ، الجامعة الإسلامية ، بالمدينة المنورة ، الطبعة ١٤٢٥هـ.

٢١٢) المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير، لأحمد بن محمَّد الفيومي، المكتبة العلميّة، بيروت.

٢١٣) مصرع التصوف، برهان الدين البقاعي ، وتعليق عبد الرحمن الوكيـــل، ط٣، دار الإيمان، الإسكندرية، ٢٠٠٤م.
٢١٤) مصنف عبد الرزاق ، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الــصنعاني ، ت: حبيــب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هــ.
٢١٥) المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد ، تأليف: عبد الرحمن بن حسن بن محمد ابن عبد الوهاب بن سليمان التميمي ١٢٨٥م ، دار الهداية للطباعة والنــشر والترجمة ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هــ/١٩٩١م.
٢١٦) معارج القبول ، حافظ بن أحمد حكمي ، ت: عمر بن محمود أبو عمــر ، دار ابن القيم ، الدمام الطبعة الأولى، ١٤١٠هــ/١٩٩٠م.
٢١٧) معالم التنزيل ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي [المتوفى ٥١٦ هــ] حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر ، عثمان جمعة ضميرية ، ســليمان مــسلم الحرش ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هــ/١٩٩٧م.
٢١٨) المعجم الفلسفي ، د. جميل صليبا ، دار الكتاب اللبنــاني ، ج ٢ ، ص ١٧ ، ١٩٧٩م.
٢١٩) المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ، ت: حمــدي ابن عبد المجيد السلفي ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصــل الطبعــة الثانيــة، ١٤٠٤هــ/١٩٨٣م.
٢٢٠) معجم المصطلحات الصوفية ، الدكتور / أنور فؤاد أبي خزام ، مكتبــة لبنــان ناشرون؛ الطبعة الأولى ، ١٩٩٣م.
٢٢١) معجم المؤلفين الصوفيين ، ين الصوفيين ، الدكتور / محمــد أحمــد درنيقــة، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٦م.
٢٢٢) معجم المؤلفين ، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمــشقي (المتوفى، ١٤٠٨هــ) ، مكتبة المثنى ، بيروت.
٢٢٣) المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد النجار ، دار النشر، دار الدعوة ، مجمع اللغة العربية.

٢٢٤) معجم لغة الفقهاء د. محمد رواس، د. حامد صادق ، دار النفائس، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ.

٢٢٥) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، عبد السلام هارون، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٠هـ.

٢٢٦) معيار العلم، أبو حامد الغزالي ، د. سليمان دنيا، دار المعارف ، بالقاهرة.

٢٢٧) مغني اللبيب ، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري ، ت: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد، دار الفكر، بيروت ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٥م.

٢٢٨) مفاتيح الغيب ، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي ، دار النشر، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٢٢٩) مفردات ألفاظ القرآن ، الحسين بن محمد بن المفضل ، المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم ، دار النشر ، دار القلم ، دمشق.

٢٣٠) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن ت: هلموت ريتر، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة.

٢٣١) مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت.

٢٣٢) الملل والنحل ، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني ، ت: محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٤هـ.

٢٣٣) المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور ، تَقِيُّ الدِّيْنِ، أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيْمُ ابنُ مُحَمَّدِ بنِ الأَزْهَرِ بنِ أَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدٍ العِرَاقِيُّ، الصَّرِيْفِيْنِيُّ، الحَنْبَلِيُّ (المتوفى، ٦٤١هـ) ت: خالد حيدر ، دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع ، سنة النشر ١٤١٤هـ.

٢٣٤) منهاج السنة النبوية ، شيخ الإسلام / أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، ت: د. محمد رشاد سالم ، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٢٣٥) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى، ٨٧٤هـ) حققه ووضع حواشيه : دكتور / محمد محمد أمين تقديم، دكتور / سعيد عبد الفتاح عاشور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٣٦) موجز تاريخ مصر الحديثة، محمد عبد الرحيم مصطفى، مطبعة العالم العربي، القاهرة.

٢٣٧) الموسوعة البهائية، دراسة نقدية : للديانة البهائية، التاريخ والنشأة والعقيدة، خالد محمد عبده، الشعاع للنشر، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٦م.

٢٣٨) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، إشراف : د. مانع الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة، ط ٥، ١٤٢٤هـ.

٢٣٩) الموضوعات ، أبي الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزي القرشي، ت ٥٩٧ ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

٢٤٠) الموطأ ، مالك بن أنس ، ت: محمد مصطفى الأعظمي ، مؤسسة زايد ابن سلطان آل نهيان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٢٤١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة ، لعبد الرحمن بن صالح المحمود ، مكتبة الرشد الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ.

٢٤٢) النبوات ، شيخ الإسلام / أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية دراسة ، وعبد العزيز ابن صالح الطويان ، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٢٤٣) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، ت: محمد عبد الكريم كاظم الراضي ، دار النشر، مؤسسة الرسالة ، لبنان ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٢٤٤) نشأة الفلسفة الصوفية، عرفان عبد الحميد، ط٨، المكتب الإسلامي.

٢٤٥) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها ، لسان الدين ابن الخطيب ، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (المتوفى، ١٠٤١هـ) ، ت: إحسان عباس دار صادر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة ١٩٩٧م.

٢٤٦) نقض أصول العقلانيين ، سليمان بن صالح الخراشي ، دار علوم السنة.

٢٤٧) نقض المنطق، شيخ الإسلام / ابن تيمية ، محمد عبد الرزاق ، وسلمان الصنيع، صححه : محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية، القاهرة.

٢٤٨) النكت والعيون ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ، دار النشر، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان.

٢٤٩) نهاية الأقدام في علم الكلام للشهرستاني ، ت: ألفرد جيوم ، مكتبة المتنبي، القاهرة.

٢٥٠) النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ، طارق أحمد الزاوي ، محمود الطناحي، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩هـ.

٢٥١) الهبات المقتبسة ، لمحمد عثمان ، ط ١٩٣٩م.

٢٥٢) هذه هي الصوفية، الشيخ / عبد الرحمن الوكيل، اعتنى به وعلق عليه: رامي إبراهيم السيد البنا ، طبعة دار الإيمان.

٢٥٣) الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة) ، عبد الله ابن عبد الحميد الأثري مراجعة وتقديم صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ، الطبعة الأولى ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٢هـ.

٢٥٤) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن أبي بكر بن خلكان ت : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت.

فهرس الموضوعات